

صالح مسعود أبو بصير

# جهاد سغب فلسطين

خلال نصف قرن

قَدَمَ للكتاب

فضيلة الشيخ أحمد حسن الباقوري  
مدير جامعة الأزهر

واللواء الركن محمود شيت خطاب  
عضو المجمع اللغوية في بغداد والقاهرة والرباط

« لو أن اللوائح تعطي للمجستير درجة أعلى  
من الامتياز لاستحقها هذا البحث »  
دكتور عبد العزيز الشناوي  
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر  
بجامعة الأزهر

الطبعة الرابعة

الناشر  
دار الفتح للطباعة والنشر  
صندوق البريد ٤٢٩٥ - بيروت



صالح مسعود أبو بصير

# مهاد سغب فلسطين

خلال نصف قرن

قدم للكتاب

فصيحة الشيخ أحمد حسن الباقوري

مدير جامعة الأزهر

واللواء الركن محمود شيت خطاب

عضو المجامع اللغوية في بغداد والقاهرة والرباط

« لو أن اللوائح تمطي للماجستير درجة أعلى  
من الامتياز لاستحقها هذا البحث » .  
دكتور عبد العزيز الشناوي  
استاذ التاريخ الحديث والمعاصر  
بجامعة الأزهر

الناشر

دار الفتح للطباعة والنشر

مُندوق البريد ٤٢٩٥ - بيروت



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تَجَارَةِ تُجَيِّدِكُمْ  
مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ، تَوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَتَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ  
اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . يَغْفِرُ  
لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلُكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ  
وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ،  
وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ  
وَبَشِيرُ الْمُؤْمِنِينَ

(قَارَأَتْ كَرِيم)

الطبعة الاولى

١٣٦٨ هـ - ١٩٦٨ م

الطبعة الثانية

١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م

الطبعة الثالثة

١٣٩٠ هـ - ١٩٧١ م

الطبعة الرابعة

١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م



## الاهداء

- إلى ذكرى كل شهيد من شهداء أمتنا في تاريخنا الطويل وفي كل قطر من أقطارها .
- وإلى الفدائيين الذين حملوا الأرواح على الرّاح وذهبوا يجاهدون في سبيل الله والوطن .
- وإلى كل شهيد ذاق مرارة الهجرة ، وضيق الاغتراب .
- وإلى كل مختلص يحس بعق النكبة وضرورة الإعداد ، أقدم صفحات خالدة عن شعب خالد ، جاداً وهجرةً وتصميماً .

المؤلف



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة الطبعة الرابعة

( ١ )

كان يجب أن تكون للطبعة الثالثة من هذا الكتاب مقدمة شارحة ، لاسيما وقد صدرت في أوائل الثورة الليبية مصاحبة لأهم الأحداث في تاريخ الوطن وحياة المؤلف ، ولكن السنة الأولى من الثورة لم تكن سنة عادية ، وكان الواجب الوطني يقضي بالتفرغ الكامل للعمل مع الثورة التي برزت عملاقة وسط عالم العرب والإسلام ، والتي غيرت كثيراً من خطط الاستعمار في المنطقة .

ولكن الطبعة الثالثة برغم ذلك نفذت من الأسواق في عالمنا العربي بسرعة مشرقة ، ومع هذا لم تمكّنني الواجبات الوطنية من أن أستجيب لرغبة الناشر في مقدمة للطبعة الرابعة إلا الآن وأنا أمرٌ بلبنان منتهياً من مجلس الأمناء للدراسات الفلسطينية ببيروت وقاصداً مؤتمر التضامن الآسيوي الإفريقي بدمشق ، وفي كل من هذين المؤتمرين مجال هام للقضية الفلسطينية ولجهاد شعب فلسطين الذي سار مع التاريخ سيراً لم يتوقف .

وحين أجلس لأسطر هذه المقدمة أدرك أنه حان الوقت لأن يضم هذا الكتاب الصفحات الجديدة المشرقة لجهاد شعب فلسطين وما يستتبع ذلك من تطورات في القضية المصيرية التي أطلقت عليها الأحداث مسميات عديدة ، فمن قضية فلسطين وإسرائيل المزعومة إلى قضية حقوق شعب فلسطين وعودة اللاجئين ، إلى قضية إزالة آثار العدوان (١٩٦٧) إلى قضية الشرق الأوسط وقرار مجلس الأمن ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ ، ولكن قلقلة القضية وضرورة انتظار



تطورات كثيرة كاستقبال العمل الفدائي بعد هذا الإرهاق المضني الذي لاقاه في الأردن حتى اضطر بعض افراده إلى اللجوء لعدوتهم إسرائيل . وكفتح قناة السويس وانسحاب العدو جزئياً إلى مواقع متفق عليها في سيناء وكاقتراحات أمريكا المكررة والتي لا تُغضب إسرائيل ولا تقلل من نصرها ، ثم الدعوة الرائعة التي انطلقت بها الثورة الليبية وقائدها العقيد معمر القذافي بقومية المعركة وتسخير كل القدرات والإمكانات العربية ضد إسرائيل . انتظار نتائج هذه الأحداث كلها دفعني إلى تجميع دقائق الأمور وتفاصيلها والآراء العديدة حولها ، وجعلني ألزم مع نفسي أن تكون الطبعة القادمة وهي الخامسة ( بعون الله ) مقسمة إلى مجلدين وحاوية كل ما أشرت إليه مع ما سنحت لي معرفته بحكم اتصالي السياسي المباشر وما راسلني به بعض القراء بعد الطبعة السابقة للكتاب مع عديد من الوثائق التي يجب أن تخرج لأبناء الأمة العربية ولجيلنا الجديد حتى يتضح له المستقبل على ضوء معرفة الماضي : ظواهره وخوافيه .

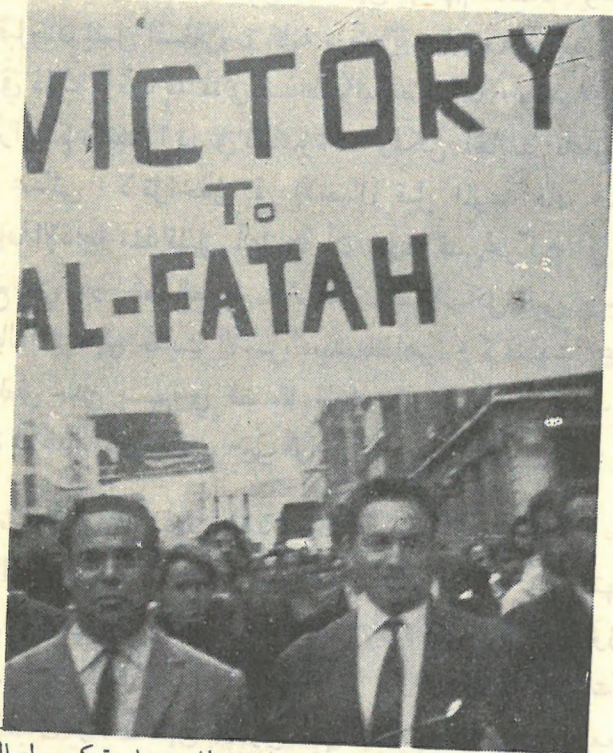
( ٢ )

قلت في أول مقدمة كتبتها لهذا البحث « إني عاصرت قضية فلسطين في أدوار مختلفة من حياتي كان آخرها وكالة مجلس النواب الليبي حين اضطرت عام ١٩٥٥ لمغادرة وطني الحبيب حافظاً له الولاء ، معتزاً بتاريخه وفخوره ، وها أنا ذا أعيش وقد ذقت طعم التشرد واللجوء » .

وحين سطررت ذلك كنت أشعر تماماً بآلام المبعّد عن وطنه ، وبالحرقة القاتلة التي تشتعل في الضمير مذكية حرمانني من تراب الآباء والأجداد ، بينما ينعم به بقايا المحتلين الإيطاليين وجموع البريطانيين والأمريكان واليهود وكل من هبّ ودبّ من أرض الله ، كان ذلك في أوائل عام ١٣٨٨ هـ الموافق ١٩٦٨ م ، وخلال صيف ١٩٦٩ كنت في لندن أراجع الدوائر العلمية ومكتباتها بحثاً عن أسرار التاريخ منذ الغزو الإيطالي لوطني الأول ليبيا ، وأدّيت صلاة الجمعة في المسجد هناك حيث أعلن رئيس المركز وهو أخ باكستاني ، كما أعلن إمامه الشيخ

- ب -

شلي أن مظاهرة كبرى ستقام عشية الأحد للتعبير عن الاستياء وإعلان الاحتجاج على تصرفات إسرائيل المهيمنة لمقدساتنا والتي أدّت إلى حريق المسجد الأقصى المعروف ، وطلبتُ إلى ابني ورفاقه في مدرسة تبعد عن لندن ثلاثمائة كيل أن يحضروا للاشتراك في ذلك الطابور التاريخي ، وسلكت المظاهرة طريقها المهم طابور طوله أكثر من أحد عشر كيلاً ، وبحث عن نوادي الطلاب العرب وهي كثيرة كبيرة في لندن ، فلم أجد منهم إلا قليلاً وكان الأعجام المسلمون يمثلون الكثرة الكثيرة ، وكانوا في غاية الحماس والتأثر ، وكان بعض الإنجليز واليهود يقابلوننا بالإهانة والاستهزاء والتحدّي ، وكان القليل يرفع يده مؤيداً لنا ، وفي ميدان الطرف الأغرّ تحدث الخطباء بلغة انجليزية عالية



المكان : لندن - الزمان : ٣١ أغسطس ١٩٦٩ . مظاهرة عارمة كبرى لصالح الفداء وتنديداً بإسرائيل ، وبعد عشر ساعات كانت ثورة ليبيا العملاقة

- ج -



فأرغموا المحيطين بهم والمارة من البريطانيين أن يستمعوا إلى شيء مهم وجديد، وعدت مع ابني ورفاقه أحدثهم عن ليبيا، أترون كيف يمر حريق الأقصى دون انشغال، أترون كيف وهنت البيانات حول ذلك وهنا ظاهراً خفياً، أترون أن الحكم في وطني حكم يائس وحكم بائس، حكم يائس لا يسهم في قضايانا المصرية إسهام المشغول والمهم، وحكم بائس قصرت مفاهيمه عن إدراك العدو وخطره، وتعلقت مراميه بالمستعمر وإطاعة أمره وخبره، لو تحرر شعبي من قواعد الباطل وسنحت الفرصة له لكان له في هذه القضية الرأي المسموع والصوت المعلي.

وودعتهم في قطار آخر الليل العائد إلى قريتهم البعيدة، ونحتوا على غرف القطار قبل أن يصل المسافرون كلمة «فتح FATAH» على الجدران والممرات، وكانت في ذلك الوقت قد قوى صداها وتباعداها، وقلت: تصلون صباحاً فخذوا راحتكم واتصلوا بي في العاشرة، ولكن الهاتف دعاني في الثامنة، وانطلق محدثي، لا تؤاخذني في الاتصال قبل الموعد فان هناك ما يوجب ذلك، إن الإذاعة منذ قليل أعلنت أن ثورة قد تحركت في ليبيا، وطال جدلي مع ابني عبر الخط الطويل، ثم قمت أتصل بكل ليبي يوجد في لندن، وعدت بالذاكرة إلى حديث أمس بعيد المظاهرة، كم تنبأت على الله حكماً صالحاً بلدي حتى يسهم في قضايانا المصرية وحتى يعلن الصداقة للأصدقاء والعداوة للأعداء غير خائف من قواعد ولا مقرراً لها.

وعدت إلى وطني الحبيب بعد هجرة أربعة عشر عاماً، عدت بنفس الطريق الذي سلكته خائفاً من حكومة إدريس أترقّب ملاحقتها وكل شرها، عدت في رحاب الثورة الشابة البناءة وقد قلّدتني برقياً وزارة الوحدة والخارجية، وركمت عند الحدود أقبل التراب الذي حرمت منه وأبلىه بدمعي المشتاق وأضمته إلى صدري ليهداً خفقانه، ويستقر مع النصر بيانه وجنانه، وسرعان ما اتضحت لي أمور كنت أحتاجها، لقد كانت ثورتنا

الحرّة تسمى «بفلسطين»، وكانت كلمة السر ليلة التحرك هي «القدس» إذن فنحن على درب واحد في سبيل قضية واحدة هي قضية البقاء العربي والمصير القومي كله، وترافقت مع الإخوة الثوار مكبراً روح الشجاعة فيهم ومعاني الفداء التي تضمهم بقوة صحيحة، وكنت في أعلى لذة السعادة وأنا أنفذ قرار مجلس الثورة فأسلم للسفير البريطاني ثم للسفير الأمريكي مذكرة عاجلة باعتبار المعاهدة مع كلٍّ منهم قد فقدت مفعولها وباعتبار القواعد مقامة على غير رغبة الثورة والشعب، وأنها تمثل جسماً غريباً مكروهاً في بلد عربي لا يقرها ولن يتركها تنهأ بعد اليوم، وشاركت في بحوث الجلاء فكان حديث رجال الثورة وسط الجدران المغلقة مع الخصوم بنفس القوة والوضوح الذي أعلن بها خارجها، ولم يكن يقبل إلا تحديد يوم الجلاء وترك الأرض لأصحابها وإلا تحوّل الشعب كله إلى قوة طاردة وجموع محاربة، وخرجت القواعد وأهيل وراءها تراب الطرد والإبعاد.

وشهدت مع رئيس الثورة اجتماعات كثيرة ومؤتمرات عديدة فكان دائماً لسان الحق الشجاع ينطلق بكل صدق، وكان صحيح العبارة قوي التعبير يتم حديثه عن إخلاص صافٍ وهدف محدّد هو: تحرير الأرض وطرده إسرائيل وكيانها المفروض في أرضنا وربط الأمة العربية برباط واحد، لمحمة القومية الرشيدة وسداه الإسلام العظيم.

وجالست الأعضاء جميعاً وتحدثت معهم فكانوا على شبابهم المتوثّب أنموذجاً من الوطنية والحماس، والشعور بقضايا العروبة والإسلام شعوراً دافقاً قوياً عظيم الأمل، كبير المرتجى، وإنها لمفخرة تاريخية أن تتميز ثورتنا بأنها لم تقم عوداً لمشنقة ولم تسفك نقطة من دم.

قلت في مقدمة الطبعة الأولى: «لكم تجادلت مع سطحيين لم يلموا بالقضية الفلسطينية ولم يتعبوا أنفسهم ليدركوا كم جاهد شعب فلسطين وكم ضحّى وكم كابد» وإني أحمد الله أن أثبتت ثورتنا أنها من أكثر العرب إدراكاً لواجباتنا



تجاه شعب فلسطين ، وأنها عميقة الفهم للقضية ولحقوق هذا الشعب العربي المناضل ، ولقد أصبحت «فتح» في ليبيا الثورة أول من يدرك صدق ثورتنا عملياً في تأييد الجهاد الفلسطيني ضد العدو الغاصب حيث فتحت الثورة يدها في رخاء وودّ ماديّاً وعسكريّاً مما لا يمكن تسطير تفاصيله هنا .

وهكذا خَفَّتْ جديلي مع السطحيين الذين أشرت إليهم ، فقد طواهم مدّة الثورة وضاعوا مع النسيان فلا صوت لهم ولا رأي ، إلا صوت خافت لا يسمع ، ورأي هزيل لا يقنع ، بقية من ملق للطفاعة وإحناء ذليل للوجوه وللجباه .

( ٣ )

وقلت في تلك المقدمة : إن أوجه الشبه كبيرة بين قضية الاستعمار الاستيطاني المبيد في فلسطين والاستعمار الاستيطاني المبيد الذي مرّ بليبيا ، وحين عدت إلى وطني في رحاب الثورة كان قرابة الثلاثين ألفاً من بقايا المستعمرين الإيطاليين لا يزالون يقيمون كتمثال لذلك الاستعمار الشنيع ، فهم كيان يقيم في وطني ومنفصل عنه ، وهم يستغلون بقرته الحلوب ويصدرون ثرواتهم إلى حيث ولاءهم هناك بإيطاليا ، وهم يترفّعون على شعبي ويعرضون عن كل مناسباته في صلف وكبرياء لا يعادها إلا صلف وكبرياء إسرائيل ، وهم يملكون المزارع والمباني والثروات وكأنهم سحبوها من إيطاليا إلى ليبيا سحبا ، وما كأنهم استولوا عليها إما بثروة مبتزة من شعبي وإما بقرار ظالم غاصب في عهد حكمهم ، وكانت أعمالهم ونظراتهم لا تدلّ على تقرب من وطني ولا تفهّم لنفسية شعبي ، وكانت بلادي هي الوحيدة التي حرمت التعويضات الحققة من إيطاليا ، وهي أكثر البلدان استحقاقاً لتلك التعويضات فقد سجنت تحت سلطان جلادي إيطاليا اثنين وثلاثين عاماً ، حرمت فيها العلم والتقدم ، وهذا

- و -

عمل لا إنساني لا يمكن تقديره بما لا يرتفع الأرقام<sup>(١)</sup> بل وفنّيني نصف شعبي في الجهاد وفي المعتقلات والصحارى وعلى أعواد المشانق وفي المهاجر والمنافي الإيطالية ، وأذلّ قومي بكل قوانين العسف والظلم حتى ليكاد الإيطالي يمنّ على العربي بإبقائه في وطنه فكأن الدخيل أصيل ، والأصيل دخيل .

وأعلنت الثورة أنه لا مكان لهؤلاء في بلد ذاق مرّهم وهو الآن يعتز بقوميته ولقته العربية ، ويقرّر أنه لا تصلح أرضنا لغير من يعتز بالعروبة والإسلام ، وقررت أن أراضيهم ومزارعهم وأملأهم ملك للشعب الليبي الذي حرّم خير بلاده وبخلت عليه إيطاليا بتعويضاته .

وشهدتُ جموعهم ترحل بجرأ وجوّ خالية الوفاض كما وصلت ، وشهدتُ قومي يستعيدون أملاكهم ويدخلونها كما دخلوها أول مرة .

وتذكرت أن الله يمهّل ولا يمهّل ، واتجهت بذهني إلى الأحباب في أرض فلسطين الذين شرّدوا واغتصبت أملاكهم ، وقارنت الأمر وقاربت وتمنيت لفلسطين التي شابهتنا في النكبة أن تشابهنا في المصير ، ورجوت لها قيادة صالحة وفداء قوياً ووحدرة سليمة حتى أردد معهم قوله تعالى : ﴿ وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبرأوا ما علوا تنبيراً ﴾ .

( ٤ )

والآن تخرج (الطبعة الرابعة) والموقف العربي لا تشرق في جوانبه الابتسامات المأمولة ، فقد هدأت فكرة الحرب إلا قليلاً ، وتوقّف عملياً إطلاق النار في الجولان والسويس ، ودارت المعارك الرهيبة بين جيش الأردن والفدائيين ، وتلاحقت هذه المعارك حتى كلّ الفداء تجاه إسرائيل لأن الدفاع عن القواعد

(١) حين ألح وزير خارجية إيطاليا (ألدو مورو) على مقابلتي أثناء زيارتي لتركيا حدثت له موعداً في سفارتنا بلبنان ، وكان يرافقه وفد كبير ، ودارت محادثات طويلة تاريخية لم يجد الوزير ووفده جواباً لتساؤلاتي عن مقدار التعويض لمثل هذا العمل الذي لا يعرفه تاريخ حضارة الإنسان .

- ز -



والحياة إنما يوجد أمام جيش عربي في الأردن . وتلاحقت المعارك بين هدأة تلحق كل اتفاقية بعمان أو القاهرة ، وبين صراع يستهدف إبعادهم عن المدن والقرى أو إخراجهم من كل أرض الأردن ، ومهما كانت الأسباب التي تذرعت بها الأردن فإن إطلاق الرصاص العربي ليحصد رجال الفداء عمل لن ينساه التاريخ الحزين . ووقفت إسرائيل هائلة آمنة ، فإن السلاح العربي إما خافت نائم ، وإما موجه إلى قلوب أبنائه وصدورهم .

وبقي جانب مهم يُعطي الأمل ويهيئ النفوس لاستقباله ، ذلك هو نداء قومية المعركة الذي نادى به الثورة الليبية وأعلنه رئيسها مرات ومرات ، وبذل في سبيله جهوداً لا تكل ولا تمل ، وقومية المعركة بالطريقة التي يريدونها ثوار ليبيا هي أن تتجمع قدرات العرب في عطاء منظم واضح ، وأن تجند إمكاناتهم في نظام سليم مدروس ، وألا يكون شيء قبل المعركة ، ولا شيء أهم من المعركة . يقبل الجميع في إدراك كامل أن مصيرهم متعلق بذلك ، وأنهم بين أمرين : إما أمة تثبت وجودها فهي منصورة ، وإما أمة متخاذلة فهي مطحونة مقهورة ، ومن أولى من أمتنا بإدراك هذا ، وإن الشجرة السيئة التي نبشت صغيرة في حماية بريطانيا ثم ترعرعت ونمت في رعاية الأمريكان قد زحفت أشواكها وجذورها حتى أفسدت زرعنا ، وخربت أرضنا ، وأذت شعبنا ، وعطلت نمونا ونهضتنا ، فإن لم تقطع بأسلحة صادقة حداد طمست كل ما في جوارها وأبادته ، وخربت حصوننا وكياننا وهدمته ، وهي قاطعة بذلك خط الرجعة على التاريخ ، والويل لمن يطحنه العدو الغالب والحاقد الغاصب ، فإن الكسر حينئذ لا جبر له ولا التثام ، والتاريخ شاهد لا يغفل ولا يرحم ، وإن جفت حروفه حيناً فهي لا تبديد ، ويسجل للعمل الطيب ذكرى خالدة وتجربة تعاد ، ولن يرحم الذين يشذون عن الأمة ويتناسون أهوالها وآلامها .

﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ﴾ .

المؤلف

بنغازي

ربيع الأول ١٣٩١ هـ  
أيار ( مايو ) ١٩٧١ م

- ح -

## الطبعة الثانية

هذه الطبعة الثانية من كتاب « جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن » تخرج للقراء بعد وقت قليل من الطبعة الأولى .

ولقد كان لهذا الكتاب اهتمام خاص في انحاء الوطن العربي ، حتى انه نفذ من اسواقها خلال شهر واحد ، وكان المفروض ان نسرع بالطبعة الثانية لولا ان العزم كان منصرفاً الى اضافة ما جد من احداث في القضية الفلسطينية ، وما جد لدينا من وثائق هامة ، ولكن الحاح الاخوة في الوطن العربي لم يمكننا من انجاز كل ما عزمنا عليه حتى لا يطول وقت الانتظار .

لقد شرحنا في هذا الكتاب وثائقنا ومستندنا حقائق جهاد شعب فلسطين الذي لم يكن ولم يكن امام صعاب تنوء الكواهل بها ، وتضييق لها الامم الكبرى ، فوجد شعبنا العربي سجلاً احتفى به وتعمق في دراسته ، وكون عن شعب فلسطين المجاهد فكرة سليمة تتفق مع حاضره الجهادي العظيم وتختلف كل الاختلاف عن تلك الاختلافات والاكاذيب التي روجتها الصهيونية ، وتلقفها الاعداء والضعفاء ، فكانت حديث المجالس ، وذكر السامعين .

وهكذا كتب لي مئات الشباب من الوطن العربي ومن اقصى الشرق فرحين بهذا البحث ، وذاكرين عنه الاستفادة العميقة ، والدراسة التاريخية السليمة .

ووصل الكتاب الى اجزاء بعيدة في العالم ، فوجد فيه الاحرار بحثاً يوضح كيف كانت عيون بريطانيا عمياء عن رؤية اساليبها التي تهدف الى ابادته العرب واجلائهم واحلال الصهيونية محلهم ، وكيف كانت آذانها صماء عن كل احتجاج او تحرك او جهاد في سبيل منع الهجرة والاعتراف بالعرب اصحاب حق ووطن ، وكيف تنكرت لواجبات الضمير ورضخت للصهيونية منذ اول يوم ، وسنت من القوانين ورسمت من التشريعات ما لا يصدق عقل في حضارة القرن العشرين ، ولا في العصور المجهولة .

وهكذا كتب لنا هؤلاء الاحرار يستأذنون في ترجمته فوافقنا على ان يصدر قريباً باللغة التركية وباللغة الايطالية عسى ان يتذكر به الشعب



التركي ان العرب في فلسطين قاوموا المحتل البريطاني مقاومة الابطال  
خمسین عاما .

وعسى ان يتفهم الشعب الايطالي كيف كانت حقيقة قضية فلسطين،  
وان شعبها المكافح اجلي عنها ليحتلها شعب دخيل ، رعاه الاستعمار  
الصليبي متعاوناً مع الصهيونية الدولية .

وتقدم شباب من ابناء فلسطين يخططون لترجمته الى اللغة الانجليزية  
لايضاح واثبات حقائق مستندية بعد اليوم عن شعب بريطانيا واميركا ان  
يعلموا كيف حدثت ؟ ولماذا حدثت ؟ وهل حدثت حقا ؟...

وانه لمن الواجب تقديم العذر الى الاخوة في السعودية والخليج العربي  
عن تأخرنا في توزيع كميات كافية من الطبعة الاولى لديهم ، حيث ان شعبنا  
العربي في ليبيا كان قد استحوذ على الكمية الكبرى وهو يطالع قضية هي  
اشبه القضايا بما مر به من ادوار تاريخية خالدة ، وهي قضية العرب كلهم،  
بل الاسلام والاحرار في كل ربع وقطر .

لقد روجعت هذه الطبعة مرارا \* لتسلم من الاخطاء ، وليضاف اليها  
بعض الملحوظات والاحداث ، والامل ان يكون لها في عالمنا العربي والمسلم من  
الحظ ما للطبعة الاولى من شأن واهتمام . وهي حديث عن شعب بطل  
مجاهد شرفت به الامة العربية، وخيرها يعود الى الاخوة المجاهدين على  
تراب الارض المقدسة والتي تستنهض كل هممنا وامكاناتنا .

والله الموفق والمعين .

القاهرة في ٢٨/٦/١٩٦٩

المؤلف

\* شكرا للصديق الكريم الدكتور احمد الشرباصي الذي بذل جهدا كبيرا في دراسة  
الكتاب ولفت النظر الى ما سهى عنه من اخطاء .

- ي -

## تقديم الكتاب

بقلم الاستاذ الكبير الشيخ احمد حسن الباقوري

مدير جامعة الازهر

وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة

- ١ -

يقولون ان الانسان كلما تقدمت به سنة الى امام ، تراجعت به ذاكرته  
الى وراء ، حتى ليكاد يدرك الصور التي عاش فيها ابا صباه ، بله ابا  
شبابه .

ولست اراني في حاجة الى من يؤكد لي صحة هذه المقالة ، وذلك انني  
في هذه اللحظة التي اتناول فيها القلم ، محاولا كتابة مقدمة لرسالة الاستاذ  
صالح مسعود ، اكاد اتمثله جالسا امامي مع اخوانه طلاب الازهر ، قبل ربع  
قرن ، واكاد اتمثل قسما وجهه وهو يتلقى عني دروس الادب العربي التي  
كنت مكلفا اداؤها يومذاك .

واحب ان اشير الى انني لم اكن اتقيد في التدريس بالمنهج الازهري  
الخالص في علوم اللغة او علوم الدين ، بل كنت امزج السياسة بالعلم ،  
والحاضر بالتاريخ ، واتناول الدين بروح الدنيا ، والدنيا بروح الدين . كما  
كنت حين اجد وسيلة للحديث عن الاستعمار البريطاني ، احاول استقصاء  
سيئاته ، وتحليل العناصر الخطيرة الكامنة فيه وتحديد الغايات البعيدة  
التي يتغياها في بلاد العروبة والاسلام .

وليس يخفى ان الاستعمار البريطاني كان كالافعى ، تكون قاتلة السم  
على مقدار ما تكون ناعمة الملمس ، خلاف استعمار الآخرين من الاوروبيين  
فانهم في اكثر الاحيان ، كانوا اجلافا قسا ، يتناولون مقدسات الشعوب  
التي يستعمرونها تناول الحاقد المغيظ ، الذي لا يبالي يقظة الضغائن ،  
واضطرام الاحقاد ، وثورات الشعوب .

والذين يقرأون تاريخ استعمار فرنسا للجزائر ، وايطاليا لليبيا

- ك -



وبلجيكا للكنفو ، وهولندا لاندونيسيا ، وما الى ذلك ، يرون الف والدوران واللجأ الى سعة الحيلة واللياذ بالأساليب الخفية الماكرة في الاستعمار البريطاني ، على قدر ما يرون الخشونة والحلافة ومواجهة الصعاب والاستخفاف بعواطف الشعوب في ألوان الاستعمار الأخرى .

واني لأكاد أتمثل في هذه اللحظة وجه الطالب الليبي صالح مسعود ، يوم كنت أتحدث حديثي ذلك ، وهو بين يدي يستمع ، وقد ارتسمت على وجهه أمارات الدهشة مما أقول ، ولعل ذلك لأنه كان لا يرى استعماراً أقطع من الاستعمار الإيطالي الجاثم على وطنه ، ولأن خواطره كانت أسيرة خيالات مفزعة ، لا تجرى في وهم صورة أبشع منها ولا ادخل في باب الوحشية والأجرام .

ولعله من أجل ذلك كان يرى أستاذة مبالغا ، أو متحاملا ، أو غير مستوعب لما يجري على أيدي المستعمرين في شعوب كثيرة نكبت بالاستعمار وذلك هو ما جعل وجهه يتراءى يومذاك ، مغمورا بالشك وعدم الاقتناع بما يسمع من كلام وينساق الى أذنيه من حجج وبراهين .

## - ٢ -

أقول هذا وبين يدي الآن صورة مجملة للبحث الذي نال به الأستاذ صالح مسعود درجة الماجستير من جامعة الأزهر ، وهو البحث الذي رجونا أن يخرج في كتاب ينتفع به الظامئون الى المعرفة من شباب العروبة والاسلام .

تضمن هذا البحث الصور البطولية لجهاد شعب فلسطين ، كيف قاوم مؤامرة القوتين الكبيرتين الصليبية الاستعمارية ، والصهيونية العالمية ، وكيف ثبت ضد جور تلك القوانين الغريبة الشاذة ، وكيف بذل الأرواح على مر التاريخ ، فلا يكاد تهدأ له ثورة ، حتى يبدأ ثورة جديدة ، وكيف كان محتاجا لعون اخوانه - الذين منعهم عنه جور الاستعمار ومشاكله - فبقي وحيدا في معركته المرة عشرات السنين . وأحاط المؤلف بقضية فلسطين وجهاد شعبها ، احاطة يحتاجها شبابنا اليوم ليسيروا مع تاريخ قضية المصير العربي ، في جميع مراحلها ، وكلها دروس وعبر ، ومعالم جهاد ، وثبات وتضحية .

وقد تضمن هذا البحث أيضا الصورة الأفغانية للاستعمار البريطاني الذي كان يتجهم لها من قبل صالح مسعود الطالب ، ثم لم يلبث أن امتلأ بها ذهنه وجرى بها قلمه بعد أن درس وبحث بعقل ثاقب وبصر نافذ وتجربة مريرة وصبر طويل .

## - ل -

وأحب أن أعطي قارئ هذا الكتاب صورة مجملة له تتجلى فيها الآراء التي كنت أدين الله عليها منذ عرفت الطريق الى السياسة وأخذت نفسي بالنظر الفاقه فيها والدراسة المستوعبة لها .

وفي هذه الصورة المجملة ، تناول الأستاذ المؤلف الأحداث التاريخية ، منذ ثار الحسين بن علي على الدولة العثمانية ، من حيث كانت هذه الثورة هي التي فتحت الباب لدخول الانجليز فلسطين عام ١٩١٧ . وقد التزم الجانب العلمي في بحثه ، فدرس أسباب تلك الثورة ، وتصرفات جمعية الاتحاد والترقي ، التي اندست فيها جماعات من اليهود «الدونما» تعاونوا مع الانجليز على تحطيم الروابط في الدولة المسلمة بين العرب والأتراك وهم الأخوة الذين جمعتهم كلمة الاسلام ، وبذلوا دماءهم قرونا طويلة في سبيل الأمة الاسلامية .

وقد تحدث المؤلف عن فلسطين في ظل الانتداب البريطاني ، وأثبت أن اليهود سعوا جاهدين لجعل بريطانيا هي الدولة المنتدبة ، بعدما اتفقوا معها على صك الانتداب ، وضمنوه وعد بلفور ، ليصدر بعد ذلك على أنه صك دولي يقضي على فلسطين أن تصبح على وضع اقتصادي واجتماعي وسياسي ، تتحول به الى وطن قومي لليهود .

كذلك أوضح افغوانية السياسة البريطانية في تلك البقعة العزيزة على العرب جميعا مسلمين ومسيحيين ، وكيف أدار الانجليز سياسة هذه البقعة الظهور خلال ثلاثين عاما ، ادارة جعلتها أسيرة الأوضاع التي تضمنها صك الانتداب ، وخاضعة لقوانين خبيثة تستهدف سلب حق العرب في أرضهم واقتصادهم ، وتسليط الظلم عليهم ، وانزال أقسى العقوبات بهم .

## - ٣ -

والذين يدرسون القوانين التي سنتها بريطانيا لفلسطين ، يجد في ثنايا سطورها أن بريطانيا كانت تعتبر فلسطين بلدا بلا شعب ، وتستهدف ألا يكون شعبها الا من اليهود . فقد سنت قانون الهجرة اليهودية الذي فتحت بها أبواب فلسطين لجميع اليهود من جميع بقاع الدنيا وسائر انحاء الأرض .

ولقد بلغت افغوانية الاستعمار البريطاني ذروتها حين نصت في دستور فلسطين هذا النص العجيب :

« انه ما دام الشرع الاسلامي يبيع لسلطان تركيا حق التصرف في الأرض ، وما دام المندوب السامي البريطاني حل محل السلطان ، فان من حقه



أن يتصرف كيف شاء في أرض فلسطين .

وفي مادة أخرى من مواد الدستور تقول السياسة الافعوانية التي ليست جلد النمر بدلا من جلد الافعى :

« ان المندوب السامي البريطاني غير مكلف بتطبيق العدالة والمساواة ومبادئ التشريع العام في فلسطين ، الا حيث تسمح له الظروف » .

ويعرف العقل والمنطق والعاطفة وكل الناس أن الظروف لا يمكن ان تسمح بحال ، لأن اهل فلسطين يواصلون جهادهم ضد صك الانتداب وضد وعد بلفور ، وبذلك يكون المندوب السامي غير مكلف بتطبيق العدالة والمساواة في فلسطين .

وتمضي السياسة البريطانية مرتدية جلد النمر وناضية جلد الثعبان فتقول في أحد القوانين :

« ان اصحاب المشاريع من حقهم الاستيلاء على أي أرض تخص مشاريعهم اذا لم يوافق مالکها على بيعها ، ولصاحب المشروع ان يودع الثمن المحکمة بأمر المندوب السامي » .

ولا يجهل أحد أن اصحاب المشاريع كلهم من اليهود ، وأن ملاك الارض كلهم من العرب .

والعجيب أن هذه القوانين الافعوانية ، لا يكاد المرء يظن أنه رآها في كتاب عربي من قبل ، ولا أنه سمعها من زعيم عربي من قبل ، مع اليقين الذي لا يرقى اليه الشك ، أن كثرة كثيرة من زعماء العرب وقادتهم لم تكن تخفى عليه هذه القوانين .

#### - ٤ -

ان الذين يفضون أبصارهم عن جريمة الانجليز في اقامة دولة اسرائيل وتشريد العرب ، هم من ذوي النظر القصير أو الفكر التافه أو الوطنية المريضة . فان هذه الجريمة من الظهور والاستعلان بحيث لا تخفى على دارس يبتغي الطريق الى الحق ، ليقيم مشاعره وأحاسيسه على أسس صحيحة لا يرقى اليها الوهم ولا ينفع معها الخداع .

ولقد أذكر أنه حين انتهى الى مجلس لنا صغير ، نبأ استشهاد الشيخ عز الدين القسام في المعارك التي كانت ناشبة بين الانجليز واليهود من جانب والعرب من جانب آخر قبل الحرب العالمية الثانية ، لم يستطع أسن القوم في ذلك المجلس الصغير ، أن يحبس الدموع في عينيه ، فراح يبكي كما يبكي الطفل الصغير ، لا يبالي أن يستخفه المصاب ، مع كبر سنه

وعظم قدره وجلال وقاره .

ولما استطاع أن يكفكف دموعه وأن يهيمن على مشاعره ، قيل له : « فأين الصبر ، ولم تبكي عز الدين القسام ؟ وقد لحق بالرفيق الاعلى وصار الى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين » .

وعوض أن تكون هذه الكلمات وسيلة تهدئة ، كانت مسعرا يؤجج نيران حزنه ، فازداد نحيبه ارتفاعا ودمعه تدفقا ، حتى اذا سكت عنه الحزن ، ورقا الدمع ، وهذا الشيخ ، راح يقول في نفمة آسية أسيف : انني لا آسى على القسام رضي الله عنه ولا على الذين يلحقون به من خلفه . ولكني أبكي لأنني أرى ما لا ترون ، وأتصور ما لا تتصورون .

ان الاستعمار البريطاني فيما اعتقد كانت له غايتان كبيرتان في دنيا العروبة والاسلام . وقد ظفر بالغاية الاولى على أتم وجه يتهيأ به الظفر . وبقيت له الغاية الثانية . واذا كان تحقق غايته الاولى نذيرا بتحقيق غايته الثانية ، فان دولة اسرائيل لا بد أن تقوم ولو لفترة من الزمان ستكون عصابة جدا على العالم العربي جميعه .

فأما غاية الاستعمار الاولى فهي القضاء على الخلافة الاسلامية . قضاء تتفرق به كلمة المسلمين وتتشعب وحدثهم ويملا اليأس نفوسهم . حتى تخلو للنفوذ البريطاني دنيا العروبة والاسلام .

لقد سلك الاستعمار البريطاني في تقويض الخلافة الاسلامية وقتل ثقة المسلمين بعضهم في بعض ، سبيلا يعيا بسلوكها الشياطين . وساسة بريطانيا أهدى من القطا بسبل الشحناء والبغضاء ، وفصم العرى ، وتقطيع اواصر الود ، التي احکمتها الاخوة بين الاخوة على مر الزمن وتعاقب العصور .

فقد لجأت السياسة البريطانية الى التشنيع بما كانت تسميه الستار الحديدي المضروب على تركيا ، سلطانا وحكومة وشعبا ، وراحت تزعم للشعوب في مختلف أنحاء العالم ، أن هذا اللون من العزلة ، هو تغطية للاستبداد القاتل الذي يعانيه الشعب التركي من حكامه المستبدين ، وما زالت تلح في هذا المعنى ، وتنشره على الناس في كل مكان حتى اصطنعت داخل تركيا أنصارا من حزب الاتحاد والترقي لتجريح الخلافة والخليفة ، واصطنعت في خارج تركيا ومن أبناء الامة العربية والامة الاسلامية الانصار الذين يأخذون بوجهة النظر الاستعمارية ، فيتكبرون أشد التكبر للخليفة ويعلنون على الناس في كل مكان سيئاته في صورتها الحقيقية أو في صورة مضاعفة آلاف المرات .



ولقد اشترك في هذه السياسة كثير من زعماء الفكر ، بعضهم بنية سيئة غاية السوء وبعضهم بنية حسنة ممن يقول فيهم رجال علم مصطلح الحديث : مغلون أو بتعبير أدق وارق ، تدركهم غفلة الصالحين . وأظن أن التاريخ لا يعرف دولة كدولة الأتراك بذلت في سبيل الاسلام من دمها ومالها وزهرات شبابها ما بذلت ، ثم لقيت من الجحود ما لقيت .

انني في هذه الكلمات لا أحاول تبرئة تركيا العثمانية من المظالم البشعة التي كانت تقتربها ضد رعاياها في كل مكان . ولا أحاول أن أنفي عنها العنجهانية العنصرية التي كانت تعتنقها وتؤمن بها وتسلمها على العرب بوجه خاص ، ولكنني أريد أن أقول أن ها هنا خدائع صليبية استعمارية تأثر بها العرب كما تأثر بها الأتراك العثمانيون ، ولو قد كان هؤلاء هؤلاء ان ينتبهوا لتربص السياسة الفريية بهم وبالدولة التي كانوا ينتسبون اليها ، لما وقع ما وقع من الفتن والاضطرابات والهزائم التي لم تأكل نارها تركيا العثمانية وحدها بل اكلت معها بلاد العرب وبلاد المسلمين في كل مكان . ولا شك أن كمال أتاتورك نفسه كان خديعة استعمارية كبرى وأن انتصار جيشه ذلك الانتصار الرائع الذي صورته الشاعر أحمد شوقي وهو يقول مخاطباً مصطفى كمال :

الله اكبر كم في الفتح من عجب يا خالد الترك جدد خالد العرب  
أقول أن هذا الانتصار الذي أحرزه كمال أتاتورك كان انتصاراً هياً الاسلام أسبابه حيث استطاع أتاتورك أن يعيى بروح الدين نفوس الشعب التركي فخاض معه معركة حاسمة وفاصلة ، ولكن أوروبا التي قبلت هذا النصر استطاعت أن تسخر مصطفى كمال بعد ذلك فيما تريد من ازالة الخلافة والقضاء على الدولة وانتهاج مخلفاتها من شعوب وأقطار وكفور .

ولست أشك في أن الحسين بن علي رحمه الله كان رجلاً تلقه غفلة الصالحين ، وهو يطعن الجيش التركي من الخلف ، ويدع أولاده يظهرون الجيش الصليبي الاستعماري الزاحف على الأتراك ، والمتربص بهم في كل مكان .

وان مما يأكل القلب حسرة وأسى ، أن نرى الأمير فيصل الذي ولي ملك العراق بعد ذلك يعمل في جيش اللورد اللنبي قائد جيش الحلفاء في منطقة الشرق الاوسط .

ووجه الغرابة أن الشريف حسين والمحيطين به والمنتصرين لدعوته والقائمين معه في تأسيس الدول العربية شقاً لعصا الطاعة على الخلافة

التركية ، كان من أكبر ما يتذرعون به الى السخط على دولة الخلافة أن جمعية الاتحاد والترقي كانت تتنكر للاسلام وتظاهر الملحدين وتعتنق فكرة الحادية واضحة المعالم بين الشعب التركي ، وأن خروج الشريف ومن لف لفه ودعا بدعوته إنما خرجوا على الخلافة من أجل ذلك .

أقول ان من الغرابة بمكان مكين أن يكون احترام الاسلام والغيرة عليه سبباً من أسباب خروج الشريف على الدولة ثم يكون هو ومن معه مناصرين للسياسة الاستعمارية الصليبية وأن يكون أحد اولاده ضابطاً في جيش تملو رأسه راية الصليب الاستعماري .

وايا ما كان الامر فإن من حق هذه النظرات أن تجد لها من يبسطها بسطاً واضحاً ومن يتناولها بمعرفة مستوعبة وعلم غزير وفقه للاساليب الاستعمارية عظيم ، حيث يستبين غاية الاستبانة أن السياسة البريطانية الافغانية هي قائد هذه الحملات المظفرة وعذيقها المرجب وجذيلها المحكك على حد التعبير العربي القديم .

- ٥ -

ذلك حديث عن احدي الفاتحين الكبيرتين للاستعمار البريطاني ، فأما الغاية الاخرى : فهي ان تقوم لليهود دولة في منطقة الشرق الاوسط وان قيام دولة لليهود في منطقة الشرق الاوسط لأمر تنشده السياسة البريطانية كما تنشده المطامع اليهودية على قدر سواء ، فقد كان البريطانيون يرون قناة السويس دائماً سبيل حياة دولتهم العظيمة ، فقد كانت طريقاً الى الهند وأستراليا ونيوزيلندا ، وكانوا يرون ان مصر اذا قويت واتحدت مع اخواتها العربيات اتحاداً قائماً على اساس قوي وسليم ، فإن من الممكن أن يكون لها موقف زعامي عظيم تهدد به نفوذ بريطانيا وحياة السياسة الاستعمارية البريطانية في كل مكان .

ومن أجل ذلك اعانت وحرضت وظهرت قيام دولة اسرائيل في منطقة الشرق الاوسط لتكون ملجأ لها ومفرجاً تفزع اليه لتقلم اظافر القوة المصرية حين تصبح خطراً على الاستعمار والمستعمرين .

وقد بدا هذا التفكير واضحاً في حرب ١٩٥٦ ، حين اجتمعت انجلترا وفرنسا واسرائيل على حرب الشعوب العربية ممثلة في مصر التي وقفت - في تلك الفترة - موقف الزعيم المفدى المقدور .

ومن أجل ذلك أراني دائماً شديد الحذر في النظر الى بريطانيا وتصرفاتها ، فانها دولة تمتاز بالصبر العظيم ، ذككم الصبر الذي يصفه الشاعر العربي بأنه أعظم نفوذاً من العقل كذلك حيث يقول :



لا يبلغ العقل والدنيا تساس به ما يبلغ الصبر في الاحداث والنوب

ثم ذلكم الصبر الذي حاول المصريون أن يتخذوا حوله ملحة بارعة في الحرب العالمية الثانية ، حين اجتمع روزفلت وستالين وتشرشل في مؤتمر يالتا . فقد روى ظريف مصري عن المناقشات التي دارت في هذا الاجتماع الثلاثي فقال : حين انتظم عقد الاجتماع قال ستالين ان هذه المعركة بيننا وبين النازية والفاشية تحتاج الى اصول ثلاثة ، الى العَدَد ، والى العَدَد ، والى الصبر .

ثم راح الثلاثة يتوزعون هذه الاصول ، فقال ستالين : ان على روسيا العَدَد لأن فيها خلقا كثيرة ، وقال روزفلت : ان على امريكا العَدَد فان فيها صناعة راقية وغنا طائلا . وقال تشرشل : فأما ما على بريطانيا فهو الصبر .  
انني حين اسوق هذه المضحكة لا اكاد اجد للضحك سبيلا الى نفسي لأن الحقيقة ان بريطانيا شديدة الصبر على المكاره ، بعيدة الهمة في تحقيق الآمال ، ولهذا لا ينبغي لنا أن نفتر بمواقفها السطحية منا ، فان في سياستها السم القاتل .

- ٦ -

وهكذا يظهر ان صالح مسعود حين كان طالبا قادما من بلد ضاق بظلام الاستعمار وظلمه واكتوى بسياسة الابداء والطينة ، وشهد تضحيات شعبه الكبيرة ، كان ينظر الى السياسة الايطالية على انها اشد اللوان السياسية عنفا ، واخلفها بغيظ الناس وحقهم ، وأولاها بالمقاومة والدفاع ، غير انه حين مضى به الزمن الى امام ، درس ما لم يكن درس ، ورأى ما لم يكن رأى ، فصور للناس في رسالته هذه السياسة البريطانية الاستعمارية ، صورة قبيحة اشد القبح ، مؤلة اشد الايلام . وهو بهذا يكون قد التقى مع استاذة ولو بعد زمن طويل .

أما بعد : فانه ليسعدني ابلغ السعادة ، ويكسبني اعظم الفخر ان اقدم الى العالم العربي والعالم الاسلامي والعالم الانساني هذا الجهد العلمي المخلص الذي بذله في هذه الرسالة لله ثم للحقيقة والتاريخ ، تلميذي المخلص وابني البار الاستاذ صالح مسعود ، حفظه الله وأدام عليه نعمة التوفيق .

احمد حسن الباقوري

القاهرة ٥ ربيع الاول ١٣٨٨  
١ حزيران ١٩٦٨

- ٢ -

## جَهَادُ الْفِلَسْطِينِيِّينَ

بقلم  
اللواء الركن محمود شيت خطاب  
عضو المجمع العلمي بفداد  
وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة  
وعضو اللجنة الجمعية بالرباط

- ١ -

كنت ضابط ركن جحفل اللواء الرابع الذي كان في مدينة ( جنين ) الحبيبة خلال حرب عام ١٩٤٨ ، فمكنت فيها سنة كاملة .

واتاحت لي الظروف أن أتولى منصب الحاكم العسكري لمدينة ( جنين ) بالإضافة الى منصب في جحفل اللواء ، فأصبح اتصالي مباشرا بأهل المدينة وبالنازحين اليها من منطقة ( حيفا ) من الفلسطينيين المدنيين .

وكنت أعرف قسما من الفلسطينيين قبل عام ١٩٤٨ ، فقد كنت على اتصال وثيق بالمجاهدين الفلسطينيين منذ عام ١٩٣٨ حين كان الشهيدان البطلان : العقيد الركن صلاح الدين الصباغ والعقيد الركن محمد فهمي سعيد ، يمدان الثورة الفلسطينية بالسلاح والعتاد سرا ، وكنت يومها اسلم السلاح والعتاد لهؤلاء المجاهدين الفلسطينيين في منطقة ( أبي غريب ) من ضواحي بفداد .

ولما اشتبك الجيش العراقي بالقوات البريطانية في ثورة عام ١٩٤١ ، كان المجاهدون الفلسطينيون في عون الجيش العراقي في حربه ضد بريطانيا . هؤلاء المجاهدون من جماعة مفتي فلسطين الاكبر ، وقد كنت على اتصال وثيق بهم كانت معلوماتي الأولية عن الفلسطينيين انهم رجال ابطال مقاتلون من الدرجة المتميزة ، يتلقون الأوامر بتفهم عجيب ، وينفذونها عن طيبة

- ٣ -



خاطر ، ويقدمون حين يحجم الناس ، ويستبسلون في المارك ، ويستقتلون في الحرب .

وكننت بالإضافة الى اتصالي الشخصي المباشر بقسم من الفلسطينيين، اقرا كل كتاب يصدر عن القضية الفلسطينية ، واتابع بشوق غامر اخبار ثورة فلسطين وأخبار الثوار الأبطال ، واستوعب كل ما يقع بيدي عن فلسطين ، وأصفي بانتباه شديد الى كل ما يمت بصلة قريبة او بعيدة بفلسطين وبرجالها وبتاريخها وبجغرافيتها ، واقتني كل خريطة عسكرية او مدينة لفلسطين .

وقبيل دخول الجيوش العربية فلسطين ، كنت اتابع جهاد رجالها في الأرض المقدسة ، واتلقف أبناء المجاهدين الفلسطينيين باعجاب شديد .

- ٢ -

لم أكن غريبا على أهل فلسطين عندما قدمتها مع الجيش العراقي الذي استقر في المثلث العربي : نابلس - طولكرم - جنين .

ولكنني بعد مكوثي فيها سنة كاملة ، ازددت علما بها ، فربطتني بأهلها - خاصة أهل جنين الكرام - روابط من الصداقة والثقة المتبادلة والحب الصادق ، تلك الروابط التي لا تزدد مع الأيام الا قوة ومتانة ، فكنت اتصل بهم بالرسائل ، وأرعى أولادهم من التلاميذ والطلاب الذين يدرسون في مدارس العراق ومعاهده وجامعاته .

كانت رسائلهم تردني تباعا كل يوم تقريبا قبل نكبة ٥ حزيران ( يونيو ) ١٩٦٧ ، وكان أكثرهم يحل ضيفا في داري ببغداد كلما زاروا العراق ، وكان أولادهم ولا يزالون أولادي ، يزوروني وأزورهم ، ويعرضون علي مشاكلهم كلما حز بهم أمر من الأمور ، فاذا غابوا عني فترة من الزمن فتشت عنهم في مدارسهم ومعاهدهم وكنياتهم أسألهم عن دروسهم ، واتسقط أخبار أهليهم ، فأفرح لفرحهم وأحزن لحزنهم ، وما أكثر أحزانهم وأقل أفراحهم اليوم !

ذكرت ذلك ، لأنني أريد أن أنبه الى ما طوقني به وطوق به أهل ( جنين ) الأكارم كل العراقيين من فضل لا ينسى أبدا .

كان أهل ( جنين ) يرعون العراقيين رعاية لا توصف : بيوتهم مفتوحة للجميع ، يتلقونهم فيها بالأحضان ، ويفقدون عليهم من كرمهم وأريحياتهم ، فكانوا بحق أهلهم بعد أهلهم ، وقد انسوهم بما بذلوه من كرم ولطف أنهم

- ٤ -

بعيدون عن وطنهم ، وأشعروهم بأنهم بين ذويهم الأقربين .  
اذكر انني كنت اتناول الطعام في منازلهم أكثر مما كنت اتناوله في مطعم الضباط ، وقد تدخلوا حتى في أبسط شؤوني الادارية ، وكننت اذا مرضت عادوني ، واذا غبت عنهم سألوا عني .  
لقد كانوا أهلي ، وكننت ( جنين ) بلدي ، ولا أزال حتى اليوم أتحسر على تلك الأيام التي قضيتها بين أهلي أهل جنين وفي بلدي ( جنين ) .  
وما يقال عني ، يقال عن العراقيين الآخرين .

- ٣ -

تلك هي لمحات من انسانية أهل فلسطين ممثلة بأهل ( جنين ) .  
فماذا عن جهادهم الذي لمسته فيهم يوم كنت مع الجيش العراقي في الأرض المقدسة ؟

منذ حلت أرض فلسطين ، كانت أفواج الفلسطينيين تتقاطر على المقرات العسكرية تطالب بالسلاح وبالتدريب العسكري وبالقضاء مهمات عسكرية على عاتقها للنهوض بها .

وكانت اسرائيل قد احتلت ( جنين ) في شهر حزيران ( يونيو ) ١٩٤٨ ، فاستطاع الجيش العراقي طرد الصهاينة من ( جنين ) بمعاونة المتطوعين الفلسطينيين .

وقد جرت معارك طاحنة بين جيش اسرائيل والجيش العراقي لاستعادة قرية ( عارة ) وقرية ( عرعة ) وقرية ( صندلة ) من قرى ( جنين ) ، وكان للمتطوعين الفلسطينيين اثر ايجابي في انتصار الجيش العراقي على القوات الاسرائيلية ، واستعادة هذه القرى وغيرها الى العرب .

وكان للمتطوعين الفلسطينيين جهاد مشكور في منطقة ( طولكرم ) وفي المناطق الفلسطينية الأخرى .

وكان لجماعة الجهاد المقدس جهاد عظيم في منطقة القدس ، اذا نساه الناس ، فلن ينساه رب الناس .

وكان للشهيد عبد القادر الحسيني عليه رضوان الله جهاد عظيم في منطقة القدس ، حتى قدم حياته الغالية في معركة ( القسطل ) .

وقد نظم الجيش العراقي في مناطقه أربعة أفواج من الفلسطينيين

- ٥ -



أطلق عليهم اسم : المناضلين الفلسطينيين ، وكان لهؤلاء جهاد مشرف في قطاع جنين وقطاع طولكرم .

وقد انخرط في فوج صلاح الدين وفوج خالد بن الوليد وفوج الكرمل وفوج سعد رجال دين وأساتذة ووجهاء وطلاب جامعات وفلاحون وعمال وكسبة ، فاتقنوا التدريب العسكري وفنون القتال في فترة قصيرة ، ووصلوا الى درجة عالية من الضبط والنظام والتدريب والتنظيم .

لقد استطاعوا ان يتقنوا التدريب العسكري بمدة لا تتجاوز ثلاثة اشهر ، وكان منهج تدريبهم يطبق على غيرهم من العرب خلال سنتين .

انني أسجل هذا التفوق في التدريب العسكري للفلسطينيين فخورا بهم معتزاً بمقدرتهم العقلية وقابلياتهم العسكرية .

ولست أنسى يوم جرى استعراض عسكري في ( جنين ) للمناضلين الفلسطينيين ، وكان ذلك في شهر ايلول ( سبتمبر ) من عام ١٩٤٨ ، ثم أعقبه تمرين تعبوي بالعتاد الحي في منطقة معسكر ( حلبة ) ، فقد كان ذلك الاستعراض باهرا حقاً ، وكان التمرين متميزاً ناجحاً الى أبعد الحدود .

وأشهد ان الفلسطينيين كانوا جنوداً بكل ما في الجندية من معاني الضبط والنظام ، والتضحية والفداء ، وكانوا ملء العين قدراً وجلالاً ، وبطولة وشجاعة .

لقد كانوا رجالاً في مزاياهم الانسانية والعسكرية على حد سواء .

#### - ٤ -

وفرضت الهدنتان الاولى والثانية على العرب عام ١٩٤٨ ، وجمدت الجيوش العربية في الارض المقدسة ، وانقلبت خطط تلك الجيوش من خطط هجومية هدفها انقاذ الارض المحتلة من فلسطين واستعادتها الى اصحابها العرب ، الى خطط دفاعية هدفها المحافظة على ما تبقى من أرض فلسطين .

ومنذ ذلك الوقت حتى اليوم ، لم تتبدل خطط الجيوش العربية ، فهي خطط دفاعية مستكنة (١) لا تفيد صديقا ولا تضر عدوا !!!

(١) الدفاع المستكن : هو الدفاع الجامد الذي يكتفي بتلقي الضربات ثم لا يفعل شيئاً غير صد تلك الضربات اذا استطاع الى ذلك سبيلاً ، دون ان يهاجم عدوه ليكيل له الصاع صاعين . ولن يؤدي الدفاع المستكن الى النصر مطلقاً .

وتقبل الفلسطينيون الهدنتين على مضض ، وكانوا يقولون علناً : « اننا كبدا يهوداً خسائر فادحة ، حين كنا وحدنا في الميدان قبل دخول الجيوش العربية أرض فلسطين ، وكان يهود يخشوننا فهم دائماً مدافعون ونحن دائماً مهاجمون ، فكيف يصح ان نتقبل خطة الدفاع والجيوش العربية معنا ؟؟ » .

وذهبت صرخاتهم المتهبة هباءً ، وتبددت احتجاجاتهم في الهواء ... وكان الاتجاه الرسمي للجيوش العربية حينذاك هو قبول الهدنة ، ولكن قسماً من ضباط الجيوش العربية تجاوبوا مع الفلسطينيين ، فكانوا يرخون لهم العنان ، ويشجعون تسلّهم الى داخل أرض العدو ، ويمدونهم بالسلاح والعتاد سرا ، ويفضون النظر عن حركاتهم الهجومية ، وينظمون معهم الخطط الهجومية لضرب العدو في عقر داره .

في منطقة الجيش العراقي في ( جنين ) مثلاً ، كان للفلسطينيين نشاط كبير في ضرب قوات العدو كل يوم تقريباً . كانوا يتغلغلون في الأرض المحتلة ، فيقاتلون دوريات العدو ، ويقطعون خطوط مواصلاته ، ويقضون مضاجعه ، ويعودون غالباً بالفنائم من السلاح والعتاد والمواشي والاسرى .

وقد استطاع احد المجاهدين الفلسطينيين (٢) قبيل عودة الجيش العراقي من فلسطين الى العراق وعودة الجيوش العربية الاخرى الى اوطانها في منتصف عام ١٩٤٩ ، استطاع هذا المجاهد وحده ان يعود بأكثر من مائتي رأس من الغنم مع راعيها اليهودي من الارض المحتلة الى فلسطين العربية في منطقة ( جنين ) ، وكان هذا المجاهد البطل يردد كل يوم : « اتركونا وحدنا لنقاتل الصهاينة ، فحرام ان نراهم يسرحون ويمرحون دون رقيب او حسيب » .

ولست أنسى ما حييت منظر المجاهدين الفلسطينيين ، وهم يطاردون فلول الصهاينة المنسحبين عن مدينة ( جنين ) البطلة وعن قراها العربية . لقد كانوا يسابقون رجال الجيش العراقي في مطاردة شديدة جداً للعدو ، ويومها كان هتافهم يتعالى :  
سيف الدين الحاج أمين  
نحن بالله منصورين \*

(٢) هو المجاهد مصطفى الاسمر عليه الف تحية وسلام .  
\* كان هذا هزج باللغة العامية الفلسطينية الدارجة لذلك فهو لا يستقيم مع نحو اللغة العربية الفصحى ، فليذكر ذلك القراء الكرام عند قراءة هذا البيت ويقصد المجاهدون بكلمة : الحاج أمين ، سماحة مفتي فلسطين الاكبر المجاهد البطل الاستاذ الجليل الشيخ الحاج امين الحسيني .



وكان في نية قطعات ( جنين ) العسكرية من الجيش العراقي ، القيام بهجوم ليلي باتجاه ( العفولة ) في شهر تشرين الاول ( اكتوبر ) ١٩٤٨ ، وكان العراقيون يريدون خمسمائة مناضل فلسطيني للتعاون مع الجيش العراقي المهاجم .

وما كاد الفلسطينيون يتسامعون بخطة الهجوم العراقية ، الا وتوافدوا على مقر جحفل اللواء الرابع بأعداد ضخمة بلغت خلال ساعتين فقط ما لا يقل عن ثلاثة آلاف مقاتل ، كان من بينهم شيوخ يزيد عمرهم على السبعين سنة ، وكان من بينهم شباب لم يبلغوا الحلم ، وكان بينهم سيدات وأنسات (٣) .

ولقد بكيت يومها لمنظر الشيوخ والشباب والنساء وهم يصرون اصرارا عنيدا على الجهاد في الخطوط الامامية .  
لقد كان منظرهم لا ينسى ابدا .

- ٥ -

ومضت الجيوش العربية عائدة الى بلادها ، ونجحت اسرائيل في توطيد اركان دولتها ، واصبحت القضية الفلسطينية كقميص عثمان بالنسبة للدول العربية ، يذكرونها دائما ، ولا يكادون يفعلون من اجلها شيئا .

ومضى ( اللاجئون ) الفلسطينيون ينتظرون يوم العودة الى ديارهم التي اخرجوا منها بغير حق ، فكانوا كل يوم يسمعون ( تصريحا ) رنانا ، وكانوا كل ساعة يقرأون خبرا يبشرهم بالعودة .

وكان قائلهم يقول : اما آن لهذا الليل من آخر ؟! فيجيبه من هناك اخ له عربي بقوله : لقد أوشك الصبح ان ينجلي ...!

ومضت السنون ثقيلة الخطى مليئة بالاحداث الجسام ، حتى جاء حزيران ( يونيو ) من عام ١٩٦٧ ، فلم يتحقق أملهم بالعودة ، بل تضاعف عددهم ، فكانوا مليوناً قبل تلك الحرب فاصبحوا مليونين بعدها !!!  
لقد حصل اللاجئون على شيء واحد فقط خلال عشرين عاما كلها وعود واماني ...

ذلك هو انهم كانوا يسمون : ( اللاجئون ) ، فأطلق عليهم اسم ( العائدون ) (٤) ...

تبدل اسمهم فقط خلال تلك الفترة الطويلة من عمر الزمن ، ولم يتبدل من امرهم شيء غير الاسم ... أصبحوا رجالا بلا غد .

(٣) لم تنفذ الخطة في اللحظة الاخيرة لتدخل السياسة في القضايا العسكرية .

(٤) اللاجئون والعائدون هنا مبنيتان على الحكاية .

- ٨ -

- ٦ -

وكان الدرس الاول الذي تعلمه الفلسطينيون من هزيمة حزيران ( يونيو ) ١٩٦٧ ، انهم يجب ان يعتمدوا على انفسهم اولا وقبل كل شيء لتحرير وطنهم السليب .

لقد نفضوا عن انفسهم غبار ( التخدير ) الذي عاشوا في بجرانه عشرين عاما ، فحزموا امرهم وأزمعوا على أن يشتبوا للعالم كله انهم اولاد الفاتحين الاولين وابناء خالد بن الوليد وسعد بن ابي وقاص والمثنى بن حارثة الشيباني وصلاح الدين .

وكان طريقهم الى اثبات رجولتهم هي الدماء والعرق والدموع .

لقد نجحت منظمة ( فتح ) في ان تخرج القضية الفلسطينية من ركودها الزمني ، وتهز ركائزها بعد ان اجهزت عليها نكبات ثلاث .

وفي هذا المجال ، ظفرت ( فتح ) باعادة القضية الفلسطينية الى مكانها الطبيعي ، حيث وضعتها بين ايدي اصحابها وبنيتها وهم شعب فلسطين .

واستطاعت ( فتح ) خلق قيادة فلسطينية اصيلة قادرة ، تقود ركب الجهاد بالدماء لا بالأقوال .

لقد أعادت ( فتح ) للفلسطينيين احساسهم بوجودهم وثقتهم بانفسهم ، وهيأت لهم الشروط والظروف اللازمة لتنظيم صفوفهم ، بعد ان طعنت كرامتهم ووصموا بالتقصير والتعاس في الدفاع عن فلسطين .

وشقت ( فتح ) وحدها الطريق امام الفلسطينيين ليحرروا من الوصاية والتبعية والاتكال ، فأعادت اليهم ارادتهم بعد ان كادوا ان يضيعوا في التيه ويفلبوا على امرهم في ارض اخوانهم العرب .

وعاد الناس في العالم كله يقولون : ان شعب فلسطين هنا ...

وما دامت منظمة ( فتح ) قد نجحت في جهادها ، فلا بد من ان يلتف اهل فلسطين حولها ، وأن يجتمعوا تحت رايتها صفا واحدا يعملون بقيادة واحدة لتحقيق هدف واحد .

وليس عربيا من يضع العراقي في طريق شعب فلسطين .

وليس مسلما من لا يويد شعب فلسطين في جهاده المقدس .

- ٩ -



وليس عربيا مسلما من لا يزج بكل طاقاته المادية والمعنوية لتأييد شعب فلسطين .

ان نجاح ثورة اهل فلسطين ، هو نجاح للعرب من المحيط الى الخليج وللمسلمين من المحيط الى المحيط .

واسرائيل لا تفهم غير لغة واحدة ، هي لغة القوة وحدها .

وكل ادعاء يخالف ذلك هراء .

ان الله سبحانه وتعالى يفار على المسجد الأقصى ان ترتفع عليه اعلام اسرائيل .

وفار على مسرى النبي صلى الله عليه وسلم ان تنتهك حرمانه .

والله سيأخذ بأيدي العرب والمسلمين لانتقاذ الأرض المقدسة من أيدي الصهاينة المجرمين .

وقد بدا النور بالعمل الفدائي لمنظمة ( فتح ) ، والله يأبى الا ان يتم نوره على الرغم من اسرائيل ومن وراء اسرائيل .

ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله .

\*\*\*

حين كتبت مقدمة الطبعة الاولى من هذا الكتاب ، كنت اعرف الاستاذ صالح مسعود من خلال كتابه ، فكان انطباعي عنه انه كاتب حرص على انصاف شعب فلسطين وقدره حق قدره ، وهو شعب حري بالانصاف والتقدير .

ولكن مقامي في القاهرة رئيسا للجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيش العربية ، اتاح لي فرصة التعرف اليه انسانا بعد ان عرفته كاتبا ، فوجدت فيه العقيدة الراسخة والعمل الدائب من اجل ثورة فلسطين ، وابناء فلسطين داخل الارض المقدسة وخارجها .

وجدته في كتابه باحثا منصفاً ، يتحرى الحقائق ويفحص اليها ، فاذا استخلصها أبرزها بأسلوب منهجي رصين ، فيه اشراق الكلمات ونور الحقائق .

ووجدته انسانا رقيقا ، يقول الحق فيما يكتب ويقول ، ويدافع عن الحق في كل مكان فهو رجل حق ، ومثله اليوم قليل .

تحية تقدير للاستاذ صالح مسعود على جهوده المشكورة الموقفة في كتابه القيم « جهاد شعب فلسطين » .

وتحية تقدير للمجاهد صالح مسعود على جهاده دفاعا عن فلسطين واهل فلسطين بالمال والنفس .

وآمل ان يقرأ هذا الكتاب كل عربي وكل مسلم ، ليطمئن الى ان شعب فلسطين ادى واجبه امس ، ويؤدي واجبه اليوم ، وسيؤدي واجبه غدا .

وآمل ان يقتدي كل عربي وكل مسلم بجهاد الاستاذ صالح مسعود ماديا ومعنويا ، وبذلك وحده يمكن انتقاذ فلسطين وشعب فلسطين .

والله اكبر كبيرا ، والحمد لله كثيرا ، وصلى الله على سيدي ومولاي رسول الله - سيد القادات وقائد السادات ، رجل الرجال وبطل الابطال ، امام المجاهدين الصادقين وخاتم الانبياء والمرسلين ، وعلى آله واصحابه الطيبين الطاهرين .

محمود شيت خطاب

القاهرة في ١٦ ربيع الاول ١٣٨٩

١ حزيران ( يونيو ) ١٩٦٩



## مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

### والصلاة والسلام على محمد رسول الله وعلى آله وأصحابه المجاهدين

وبعد، فقد كنت طالبا يافعا عام ١٩٣٨ م حين كانت المظاهرات تخرج من الأزهر الشريف هاتفة «فلسطين للعرب لا لليهود»، وكان منبر الأزهر يهتز تحت نبرات الخطباء ينددون بطفيان الانجليز ومظالمهم، ويشيدون بشعب فلسطين العربية، ولم أكن أستطيع الاحاطة بما يقولون، فسني لم تتجاوز الثلاثة عشر عاما. ولكنني تابعت في شقف واهتمام أخبار فلسطين.

اني لقادم من ليبيا حيث يجثم آنذاك الاستعمار الإيطالي، مباعدا بين الشعب العربي فيها وسائر شعوب الأمة العربية، وقاطعا كل صلة له بأوطان الأمة العربية وتطور قضاياها، ومثقلا روح المقاومة في الشعب الليبي، وحائلا بينه وبين الثقافة والتاريخ والاحاطة، الا أن تكون ثقافة إيطالية، وتاريخا رومانيا، واحاطة فاشستية، ولهذا كان تتبعي لما أسمع من الخطباء تتبع الظلم المتلف، ذلك الذي يريد أن يفهم وأن يعلم وأن يحيط.

كنت قادما من بلد أرغم على القاء سلاحه آنذاك منذ ست سنوات، فسمعت أن شعبا عربيا ما زال يكافح حاملا سلاحه في وجه الأعداء. كان قلبي يفيض كرها لإيطاليا التي احتلت بلدي، وقتلت قومي، وشردت جموعهم، ونصبت المشاق في كل قرية ومنتجع، فسمعت أن الانجليز يهدمون القرى العربية في فلسطين، ويفرضون الغرامات الجماعية. ويرفعون على أعواد المشاق كل من حمل سلاحا أو شبه سلاح.

كنت أحمل بين جنبي حقدا مريرا للإيطاليين الذين اغتصبوا أراضي قومي، وجاءوا بجموعهم تسكنها وتحتلها، ورموا بأصحاب الأرض في الصحارى، فسمعت أن الانجليز فتحوا أبواب فلسطين لليهود وحاربوا العرب في حياتهم وأراضيهم وحقوقهم.

كنت أدرك الألم الذي يحيط بالجموع العديدة من شعب ليبيا ومجاهديها المشردة في ريف مصر وصعيداها، وقرى فلسطين وسوريا والعراق، والذين وصلوا الى كل مكان في الوجود هربا من جور الاستعمار وطفياه، والذين حاربوا إيطاليا ثم أرغمتهم الظروف على هجر الوطن، واستبدلوا التشرد والفقر والجوع والفاقة بحياة العزة والسيادة. وكنت لذلك أشعر بالمرارة القوية لما يفعله الانجليز بفلسطين، حين

اتخيل أنهم يهدفون الى خلق هجرة فلسطينية تشبه هجرة قومي من ليبيا أمام جحافل الاستعمار ومظالمه.

كنت أفخر بأبطالنا الذين ذهبوا في ليبيا الى الله على أعواد المشاق، أو في لهيب المعارك، وأعيد في زهو وافتخار أسماء عيسى الكواك، وسعدون السويطي، وعمر المختار، ويوسف بو رحيل، والفضيل بو عمر، وعوض العبار، ومئات الآلاف غيرهم في ليبيا الواسعة، فسمعت آنذاك أن أبطالاً آخرين قادوا الثورة في حيفا العربية والقدس والخليل ويافا وجبال نابلس، من أمثال عز الدين القسام، وفرحان السعدي، وموسى كاظم الحسيني وعبد الرحيم الحاج محمد وغيرهم... وغيرهم، فازددت بقومي العرب كلهم فخرا، وأخذني الاعتزاز بأنهم في كل مكان يدفعون الأرواح في سبيل الوطن ويدافعون بصدق من أجل المقدسات.

ومضت سنوات، وتتابعت أحداث، حتى حل عام النكبة ١٩٤٨ م، وكانت أحوال وطني الصغير قد تغيرت، وجلت إيطاليا منهزمة في الحرب العالمية الثانية، وأصبح لليبيا قضية وجيش وعلم، وأمكن الشعب العربي فيها أن يرفع صوته في وجه الانجليز، اننا لن نستبدل سيذا بسيد، وان شهداءنا انما ذهبوا في سبيل الحرية لا في سبيل الوصاية ولا من أجل الاحتلال. وبدأت جموع قومي النازحة تعود الى الوطن، فاتحة أو راجعة، وأمكن قومي أن يبعثوا برعيل من ابنائهم المتطوعين والفدائيين الذين رافقوا البطل الشهيد أحمد عبد العزيز، والذين اسهموا بقسط من واجب الدم فوق اديم الأرض المقدسة.

ووسط الاعتزاز والفخر تنادى العرب لطرد عصابات صهيون، وفي



بعض المتطوعين الليبيين

في فلسطين ١٩٤٨

\*\*\*

غمرة من ثقة بالنصر تبدل كل شيء وتهاوى عديد من المفاهيم. أصبح لليهود دولة تجلس في الأمم المتحدة، متخذة مقعدها فوق أشلاء الشعب العربي في فلسطين، وواضعة ثقلها فوق كرامة كل عربي بل كل مسلم في الوجود، وأصبح شعب فلسطين موزعا وشريدا في أكبر نكبة



حلت بالعرب في قلب وطنهم منذ أن وحّدهم محمد الرسول العظيم ، ومنذ أن ساروا في دروب العالم يقدمون رسالة الخير ، ويبنون الحضارة الصادقة في وثوق وتصميم .

وقد عاصرت نكبة شعبنا في فلسطين وأنا أمر بأدوار مهمة في حياتي ، عاصرتها وأنا رئيس تحرير « برقة الجديدة » في بنغازي ، وذقت عنت الانجليز وهم يتحكمون ويقاومون ما نسطر لتجميع الرأي العام العربي لصالح القضية الفلسطينية .

وعاصرتها والانجليز يمنعون مجلتي ( الفجر الليبي ) من شرح نكبتنا في فلسطين ودورهم فيها .

وعاصرتها وأنا اشتراك مع شبابنا من جماعة عمر المختار ورابطة الشباب الاسلامية ، في تعبئة ومعاونة المتطوعين من وطني ومن شمال افريقيا وارسالهم لاداء الواجب المقدس .

ثم عاصرتها حين كنت عضو المعارضة بمجلس النواب البرقاوي خلال سنتي ١٩٥٠ / ١٩٥١ م وبدأت محاولات استعمارية فاشلة لتصدير شيء من بلدي الى اسرائيل ، وكان صراعا قويا مثل الحرية والقوة والعروبة الاصيل . ثم عاصرتها صاحباً لجريدة « الدفاع » التي اتخذتها منبرا حيا لكل قلم شريف وكل قضية مصرية وكانت فلسطين رأس كل موضوع .

وعاصرتها وكيلا لمجلس النواب الليبي خلال سنوات ١٩٥٥/٥٤/٥٣ ، ثم اضطررت لمفادرة وطني الحبيب ، حافظا له الولاء ، معتزا بتاريخه ، وفخورا به (✳).

وها أنا ذا أعيش وقد ذقت طعم التشرد واللجوء ، فأحسست عن تجربة ومع الفارق بالآلام ذلك الشعب الكريم الذي أبعد عن وطنه ، وأخرج من دياره ومزارعه ، والذي اضطر مكرها أن يعيش في مختلف البقاع عيش اللاجئين الكسير ، وأن يبقى في أكواخ المشردين يرنو بأبصاره الى أرضه ومقدساته ، وينتظر اليوم الحق .

أن أوجه الشبه بين قضايا الجهاد العربي كبيرة ، ولكن الشبه بين مراحل الصراع الذي خاضه الشعب الفلسطيني العربي في فلسطين ومراحل الصراع الذي خاضه الشعب الليبي العربي في وطني ليبيا كان أكثر انطباقا واشد التصاقا .

فلم يكن اسم ليبيا زمن الاستعمار الا « الساحل الرابع »

(✳) الى الاخوة الذين كاتبوني من طرابلس يستغربون اهتمامي بجهاد شعب فلسطين ، وأنا الذي أوديت من مقدسي منحرف ، رافق جيوش الاحتلال واحتفظ بهوانه ، تطوع بدسيسة كاذبة حرمتني من وطني ، وبقي هو يرفل في نعيمه قرير البال والضمير ! أقول ان انحراف فرد أو قلة لا يجعلني أنسى واجبي تجاه فلسطين وشعبها العظيم ، وأحيل الاخوة الى بحثي في صفحة (٥٠١) .

لايطاليا . ويسمى الاعداء فلسطين اليوم « اسرائيل » . ولم يكن فوق ترابنا الطاهر في ليبيا من علم الا العلم الايطالي ، وفوق فلسطين الآن علم الصهيونية .

ولم تكن لفتنا الرسمية في ربوع الوطن الغالي الالفة روما ، ويتخذ الاعداء اللغة العبرية الآن هي الرسمية في فلسطين .

ولقد استحوذ المستعمر على الارض والمدن والقرى في ليبيا ، وهذا ما تفعله اسرائيل منذ قيامها .

ولقد شهدت بلادنا معسكرات الاعتقال الجماعية حتى كان الموت اليومي قتلا بالجملة ، وكان القبر الواحد معدا للمئات ، ولا تفعل اسرائيل وان اختلف الاسلوب اقل من هذا .

وانتشر الليبيون تحت كل سماء مهاجرين ، حتى جددوا ثورتهم وكتب لهم النصر ، ويعيد شعب فلسطين ذات التاريخ المشرق الشجاع ، وعلى اكتافهم يسطر المجد ، وعلى الامة العربية كلها مسئولية استمرار الثورة الفلسطينية او عرقله جهادها .



المؤلف يتحدث  
الى المتطوعين الليبيين  
خارج مدينة بنغازي  
وهم في طريقهم  
الى فلسطين ١٩٤٨

ولكم تجادلت مع سطحيين لم يلموا بالقضية الفلسطينية ، ولم يشعروا يوما بأيام الجفاء في حياتهم الرخية ، ولم يتعبوا انفسهم ليدركوا كم جاهد شعب فلسطين العربي وكم كابد ، وكم ضحى في صراع مرير دام ، وكان محور الجدل دائما دور عرب فلسطين في قضية بلادهم ، قضية المصير العربي ، وعمق تلك الغربة التي أطلقها الصهيونيون والانجليز فلاقت آذاننا صاغية لدى مجموعة كبيرة من العرب ، وأصبحت حديثا مرجعا لدى شبابهم الذين لم يطلعوا ، ولدى سطحييهم الذين لم يلموا ، ولم يدركوا ان هذه



الانقار والنكبات التي يعانها العالم العربي اليوم، إنما بدأت بشعب فلسطين، فقاومها وبذل في سبيلها الكثير، واستمرت ثوراته وامتد جهده وجهاده مع تعاقب السنين حتى يوم الناس هذا .

ان اولئك السطحين ليقولون : كان على شعب فلسطين ان يثور ايام الانتداب ثورة مدوية كما حدث في الجزائر ، وان يتمسك بأرضه فلا تتسرب لاعدائه ، وان يعزف عن الهجرة فلا تفادر جموعه بلادها ، وان يعزف عن السلبية كلما سنحت فرص التفاهم مع الانجليز .

ولعل اولئك القائلين بهذا يقصدون ان شعب فلسطين كان سيحول دون قيام دولة الصهاينة لو سلك ما يرددون ، وان هذا الخطر الذي يهدد العرب كلهم اليوم ، ما كان ليوحد حينئذ .

وبحثي هذا يستهدف تصوير الواقع الصحيح الذي مرت به منذ اول يوم تلك المؤامرة الخطيرة بأثقالها واجراءاتها ومظالمها ، وتعاون دولي ضد شعب صغير اعزل ، استطاع ان يصمد ثلاثين عاما ، ثم اخذ يواصل نضاله ويقدم ضحاياه مع مر السنين حتى الآن ، لا يأبه بدول مفروضة ، ولا تشغله ارواحه التي يقدمها على مذبح الحرية في سبيل وطنه ، وفي سبيل عالم العرب والاسلام .

ترى هل يحيط الشباب العربي بتلك المراحل المريعة الدامية التي مرت بشعب فلسطين خلال انتداب الانجليز الكريه ؟  
ترى هل مضت السنون الثلاثون هادئة منذ احتل الانجليز فلسطين، حتى سنة ١٩٤٨ حين هياؤا كل سبب لاتتصار اليهود والفتك بالعرب ؟

ترى هل كان سهلا على عرب فلسطين ان يفادروا بلادهم ؟  
ترى هل يتصور شعبنا العربي اليوم مقدار الثقل والالم والكفاح الذي تحمّله شعب فلسطين وحده ، خلال مجابهته للصهيونية العالمية والصليبية الاستعمارية ، وخلال جلاده مع الانجليز الذين اعلنوا انهم سوف يهيئون البلاد المقدسة لتكون وطنا قوميا لليهود ؟ فسئوا لذلك القوانين الجائرة الفرية يرهقون بها العرب وينمون اليهود ويسلطون جيوشهم ومحاكمهم لتنفيذ تلك القوانين .

ترى هل يدرك قومي العرب في مختلف ديارهم الفرق الزمني ، والتطوري ، بين السنوات التي صاحبت جهاد الشعب الفلسطيني والسنوات التي صاحبت نضال الجزائر المظفر ؟

ترى هل يعلم شعبنا العربي الموزع بين المحيط والخليج ، ان دولة الصهاينة إنما تقام الآن فوق ارض لم تتمكن برغم برنامج الانجليز وطفياهم ان تملك فيها مستنديا اكثر من ٨ ٪ ، وأن الباقي هو ملك لشعب فلسطين

العربي حتى هذا التاريخ (١) ؟

واخيرا هل آن الوقت الذي يدرك معه الشعب العربي في كل مكان ان عرب فلسطين كافحوا ثلاثين عاما ، لا في سبيل فلسطين وحدها ، وانما كانوا يمثلون الخط الامامي لكل الامة العربية ومقدساتها ، وان الخطر اليوم ليهدد كل العرب ، ويهدد ايضا اكثر دولهم أهمية ومكانة ، بل انه ليهدد موطن الهجرة المحمدية الطاهر ، ومثواه المقدس الكريم ؟

هذه هي الاسئلة التي اعرض اجابتها في هذا الكتاب ، غير متهم بالدفاع عن نفسي ، فانني أحد أفراد الشعب العربي في ليبيا ، وعلاقتي بفلسطين والفلسطينيين ، هي الشعور بالمسئولية الحتمية على كل عربي ، والادراك كامل الادراك لوحدة القضية العربية ، وحدة نصرها ، ووحدة فجرها ، ووحدة اقطارها ، ووحدة اخطارها .

لقد قدم الفلسطينيون كثيرا من التضحيات في معارك غير متكافئة ضد قوى عالمية ، وهم اليوم لا يكادون ينصفون لدى الشعب العربي ، الذي يتحمل وزر النكبة والذي عليه ان يحسن دراسة تلك الصفحات الخالدة ، وان يدرك ان تضحيات العرب الفلسطينيين ونكباتهم فتحت للامة العربية مجال العمل والثورة واصلاح دولها اصلاحا طور كل شيء في وجودها (٢) .

هذا هو مجمل للخطوط الرئيسية في هذا البحث (٣) ، وأرجو ان اكون قد وفقت فيه ، وما توفيقي الا بالله ، عليه توكلت واليه انيب .

## المؤلف

(١) انما نمي التملك الشرعي المستندي ، لا الاحتلال في عامي ١٩٤٨ او ١٩٦٧ وكان هذا الكتاب معدا للمناقشة بجامعة الأزهر للدرجة الماجستير منذ اوائل عام ١٩٦٥ .

(٢) اكرر ان هذا سطر قبل النكبة الاخيرة ( ١٩٦٧ ) بثلاث سنين وقد اثبتت الاحداث التي نحيها الان ان التاريخ يكرر نفسه ونحن نرى الشعب الفلسطيني يواصل ثورته على الاحتلال الصهيوني ويقدم شهادته الابطال كل يوم ، شجاعا في لقائه ، كما حدث طوال سنوات الانتداب البريطاني التي نفضلها هنا .

(٣) قدم هذا البحث لجامعة الأزهر ، وقد اشرف على الرسالة الاستاذ الدكتور عبدالعزيز الشناوي رئيس قسم التاريخ الحديث والمعاصر بالجامعة وبذل لي جهدا كريما طيبا وتكونت لجنة المناقشة منه ومن الدكتور ابراهيم شموط استاذ التاريخ الاسلامي بجامعة الأزهر ومن الاستاذ الدكتور محمد رفعت ومقام استاذ التاريخ بأداب القاهرة ومعيد كلية آداب جامعة القاهرة فرع الخرطوم . واني لاسجل شكري لمناقشتهم التاريخية الخالدة ولقراراتهم بدرجة الامتياز الذي اعتبره اقرارا علميا واشادة جامعية بجهاد شعب فلسطين العظيم .



## عهد... وعهد

● ان الله عز وجل سيفتح عليكم الشام من بعدي ، من العريش الى الفرات ، رجالهم ونساؤهم وآباؤهم مرابطون الى يوم القيامة ، فمن اختار منكم ساحلا من سواحل الشام او بيت المقدس فهو في جهاد الى يوم القيامة » .

الرسول الكريم ( صلى الله عليه وسلم ) يخاطب الصحابي  
معاذا رضي الله عنه

● « هذا ما اعطى عبدالله عمر امير المؤمنين اهل ايلياء من الامان ، اعطاهم امانا لانفسهم واموالهم وكنائسهم وصلبانهم... لا تسكن كنائسهم ولا تهدم... ولا يكرهون على دينهم ولا يسكن ايلياء معهم أحد من اليهود » .

من عهد سيدنا عمر لمسيحي القدس ٦٣٦ م

● « اياكم والعمل بالمعاصي ، فان العمل بالمعاصي كفر بالنعم ، وقلما كفر قوم بما انعم الله عليهم ثم لم يفرغوا الى التوبة الا سلبوا عزهم ، وسلبط الله عليهم عدوهم »

من خطاب الخليفة عمر في جموع المسلمين المنتهزين  
بالقدس عام ٦٣٦ م

● وتذكرت طارق بن زياد وابن سرح وعقبة الخالدينا  
وتراى رويفع وزهير في ليوث الانصار والتابعينا  
شيعوا الشمس للغروب الى فا س وراحوا للهند مستقبلينا  
اورثونا مجدا تليدا اضعنا ه وزدنا عليه عارا وشينا  
الشاعر الليبي رفيق المهدي

## مدخل الى البحث

العرب اسبق وجودا وكيانا في فلسطين من اليهود :

هل لليهود علاقة بفلسطين ؟ هل لهم واقع تاريخي يسمح لهم بأن يطالبوا بها ؟ هل يحفظ لهم التاريخ ذكرى تسبق ذكرى العرب وتاريخهم ، او تستطيع ان تزحزح من واقع العرب في فلسطين ؟

لنبدا الموضوع من حيث واصله الانجليز عام ١٩١٧ .

فلسطين جزء صغير من بلاد الشام ( سوريا - لبنان - الاردن - فلسطين ) ولقد عرفت دائما على تعاقب التاريخ بأنها القسم الجنوبي من تلك البلاد ، هكذا سماها المؤرخون العرب ، وهكذا تحدث عنها هيرودوت المؤرخ اليوناني منذ قديم الزمان ، وبنفس هذا الاسم وردت لدى مؤرخي الحروب الصليبية .

وفلسطين هذه التي هي الجزء الجنوبي من بلاد الشام تخضع لسلطان الخلافة العثمانية ويسكنها حوالي ٧٥٠ ألف ، منهم نحو ٥٥ ألف يهودي بواقع لا يتجاوز ٧ ٪ من مجموع السكان العرب .

وكان التاريخ حتى هذا العهد يدرس في حواضر العالم بالشرق وبالغرب أن بيت المقدس الاسلامي وكنيسة القيامة المسيحية ومولد المسيح عليه السلام ، توجد كلها في جنوبي الشام ( فلسطين ) ، وأن هذا القسم مر بأدوار تاريخية واضحة تبدأ منذ أن عرف بأرض كنعان عام ٢٥٠٠ ق . م وأن هؤلاء الكنعانيين العرب استمروا سادة البلاد ، يحكمونها ويمعمرونها الفا وخمسمائة سنة حتى سميت باسمهم حين تحدثت تورااة اليهود عن عبورهم نهر الأردن واستقرارهم جنوبي القدس بأرض كنعان .

كان أول من عبر ذلك النهر النبي ابراهيم مع مجموعة من قومه ، واشترى حفيده اسرائيل مزرعة فتملكها كما يملك أي فلاح لاجيء غريب ، تملكها في ظل الكنعانيين العرب وكون مع قومه ما يشبه جالية اجنبية صغيرة



في عرف التعبير الحديث (٤) .

وعندما تاه موسى باليهود أربعين عاما في صحراء سيناء سنة ١٢٩٠ ق . م حسب ألف حساب لعرب كنعان ، فلم يغزهم بجموعه التائهة ، وبقي بعيدا يحذر دخولها ، لقد كان وضعه يختلف عن وضع ابراهيم فلقد كان موسى مع قومه الهاربين من سلطان فرعون مجموعة كبيرة من الناس ، لا يمكن أن تدخل أرضا معمورة دون أن تلفت الأنظار ، وتضيق بها الأماكن ولهذا حين صمم خليفته يوشع بن نون على دخول فلسطين عام ١١٨٦ ق . م قاد البدو الرعاة الأجلاف من اليهود الذين توالدوا في الصحراء أثناء التيه ، واحتل بهم فجأة مدينة أريحا العربية الكنعانية ، وهدمها وأجرى السيف في سكانها ، فأسال دماءها أنهارا ، وأهلك أغلب من فيها ، تماما كما فعل اللاحقون من اليهود في قرية دير ياسين بعد ذلك بثلاثة آلاف عام في ابريل ( نيسان ) سنة ١٩٤٨ م ، وهكذا بدأت فكرة التجمع اليهودي منذ ذلك التاريخ مبنية على الأشلاء والدماء وهياكل العظام .

وبرغم هذه الغزوة الشريرة المفاجئة التي استحل فيها القتل ، وأبيحت فيها الدماء فإن الكنعانيين ظلوا محتفظين بأجزاء عديدة من فلسطين ، حتى أن داود لم يؤسس مملكة اسرائيل الا عام ١٠٠٠ ق . م ، بعد أن سقطت القدس (أورشليم) التي كانت تمثل آخر حصون الكنعانيين (٥) ، ولكن هذه المملكة لم تدم الا خمسة وستين عاما ، ثم انهارت بموت سليمان عام ٩٣٥ ق . م ، فانقسمت الى مملكتين مليئتين بالفتن والدسائس والقتال : مملكة اسرائيل ، ومملكة يهودا ، وقد ضمت الأخيرة أورشليم (القدس) والمناطق المجاورة لها ، ولم تفض الا سنوات حتى هاجمها ملك مصر شيشق الليبي فدمرها وأخذ كنوز سليمان من الهيكل عام ٩٢٠ ق . م ، وتحطمت المملكتان تحت أقدام الآشوريين والكلدانيين ، حتى دكت مملكة يهودا نهائيا عام ٥٨٤ ق . م حين حرق نبوخذ ناصر هيكل سليمان ، ثم ساق الجند والملك أسرى الى بابل ، فمادت فلسطين من جديد عربية واستقبلت هجرات العرب من الجزيرة ومن سوريا والعراق (٦) .

(٤) شفيق الرشيدات : فلسطين تاريخا وميرة ومصيرا ، بيروت ١٩٦١ ص ١٦ - ٢١  
(٥) الفريق محمد فوزي وعمر رشدي : الصهيونية وربيتها اسرائيل ، مطبعة مصر ١٩٦٤ - ص ١٠ .

(٦) ورد اسم هذا الملك في التواريخ العربية مختلف النطق ، منها نبوخذ نصر ويختصر ويؤخذ ناصر ، وقد اخترنا الأخير لتناسبه مع الاسماء التي ارتبط بها التاريخ بتطهير القدس كالناصر صلاح الدين والناصر قلاوون ...

ولكن ما فعله اليهود سنة ١٩١٧ م وقبلها من تملق للانجليز سبق أن فعلوه في عام ٥٣٩ ق . م حين تملقوا ملك الفرس « كورش » ، ولا ريب أنهم كانوا له جواسيس وطابورا خامسا ، حتى استطاع أن ينتصر على بابل ، فكافأ اليهود بإباحة العودة الى فلسطين .

ومع هذا لم يقيموا دولة بالمعنى المعروف حتى في غابر الأزمان ، ولكنهم عاشوا يجتروا ذكريات الهيكل وتاريخ دولتهم البائدين .

وتناولت أيدي الاسكندر المقدوني مقدرات فلسطين حين طرد منها الفرس ، واستمرت مسكونة بشعب عربي كنعاني وقلة يهودية حتى هاجمتها العرب الأنباط عام ٩٠ ميلادية ، والحقوها بالبتراء العاصمة ذات التاريخ والآثار المعروفة .

ومنذ أوائل القرن الأول الميلادي خضعت منطقة البحر المتوسط لحكم الرومان ، وكانت فلسطين ضمن هذه المنطقة ، ولكن التاريخ لا يغفل أن اليهود حاولوا عام ٧٠ م وعام ١٣٥ م القيام بحركة ثورية ، فحطمهم الرومان الذين تلقوا مساعدة قوية من العرب ، فاحتلوا القدس وقتلوا معظم السكان اليهود ، فهرب عديد منهم الى سوريا ومصر وليبيا وشمال افريقيا وغيرها من البلاد ، وبنيت مدينة جديدة في المكان الذي كان يشغله اليهود وحرم على اليهود سكانها ، ويعتبر المؤرخون أن هذا كان آخر عهد اليهود بأرض فلسطين ولم يعد لهم فيها أي نشاط سياسي أو قومي .

وعلى الرغم من أن العرب ظلوا سكان فلسطين وأكبر مجتمعاتها فإن السلطان السياسي ظل بيد الرومان ، ولهذا اشتعلت ثورة تفقدها ملكة تدمر العربية ( الزباء ) ضد الرومان عام ٢٦٧ م وانزلت بالقائد الروماني «هرقليان» هزيمة ساحقة ، واحتلت فلسطين وحكمتها أعواما حتى تمكن الرومان من استرداد سلطانهم فيها (٧) .

## ٢ - فلسطين في ظل الاسلام :

كان العرب في فلسطين قبل اليهود ، وهم العرب الكنعانيون الذين تسمت البلاد باسمهم حتى في كتب اليهود المقدسة ، وظل العرب مستقرين فيها حتى في أثناء الفترات التي حكم فيها اليهود بقاعا صغيرة ، فلما انهارت ممالكهم توافد العرب من كل صوب الى أجزائها التي لهم فيها تراث وتاريخ

(٧) اكرم زعير : القضية الفلسطينية ، دار المعارف بمصر ١٩٥٥ ، ص ٢٢ .



وذكرى ، وهكذا حدث حين تحطمت اليهودية تحت اقدام الاشوريين والبابليين ، وتحت سياط نبوخذ ناصر وهكذا حدث ايضا حين ضمها العرب الانباط الى عاصمتهم البتراء ، ثم حين تقدمت فرق من هؤلاء الانباط تعزز الجيش الروماني الذي دانت له كل منطقة البحر المتوسط في القرن الاول الميلادي ، وكان العرب في فلسطين حين هدم هارديان الروماني هيكل اليهود وحرّم عليهم سكّنى المدينة التي اسسها فوق انقاض اورشليم المهذمة وعلمهم الهجرة والهرب الى كل موطن مجاور وبعيد .

وفي عام ٦٣٦ م بعد هجرة النبي محمد العظيم ( صلى الله عليه وسلم ) بخمسة عشر عاما رفع علم العرب المسلمين على القدس ، وانهارت امامهم حصون الرومان وقواهم ، وهناك خرجت القدس كلها تستقبل الفتح الاسلامي ، وتمد يدها بالسلام والامان الى خليفة المسلمين عمر بن الخطاب ، مكبرة روح العرب في فتحهم ، وبعدهم عن اراقة الدماء ، وحفاظهم على الصغير والشيخ الكبير ، وعزوفهم عن ارهاق احد او اذلاله ، الا حاملا لسلاح ، محارباً ومقاتلاً .

وطلب البطريرك صفرونيوس ممثل المسيحية في فلسطين ان يحرر شروطا مع الخليفة عمر ، ولم تكن شروطا تتسم بشيء من الامتياز للمسيحيين ، او اعفاء من ضرائب ، او اقامة حكم ذاتي يرأسه المسيحيون وبقايا الرومان ، او ابعاد المسلمين من سكّنى القدس واقامة مساجدهم فيها ، فقد ادرك القوم سمو الروح التي كانت تشع في اولئك الابطال الاوائل ذوي المثل والقيم .

ولكنهم كانوا يخشون تسامح المسلمين وتساهلهم ونظرتهم باحترام الى الاديان الاخرى ، فأحتاطوا لانفسهم واشتروا ان يستمر منع اليهود من سكّنى القدس ، وأن يستمر تحريمها عليهم ، وذلك كله مخافة ان يعودوا فيقيموا فيها معابد وهيكل ، ثم يتسربوا الى الحياة العامة ليشيعوا فيها المكر ، والحق والخديعة ، كجزء من مراسم معتقداتهم ، فيفسد بذلك المجتمع الذي يريده كل من الاسلام والمسيحية حينئذ على السواء كريما معافى .

وهكذا اعطى الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه العهد التالي :

### بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما اعطى عبدالله عمر أمير المؤمنين أهل ايلياء من الأمان . أعطاهم أمانا

لانفسهم واموالهم وكنائسهم وصلبانهم ، سقيمها وبريئها وسائر ملتها ، انه لا تسكن كنائسهم ، ولا تهدم ولا ينقص منها ولا من حيزها ، ولا من صلبهم ، ولا من شيء من اموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ، ولا يضار احد منهم ، ولا يسكن ايلياء معهم احد من اليهود .

وعلى أهل ايلياء ان يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن ، وعليهم ان يخرجوا منها الروم واللصوص ، فمن خرج منهم فهو آمن على نفسه وماله ، حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن اقام منهم ( فهو ) آمن ، وعليه مثل ما على أهل ايلياء من الجزية ، ومن أحب من أهل ايلياء ان يسير بنفسه وماله مع الروم ، ويخلي بيعهم وصلبهم ، فانهم آمنون على انفسهم وعلى بيعهم وعلى صلبهم حتى يبلغوا مأمنهم .

ومن كان فيها ( ايلياء ) من أهل الأرض ، فمن شاء منهم فقد ، وعليه مثل ما على أهل ايلياء من الجزية ، ومن شاء سار مع الروم ، ومن رجع الى أهله فانه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصدوا حصادهم .

وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين اذا أعطوا الذي عليهم من الجزية .

كتب وحضر سنة خمس عشرة ، وشهد على ذلك خالد بن الوليد ، عبد الرحمن بن عوف ، عمرو بن العاص ، معاوية بن أبي سفيان (٨) . ولا يزال هذا العهد الذي اعطي ارضاء واکراما لسكان القدس محفوظا لادى سدة كنيسة القيامة فيها ، ويعتبر اقدم ميثاق دولي رفيع يدعو الى احترام الشعائر الدينية وصيانة الأماكن المقدسة (٩) .

وحين استقر الخليفة عمر في القدس القى خطبته المشهورة في جموع المسلمين الفاتحين والتي يليق بنا ان نستعيدّها هنا :

« يا أهل الاسلام ، ان الله تعالى قد صدقكم الوعد ، ونصركم على الأعداء ، وأورثكم البلاد ، ومكن لكم في الأرض ، فلا يكن جزاؤه منكم الا الشكر ، وإياكم والعمل بالمعاصي ، فان العمل بالمعاصي كفر بالنعم ، وقلم كفر قوم بما أنعم الله عليهم ثم لم يفرغوا الى التوبة الا سلبوا عزهم ، وسلط

(٨) عارف المارف : الفصل في تاريخ القدس ، مطبعة المارف - القدس - ١٩٦١ ص ٩١

(٩) دكتور احمد طربين : محاضرات في تاريخ قضية فلسطين ، مطبوعات معهد الدراسات العربية المالية التابع لجامعة الدول العربية القاهرة - ١٩٥٨ ص ٤



الله عليهم عدوهم (١٠) .

وحين أتم الخليفة خطابه أذن بلال أول أذانه منذ وفاة الرسول الكريم، وسمع الصحابة صوته فتذكروا رسولهم وقائدهم فبكوا ، وكان أكثرهم تائرا القائد المنتصر أبو عبيدة بن الجراح .

واستمرت فلسطين عربية خالصة منذ ذلك اليوم ، وتحطمت على صخرتها جيوش الصليبية حين استغلت ضعف العرب وتوزعهم ، واقامت لنفسها دولا حطمتها البطل الخالد صلاح الدين الأيوبي في يومه المشهور عند بطاح حطين عام ١١٨٧ م ، ثم جلوا نهائيا أمام جيوش مصر في معارك عديدة .

وكان هذا الجزء الثمين من بلاد الشام مهوى كثير من أبطال العرب المسلمين ، فقد ذكر أن آلافا من صحابة رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) وتابعيهم قد دفنوا بها ، ومن أشهرهم القائد أبو عبيدة بن الجراح ، ومعاذ ابن جبل ، والفضل بن العباس ، وسلمة بن هشام المخزومي وعبدالله بن الزبير ، وطليب بن عمر القرشي ، وأبان بن سعيد العاص ، وتميم بن الحارث السهمي وقيس بن الحارث السهمي ، والحارث بن عتيك ، وهرا ب بن الأسود المخزومي ، وهشام بن العاص بن وائل ، ونعيم ابن عبدالله بن النحام ، وشداد بن أوس الصحابي عالم بيت المقدس ، وعبادة بن الصامت الأنصاري أحد نقباء الأنصار ، وغيرهم كثيرون .

وتوجد أعداد كبيرة من شهداء المسلمين وأرتها الأرض هناك في معارك اليرموك واجنادين ، ثم في الحروب الصليبية ، وحروب التتار (١١) .

وفي ظل الاسلام انتعشت الحضارة البناءة في فلسطين ، وانتجت كثيرا من العلماء والمفكرين والقادة والشعراء ، وإذا كان هذا ليس موضوع بحثنا فان ذكر القليل منهم يسهم في إعطاء صورة عن هذا البلد المهم السليب ، لقد أنتجت أرض فلسطين القائد الاسلامي الكبير موسى بن نصير فاتح الأندلس ، وكان من أبناء الخليل ، وإلى فلسطين ينسب الأديب العالم وزير الدولة للبطل صلاح الدين « القاضي الفاضل » المولود بعسقلان ، ومنها خليل ابن أبيك الصفدي الأديب والمؤرخ الاسلامي الشهير صاحب المؤلفات المديدة ، وإلى قيسارية بفلسطين ينسب رئيس فن الكتابة وشيخ الدواوين وسيد الانشاء عبد الحميد الكاتب وزير الخليفة الأموي مروان بن

(١٠) الفصل في تاريخ القدس ، ص ١٠١ .

(١١) الهيئة العربية العليا - المقدسات الاسلامية بفلسطين ١٩٦٢ - ص ١٥ وما بعدها

محمد ، وإلى فلسطين ينسب العالم الكيميائي العربي خالد بن يزيد الأموي أول من نقل علوم الافرنج الى اللغة العربية في دولة الاسلام ، وينسب اليها أيضا القاضي عماد الدين أحمد الكركي الذي تولى منصب قاضي قضاة الديار المصرية ، والملك شرف الدين الأيوبي المجاهد ضد جيوش الصليبيين والعالم الذي كانوا يطلقون عليه اسم المأمون الثاني ، واليه ينسب أيضا الشيخ مرعي الكرمي الذي تولى الافتاء في الديار المصرية بالأزهر الشريف ، والشيخ محمد بن مصطفى اللبدي الفقيه العالم الذي تولى الافتاء في حاضرة الشام دمشق .

وإلى فلسطين ينسب مئات بل آلاف الأدباء والشعراء والعظماء والقواد وانك لو اجدتهم في كتب التاريخ منتهية اسمائهم بالصفدي والطبري وما مائل ذلك ، بل ان الامام الشافعي صاحب المذهب كان فلسطينيا وكان يردد في شوق الى بلاده بيتين شهيرين :

واني لمشتاق الى أرض غزة      وان خاني بعد التمزق كتماني  
سقى الله أرضا لو ظفرت بتربها      كحلت به من شدة الشوق أجفاني

وفي تاريخنا المعاصر منذ الحرب العالمية الاولى الى اليوم ، ما فتئت فلسطين تمد الوطن العربي برجال الفكر والأدب ، ونجد انه من حق هذا الوطن الخالد أن نسجل بعض أسماء أولئك الرجال ممن وصلت اليها اسمائهم على سبيل المثال لا الحصر ، فقد عرف من شعرائها ابراهيم الدباغ ، وعبد الرحيم محمود ومحمود سليم الحوت ، وهارون هاشم رشيد وعلي هاشم رشيد ، وابراهيم طوقان ، وفدوى طوقان ومحمد العدناني ، ويوسف الخطيب ، ومعين بسيسو ، ولكل واحد من هؤلاء ديوان أو أكثر من ديوان . وعرف منهم في مجال القصة والأدب والبحث والمقالة والترجمة : اسعاف النشاشيبي ، و خليل السكاكيني وأحمد سامح الخالدي ، واسحاق موسى الحسيني ، وكرم زعيتر ، ومحمود سيف الدين الإيراني ، ونجاتي صدقي ، وسميرة عزام ، ومحمد عادل زعيتر ، و خليل بيدس ، وأحمد خليفة ومحمد عزة دروزة ، ورفيق التميمي ، وعارف العارف ، واحسان عباس ، ومحمد يوسف نجم . ولكل هؤلاء بحوث معروفة وأسماء خالدة في الوطن العربي كله بما أنتجوا للفكر والأدب والتاريخ (١٢) .

على أنه من المناسب أن نسجل أن شعب فلسطين واصل على الدوام

(١٢) راجع التفاصيل في كتاب الشعر العربي الحديث في مائة فلسطين ، كامل السوافيري ، مطبعة نهضة مصر ١٩٦٤ .



تقدمه العلمي حتى ان اغلب الاوائل الناجحين في الجامعات العربية كانوا من بين افرادهم، ومع الاقرار ان الجامعات تضع شروطا شديدة لقبولهم فيها بحيث يكون مجموع النجاح في الثانوية العامة هو اعلى مجموع فرض على جميع أبناء البلاد العربية الذين يتقدمون للجامعات نظرا لمستوى أبناء فلسطين الرفيع واقبالهم الشديد .

اما في المجال السياسي فقد انجبت فلسطين زعامات خالدة لم تكن امام الأعداء ولم تخضع لهم وانجبت شهداء اقرّ العدو نفسه ببطولتهم .

وذكر المؤرخون أيضا ان سكان فلسطين ذاقوا دائما ويلات الحروب ، فقد حطم الصليبيون مساجد المسلمين (١٣) في القدس ، ثم اجرؤا السيف فيها فسالت الطرقات بأنهار الدماء ، كما حدث في القدس ويافا وغيرهما من البلدان .

ولكن هذه الدماء والضحايا التي بذلها العرب طوال تاريخهم منذ عام ٢٥٠٠ ق . م وخلال أكثر من أربعة آلاف سنة ، لم تكن كافية لدى المخطط البريطاني الذي استهدف خداع الأمة العربية ثم تجزئة وطنها ، فاعطى من المهود للشريف حسين بن علي ما يعد بتكوين دولة عربية مستقلة موحدة كبرى لقاء ان يحارب العرب الأتراك المسلمين ، لاجلائهم عن كل أرض عربية، وسالت من جديد دماء العرب في معاركهم الشهيرة ، تلك المعارك التي وقعت بتأثير من خداع الانجليز وحيلهم ، في الوقت الذي كان الانجليز فيه يقتسمون سرا البلاد العربية مع فرنسا ، ويعدون اليهود بفلسطين .

(١٣) اقرا ضحايا الفلسطينيين عبر التاريخ في الفصول القادمة من هذا الكتاب .

## أقوال للتاريخ

« ان فلسطين ليست ملك يميني بل هي ملك شعبي ، الذي رواها بدمه ، فليحتفظ اليهود بملايينهم ، وان عمل الموضع في بدني لاهون علي من ان ارى فلسطين قد بترت من امبراطوريتي ، وهذا امر لا يكون » .

السلطان عبد الحميد يرد على زعيم الصهيونية هرتسل عام ١٩٠١

« ان الخطر الذي يهدد الاستعمار يكمن في البحر المتوسط الذي يقيم على شواطئه شعب واحد يتميز بكل مقومات الوحدة والترابط ، ويجب ان تعمل الدول الاستعمارية على تجزئته وتفككه ، واقامة حاجز بشري قوي وغريب يمكن للاستعمار ان يستخدمه اداة في تحقيق اغراضه » .

لجنة كامبل باثومان ١٩٠٧

« انا نصرح مرة أخرى ان جلالة ملك بريطانيا العظمى يرحب باسترداد الخلافة الى يد عربي صميم من فروع تلك الدوحة النبوية المباركة » .

من ماکماهون نائب ملك بريطانيا الى الشريف حسين ١٩١٥

« طالعت كتابكم بكل احترام رغم شعوري بغموضه وبرودته وتردده فيما يتعلق بنقطةنا الأساسية اعني نقطة الحدود ( ان تعترف انجلتيرا باستقلال البلاد العربية من مرسين حتى الخليج الفارسي شمالا ، ومن بلاد الفرس حتى خليج البصرة شرقا ، ومن الهندي للجزيرة جنوبا ، ومن البحر الاحمر والمتوسط حتى مرسين غربا ) من الشريف حسين الى سير ماکماهون ١٩١٥

« من المتفق عليه ان تنظر الحكومتان بريطانيا وفرنسا في الوسائل اللازمة لمراقبة جلب السلاح الى البلاد العربية » . اتفاقية سايس - بيكو ١٩١٦

« ان حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف الى اقامة وطن قومي في فلسطين للشعب اليهودي وسوف تفرغ خير مساعيها لتسهيل بلوغ هذه الغاية » . بالفور وزير خارجية بريطانيا ١٩١٧



« ان السياسة التي تنسج عليها تركيا هي ايجاد الارتياح والشك بين الحلفاء والعرب ، وهي توسوس للعرب أن الحلفاء يرغبون في الاراضي العربية ، ان بريطانيا وحلفاءها ستقف بجانب الامم العربية لتبني عالما عربيا ، وهي تكرر وعدها السابق بتحرير الشعوب العربية، وستساعد العرب لينالوا حريتهم » .

بالفرد الى الشريف حسين ١٩١٨

« الانجليز وما ارا  
ك بأمرهم غير العليم  
قد يستنيم اذا هم  
حينا وليس بمستقيم  
كالنار تذكىها الريا  
ح فكيف تطفأ بالنسيم

خير الدين الزركلي عن الانجليز مع الحسين

## الفصل الأول

### خديعة بريطانيا للعرب

#### ١ - هل كانت ثورة العرب على الاتراك ضرورية ؟

ان اللجنة العلنية الاولى التي وضعها الانجليز في بناء تهويد فلسطين كانت تتمثل في وعد بالفرد ، ذلك الوعد الذي بدأ الانجليز ينفذونه بحماسة وتصميم منذ دخلوا فلسطين عام ١٩١٧ ، حيث تبدلت على الأرض المقدسة صورة الحاكم ، من حاكم يمنع المؤامرات اليهودية ، ويضع في وجهها السدود ، الى حاكم جديد يعمل على تمهيد جميع السبل للفتك بأهلها وانزال الدمار بهم .

ولعله لم يكن مؤكدا دخول الانجليز فلسطين منتصرين ، لولا ثورة العرب على الخلافة العثمانية ، ومشاركتهم الانجليز في حرب الاتراك والاضرار بهم ، مشاركة أرغمت تركيا على أن تحارب في ميدان كانت آمنة فيه معتزة به ، ومكنت الانجليز من الاستعانة بالعرب فوفروا جنودهم لميادين أخرى ، واطمانوا لمنطقة شاسعة امتدت من المدينة ومكة في قلب الجزيرة العربية الى أقصى حلب الشهباء قرب الحدود التركية .

وليس معنى هذا أننا نستطيع ان ندين قوما العرب في هذا الكتاب ، بأنهم اسباب النكبة وعواملها الاوائل ، فان هذا يقتضي بحثا أشمل ، ومقارنة دقيقة ، وتعمقا في دراسة مؤيدة بالاسانيد عن العلاقات التركية العربية آنذاك .

ولكن الذي نريد أن نصل اليه هو اعطاء صورة سهلة عن الوضع الظاهري لتلك العلائق التي أدت الى الثورة ، والتي غذاها الانجليز ، ووعدوا في سبيل قيامها وعودا مهمة ، كانوا ينوون خلفها قبل ان يسطروا نصوصها . فلقد كانت الامبراطورية العثمانية تعيش تحت حكم السلطنة المباشر ، وكانت تتألف من أجناس متعددة ، تضم الى جانب الاتراك أنفسهم البلغار



واليونان والصرب واليوغسلاف ، كما تضم البلاد العربية ، ولا ريب أن العرب أسهموا زمنا طويلا مع الأتراك في انتصارهم وثبات دولتهم ، فقد كان الدين الاسلامي الوشيحة الاولى التي ربطت بين جنسين اخلصا لهذا الدين زمنا طويلا ، والركيزة الأساسية التي قام عليها الود والألفة ، فعاشا في دولة واحدة تستمد منهما القوة والثبات .

لقد كانت هناك شكاوى من تسلط الحكام وانعدام الحياة البرلمانية ، وكانت انظار العرب تتجه دائما الى الأساليب الحديثة في الحكم ، وهم يشعرون أن الحياة بلا دستور يضمن حق الكلمة والتعبير والمساواة ، واتاحة الفرص هي حياة بعيدة عن معناها العميق ، وحين أعلن « المشروطية » (١٤) الدستور العثماني عام ١٩٠٨ أتيحت الفرص لهم أن يسهموا في الحياة النيابية بعاصمة الخلافة ، إذ دخل كثير من العرب مجلس « المبعوثان » وهو المجلس النيابي التركي ، ومارسوا الحياة البرلمانية داخله ، وكونوا جبهة عربية فيه كان لها مواقف مشهودة في المناقشات البرلمانية (١٥) .

ولكن تلك الفرصة التي أتيحت للعرب لم تكن هي التي حمت فلسطين من تغفل اليهود وتسلطهم في فلسطين ، فان التاريخ يثبت قبل ذلك أن السلطان عبد الحميد أشهر سلاطين آل عثمان قوة وانفرادا بالحكم ، لم ينصع لاغراءات اليهود واتصالاتهم العديدة ، فقد كانوا يعرضون المساعدة على انشاء أسطول عثماني بحري ، ومساعدة السلطان في سياسته الأوروبية ، وانشاء جامعة عثمانية في بيت المقدس تفني عن الذهاب لأوربا ، والمساعدة في المشروعات العمرانية ، وأن يعقدوا له قرضا ماليا يكفي لتنفيذ المشروعات المقررة (١٦) ، وأن يسددوا ديون الدولة العثمانية وكانت كبيرة ثقيلة ، وأن يدفعوا ائافه سنوية تساعد الدولة على اصلاح اقتصادها المنهار ، وأن يكونوا لها عوناً لدى الدول الغربية ، وكانت هذه الدول تعد العدة للقضاء على تركيا .

ومع هذه العروض التي كانت مهمة جدا بالنسبة للوضع العام في دولة الخلافة ، كان اليهود يصوغون طلباتهم صياغة بعيدة عن فكرة الغزو

(١٤) هذا هو التعبير الذي أطلق في حينه على معنى الدستور باعتباره وثيقة ذات شروط للحكم بين الخليفة والشعب .

(١٥) دكتور محمد أنيس وليف من زملائه أعضاء هيئة التدريس في كلية الآداب جامعة القاهرة : المجتمع العربي . القاهرة سنة ١٩٦٠ ص ٢٠٦ .

(١٦) عجاج نويهض مجلة الحوادث اللبنانية عدد ٢٧ من أبريل (نيسان) ١٩٦٥

والاحتلال ، مظهرين أن قصدهم ينحصر في أن يجدوا أرضا يسكنونها ، ويتجمعون فيها ، تحت رعاية الدولة العثمانية ، وعلى الرغم من هذه الحيل كان رد عبد الحميد عام ١٩٠١ م وقبل صدور الدستور بسبع سنوات ، وقبل أن يسهم العرب في الحياة البرلمانية العثمانية ، كان من القوة والصد بحيث سجله زعيم الصهيونية الكبير دكتور هرتسل في مذكراته (١٧) :

« انصحوا الدكتور هرتسل ألا يتخذ خطوات جديدة في هذا الموضوع ، اني لا أستطيع أن اتخلى عن شبر واحد من الأرض ، فهي ليست ملك يميني ، بل ملك شعبي ، لقد ناضل شعبي في سبيل هذه الأرض ، ورواها بدمه ، فليحتفظ اليهود بملايينهم وإذا مزقت امبراطوريتي يوما فانهم يستطيعون آنذاك أن يأخذوا فلسطين بلا ثمن ، أما وأنا حي فان عمل المضع في بدني لاهون علي من أن أرى فلسطين قد بترت من امبراطوريتي ، وهذا أمر لا يكون . اني لا أستطيع الموافقة على تشريع أجسادنا ونحن على قيد الحياة (١٨) » .

ويحدثنا التاريخ أن هذا الرفض القوي من دار الخلافة في تركيا لم يكن الاول للوقوف ضد مطامع اليهود في فلسطين ، بل لقد حدث أن حددت الولايات المتحدة هجرة اليهود اليها عام ١٨٨٢ م ، وبدأ السفير الأمريكي في الأستانة يراجع وزير خارجية تركيا ويبدل لديه الجهود بشأن اسكان اليهود في فلسطين وسوريا ولكن الباب العالي الذي قبل اسكانهم في بعض المناطق رفض السماح لهم بسكنى فلسطين ، ولم يسفر تدخل بريطانيا في الامر عام ١٨٨٧ م عن نتيجة ايجابية (١٩) .

وهناك حادث سياسي آخر له دلالة العميقة ، إذ انتهز السلطان عبد الحميد الثاني فرصة وفاة الخديوي توفيق في ٧ من يناير (كانون ثاني) ١٨٩٢ وتولية ابنه عباس حلمي فأراد اخراج شبه جزيرة سيناء من الحكم المصري وكانت التقاليد تقضي عند تولي وال جديد حكم مصر أن يصدر « فرمان » من سلطان تركيا بتعيينه في هذا المنصب ، وأن ينص في فرمان التعيين على حدود الولاية التي يناط به حكمها ، وصدر فرمان السلطاني

(١٧) أحمد الشقيري : محاضرات عن قضية فلسطين : معهد الدراسات العربية

القاهرة ١٩٥٤ ص ٣٤ .

(١٨) محاضرات في تاريخ قضية فلسطين ، ص ١٧ .

(١٩) المصدر السابق ، ص ١١ .



دون ذكر لشبه جزيرة سيناء ، وحضر المثير أحمد أيوب باشا الى مصر لتلاوته في الحفل التقليدي الذي يقام في هذه المناسبة .

ولما علمت وزارة الخارجية البريطانية بأمر هذا الفرمان ، ثارت ثائرتها ، ووقعت أزمة عنيفة حتى قررت تركيا في ٨ من ابريل (نيسان) ١٨٩٢ ترك شبه جزيرة سيناء جزءا من الأراضي المصرية (٢٠) .

وقد اختلفت آراء الباحثين في تفسير الباعث الذي حمل السلطان عبد الحميد على اخراج شبه جزيرة سيناء من الحكم المصري ، ونرى انه كان هدفا لضغط صهيوني شديد وأن الصهيونية كحركة سياسية هادفة قد اشدت ساعدها في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر ، وأن الصهيونية قد استعانت في ضغطها على السلطان ببريطانيا وفرنسا وألمانيا على السواء ، وكان يشعر بثقل هذا الضغط ، اذ كان قد مضى على توليه العرش قرابة ستة عشر عاما ، خبر فيها التيارات السياسية التي كانت تعمل سرا وجهرا لتأييد الصهيونية ، وأن الصهيونية ترنو بأبصارها نحو شبه جزيرة سيناء ، وهو يعرف عطف بريطانيا على الصهيونية واهدافها . وخشي أن تستغل بريطانيا نفوذها وسيطرتها على الحكومة المصرية الواقعة تحت نير الاحتلال البريطاني ، فتقدم بريطانيا تسهيلات توطيد اليهود في هذه المنطقة فأراد أن يقضي على مثل هذا الاحتمال بإبعاد شبه جزيرة سيناء من نفوذ الانجليز .

واذا كان قد اقر اخيرا حدود مصر الطبيعية بسيينا فان حركة الفصل المذكورة كانت اعلانا وتحذيرا للحكومة مصر وللشعب المصري مما يخشاه على سيينا ولعل ذلك اثر فصلا .

على أن اليهود وهم أصحاب المكر والحيل كانوا قد تسربوا في تركيا عن طريق طائفة الدونمة التي تظاهر أفرادها بالاسلام وحملوا الاسماء التركية ، وانضموا تحت لواء « جمعية الاتحاد والترقي » . ويوم انتصر الاتحاديون على السلطان عبد الحميد في سنة ١٨٠٩ ، وأوفد مجلس النواب ثلاثة من أعضائه لخلعه عن العرش ، كان أحد هؤلاء الثلاثة يهوديا يدعى « قره

(٢٠) عبد الرحمن الرافعي : مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية . الطبعة الثالثة سنة ١٩٥٠ ص ٣١٥ - ٣١٧ .

دكتور حامد سلطان : القانون الدولي العام في وقت السلم يناير (كانون ثاني) ١٩٦٢ ص ٦٢٤ - ٦٢٥ .

صو افندي » (٢١) سبق أن طرده السلطان من مجلسه في قصر « يلدز » حين حاول التأثير عليه لاسكان اليهود بفلسطين . وانه لمنظر مليء بالشماتة والحق ، أن يخلع سلطان الدولة العثمانية وخليفة المسلمين وأن يحمل له بلاغ الطرد أحد أبناء اليهود الذين حرم عليهم فلسطين ، وفرض عليهم الجواز الأحمر الذي لا يبيع لهم الإقامة أكثر من ثلاثة شهور .

ولكن الصهيوني هرتسل كان قد وجه انذارا قبل ذلك الى السلطان عبد الحميد ، ضمن خطابه الموجه الى يوسف الخالدي كبير النواب العرب في مجلس « المبعوثان » العثماني يقول فيه :

« قدمت الى عظمة السلطان عروضنا العامة ، واني واثق أنه بفضل ذكائه الفائق سوف يوافق مبدئيا على الفكرة على أن يبحث مستقبلا تفاصيل اخراجها الى حيز التنفيذ ، أما اذا رفض فسنواصل البحث ، وصدقني سوف نهتدي الى مكان آخر وفقا لما نريده ، وفي هذه الحالة سيضيع على تركيا بلا رجعة آخر سهم في متناول يدها لتنظيم مالياتها والنهوض باقتصادها ان من يصارحكم بهذا القول هو صديق مخلص للأتراك ، فاذكروا ذلك دوما » (٢٢) .

## ٢ - الجمعيات العربية :

وكانت الجمعيات العربية قد بدأت تعمل سرا ، يدعو أكثرها الى اثبات حق العرب لحكم أنفسهم في نظام لا مركزي ضمن الامبراطورية العثمانية ، وتتابع تأسيس هذه الجمعيات لا سيما بعد أن استولت جماعة الاتحاد والترقي على حكم الامبراطورية العثمانية ، واتضح بسرعة اتجاهها القومي الطوراني الذي كان يتمثل في احياء أمجاد الأتراك الأوائل وربط الأتراك المعاصرين بتراثهم الحضاري التركي الأصيل ، وتخليص الفكر التركي من المؤثرات الخارجية العربية والفارسية التي دخلت عليه .

وكان هذا الاتجاه الطوراني في لحمته وسداه دعوة سافرة لسيادة الجنس التركي في الامبراطورية العثمانية ، وانعكس هذا الاتجاه الطوراني بشكل عنيف على الولايات العربية فيما يعرف بحركة التتريك ، أي تتريك الولايات العربية ، فجعلت اللغة التركية لغة رسمية في المدارس والمحاكم

(٢١) أمين الحسيني : حقائق عن قضية فلسطين ، الطبعة الثالثة سنة ١٩٥٧ ص ١٢٠ .

(٢٢) محاضرات في تاريخ قضية فلسطين ، ص ١٨ .



وغيرها (٢٣) .

ولا شك أن سياسة حزب الاتحاد والترقي الذي تسرب اليه اليهود « الدونمة » كما أسلفنا والذي سيطر على الحكم في الدولة من سنة ١٩٠٩ حتى قيام الحرب العالمية الأولى قد استنفرت العرب ، فألفوا الجمعيات السرية والأحزاب الوطنية العلنية . فكانت الجمعيات العربية على التوالي :

جمعية الاخاء العربي المؤسسة بالاستانة سنة ١٩٠٨ ، وجمعية المنتدى العربي سنة ١٩٠٩ ، والجمعية القحطانية سنة ١٩٠٩ ، وجمعية العربية الفتاة المؤسسة في باريس ثم في سوريا سنة ١٩١٢ ، وجمعية العلم الأخضر المكونة في الاستانة سنة ١٩١٢ ، وجمعية بيروت الاصلاحية سنة ١٩١٢ ، وجمعية البصرة الاصلاحية ، وجمعية العهد المؤسسة بالاستانة سنة ١٩١٣ وجمعية الجامعة العربية المؤسسة بالقاهرة سنة ١٩١٠ ، ثم حزب اللامركزية المكون في مصر والذي ضم نخبة من رجالات الشام كان من أشهرهم رفيق العظم والسيد محمد رشيد رضا ومحب الدين الخطيب والدكتور شبلي شميل وسامي الجريتل وغيرهم ، ويتبع ذلك انعقاد مؤتمر الشبان العرب في باريس سنة ١٩١٣ وقرارهم الارتباط مع حزب اللامركزية في مصر (٢٤) .

وعلى الرغم من تعدد هذه الجمعيات العربية ، لم تخرج واحدة منها عن صداقة الأتراك ، والعمل على النهوض بالعرب والدفاع عنهم في الدولة ، وتمكينهم من حكم أنفسهم في نظام لا مركزي ، وضمن اطار الدولة .

ولا يستثنى من هذه المبادئ الا الجمعية القحطانية المؤسسة في مصر (٢٥) ، فقد اختلفت حولها آراء الباحثين ، يرى بعضهم أنها تنادي بمقاومة الترك وتحريض العرب على الثورة والانتفاض (٢٦) ، ويرى البعض الآخر أن هدفها كان تحقيق مشروع جديد جريء ، وهو تحويل الامبراطورية

(٢٣) المجتمع العربي ، ص ٢٠٧ .

(٢٤) أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى ، تاريخ مفصل جامع للقضية في ربع قرن .

ثلاثة أجزاء . مطبعة عيسى البابي الحلبي بالقاهرة ، د . ت ١ ج ١ ص ٢٥ .

(٢٥) عرف من أعضائها حقي العظم ، فؤاد الخطيب ، عزت الجندي ، عزيز المصري .

(٢٦) جورج انطونيوس : يقظة العرب . تاريخ حركة العرب القومية . تعريب الدكتورين

ناصر الدين الأسد واحسان عباس . بيروت ١٩٦٢ ص ١٨٦ .

وأنظر أيضا جلال يحيى : المدخل الى تاريخ العالم العربي الحديث دار المعارف

القاهرة ١٩٦٦ ص ٤٨٦ - ٤٨٧ .

وأنظر كذلك المجتمع العربي ، ص ٢١٣ .

العثمانية بجناحيها التركي والعربي الى امبراطورية ثنائية تشبه الامبراطورية النمساوية المجرية التي كانت قائمة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى ، فتؤلف الولايات العربية مملكة واحدة لها برلمانها وحكومتها المحلية ولفتها الرسمية عربية ، على أن تكون هذه المملكة جزءا من امبراطورية تركيا ، وبهذه الطريقة يصبح مصير العرب والأتراك أوثق التحاما على أسس ثابتة ، لأنها أسس اقرب الى تمثيل الواقع .

### ٣ - الشريف حسين بن علي :

وكان الشريف الحسين بن علي يمثل في ذلك الوقت اكبر الأسر العربية مكانة ، فهو أمير مكة والمهيم على الحرمين الشريفين ، وكان يمثل جانبا محترما لدى الدولة العثمانية ، واليه تنو أنظار العرب في أقطارهم المجاورة في نظرة مليئة بالاكبار والاحترام .



الشريف حسين بن علي



وكان الشريف الحسين أبا لأربعة من الأبناء هم علي ، وعبدالله ، وفيصل ، وزيد ، وكان فيصل ذا صلة بدولة الخلافة ، يتردد على الأستانة ويזורها ، ويمر في طريقه إليها بديار الشام لحاجة في نفسه هي أن يكون على اتصال وثيق مستمر بالزعماء فيها ، فكان يجتمع في دمشق وغيرها بالعديد من شباب العرب المثوث والمليء حماسة على حقوق العرب ، والدافق غيرة على بعض ما يبيده الأتراك من أهانة للعرب أو اضطهاد أو إهمال .

#### ٤ - الانجليز يبدأون التفجير بالعرب :

لم يكن الانجليز بعيدين عن أحداث العرب وعلاقتهم بالترك واستغلال أي خلاف يبدو بينهم .

وكان الأمير عبدالله يتردد كثيرا على القاهرة والاسكندرية في روحاته العديدة بين مكة والأستانة ، وتقابل مرارا مع بعض موظفي دار المعتمد البريطاني بالقاهرة الذين زاروه حين نزل ضيفا على الخديوي ، فأحجم عن مبادلتهم الود وأخبر الممثل العثماني بذلك ثم تطور هذا الاحجام الى لقاء أكثر تجاوبا ، وحدث في أثناء مقابلة تمت بالقاهرة في ٥ من فبراير ( شباط ) ١٩١٤ مع لورد كتشنر المعتمد البريطاني في مصر أن أفاض الأمير عبدالله في شرح أسباب الجفاء بين والده الشريف حسين والأتراك وسخط العرب عامة عليهم ، بسبب الاتجاهات الطورانية التي طبعت تصرفات رجال الاتحاد والترقي ، وأشار عبدالله أنه من المحتمل إذا عزل الأتراك والده من إمارة مكة أن تندلع الثورة قوية رهيبة في إقليم الحجاز لنصرة الشريف حسين ، وقرر أن والده قد بدأ في الاستعداد لمواجهة مثل هذا الموقف ، وأن زعماء العرب يريدون التحرر من الحكم المركزي العثماني الجديد (٢٧) وأنهم يسوا تماما من اقناع الأتراك بأحقية العرب في مطالبهم المتواضعة وبحق العمل معهم في إطار الوحدة العثمانية ، وقد شهد هذه المقابلة رونالد ستورز السكرتير الشرقي في دار المعتمد البريطاني ، وقد لقي هذا التلميح العربي استجابة لدى الانجليز ومن ثم بدأت بريطانيا الخطوة الأولى لتحطيم العرب والأتراك على السواء ، والوصول الى خلق أسفين صهيوني في قلب العالم العربي ، فسلم رونالد ستورز بالسفارة البريطانية بالقاهرة كتابا من حكومة بريطانيا الى الشريف حسين في مكة كان ملخصه :

(٢٧) المجتمع العربي ، ص ٢١٩ .

أن بريطانيا تشكر الشريف على خدمته للامكن المقدسة وسهره على راحة الحجاج ثم دست عبارة مثيرة هامة أنهت بها رسالتها :

« انها لا تعارض في ارجاع الخلافة الى العرب (٢٨) »

ولا ريب أن هذه الكلمة التي اطلقتها بريطانيا في رسالتها الى الشريف حسين ، بقيت تختمر عنده وتعظم ، وتزيدها الأحداث أهمية منذ تاريخ ارسالها في الشهر الثامن من عام ١٩١٤ ، الى اليوم الثاني من يونيو (حزيران) ١٩١٦ ، حيث بدأت ثورة مسلحة وقوية ، يحطم بها العرب المسلمون مراكز الأتراك المسلمين وحصونهم .

ولكن بين هذين التاريخين ، وخلال الاثني والعشرين شهرا ، وقعت أحداث مهمة لا يمكن اغفالها في الحديث عن الباب الذي دخل منه الانجليز الى جزء مهم من القضية العربية الكبرى ، والى فلسطين بنوع خاص .

فقد دخلت تركيا الحرب الى جانب دولتي الوسط في ٣١ من اكتوبر ( تشرين الأول ) ١٩١٤ في أثناء الاتصالات التي قامت بين الانجليز وبين الشريف حسين ، وبدأت تعد كل امكانات الامبراطورية العثمانية لمواجهة القتال والاشتراك فيه .

#### ٥ - العلاقات العربية التركية :

وبينما كان الأمير علي بن الحسين يرافق وهيب باشا قائد الحجاز وواليه في يناير ( كانون ثاني ) ١٩١٥ للاشتراك في حملة عسكرية على قناة السويس ، اذ سقطت إحدى الحقايب من بين أمتعته الشخصية ، وتدل ملابس الحادث على أن فقد الحقيبة كان مدبرا فقد لاحظ الشريف حسين تغيرا ملموسا في موقف الوالي وهيب باشا ، ومما يدل على أن الأمر كان مبيتا أن الحقيبة لم تسلم لصاحبها بل حملت الى الحسين وفحصت وعثر فيها على وثائق تتضمن الدليل على مؤامرة تدبرها الجهات الرسمية على حياته هو وأولاده ، وأتخذ الحسين من هذا الحادث ذريعة لكي يرسل ابنه الأمير فيصل الى الأستانة ، ليعرض على دوائرها العليا قصة الوثائق ، ويبيدي استياء والده العميق من هذا التآمر على حياته وحياة أولاده ، وفي الواقع كان الدافع لسفر الأمير فيصل هو المرور بدمشق ، والاتصال بالزعماء العرب في عاصمة الشام ، ومعرفة موقفهم من عروض انجلترا ،

(٢٨) الثورة العربية الكبرى ، ج ١ ص ١٢٧ .



ومدى تحمسهم لها واستعدادهم لتنفيذها (٢٩) .

لم يكن فيصل مكتفياً آنذاك بنقل الوالي المذكور ، ولكنه أبدى استعداداً لقيادة قوة عربية جديدة ، والاشتراك جدياً في حملة القنات الثانية ، بعد أن فشلت الحملة الأولى ، ولكنه طالب رجال الحكومة الاتحادية باطلاق سراح شباب العرب المعتقلين في عاليه بجبل لبنان ، واصفا سياسة جمال باشا حاكم الشام بأنها سياسة عداً للعرب ، وطالب باللامركزية للحجاز ، وبامارة وراثية لوالده .

ولا ريب أن تولي أحمد جمال باشا حكم الشام كان نكبة تاريخية للعلاقات بين العرب والترك ، لا سيما في ذلك التاريخ الذي شحنت فيه النفوس بالاستعداد للحرب ، والدفاع عن أرض الدولة العثمانية ، ذلك أن جمالا هذا صور حزب الاتحاد والترقي أشنع صورة يمكن أن تظهر لشعب محكوم ، فقد كون مجلساً عسكرياً في عاليه ، واعتقل عدداً من شباب العرب ورجالهم ، وأحاط تحقيقه بسرية رهيبة مخيفة ، وانتشرت الاشاعات والأقاويل بأن تركيا تستهدف قهر العرب وتتركهم واذابهم . ولهذا حين ناقش فيصل سلطات العاصمة التركية في أمر وثائق وهيب باشا المشار إليها ، أضاف الى نقاشه أيضاً ، ضرورة اطلاق سراح المعتقلين ، واشعار الشعب العربي بأنه جزء مهم من الدولة ، يمثل الثقة والتعاون لا الخيانة والمروق .

وعلى الرغم من الأمل الذي خامر فيصل فان شيئاً من تبدل سياسة جمال في الشام لم يطرأ .

وحين كان الانجليز يفرون الحسين بملك عربي كبير واعادة الخلافة الى العرب ، كان الحسين يحاول أن يصل مع الأتراك الى تفاهم جذري ، يصلح الأمر ، ويضمن للعرب حكماً مركزياً داخل نظام الدولة العثمانية ، ومع طول الانتظار بدأ يرسل الأتراك جهرة بآرائه ويحدد مطالبه .

والآن ونحن نتجه الى الحديث عن فلسطين ومقدمات نكبتها والدور البطولي الذي قام به شعبها ، لا بد لنا من أن نرجع قليلاً الى الثغرات التي تسرب منها الانجليز ، حتى نفذوا مخططهم في قلب الأمة العربية ، وزرعوا شجرة السوء الاسرائيلية في فلسطين .

فما كادت قضية المعتقلين السياسيين الذين كبلهم جمال باشا تأخذ

دورها الكبير لدى مجامع العرب ، حتى أرسل الحسين الى أنور باشا وزير الحربية البرقية التالية :

« ان خروج الدولة العلية منصوراً من الحرب الحاضرة يتوقف على اشتراك جميع العناصر العثمانية فيها ولا سيما العرب ، والجانب الأهم من ميادين القتال في بلادهم وتأييدهم لها قلباً وقالباً في نضالها .

ويلوح لي أن ارضاء الشعب العربي يتوقف على مداواة قلبه الذي جرحه اتهام عدد كبير من ابنائه بتهمة سياسية مختلفة ، والقبض عليهم ومحاكمتهم أمام المحاكم العسكرية بالدواء التالي :

- ١ - اعلان العفو العام عن المتهمين السياسيين .
  - ٢ - ازالة سوريا ما تطلبه من استقلال مركزي .
  - ٣ - جعل اماره مكة وراثية في اولادي وبقائها على حالتها الحاضرة .
- فاذا قبلت هذه المطالب فأتعهد بحشد القبائل العربية بقيادة أنثائي في ميدان العراق وميدان فلسطين ، واذا لم تقبل فأرجوكم الا تنتظروا مني شيئاً سوى الابتغال للحق جل وعلا بأن يهب للدولة النصر والتوفيق (٣٠) .

والحق ان هذه البرقية كانت مفتاحاً صالحاً لفتح مغلفات التفاهم بين الجانبين ، فكان من الممكن جداً أن ترد السلطات التركية بقبول بعض بنودها ، ورفض بعضها الآخر ، وكان من الممكن أيضاً تأجيل النظر في استقلال سوريا الداخلي ( وكانت سوريا تمثل كل الشام من حدود مصر الى حدود تركيا ) وتأجيل وعد الشريف بوراة ابنائه ولكن الجميع كان يهتم ويشغل بأمر الشبان العرب المعتقلين في عاليه ، ولهذا كان يجب على أنور باشا أن يستجيب لهذا الطلب حتى يساعد في اقامة حجة تاريخية مهمة سيما وأن موضوع المعتقلين كان قد بحث أيضاً بين جمال باشا نفسه والأمير فيصل في مقابلات عديدة كان واضحاً فيها اصرار جمال على سياسته الارهابية .

بل ان الشريف حسين نفسه ابرق الى الدولة يشترط لالتزامه الهدوء والسكينة ، الاعتراف باستقلال الحجاز ، والعدول عن محاكمة احرار العرب ، واعلان عفو عام عن المعتقلين ، وعاد الحسين فأبرق من جديد الى جمال باشا مختصراً طلباته وحاصراً لها في اطلاق سراح المعتقلين واعلان عفو عام .



ولكن السياسة التي كانت تسير عليها الدولة في ظل حزب الاتحاد والترقي لعبت بها الصهيونية ، وتسربت فيها سياسة الارهاب التي بداها وغذاها جمال باشا ، وكانت واضحة في الرد الذي تلقاه الشريف من أنور باشا ، كان ردا بعيدا عن اللين وسياسة الايلاف والتفاهم ، وتحديا صريحا للشريف الذي كان يتلقى العروض والخطابات من الانجليز وهو متردد في اجابتهم والسير معهم ، ولعله كان في حاجة الى اقل تقارب واکرام من دولته الاسلامية لتقوي روحه في مدافعة الانجليز ورفض عروضهم ، والوقوف الى جانب دولة الخلافة ، ولكن رد أنور باشا جاء يقول :

وصلت برقيتكم الهاشمية القائلة ان احراز النصر يكون باشتراك ابناء الأمة قلبا وقالبا ، ولما كان طلب اعلان عفو عن بعض المتهمين وتطبيق نظام اللامركزية في سوريا واستبقاء امانة مكة في شخصكم السامي وفي اولادكم خارجا عن اختصاصكم ، فالاستمرار في طلبه ليس من مصلحتكم في شيء ، واني ابلغكم انه لا بد من أن ينال الموقوفون عقابهم . الى آخر البرقية الشديدة اللهجة العنيفة التعبير (٣١) .

وفي العشرين من أغسطس ( آب ) ١٩١٥ بدأ الارهاب يأخذ صورة خطيرة ، يراد بها تحطيم أعصاب الشعب العربي واذلاله ، ويرتسم في معاملة لم تعرف الا من حكومات الاستعمار والطفيان ، فقد دفع جمال باشا بنخبة من احرار العرب الى المشانق في بيروت ودمشق (٣٢) ، وكانت القافلة الاولى من الشهداء قد أعدمت في ٢١ أغسطس (آب) ١٩١٥ في بيروت ، وقد بلغ عددهم اثنين وثلاثين من رجالات العرب ، وهم الأحرار الذين طالما جادل الحسين في سبيل العفو عنهم واطلاق سراحهم ، وعلى الرغم من محاولة التشنيع ببعض هؤلاء الأحرار ووصفهم بالخيانة للدولة في وثائق يدعى الحصول عليها من قنصلية فرنسا في بيروت ، فان البيانات الرسمية وكذلك مذكرات جمال نفسه لم تستطع أن تلصق بهم الا الانتماء الى الجمعيات العربية وحزب اللامركزية ، وهي هيئات لا تدعو الى ما يعاقب عليه بالاعدام ، ولكنها هادفة الى اصلاح حال العرب والنهوض بهم ، وتمكينهم من حكم مناطقهم حكما يتلاءم مع الدولة العثمانية ، ويتفق مع المصالح المشتركة بين العرب والترك ، والواضح أن تلك المشانق التي نصبت في بيروت ودمشق عامي ١٩١٥ ، ١٩١٦ كانت معدة قبل المحاکمة السرية السورية التي تمت في عاليه بلبنان والتي ثبت أن الاعدام كان أمرا

(٣١) المرجع السابق .

(٣٢) ٦ من مايو ( أيار ) ١٩١٦ .

مبيتا ، ودون النظر الى ما يوجهه أو يدفع اليه (٣٣) .

على أنه من انصاف التاريخ أن نذكر أنه بينما كان المجموع الأكبر من هؤلاء الشهداء أبرياء أحرارا ، فان قلة صغيرة أعدمت في تواريخ متتابعة يقول جمال باشا أن أسماءهم وجدت في مستندات القنصلية الفرنسية حين طوح بالعرف الدبلوماسي بعيدا ، وهاجم القنصلية مفتشا عن المستندات وباحثا عنها ، وكانت تقارير القناصل الفرنسيين تشير الى اتصالات مشبوهة ، يتضح منها محاولة الاستعانة بفرنسا وانجلترا على حرب الأتراك ، ومخاطبة فرنسا باعتبارها الحامية للوطنية في لبنان وسوريا .

بل بلغ من بعضهم أن لام القنصل الفرنسي لأن زعماء فرنسا الذين يسيطون في بياناتهم حنوهم على المسيحية في لبنان يتناسون المسلمين على الرغم من ودهم لفرنسا وثقتهم بها ، وحين يثبت (٣٤) هذا قضائيا لا ينتظر من جمال باشا ولا من غيره أن يفعل غير ما حدث .

على أن حكام تركيا من الاتحاديين كانوا قد عرفوا أحرار العرب منذ أن أباح الدستور العثماني حرية الصحافة وحق الكلمة الحرة ، والظاهر أنهم صمموا أن يزيلوا من طريقهم أولئك الذين أسهموا في تكوين الرأي العام العربي ، والذين حملوا في مقالاتهم على سياسة جمعية الاتحاد والترقي الحاكمة في تركيا ، ولهذا نجد أن كثيرا من أولئك الشهداء كانوا من الصحفيين أو رجال القلم الى جانب بعض من رجال الأحزاب والهيئات العربية (٣٥) .

ولاحقت احكام الاعدام الغيائية جمعا آخر من رجال الصحافة العرب من أبناء الشام المقيمين في مصر (٣٦) ، وغيرهم ممن يتولون الكتابة

(٣٣) القضية الفلسطينية ، ص ٢٨ .

(٣٤) الثورة العربية الكبرى ، ج ١ ص ٦٨ - ٦٩ .

(٣٥) المصدر السابق ، ج ١ ص ٣١٩ - ٣٢٢ . وهم عبد الحميد الزهراوي صاحب جريدة الحضارة الاستوائية ، عبد الغني العريسي والامير عارف الشهابي من جريدة المفيد البيروتية ، وعمر حمد المحرر بالمفيد ، والشيخ احمد طباره صاحب جريدة الاصلاح البيروتية ، وسعيد عقل المحرر بها ، جرجس حداد محرر جريدة الراوي الدمشقية ، وعلى أرمنازي صاحب نهر العاصي الحموية ، وشكري العسلي صاحب القيس الدمشقية ، وبثروبولي صاحب الوطن البيروتية .

(٣٦) هم الدكتور فارس نمر صاحب المقطم ، والسيد محمد رشيد رضا صاحب المنار ، وداود بركات محرر الاهرام ، ومحب الدين الخطيب المحرر في المؤيد ، وابراهيم سليم النجار ، وقسطنطين بني محرر جريدة دليل حمص ، وخليل زبينة محرر جريدة الثبات في بيروت .



والمطالبة بالحقوق للعرب ، وصدرت احكام بالابعاد على عدد آخر من رجال القلم العرب (٣٧) .

ويأتي دور رجال السياسة والجمعيات فأعدم جمال باشا صديقه المقرب عبد الكريم الخليل أحد مؤسسي المنتدى الأدبي في الاستانة ، وأعدم أيضا سيف الدين الخطيب وتوفيق رزق سلوم ، كما أعدم كل من أمكن اعتقاله من رجال حزب (٣٨) اللامركزية أو الداعين اليها .

ويلحق بهؤلاء السياسيين بعض الضباط العرب الذين أراد بهم جمال باشا اרהاب العنصر العربي في الجيش العثماني ، فأعدم منهم الأمير سليم الجزائري ، وأمين لطفي الحافظ وعلي النشاشيبي (٣٩) ، كما اعتقل من اعتقل من الضباط العرب في عاليه ومنهم علي رضا البيلاني ، وجميل الألشي ، ورضا الخطيب ، وسالم مظلوم ، وأرسل عددا من الضباط العرب الى خطوط النار في ميادين القتال ، وقد استشهد كثيرون منهم .

(٣٧) منهم يوسف العيسى ، وعيسى العيسى صاحب جريدة فلسطين البافاوية ونجيب نصار صاحب جريدة الكرمل الحيفاوية ، محمد صبحي عقدة صاحب جريدة ابو نواس اللاذقية ، وعلي الفرا صاحب جريدة النديم الدمشقية ، وأمين الغرب صاحب جريدة الحارس البيروتية . واعتقل ايضا الصحفي العراقي ابراهيم حلمي العمر ، ونجيب شقير صاحب جريدة بياض ، واحمد عزت الاعظمي صاحب مجلة المنتدى الادبي وتوفيق اليازجي محرر جريدة الاصلاح البيروتية .

(٣٨) منهم صالح حيدر وسليم الاحمد عبد الهادي - ذكر الاستاذ اكرم زعير بمجلة العربي مارس ( آذار ) ١٩٦٤ انه يحتفظ بوصية الشهيد المكتوبة بخط يده وهذا نصها :

« اكتب هذه الوصية في الساعة الثانية والنصف من ليلة السبت الموافقة ١١ شوال ١٣٣٠ عربية حيث حكم علي بالموت في الساعة التاسعة من الليلة المذكورة أعني أنني أكتب هذه قبل موتي بنصف ساعة واني مسرور بلقاء الله سبحانه وتعالى » .

ويؤكد الاستاذ زعير انها مكتوبة بخط جميل ، يدل على استجماع عقري للذهن في ساعة الموت الرهيبة ، ومسلم عابدين ومحمود الحمصاني ومحمد الحمصاني ونور الدين القاضي وعبد القادر الخرسا ، ومحمود العجم ، أما الشيخ سعيد الكرمي وحافظ السعيد فقد حكم عليهما بالسجن المؤبد .

(٣٩) هذا الفقيه العربي ذكر في المجلد الاول من كتاب الثورة العربية الكبرى للاستاذ امين سعيد باعتباره أحد ضباط الجيش التركي على حين ذكره الاستاذ اكرم زعير في عدد مارس ( آذار ) ١٩٦٤ من مجلة العربي باعتباره أحد رواد القضية العربية الاولى الذين تفخر فلسطين بانجابهم وكان طبيبا بيطريا ، وهو أحد أقطاب الجمعية القحطانية ، وموقد جذوة الوطنية في ناشئة القدس ، وقد اتهم بأنه يشوق الى استقلال العرب على حد تعبير المحكمة العرفية .

ثم عمد جمال باشا حاكم الشام التركي الى اجلاء عدد كبير من الأسر العربية عن ديارها ، والاستيلاء على أراضيها ، وأرسلها الى جبال الاناضول وانحاء متفرقة من تركيا ، بعيدين عن ديارهم ومواقع صباهم ، وموزعين بين مجموعات جديدة لم تألفهم من قبل ، ولم يسبق لهم معها عهد ، لا سيما وقد سبقهم ما انتشر من أنباء من أنهم عرب ابعدوا ضمانا لمصلحة الأمن ، وحفاظا على الدولة ، ولا بد أن هذا خلف نظرة ساخطة لدى الأهالي والأتراك بالنسبة لهم ، فكانوا يلقون كثيرا من المتاعب والهوان ، لا يخففها أبدا ما أقطعوه من أراضي ، بدلا من أراضيهم المصادرة في بلادهم ، فكان هذا عملا تصفيا جديدا أضيف الى قوافل الشهداء الذين أعدموا ، والى العدد الكبير الذي امتلأت به السجون والمعتقلات .

ولقد كان العرب ينوون مساعدة الدولة على الرغم من الخلاف السياسي ، ويحفظ لنا التاريخ ذلك الاجتماع الذي عقد في منزل شكري باشا الأيوبي في ١٥ مارس ( آذار ) سنة ١٩١٥ وحضره الدكتور عبد الرحمن الشهنندر وخالد الحكيم وسليم الشمعة والشيخ تاج الدين الحسيني وعبد الكريم الخليل وغيرهم ، وقرروا مساعدة الدولة والمحاربة الى جانبها ضد الأعداء ، وتألّف عصابات عربية لتواصل الحرب اذا اضطر الترك الى الانسحاب (٤٠) .

بل وصل الأمر لأكثر من هذا ، فبينما كان دعاة الاصلاح يطالبون باللامركزية وبمطالبهم المعروفة لصالح العرب ، تألف في دمشق حزب الاصلاح الحقيقي ، وكان يضم عددا مهما جدا من كرام العرب ورجالهم (٤١) ، وأصدر بيانا أنحى فيه باللائمة على مؤتمر الاصلاح المنعقد في باريس ، واتهمه بأنه يعمل ضد الدولة بمعاونة الأجانب ، وأن الدولة في محتنتها بحرب البلقان تحتاج الى المساعدة ، وأن الجميع يطلب اصلاحا ، ولكنهم لا يكيدون للدولة ، بل هم يطلبونه مباشرة وبلا واسطة ، ودعوا الى عقد مؤتمر في الاستانة ( عاصمة بلادنا المحبوبة ) (٤٢) . ونادوا بتأييد

(٤٠) الثورة العربية الكبرى ، ج ١ ، ص ١٠٨ .

(٤١) المصدر السابق ص ٥٢ .

(٤٢) كان من أشهر رجال هذا الحزب رئيسه محمد فوزي باشا العظم ، وعبد الرحمن اليوسف ، والأمير شكيب أرسلان ، والشيخ أسعد الشقيري ، والدكتور حسن الأمير ، وطه المدور والشريف علي حيدر باشا والشريف جعفر باشا ، والزعيم الليبي سليمان الباروني والنائب الليبي يوسف شتوان ، والشيخ عبد العزيز جاويش ، والشيخ صالح التونسي ، والشيخ اسماعيل نصيف وغيرهم .



الدولة في كفاحها الخارجي وعدم ازعاجها بمطالب داخلية .

على أن أولئك الذين اجتمعوا في منزل الأيوبي ، صدموا بأحكام الإعدام وتنفيذها ، فكانوا بعد ذلك من أكثر المشجعين على الثورة والمهتمين بها ، ولقد حدث بعضهم فيصل فأكدوا له استعدادهم ، وأنهم لا يطلبون إلا قيادة والده الشريف حسين ، وأعطاه الشيخ بدر الدين الحسيني أكبر علماء دمشق خاتمه لتسليمه إلى والده في مكة دليل الاستعداد والموافقة ، فأخذته إلى والده في مكة (٤٣) .

هذه صورة بيانية عن الحالة بين العرب والأتراك ، وهي صورة مليئة بالخطوط المتعارضة وبالظلال الكثيفة السوداء ، التي لا ريب أن جمالا حاكم الشام التركي والذي لقبه العرب بجمال السفاح ، يتحمل فيها الوزر الأكبر والاثم التاريخي الكبير ، فهو راسمها وطابعها ، « وهو الذي جعل أسباب الثورة العربية أكثر دفعا للعرب وأشدّ تحمسا » (٤٤) ، وهو الذي عبد بذلك الطريق الذي سلكه الانجليز في التفرير بالشريف حسين وقومه العرب .

على أن الوثائق التي تكشف خلال الحرب العامة ، واثناء الثورة الشيوعية أثبتت أن جمالا هذا كان يبدي عناية كبيرة بالأرمن المبعدين من تركيا ، وكان هؤلاء يفاوضونه باسم المخابرات البريطانية والفرنسية عملا على مساعدته ثائرا ضد الخلافة وحكام الاستانة (٤٥) . والرجل الذي يفاوض الأعداء ضد دولته في اثناء الحرب لا يستغرب منه أن يسير مساعدا لمخطط يعمل لهدم روح التعاون بين العرب والأتراك تجاه الأعداء .

(٤٣) يقظة العرب ص ٢٤٤ - ٢٤٥ .

(٤٤) أنيس صايغ : الهاشميون والثورة العربية الكبرى ، بيروت ١٩٦٦ ص ٧١

(٤٥) الثورة العربية الكبرى ، ج ١ ص ٦٣ ، ١٦٨ ، ١٦٩ .

## ٦ - تلهف بريطانيا على الاتفاق مع الحسين :

واذا راجعنا التاريخ الذي حاول فيه الحسين صرف الدولة العثمانية عن اعدام الأحرار العرب الذين أعدموا بعد ذلك بين ٢٢ من أغسطس (آب) ١٩١٥ و ٦ من مايو (أيار) ١٩١٦ ، نجد أن هذه الفترة استغلتها بريطانيا لأغراء الشريف واعداده نفسيا للثورة ، وهي تمنيه بمجد باذخ وملك شامخ ، وهي تدرك تماما أنه اهتم بمراجعة الأتراك لإصدار عفو شامل واطلاق سراح المعتقلين ، وأن الأتراك رفضوا هذه الوساطة بصلف وكبرياء .

وكانت بريطانيا قد أوفدت قبل ذلك مندوبا لا شبهة عليه ( علي أفندي أصغر ) من حي الجمالية بالقاهرة ، فحمل رسالة إلى الأمير عبدالله من مستر رونالد ستورز السكرتير الشرقي لدار الحماية البريطانية ، وكانت الرسالة الأولى التي يتساءل فيها رونالد ستورز هذا باسم لورد كشنر وزير الحرية البريطانية عما اذا كان عبد الله ووالده لا يزالان على رأيهما الأول الخاص بالدفاع عن حقوق العرب ويعد بأن الحكومة البريطانية عازمة على تقديم كل مساعدة للعرب ضد الأتراك الذين سوف يدخلون الحرب في زمرة الأعداء .

وعاد المندوب دون جواب ، فلم تطق بريطانيا صبرا وهي المتحرقة على فتح جبهة جديدة هامة ضد الأتراك ، عندما يحاربون ، ومن مكان كانوا يأمنونه ويركنون فيه إلى الهدوء والاطمئنان ، فلم يمض أسبوعان حتى عاد المندوب من جديد ومعه رسالة موجزة ملحة تصور مبلغ القلق البريطاني والتلهف على رد الشريف حسين وكان نصها :

« ان الفرصة سانحة لكم لتحقيق مطالب العرب ، فأنا آسف لترككم كتابي بلا جواب ، وآمل الاسراع في ارسال الرد على سؤالي » .

ولكن المندوب الذي لم ينل جوابا ولثاني (٤٦) مرة عاد من جديد برسالة ثالثة ، وكان ذلك في نوفمبر ( تشرين ثاني ) من عام ١٩١٤ ومعه رسالة تكرر :

« اننا على استعداد لمساعدة شريف مكة في قضيته ، وتقديم كل ما يريده من مساعدة » .

(٤٦) المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٢٨ .



وهنا جاء الرد الأول من الشريف حسين :

« ليس في استطاعتي أن أعمل شيئا قبل أن أستشير العرب ،  
وأسالهم رأيهم » .

كان الشريف حسين يمر ساعتئذ بأزمة نفسية حادة ، فقد كان في صراع بين الغريزة والروح ، انها أزمة الاقدام على قرار خطير ، يحارب به الدولة التي ارتبط بها العرب اربعة قرون ، وأختلط أثناءها الدم العربي بالدم التركي ، وسالا في معارك طويلة ضد البلغار والروس واليونان ، وفي مختلف بقاع الامبراطورية الكبيرة .

ومضت فترة طويلة لم يحفظ فيها التاريخ مراسلات جديدة ، ولا ريب أنها الفترة التي حاول فيها الحسين أن يتفاهم مع جمال باشا ، ومع الاتحاديين بالعاصمة الكبيرة ، وهي الفترة التي قام فيها باتصالاته وبايفاد ابنه فيصل طالبا اعلان العفو عن المعتقلين ، والوصول الى تفاهم حول آمال العرب الكبرى ، والظاهر انه تأكدت لديه نية جمال باشا المتجه الى القمع والاعدام ، ورمى الحسين حينئذ آخر سهم لديه كان يشده الى الأمل .

#### ٧ - مراسلات حسين - ماکماهون :

في شهر يوليو ( تموز ) سنة ١٩١٥ كان الشريف حسين يبعث بمذكرته التاريخية الى سير ماکماهون نائب ملك بريطانيا في مصر .

وتقتضينا امانة البحث العلمي أن ننشر هنا النص الحرفي لأولى رسائل الشريف حسين الى ماکماهون ، وهي مؤرخة في ١٤ من يوليو ( تموز ) ١٩١٥ :

#### المذكرة الأولى من الشريف الحسين الى ماکماهون (٤٧) :

تبدأ المذكرة بعد عبارات من المجاملة والنصح بالتوقف عن ارسال المناشير بالطائرات وتقول :

« لما كان العرب بأجمعهم - دون استثناء - قد قرروا في الأعوام

(٤٧) الامانة العامة لجامعة الدول العربية : الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين المجموعة الاولى ١٩١٥ - ١٩٤٦ القاهرة ١٩٥٧ وثيقة رقم ١ ص ٦ - ٨ .

الاخيرة أن يعيشوا ، وأن يفوزوا بحريتهم المطلقة ، وأن يتسلموا مقاليد الحكم نظريا وعمليا بأيديهم ، ولما كان هؤلاء قد شعروا أنه من مصلحة حكومة بريطانيا العظمى أن تساعدتهم وتعاونهم للوصول الى أمانهم المشروعة ، وهي الأمانى المؤسسة على بقاء شرفهم وكرامتهم وحياتهم ...

ولما كان من مصلحة العرب أن يفضلوا مساعدة حكومة بريطانيا عن أية حكومة أخرى نظرا لمركزهم الجغرافي ، ومصالحهم الاقتصادية وموقفهم من حكومة بريطانيا ...

انه بالنظر لهذه الأسباب كلها يرى الشعب العربي أن من المناسب أن يسأل الحكومة البريطانية اذا كانت ترى من المناسب أن تصادق بواسطة مندوبها أو ممثلها على الاقتراحات الأساسية التالية :

أولا : أن تعترف انجلترا باستقلال البلاد العربية من مرسين - أدنه - حتى الخليج الفارسي شمالا ، ومن بلاد الفرس حتى خليج البصرة شرقا ، ومن الهندي للجزيرة جنوبا ، يستثنى من ذلك عدن التي تبقى كما هي ومن البحر الأحمر والبحر المتوسط حتى مرسين (٤٨) غربا ، على أن توافق انجلترا أيضا على اعلان خليفة عربي على المسلمين .

ثانيا : تعترف حكومة الشريف العربية بأفضلية انجلترا في كل مشروع اقتصادي في البلاد العربية اذا كانت شروط تلك المشاريع متساوية .

(٤٨) جرت أغلب المؤلفات العربية على نشر الحدود المطلوبة من الشريف في مكاتباته بصيغة تحتاج الى امان ، والنص الوحيد الذي بدا لنا سليما جدا هو التعبير الانجليزي المنشور في مجلد الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين الذي نشرته الامانة العامة للجامعة العربية ونصه كما يلي :

Great Britain recognises the independence of the Arab countries which are bounded : on the north by the line Mersin-Adana to parallel 37 on and thence along, the line Birejik-Urfe-madait-Jajirat (ibn Umer) Amadia to the Persian frontier, on the east by the Persian frontier down to the Persian Gulf; on the south, by the Indian Ocean (with the exclusion of Aden whose status will remain as at present); on the west by the Red Sea and the Mediterranean Sea back to Mersin.



ثالثا : تتعاون الحكومتان الانجليزية والعربية في مجابهة كل قوة تهاجم أحد الفريقين ، ذلك حفظا لاستقلال البلاد العربية ، وتأمينا لأفضلية انجلترا الاقتصادية فيها ... على أن يكون هذا التعاون في كل شيء في القوة العسكرية والبحرية والجوية ...

رابعا : اذا تعدى أحد الفريقين على بلاد ما ونشب بينه وبينها قتال وعراك فعلى الفريق الآخر أن يلزم الحياد ، على أن هذا الفريق المعتدي اذا رغب في اشراك الفريق الآخر معه ففي وسع الفريقين أن يجتمعا معا وأن يتفقا على الشروط .

خامسا : مدة الاتفاق في المادتين الثالثة والرابعة من هذه المعاهدة خمس عشرة سنة ، واذا شاء أحد الفريقين تجديدها عليه أن يطلع الفريق الآخر على رغبته قبل انتهاء مدة الاتفاقية بعام .

هذا ولما كان الشعب العربي بأجمعه قد اتفق ( والحمد لله ) على بلوغ الغاية وتحقيق الفكرة مهما كلفه الأمر ، فهو يرجو الحكومة البريطانية أن تجيبه سلبا أو ايجابا في خلال ثلاثين يوما من وصول هذا الاقتراح ، واذا انقضت هذه المدة ولم يتلق من الحكومة جوابا فانه يحفظ لنفسه حرية العمل كما يشاء .

وفوق هذا فاننا نحن عائلة الشريف نعتبر أنفسنا - اذا لم يصل الجواب - أحرارا في القول والعمل من كل التصريحات والوعود التي قدمناها بواسطة علي أفندي » .

وكانت مذكرة واضحة تحدد مطالب العرب في خلق دولة كبرى مستقلة وخلافة اسلامية يرأسها عربي ، وتحدد وقتا للاستجابة لا يزيد عن ثلاثين يوما ، انها مذكرة من يشعر بأهمية حركته وقيمتها الكبرى ، ويتحدث في اعتزاز طالبا عهدا لم يخالفه الشك في صدق اعطائها وتنفيذها .

وجاء رد ماكماهون ردا انجليزيا واهنا مفعما بالاسراف في اصفاء ألقاب التمجيد والتفخيم والتزلف ، وسنرى أن الحسين استاء من هذا الهراء ، وأعرب عن استيائه في رده ، وما دامت الأحداث اللاحقة قد أوضحت لنا مقدار تعمد الانجليز للخيانة والتفجير ، وما دما قد تعلمنا أن الكلمة تعطى مدلول لفظها الا عند الانجليز ، فلا بد من ايراد تلك العبارات الواردة في رد ماكماهون ، لنذكر في خاتمة المأساة عمق استهانة الانجليز بالألفاظ وألقاب التجلة والاحترام :

### من ماكماهون الى الشريف حسين (٤٩) :

« الى السيد الحبيب النسيب ، سلالة الأشراف وتاج الفخار وفرع الشجرة المحمدية ، والدوحة القرشية الأحمدية ، صاحب المقام الرفيع والمكانة السامية ، السيد ابن السيد والشريف ابن الشريف السيد الجليل المبجل ، دولة الشريف حسين سيد الجميع أمير مكة المكرمة ، قبله العالمين ومحط رحال المؤمنين الطائعين ، عمت بركته الناس اجمعين .

بعد رفع رسوم وافر التحيات العاطرة ، والتسليمات القلبية الخالصة من كل شائبة ، نعرض أن لنا الشرف بتقديم واجب الشكر لاهباركم عاطفة الاخلاص وشرف الشعور والاحساسات نحو الانجليز ، وقد يسرنا علاوة على ذلك أن نعلم أن سيادتكم ورجالكم على رأي واحد ، وأن مصالح العرب هي نفس مصالح الانجليز والعكس بالعكس ، ولهذه المناسبة فنحن نؤكد لكم أقوال فخامة اللورد كتشنر التي وصلت الى سيادتكم على يد علي أفندي ، وهي التي كان موضحا بها رغبتنا في استقلال بلاد العرب وسكانها، مع استصوابنا للخلافة العربية عند اعلانها.

وانا نصرح مرة أخرى أن جلالة ملك بريطانيا العظمى يرحب باسترداد الخلافة الى يد عربي صميم من فروع تلك الدوحة النبوية المباركة .

واما بخصوص مسألة الحدود والتخوم ، فالمفاوضة فيها تظهر انها سابقة لأوانها وتصرف الأوقات سدى في مثل هذه التفاصيل في حالة ان الحرب دائرة رحاها ، ولأن الأتراك ايضا لا يزالون محتلين لأغلب تلك الجهات احتلالا فعليا ، وعلى الأخص ما علمناه وهو ما يدهش ويحزن أن فريقا من العرب القاطنين بين تلك الجهات نفسها قد غفل وأهمل هذه الفرصة الثمينة التي ليس أعظم منها ، وبدل اقدام ذلك الفريق على مساعدتنا نراه قد مد يد المساعدة الى الألمان والظالمين القدماء وهم الأتراك.

مع ذلك فانا على كمال الاستعداد لأن نرسل الى ساحة دولة السيد الجليل وللبلاد العربية المقدسة والعرب الكرام من الحبوب والصدقات المقررة من البلاد المصرية ، وستصل بمجرد اشارة من سيادتكم وفي المكان الذي تعينونه ، وقد عملنا الترتيبات اللازمة لمساعدة رسولكم في جميع سفراته الينا ، ونحن على الدوام معكم قلبا وقالبا ، مستنشقين رائحة

(٤٩) المصدر السابق ، وثيقة رقم ٢ ص ٩ - ١٠ .



مودتكم الزكية ومستوثقين بعري محبتكم الخالصة ، سائلين الله سبحانه وتعالى دوام حسن العلائق بيننا .

وفي الختام أرفع الى السدة العلية كامل تحياتي وسلامي وفائق احترامي .

#### المخلص

تحريرا في ١٩ شوال ١٣٣٣ هـ . ( السير آرثر ماكماهون )  
الموافق ٣٠ اغسطس ١٩١٥ م . نائب جلالة الملك

#### الشريف يؤنب ماكماهون :

وفي رد الشريف على هذه الرسالة ، يزداد وضوحه في مطالبه ، وتقوى عباراته وتمسكه بالحدود المهمة للدولة العربية ، بل أنه يسجل أن وجود فرنسا في شواطئ بيروت لا بد أن يبحث بعد الحرب ، وإن البلاد كلها عربية ، واصفا كتاب ماكماهون بالبرود والتردد والقموض ، فيقول في رسالته المؤرخة في ٢٩ من شوال سنة ١٣٣٣ هـ . الموافق ٩ من سبتمبر ( ايلول ) ١٩١٥ :

« طالعت كتابكم بكل احترام واعتبار رغم شعوري بغموضه وبرودته وتردده فيما يتعلق بنقطة الأساسية ، أعني نقطة الحدود » .

وبعد بعض عبارات المجاملة يضيف :

« يجب أن أؤكد لكم أيضا أن مصالح أتباع ديانتنا كلها تتطلب الحدود التي ذكرتها لكم ، وأن هذه الحدود المطلوبة ليست لرجل واحد لنتمكن من أرضائه ومفاوضته بعد الحرب ، بل هي مطالب شعب يعتقد أن حياته في هذه الحدود ، وهو متفق بأجمعه على هذا الاعتقاد ، وهذا ما جعل الشعب يعتقد أن من الضروري البحث في هذه النقطة قبل كل شيء مع الدولة التي يثقون بها كل الثقة ، ويعلقون عليها الآمال وهي بريطانيا العظمى » .

ويضيف في قضية الحدود قوله :

« وأنا على ثقة يا صاحب الفخامة أنكم لا تشكون قط بأنني لست أنا شخصا الذي يطلب تلك الحدود التي يقطنها عرب مثلنا ، بل هي مقترحات شعب بأسره يعتقد أنها ضرورية لتأمين حياته الاقتصادية » .

#### الحسين لم يفرط أبدا في الحدود :

ثم يسير في نقاش مهم ردا على رسالة ماكماهون ، ويعود الى موضوع الحدود قائلا :

« وأود هنا يا صاحب الفخامة أن أؤكد لكم بصراحة ، أن كل الشعب ومن جملته هؤلاء الذين يقولون أنهم يعملون لصالح تركيا والمانيا ، ينتظرون بفارغ الصبر نتائج هذه المفاوضات ، المتوقفة على موافقتكم ، أو رفضكم ، قضية الحدود ، وقضية المحافظة على ديانتهم ، وحمايتهم من كل أذى أو خطر » .

ثم ينتقل بعد قليل الى اشعار حليفته الجديدة أن دولته العربية المرتقبة لا توافق حتى على مجاورة فرنسا في بقعة صغيرة من الوطن العربي فيقول :

« ولذلك نرى من واجبنا أن نؤكد لكم أننا سنطلب اليكم في أول فرصة بعد انتهاء الحرب ما ندعه الآن لفرنسا في بيروت وسواحلها .

ولست أرى حاجة لأن ألفت نظركم من الآن الى أن خطتنا هي آمن على مصالح إنجلترا من خطة إنجلترا على مصالحنا ، ونعتقد أن وجود هؤلاء الجيران في المستقبل سيقلق أفكارنا كما يقلق أفكارها . وفوق هذا فإن الشعب البيروتي لا يرضى قط بهذا الابتعاد والانزواء ، وقد يضطروننا لاتخاذ تدابير جديدة قد يكون من شأنها خلق متاعب جديدة تفوق في صعوبتها المتاعب الحاضرة ، وعلى هذا لا يمكن السماح لفرنسا بالاستيلاء على قطعة صغيرة من تلك المنطقة (٥٠) .

وبسرعة وصل الرد من ماكماهون وفيه الاعتذار عما فهم الشريف من برود الرد السابق .

وانه لا يوضح أساليب التقرير الانجليزية واثباتها أمام التاريخ الذي سجل نتائج تلك المراسلات ، ينبغي أن نثبت رد ماكماهون نائب ملك بريطانيا كما سجلته الوثائق الرسمية :

(٥٠) إن هذا الجزء الذي أثبتناه هنا من رسالة الشريف حسين القوية الى ماكماهون نشر تحت رقم ٣ ص ١١ في مجلد الجامعة العربية عن الوثائق الرئيسية لقضية فلسطين مأخوذا عن النص الرسمي الذي وزعته بريطانيا في لندن أثناء مؤتمر فلسطين عام ١٩٢٩ وقد أثبتنا هنا أهم ما في الخطاب متعلقا بالحدود التي يطالب بها الحسين لدولته كشرط للثورة وهي حدود تشمل فلسطين دون شك .



« الى فرع الدوحة الحمديّة ، وسلالة النسل النبوي الحسيب النسيب ، دولة صاحب المقام الرفيع الأمير المعظم السيد الشريف بن الشريف أمير مكة المكرمة صاحب السدة العلياء ، جعله الله حرزا منيعا للإسلام والمسلمين بعونه تعالى آمين ، وهو دولة الأمير الجليل الشريف حسين بن علي ، أعلى الله مقامه .

قد تلقيت بيد الاحتفاء والسرور رقيمكم الكريم المؤرخ بتاريخ ٢٩ شوال ١٣٣٢ وبه من عباراتكم الودية المحضة واخلاصكم ما أورثني رضاء وسرورا .

انه ليؤسفني أنكم لاحظتم في كتابي الأخير وحديثي عن قضية الحدود شيئا من البرود والتردد ، مع أنني لم أكن أقصد ذلك بل كنت أود أن أقول بأن الوقت لم يحن بعد للبحث فيها بحثا منتجا ، وقد أدركت أنكم تعلقون أهمية كبرى على قضية الحدود ، وأنكم تعتبرونها من المسائل الحيوية ، فأرسلت مضمون كتابكم الى الحكومة البريطانية ، وأنه ليسرني أن أرسل اليكم البيانات التالية ، والتي أثق كل الثقة بأنها ستفوز برضاكم :

ان مرسين واسكندرونة ، وبعض الأقسام السورية الواقعة غربي دمشق وحمص وحلب ، لا يمكن أن يقال عنها انها عربية محضة ، فيجب أن تستثنى من الحدود التي ذكرتموها ، ونحن على استعداد للموافقة على تلك الحدود . أما الأراضي التي تستطيع إنجلترا فيها العمل بالحرية ، ودون أن توقع ضررا بحليفتها فرنسا ، فإن لي السلطة التامة باسم حكومة صاحب الجلالة أن أعطيكم التأمينات التالية جوابا على كتابكم :

١ - ان إنجلترا مستعدة على أساس تلك التعديلات أن تعترف باستقلال العرب ، وتقديم المساعدة لهم في الحدود التي اقترحها الشريف مكة .

٢ - تحمي بريطانيا الأراضي المقدسة من كل اعتداء خارجي وتعترف بوحدتها .

٣ - تقدم بريطانيا للعرب عند الحاجة كل مساعدة ، او نصيحة تلزم ، وتعاونهم في تشكيل افضل شكل من اشكال الحكومات في مختلف البلاد العربية .

أما ما يتعلق بولايتي البصرة وبغداد ، فإن العرب يعرفون أن مركز إنجلترا ومصالحها فيها تتطلب شكلا اداريا خاصا ومراقبة خاصة للمحافظة

على تلك الانحاء من الاعتداءات الخارجية ، وتأمين راحة واطمئنان السكان وتوحيد مصالحنا المشتركة فيها .

ورفض الشريف حسين في رده على ماكماهون أن يوافق مطامع بريطانيا في العراق ، ووافق لها مؤقتا ببقاء جزئي نظير أجر تستعين به الدولة العربية في فترة نموها ، وتتنازل فقط عن مرسين وأدنه باعتبارهما ليستا عربيتين ، ويقول عن ملاحظات ماكماهون بالنسبة لاستثناء مناطق غربي دمشق وحلب وحمص وحماه :

« أما قضية حلب وبيروت وسواحلها فهي عربية صرفة ، وليس هناك فرق بين المسلم العربي ، والمسيحي العربي ، فكلاهما من نسل واحد ، وسوف يتمتع المسيحيون بما نتمتع به من حقوق بما يتفق ومصلحة الشعب أجمع » .

وتوالت مكاتبات الحسين وماكماهون في هذا الاطار ، ولم يخطر مطلقا ببال الأول أن هناك نية مبيتة لتقسيم بلاد العرب بين فرنسا وبريطانيا ، وأن هناك تخطيطا يمكن لليهود في فلسطين ، لا سيما بعد أن أثبت ماكماهون في رسالته المؤرخة ١٤ من ديسمبر ( كانون الأول ) ١٩١٥ أن بريطانيا دونت طلبات الشريف حول الحدود لتراجعها مع فرنسا ، فرد الشريف انه لا يمكن أن يوافق على غير ذلك (٥١) .

#### ٩ - بدء الثورة العربية :

انتهت هذه المكاتبات والحسين يحلم بملك عريض وامبراطورية عربية ، وخلافة اسلامية ، وفي صباح اليوم الثاني من يونيو ( حزيران ) ١٩١٦ ، أطلق الرصاص على القلعة التركية في مكة ، وكان ايدانا ببدء صراع مرير لم تنته آثاره حتى الآن .

لقد استطاعت الحيلة البريطانية التي فاوضت الشريف الحسين أن تجعله محاربا في صفها ، وصف حلفائها الفرنسيين والروس ، وأن تدفعه ليقاقل هو وابناؤه جنود الدولة الكبرى التي كان العرب يسعون للإصلاح فيها ، ولا يهدفون الى تحطيمها .

وهكذا هاجم الأمير علي مع ستة آلاف مقاتل « محطة المحيط » ، ثم

(٥١) المصدر السابق ، وثيقتان رقم ٦ ، ٧ ص ١٩ - ٢٢ .  
وانظر ايضا محمد عزة دروزة : الوحدة العربية بيروت ١٩٥٨ ، ص ٢٣٨ .



الحسا واشتبك مع فخري باشا في صراع دموي ، واختص فيصل بطريق المدينة فتولاه بجيشه العربي .

أما عبد الله فقد كان يقيم قرب الطائف التي يوجد بها الوالي التركي غالب باشا ، وكان الجدل عنيفا بين هذا الوالي وحاشيته التي تصر على اعتقال عبد الله ، وفي يوم الجمعة ٩ من يونيو ( حزيران ) ١٩١٦ أعلن عبد الله أنه ذاهب بعد صلاة الجمعة لتأديب قبيلة التميمي وكانت قبيلة عاصية ، وطبقا للتقاليد ذهب للقاء الوالي ووداعه ، واخترق المعسكر التركي ، فاصطف الجنود والضباط الأتراك لتحية الأمير الهاشمي ، ثم خرج الوالي لوداعه أمام ضباطه وجنوده ، وتذكر الوالي ما كان يسمع من أن عبد الله ينوي مهاجمة الجيش التركي ، وظن أن من ينوي المهاجمة لا يمكن أن يأتي للوداع وبروح كلها ود واستئذان وتلطف عميق ، تذكر الوالي كل هذا فعانق الأمير عبد الله أمام الجند والضباط وتفاعلت في أحاسيسه روح الأخوة الإسلامية فبكى بكاء مرا وهو ما زال يعانق الأمير العربي وكان مشهدا مؤثرا (٥٢) .

وحين وصل الأمير خارج الطائف بادر مسرعا بتقطيع الأسلاك البرقية والتليفونية ثم هاجم الأتراك مساء في نفس « القشلاق » الذي ودع فيه الوالي ، وتبادل معه التحية والعناق .

#### ١٠ - اتفاقية سايكس - بيكو :

عندما أعلن الحسين ثورته ضد الدولة العثمانية ، وسارت جيوشه تحاصر المدن والمواني ، وتحطم في طريقها كل ما يمكن أن تستفيد منه دولة الخلافة في حربها الضروس البعيدة المدى ، كان مخدوعا بتلك الوعود وآمنا للعظمة البريطانية ، وواقفا من أنه يجب أن يسهم في نصر الانجليز ، وكان الشريف حسين يحلم أن اسهامه في هذا النصر سوف يقيم له دولة كبرى تخفق عليها الراية العربية من حدود تركيا الى سيناء ، ومن البحر الى ايران . واستمرت ثورة الحسين تعطي كل يوم لهذا الحلف نصرا جديدا ،

(٥٢) الثورة العربية الكبرى - ج ١ ، ص ١٤٦ .

وعلى حين فجأة احتل الشيوعيون موسكو في ثورتهم الدامية ، وأعلنوا تلك الاتفاقيات السرية التي عقدت أبان الحرب بين الحلفاء الثلاثة والتي وجدوها ضمن خزائن خارجية القصر الذبيح ، ويا لهول ما أوضحت تلك الاتفاقات .

بينما كانت بريطانيا تفاوض الشريف وتغريه وتعده وتمنيه طوال عام ١٩١٥ م . ، وتصدر له الرسائل من القاهرة حيث دار المعتمد البريطاني ، وبعد أن اطمأنت الى أن ثورة العرب أصبحت حتمية ، وأن سهمها التفريري قد نفذ وأصاب ، وبعد آخر خطاب (٥٣) أرسله ماكماهون الى الشريف حسين في ١٠ من مارس ( آذار ) ١٩١٦ وهو الخطاب الذي يستجيب فيه لطلباته ويعلمه معتزا بما يلي :

« يسرني أن أبلغ دولتكم أن العربان الذين ضلوا السبيل تحت قيادة السيد احمد السنوسي (٥٤) ، وهم الذين أصبحوا ضحية دسائس الأتراك والألمان ، قد ابتدأوا يعرفون خطأهم وقد هزمت هذه القوات التي جمعها الدساسون ضدنا . »

وعلى التحديد في مايو ( ايار ) ١٩١٦ كانت بريطانيا تجلس مع فرنسا للتفاوض في مستقبل البلاد العربية ، وأشرف على تلك المباحثات معتمد روسيا لتطبيق المبادئ المقررة بموجب المعاهدة الثلاثية بينهم ، ووزعت بريطانيا وفرنسا البلاد العربية على الخرائط ، ووقع عليها كل من « مارك سايكس » عضو البرلمان البريطاني والمندوب السامي لشئون الشرق الأدنى ، « والمسيو جورج بيكو » قنصل فرنسا السابق في بيروت ومعتمدها السامي

ووزعت البلاد العربية بين هاتين الدولتين ، والعرب سادرون في ثقتهم ببريطانيا ، وماضون في شحذ أسنة حراهم لمحاربة الأتراك ، والشريف آمن مطمئن لما في الحافظة من رسائل ، ولما في الرسائل من عهود ومواثيق . . ولهذا من غير الطبيعي أن يتحدث منصف عن وعود الانجليز للعرب دون أن يسجل أن النية كانت مبيتة لخلفها قبل أن تسطر نصوصها .

(٥٣) الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين ، وثيقة رقم ١٠ ص ٢٧ - ٢٨  
(٥٤) هاجم الامام احمد الشريف السنوسي بالتعاون مع الأتراك حدود مصر الغربية من ليبيا قاصدا تخفيف الضغط البريطاني على قناة السويس ، وقد احتل السليم وسيدي براني وأنزل بالانجليز خسائر كبيرة في معركته المشهورة ، وقد فشلت هذه الحملة السنوية لعوامل اقتصادية وعسكرية ليس هنا موضع شرحها . وسوف نفضلها في بحث عن ليبيا .



وفي يوم ٩ من مايو ( ايار ) ١٩١٦ تلقى وزير الخارجية البريطانية من سفير فرنسا في لندن خطابا يقول فيه :

« امرت ان ابلغكم ان الحكومة الفرنسية قبلت الحدود التي رسمت على الخرائط الموقعة من جانب السير مارك سايكس والسيو جورج بيكو ، ورضيت بالمبادئ التي دارت عليها المفاوضات بينهما » (٥٥) .

ثم أرفق بالخطاب المعاهدة المشار اليها ، أو التوزيع المسطر على الخريطة والمثبت في مواد تعطي لكل دولة منطقة نفوذ ، وتحصر الاستقلال العربي الخاضع لأشراف إحدى الدول في مناطق داخلية ضيقة ، وتمزق بلاد العرب تمزيقا كان أشنع ما عرف منذ أن انتشر العرب في منطقتهم الكبرى خلال قرون طويلة .

وانه من المهم لمن يطلع على مراسلات الشريف حسين مع مكامهون ان يطلع ايضا على النصوص الرسمية لاتفاقية سايكس - بيكو :

#### معاهدة سايكس - بيكو

في يوم ٩ من نوفمبر ( تشرين ثاني ) سنة ١٩١٥ عينت الحكومة الفرنسية جورج بيكو قنصلها العام في بيروت سابقا ، مندوبا ساميا لمتابعة شؤون الشرق الأدنى ، ولفاوضة الحكومة البريطانية في مستقبل البلاد العربية ، فلم يلبث ان شد رحاله الى القاهرة ، فاجتمع الى السير مارك سايكس النائب في مجلس العموم البريطاني والمندوب السامي لشؤون الشرق الأدنى ، وكانت المواد التي أسفر عنها الاجتماع هي :

المادة الاولى : ان فرنسا وبريطانيا العظمى مستعدتان أن تعترفا وتحميا دولة عربية مستقلة أو حلف دول عربية تحت رئاسة رئيس عربي في المنطقتين (أ) داخلية سورية ، (ب) داخلية العراق ، البينتين في الخريطة الملحقة بهذا ، ويكون لفرنسا في منطقة (أ) ولانكلترا في منطقة (ب) حق الأولوية في المشروعات والقروض المحلية ، وتنفرد فرنسا في منطقة (أ) وانكلترا في منطقة (ب) بتقديم المستشارين والموظفين الأجانب بناء على طلب الحكومة العربية ، أو حلف الحكومات العربية .

المادة الثانية : يباح لفرنسا في المنطقة الزرقاء ( شقة سورية الساحلية ) ولانكلترا في المنطقة الحمراء ( شقة العراق الساحلية من بغداد الى خليج

(٥٥) الثورة العربية الكبرى ، ج ١ ص ١٨٨ .

فارس ) انشاء ما ترغبان فيه من شكل الحكم مباشرة أو بالوساطة أو من المراقبة بعد الاتفاق مع الحكومة أو حلف الحكومات العربية .

المادة الثالثة : تنشأ ادارة دولية في المنطقة الحمراء ( فلسطين ) يعين شكلها بعد استشارة روسيا وبالاتفاق مع بقية الحلفاء وممثلي الشريف مكة :  
المادة الرابعة : تنال انكلترا ما يأتي :

(١) ميناء حيفا وعكا .

(٢) يضمن مقدار محدود من ماء دجلة والفرات في المنطقة (أ) للمنطقة (ب) وتتعهد حكومة جلالة الملك من جهتها بأن لا تدخل في مفاوضات مع دولة أخرى للتنازل عن قبرص الا بعد موافقة الحكومة الفرنسية مقدما .

المادة السابعة : يحق لبريطانيا العظمى أن تنشئ وتدير وتكون المالكة الوحيدة لخط حديدي يصل حيفا بالمنطقة (ب) ويكون لها ما عدا ذلك حق دائم بنقل الجنود في أي وقت كان على طول هذا الخط . ويجب أن يكون معلوما لدى الحكومتين أن هذا الخط يجب أن يسهل اتصال حيفا ببغداد ، وأنه اذا حالت دون انشاء خط الاتصال ( ان وجدت ) في المنطقة الحمراء مصاعب فنية ونفقات وافرة لادارته تجعل انشاءه متعذرا ، فالحكومة الفرنسية تكون مستعدة أن تسمح بمروره في طريق بربرية - أم قيس - ملقى - ايدار - فسطا مغيار ، قبل أن يصل الى المنطقة (ب) .

المادة التاسعة : من المتفق عليه أن الحكومة الفرنسية لا تجري مفاوضة في أي وقت كان للتنازل عن حقوقها ، ولا تعطي ما لها من الحقوق في المنطقة الزرقاء لدولة أخرى الا للدولة أو حلف الدول العربية بدون أن توافق على ذلك سلفا حكومة جلالة الملك التي تتعهد للحكومة الفرنسية بمثل هذا فيما يتعلق بالمنطقة الحمراء .

المادة الحادية عشرة : تستمر المفاوضات مع العرب باسم الحكومتين بالطرق السابقة نفسها لتعيين حدود الدولة أو حلف الدول العربية .

المادة الثانية عشرة : من المتفق عليه عدا ما ذكر أن تنظر الحكومتان في الوسائل اللازمة لمراقبة جلب السلاح الى البلاد العربية (٥٦) .

(٥٦) لقد تعمدا أن نسجل المواد المهمة في هذه المعاهدة السرية ونستغني عن بعض المواد التفصيلية غير ذات العلاقة بهذا الموضوع . انظر النصوص الخاصة بالبلاد العربية التي جاءت بها اتفاقية سايكس - بيكو في الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين ، وثيقة رقم ٢٢ ص ٨٤ - ٨٦ وانظر النصوص الكاملة لهذه الاتفاقية في Hureuetsz Cf. C. ; Diplomacy in the Near and Middle East 2 vols New York 1956 L 2 p.p. 18-22.



ويطلق أحد الباحثين العرب على اتفاقية سايكس - بيكو فيقول ، انها وثيقة مروعة فليست هي فحسب وليدة الجشع في أسوأ صوره حين يكون الجشع مقترنا بالريب فيؤدي الى الحماسة ، بل هي أيضا صورة مرعبة للمخادعة والمكر (٥٧) .

والحق أن اتفاقية سايكس - بيكو قد وضعت عراقيل أمام الوحدة العربية ، وعملت على تفتيت الشرق العربي الآسيوي كما أنها تعارض تعارضا صارخا مع ما كان قد تم الاتفاق عليه بين العرب والانجليز في مراسلات حسين - ماكماهون مما يجعل اتفاقية سايكس - بيكو صورة بشعة لنفاق السياسة الانجليزية تجاه العرب .

والحق أن بريطانيا وفرنسا وغيرهما من دول الصليبية الاستعمارية ، حافظتا على روح اتفاقية سايكس - بيكو التي نفذت بكل اهتمام ، وأصبح لفرنسا كامل النفوذ في البلاد السورية ، التي جزئت ليتمكن اليهود من فلسطين تحت رعاية من بريطانيا .

كما أصبح لبريطانيا كامل النفوذ في العراق وفلسطين والأردن ، ومنع السلاح عن العرب بموجب هذه الاتفاقية ، فلم تتمكن هذه الحكومات الهزيلة التي أقيمت شكلا في بعض البلدان من التسليح ، الأمر الذي ظهرت آثاره واضحة عام ١٩٤٨ حين استطاع اليهود جلب السلاح من جميع أوروبا ومن أمريكا . وحار العرب من أين لهم السلاح ؟ فقد أوصدت بريطانيا أبوابها وتبعتها فرنسا وأمريكا ، كما أوصدت روسيا وتشيكوسلوفاكيا في ذلك الوقت ، وحين باعت بعض المصانع الإيطالية كميات من السلاح للعرب ، كانت علة التساهل هو أن السلاح كان فاسدا ومدمرا لمستعمله ، لا لمن يوجه اليه ، بينما أعطي لليهود بسماع وكرم على مختلف أنواعه .

وحين وقف الرئيس جمال عبد الناصر عام ١٩٥٥ وأعلن أن احتكار السلاح قد حطم ، وأنه قد تمكن من استيراد الأسلحة الى مصر ، هاجت بريطانيا ودول المعسكر الغربي وضجوا في قلق وحيرة فقد أزعجهم أن يتمكن العملاق الذي أوصدوا عليه القمقم بالمادة ١٢ من اتفاقية سايكس - بيكو ، أن يحطم قمقمهم وأن يخرج حرا متجاهلا لهم متسلحا وبانيا لنفسه .

(٥٧) بقطة العرب ، ص ٣٥٣ .

## ١١ - تصريح بالفور لليهود ( ٢ نوفمبر ١٩١٧ ) :

هناك عديد من الرسائل والعهود تبودلت بين الشريف حسين وسير ماكماهون في سبيل استمالة العرب الى جانب بريطانيا ، ومحاربة الأتراك ، والتلويح والتعهد باقامة دولة عربية كبرى وخلافة اسلامية يرأسها عربي ، ثم تقسيم لهذه البلدان العربية بين بريطانيا وفرنسا ، ورسم خريطة توزع بمقتضاها مناطق النفوذ ، وخلق كيانات عديدة موزعة ضعيفة .



اللورد بالفور صاحب الوعد المشؤوم

كل هذا يحدث وبريطانيا تخطط لمستقبل بعيد ، وتستهدف بتخطيطها سلخ جزء مهم من الوطن العربي ، واقامة « اسفين » وسط البلاد العربية ، وخلق نقطة ارتكاز ينطلق منها الاستعمار وتستنفد جهود العرب ، تصرفهم عن البناء والانشاء ، وتسعى لتحطيم كياناتهم والتهام أوطانهم .

وبالفور وزير الخارجية الذي أرسل برقية مهمة الى الحسين والتي يتعهد فيها بحرية العرب والحفاظ على أوطانهم (٥٨) كان هو نفسه ذا الوجهين الذي أعطى وعده المشهور لليهود في ٢ نوفمبر ( تشرين الثاني ) ١٩١٧ ، بانشاء وطنهم القومي في فلسطين ، وكان بداية المعركة التاريخية التي خاضها شعب فلسطين وحده .

وقد صاغ وعده في العبارات التالية :

« عزيزي اللورد روتشيلد

(٥٨) انظر وعد بالفور للعرب في الصفحات التالية من هذا الكتاب .



ان حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف الى اقامة وطن قومي في فلسطين للشعب اليهودي وسوف تفرغ خير مساعيها لتسهيل بلوغ هذه الغاية ، وليكن معلوما أنه لا يسمح باجراء شيء يلحق الضرر بالحقوق المدنية والدينية التي للطوائف غير اليهودية الموجودة في فلسطين الآن ، أو بالحقوق التي يتمتع بها اليهود في البلدان الأخرى وبمركزهم السياسي فيها (٥٩) .

## ١٢ - تفصيل بالفور للعرب :

ان اتفاقية سايكس - بيكو التي أبرمتها بريطانيا في مايو ( ايار ) ١٩١٦ لم يعلم بها العرب ، ولم تدع نصوصها ، ولا كان من المقدر أن تعرف ، لولا اندلاع الثورة الشيوعية التي أرادت أن تعلن كل أسرار الحرب والاتفاقات السرية بين الدول الثلاث .

وسرعان ما تلقفتها تركيا ، وسارع أحمد جمال باشا قائد القوات التركية في الشام الى ايفاد رسول الى العقبة في الأسبوع الأخير من نوفمبر ( تشرين الثاني ) ١٩١٧ ، وكان يحمل رسالتين مؤرختين في ٢٦ من نوفمبر ( تشرين الثاني ) احدهما مسهبة الى الأمير فيصل والأخرى موجزة الى جعفر باشا ، وقد ذكر جمال باشا في رسالتيه أن فيصل وأباه قد ضللتها الوعود التي أعطتها بريطانيا باستقلال البلاد العربية ، وأكد أن بريطانيا وفرنسا قد وضعتا مخططا استعماريا خطيرا لاقتسام البلاد العربية وقال ان الواجب الديني يدعو فيصل وأباه الى العودة الى حظيرة دولة الخلافة الاسلامية .

ووجه الدعوة الى فيصل كي يحضر الى دمشق آمنا مطمئنا لعقد اتفاق ينص على اعطاء الولايات العربية في الدولة العثمانية استقلالاً ذاتياً تتحقق به جميع الأمن القومي للعرب ، وأن سلطان تركيا وامبراطور المانيا يضمنان الاستقلال ، وأن ينضم العرب الى الأتراك في محاربة القوى الاستعمارية التي تريد التغلغل في البلاد العربية .

وخلص جمال باشا من هذا العرض الى القول بأنه جدير بالزعماء العرب الا يخدعوا أنفسهم ، وألا يخونوا الأمانة ، وعليهم أن يدركوا أن التعاون مع بريطانيا وحليفتها سيجر البلاد العربية الى المذلة والمهانة ، والاستعباد ، على يد بريطانيا وفرنسا وروسيا .

(٥٩) دكتور محمد حافظ غانم : المشكلة الفلسطينية على ضوء احكام القانون الدولي من مطبوعات معهد الدراسات العربية العالية التابع لجامعة الدول العربية القاهرة ١٩٦٥ ص ٥٨ .

ولما تلقى فيصل هذه الرسالة أحالها الى والده في الحجاز فقد كان هو المرجع الأعلى في مثل هذه المسائل المهمة .

ولا ريب أن الشريف تأثر جدا بهذه الاتفاقية التي فوجيء بها ، ولكنه لم يفكر مطلقا في امكان خلع المحالفة المعقودة مع بريطانيا ، ولعله اعتقد ان خطاب الأتراك وما صاحبه ليس الا خدعة يراد بها اضعاف جانب أعدائهم .

ويظهر أن الحركة العربية آنذاك كانت حركة مرتجلة غير مدروسة ، وإن الشريف كان يحتاج الى هيئة عربية مليئة بالعلم وغنية بالثقافة ، يعود اليها وتمده بالرأي والمشورة ، ذلك أنه لو كانت هناك هيئة عربية عليمه أو قيادة سياسية مدركة ، لأتخذ الحسين طرقا عديدة للتأكد من صحة تلك الاتفاقية أو عدمها ، ولبنى قراره على ما يتضح بعد ذلك ، ولما أقدم على بعث تلك الرسالة التركية التي تعد العرب بالدولة الاتحادية وتكشف لهم نوايا حلفائهم المخادعين الى سير ريجنالد ونجت المندوب السامي البريطاني في مصر وقتذاك ، وطلب منه تفسيراً عن هذه الاتفاقية السرية ، وشعر الأخير بحرج كبير ، ولم يجد مخرجاً من هذا المأزق الا أن أحال بدوره الموضوع الى وزارة الخارجية البريطانية التي ما كادت تتسلم رسالة الحسين حتى أدركت أن ذلك الميدان الحربي الكبير الذي أثقل كاهل تركيا والذي خفف عن بريطانيا وحلفائها ونصرهم ، يوشك أن ينقلب فيه ميزان القوى ، وخشيت أن يعقد العرب صلحا منفردا مع الأتراك ويقبلوا ذلك العرض المهم القوي ، فشاء وزير الخارجية ارثر جيمس بالفور صاحب الوعد المشهور أن يوغل ابغالا بعيدا في خديعة العرب ، وأبرق الى الملك حسين ينكر وجود معاهدة معقودة ، بل أن ما وجده البولشفيك في وزارة الخارجية الروسية لم يكن سوى محادثات مؤقتة بين إنجلترا وفرنسا وروسيا في أوائل الحرب وقبل قيام الثورة العربية ، واتهم جمال باشا بالخبت والجهل (٦٠) .

على أن بالفور لم يفتن بهذه البرقية ، بل قرنها بمذكرة رسمية حررت باللغة العربية ومؤرخة في ٨ من فبراير ( شباط ) ١٩١٨ عهد الى الكولونيل باست المقيم البريطاني في جدة برفعها الى الحسين ملك الحجاز ، ويحسن بنا اثبات صورتها الزنكوغرافية هنا :

(٦٠) حافظ وهبة : جزيرة العرب في القرن العشرين ، ص ٣٢٦ .



كتاب الكولونيل باست الى المرحوم الملك حسين

الشتمل على نص برقية اللورد بالفور وزير الخارجية البريطانية

ص ١٩١٨ - ١٢٤٧ / ١٩١٨  
 جعلوا صاحبة السيادة العظمى تحت المحاكمة باسمه مكر وادعوا العظمى  
 بدينها بما يجمع بينه وبينه ١٩١٨ والنوفى قد ابدى حياء خاصة انك جعلوا لك  
 ابد المفعول بكم البرقية النور وصلت الى الخامسة من ظهيرة الخامسة البرقية  
 بانه قد غنونا مكره مكره لك انما به العظمى باسم جعل لكم وهذا  
 بالمرحمة المرحمة

انه الغنى والصراحة التامة التي اتخذوها جعلتكم في ايديكم الثورات  
 التي اسفل القائد الذي في سوريا الاسد الذي جعله وصفي بشار الاحباب  
 فخامة نائب جريدة الفتاة كانه لها اعظم انوار المحسن لدى كلوه جريدة  
 ملكة بريطانيا العظمى واد الاصحوات التي اتخذوها جعلتكم في هذا الصدد  
 لم تكتفوا منكم بغير تلك الصداقة والصراحة التي كانت دائما شا هداية  
 بكم كونه الحكومة الحجازية وكموه جريدة ملكة بريطانيا العظمى والارمن  
 اني دليل ان السياسة التي تنس على تركيا هي ايجاد الارتباب وكم تكتف بكم  
 دول الحلفاء والعرب الذين هم تحت قيادة وعظيم ارشاداء جعلتكم قد لا  
 الهمة الشما ليتفروا باعادة صيرتهم القديمة ان السياسة التركية لا تقا  
 تفرس ذلك الارتباب بانه تفرس للعرب انه دول الحلفاء وزعموه في  
 الاراضي العربية وتلق باذهامه دول الحلفاء انه يكتف رجا في نفسه على قسوم  
 وكما اقوال الدراسه لن تقدي هم ايجاد الشقا به به الذي اتجرت  
 عقولهم الى فكر واحد وغرض واحد

تذكر وعدها التي تضمنت تحرير الاسم العربي وانه ستكون جداره ملك بريطانيا العظمى  
من ملك بريطانيا العظمى فتمسكت ملك سياسة التمسير وتقدمت  
سرعين على كل استجابة ولهم ما يحفظ العرب الزمير بحرب وانه  
الخطوط وقعة الدمار وتساعد العرب الذين لا يزالون تحت نير الظلمه  
لبنائهم همتهم (انتهى)  
والخاتام النسي قبل خلاص النيات وعظم ارجاسا مع والتمنيات

وإن الكتاب الذي فيه خبره هو كتابي  
وإن الكتاب الذي فيه خبره هو كتابي  
وإن الكتاب الذي فيه خبره هو كتابي

فيقول : « أن عرض الصلح الذي قدمه الأتراك أثار شكوكا في ذهن الملك

- 72 -

حسين ، فسمى ليتحقق من أمر تلك الشكوك بالطريقة الوحيدة التي يسلكها رجل شريف ، ذلك بأن عرضها على حلفائه ، وكان الرد الذي تسلمه منهم يهدف بوضوح الى مخادعته ، لا لأنه رد حاد عن صلب الموضوع فحسب ، وتجنب الإجابة على هذا السؤال هل صحيح أن الحلفاء عقدوا اتفاقات سرية ذات أثر في تدبير البلاد العربية في المستقبل ؟ بل لأنه كان ردا مطويا على المخادعة والفسخ اذ كسا التهرب من الإجابة لفة توحى بأن مثل تلك الاتفاقات لم تعقد ابدا ، وتقبل حسين هذه الرسالة الماكرة على ظاهرها ، وقعد مستريح البال لأن إيمانه بالمعاملة النزيهة في مفايس الخلق الانجليزي لم يكن قد تزعزع بعد (٦١) .

(٦١) يقظة العرب ، ص ٣٦٤ .



## الوفاء ... في أوربا

« اليوم أنتهت الحروب الصليبية »

اللورد النبي قائد الجيش البريطاني يوم  
احتلال القدس ١٩١٧

« أصبحت يوم ٢٠ يونيو ١٩١٦ وأنا أمام ثورة الشريف التي كانت  
ضربة قاضية على حملة القناة »

مذكرات جمال باشا قائد الجيش التركي

« أشارك الجيش العربي في تمزيق شمل الجيش الرابع والجيش  
السابع والجيش الثامن من العثمانيين ، واحتل مع الحلفاء دمشق وحلب  
في منتهى الجراة والاقدام »

كليمنصو وزير خارجية فرنسا ١٩١٩

« ها نحن عدنا ثانية يا صلاح الدين »

الجنرال غورو الفرنسي واضعا رجله على ضريح  
البطل في دمشق ١٩٢٠

« عرضت علي الحكومة البريطانية معاهدة عدلتها بحيث ينص فيها  
على استقلال فلسطين وجعلت وعد بالفور في حكم أنه لم يصدر ، وإذا لم  
تقبل الحكومة البريطانية هذه التعديلات فلا يمكن أن أقبل المعاهدة »  
منشور الحسين لشعب فلسطين ١٩٢١

« ان حكومة بريطانيا تصر بالحاح بوجوب مغادرتكم العقبة ولا يمكنها  
أن تسمح لكم بالبقاء أكثر من ثلاثة أسابيع . »

من حكومة بريطانيا الى الشريف حسين  
أخذته الى قبرص ١٩٢٢

« من الذي دفع اليهود وشجعهم على احتلال فلسطين وقضى على  
الشعب العربي ، انها بريطانيا ، هي الداء وهي البلاء الأول » .  
جمال عبد الناصر - ١٩٥٣

قم تحدث أبا علي الينا كيف غامرت في جوار الأرقام  
قد رجونا من المغانم حظا ووردنا الوغى فكنا الفنائم  
من رثاء شوقي للشريف حسين

## الفصل الثاني

### بعض النتائج السريعة للثورة العربية

١ - روح صليبية صهيونية عنيفة :

وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها في نوفمبر ( تشرين ثاني ) من  
سنة ١٩١٨ ، وكانت جيوش الانجليز قد دخلت القدس في أواخر ١٩١٧ ،  
وهناك ترجل اللورد النبي القائد البريطاني ماشيا الى قلب المدينة ، كأنه  
يحاول التشبه بما فعله الخليفة العادل عمر بن الخطاب منذ أكثر من ألف  
عام ، وعندما أشرف النبي على كنيسة القيامة المسيحية قال :  
« اليوم أنتهت الحروب الصليبية » .



النبي القائد البريطاني يترجل في خطواته الأولى بالقدس ١٩١٧  
ويعلن انتهاء الحروب الصليبية .



ولقد كشفت هذه العبارة التي إلقاها القائد البريطاني على أن ما يضره في نفسه يخالف كثيرا ظواهر الأحوال في اتفاقيات الشريف ومكماهون ، ويخالف أيضا تلك المنشورات (١) التي كانت تلقىها بريطانيا على أراضي فلسطين وفوق مدنها ، معلنة أنه تم فعلا الاتفاق مع الشريف حسين لتحرير العرب ، وبناء دولتهم الجديدة ، ويخالف أيضا مقتضيات اللياقة والمجاملة للشعب الذي يسكن تلك البقعة ، فقد كان الشعب الفلسطيني يبلغ قرابة سبعمائة وخمسين ألف (٢) نسمة منهم ٦٠٠ ألف عربي مسلم ، ومائة ألف عربي مسيحي ، وخمسون ألف يهودي .

وكانت واجبات الأدب والعدالة تقتضي أن يشيد النبي بجهود العرب التي خففت ثقل الحرب على دولته وأن يقوي أمل الشعب في حريته ، ولكن النبي كان يترجم عما في عقله الباطن من أن الحرب التي اشتعلت نارها عام ١٩١٤ والتي زجت دولته بالعرب فيها ليحاربوا دولة ارتبطوا معها طويلا ، وكانوا أحد أركانها المهمة القوية ، إنما كانت حربا تستهدف تحطيم العرب والأتراك على السواء ، مع توزيع أوطانهم وتمزيق كياناتهم ، هادفة إلى احتلال أراضيهم والاستيلاء على خيراتهم ، وإبعادهم عن ركب الحضارة عهودا طويلة .

وإذا كان وعد بلفور قد جاء إعلانا صريحا عما يبيتته الانجليز متعاونين مع الصهيونية ، من عمل شرير ضد هذه المنطقة العربية ، فإنه من صدق القول أن نسجل اعتبار هذا الوعد وتحقيقه غاية ووسيلة في ذات الوقت ، فهو وسيلة ترسم فيها غايات الصهيونية والصليبية الاستعمارية لخلق جسم غريب في قلب ديار العرب والاسلام ، وهو غاية باعتباره صورة لتحطيم الدولة العثمانية التي كانت تجمع العرب والأتراك في وطن كبير واحد .

« فقد راع أهل الغرب عامة والانجليز خاصة ما بلفته الامبراطورية العثمانية من مكانة وشوكة في القرنين السابع عشر والثامن عشر ، ووجدوا فيها عقبة كأداء تقف في طريق توسعهم واستعمارهم ، وكذلك هال أهل الغرب قيام الخلافة الاسلامية في استانبول ، وبعث نفوذها العظيم في ديار المسلمين التي كانوا يطمعون في الاستيلاء عليها واستعمارها ، فثارت في نفوس الغربيين « العصبية الصليبية » والروح الاستعمارية ، وصار هدفهم تقويض تلك الامبراطورية والقضاء على الخلافة الاسلامية (٣) » .

(١) بحوث مؤتمر فلسطين في لندن ١٩٣٩ .

(٢) يقول السفري ٦٠٠ ألف ، منهم ٥٣ ألف يهودي .

(٣) أميل الفوري : المؤامرة الكبرى واغتيال فلسطين ومحق العرب ، القاهرة ١٩٥٥ ، ص ١٨ .

على أن هذا العدوان المبني لم يكن مرتجلا ، بل لقد أسهمت كل الدول الصليبية في دراسته والاعداد له منذ تاريخ بعيد ، ولعل ذلك المؤتمر الاستعماري الذي عقد عام ١٩٠٧ ونتج عنه تقرير خطير يسمى تقرير « كامبل بانرمان » رئيس وزراء بريطانيا آنئذ ، لعل ذلك التقرير يوضح لنا صورة المؤامرة وفداحتها ، فقد تنادت الدول الاستعمارية المعروفة في تلك الأيام ، وفي مقدمتها بريطانيا وفرنسا وهولندا واسبانيا وبلجيكا والبرتغال وايطاليا إلى مؤتمر دولي دعت إليه الحكومة البريطانية واقترحت أن يكون على مستوى الحلقات الدراسية ، وأن تمثل فيه الدول المختلفة بخبرائها وأساتذتها الجامعيين ...

وقد تضمن تقرير ذلك المؤتمر : أن الخطر الذي يهدد الاستعمار الغربي يكمن في البحر المتوسط والذي يقيم على سواحل الشرق الجنوبية شعب واحد يتميز بكل مقومات الوحدة والترابط ، وبما في أراضيهم من كنوز وثروات ، تتيح لأهلها مجال التقدم والرقي في طريق الحضارة والثقافة .

وأوصى التقرير لمواجهة هذا الخطر بأن تعمل الدول الاستعمارية على تجزئة هذه المنطقة والابقاء على تفككها .. واقترح كوسيلة عاجلة العمل على فصل الجزئين الأفريقي والآسيوي في هذه المنطقة أحدهما عن الآخر ، واقامة حاجز بشري قوي وغريب في نقطة التقاء الجزئين ، يمكن للاستعمار أن يستخدمه أداة في تحقيق أغراضه (٤) .

وتقول اللجنة الملكية البريطانية في تقريرها المنشور عام ١٩٣٧ :

« عندما صحت النية على زحف الجيوش البريطانية على فلسطين شهر فبراير ( شباط ) ١٩١٧ فتح باب المفاوضات الرسمية بين الصهيونية والحكومة البريطانية ، وتلتها مفاوضات أخرى بينهم وبين الحكومة الفرنسية والايطالية ، فتمت الموافقة رسميا على المشروع الصهيوني في باريس وروما كما تمت في لندن ، وأرجىء نشر هذه الموافقة حتى أواخر أكتوبر ( تشرين الأول ) ١٩١٧ » .

وكان نص تصريح بالفور قد عرض قبل نشره على الرئيس الأمريكي وأقرن بموافقته (٥) .

ولقد بلغ من تجلي معنى الصليبية أن أجراس الكنائس في برلين قد

(٤) خيرى حماد : التطورات الأخيرة في قضية فلسطين ، الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٤ ، ص ٢٦ .

(٥) الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين ، ص ٨٧ .



دقها حراسها فرحا يوم دخول (٦) النبي القدس ، وبرلين هذه هي عاصمة المانيا الحليفة العسكرية لتركيا، بل يقول محمد كرد علي أن الكنائس جميعها في قلب القدس قد أعلنت ابتهاجها ذلك اليوم ، بما في ذلك كنائس الألمان ، وهكذا ينسى الأعداء خصومتهم السياسية واندحارهم العسكري تحت لواء تمكن الصليبية الاستعمارية من القدس .

وكان البابا في روما قد دعا أتباعه في العالم بأسره وكثيرون منهم ألمان ونمساويون ( في الدول المحاربة مع تركيا ) أن يقدموا الشكر لله بمناسبة احتلال القدس ، وينهاهم عن السعي لاعادتها الى تركيا (٧) .

يقول صاحب كتاب « الصليبية الجديدة في فلسطين » أن الدول الأوروبية أجمعت كلها على هدف واحد ، برغم ما بينها من تباين آراء وتضارب مصالح وهو القضاء على الامبراطورية العثمانية ، وادعوا أن الأتراك المسلمين يضطهدون المسيحيين ، وأن هذه الدولة تقوم على عنصر ديني ، وتستهدف استئصال المسيحيين من سائر القارة الأوروبية إذا تسنى لها ذلك ، وعلى هذه الصورة امتدت أصابع الاستعمار الغربي الى صميم الشرق العربي رويدا رويدا ، وقد رأينا جيوش الصليبية الجديدة تفر سواحل البلاد العربية ، وقد حاولت أن تستغل حركة التحرر العربي، حتى إذا تم لها الفتح وساعدها سكان البلاد كثرت عن أنيابها ، ووقفت تقول للشعوب العربية : أنتم جزء من الفنائم والأسلاب ، لا شركاء في الظفر والفتح (٨) .

ولقد كان تحطيم تركيا وإخراجها من الأستانة وأوروبا هدفا لم يخفه كثير من رجال الانجليز ، يقول جيمس بالفور صاحب الوعد الصهيوني المشهور في خطاب له : « لقد زال اليوم من تركيا وهي تحت سلطة الألمان كل مظهر سلمي وظهرت للعيان أنها آلة قتال وخراب ، ونحن نؤمل أن إخراج تركيا من أوروبا لا يكون مفيدا للسلم فقط بل لتنفيذ واسترداد سائر الممتلكات التي فقدتها الحلفاء (٩) .

وذلك سير وليم رمسي البريطاني المعروف يكتب مقالا أثناء الحرب يندد بالأتراك وينادي بإخراجهم من أوروبا ثم يقول : « ان سيادة تركيا

(٦) من بيانات الأمير شكيب أرسلان الذي كان يقيم ببرلين عام ١٩١٧ - ١٩١٨ .

(٧) مجلة الكوكب القاهرة عدد ٧٤ الصادر في ٢٥ من ديسمبر ١٩١٧ .

(٨) وديع تلحوق : الصليبية الجديدة في فلسطين ، دمشق ١٩٤٨ ، ص ١٧ - ٢١ .

(٩) مجلة الكوكب عدد ٢١ الصادر في ٢٧ من فبراير ١٩١٧ .

على الأستانة عار على المدنية يجب محوه (١٠) »

وإذا كانت هذه هي صور المؤامرة الصليبية منذ بعيد ، فقد أصبح منطقيا أن يعلن القائد البريطاني انتهاء الحروب الصليبية يوم دخل القدس ، أي أنه أعلن بذلك هزيمة العرب والمسلمين منذ أن انتصروا تحت لواء صلاح الدين وأمثاله من الإبطال .

وهكذا تجاهل النبي أصحاب البلاد الشرعيين الذين عمروها قبل المسيح وبعده ، والذين لازموا تاريخها منذ أن كانت فلسطين أرضا للكنعانيين العرب ، وقبل أن تطأها أقدام اليهود العابرة في غابر الأزمان .

وهكذا دخل النبي القدس وهويتمطي وعد بالفور الذي أعطى لليهود بإنشاء وطن قومي في فلسطين ، واليهود يومئذ أقلية ضئيلة فيها ، ذلك الوعد الذي لم يشر الى السكان الطبيعيين في فلسطين الا واصفا لهم بأنهم طوائف أخرى ، على ما في هذا التعبير من التجاهل للحقيقة والمغالطة فيها، فكانما اليهود البالغ عددهم خمسين الفا عام ١٩١٧ هم الأكثرية في نظر بالفور وحكومته ، وكأن العرب الذين يقارب عددهم اثني عشر ضعفا لعدد اليهود هم طائفة فقط لا كيان لها ولا مكان .

ولقد كان النبي صادقا في تعبيره عن انتهاء الحروب الصليبية يوم دخوله القدس ، فقد كان الوعد الذي دخل القدس ، مؤثرا به يمثل تماما تحالف الصليبية الاستعمارية مع الصهيونية العالمية ضد المسلمين والعرب في فلسطين ، بل في كل أوطانهم . فلقد ثبت أنه ما كاد يذاع ذلك الوعد الذي وصفه الرئيس جمال عبد الناصر : « وعد من لا يملك لمن لا يستحق (١١) : ما كاد ينشر بجريدة الجوش كرونكل اليهودية في ٦ نوفمبر ( تشرين ثاني ) ١٩١٧ ، وتذيعه رويتر في العالم يوم ٨ نوفمبر ( تشرين ثاني ) حتى أسرع فرنسا بتأييده .

وفي يوم ١٤ من فبراير ( شباط ) ١٩١٨ صدر في باريس بلاغ رسمي (١٢) يقول :

« استقبل المسيو ستيفان بيشون وزير الخارجية المسيو سوكولوف ممثل الجمعيات الصهيونية ، فأعرب عن ارتياحه الى التضامن المشهود بين

(١٠) المصدر السابق العدد الصادر في ٦ من مارس ١٩١٧ .

(١١) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر للرئيس كنيدي ١٧ من أغسطس ١٩٦١ .

(١٢) الثورة العربية الكبرى ، ج ٣ ص ٤٥ .



الحكومتين البريطانية والفرنسية في قضية اسكان اليهود في فلسطين » .  
وفي ١٩ من مايو ( ايار ) ١٩١٨ اتصل الرئيس امبريال سفير ايطاليا  
في لندن بالمستر سوكولوف ، معربا له باسم ايطاليا عن استعدادها لتسهيل  
العمل الخاص باتخاذ فلسطين مقرا لليهود .

وفي ٣١ من أغسطس ( آب ) ١٩١٨ تقدم الرئيس ولسون صاحب  
مبادئ حقوق الانسان التي خدعت كثيرا من الشعوب ، فأعرب للحاخام  
ستيفان وايز الصهيوني الكبير عن ارتياحه الى النجاح الذي أدركته  
الصهيونية ، وعدّ ذلك موافقة ضمنية على وعد بالفور .

وفي ٣٠ من يونيو ( حزيران ) ١٩٢٢ أصدر الكونجرس الامريكي  
بالاجماع قراره التالي :

« ان الولايات المتحدة الأمريكية تجبذ انشاء وطن قومي للشعب  
اليهودي في فلسطين ، على أن يعلم بجلاء أنه سوف لا يعمل شيء من شأنه  
أن تمس الحقوق الدينية والمدنية للمسيحيين والطوائف غير المسيحية  
الأخرى في فلسطين » .

وقبل ذلك اعترفت الصرب واليونان وغيرهما بوعد بالفور هذا .

## ٢ - تفتيت الوطن العربي الآسيوي :

وهكذا بدأ الشريف حسين يشهد النتائج العملية لتلك الثورة العارمة  
التي قاد فيها الشعب العربي الى الحرب في جانب بريطانيا وحلفائها ،  
وبدا أيضا يلمس مقدار الصدق في كلمة الانجليز ووعودهم .

ولم تمض مدة طويلة حتى رأى بعينه وسمع بأذنيه ، ما فعلوا في  
سوريا التي ضمنوها له ضمن ملكه الموعود .. اذ أطلقوا يد فرنسا فيها ،  
وشجعوها على قتل الاستقلال الوليد تطبيقا لاتفاقية سايكس - بيكو السرية ،  
ولقد رضح فيصل الملك العربي في سوريا لمطالب فرنسا وانذاراتها المرسلة  
له من الجنرال غورو في لبنان ، وكانت كل موافقة منه ومن حكومته السورية  
على مطلب فرنسي تلاحق بمطلب جديد ، امعانا من حلفاء العرب في اشاعة  
روح الاذلال والهوان بينهم ، وتصغيرا لاستقلال العرب واحتقارا لهم .

وابت فرنسا الا ان تتخذ الحل المبني في مخططها ، فرحفت بجيوشها  
تقاتل وتدمر ، وفيصل يحاول أن يعيد السلام ، وأن يستنجد برأي الانجليز  
ويتقوى بهم ، ولكن الانجليز ينصحون بالخضوع لفرنسا والاستسلام لها ،  
وينصرفون عن معاونته ويسحبون قواتهم لتتمكن فرنسا من الاحتلال .

وما أن قرر الملك وحكومته الحرب حتى تحطم الجيش العربي في  
« ميسلون » فطاردت فرنسا فيصلا ومنعته من البقاء في أي أرض سورية ،  
وفي آخر معقل له في حوران تسلم انذارا موقعا عليه من الحكومة السورية  
التي اقامتها فرنسا « أن أخرج من سوريا » ، فغادرها مهزوما ، وبريطانيا  
الحليفة سادرة في برنامجها لانشاء الوطن القومي اليهودي في أرض العرب ،  
وحمايته بتحطيم كل حكم عربي من حوله .

ويعيد التاريخ نفس الصورة العدائية التي سجلها في القدس ، فيقف  
القائد الفرنسي المتعجرف جنرال غورو على قبر صلاح الدين الذي حطم  
الصليبية يوم حطين ، ليعلن بصوته أمام قواده واضعا رجله على ضريح  
البطل : « ها نحن عدنا ثانية يا صلاح الدين » .

ومرغت فرنسا متفقة مع الانجليز وجه حلفائهم العرب في التراب ،  
وأصدر قائدها الذي عاد الى قبر صلاح الدين أوامره :

(١) أن ينزع سلاح الجيش السوري ، ويحول الى قوة بوليس ، وتسلم  
أسلحته كلها الى الجيش الفرنسي غنيمة حربية .

(٢) أن يسلم كبار المدنيين ليحاكموا أمام المحاكم العسكرية .

(٣) الفاء حكم الملك فيصل ، ونزع سلاح الاهالي ، وأن يقدموا عشرة  
آلاف بندقية الى الجيش الفرنسي .

(٤) أن يدفع الشعب السوري عشرة ملايين فرنك غرامة حربية الى  
فرنسا . ونفذت كل هذه المطالب .

ورأى الحسين ما تم في لبنان الذي سبق أن تمسك به في رسائله مع  
ماكماهون ، وقرر آنذاك أنه سوف يعيد النظر بعد انتهاء الحرب في بقاء  
فرنسا هناك ، رأى كيف أعملت فرنسا الرصاص في رجاله ، وكيف ملأت  
السجون بزعمائه ، عاملة على فرنسته والبقاء فيه الى الأبد ، وبريطانيا  
موافقة راضية ، كأنها لم تخط حرقا ، ولم تعط وعدا .

ورأى الحسين ما تم في العراق الذي سبق أن شملته رسائله مع  
الانجليز ، والذي رضي أن تبقى بريطانيا في جزء منه مؤقتا ، نظير أجر  
يساعد الدولة المرتقة فقد دخلته جيوش الانجليز وأعلن قائدهم « ان امنية  
مليكه وامنية حلفائه أن يعود العراق كما كان في السابق مخصبا ، وكان



العالم يتغذى من البان آدابه وعلومه وحرفه (١٣) .

ولكن هذا البيان لم يكن الا اضافة جديدة لتلك الوعود المخلوقة ، فما كادت تستقر لهم الأمور حتى عسكروا فيه محتلين ، ومتناسين الاستقلال بل لم يكد يجف ذلك المداد الذي سطر به المنشور السابق حتى أعلن الحاكم البريطاني منشورا خطيرا في ١٩ من نوفمبر ( تشرين ثاني ) ١٩١٨ :

« لا يمكن للذين لم يحصلوا على اختبار عملي في الأمور احرار كل ذلك مرة واحدة ، بل يرقون اليه تدريجيا ، وطبقا لهذه (١٤) الخطة تقرر أن ينشأ في بغداد مجلس بلدي يعين أعضاؤه بمرتبات حكومية ، وتحت رعاية الحاكم البريطاني ، ويختص بالأسعاف والمستشفيات والصحة والنظافة في ميزانية قدرها ٥٠٠ روية » .

ثم بدأ الانجليز الحلفاء يحاولون أخذ الموافقة من شعب العراق على تعيين السير برسي كوكس معتمد بريطانيا في الخليج رئيسا للدولة العراقية المرتقبة ولقد كاد الانجليز أن يصلوا الى بغيتهم ، فوقع بعض النفوس لهم مستندات تنادي بذلك الانجليزي رئيسا للدولة ، ولولا نقطة عرافية كان الدين الاسلامي أهم عوامل نجاحها ، لثم لبريطانيا ما أرادت ، ذلك أنه بينما استعمل الانجليز دسائسهم وأساليبهم لأخذ التواقيع العديدة ، ووسط حيرة الشعب العراقي لهذه الجراة الخطيرة ، أرتفع صوت الاسلام ينادي به الحجة محمد تقي الدين الشيرازي :

« ليس لأحد من المسلمين أن ينتخب أو يختار للأمانة أو السلطنة على المسلم غير المسلم (١٥) »

وعلى الرغم من فشل المخطط البريطاني فقد دفع الشعب العراقي اعدادا هائلة من الشهداء قبل أن يتحقق استقلاله أو يجاب الى غايته الحرة .

وهكذا شهد الحسين في العراق خيبة الأمل التي تجسمت من قبل في ديار الشام ، فأوفد المندوبين الى بريطانيا وأرسل الخطابات والبرقيات عسى أن يثير فيها همة ، أو يعيد لها منة ، ولكن كل هذا ذهب وراح بلا طائل .

(١٣) الثورة العربية الكبرى ج ٢ ص ١١

(١٤) المصدر السابق ص ١٦ .

(١٥) الثورة العربية الكبرى ، ج ٢ ، ص ١٩ .

وتم لبريطانيا ما أرادت من تمزيق عهدها للعرب ، وتقسيم الوطن العربي بينها وبين حلفائها ، وأصبحت الدولة المرتقبة نهبا مقسما ، ولا بد لهذا الجسم المهدود من اجراء المشرط خلاله ، لا لملاجه ، ولكن لضعافه وتجزئته وتمكيننا للاستعمار فيه .

ففصلت فلسطين عن أمها سوريا (١٦) ، وكانت تمثل جزءها الجنوبي ، وقسمت سوريا الباقية الى حكومات في حلب وجبل الدروز ودمشق والعاليين ولبنان ، وأعطى لكل قسم من هذه الأقسام قدر كاف من المشكلات ليتلهى فيه ويشغل به ، وكان أكثر هذه المشكلات صعوبة وأخطرها شرا تلك التي حددت لفلسطين ، من فتح أبوابها لهجرة يهودية ، وتهيئتها بكل السبل لتكون دولة لليهود وسط بلاد العرب .

### ٣ - الحسين يصير على عروبة فلسطين :

وماذا بقي أمام بريطانيا ؟ لم يبق الا الحسين نفسه في ملكه بالحجاز ، فأوفدت له في أواسط عام ١٩٢١ « لورانس » مستشار فيصل في ثورته العارمة ، يعرض على حد تعبيره تسديد الدين على مراحل ، وقد صاغت له لندن معاهدة للصدقة ، يعترف فيها بوضع خاص للانجليز في فلسطين ، وبكل عهودهم فيها .

ورفض الحسين توقيعها رغم اصرار الكثيرين ، ومنهم أسرته ، وعاد لورانس يلح في الموافقة ، وعاد الحسين يجدد القسم بالرفض (١٧) .

ومضت الأيام في محاولات بريطانية عديدة بددها الحسين بآخر تصريحاته :

« لقد عرضت علي الحكومة البريطانية معاهدة ، وجدت في بعض موادها ما لا يتفق مع العهود المقطوعة لي ، فعدلت المعاهدة تعديلا هاما ينص فيه على استقلال فلسطين استقلال تاما مطلقا يخول الفلسطينيين ادارة بلادهم بأنفسهم واختيارهم طريقة الحكم التي يريدونها ، وبذلك جعلت وعد بالفور في حكم أنه لم يصدر ، وقضي عليه بالموت ، وأؤكد أنه اذا لم

(١٦) يقول الوزير البريطاني الصهيوني هربرت صمويل انه هو الذي سيجب بفصل فلسطين

عن سوريا وذلك في برنامجة المقدم للوزارة البريطانية عام ١٩١٤ . انظر الصفحات

التالية من هذا الكتاب .

(١٧) الثورة العربية الكبرى ، ج ٣ ، ص ١٥٩ .



تقبل الحكومة البريطانية التعديلات التي طلبتها فلا يمكن أن أوقع  
المعاهدة (١٨) .

وبعد ، فقد صحا الحسين على غدر الإنجليز ، وهو يرفض اقرار وعد  
بالفور ويتمسك بفلسطين ، اذن فهو يرفض المعاهدة مع بريطانيا الا أن  
تكون كما يريد .

وبدا السعوديون يهاجمون الحجاز فقد كان الخلاف بينهما مستمرا  
منذ أمد ، وأخذت قواعده تهوى واحدة بعد أخرى ، وتنازل الملك وسط  
جو مربك ، وأصبح ابنه «علي» ملكا على حين كان الحسين منزويا في العقبة .

#### ٤ - إبعاد الحسين الى قبرص :

وفجأة تقدمت بريطانيا لا تحمي حليفها القديم أو مساعدته ، ولا لتطبق  
معه نصوص المعاهدة التي حوتها المراسلات ، ولكن لتأمرة بمفادرة العقبة  
الى خارج الحجاز ، غير قابلة نقاشا ولا سامعة رأيا ، وهنا تبدلت لهجة  
المخاطبة مع الحسين ، وضاعت مع أرواح قتلى العرب في سبيل الإنجليز .  
تلك الألقاب التي دبجها ماكماهون بأسم بريطانيا :

« الى السيد الحسيب النسيب سلالة الأشراف ، وتاج الفخار ، وفرع  
الشجرة المحمدية والدوحة القرشية الاحمدية ، صاحب المقام الرفيع .  
والمكانة السامية السيد ابن السيد ، والشريف ابن الشريف ، السيد  
الجليل المبجل دولة الشريف حسين سيد الجميع ، أمير مكة المكرمة ، قبله  
العالمين ، ومحط رحال المؤمنين الطائعين ، عمت بركته الناس أجمعين » .

ضاعت هذه الألقاب ، وكان خطاب الانذار موجزا موحشا :

« الى جلالة الملك حسين من وكيل خارجية بريطانيا بلغ حكومة جلالة  
ملك بريطانيا أن عظمة سلطان نجد هيأ قوة لمهاجمة العقبة والباعث هو  
جلالتكم وحكومة الحجاز » الى أن يقول الخطاب :

« وفي هذه المناسبة تصر بالحاح بوجوب مفادرتكم العقبة قائلة لا يمكنها  
أن تسمح لكم بالبقاء أكثر من ثلاثة أسابيع »

ورست بارجتان بريطانيتان في العقبة ، ورفضت بريطانيا السماح له  
بالسكنى في يافا أو حيفا العربيتين (١٩) .

(١٨) المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٧١ .

(١٩) المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢٠٩ .

ومر الحسين عبر قناة السويس مأخوذا الى قبرص ، فصحبه بعض  
كبار العرب من السويس الى بورسعيد ، وسمعوه يحدثهم في أسى والم :  
انه كان مخطئا وأنه لم يكن يعرف اخلاق الأوروبيين ، وما ينطوون عليه  
وقال انه يشهد أنه فعل ما فعله عن حسن نية (٢٠) .

وفي ٢٢ يونيو ( حزيران ) ١٩٢٢ نزل الحسين في « فاما جوستا »  
بقبرص منفيا شريدا ، بعيدا عن الأصدقاء ، فاقتدا الملك والوطن ، مرهبا  
بحلفائه وخادعيه .

ووجد العرب أنفسهم تحت حكم الاستعمار الفاشم ، وبدأوا كفاحهم  
المرير الطويل مقدمين شهداءهم في كل صقع وقطر .

أصبح الحسين ملك الحجاز وشريف مكة ، والحسيب والنسيب  
وتاج الفخار والشريف ابن الشريف ... ، والذي منوه بخلافة اسلامية  
وملك عريق ، أصبح ضيف حلفائه الإنجليز وسط المنفى في جزيرة قبرص ،  
وهنا تتضح الصورة من جديد ، في تحالف الصهيونية العالمية مع  
الصليبية الاستعمارية ، فتنفذ الثانية ما أرادته الأولى ، لمن وقف غير  
معترف بها .

وفي قبرص نزل الحسين ضيفا مبعدا ، ولكن حاكم قبرص البريطاني  
كان رونالد ستورز السكرتير الشرقي في دار المندوب السامي بالقاهرة  
أثناء الحرب العظمى ، وكثيرا ما جاء مندوبا الى الحسين من حكومته ،  
فأجزل الحسين له العطايا ، وأثقله بالهدايا ، وظن الحسين أنه حتى في  
إبعاده ، سوف يلقي الخير من صديقه ذلك ، وسوف يحيا في منفاه  
مكرما ومعززا . ولكن ما رآه الحسين من ذلك الصديق البريطاني ، كان قاسيا  
ورهيبا ، وبريطانيا تريد أن ترهب العرب وترعبهم في ذلك الوقت ، فليكن  
حليفها الحسين أمثولة للجميع .

برز فجأة في قبرص شخص ادعى أنه عربي من الخليج ، وادعى  
قضايا أنه سلم الحسين ذهبا ، وأقرضه مالا ، وأنه يطلب رد ذهبه ،  
وسداد ماله ، وطلب الى الحسين ملك العرب أن يحضر الى المحاكمة ،  
وسعى الحسين الى صديقه الحاكم العام واني لاتصوره يقول :  
« انها قضية مفتعلة مدسوسة ، وهي مع ذلك قضية مدنية ، يكفي

(٢٠) المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢١١ .



في حضورها أي موكل أو محام ، فلا ضرورة لحضوري وسط المحكمة ، ثم أنا الشريف الذي ناصركم ، وحارب دولته ، وصدق عهودكم ، وأنا بعد ذلك شيخ كبير ، لي عند قومي أسم و ذكر وتاريخ ، فكيف يليق أن أقف مع رجل مجهول وسط محكمة في ديار الغربة ؟ »

ولكن الحاكم البريطاني لا يكره اذلال ملك العرب ، فيجيب :

« انها محكمة ولا سلطان لنا عليها » .

ويتناسى ذلك الحاكم ان القضايا المدنية ليس حتما فيها احضار المدعى عليه ، الا أن يكون الشريف الحسين بن علي في رحاب ضيافة بريطانيا . وسيق الحسين سوقا الى المحاكمة في قبرص .

وعجز المدعي أن يثبت دينه ، ولكن الهدف ليس الدين بل الازلال ، فقال لدي شاهد ، ترى من الشاهد ؟ انها الشريفة زوجة الحسين .

قال المدعي : لقد سلمت الذهب والمال في حضورها . وأصدرت المحكمة البريطانية في قبرص أمرها باحضار الشريفة زوجة الحسين . وسعى الحسين من جديد الى صديقه الحاكم العام يقول :

« يكفي يا صديقي ستورس أنني أخذت الى المحاكمة ، لم تراع سني ، ولم يهتم باسمي ولا بتاريخي ، وأوقفت مدعى عليه ، ويكفي ذلك اذلالا وامتهانا .

ان زوجتي لم يسبق لها أن رفعت القناع عن وجهها في مجمع خارج أسرتها ، ولم يحدث مطلقا أن جالست لي ضيفا ، أو شاركت في حديث ، فكيف يعقل أن أشركها في تسلم دين ، من رجل مجهول كما يدعى الآن ضدي ، انه يقصد جر زوجتي الشريفة المخدرة الى المحاكم ، وانه اذلال ما بعده اذلال ، وأرجوكم التدخل والحيولة دون سوق الحرائر الى مجالس القضاء الأجنبي ، وأمام نظر الصحفيين »

ولكن الصديق البريطاني يرفض هذا أيضا .

وهاجم الشلل الشريف ملك العرب ، واستراحت بريطانيا ، فقد أنشفل عنها الملك المبعد بأمراضه ومتاعبه ، وعاد الى عمان مريضا ليدفن في المسجد الأقصى بعد أن يقول لأصدقائه :

« اياكم وتصديق الانجليز ، فكم ذقت مرا من صداقتهم التي هدمتني

وهدمت العرب والاسلام » .

## ه - ماذا كان يحدث لو حارب العرب مع الأتراك ؟

ترى ماذا كان يمكن أن يحدث لو لم يثر العرب على الأتراك ؟

ان الثورة العربية أسهمت بقوة وعمق في انتصار الانجليز وحلفائهم ، لقد تحول الموقف في سيناء بعد الثورة العربية ، فان قسما من الجند المعد للهجوم على قناة السويس كان يتكون من متطوعة الحجاز والقبائل العربية ، وقد تصرم جبل هؤلاء ، فأصبحوا في صفوف أعداء الأتراك ، وان عددا كبيرا من ضباط العرب الذين أسره الانجليز من الجيش التركي في حملة القناة الأولى ، سرعان ما أعلن رغبته في المقاتلة الى جانب قوات العرب الثائرة .

ويقول جمال باشا حاكم الشام ، وقائد الجيش التركي في تلك المنطقة ، والسفاح الذي أضرم نار الحقد في نفوس العرب بسفكه الدماء وتشريده الأسرى يقول :

« كان جل همي في ذلك الوقت فبراير ( شباط ) ١٩١٦ أن أعمل لحمل الشريف على ارسال كتيبة بقيادة أحد أبنائه ، وأصبحت يوم ٢ يونيو ( حزيران ) ١٩١٦ أمام ثورة الشريف التي كانت ضربة قاضية على حملة القناة . واتضح بعد ذلك من تاريخ آخر خطاب أرسله الشريف الى الانجليز ، ومن انشائهم الاستحكامات عند الضفة الشرقية ، أن الانجليز لم يقرروا العبور أو بدء الهجوم على فلسطين الا بعد أن استوثقوا من الشريف ، وتأكدوا أن ثورته ستضطرننا الى اتخاذ تدابير خاصة لحماية الحجاز وأن تسحب من فلسطين بعض قواتها ( ٢١ ) » .

بل ان الحلفاء أنفسهم يقررون ان تلك الثورة أسرع بالنصر لهم ، وفي ٢٨ يوليو ( تموز ) ١٩١٨ قال القائد البريطاني العام اللورد اللنبي في تقريره لوزارة الحربية :

« أشكر لجلالة الحسين بن علي ملك الحجاز اخلاصه العظيم لقضية الحلفاء ، ولا أملك نفسي عن توجيه عاطر الشاء الى سمو الأمير فيصل لما ظهره من براعة في القيادة ، وعلى اخلاصه القلبي وعلى ما أبداه من بسالة ومهارة في الأعمال العسكرية التي قام بها الجيش العربي ، وقد ساعدت

( ٢١ ) احمد جمال باشا ، تعريب علي احمد شكري ص ٢٨٩ .



الحلفاء مساعدة كبيرة في الحصول على نتائج فاصلة في الحرب (٢٢) .

وقال النبي في تقرير آخر :

« لقد ساعدنا الجيش العربي مساعدة عظيمة القيمة ، بقطع مواصلات العدو قبل القتال ، وبمنعه فرار جانب من الجيش العثماني الرابع ، وأنزل بالعدو خسارة كبيرة أثناء الزحف على دمشق (٢٣) .

وتلك براءة الوسام الفرنسي الى فيصل المنوحة له من السيو كليمنصو تقرر :

« لقد ساعد الحلفاء ، ولازم جنوده ، ونظم الهجمات الحربية ، وادار جبهة كبيرة ، واسر عددا كبيرا من الأسرى ، واشترك في تمزيق شمل الجيش الرابع والجيش السابع والجيش الثامن من العثمانيين ، ودخل مع الحلفاء دمشق وحلب في منتهى الجراة والاقدام (٢٤) .

وذلك إن لورنس البريطاني الذي عرف في التاريخ بمرافقته للجيش العربي الثائر يقرر :

« كلنا يعرف أن فيصل بذل جهدا كبيرا في نشر الوية الثورة التي أعلنت في مكة ، وبفضل بسالته وحكمته اسدت هذه الثورة أعظم خدمة للحلفاء في ميدان فلسطين ، وقد تم للجيش العربي أسر ٣٥ ألف جندي تركي ، وأخرج عددا لا يقل عن هذا العدد من خطوط القتال ، واستولي على ما مساحته مائة ألف ميل مربع من الأراضي ، ولقد أدى العرب هذه الخدمة في زمن كنا في أشد الحاجة إليها ، فنحن مدينون لهم (٢٥) » .

ويتحدث مدير المخابرات التركية في الجيش الرابع عن إحدى المعارك فيقول :

« ومشى مشاة الترك الى الجبل تحت حماية المدفعية ، ويتقدمهم كمال بك ممتشقا حسامه ، يضرهم في صدورهم نيران الحماسة ، فصمد العرب لهم ونازلوهم منازل الأبطال ، وقد أظهر الفريقان من البسالة والبطولة ما يحير العقول ، وبدأت المجزرة الكبرى حينما بلغ الترك خنادق العرب ، ودار قتال بالسلاح الأبيض ، وجرح كمال بك للمرة الرابعة

عشرة ، وسقط من الترك ٢٠٠ قتيل وجريح ، واستولى العرب على مستشفى الجرحى الترك لأننا عجزنا عن انقاذه أثناء انسحابنا (٢٦) » .

ويقول المارشال ليمان فون ساندروس القائد العام للجيش التركية في بلاد العرب وهو يشرح أسباب انهزام تركيا في مذكراته بعد الحرب :

« لقد أدت الثورة العربية خدمات عظيمة للجيش البريطاني خلال تقدمه في شبه جزيرة سيناء ، فكان الانجليز آمنين مطمئنين يفعلون ما يشاؤون ، كأنهم في داخل بلادهم ، بعكس الترك الذين حاربهم أهل البلاد وملوهم ، فكانوا يسوقون جيوشهم كأنهم في بلاد معادية لهم (٢٧) » .

وقال كاتب تركي استشهد به صاحب كتاب « الثورة العربية الكبرى » :

« ولولا وجود جيش عربي وقف موقف العداء من الترك في جزيرة العرب في ساحة حربية طولها ألف كيلومتر ، لما تم للجيش البريطاني احراز ما أحرزه من النصر بهذه السرعة العظيمة ، وإلى الجيش العربي يعود الفضل في بلوغ الانجليز قلب البلاد العربية واحتلال القدس ، والمرابطة أمام السلط وجناحهم الأيسر مكشوف ، ولولا جيش العرب لالتف الترك على الجيش البريطاني ، وأجبروه على التراجع (٢٨) » .

هذه بيانات عديدة تحوي بعضها الاشارة بحركة العرب الثورية ، وأثرها في نصر الحلفاء ، وهي بيانات جاءت من مصادر مختلفة ، بعضها من الحلفاء الذين ناصرناهم ، وبعضها من المسلمين الأتراك الذين حاربناهم .

وهكذا نصل الى أنه لو لم يثر العرب على الأتراك لأسهموا بقوة في هزيمة الحلفاء ، ولعله من المنطق أيضا أن تكون النتيجة ساعته أن ينتصر الأتراك وسط ميدان ترافقوا فيه مع العرب ، فيكون النصر نصرا مشتركا ، لا تبعد ثمراته المقتطفة عن شعبنا العربي .

والأمر المؤكد في هذا المجال أن أرجل اليهود عن فلسطين ستظل بعيدة ، وسوف تبقى هذه البقعة المقدسة لأهلها ، ولن يحرم سكانها من أراضيهم ومزارعهم وبيوتهم ، ولن تتحول حياتهم الى هجرة ولجوء وتشرد ،

(٢٦) المصدر السابق ، ص ٢٥٠ .

(٢٧) المصدر السابق ص ٢٦٧ .

(٢٨) المصدر السابق ص ٢٦٩ .

(٢٢) الثورة العربية الكبرى ، ج ١ ص ٢٧١ - ٢٧٢ .

(٢٣) المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٧١ .

(٢٤) المصدر السابق ، ص ٢٧١ .

(٢٥) المصدر السابق ، ص ٢٧٤ .



ولن تحدث تلك المذابح الجماعية التي أجرتها الصهيونية في قراهم ومدنهم بعد أن مكنت لها بريطانيا التي أدخلتها وأقامتها ، وقوتها ، وحمتها .

وعلى فرض أن الحلفاء كانوا سينتصرون ، حتى في حالة اشتراك العرب مع الأتراك ، فهل كان العرب يأسفون على عدم تحركهم الثوري ؟ ان الجواب بالنفي ، والنفي السريع القاطع دون ريب ، واننا لنأتي بهذا النفي من النتائج التي حصل عليها العرب بعد انتصار الحلفاء ، وتضحيات العرب المفرر بهم .

فهل يمكن أن تكون النتائج حينئذ أسوأ مما حدث فعلا ؟ هل تكون أسوأ من تلك المآسي التي أوردناها في أول هذا الفصل ، من تقسيم بلادهم ، وحكمها حكما استعماريًا غاشما ، بواسطة الانتداب الأجنبي ، ورزوخها عشرات السنين تجاهد في جميع بقاعها مستهدفة الاستقلال وطرد ألفتة الأجانب .

والتاريخ يحفظ الأعداد الهائلة من شهداء العرب في العراق والشام الذين ذهبوا في معارك غير متكافئة مع الإنجليز والفرنسيين ، والتاريخ أيضا يتحدث كثيرا عن خيرات العرب التي امتصها هؤلاء المستعمرون من بلادنا العربية ، فلقد تمتعت فرنسا طويلا بخيرات الشام ومصدراته ، كما أثرت بريطانيا وشركاتها من بترول العراق ومنتجاته ، ومكنت لشركاتها في هذه الثروة الهائلة تمكينا ما زال ينهب ثروات العرب حتى الآن .

انها لسنوات الثورات الطويلة تلك التي تسببوا خلالها في حرمان الأمة العربية من العلم والمعرفة حتى باعدوا بينها وبين ركب الحضارة والمجد البناء .

اذن فالنتيجة التي حصل عليها العرب بعد الحرب العالمية الأولى ، هي أنهم أصبحوا وجها لوجه أمام الاستعمار الأجنبي ، يلتف برداء الصليبية الاستعمارية ، ويعمل على زرع الصهيونية العالمية في ديارهم تسومهم العذاب والارهاق .

### لم يجمع العرب على حرب الأتراك :

لقد كان بين العرب عام ١٩١٦ من ينادي بمحاربة الإنجليز وعدم الثورة على دولة الخلافة ، وكان الليبيون بقيادة الامام أحمد الشريف السنوسي يهاجمون الإنجليز في السلوم والصحراء الغربية ، وكانت مصر المجاهدة ضد الإنجليز تنزو الى هزيمتهم ، ولا تؤيد الثورة ضد الأتراك ، وهكذا كان عديد من العرب بينهم الأمير شكيب ارسلان والشيخ عبد العزيز

جاويش ، وعديد من زعماء الشام ورجالات العروبة يرون مساندة الأتراك والتعاون معهم .

بل لقد بكى الرصافي يوم سقوط بغداد بيد الإنجليز ، وهو الثائر المندد بحكم الأتراك والمطالب بالاصلاح ، بكى هزيمتهم وتمنى نصرهم وأشاد بوزهم :

انا أدري بأنهم بعد هجري  
ان تأنوا فربضة الليث تأتي  
كيف يفضون عن اغائة واد  
انا باق على الوفاء وان كا  
لم يذوقوا طعما ولم يرتاحوا  
بعدها وثبة له وكفاح  
زانه من ودادهم اوضح  
نت بقلبي ممن احب جراح  
ولقد كان الكثيرون يصرحون لقومهم في كل مناسبة ، بان دول الصليبية الاستعمارية انما تحاول تحطيم الاسلام في أمته العرب والأتراك على السواء .

لقد اقيم حفل بالاستانة قبيل قيام الحرب بسنة واحدة ، وشارك فيه أمير البيان المجاهد شكيب ارسلان وهو من يعرف كل الاحرار العرب ، انه العربي الذي حمل امانة الدفاع عن امته طيلة حياته ، ولم يستطع الأجنبي أن يجعله عميلا ولا من الخاضعين ، فأنشد في ذلك الحفل قصيدة طويلة يحذر فيها امته من الدسائس الدولية ويقول (٢٩) :

فيا وطني ، لا تترك الحزم لحظة  
وكن يقظا لا تستنم لمكييدة  
وكيد على الأتراك قيل مصوب  
تذكر قديم الأمر تعلم حديثه  
اذا غالت الجلى اخاك فانه  
فليست بغير الاتحاد وسيلة  
وليس لنا غير الهلال مظلة  
ولو لم يفدنا عبرة خطب غيرنا  
سيعلم قومي انني لا اغشهم  
بصر احيطت بالزحام مناهله  
ولا لكلام يشبه الحق باطله  
ولكن لصيد الأمتين حباله  
فكل اخير قد نمته أوائله  
لقد غالك الأمر الذي هو غائله  
لمن عاف ان تفشى عليه منازلته  
ينال لديها العز من هو آمله  
لهان ولكن عندنا من نائله  
ومهما استطل الليل فالصبح واصله

لقد كانت آخر معارك العرب مع الأتراك في تلك الثورة هي تلك التي خاضها الجيش العربي بقيادة الأمير فيصل في سهول حلب في ٢٥ سبتمبر ( ايلول ) ١٩١٨ ، واشتعلت هناك نار حامية عنيدة بين فريقين تخاصما بعد ود متين ، وكان يقود الجيش العثماني في تلك الموقعة التاريخية مصطفى كمال باشا ( اتاتورك ) الذي اضطر الى الانسحاب أمام الجيش

(٢٩) دكتور أحمد الشرباصي : أمير البيان شكيب ارسلان القاهرة ج ١ ص ٨٨ .



العربي ، وبقيت ندوب تلك الهزيمة التي مني بها من العرب مقروحة في قلبه ، ولا شك أنها جروح عميقة لازمتة محزنة محيرة كلما تذكر أن ذلك الاندحار كان بسبب العرب ولصالح الانجليز ، ولقد تركز في ذهنه ذلك العمل تركيزا حاد به عن جادة التفكير الطبيعي ، وحين تمت له القلبة في انقلابه المعروف وأصبح رئيسا لجمهورية تركيا ، كان أبرز أعماله أن ظهرت اعماق آلامه من العرب في قراراته التي حاول أن يقطع بها كل صلة معهم ، فحارب اللغة العربية ، وحرم الحروف العربية ، وباعد بين الدولة وبين الاسلام الذي يعتبره دين العرب وقرآنه لسانهم ، وأبعد كل الضباط العرب من تركيا ، وأقام حواجز سميكة فاصلة بين الشيعين الخالدين ، وحاول في سبيل ذلك محاولة بعيدة عن النظرة الصائبة فلحق التاريخ لتلاميذ المدارس وفيه شرح عميق لما أسماه خيانة العرب وتمردهم .

ولم يستثن « أتاتورك » من هذه الاجراءات العنيفة الا عرب ليبيا ، فلقد حارب معهم الطليان في عامي ١٩١١ ، ١٩١٢ في سفوح الجبل الأخضر وهضاب بنغازي ، وانه ليشعر لهم بالود والمنة ، ويذكر لهم محاولتهم لحرب الانجليز عام ١٩١٦ في صحراء مصر ، كما يذكر لهم شهداءهم في معركة الدردنيل ، وفي ضواحي أزميز ، ولهذا أقام على ودادهم ، ومكن لمن بقي منهم في تركيا ، ووصلوا في جيشه ودوائره لأعلى المناصب .

وبعد ، لماذا لا يكون السؤال هل كان العرب يثورون على الأتراك لولا عسف جمعية الاتحاد والترقي التي تسرب في ثناياها عديد من اليهود المستترين بالاسلام ؟ ، ولولا الارهاب والقتل والتشريد الذي عمد اليه جمال باشا سفاح ديار الشام ؟

وكيفما كانت الأسئلة والأجوبة ، فان الانجليز كانوا قديرين على اهتبال الفرصة لاضرام نار العداء بين الفريقين ، بل أنهم لوحوا في أول اشارة لهم عام ١٩١٣ لعبد الله بأنهم لا يمانعون في ارجاع الخلافة للعرب ، وكان هذا التلويح طعما جذابا لسمك جوعان ، وكان التعبير الصحيح الذي يختفي وراء هذا هو أنهم لا يمانعون في تحريك الأطماع حتى تدفع الى حمل السلاح والثورة ، فيخرج منها الترك والعرب مغلوبين أمام غالب واحد ، هو التحالف القوي المبيت بين الصليبية الاستعمارية والصهيونية العالمية ، حيث كانت تلك السطور السبعة الموجزة من وعد بالفور أقوى وأنفذ من رسائل ماكماهون الطويلة المسهبة الى الشريف حسين ، ورحم الله شوقي في قوله وهو يخاطب الشريف :

كلنا وارد السراب وكل حمل في وليمه الذئب طاعم  
قد رجونا من المفانم حظا ووردنا الوغى فكنا الفنائم

## أقوال منهم ...

« لقد كنت الشخص الأول من الشعب اليهودي الذي قدر له أن يحتل مقعدا في الوزارة البريطانية ، ولعل الفرصة سنحت أمامي لتحقيق واعادة انشاء دولة يهودية في فلسطين ، لقد سألتني وزير الخارجية عما اذا كنت اعتقد أن سوريا يجب أن تضم الى فلسطين بحكم الضرورة ؟ فأجبتة ليس من الحكمة ذلك لأن العدد الكبير من السكان لا يمكن تمثيلهم » .

الوزير البريطاني هربرت صمويل ١٩١٤

« ان المخاوف التي تساور العرب والتي يشيرون اليها سرا أو علنا نشأت عن سوء فهمهم لمقاصد الصهيونية أو عن الدسائس التي يدسها لهم العدو المشترك « تركيا » ، ولذلك لم أر مندوحة من تحذير الناس من تصديق أن اليهود يرمون الى الاستئثار بالسلطة السياسية في البلاد » .

وايزمان بالقدس ١٩١٨

« ان الحكام العسكريين لايتدخلون في الشؤون السياسية والحلفاء ملزمون بحكم واجب الشرف أن يصلوا الى تسوية تطابق رغبات الشعوب » .

رسالة اللورد اللنبي قائد الجيش  
البريطاني الى الأمير فيصل ١٩١٨

« ان اللجنة الصهيونية تدعي لنفسها سلطتي وسلطة كل دائرة من دوائر الحكومة وتتعدى عليها ، وعبثا نقول للمسلمين والمسيحيين اننا محافظون على الحال القديم ، فالحال تشهد بخلاف ذلك ، من ادخال اللسان العبري كلفة رسمية الى إقامة قضاء يهودي ، الى التشكيلات الحكومية للجنة الصهيونية الى الامتيازات لأعضائها ، انه لا يمكن اقناع أحد اننا معشر غير محاين » .

الجنرال بولس حاكم القدس العسكري ١٩٢٠

« وجه اللنبي الدعوة الى هربرت صمويل الصهيوني ليساعد على



الاهرام يناير ١٩٢٠

« اني ذاهب الى فلسطين لاتخاذ مشروعات وتنفيذ اوامر حكومتي لانشاء وطن قومي لليهود في فلسطين » .

هربرت صمويل يناير ١٩٢٠

« لقد تأكدنا بأنفسنا انه لولا وجود القضية اليهودية بفلسطين لما لاقت الحكومة اقل صعوبة في ادارة الشئون المحلية ، ان كره العرب للبريطانيين نشأ عن مساعدة الحكومة للسياسة الصهيونية .

صرح لنا الدكتور ايدر رئيس اللجنة الصهيونية وهو معتدل بالنسبة لغيره ولا يرغب نشر افكار تهيج العرب : يجب ان يتغلب اليهود على العرب متى تكاثروا عددهم ، يجب ان يكون لليهود حق التسلط والتغلب ، يجب ان لا يسمح للعرب بحمل السلاح » .

قاضي القضاة سير هايكرت في تقرير  
لجنة ١٩٢٩

كذب ما شاع عن عدلكم  
ختتم مستأمنكم بعدما  
ما عهدنا دولة من أجل أن  
وتبدك الدور اذ سكانها  
أكون العدل بغيا وأجتراما  
نصروكم وأنالوكم مراما  
تسكن البطاريء تقصي من أقاما  
حاملات وشيوخ وأيامي

الشاعر امين ناصر الدين

## الفصل الثالث

### شعب فلسطين يواجه المحنة

#### ١ - اليهود يمهّدون لفرض الانتداب البريطاني على فلسطين :

تم للانجليز ما ارادوه ، واصبح سلطانهم العسكري هو المهيمن الوحيد في فلسطين ، حين اتموا احتلال جميع اطرافها في اواخر عام ١٩١٨ ، وقد حيل بين شعب فلسطين وباقي اخوته العرب ، ففصلت فلسطين عن بقية سوريا التي احتلتها فرنسا ، وتركزت برامج الانجليز في تمكين الصهيونية في هذا الجزء العربي من سوريا الجنوبية ، وادرك شعب فلسطين انه يواجه مؤامرة خطيرة ، قد تؤدي به الى مصر اليم ، وانه فصل عن سوريا ليكون وحيدا في معركة مصيرية كبرى ، وليثقل كاهله بعبء كبير خطير .

وهكذا أصبح الشعب العربي في فلسطين يئن تحت الحكم العسكري البريطاني الذي بدا واضحا من اول وهلة انه ينفذ برنامج التهويد الرهيب . ولا يحتاج الأمر الى تساؤل ، فان الوطن القومي اليهودي الذي وعدت به بريطانيا اليهود في فلسطين قد فسر اللورد كيرزون تفسيراً واضحاً حين قال :

« ان الوطن القومي مفاده كيان سياسي يؤلفه اليهود ، ويدير شؤونه اليهود ، ويحكم وفقا لمصالح اليهود (١) » .

ولكن هذا الوطن القومي الذي يسعى له اليهود لن يكون خاصا باليهود الذين يقطنون فلسطين ، فهم قلة قليلة الى جانب السكان العرب ، ولذلك لا بد من فتح باب الهجرة اليهودية من جميع انحاء العالم ، حتى يتكاثروا ويكونوا اغلبية أو شبه اغلبية ، ولا بد من أرض يستولون عليها فهجرة دون أرض هي اغتراب لا يساعد على تنفيذ البرنامج الصهيوني ،

(١) محاضرات في تاريخ قضية فلسطين ص ٤٣ .



والهجرة لا بد لممارستها من دولة تخمئها ، وتلك الأرض التي يسعون لامتلاكها لن تكون سهلة ميسرة ما لم تكن فلسطين واقعة تحت نفوذ دولة صدقت لهم الود ، ومدت لهم اليد .

وانطلقت الصهيونية العالمية تسعى في كل مكان ليقول مؤتمر الصلح كلمته ، ولتكون تلك الكلمة : ان بريطانيا ( صاحبة وعد بالفور ) هي الدولة المنتدبة على فلسطين .

فبينما يخطب وايزمان في نقابة الصهيونيين الانجليز في أواخر عام ١٩١٩ مدعيا أن حالة اليهود في أوروبا سيئة جدا ، ويجب الاستعداد لترحيل مليون يهودي الى فلسطين ، ليكونوا عمالا وصناعا مهرة ، وأصحاب أموال ، بينما يقول وايزمان هذا مناديا بالهجرة اليهودية ومحددًا معالمها ، كان قد صرح قبل ذلك بمدة في محاضرة أخرى بقوله :

« ان هدفنا لا يزال الدولة اليهودية في فلسطين ، ولكن بلوغ هذا الهدف لا يأتي دفعة واحدة ، بل يجري على مراحل متعددة ، وأول هذه المراحل أن توضع فلسطين تحت حماية دولة صديقة كبريطانيا ، لتسهل لنا الهجرة والسكنى ، وتمكننا من تحضير الجهاز الإداري اللازم لبلوغ هدفنا ، وان الحكومة البريطانية موافقة على هذه الخطة ، ومستعدة لتسهيل تنفيذها » .

وقابلت وفود اليهود اللورد سيسل وكيل الخارجية البريطانية معلنة أنها تصر على أن يكون الانتداب بريطانيا على فلسطين ، ولم يجد هذا صعوبة في أن يتناسى عرب فلسطين ، وأنها الوطن الذي دفع العرب الملايين من الشهداء دفاعا عنه ، وكان سكان فلسطين هم الخطوط الأولى والضحايا المتتابعة ، وأصحاب أنهار الدماء في ربوعها .

لم يجد وكيل الخارجية البريطانية صعوبة في أن يتناسى كل هذا ، فرحب بالوفود اليهودية ، وأوعز لها أن تعرض يهود العالم لاعلان رغبتها في انتداب بريطانيا ، وطالبهم بأن يذهب الدكتور وايزمان كصهيوني رائد الى فلسطين فورا .

وتحركات المؤامرة في كل مكان تريد تأكيد الانتداب البريطاني وجعله حقيقة واقعة ، فعقد النواب اليهود اجتماعا كبيرا في لندن ١٨ من ابريل ( نيسان ) ١٩٢٠ واعربوا عن أملهم في ألا تعطل بريطانيا عن تولي الانتداب على فلسطين ، وتحركت اللجان القومية لحزب العمال البريطاني في ٢٢ من ابريل ( نيسان ) ١٩٢٠ ، فأبرقت الى لويد جورج رئيس وزراء بريطانيا

الموجود آنذاك في سان ريمو وسط المؤتمر العالمي للصلح ، وطالبوه باسم المعارضة أن تقبل حكومته الانتداب على فلسطين ، لتنفيذ سياسة الوطن القومي اليهودي فيها (٢) .

واذن فقد سارت بريطانيا شوطا بعيدا في تنفيذ مخططاتها الاستعماري الرهيب ، الذي كانت تعده للعالم العربي ، فاستلت الموافقة على وعد بالفور من كبار الدول والعالم الصليبي ، ثم خشيت أن يكون هذا غير كاف ولا ضامن فأوعزت بالتحرك لضمان أن يكون الانتداب على فلسطين من نصيبها ، وهي بذلك تقيم لليهود وطنا وسط العرب ، فتشغلهم به وتهددهم ، وهي بذلك تفصل بين العالم العربي مشرقه ومغربيه وهي بذلك تقيم دولة تشعر بفضلها ، وتعمل بوحياها ، الى جانب قناة السويس التي كانت تعتقد أنها سيدتها وحاكمتها الى أبد الآبدين .

وبينما تتحرك الصهيونية العالمية للمناداة ببريطانيا منتدبة على الأرض المقدسة ، تسير بريطانيا في داخل فلسطين بسرعة في تهيئتها للبرنامج الخطير ، وممكنة للصهيونية من العمل دون انتظار لقرار مؤتمر الصلح بالانتداب ، ودون توقف على اسناد هذا الانتداب لها .

واذا كان صك الانتداب لم يبرم الا في يوليو ( تموز ) ١٩٢٢ فان بريطانيا أصدرت أمرها منذ ابريل ( نيسان ) ١٩١٨ الى الادارة العسكرية الحاكمة أن تسمع وأن تطيع أوامر اللجنة الصهيونية التي وصلت في ذلك الحين الى فلسطين برئاسة وايزمان (٣) .

واعطيت اللجنة فورا جميع التسهيلات في تنقلاتها وتحرياتها ، وأصبحت المرجع المهم للادارة الحاكمة ، وسرعان ما فتحت ابواب فلسطين للهجرة اليهودية ، وبدت للعيان واضحة مظاهر الاحترام والتقدير الذي تقدمه أجهزة الحكومة العسكرية لهذه اللجنة الصهيونية .

يحدث كل هذا بينما كان الشعب العربي في فلسطين قد حصر في دياره معزولا عن اخوانه في بقية ديار الشام ، مدركا أن الخطر أصبح يحيط به من كل جانب ، لا سيما وأن سلطات الاحتلال التي سهلت لليهود كل أسباب العمل والحركة والتصرف ، حرمت على العرب كل عمل يتصل بمستقبلهم ، بل حرمت عليهم في تلك الحقبة الخطيرة حتى السفر أو التجول .

(٢) جريدة الاهرام ١٩ و ٢٤ ابريل ( نيسان ) ١٩٢٠ .

(٣) محاضرات في تاريخ قضية فلسطين ، ص ٧٤ .



وتمت تلك الأحداث قبل أن يعلن الانتداب رسميا ، بل لقد اتم دعامة الاستعمار الانجليزي « ونستون تشرشل » زيارته لفلسطين ومناذاته بالصهيونية فيها ، قبل أن تتسلم دولته زمام الانتداب الذي عملت له وهيأت له جميع الأسباب .

على أن خطاب وايزمان في القدس يوضح الكثير من محاولة التفرير والتهديد وفرض السلطان حين (٤) يقول « لا ريب أن جميع المخاوف التي تساور العرب الآن والتي يشيرون إليها سرا أو علنا نشأت عن سوء فهمهم لمقاصد الصهيونية ، أو عن الدسائس التي يدسها لهم العدو المشترك ( تركيا ) ، ولذلك لم أر مندوحة عن تحذير الناس من تصديق ذلك وإيهامهم أن اليهود يرمون إلى الاستئثار بالسلطة السياسية في البلاد ، أن الحكم في هذا العصر هو فن من أعقد الفنون لا يتعلم في يوم واحد إذ لا بد له من اساتذة أمماء متمرنين ، والصهيونيون يصرحون علنا بانهم يطلبون أن تكون السلطة العليا في يد إحدى الدول الديمقراطية التي تختارها جمعية الأمم لذلك ، وسوف نعلن رأينا مستقبلا في تلك الدولة ولكن لا يمكن أن يكون الحكم هنا دوليا أو بإشراف دولتين بل أن البلاد بجملتها يجب أن تكون خاضعة لحارس واحد ، ولا يصح القول أننا ( قادمون ) إلى فلسطين بل نحن ( راجعون ) إليها ، أن آباءنا دافعوا عن هذه البلاد ببسالة ولم يتخلفوا عنها الا عندما شاءت الاقدار ، ولكنهم لم يتخلوا قط عما كان لهم فيها من حقوق » .

وانه لواقع مر هذا الذي حدث في فلسطين ، واقع سيء لم يحدث مثله في أي بلد عربي آخر من تلك البلاد التي نكبت بالاستعمار أو الانتداب أو الحماية . لقد قررت الحماية على مصر في الحرب الأولى ، فلم تكن الا محاولة بريطانية لاستغلال خيرات مصر ، وتأخير نهضتها وابعادها عن امجادها التاريخية ، وفرض الانتداب على سوريا ولبنان ، فكان حكما أجنبيا يعترف بأهل البلاد مهما لازمه من طغيان واذلال وارهاق . وفرض الانتداب على العراق ، فكان حكما بريطانيا يتستر وراء ملك عربي ، ولكن العراق العربي بقي للعراقيين دائما .

واحتلت فرنسا بلاد المغرب وتونس ، فاستفادت من قدرة شعبيهما البشرية في عديد من حروبها ، واستنزفت خيراتهما لصالح فرنسا ، واستمرت فيها صور للحكم الوطني مهما ضعف ، كان يمثل الأصل الحقيقي الواقعي لكليهما . وسارت فرنسا على سياسة الادماج في

(٤) مجلة الكوكب عدد ٩٥ الصادر في ٢١ من مايو ١٩١٨ .

الجزائر ، وسمت الوطنيين بالفرنسيين الجزائريين ، وبذلك جهدا كبيرا لطمس معالم العروبة وابعاد الاسلام عنها ، ولكن مع هذا لم تفكر في جعل الفرنسيين اكثرية في الجزائر ، وطوال ١٣٢ عاما من احتلالها الكريه لم يزد الفرنسيون عن نسبة ١٠٪ أو أقل الى أن أعاد الأحرار الجزائريون وطنهم الى حظيرة القومية ومجمع الأمة العربية .

ورزحت ايطاليا بكلكلها في ليبيا ، وحاولت أن تعتبرها الساحل الرابع الايطالي ، وسمت أهلها بالايطاليين المسلمين ، وجاهدت لتقنعنا بأننا بقايا الرومان القدماء ، وأن العرب هم المستعمرون لأجدادنا الأقدمين . وبعثت بمجموع أبنائها لتسكن وتحتل وتتملك حتى تم اجلاؤها بعد أكثر من ربع قرن ، وعلى الرغم من التشابه الكبير بين مأساة ليبيا منذ عام ١٩١١ الى الحرب العالمية الثانية ، وبين مأساة فلسطين ، على الرغم من هذا فان الذي فعلته بريطانيا في البلاد المقدسة كان يمثل نكبة لا تعادلها نكبة ، نكبة أريد بها القضاء على شعب فلسطين قضاء كاملا ، واغتصاب أراضيها ، واقامة حكومة يهودية في ربوعه .

ومن هنا يتضح ان الشعب العربي في فلسطين ناضل وحده طغيانا كان يمكن أن ينوء به كاهل عدد كبير من الشعوب ، ومن هذا يتضح أيضا أنه لا يوجد أي شعب عربي وجهت اليه مؤامرة تضافت فيها جهود دولية ، وسياسات عالمية وأنقال مادية صهيونية ، الا الشعب العربي في فلسطين ، الذي لا ريب أن كفاحه البطولي طوال ثلاثين عاما كان مفخرة ترفع جباه الشعب الفلسطيني .

## ٢ - الثورة الأولى ابريل ١٩٢٠ :

وبينما كان العرب يجرون احتفالهم التقليدي بالنبي موسى في الرابع من ابريل ( نيسان ) عام ١٩٢٠ ، اذ اعترضهم بعض اليهود محاولين خطف العلم العربي ، واهانة حامله ، ودارت معركة أصطف فيها العرب الى جانب ، واليهود والجيش البريطاني الى جانب آخر ، وحاصرت قوات بريطانيا المدينة المقدسة ، واستمر القتال الى نهاية اليوم الخامس ، وصدر بلاغ بريطاني رسمي بأن القتال أسفر عن موت تسعة من اليهود وأربعة من العرب و ٢٥٠ جريحا .

وكان هؤلاء الأربعة هم الطليعة الأولى لجماهير عديدة من شهداء فلسطين ، وكان استشهادهم يحمل ايضا حوافر يوقوف الجيش البريطاني عمليا مع اليهود ، وضد سكان الوطن الفلسطيني الطبيعيين .



وحين ألقت السلطات البريطانية القبض على الأمير محمود الزناتى في ٢١ من ابريل ( نيسان ) ١٩٢٠ ، هاجمت جموع العرب السجن المحروس بالبريطانيين واخرجوا السجن عنوة وقوة ، وتجمعت قوات الانجليز من حيفا وطبريا ، ونشب قتال كبير هاجم العرب خلاله سمخ وبيسان وبعض القرى اليهودية التي هرب منها اليهود تحت وطأة ثورة الفلسطينيين (٥) .

كان الشعب الفلسطيني يجمع أنفاسه عقب أحداث الحرب العالمية الأولى ، وكانت ظروف الحرب قد أنهكته كثيرا ، وما كاد شبها يتوارى حتى نكب بنكث الانجليز لعهودهم مع العرب ، وتبين لعرب فلسطين أنهم فريسة لتجمعات صهيونية ، تؤيدها وتحميها جيوش بريطانيا التي كانت تحتل مصر ، وشرق الاردن ، والعراق ، والهند ، والتي كانت صاحبة اكبر قوة ضاربة في البحر والبر وهي ذات العلم الذي لا تغرب عنه الشمس آنذاك .

ولكن هذا الشعب العربي برغم حصره في جزء ضيق من أرض الشام ، ومجابهته قوة كبيرة عالمية ، كان صادق العزم في الحفاظ على وطنه ، وكان قوي التصميم في مجابهة الاعداء .

وأصدر الجنرال بولس الحاكم العسكري بلاغا مليئا بالوعيد والتهديد ، وقال : « انه دعا سماحة المفتي الحسيني ، والسادة موسى الحسيني وعارف الدجاني وعارف فيض الله وراغب النشاشيبي عن العرب المسلمين ، كما دعا خمسة من العرب المسيحيين ، وذكر اسما واحدا من اليهود ، وأبلغهم تحذيرا شديدا من الاضطراب :

« ان في البلاد حكومة واحدة فقط ، وهذه الحكومة هي أنا ، واني مجهز بقوة عسكرية هائلة لسحق كل من يعكر الأمن ، وسأستخدمها في المستقبل دون قيد » (٦) .

ولكن الجنرال بولس نفسه عاد بعد شهور وأدرك أن العدل والانسانية والصدق تتجافى كلها مع ما هو حادث في فلسطين ، ولقد كشف بنفسه أطماع الصهيونية ورضوخ دولته لها ، حين كتب تقريره المشهور الى قيادة الجيش البريطاني في القاهرة يقول فيه (٧) :

« لقد لزماني أن ألع في تبيان ما أعانيه من الصعوبة في ضبط أي موقف

كهذا الموقف في المستقبل ، اذ ركنت مضطرا الى التفاوض مع ممثل الطائفة اليهودية ، والذي يهددني باثارة هياج الفوغاء وباقامته مقام القانون ، وبرفض الرضى بسلطات القانون والنظام ، ان اللجنة الصهيونية تدعي لنفسها سلطتي وسلطة كل دائرة من دوائر الحكومة ، وتتعدى عليها ... وعيها تقول للمسلمين والنصارى اننا قائلون بما صرحنا به من المحافظة على الحال القديم ، مما عهدوه وعهدناه يوم دخول القدس . فالحقائق تشهد بخلاف ذلك ، فمن ادخال اللسان العبري كلفة رسمية ، الى اقامة قضاء يهودي ، الى التشكيلات الحكومية التي تتألف منها اللجنة الصهيونية والامتيازات المخصصة الممنوحة لأعضاء اللجنة الصهيونية في السفر والانتقال ، كل ذلك قد حمل العناصر غير اليهودية على الاقتناع بأننا معشر محاربون . انه ليستحيل ارضاء ذوي فكرة مخصصة لا يطلبون رسميا الا «وطنا قوميا» ولكنهم بالفعل لا يقتنعون بما هو أقل من حكومة يهودية بمقتضياتها السياسية » .

ولكن هذا التقرير الذي قدمه الجنرال بولس ، والذي يورد فيه أدلة حاول أن يقنع بها حكومته لتصرف عن مظهر المحاباة لليهود ، الذين يهددونه باثارة الفوغاء ، والذين يعملون بقوة لخلق حكم يهودي ، أن هذا التقرير الذي اعتقد بولس أنه يثير به أذهان حكومته ، لم يحدث شيئا الا ابعاد بولس عن الحكم ، وكأن بريطانيا ترد على تقريره تقول : انك يا بولس لم تفهم أعماق السياسة البريطانية التي تهدف فعلا الى قيام وطن وحكومة يهودية وسط وطن العرب وفوق أرضهم ، وعلى أشلائهم .

ولماذا لا تفعل بريطانيا هذا ؟ ألم يصرح الصهيوني البريطاني المعروف هربرت صمويل في رسالة له الى جراي وزير الخارجية البريطانية « ان نحن أجبنا مطالب اليهود في فلسطين نكن قد أوجدنا في جوار مصر وقناة السويس دولة جديدة موالية لنا » .

### ٣ - تعيين صهيوني بريطاني مندوبا ساميا لبريطانيا في فلسطين :

قبل أن يتقرر مصير فلسطين في مؤتمر الصلح ، وقبل أن يحدد شكل من أشكال المستقبل الذي ينتظر شعب هذه البقعة الضيقة من الأرض ، أعلن أن اللورد اللوبي القائد العام لجيوش الحلفاء ، وصاحب التصريح المعروف الموجه منه الى الأمير فيصل في ١٧ من اكتوبر ( تشرين الاول ) ١٩١٨ والذي يقول فيه :

« ان التعليمات الصادرة الى الحكام العسكريين تمنع أي تدخل في الشؤون السياسية ، واني سأعزل منهم من يخالف هذه الأوامر ، وأن

(٥) الثورة العربية الكبرى ، ج ٢ ص ٨٨ .

(٦) جريدة الاهرام ٩ ابريل ( نيسان ) ١٩٢٠ .

(٧) محاضرات في تاريخ قضية فلسطين ، ص ٨٠ .



الحلفاء ملزمون بحكم واجب الشرف أن يحاولوا الوصول الى تسوية تطابق رغبات الشعب (٨) .

أعلن أنه قد وجه الدعوة الى اليهودي البريطاني السير هربرت صموئيل لمساعد على تسوية شئون فلسطين (٩) .

وفي السادس من يناير ( كانون الثاني ) ١٩٢٠ صرح السير هربرت صموئيل أنه ذاهب الى فلسطين لاتخاذ مشروعات وتنفيذ أوامر حكومته لانشاء وطن قومي لليهود في فلسطين .

ولنحيط احاطة كاملة بمدى الثقل الخطير الذي وضع على كاهل شعب فلسطين العربي وحده ، في عزلته التي حددتها له بريطانيا ، ولندرك الى أي مدى كان حكم الانجليز لفلسطين يعمل في مجموعه وفي كامله لتهويد أرضنا السليب ، ولنعلم أن معركة فلسطين لم تكن صغيرة الشأن حدثت فجأة في عام ١٩٤٨ وأنهزم فيها العرب على حين أنتصر فيها اليهود ، لندرك كل ذلك يجب أن نفهم تفاصيل المعركة التاريخية المستمرة منذ أن وطأت اقدام صموئيل هذا أرض فلسطين .



هربرت صموئيل

(٨) الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين ، ص ٨٢ .  
(٩) جريدة الاهرام ٢٧ من يناير ( كانون الثاني ) ١٩٢٠ .

لترك صموئيل يتحدث عن نفسه في كتابه « ذكرى » الصادر سنة ١٩٤٥ :

« اني احتفظت بالحوادث التي أدت في النهاية الى تعييني في فلسطين ، لأسردها كقصة متتابعة ، وأنني أطلب الى القارئ أن يرجع بذاكرته الى أوائل الحرب الأولى عندما توقعنا هزيمة دول الوسط ، ولم يخامرنا الا القليل من الشك بأنه سيفتح أمام فلسطين مستقبل آخر ، وفي اللحظة التي دخلت فيها تركيا الحرب تغير الوضع تماما ، فان قدر لفلسطين أن تحظى بمصير جديد ، فان بريطانيا العظمى هي صاحبة الشأن الأول في ذلك المصير بما لها من مصالح استراتيجية هامة في الشرق الاوسط .

وأن على حكومتنا أن تولي عنايتها موضوع من سيخلف الأتراك في السيطرة على فلسطين ، ذلك البلد الذي يتاخم قناة السويس ، وبالنسبة لشخصي فقد كان لهذا الموضوع أهمية زائدة وخاصة ، فقد كنت الشخص الأول من الشعب اليهودي الذي قدر له أن يحتل مقعدا في الوزارة البريطانية ، لقد حددت آرائي جدا في الحال ، الأمر الذي دعاني لمقابلة وزير الخارجية ، ومحادثته بشأنها ، وسجلت في مذكرتي بتاريخ ٩ نوفمبر ( تشرين ثاني ) ١٩١٤ أني تكلمت مع السير ادوار جراي حول مستقبل فلسطين ... ولعل الفرصة قد سنحت أمامي لتنفيذ أمني الشعب اليهودي القديمة ، واعادة انشاء دولة يهودية فيها . واعتقدت أن النفوذ الانجليزي يجب عليه أن يقوم بدور مهم في تأسيس مثل هذه الدولة ، لأن وضع فلسطين الجغرافي ، وقربها من مصر ، يجعل صداقتها لانجلترا أمرا له أهميته للامبراطورية البريطانية » (١٠) .

#### ٤ - عزل الفلسطينيين عن العرب لاذابنتهم :

ويتابع صموئيل حديثه المليء بأسرار الاعداد لاذابة الفلسطينيين وعزلهم ، وتوزيع استعمار بلاد الشام فيقول :

« ولقد سألني جراي ( وزير الخارجية ) عما اذا كنت أعتقد أن سوريا يجب أن تضم الى فلسطين بحكم الضرورة ؟ فأجبت : كلا فان الأمر على العكس فليس من حكمة الرأي ادخال أمكنة كبيروت ودمشق ، لأنها تحتوي على عدد كبير من السكان الذين لا يمكن تمثيلهم .

وقلت أيضا : سيكون هناك نفع عظيم اذا ضمت بقية سوريا الى

(١٠) الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين ، ص ٨٩ .



فرنسا ، اذ أنه أجدى للدولة اليهودية أن تكون لها جارة أوربية من أن تكون تلك الدولة هي تركيا .

ولقد سنحت لي فرصة اليوم جرى فيها حديث موجز مع لويدي جورج في نفس الموضوع ، لقد أشار في مجلس الوزراء الى مصير فلسطين النهائي ، وقال لي : « انه مشتاق جدا لأن يرى دولة يهودية قد انشئت هناك » ، لقد صفت آرائي في مذكرة وزعتها على الرئيس وعلى عدد من زملائي الوزراء ، ثم نقحت مذكرتي في شهر مارس ( آذار ) واعدت توزيعها ، وركزت مذكرتي على احتمال مهم ، وهو فرض حماية بريطانية ، مع تشجيع استقرار اليهود ، وقد أيدت هذا البند ووافقت عليه .

ولقد حدثت ( من جديد ) مستر جراي في الخامس من شهر فبراير ( شباط ) ١٩١٤ وأعربت له عن ارتياحي عما اذا كان السكان العرب ، وهم يمثلون خمسة أسداس السكان ، يوافقون على مثل حكومة فلسطين تمثل الحكومات الأوربية والبابا وأمريكا ، وتخلق مجلس شورى لليهود ، فقال : « قد يكون في بقاء السيادة التركية اذا وجدت ضرورة لذلك ، حل آخر لتأسيس حكومة قريبة الشبه نوعا بحكومة لبنان ( ١١ ) . . . » فأكدت له الخطر من وجود أي دولة غير انجلترا تتصرف في فلسطين وما في اقامة ادارة دولية من مجازفة قد تنتهي بسيادة احدى الدول الأوربية .

وقد أرسل لي وايزمان الذي تعرف بالمستر بالفور في مانشستر كتابا مؤرخا في ٢١ من مارس ( آذار ) ١٩١٥ يقول : « لقد سنحت لي فرصة الحديث الى مستر بالفور وسيساعدنا اذا كانت الأمور قد وضحت بالنسبة لفرنسا » هكذا بدأ الاتصال بين بالفور والصهيونية ، حيث ساد الاهتمام والحماس حتى نهاية حياته ، وكان مقدرا له أن تكون له نتائج تاريخية » .

ويمضي هربرت صموئيل في حديثه الذي كشف فيه مخبات الصهيونية وسط دوائر الوزارة البريطانية ، والخطط الخطيرة التي عمل على تنفيذها حين قدر أن يكون حاكما لفلسطين ويقول : « لقد تبلورت الآراء في ناحية ايجاد نوع من الحماية البريطانية كلما ازداد المرء ارتياحا للموضوع . . . »

وليس من الضروري أن نقبل الوضع بأن السكان الحاليين القلائل - كما هي الحال - يجب أن يكون لهم الحق في سد الباب أمام عودة

( ١١ ) المصدر السابق ص ٩٠ - ٩٤ .

الشعب الذي سبقت علاقته بالبلاد علاقتهم هم ، خصوصا وأن علاقة اليهود بالبلاد قد أنتجت آثارا روحية وثقافية ذات قيمة للبشرية بشكل يلفت النظر بمقارنته بالتاريخ المقفر للألف سنة الماضية ( ١٢ ) .

هكذا يتحدث هربرت صموئيل الوزير البريطاني اليهودي عن فلسطين ، وبرنامج بريطانيا فيها .

واذن من العبث أن نقول ان الانجليز قد أعطوا وعدا لقوم لا حق لهم في فلسطين ، وانهم أعطوه قبل أن يكونوا الغالبين في تلك البقعة من ديار الشام ، وانهم خالفوا مبدأ تقرير المصير الذي نادوا به طوال الحرب العامة ، من العبث أن نسوق أي قول من هذا بعد أن اتضحت هذه الحقائق التي تكشف الستار عن نواياهم ، وانهم كانوا مقررين تهويد فلسطين ، لدرجة أنهم اعتبروا اكثريتها أقلية ، واعتبروا سكانها الأصليين طوائف ، وسلخوا في برنامجهم كل سبيل يمكن لليهود من أن يصبحوا اكثرية وملاكا وحكاما لهم السيطرة وبيدهم المقدرات .

وهكذا نجد أن هربرت صموئيل خطط لقيام دولة اليهود عندما كان وزيرا في الوزارة البريطانية عام ١٩١٤ وقبل احتلال الانجليز لفلسطين ، وحين أعطي الانتداب لبريطانيا تحت تأثير الصهيونية العالمية ونفوذها عين هذا البريطاني الصهيوني مندوبا ساميا في فلسطين ، ليتم مهمة القهر المتمثل في القوة العسكرية ، وفي الصلاحيات القانونية المخولة له طبقا لصك الانتداب .

ومنذ استولت بريطانيا على فلسطين خلال عام ١٩١٨ ، بدأت تنفذ برنامج تسليم فلسطين لليهود ، ولعلها كانت تعتقد أن سكان فلسطين العرب من السهولة والسذاجة ، بدرجة أنهم لن يقيموا امامها العراقيل ، وأن برنامج التهويد سوف يمر في سلام ، ولكن الثورة العربية في ابريل ( نيسان ) ١٩٢٠ واحتجاجات العرب الدائمة ومظاهراتهم المتكررة وفي كل مناسبة ضد وعد بالفور وسياسة التهويد ، أشعرت بريطانيا أن الأمر ليس من السهولة التي تتصورها .

وما كاد مؤتمر الحلفاء في سان ريمو يخضع لبريطانيا والصهيونية ، ويقرر تضمين صك الانتداب وعد بالفور وقبل انتظار لمصادقة عصبة الأمم على صك الانتداب ، حتى أسرع بريطانيا وعينت هربرت صموئيل

( ١٢ ) فكرة مزورة مخالفة للتاريخ ولما تقرره تورا صموئيل نفسه من أن فلسطين كانت أرض كنعان قبل اليهود .



اليهودي البريطاني الشهير والذي تحدثنا عنه في الصفحات السابقة : مندوبا ساميا لها في فلسطين ، فقد ضج الصهيونيون من حكم العسكريين وهم يطالبون بالادارة المدنية (١٣) ، وداست بريطانيا كل المبادئ الانسانية وحطمت المثل الديمقراطية ، وبدأت تسلم رسميا البلاد الى حكم اليهود .

فعلى الرغم من أن الانتداب الذي قرر باحتيال منها ، وتملصا من عهدها للشريف حسين ، كان ينص في المادة ٢٢ من ميثاق الأمم « أن بعض الشعوب الصغيرة التي كانت سابقا ضمن السلطنة العثمانية ووصلت الى درجة من الرقي ، يمكن الاعتراف بها مبدئيا كشعوب مستقلة ، على أن تقدم لها المشورة أو المساعدة الادارية من جانب احدى الدول المنتدبة ريثما يصبح في استطاعتها الوقوف منفردة بنفسها ، ويجب مراعاة رغائب هذه الشعوب في اختيار الدولة المنتدبة » .

وعلى الرغم من أن الشريف حسينا رفض التوقيع على صك الانتداب بما فيه هذه المادة واعتبره مغائرا ومخالفا لما أعطي من عهد ، على الرغم من هذا ، فإن الانجليز داسوا هذه المادة بالنسبة لفلسطين اذ تتضح مخالفتهم حين لم يعتبروا أن لفلسطين شعبا يسكنها ، وان مهمتهم التعاون معه حتى ينشأ دولة ويقف منفردا بنفسه ، بل اعتبروا ان جميع يهود العالم هم شعب فلسطين ومن حقهم دخولها والاقامة فيها .

وهم لم يراعوا رغبات سكان فلسطين على ما عليه اليهود من نسبة عددية ضئيلة حين تم الاحتلال ، بل اعتبروا سكانها العرب طوائف أخرى تعامل معاملة الأقلية ، مهما كان عددها ، وهم بعد كل هذا وقبل كل هذا يتخذون جميع الوسائل لتهويد فلسطين ، منذ أن احتلوها غير منتظرين صك الانتداب ولا متوقفين عليه ، ولماذا لا يفعلون ؟ ألم تؤيدهم الدول الصليبية الاستعمارية كلها معترفة بوعد بالفور لليهود منذ أن كانت نار الحرب مشتعلة مع الدولة العثمانية خلال عام ١٩١٧ ، ١٩١٨ .

#### ٥ - تهويد أجهزة الحكم :

ولتتم الصورة أصبح هربرت صموئيل حاكما مدنيا لفلسطين وأصبحت بذلك الدولة اليهودية في الأرض المقدسة موجودة فعلا اذ أن السلطة العليا تنتهي دائما الى هذا المندوب السامي ، وسرعان ما خلق

(١٣) راجع شكوى الجنرال بولس من اليهود واقصائه عن حكم فلسطين ص ٩٠ من هذا الكتاب .

جهازا يرضي اليهود ، وينفذ أغراضهم .

وماذا يمنع قيام الوطن اليهودي اذا كان الحاكم يهوديا ، يستمد سلطانه من لندن وقواتها العسكرية ، وما هو الاشكال الذي يمكن ان يقف في طريقه ، هل يخشى أن تكون أعماله محتاجة لسند قانوني ، انه يعين المستر نورمان بنتويتش اليهودي سكرتيرا قضائيا (١٤) ( نائبا عاما ) في حكومة الانتداب ، ويتولى هذا وضع القوانين وسن التشريعات اللازمة لفلسطين ، وتصدر موقعة من هربرت صموئيل المندوب السامي ، وقد سنّت في عهد صموئيل هذا مئات من القوانين التي حدثت من نشاط العرب ، وحمت اليهود وسهلت هجرتهم ، والتي منعت تصدير الحاصلات العربية ، لتكسب تجارة الشعب العربي ، وليئن الفلاحون العرب تحت وطأة الديون ، وتباع أراضيهم سدادا لتلك الديون .

وفتح ابواب المناصب لليهود برغم قلة عددهم حتى أصبحت اربعة (١٥) اضعاف العرب ، وسلم ادارة المهاجرة لمدير يهودي يدعى « حاييمسون » ، كما سلم ادارة التجارة لليهودي آخر ولم تبق دائرة الا ويرأسها يهودي او يساعد مديرها البريطاني يهودي آخر .

واذا كان هربرت صموئيل قد وضع اللبنة الاولى للتهويد ، فان بريطانيا تنفيذا لذلك المخطط واصلت طوال انتدابها عمل صموئيل المذكور ، ويكفي أن نثبت هنا الشكل العام لجهاز الحكم منقولا عن الكتاب الرسمي لحكومة فلسطين الصادر عام ١٩٣٨ ومنه يتضح أن العرب الفلسطينيين كانوا يفالبون امكانيات التاريخ في سبيل الحفاظ على وطنهم الذي حكمته فعلا حكومة يهودية فجعلت الاغلبية العظمى من كبار موظفيه يهودا هذه أسماؤهم :

#### هيئة الحكومة

- ١ - اسحاق ابراهام - المترجم الأول في الحكومة .
- ٢ - انجلو عنتية - رئيس الكتبة
- ٣ - الكسندر ابشتاين - قائمقام تل أبيب .
- ٤ - جوزيف كوبرمان - قائمقام يافا .
- ٥ - باروخ بينا - القائمقام المالي لحيفا .

(١٤) يقول وايزمان في مذكراته ان بنتويتش هذا كان ممثلا لاتحاد الصهيونيين بلندن ١٩١٦

انظر الوثائق الرئيسية للجامعة ، ص ٩٩ .

(١٥) محاضرات في تاريخ قضية فلسطين ، ص ٧٨ .



- ٦ - جاكوب برقمان - قائمقام حيفا ونابلس .
- ٧ - جاكوب كيزلوف - قائمقام منطقة القدس .
- ٨ - ايزكومروف - خلف ابشتاين بتل أبيب .
- ٩ - أزفي شمبشي - خلف لكورمان بيافا .
- ١٠ - اسحاق شيزك - خلف لبرقمان بحيفا .
- ١١ - ابراهيم برجمان - مساعد قائمقام للعقولة بالجليل .
- ١٢ - دافيد بروتمان - مساعد قضاء الجليل .
- ١٣ - دافيد ليبجار - مساعد طبرية .
- ١٤ - جوشا جوبلرلك - مساعد قائمقام بحيفا .
- ١٥ - هنري كانتروفيتش - مساعد محامي الحكومة لشئون الأراضي وجميع هؤلاء من اليهود ) .

#### دائرة الخزينة

- ١ - داكري هارفي - المساعد الاول لمدير الخزينة .
- ٢ - مستر وولف - مساعد لمدير الخزينة .
- ٣ - ناتان ديفيس - مساعد بالخزينة .
- ٤ - نسيم ليفي - مساعد لمدير الخزينة .
- ٥ - دكتور باتون - مراقب البنوك ( وليس بين هؤلاء الخمسة اليهود الا ثلاثة من الانجليز ) .

#### دائرة الشرطة ( البوليس )

- ١ - كولمان كوهين - مساعد المفتش العام .
- ٢ - اديري سيلفر - مساعد المفتش العام .
- ٣ - سلمون شيف - مساعد المفتش العام .
- ٤ - ناتان كريمير - مساعد المفتش العام .
- ٥ - سلمون سوفر - مساعد المفتش العام .
- ٦ - ادولفي ليفز - مساعد المفتش العام .

وكلهم يهود مساعدون للمفتش العام وكان معهم اكبر الضباط العرب رتبة المدعو شوقي سعد ويجمع المجاهدون الفلسطينيون أنهم لم يتلقوا منه أي رحمة أو مساعدة بل كان شرطيا صادق النية ضد الثورة

#### والثوار (١٦) .

وقد نشرنا في غير هذا المكان الأعضاء الموكل اليهم امور تسوية الأراضي وامور تنفيذها وهي واضحة لا تحتاج الى تعليق (١٧) .  
وبينما اخضع صموئيل المدارس العربية لاشراف المفتشين الانجليز ، اطلق لليهود حرية التعليم واستقلال المدارس بعد ان قررت لغتهم العبرية لغة رسمية مع الانجليزية والعربية في فلسطين .

#### ٦ - اخضاع اقتصاديات فلسطين لليهود :

ونقب صموئيل عن كل أسلوب يهودي لافقار العرب وابعادهم عن الأرض ، فأدرك أن اكثرية الفلاحين منهم تهتم بالزراعة الموسمية للحبوب او تعنى بالزيتون وانتاج زيت ، فشجع الفلاحين على الاستدانة من المرابين وهم يعتمدون على الاسعار العالمية المجزية سواء في تجارة القمح او الزيت ، وحين تم ضم المحصولات في الاسواق وعجز الفلاحون الصغار عن سداد الديون ، اقيمت حجوزات عديدة بيعت فيها محاصيل الفلاحين الصغار ، ثم بيعت أراضيهم نفسها سدادا لتلك الديون على الطريقة اليهودية العالمية حيث كان صموئيل قد اصدر امرا بمنع تصدير المحصولات فكسدت الأثمان .

وحين وضع صموئيل اللبنة الاولى في افقار العرب ، وسلخ أراضيهم ، اخذ يضع اللبنة القوية في تنمية ثروة اليهود وتمكينهم اقتصاديا من فلسطين .

والمادة الثالثة عشرة من دستور فلسطين ، انما وضعت لصالح اليهود وحدهم ، وقد برهنت كل الأحداث على ذلك ، وكان نصها كما يلي :

« للمندوب السامي أن يهب أو يؤجر اية ارض من الأراضي العمومية او اي معدن أو منجم وله أن يأذن باشغال مثل هذه الأراضي بصفة مؤقتة وبالشروط أو المدد التي يراها ملائمة ، ويشترط أن تجري كل هبة كهذه

(١٦) شوقي سعد زوج لسيدة فرنسية مما خلق صداقة قوية بينه وبين سفير فرنسا بليبيا أيام ثورة تونس والجزائر ، لم تتركه بريطانيا بفلسطين فأحضرتة الى ليبيا بعيد احتلالها عام ١٩٤٤ وتولى مركزا كبيرا في مباحث الشرطة هناك بطرابلس وعاصر في ليبيا حركات الوطنيين في سبيل الاستقلال ١٩٤٤ - ١٩٥١ كما عاصر حركات الثوار التونسيين والجزائريين ولم يكن الشعب يرى فيه فارقا عن الضباط الانجليز قسوة وشدة وارهابا .  
(١٧) راجع صفحة ٣٥٢ - ٣٥٣ من هذا الكتاب .



أو إيجار وفقا لمرسوم أو تشريع أو قانون معمول به في فلسطين أو سيعمل به فيما بعد ، أو وفقا لما قد يصدر للمندوب السامي من التعليمات بتوقيع جلالتهم وختمه أو بواسطة الوزير المختص تنفيذا لأحكام صك الانتداب » .

وهذه المادة تفرض على قارئها أن يعود الى المادة الثانية من صك الانتداب التي تنص على أن بريطانيا تتعهد بأن تجعل فلسطين في وضع سياسي واقتصادي واجتماعي صالح لإنشاء وطن قومي لليهود (١٨) .

وكانت الخطوات التي اختارها صموئيل لبناء اليهود اقتصاديا وتمكينهم من فلسطين هي تسليمهم الأراضي ، فأقطعهم ٢٠٠ ألف دونم في مرج ابن عامر وأجل ٩٠٠ أسرة عربية عن أملاكها التاريخية ، وسلط الجيش والبوليس لتنفيذ أمر الطرد والاستيلاء .

كما أقطعهم أراضي الكباره وعتليت وتلال قسارية (١٩) في مجموع ١٧٥ ألف دونم من أراضي سكنها العرب ، وفلحوها منذ أكثر من ألف عام ، بل منذ آلاف السنين وأقطعهم وأجر لهم بايجارات اسمية ، واغتصب من الأراضي العربية بثتى الوسائل والحيل ما سنفصله في موضعه .

وعمد الى المشروعات المهمة فسلمها الى اليهود وحدهم بتسهيلات كبيرة ، وكان من أهمها امتياز الكهرباء المنوح في ١٢ سبتمبر ( ايلول ) ١٩٢١ ويكفي القليل من مواده في استيضاح أهميته وخطورته . فضلا عن أن هذا الامتياز قصد منه تقوية اليهود اقتصاديا بتسليمهم مشروعا مهما للكهرباء وجني الأرباح الكبيرة العائدة من ذلك ، حرص المندوب السامي على أن ينص بصراحة على حق صاحب الامتياز اليهودي في نزع ملكية الأراضي .

واذا أدركنا أن تلك الأراضي كلها عربية ، أما بالتملك أو بالاستعمال والاستثمار منذ أجيال بعيدة ، أدركنا المعنى الخفي الذي كان يقصده المندوب السامي حين يشرع ويفتح باب نزع الملكية على أوسع نطاق ويقول :

« تحريراً في ١٢ سبتمبر ( ايلول ) ١٩٢١

بين النبيل السير هربرت صموئيل المندوب السامي لفلسطين بمقتضى المنصب الذي تقلده من وكلاء التاج للمستعمرات فريق أول .

(١٨) راجع النص ص ١١٣ .

(١٩) القضية الفلسطينية ، ص ٨١ .

وبين بنحاس روتنبرغ من القدس مهندس مدني فريق ثاني .

مادة ٢ : يمنح المندوب السامي بمقتضى منصبه لصاحب هذا الامتياز امتيازاً مطلقاً لمدة ٣٢ سنة من تاريخه ... الخ .

مادة ١٣ : على المندوب السامي بناء على طلب صاحب الامتياز (٢٠) الخطي ، وعلى نفقته أن ينزع ملكية طاحونة جريشه ، وأي ملك أو أرض أو مباني أو مرافق مقتضاه لإنشاء سد الهدار وبناء القنال ، ومحطة القوة في جريشه ، وبناء طاحونة الدقيق ، والمكاتب والمباني والمستودعات أو المنافع ، ويدفع تعويض عادل يتفق عليه مع صاحب الامتياز ، أو يقدر وفقا لقانون نزع الملكية الساري اذ ذاك في فلسطين عند عدم الوصول الى اتفاق » .

وهكذا (٢١) وتحت سطوة قانون نزع الملكية الذي انفرد بتنفيذه المندوب السامي اخذ اليهود يستولون بقوة بريطانيا على الأراضي قطعة وراء أخرى ، وكان ذلك القانون يخول للمندوب اغتصاب الأراضي التي يرفض أهلها ثمنها أو التخلي عنها وتسليمها الى أصحاب المشروعات . وحين صدر قانون جديد لامتيازات الكهرباء عام ١٩٢٧ م. في بداية عهد المندوب السامي الجديد اللواء بلومر . تركز اهتمامهم على المياه ، يستعملونها بحرية وينظمونها ويستولون عليها ، ولهذا جاءت المادة الثالثة من ذلك القانون تنص على ما يلي :

« يمنح المندوب السامي للشركة امتيازاً مطلقاً باستعمال المياه الآتي ذكرها لمدة ٧٠ سنة من تاريخ هذا العقد :

١ - مياه نهر الأردن وحياضه ، ويشمل ذلك مياه نهر اليرموك وجميع روافد نهر الأردن وحياضه الكائنة تحت اشرافه أو مراقبة المندوب السامي الآن ، والتي تكون تحت اشرافه ومراقبته في المستقبل .

ب - مياه نهر الأردن وحياضه وروافده ، ومياه نهر اليرموك وروافده الواقعة خارج حدود البلاد الكائنة تحت اشراف المندوب السامي التي تقرر استعمالها لفلسطين أو شرق الأردن أو الاثنين معا ، بموجب الاتفاق الانجليزي الفرنسي المفقود في ٢٣ ديسمبر ( كانون الأول ) ١٩٢٠ أو بموجب أي اتفاق آخر لتوليد الكهرباء من تلك المياه ... »

(٢٠) نشرنا هنا ما يتصل بموضوع الاستيلاء تاركين تسلسل المواد .

(٢١) اقرأ بعض مواد هذا القانون في صفحة ٣٤٧ عند حديثنا عن الأراضي في فلسطين .



ولرغبة بريطانيا في تقوية اليهود ، وانجاح مشروعاتهم جاءت المادتان ٣٥ ، ٣٦ من قانون الكهرباء بالنص التالي :

« مادة ٣٥ : اذا فرضت ضرائب في فلسطين ، ووقعت هذه الضرائب على ارباح الشركة العائدة اليها من الامتياز خلال العشر سنوات الاولى ، فان ارباح الشركة المخصصة للاستهلاك ولهبوط القيمة والامتياز ، تعتبر استيفاء لهذه الضرائب انها من المصاريف وليس من الارباح حتى تعفى من الضرائب ولا يستوفى في خلال العشر سنوات المذكورة على اية ارباح ربحتها الشركة من المشروع علاوة على المصاريف المنوه عنها ، الا اذا كان المشروع قد اعطى زيادة عن تلك المصاريف مما يكفي في السنة التي استوفيت فيها الضرائب ، وعن كل سنة سابقة للمدة المذكورة لدفع ربح متجمع معدله لا يقل عن ستة في المائة في السنة خالص الضرائب ، على رأس المال المؤلف من الأسهم المتفق عليها ... واذا فرضت بعد تاريخ هذا الامتياز ضريبة على القوة الكهربائية أو ضريبة اضافية .. يحق للشركة أن تزيد الرسوم التي تتقاضاها من المستهلكين بموجب المادة ٢٢ من هذا الامتياز .

مادة ٣٦ : على الشركة أن تدفع على ما تستورده من الآلات وخلافها من المواد جميع الرسوم التي تستوفى على واردات فلسطين أو شرق الأردن على أن يؤجل بناء على طلب الشركة دفع هذه الرسوم .. الى أن تصبح ارباح المشروع بعد تحديد المبالغ المطلوبة للاستهلاك والهبوط والاحتياط بالدرجة الاولى كافية لتمكين الشركة من دفع ربح لا يقل عن ثمانية في المائة بالسنة ، خالص الضرائب على رأس المال المكتتب به ، والموضوع في المشروع ، وقد تدفع الشركة بعدئذ ما تأجل دفعه من الرسوم الجمركية ورسوم الوارد المستحقة عليها ، بأقساط سنوية لا تزيد عن خمسة في المائة من مجموع المبالغ الواجب دفعها من الرسوم الجمركية وغيرها .

على أن امتيازات الكهرباء لم تكن وحدها المشروعات المهمة التي سلمت الى اليهود ، فقد سلمهم اللورد بلومر ، وكان ضالعا مع الصهيونيين كسلفه هربرت صمويل حسب شهادة وايزمان نفسه (٢٢) ، امتياز استثمار البحر الميت الذي قدرت كنوزه بأربعة عشر مليار جنيه وحرر ذلك العقد بين المندوب السامي وبين اليهوديين نوفومسكي وطولوخ لمدة ٧٥ عاما (٢٣) . وكانت التقارير تفيد أن ما في البحر الميت من املاح

(٢٢) مذكرات وايزمان ، ص ٤٠٦ .

(٢٣) القضية الفلسطينية ، ص ٧٥ .

البوتاس تقدر بألفي مليون طن ، ومن بروميد المغنسيوم بتسعمائة مليون طن عدا كميات ملح الطصام والفوسفات . وأسرت سلطات الاحتلال الى منح اليهوديين اراضي شاسعة على حدود البحر الميت كما أجرت لهما ٦٤ ألف دونم بايجار اسمي ، وسلط الجيش البريطاني والبوليس على الفلاحين يطردونهم من اراضيهم ويمنحونهم حق البقاء بمجرد تغيير المالك أو صدور أمر الاستيلاء .

وكان صموئيل قد اصدر عفوه عن المساجين اليهود الذين جرموا في الممارك مع العرب ، وأخفى تقرير اللجنة البريطانية التي أدانت الصهيونية ، واستمر صموئيل ومن جاء بعده من الحكام يتخذون كل يوم اجراء جديدا لصالح اليهود ، على حين تميز صمويل بأنه كان يحسن لقاء كل وفد عربي يحضر لمقابلته والاحتجاج على التصرفات الخطيرة المتخذة ، وكان يحسن ايضا توديع تلك الوفود و اظهار الاحترام لهم .

والصورة الحقيقية لهذه الشخصية الخطيرة التي لعبت أكبر الأدوار في تاريخ النكبة العربية انما يرسمها زعيم الصهيونية الأكبر وايزمان حين يقول : « أن صموئيل نتاج يهوديتنا ، ونحن الذين عيناه مندوبا ساميا ، أنا المسئول عن تعيين سير هربرت صموئيل في فلسطين ، أن صموئيل هو صديقنا ، ولم يقبل أن يقوم بهذه المهمة المسيرة الا نزولا عند رغبتنا ، نحن حملناه هذه الأعباء ، أن صموئيل هذا هو صموئيلنا (٢٤) » .

#### ٦ - اشتداد وطأة الاضطرابات :

هكذا وجد الشعب العربي الفلسطيني نفسه محاطا بالاعداء ، ورأى أن التخطيط الانجليزي الصهيوني يقفل جميع الجوانب التي يمكن أن يسلكها في سبيل المحافظة على وطنه ، وأن القوة التي امامه ليست عادية ولا سهلة .

وبينما كان صموئيل ينفذ برنامجه الخطير هذا ، كان الحكم العربي يهوي في سوريا ، وكانت فرنسا تمرغ وجه العرب في التراب ، وكان فيصل يغادر البلاد طريدا بلا مجد ولا تاج .

ان بريطانيا لم تدخل فلسطين غازية لها حتى يلام العرب على عدم

(٢٤) قضية فلسطين ، ص ٧٦ .

وانظر ايضا :



مقاتلتها منذ أول يوم ، فهي لم تسلك السبيل الذي سلكته في احتلال مصر ، حين خشيت استفحال الروح الوطنية ، وصممت على تحطيم الجيش المصري واخلاد تلك الجذوة الحرة التي أشعلها البطل عرابي ، وهي أيضا لم تسلك مسلك إيطاليا حين احتلت ليبيا فهاجمتها في سنة ١٩١١ وأطلقت عليها سيل قنابلها ، فنهض أهل الوطن يحاربونها ويعادونها ، وأيضا لم تسلك مسلك فرنسا في احتلال تونس والجزائر والمغرب غازية معادية .

إنها لم تفعل شيئا من ذلك ، بل جاءت مسالمة متظاهرة بصداقة العرب والتحالف معهم ، ورمت المنشورات فوق أراضي فلسطين تلبفهم أنها تعاهدت مع الشريف حسين لتوحيد الأمة العربية وإعادة مجدها (٢٥) .

لهذه الاعتبارات بقي الشعب الفلسطيني السنوات الأولى بعد الاحتلال وهو يواجهها بفيض من الاحتجاجات التي صاحبها مرارا مضاعفات جانبية حدثت حيناً وحيناً .

وفي الثامن والعشرين من مارس ( آذار ) ١٩٢١ وقف في القدس ونستون تشرشل وزير المستعمرات البريطاني يمجّد قتل الصليبيين والمياكيين اليهود ، فتظاهر العرب ضد خطابه هذا منددين بالخيانة البريطانية للعرب ، هاتفين بسقوط بالفور ووعدده وحكومته ، ولكن الجنود البريطانيين يطلقون رصاصهم فيسقط عديد من صرعى العرب ، وتتحول فلسطين الى بلد هائج ضد الوطن اليهودي لا يعرف الهدوء ولا السكون (٢٦) .

ولكن تشرشل يمضي في صهيونيته ، فيشارك اليهود غرس نخلة في مكان انشاء الجامعة العربية ، ويأمل أن تكون هذه الشجرة في نموها رمزا الى مجهودات الحركة الصهيونية .

وكممت أفواه العرب في فلسطين ، بل كمت خارج فلسطين ، والمراجع لجموعات الصحف العربية القديمة لا يجد الا القليل جدا من مظاهر الاهتمام العربي بهذا الأخطبوط الذي بدأ يرسم خطوطه في فلسطين .

وفي مناسبة مفتنمة نشرت جريدة الأهرام (٢٧) خطابا مفتوحا الى تشرشل موقعا من مجهول باسم فلسطيني صميم ، يلقي ضوءا على أحوال فلسطين في تلك البرهة المهمة من التاريخ ، ويبداً ذلك الخطاب المهم

- (٢٥) بحوث مؤتمر المائدة المستديرة بلندن ١٩٣٩ .
- (٢٦) جريدة الأهرام ٢٩ من مارس ١٩٢١ .
- (٢٧) جريدة الأهرام العدد ١١ من مارس ١٩٢١ .

بالإشارة الى تلك الأراضي الخصبة التي باعها أناس غير فلسطينيين ويسميه آل سرسق ، والى أن الجند طردوا الفلسطينيين من تلك الأراضي عنوة وبالقوة ، وسلموها الى اليهود برغم عظم مساحتها وعديد قراها ، ويضيف :

« ومع أن تصدير الحاصلات هو المورد الطبيعي للبلاد ، فقد وضعوا امامه العوائق السنة تلو السنة برغم وفرة المحصول ، فهبطت الأسعار ، وضاعت قيمة الأراضي الزراعية ، وزاد الأهالي فقرا على فقرهم ، مما مكن اليهود من شراء الأراضي بدرهيمات معدودة .

وكان في البلاد على العهد التركي بنك زراعي ، وقام اليهود وقعدوا لعودته ، ثم استصدروا أمرا من لندن باغلاقه فأغلق ، ودهس الناس لجراتهم وياتوا يحسبون لمستقبلهم ألف حساب . ان الحكومة تصرف ملايين الجنيهات لتحسين مزارع اليهود ، ومد السكك الحديدية الى مزارعهم ومستعمراتهم ، ويضنون من جهة أخرى على نشر التعليم في البلاد ، يقولون للصحافة انك حرة ، ثم يرسلون لأصحابها الإنذار تلو الإنذار ، يحذرونهم من نشر ما لا يطيب لهم نشره من انتقاد أو احتجاج أو بيان شعور الأمة ، يصدرن القانون تلو القانون دون استشارة أحد ، حافظين لأنفسهم السلطة المطلقة في التغيير والتبديل .

فأصبح الناس غير واثقين ممن كان يدعي صداقتهم وتحريرهم من نير جمال باشا فصدقوه ، فهل من الغرابة والحالة هذه أن يصمم الفلسطينيون عامة التصميم الأكبر على مقاومة سياسة ترمي الى الحصول منهم على الرضى بوعده لو قبلوه لجنوا على الوطن جناية كبرى » .

ذهبت جميع احتجاجات العرب وتحركاتهم إدراج الرياح ، لم تهتم بريطانيا بتلك الاضطرابات التي حدثت في القدس عام ١٩٢٠ اثناء الاحتفال بعيد النبي موسى ، ولم تهتم بأحداث بيسان في أواخر ابريل ( نيسان ) من العام نفسه ، واشتعلت النار بين العرب واليهود بيافا في مايو ( أيار ) ١٩٢١ ، حيث اصدرت السلطات البريطانية بلاغا رسميا ، ذكرت فيه أن اليهود خسروا ٣٠ قتيلاً و ١٤٣ جريحا بينما خسر العرب ١٠ من القتلى و ٢٧ جريحا .

واستمر المندوب السامي في طريقه المرسوم ، فقد اصدر أمرا خلال ابريل ( نيسان ) عام ١٩٢١ بتسليم أراضي الفور للصهيونيين ، وكان هذا الفور مسجلا باسم السلطان عبد الحميد اثناء العهد العثماني ، يفلحه العرب ويعمرونه ، ويملك من يستصلح ويستقر ، وما كاد المندوب



السامي يستقر في فلسطين حتى أعلن أن الحكومة أقطعت الجمعيات الصهيونية هذا الفور لزراعته والانتفاع به ، ويقضي هذا بطرد الآلاف من الفلاحين العرب الذين توارثوا زراعته منذ مئات السنين ، وقامت المظاهرات العربية في كل مكان تعلن سخطها واستنكارها (٢٨) .

وبينما كان المندوب السامي يزور بيسان في ١٤ من ابريل ( نيسان ) ١٩٢١ خطب أمامه الشاب العربي جبران كزما معلنا أن المندوب ينفذ اجراءات التهويد في فلسطين العربية ، ورد صموئيل أن الأرض ملك للحكومة وتدخل الأمير بشير الحسن من رؤساء القبائل معلنا أن الأراضي ملك للعرب واجدادهم ، وأن الهجرة اليهودية تمكين لليهود كي يصبحوا أغلبية ، وينفذوا وعد بالفور بمساعدة الانجليز ، وطالب الشاب العربي جبران الانجليز أن تطبق المادة ٢٢ من صك عصبة الأمم ويستفتي السكان ، وحينئذ سوف يتضح اذا كانت حكومة الانتداب هذه شرعية او غير شرعية (٢٩) .

وانتشرت الاضطرابات ، فوصلت الناصرة وحيفا وطبريا والجليل ونابلس ، وأصدر المندوب أمره ، فألقي القبض على مئات من الشبان العرب ، وبينهم الشاب جبران الذي صرخ في وجه المندوب السامي في احتفال بيسان ، وطالب باستفتاء الشعب لاثبات تزوير الانتداب وعدم شرعيته .

#### ٨ - وحدة المسلمين والمسيحيين في فلسطين :

وتجمع العرب من كل مكان ، واتحد المسلمون والمسيحيون ، وأدرك الجميع الخطر الذي يبيت لبلادهم ، فلم تكن وحدة الهدف بين الصهيونية والصليبية الاستعمارية ، العرب المسيحيين عن شعورهم بالوطنية والاخاء العربي ، وأصدرت لجنة المؤتمر الاسلامي المسيحي الفلسطيني بيانا للشعب ، ضمنته احتجاجها الذي أرسلته الى دول عديدة بالإضافة الى ملك الانجليز ومختلف مجالسهم ، واستشهد هذا البيان بالتقرير الذي وضعته لجنة هايكرت عن حوادث يافا ، وطالب بوقف الهجرة اليهودية .

واذا كنا قد قدمنا الدليل تلو الدليل في بداية بحثنا عن التحالف الصهيوني العالمي مع الصليبية الاستعمارية ، فانه من صدق القول أن

(٢٨) جريدة الاهرام ١٥ من ابريل ١٩٢١ .

(٢٩) جريدة الاهرام ٢ من مايو ١٩٢١ .

تقرر أن المسيحيين العرب كانوا شركاء لآخوانهم المسلمين في الجهاد وفي النكبة ، وكانوا أعضاء عاملين في كل تحرك عربي هناك ، على أن هذا لم يكن جديدا ، فقد حفظ لنا التاريخ تلك المعاملة الكريمة الحادثة التي سنها الخليفة العادل عمر بن الخطاب في معاملة المسيحيين بعد فتح القدس ، وحفظ لنا التاريخ أيضا أن كثيرين من المسيحيين العرب تعاونوا مع البطل صلاح الدين ، وكان بعضهم يتولى مناصب مأمورية الاغاثة ( التموين ) ودوائر المال ، بل أن موقف المسيحيين العرب حين حاصر الصليبيون عكا ، كان ابلغ في وحدة شعورهم بوحدة المصير مع المسلمين ، إذ كان البحارة من مسيحيي بيروت يلبسون البسة الأفرنج الصليبيين ويحملون الفداء لمعونة عكا المحاصرة من الصليبيين (٣٠) ، واثناء النضال ضد الانتداب كان المسيحيون العرب يسيرون في نفس الصف الذي يسير فيه المجاهدون العرب المسلمون ، بل أن ذلك البطل الذي نسف الوكالة اليهودية في حادث تاريخي معروف كان مسيحيا من شباب القدس .

#### ٩ - اللجنة البريطانية الأولى :

كانت لجنة توماس هايكرت قاضي القضاة البريطاني ، أول لجنة بريطانية تشكل للبحث في أسباب اضطراب فلسطين ، وقد رحب الشعب العربي للوهلة الأولى باهتمام الحكام وتأليف لجنة تبحث أسباب الاضطراب ، ولكن ظهر مع مرور الزمن أن سياسة اللجان سياسة بريطانية ، يقصد منها تخدير الشعب ، ثم يصرف النظر عن تقريرها كلما كان ذلك في صالح العرب ، وأنا لنقتبس بعض الفقرات من تقرير هذه اللجنة مما يتصل بموضوع هذا البحث :

« الشغب الحقيقي الذي نبحت عنه ، ليس شغبا اعتياديا لأنه دام عدة أيام ، وهو يقع كلما تقابلت جماعات المسلمين مع جماعات من اليهود ، وقد ازداد يوما بعد يوم ، الى أن عم قضاء يافا بأجمعه ، وهوجمت المستعمرات اليهودية القريبة من يافا بشدة زائدة ... »

ولا شك أن العداء لليهود كان متأصلا في نفوس جميع الوطنيين بصورة لا تقبل الجدل ، وقد ظهر لنا أن الوطنيين ينفرون من الحكومة لاتباعها سياسة انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ... وانتشر الاعتقاد في البلاد من أولها لآخرها بأن الحكومة عرضة لضغط الصهيونيين عليها ، وهي لذلك تتحيز لليهود وتساعدهم في جميع اعمالهم ومقاصدهم بالرغم

(٣٠) القضية الفلسطينية ، ص ٤٦ .



من كونهم اقلية قليلة ، وقد اكد لنا الكثيرون وتأكدنا بانفسنا انه لولا وجود القضية اليهودية في فلسطين لما لاقت الحكومة اقل صعوبة في ادارة الشؤون المحلية ، ونعتقد أن كره العرب للبريطانيين نشأ عن مساعدة الحكومة للسياسة الصهيونية » . ثم قال تقرير اللجنة :

« لو ظل اليهود اقلية كما كانوا أيام الترك ، وحافظوا على ادبهم واعتدالهم لما عكر صفو عيشهم أحد ، لكن العرب لما رأوا أن اليهود أصبحوا اصحاب الكلمة النافذة عند الحكومة ، تقموا عليهم واضمروا لهم الشر ، وباتوا ينتظرون أول حركة تبدو منهم ليهيجوا عليهم الرأي العام ، وقد أبدوا هذا الشعور مرارا عديدة بانتهاك حرمة كثير من اعيان اليهود واهانتهم شرا هانة » .

وقد نشرت اللجنة ظلمات يشكو منها العرب ، وتسببت في ثورتهم عام ١٩٢١ وانها لظلمات توضح الموقف العربي في ذلك الوقت ، ومقدار الاثقال التي وضعتها السلطات البريطانية على الشعب العربي في فلسطين ، ونورد بعضها كما جاءت بنصها الرسمي في تقرير قاضي القضاة البريطاني :

ان المظالم التي يشكو منها العرب والتي كان لها دخل عظيم في المشاغبات هي :

١ - لأن بريطانيا العظمى أسست الحكومة الفلسطينية بحسب رغائب الصهيونيين ، وأتبع سياسة انشاء الوطن القومي ، ولم تراع منافع سكان فلسطين الأصليين .

٢ - لأن الحكومة الفلسطينية استعانت بصورة رسمية تأييدا لهذه السياسة بلجنة صهيونية تساعدها في اعمالها ، فما كان من هذه اللجنة الا انها الفت حكومة ثانية في قلب الحكومة الفلسطينية وأخذت تعنى بمصالح اليهود ، وتهمل مصالح الوطنيين .

٣ - لأن عدد الموظفين اليهود كثير بالنسبة الى عددهم .

٤ - لأن برنامج الصهيونيين يقول بلزوم اقحام فلسطين بأناس اقدر وامهر من العرب في تعاطي التجارة والصناعة قصد الاستيلاء على موارد البلاد ونزعها من أيدي ابنائها .

٥ - لأن قدوم المهاجرين خطر على أهل البلاد وعلى اقتصادياتهم .

ثم يستأنف قاضي القضاة البريطاني تقريره الذي نستطيع ان نأخذ منه صورة واضحة لوضع العرب في فلسطين ، رسمها بريطاني وكل اليه

ان يدرس وأن يقول :

« كان لتدخل اللجنة الصهيونية في سن القوانين وتعيين الموظفين واعادة الأمور المعزولين الى وظائفهم وقع سيء في نفوس العرب ... »

صدقنا الظلمات بعد سماع معتدلي اليهود ، ولم نعر لجنتنا أذنا صاغية ، ولا اهتمت بمثل هذه الأقوال ، ولا علمت مقدارها عند الصهيونيين ، فلما تقابلت وتباحثت مع الدكتور أيدر الرئيس العام للجنة الصهيونية الذي كان معتدلا بالنسبة الى غيره ، والذي لا يرغب في نشر افكار تهيج العرب ، سئل الدكتور « أيدر » عن بعض الأمور المهمة ، أجاب عليها بحرية زائدة وأظهر آمال الصهيونيين بجرأة وقال :

« انه لا يمكن الا ايجاد وطن قومي واحد في فلسطين ، وهو الوطن القومي اليهودي ، ولا يمكن المساواة بالحقوق بين العرب واليهود ، بل يجب أن يتقلب اليهود على العرب متى تكاثر عددهم » .

وأبى أن يعترف أو يقبل عبارة « أن يكون لليهود سلطة أو سلطان قومي » ، ووضع عوضا عنها عبارة « أن يكون حق التسلط والتقلب » وقال ايضا بصريح العبارة : « يجب أن يسمح لليهود لا العرب بحمل السلاح » وأكد أن تسليح اليهود يحسن العلاقات بينهم وبين العرب ، وقال أيضا : « يجب أن يسمح للهيئة الصهيونية أن تعترض على الحكومة ، وأن تقدم اليها أسماء الذين ترغب في ترشيحهم لمنصب المندوب السامي ، فتنتخب الحكومة منهم واحدا (٣١) » .

ثم أخذ رئيس اللجنة وهو قاضي القضاة البريطاني يقدم نصائحه ، فاقترح أن يجتمع وجوه العرب واليهود ، بشرط أن يعطي العرب عهدا مسبقا بموافقتهم على تصريح بالفور ، وأن يعترف اليهود بأنهم قادمون لانشاء وطن وسط ارض مليئة بالعرب .

وعلى الرغم مما حواه هذا التقرير من عبارات واضحة تكشف نوايا الصهيونية كشفا لا لبس فيه ، أعلنه أمام اللجنة الدكتور أيدر الرئيس العام للجنة الصهيونية ، وهو الذي وصفته اللجنة بأنه أكثر اعتدالا بالنسبة الى غيره ، وعلى الرغم من ظلمات العرب التي تأيدت لدى اللجنة ، بعد ان قابلت الصهيونيين وسمعت منهم ، على الرغم من كل هذا ، لم يكن لتقرير اللجنة أي تأثير في سير الأمور لدى المندوب السامي وسياسة



حكومته ، بل لقد استمر حكم اللجنة الصهيونية كما لو كان تحقيق اللجنة قد أوضح ظلمات اليهود ، وأنه لا وجود للعرب .

ولم يجد المندوب السامي غضاضة في أن يرسل جنوده الى ميناء يافا حيث تجمع العرب لمنع المهاجرين اليهود من النزول ، وأن يعلن الأحكام العرفية ويطلق رصاصه ، فيقتل عددا من أهل البلاد الشرعيين في سبيل ادخال اغراب ، هدفهم تملك البلد وتشريد أهله ، وحين تظاهر العرب في الثاني من نوفمبر ( تشرين الثاني ) ١٩٢١ لمناسبة ذكرى وعد بالفور نشب قتال عنيف في طريق يافا - القدس ، قتل وجرح خلاله أربعون من العرب واليهود ، كل ذلك يحدث ولم يجف بعد المداد الذي سطر به تقرير لجنة قاضي القضاة ، والذي كان مفروضا أن لجنته عينت لتستكشف اسباب الاضطراب الاولى ، وعلى ضوء تقريرها يحدد العلاج ويرسم المنهج السليم .

## الاغتصاب ... وحكم الغاب

« تكون الدولة المنتدبة مسئولة عن جعل فلسطين في أحوال سياسية وإدارية واقتصادية تكفل انشاء الوطن القومي اليهودي » .  
المادة الثانية من صك الانتداب ١٩٢٢

« على حكومة فلسطين أن تسهل هجرة اليهود الى فلسطين في أحوال مناسبة » .

المادة السادسة من صك الانتداب  
« من الضروري أن يعلم الشعب اليهودي أن وجوده في فلسطين هو حق وليس منة » .

تشرشل في كتابه الأبيض ١٩٢٢  
« يشترط ألا يطبق التشريع العام ومبادئ العدل والانصاف في فلسطين إلا بقدر ما تسمح به الظروف وأن تراعى عند تطبيقها التعديلات التي تستدعيها الأحوال العامة » .

المادة ٤٦ ف ٣ من دستور فلسطين  
البريطاني ١٩٢٢

« بما أن الشرع الاسلامي خول السلطان صلاحية تحويل الأراضي الميري الى أراضي الملك فانه من المناسب تخويل المندوب السامي هذه الصلاحية » .

مادة اضافية بدستور فلسطين ١٩٢٣

« ومن الذي أعطى فلسطين لليهود غير الانجليز الذين كانوا قائمين بالانتداب وتركوا فلسطين ليأخذها اليهود » .

جمال عبد الناصر  
٢٧ يونيو ( حزيران ) ١٩٦٢

« أصبح اله التوراة الها انجليزيا .. وقد وضع هذا الاله لشعبه اخلاقا وقوانين تقرر أن المنفعة الانجليزية وحدها هي مقياس الخير والشر » .  
غوستاف لوبون

روح التربية ترجمة عادل زعيتر - تلخيص طه حسين  
ضاعت فلسطين لا بالسيف من يدنا لكن باصبع غدار ومنسحب  
قد فرقنا وما زالت تفرقنا عدوة الشرق والاسلام والعرب  
الشاعر الليبي أحمد رفيق المهدي



## الفصل الرابع

### صُور من تأمر الاستعمار والصهيونية على فلسطين

#### ١ - الصهيونية العالمية تضع صك الانتداب :

لم يكن الأمر في حاجة الى لجنة أو الى تحقيق ، فان الاهداف المشتركة لدى الصهيونية وبريطانيا كانت قد نجحت في جعل الانتداب البريطاني على فلسطين وثيقة مهمة تستهدف تهويد فلسطين ، وتحمل هذه الوثيقة توقيعات الدول أعضاء عصبة الأمم .

ولقد جاء صك الانتداب يحمل في ظاهره صورة المستند الصادر من جمعية الأمم الملتزمة به بريطانيا ، كما لو كانت هي بعيدة عن وضعه ومجبرة على تنفيذه ، ولكن الأيام أثبتت عكس ذلك تماما .

فبينما كان الوفد الفلسطيني العربي مجتمعاً برئيس الوزارة البريطانية في مايو ( أيار ) عام ١٩٣٠ حدثت مناقشة بين هذا الرئيس وبين المفتي أمين الحسيني الذي حمل على صك الانتداب ، واصفاً له بأنه صك متحيز لصالح اليهود وحدهم ، وضار بمستقبل العرب أهل البلاد الأصليين ، فأجاب رئيس الوزارة البريطانية « ان عصبة الأمم هي التي وضعت صك الانتداب وأن بريطانيا ملزمة بذلك » .

وفي شهر يونيو ( حزيران ) سافر المفتي الى جنيف وقابل أريك دراموند السكرتير العام لجمعية الأمم وكان بريطانيا ، وبحث موضوع صك الانتداب بحضور الأمير شكيب أرسلان والسيد احسان الجابري ، وقد نفى السكرتير العام ما صرح به الرئيس البريطاني قائلاً « ان الجمعية لم تضع صك الانتداب ، بل ان الحكومة البريطانية هي التي وضعته بالتفاهم مع اليهود (١) » .

(١) حقائق عن قضية فلسطين ، ص ٣٧ .

وفي عام ١٩٤٩ وبعد انهزام الدول العربية السبع نشر وايزمان مذكراته فقال « أن اليهودي الأميركي بنيامين كوهين كان يتولى مع سكرتير اللورد كيرزون وزير الخارجية البريطانية وضع صك الانتداب والاتفاق على نصوصه » .

وهكذا يتضح كذب السياسة البريطانية ، وسلوكها مسلك الخداع والمغالطة في جميع مراحلها .

#### ٢ - نظرات ونصوص في صك الانتداب على فلسطين :

« لما كانت دول الحلفاء الرئيسية قدوافقت أيضاً على ان تكون الدولة المنتدبة مسئولة عن تنفيذ التصريح الذي صرحت به حكومة جلالة ملك بريطانيا في ٢ نوفمبر ( تشرين ثاني ) ١٩١٧ ، وصادقت عليه الدول المذكورة ، بأن ينشأ في فلسطين وطن قومي للشعب اليهودي ، مع البيان الجلي بأن لا يفعل شيء بغير الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة في فلسطين الآن ولا المركز السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلاد الأخرى .

ولما كان ذلك اعترافاً بالصلة التاريخية التي تصل الشعب اليهودي بفلسطين ، والبواعث التي تبعث اعادة انشاء وطنهم القومي في تلك البلاد ، ولما كانت دول الحلفاء اختارت الحكومة البريطانية لتكون الدولة المنتدبة لفلسطين .

ولما كانت الحكومة البريطانية قد قبلت الانتداب على فلسطين ، وتعهدت بتنفيذه بالنيابة عن جمعية الأمم طبقاً للنصوص والشروط التالية :

مادة ٢ : تكون الدولة المنتدبة مسئولة عن جعل البلاد في أحوال سياسية وإدارية واقتصادية تكفل انشاء الوطن القومي اليهودي ، كما جاء في ديباجة هذا الصك ، وترقية أنظمة الحكم الذاتي ، وضمان الحقوق المدنية والدينية لجميع سكان فلسطين ، بقطع النظر عن الاجناس والأديان .

مادة ٤ : يعترف بهيئة يهودية صالحة كهيئة عمومية ، لتشير وتعاون في ادارة فلسطين في الأمور الاقتصادية والاجتماعية وغير ذلك ، مما يؤثر في انشاء الوطن القومي اليهودي ومصالح السكان اليهود في فلسطين ، وتساعد وتشارك في ترقية البلاد تحت سيطرة حكومتها . ويعترف بأن الجمعية الصهيونية هي هذه الهيئة المنصوص عنها فيما تقدم ، ما دامت الدولة المنتدبة ترى أن نظامها وتأليفها يجعلانها صالحة ولائقة لهذا الغرض ، وعلى الجمعية الصهيونية أن تتخذ ما يلزم من التدابير بعد



استشارة الحكومة البريطانية للحصول على معونة الذين ييغون المساعدة في انشاء الوطن القومي اليهودي .

مادة ٦ : على حكومة فلسطين - مع كفالة عدم الحاق الضرر بحقوق جميع طوائف الأهالي - أن تسهل هجرة اليهود الى فلسطين في احوال مناسبة ، وتنشط بالاتفاق مع الهيئة اليهودية استقرار اليهود في الأراضي الأميرية والأراضي الموات المطلوبة للأعمال العمومية .

مادة ٧ : يترتب على حكومة فلسطين أن تسن قانونا للجنسية ، يتضمن نصوصا بتسهيل حصول اليهود الذين يتخذون فلسطين مقاما دائما لهم على الرعية الفلسطينية .

اذن استطاعت الصهيونية العالمية والصليبية الاستعمارية أن تفرض بريطانيا لتكون هي الدولة المنتدبة في فلسطين ، وأعطتها في صك الانتداب حدودا اتفقوا جميعا عليها ، وهي أن تكون مسئولة عن جعل فلسطين في أحوال سياسية وإدارية واقتصادية تكفل انشاء الوطن القومي اليهودي فيها .

ولعل هذه المادة تحمل من الوضوح ما لا يحتاج الى تفسير طويل ، ولا يكون ايجازه الا جعل فلسطين من الناحية السياسية وطنا يهوديا يضم شعبا ثقافته يهودية وجهازه يهودي ، ونفوذه يهودي ، والا جعلها من الناحية الادارية أيضا وطنا يهوديا بحيث تكون ادارته غنية باليهود ودوائره مليئة بهم ، فيعطون من المناصب أعلاها ، ومن الرتب أقواها وأحلاها . والا جعلها من الناحية الاقتصادية وطنا يهوديا ، فتسهل بريطانيا لليهود كل عمل اقتصادي يقوي من ثروتهم ، ويبني مشروعاتهم ، ويساعد في فتح بنوكهم اليهودية ، وتعطيهم امتياز الكهرباء ، وتوزع عليهم البذور مجانا .

والى جانب هذه الخطوات المهمة ، لا تنسى بريطانيا أن تضع العراقيل في وجه كل تقدم للعرب ، فتحرمهم من البنوك الزراعية ، وتحارب بقوانينها تقدمهم الاقتصادي ، وتتعمد افقارهم ، وتحارب بمختلف الأساليب كيانهم القومي أو محاولة بنائه .

وفوق هذا نجد اللغة العبرية لغة رسمية ، والمدارس اليهودية حرة لا سلطان عليها الا للجنة اليهودية ، ولتكن كما وصفها تشرشل في كتابه الأبيض :

« فهذه الطائفة بسكان المستعمرات والمدن ، وهيئاتها السياسية والدينية والاجتماعية ولغتها الخاصة ، وعوائلها ، وطرق معيشتها الخاصة ، لها في الحقيقة مميزات توسعية ، وحتى يكون للطائفة اليهودية

عمل وطيء في تقدمها الحر ، ويفسح للشعب اليهودي مجال واف ، لكي يظهر فيه مقدرته ، كان من الضروري أن يعلم أن وجوده في فلسطين هو حق وليس منة (٢) » .

وتلك الاجراءات السياسية التي لا بد من اتخاذها طبقا لصك الانتداب ، تقتضي بالنسبة للعرب العكس تماما ، فلا شيء لهم من الناحية السياسية ، ومدارسهم يجب أن تخضع للحكومة ، حتى تبعد بينهم وبين مجالهم الطبيعي للعلم ، وحتى تقف دون رغبتهم وذكائهم في التحصيل ، ولا بد أن تبعدهم عن الجهاز المهم في الميدان السياسي ، حتى تظهر فلسطين بمظهر يهودي أكثر مما هي عربية .

وهذه الاجراءات الادارية تقتضي تركيز اليهود في المناصب المهمة ، وتكثر من عددهم النسبي في الدوائر المختلفة ، وقد أسرعت بريطانيا في تنفيذ ذلك ، فلم يمض شهر يونيو ( حزيران ) ١٩٢١ حتى كانت نسبة الموظفين اليهود تقارب الثلث ، على حين لم يصل عددهم بالمهاجرين المفروضين ثمانين الفا ، فاذا اضيف اليهم عدد الموظفين البريطانيين واليهود البريطانيين كذلك ، وما يلحق بهم من نفوذ وسلطان ، تم المظهر المطلوب من جعل فلسطين في احوال ادارية تكفل انشاء الوطن القومي اليهودي ، بل لم تمض سنة ١٩٢٥ في ظل حكم هربرت صموئيل حتى كان عدد الموظفين من اليهود والعرب في حكومة فلسطين ٦٧٨ يهوديا و ٦٣٢ مسلما (٣) .

وهكذا دخلت بريطانيا فلسطين وهي متمنقة بهذا الصك الخطير للانتداب ، الذي تقمص بالفور ووعده في كل بند من بنوده ، والذي حور وعد بالفور من وعد بريطاني الى صك عالمي .

وكما في وعد بالفور لا يوجد في صك الانتداب أي ضمان للعرب مسلميهم ومسيحيهم من أهل فلسطين ، الا ضمان حقوقهم المدنية والدينية ، وهي حقوق مكفولة لكل أجنبي منح الإقامة في بلد ما ، فكأن أهل البلاد هم الأجانب الوافدون ، وكأن اليهود المستجلين هم أهل البلاد الشرعيون ، فلا يهتم الانتداب الا باليهود ينميهم اقتصاديا ، ويقويهم اداريا ، ويكونهم سياسيا .

والحق أنه انتداب غريب ، يتضمن جريمة عالمية ، ويفرض على وطن

(٢) من الكتاب الأبيض الذي أصدره تشرشل عام ١٩٢٢ .  
(٣) رد وزير المستعمرات أورميس في مجلس العموم ، جريدة الاهرام ١٦ يونيو ١٩٢٥ .



ما هو بسكان تاريخيين ليساعد على طردهم ، وابدانهم ، واحلال غيرهم من الغرباء محلهم ، وهو يفعل ذلك بجميع الوسائل ومختلف الحيل والأساليب .

وماذا أبقى لسكان فلسطين الآخرين وهم الأغلبية الساحقة ، بل هم كل ساكنيها ؟

ما هي تلك الحقوق التي نص صك الانتداب على عدم المساس بها ما دام قد أحتكر التهيئة السياسية والادارية والاقتصادية ، واعتبرها أركاناً لقيام وطن يهودي ؟

ماذا أبقى للأغلبية الا ما نص عليه من الحقوق المدنية والدينية ، بحيث لا يمنع السكان من ارتياد المساجد والكنائس ومن حقهم في أخذ رخص لقيادة السيارات مثلاً ، وفتح المتاجر ومزاولة العمل اذا وجدوا عملاً ، والمرور في الشوارع ، والجلوس على المقاهي ، ومثل هذه الأشياء مما يدخل ضمن الحقوق المدنية ، وهي حقوق تصطدم دائماً مع آمال أهل فلسطين فانها تمارس ضمن الاطار العام لمخطط النكبة في وعد بالفور وصك الانتداب ، وبالتالي فهي تقف عند الحدود التي لا تمس هذا الوعد وذلك الصك ؟

ولم يقنع واضعو صك الانتداب بكل هذا ، بل هم أجروا على الحق وأشجع ، فتصص المادة الرابعة على الاعتراف بالجمعية الصهيونية كهيئة تشير وتعاون في جميع الأمور التي لها علاقة بالوطن القومي اليهودي ، وبذلك ضمنت بريطانيا ورضيت لتاريخها ان تكون الدولة اليهودية موجودة فعلاً منذ أعلن الانتداب ، ولم تكن هذه الجمعية الصهيونية الا الحكومة الفعلية المسيطرة والمهيمنة والأمرة والناحية في جهاز المندوب السامي ، الذي جاء ليشراف على سحق العرب وخلق دولة يهودية ، وهذه اللجنة الصهيونية التي يعترف بها صك الانتداب هي التي اشار اليها تحقيق قاضي القضاة البريطاني وقال :

« ان رئيسها لا يرغب في نشر افكار تشير العرب ، وطالب فقط بتسليح اليهود وحدهم ، وان يكون لهم حق التسلط والتغلب ، وان تكون فلسطين وطناً لليهود وحدهم (٤) » .

بل ان هذه المادة تنص بصراحة على انه يجب على الجمعية ان تتخذ

(٤) راجع النص في ص ٨٤ من هذا الكتاب .

ما يلزم للحصول على معونة الذين يبغون المساعدة في انشاء الوطن القومي اليهودي ، وهي بذلك تكون قد نصبت منذ اول يوم في منصب من يفكر ويعمل ، اي من يشرع وينفذ في أي اجراء تراه لازماً لمد المعونة للذين يحتاجون هذه المساعدة في سبيل وطن اليهود الموعد .

ولعل ذلك المستشار القانوني في ادارة الانتداب ، والذي كان من أكبر الصهيوينيين البريطانيين المدعو بنتويتش كان يتفهم هذه المادة وهو يشرع كل يوم قانوناً صالحاً لليهود وضاراً للعرب ، فاعتصم الأراضي العربية هو عمل يدخل ضمن المعونة للذين يبغون المساعدة من اليهود . والاستحواذ على المزارع التي كان المزارعون العرب يعمرونها منذ العصر التركي في الأراضي المملوكة للدولة هو عمل يدخل ضمن تلك المعونة لصالح اليهود ، وتسهيل تحويل الأموال للملاك من السوريين واللبنانيين الذين اغرتهم الصهيونية ، أو يسوا من البقاء في فلسطين ، ومنع المزارعين العرب من تصدير حاصلاتهم استهدافاً لافلاسهم وإيقاعهم تحت طائلة الديون والقروض ، وحرمان العمال العرب من العمل بالمزارع اليهودية ، واشاء الطرق ومد السكك الحديدية الى جوار المستعمرات اليهودية ، وتجاهل القرى العربية وحرمانها من المعونات الحكومية ، بل وتسليح اليهود تسليحاً رسمياً وعلنياً ، بحجة الدفاع عن المستعمرات ، وتحريم السلاح على العرب تحريماً كاملاً والمعاقبة على حيازته وبأشد العقوبات ، كل هذه الأعمال تدخل أيضاً ضمن تلك المعونة التي نص عليها صك الانتداب لصالح انشاء الوطن القومي اليهودي ، بالإضافة الى المساعدة المادية التي تنادي ارباب المال من يهود العالم لتقديمها الى جمعياتهم وهيئاتهم في فلسطين .

والان وقد ضمن صك الانتداب جعل فلسطين في وضع سياسي واداري واقتصادي يكفل انشاء الوطن القومي اليهودي ، ونص على الاعتراف بالجمعية الصهيونية كهيئة تشير وتنفذ في كل ما يتصل بالوطن اليهودي ، لم يبق لصك المؤامرة الا ان يخلق الشعب الذي لا بد منه ليلبس جلباب بريطانيا الذي خاطته ، وليقف مؤتزراً به وسط الامة العربية وفي صميم ديارها .

فتنص المادة السادسة بوجوب تسهيل هجرة اليهود الى فلسطين ، وان يستقروا في الأراضي الاميرية والاراضي البور .

وقد جعلت هذه المادة اليهود المهاجرين من نوع خاص ، وانهم لمهاجرون ترعاهم الدولة بأسم الانتداب ، وتسكنهم في اراضي مملوكة للغير . ولقد جاء قانون المهاجرة البريطاني الذي وضع لتسهيل هجرة اليهود



الى فلسطين قانونا يبيح ولا يمنع ، قانونا يفتح لهم كل باب ، ويسهل لهم كل صعب ، ويقدم لهم كل عون .

### ٣ - بريطانيا تصدر دستورا لفلسطين لدعم اليهود :

واذا كنا تحدثنا فيما سبق عن صك الانتداب وكيف تحالفت بريطانيا على صوغه وأدعت أنها ملتزمة به فكان صكا يهوديا لا يستهدف الا تهويد فلسطين العربية ، اذا كنا قد أوضحنا ذلك فان هناك فرية بريطانية أخرى لا تقل جريمة عن صك الانتداب ، بل لا تقل شناعة عن وعد بالفور ومعاهدة سايكس - بيكو ، ونعني بتلك الجريمة البريطانية التاريخية ما سبق ان سمي بدستور فلسطين ذلك الذي صدر ونشر خلال أغسطس ( آب ) ١٩٢٢ (٥) .

واذا كانت دساتير الامم العديدة ، قد عرفت على الدوام بأن الدستور هو قانون القوانين ، يحوى المبادئ العامة ، ويهتم بوصف الدولة وكيانها والحقوق الانسانية المقررة ، وما يجب مراعاته من حقوق وواجبات للحاكم والمحكوم ، اذا كانت هذه هي الدساتير لدى جميع الامم وفي كل البلدان ، فان ما أسمته بريطانيا دستور فلسطين كان شيئا غير ذلك تماما ، كان قانونا قاسيا للعقوبات ، وكان لائحة مستمدة من صك الانتداب لتنظيم عملية التهويد ، وكان اطلاقا لليد الحمراء الرسمية تعمل كل ما يبدو لها من اجرام في سبيل التهويد دون رادع من دستور او خوف من قانون ، بل في حماية دستور لا يلتزم بالمعادلة في معناها المتوارث . وهذه بعض مواد ذلك الدستور الفريد :

### مرسوم دستور فلسطين

« صدر عن البلاط الملكي في قصر بكنجهام في اليوم الرابع عشر من اغسطس (آب) ١٩٢٢ الحضور : صاحب الجلالة الملك ، رئيس الامناء الوزير شورت ، اللورد ستامورتن هام ، المستر ماكراي .

لما كانت دول الحلفاء الكبرى قد وافقت على أن يعهد بادارة فلسطين التي كانت تابعة فيما مضى للمملكة العثمانية بالحدود التي تعينها تلك الدول الى دولة منتدبة تختارها الدول المشار اليها من أجل تنفيذ نصوص المادة ٢٢ من ميثاق عصبة الأمم .

(٥) مجموعة الناشير والاوامر والقوانين الفلسطينية ، مكتبة الجامعة الامريكية ببيروت ، دستور رقم ١ المسجل بالمكتبة تحت رقم ٥٦٩ - ٢٤٩ ، راجع النص الانجليزي كما صورناه مطابقا تماما للنص العربي المذكور من المتحف البريطاني بلندن . وقد اثبتنا النصين في ملحق رقم ٢ .

ولما كانت دول الحلفاء الكبرى قد وافقت أيضا على أن تكون الدولة المنتدبة مسئولة عن تنفيذ التصريح الذي أصدرته في الاصل حكومة صاحب الجلالة البريطانية في اليوم الثاني من شهر نوفمبر ( تشرين الثاني ) ١٩١٧ وأقرته الدول المذكورة لصالح انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين على أن يفهم بجلاء انه لا يأتي امر من شأنه أن يجحف بالحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية الموجودة الآن في فلسطين ، أو بالحقوق والأحوال السياسية التي يتمتع بها اليهود في أية بلاد أخرى .

ولما كانت دول الحلفاء الكبرى قد اختارت جلالته للانتداب على فلسطين ، ولما كان جلالته يتمتع بالسلطة والاختصاص في فلسطين ، بحكم معاهدات وامتيازات وعادات صريحة أو ضمنية وغير ذلك من الوسائل المشروعة ، لذلك وعملا بمشورة مجلسه الخاص يرسم ما يأتي (٦)

المادة ١٢ : يناط بالمندوب السامي آنئذ جميع الحقوق في الأراضي العمومية أو الحقوق المتعلقة بها ، وله أن يمارس تلك الحقوق بصفة كونا امينا من حكومة فلسطين .

المادة ١٣ - للمندوب السامي أن يهب أو يؤجر أية أرض من الأراضي العمومية أو أي معدن أو منجم وله أن يأذن باشغال هذه الأراضي بصفة مؤقتة وبالشروط والمدة التي يراها ملائمة ... ويشترط في كل هذا أن تجرى كل هبة كهذه أو كل ايجار أو تصرف كهذا وفقا لمرسوم أو تشريع أو قانون معمول به بفلسطين ، أو سيعمل به فيما بعد ، أو وفقا لما قد يصدر للمندوب السامي من التعليمات بتوقيع جلالته وختمه أو بواسطة الوزير تنفيذا لأحكام صك الانتداب .

المادة ١٨ : للمجلس التشريعي السلطة والصلاحيات التامة في اصدار ما تدعو الضرورة اليه من القوانين من أجل السلام والنظام .. ولا يجوز أن يصدر قانون يكون مناقضا أو مخالفا لأحكام صك الانتداب بوجه من الوجوه .

المادة ١٩ : يؤلف المجلس التشريعي من ٢٢ عضوا بالإضافة الى المندوب السامي ، ويكون عشرة من هؤلاء اعضاء موظفين واثنا عشر منهم اعضاء غير موظفين .

المادة ٢٠ : الأعضاء الرسميون في المجلس التشريعي هم الاشخاص الذين يشغلون اذ ذاك بصورة مشروعة المناصب التالية :

(٦) استغفينا عن مواد الدستور الاولى ، وعيننا بتسجيل بعض المواد التي تتضمن اشياء غير عادية وذات علاقة بالموضوع ، ويمكن مراجعة النصين الكاملين العربي والانجليزي لهذا الدستور ملحق ٢ .



١ - السكرتير العام - ب - النائب العام - ج - مدير المالية - د - مفتش البوليس العام - ه - مدير الصحة - و - مدير الأشغال العامة - ز - مدير المعارف - ح - مدير الزراعة - ط - مدير الجمارك - ي - مدير التجارة والصناعة .

**المادة ٢٥ :** للمندوب السامي أن يعلن موافقته أو عدم موافقته على أي قانون بمحض إرادته مع مراعاة التعليمات الصادرة إليه بتوقيع الملك وختمه .

**المادة ٣١ -** على كل عضو من أعضاء المجلس التشريعي قبل أن يتبوا مقعده ، ويحق له التصويت ، أن يقسم اليمين بالنص التالي أمام الرئيس : « وأن يوقع على هذا اليمين بامضائه » أنا ... أقسم بالله العظيم أنني سأكون أميناً مخلصاً لحكومة فلسطين » .

**المادة ٤٦ :** الفقرة ٣ : يشترط ألا يطبق التشريع العام ومبادئ العدل والإنصاف المشار إليها في هذا الدستور في فلسطين إلا بقدر ما تسمح به ظروف فلسطين وأحوالها ، ومدى اختصاص جلالة الملك فيها ، وأن تراعى عند تطبيقها التعديلات التي تستدعيها الأحوال العامة .

**المادة ٦٨ :** إذا قضت إحدى المحاكم بادانة مجرم وحكمت عليه بالحبس واستصوب المندوب السامي أن يقضي المحكوم عليه مدة الحكم الصادر بحقه خارج فلسطين فيجب أن يكون المكان المرسل إليه المجرم في إحدى ممتلكات جلالتة خارج المملكة المتحدة .

**المادة ٦٩ :** إذا ثبت للمندوب السامي بنية مشفوعة باليمين أن شخصا يسلك سلوكاً خطراً على الأمن والنظام في فلسطين ، أو أنه يسعى لاثارة العداء بين أهالي فلسطين والدولة المنتدبة أو أنه يكيد لسلطة الدولة المنتدبة بفلسطين ، فيجوز للمندوب السامي إذا استصوب تلك أن يصدر أمراً موقعا بتوقيعه يقضي فيه بإبعاد ذلك الشخص من فلسطين إلى المكان الذي يعينه .

**المادة ٧٠ :** لا يستأنف أمر الإبعاد الصادر بموجب هذا المرسوم .

**المادة ٧٢ :** إذا تقرر نقل أي شخص أو إبعاده عن فلسطين يوقف إذا دعت الحاجة إلى ذلك تحت الحفظ أو في السجن بمذكرة من المندوب السامي ريثما تسنح فرصة ملائمة لنقله أو إبعاده وإذا كان المراد بإبعاده إلى ما وراء البحار فيوضع على ظهر سفينة من سفن جلالتة الحربية وإذا لم يكن ثمة سفن كهذه ، فيوضع على ظهر باخرة بريطانية أو أية باخرة ملائمة أخرى .

**المادة ٨٥ :** إذا كانت أية طائفة دينية أو فريق كبير من سكان فلسطين

يشكو من عدم قيام حكومة فلسطين بتنفيذ صك الانتداب ، فيحق للطائفة أو للفريق المذكور أن يرفع مذكرة بذلك إلى المندوب السامي بواسطة عضو من أعضاء المجلس التشريعي .

التوقيع المبرك فيتزروي

مرسوم بتعديل في دستور فلسطين ١٩٣٣ :

بما أن أحكام الشرع الاسلامي كانت قد خولت السلطان صلاحية تحويل الأراضي الميري إلى أراضي ملك ، وورد نص بهذه الصلاحية في المادة ١٢١ من قانون الأراضي العثماني المادة ٨ من قانون التصرف بالاموال غير منقولة ٣٠ مارس ( اذار ) ١٨٢٩ .

وبما أنه من المناسب تحويل المندوب السامي هذه الصلاحية بشأن كافة الأراضي الميري بفلسطين ، لذلك تعدل المادة ١٦ من مرسوم الدستور إلى « يجوز للمندوب السامي أن يحول بمرسوم يصدره أية أرض بفلسطين يسميها في المرسوم من صنف الميري إلى صنف ملك » .

م . ب . ا هانوكي

١٦ اذار ١٩٣٣

التوقيع

وهكذا لا تجد بريطانيا انها قد اكتفت بصك الانتداب قيماً مكبلاً للعرب ، وضامناً للتهويد ، بل يبدو حرصها على تلك الجريمة التاريخية ، وسلوك كل طريق في سبيل تنفيذها فيما تتضمنه بعض مواد هذا الدستور ، الذي يعطي للمندوب السامي حق رفض القوانين وحق التصرف في الأراضي وحق السجن والابعاد وحق قبول الشكاوى إذا كانت عن تقصير في تنفيذ صك التهويد ( الانتداب ) وهو دستور وصل في غرابته أنه أباح للمندوب السامي ألا ينفذ العدل والمساواة ومبادئ القانون العام إلا في حدود الامكان وحسب الأحوال بفلسطين ، وبذلك لم تجد بريطانيا ما يمنعها من أن تسجل في تاريخ البشرية أن القانون قابل للرفض ، وأن مبادئ العدل والمساواة ليست ملزمة إلا حيث تهدأ الأمور في فلسطين ، ويسير سبيل التهويد سيرا مرضياً لا اعتراض عليه .

ولكن هذا التفسير البريطاني ليس الوحيد في الدستور ، بل إن ذلك التعديل الذي أحدث عام ١٩٣٣ لم يجد مانعاً من أن يعطي الحقوق والصلاحات التي كان الشرع الاسلامي يعطيها لخليفة المسلمين باعتباره رئيس الأمة ، لم يجد مانعاً بل حرص أن يعطيها للمندوب السامي البريطاني التي اختارته دولته والصهيونية العالمية لتهويد أرض فلسطين .

أما قصة المجلس التشريعي الذي نص عليه هذا المرسوم ، فهي قصة المحاولة البريطانية لاستئلال الموافقة من عرب فلسطين على التهويد ، مما

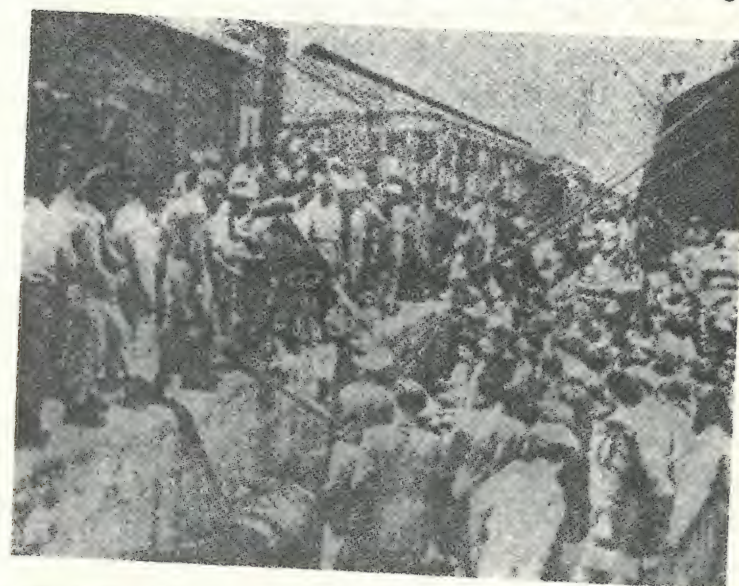


سنفصله في بحث السلبية والايجابية في ظل الانتداب (٧) .

#### ٤ - بريطانيا تصدر قانون الهجرة لأغراق فلسطين باليهود :

ولكي يرى العربي وجه الصهيونية الحاكمة في فلسطين منذ دخلها الانجليز ، عليه أن يدرك أن المشرع هو المدعو بنتويتش اليهودي ، وأن مدير الهجرة هو المدعو حايمسون اليهودي ، ولنقرأ معا جزءا من قانون الهجرة الفلسطيني .

بعد أن أوضح القانون أن الهجرة جائزة ، ليس فقط لمن وصل فلسطين ، بل لمن يعولهم أيضا ، قال :



هكذا كان تيار الهجرة اليهودية يتدفق على فلسطين تحت بصر الحكومة البريطانية وسممها طوال الفترة التي قضاهما البريطانيون في هذه البلاد ( ١٩١٧ - ١٩٤٧ )

« المادة ٢ : تفنى لفظة المعال أي الشخص الذي تتوقف معيشته وأعالتة كليا ومباشرة على أحد المهاجرين ، أو أحد المقيمين إقامة دائمة في فلسطين ، أما قبل وصوله إليها أو لدى وصوله ويكون من أقارب ذلك المهاجر أو المقيم الدائم ، أي أنه زوجته أو أحد والديه أو جديه أو أحد والدي زوجته ، أو جديها أو ابنته ، أو حفيدته أو أخته أو ابنة أخته أو ابنة زوجته أو حفيدتها

(٧) راجع الفصل الثالث من هذا الكتاب .

أو أختها أو ابنة أختها سواء أكانت غير متزوجة أو أرملة أو مطلقة ، أو ابنه أو حفيده أو أخوه أو ابنة أخيه أو ابن زوجته ، أو حفيدها أو أخوها أو ابن أخيها إذا كانت سنه دون الثامنة عشرة أو إذا تجاوز هذا السن وكان مصابا بعاهة دائمة لا يستطيع معها إعالة نفسه .

المادة ٤ : يجوز للمندوب السامي في بعض الأحوال الاستثنائية أن يمنح إذا بالدخول إلى فلسطين كمسافر إلى أي شخص لا يستطيع حقيقة أن يحصل على جواز سفر أو مستند سفر ، أما لعدم اعتراف أي دولة به أو لأسباب أخرى ، ولكنه حسب رأيه شخص يليق دخوله إلى فلسطين .

المادة ١٢ : لا تتخذ الإجراءات القانونية بشأن أي جرم ينطبق على أحكام هذا القانون بعد مضي سنتين من ارتكابه .

ثم يرى المندوب السامي أن هذه التسهيلات كلها قد لا تكون شاملة ، فيصدر نظاما لاحقا يضيف إلى تسهيلات القراية أو انعدام جواز السفر تسهيلات تتعلق بالمال ، والمال سند اليهود وسلاحهم ولديهم ما أسهله :

المادة ٤ : ١ - لا يمنح أحد شهادة مهاجرة أو إذا كان ينسب إلى أحد الأصناف التالية :

الصنف ١ - ذوو الوسائل المستقلة ويعتبر هؤلاء شاملين من يلي :

١ - كل شخص يملك في الواقع ويوجد تحت تصرفه المطلق رأس مال لا يقل عن ألف جنيه ، ويشترط في ذلك أنه إذا كان هذا الشخص تعاطي الزراعة فيجوز أن يشمل رأس المال ثمن الأرض والأدوات الزراعية والمواشي التي قد تضعها تحت تصرفه لمدة من السنين أي وكالة تعتبر من قبل الحكومة ، تعنى بمساعدة الاستعمار الزراعي ، وأي مال تسلفه له على أن تسدد على مدار عدد من السنين ، وإذا أراد تعاطي الأشغال الصناعية فيجوز أن يشمل رأس المال موقع الأرض الذي ستنشأ عليه المؤسسة الصناعية والآلات الميكانيكية ، وأن تحسب من قيمة الأرض التي قد تضعها تحت تصرفه أي وكالة معتبرة من قبل الحكومة تعنى بمساعدة المشاريع الصناعية ، وأي مال تسلفه له على أن يسدده على مدار عدد من السنين .

فاذا لاحظنا أن بريطانيا أخذت على عاتقها أن تمد المؤسسات اليهودية بالأراضي ، وإنها أمدتها فعلا بمئات الآلاف من الدونمات ، وسهلت استيلائها على مقادير كبيرة من الأراضي ، إذا لاحظنا هذا ، أدركنا مقدار الهوان في المادة السابقة التي تبيح دخول كل من تقرضه مؤسسة من المؤسسات أو يملك أرضا منها .



ويستمر المندوب السامي في ملء فلسطين باليهود فيشرع :

٢ - كل شخص ينتسب الى احدى المهن الحرة ولديه تحت تصرفه رأس مال لا يقل عن ٥٠٠ جنيه .

٣ - كل شخص حاذق في احدى المهن أو الحرف أو الصنائع ولديه وتحت تصرفه المطلق دون تحديد في الزمن رأس مال لا يقل عن ٢٥٠ جنيها ويجوز لمدير الهجرة عند حساب رأس المال أن يأخذ بعين الاعتبار قيمة الأدوات والمخزونات التي يملكها ، والتي لا غنى عنها لحرفته أو صناعته ... الخ .

الصنف ب : الأشخاص المؤمنة لهم أسباب المعيشة وهم :

١ - كل يتيم لا يتجاوز السادسة عشرة من عمره المؤمنة وسائل معيشته في احدى المؤسسات العامة ، أو بواسطتها ريثما يصبح قادرا على اعالة نفسه .

٢ - كل من يقوم بوظيفة دينية ومؤمنة له وسائل العيش .

٣ - كل طالب أمن دخوله الى معهد علمي في فلسطين ، وضمنت له وسائل العيش ريثما يصبح قادرا على اعالة نفسه .

الصنف ج : الأشخاص الذين لهم أمل ثابت في الاستخدام في فلسطين

الصنف د : الأشخاص الذين يعولهم أحد المقيمين الدائمين ، أو المهاجرين في فلسطين ممن ينتسبون الى الأصناف ا ، ب ، ج ، د .

المادة ٥ : ٤ - يحق للجنة التنفيذية للوكالة اليهودية في فلسطين أن تبلغ مدير الهجرة وجود آمال معقولة لاستخدام عدد من الأشخاص في فلسطين سواء بذكر أسمائهم أو بدون ذكرها ، وإن تطلب منه أن يأذن لهم بدخول فلسطين على أن يرفق الطلب بكفالة لاعالة الأشخاص لمدة سنة على الأقل .

المادة ٨ : ١ - رغبة في تعيين عدد الأشخاص الذين يقعون تحت ج ويجوز ادخالهم الى فلسطين ، يعد مدير الهجرة من حين لآخر جداول عمال معتبرا في ذلك الاقتراحات التي تبديها الوكالة اليهودية بذلك الشأن . ويعد جدولا واحدا عن الأشهر الستة التي تنتهي في ٣٠ مارس ( آذار ) ويذكر أقصى عدد من أصحاب المهن والحرف من الجنسين ممن يجوز منحهم شهادات

مهاجرة « (٨) .

لقد أثبتنا سلفا بعض فقرات من قانون المهاجرة الذي كان أولى بالانجليز أن يصوغوه في الفاظ قليلة تؤدي ملخصه المنفذ وهي « أن دخول فلسطين واستيطانها مباح لكل يهودي » .

وما دامت بريطانيا دخلت فلسطين وهي متمنقة بوعد بالفور ومؤثرة بصك الانتداب الذي استلت له تأييد عصبة الأمم عقب الحرب العالمية الأولى بإنشاء وطن اليهود في فلسطين ، وجعلت كل بند من بنود ذلك الصك يتقصد وعد بالفور ويزيد من فاعليته ونفوذه . وما دامت بريطانيا قد وكلت تنفيذ هذا الانتداب الى الصهيونيين البريطانيين من أمثال هربرت صموئيل ومن أمثال بنتويتش ، وما دام العرب الفلسطينيون قد عزلوا في ديارهم ، حتى أصبحوا قلة محاصرة ، وواجهتهم بريطانيا بهذا الانتداب الخطير الميت ، فانه من واجبا أن ندرك ذلك الموقف الأليم الذي جابهه الشعب العربي في فلسطين ، انه موقف يتلخص في مجابهة قوة خطيرة عالمية ، تسندها الجيوش والطائرات ، ويؤيدها القانون المفروض بتشريعات المندوب السامي ، وفوق كل ذلك تؤيدها اكثرية عصبة الأمم التي تشكلت بعد الحرب العالمية الأولى .

وانه لثقل رهيب هذا الذي وضع على كتف الشعب العربي في فلسطين ، ثقل مقاومة أخطر قوتين في العالم ، قوة الصليبية الاستعمارية والصهيونية العالمية ، وكل ذلك سخرت له القوة الجديدة المرتسمة في عصبة الأمم التي ترعى تنفيذ صك الانتداب .

#### ٥ - غفلة الجماهير العربية عن أخطار الصهيونية :

واذا كانت عصبة الأمم منذ تشكيلها بعد الحرب العالمية الأولى الى قيام الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ هي الهيئة التي تمثل العالم أجمع بما فيه دوله العديدة وأركانه المترامية ، كان لنا أن نقرر أن الشعب العربي الفلسطيني كان يواجه قوة العالم التي أعماها الاستعمار البريطاني ، وضللها خداع الصهيونية ، وأن هذا الشعب ببقائه محافظا على تراثه ومقدساته ولفته وأرضه ، حتى أجلى عن بعض مدنه وقراه في فلسطين عام ١٩٤٨ ، انما ضرب مثلا فريدا في الجهاد والكفاح ، واثبت وجوده اثباتا سوف نذكر قليلا من صورته ومعاله في هذا الكتاب .

(٨) مجموعة الناشير والوامر والقوانين الفلسطينية ، مكتبة الجامعة الامريكية ببيروت . وانظر ايضا : النص بملحق رقم ١ بهذا الكتاب .



أما العالم العربي من أقصاه الى أقصاه ، فقد كان اما مستقلا استقلالا شكليا ، كما كان الوضع في مصر والعراق وسوريا ، واما كان يرزح تحت حكم أجنبي سافر كما كانت الحال في جميع دول شمال أفريقيا العربية ، وكان هؤلاء وأولئك منصرفين الى قضاياهم ومشكلاتهم .

وكان من مظاهر هذه الأوضاع ان استغلت لصالح الصهيونية ، وظهر اتجاه بعض الصحف العربية لتأييد مطامع اليهود في فلسطين ، فقد أفردت جريدة المقطم وصاحبها فارس نمر باشا صفحاتها لنشر انباء النشاط الصهيوني في فلسطين ، وتحمس يهود مصر لانشاء الوطن القومي الموعد (٩) . بل لقد سارعت المقطم الى نشر وعد بالفور مرتين . ووالث نشر الانباء الصهيونية باهتمام وتفصيل حيث نشرت ابتهاج الجالية الصهيونية في الاسكندرية بصور وعد بالفور ، وان اليهود اقاموا احتفالا كبيرا في حديقة رشيد بالاسكندرية على اثر صدور ذلك الوعد ، وقرب تحقيق آمالهم بجعل فلسطين وطنا قوميا لهم . وقد شكر خطباؤهم لبريطانيا العظمى ( هذا الوعد الشريف آملين تحقيقه في القريب العاجل ) ثم طاف المحتفلون بشوارع الاسكندرية الكبرى هاتفين للحلفاء ولبريطانيا العظمى بدوام النصر (١٠) ، واستمرت المقطم ناشرة لسنوات طويلة أخبار الصهيونية مهتمة (١١) بها .

وتلحق جريدة الاهرام بجريدة المقطم في هذا الموضوع ، فتنقل عن المجلة الصهيونية التي كانت تصدر في القاهرة جزءا من خطة الصهيونية :

« لقد كانت خطة الصهيونية حتى الآن محددة ببرنامج « بال » وهو انشاء وطن لليهود في فلسطين ، ولقد اتخذت الوسائل لتنفيذ هذه الخطة بطريقة سلمية ، فنجحت كما تدل على ذلك المزارع اليهودية بفلسطين ، ولكننا لم نكن يومئذ الا في الخطوات الاولى ، أما الآن فقد وثقنا من استئلال وطن لنا فانطلقت امانينا ومطامعنا من كل عقال (١٢) .

وتنشر الاهرام نقلا عن المجلة الصهيونية ايضا :

« ان شعارات اليهود هي انشاء وطن قومي في فلسطين ، بحيث يستطيع اليهود ان يعودوا الى التكلم بلغتهم ، ويجددوا تقاليدهم ويتابعوا

(٩) جريدة المقطم ١٠ من نوفمبر ١٩١٧ وايضا ١٢ من نوفمبر ١٩١٧ .

(١٠) جريدة المقطم ١٣ نوفمبر ١٩١٧ .

(١١) راجع جريدة المقطم ٢٥ فبراير ١٩١٩ .

(١٢) جريدة الاهرام ٨ من مارس ١٩١٩ .

تحقيق امانيتهم (١٣) » . وازافت الى ذلك ان اليهود في مصر اسهموا ماليا لمساعدة العمل السياسي في فلسطين .

واذا كان نشر هذه الانباء في صحافة مصر العربية بعيد الحرب العالمية الاولى دون معارضة ولا نقد ، يدل على استغلال الصهيونية لبعض صحافة ذلك التاريخ وتسربها عن طريقها ، فانه يدل ايضا على ان الشعب العربي في مصر وفي غيرها لم يكن مقدرا لخطر ذلك المخطط الصهيوني ، ولم يكن مدركا بالمعنى الصحيح لوحدة الوطن العربي في اقطاره وفي اخطاره .

حتى ان تلك الصحف وهي تنشر هذه الانباء لم تحرك ساكنا في جموع الشعب العربي في مصر وجاراتها العربيات ، ومضت الامور كأن الامر سهل لا خطورة فيه .

على ان الصحافة آنذاك لم تبخل بالثناء والتأييد للانجليز انفسهم ، وهم أس البلاء وأصل النكبة ، وفيما نشرته مجلة الكوكب ناعية اللورد كرومر ما يكفي ايضا :

« ظهر لعقلاء المسلمين وللقائمين باصلاح الأزهر فضل اللورد كرومر على مشروعاتهم الاسلامية ، وتبين لهم ان السياسة البريطانية ليست عدوة للنهضة الاسلامية ، بل هي صديقتها ومحبة لها ، وفي أيام اللورد كرومر انتشرت الفكرة العربية انتشارا اقام « عبد الحميد » ( السلطان ) واقعده واقلق راحته ، وكان اصحاب الفكرة او القائمون بالحركة العربية في امن واطمئنان من حكومة عبد الحميد وبطشه ، النهضة (العربية) كانت أمنية امانني اللورد لانه كان أول المستقبلين لها بالفرح والسرور والابتهاج والدعوة الى تأييدها وشد أزرها (١٤) » .

وهكذا يرتفع في ربوع الكنانة صوت يقدس كرومر ، وينسب اليه العطف على الاسلام والعرب ، وكرومر هو من نعرف جميعا الحاكم القاهر لمصر المجاهدة ، وهو صاحب دنشواي ، ومدمر العلم ، وعدو النهضة .

ولقد ذهل الشعب الفلسطيني من هول المفاجأة ، فبعد ان كان يبعث بمندوبيه ونوابه الى الآستانة ، وبعد ان كان يتمتع بانتخاب مأموريه ورؤساء بلدياته ، وبعد ان كان آمنا في دياره مستقرا بها ، اذا به يواجه فجأة وعدا اعطي بخلق وطن في أرضه ليهود العالم المشردين ، وأن بريطانيا نفسها التي

(١٣) جريدة الاهرام ١٣ مارس ١٩١٩ .

(١٤) جريدة الكوكب العدد ٢٨ في ٦ من فبراير ١٩١٧ .



اغري بوعودها هي صاحبة ذلك الوعد ، وهي العاملة على تنفيذه .

وتلفت الشعب الفلسطيني يبحث عن الدولة العربية الموعودة للحسين من الانجليز ، فوجدها نهبا مقسما بين الانتداب ، والاحتلال ، والتهويد ، واستمر يرفع البصر باحثا عن الحسين القائد الثائر . . فوجده معزولا في رقعته الصغيرة بالعقبة ، ثم أسيرا فوق بارجة بريطانية تعبر به عباب البحر الى منفاه في قبرص .

#### ٦ - المؤتمرات الفلسطينية الوطنية :

وجمع شعب فلسطين شمله ، وعقد مؤتمره الأول في ٥ من مارس (آذار) ١٩١٩ ، مشتركة فيه القرى والمدن والعشائر ، معلنا رفض الانتداب ووعده بالفور والهجرة اليهودية ، موضحا ان فلسطين جزء من سوريا ، متمسكا بالوحدة السورية العربية ، وكما فعل كل شعب ، وعلى النسق الذي سارت عليه شعوب عربية أخرى ، انتخب شعب فلسطين لجنة تتولى تنفيذ القرارات ومراجعة السلطات الانجليزية بشأنها .

ولكن الانجليز كانوا ماضين في برنامجهم ، فلم يعيروا مطالب العرب أي اهتمام وذهبت مراجعة الزعماء والعلماء لجهات الاختصاص هباء ، فتنادوا لعقد مؤتمرهم الثاني في فبراير ( شباط ) ١٩٢٠ ، ولكن بريطانيا التي عرفت اتجاه الشعب ، وسبق ان تسلمت مطالبه في المؤتمر الاول ، والتي كانت تدرك بعمق كبير ان الحكم العربي في سوريا ما زال قائما ، وان هذه المؤتمرات الفلسطينية سوف تمرقل طريقها اليهودي (١٥) ، فأصدرت أمرها وسلطت قوتها المسلحة لمنع المؤتمر الفلسطيني من الانعقاد ، ثم أصدرت أوامرها لمنع المظاهرات ، والاجتماعات ، وفرضت رقابة على الصحف العربية ، بينما استمرت تبيع لليهود كل ما منعه عن العرب (١٦) .

وحينما أتمت فرنسا تحطيم الحكم العربي في سوريا ، وتم احتلالها واجلاء فيصل عنها ، لم تجد بريطانيا مانعا من أن يعقد المؤتمر الثالث في ديسمبر ( كانون الاول ) ١٩٢٠ ، وهنا طالب الفلسطينيون من جديد بالفاء الانتداب ووعده بالفور وتأسيس حكومة وطنية ، وأبرق المؤتمر الى عصبة الأمم وإلى مجلس العموم البريطاني وإلى مجلس اللوردات ، وإلى كل جهة في العالم يعتقدون أنها ذات صلة أو أنها صاحبة حول أو طول ،

(١٥) راجع تحذير اليهودي صموئيل من وحدة الشام ص ٧٠ من هذا الكتاب .

(١٦) المؤامرة الكبرى واغتيال فلسطين ، ص ٥٦ .

ولكن قوى الأعداء كانت أقوى من صرخات الفلسطينيين ، فلم يأبه أحد لهم ولم يهتم .

وقبل أن تمضي سنتان وبضعة شهور على المؤتمر الأول ، تنادى الفلسطينيون بعقد مؤتمرهم الرابع في القدس يونيو ( حزيران ) ١٩٢١ ورأوا أن مطالبهم لم تأخذ باهتمام أحد ، وأن برنامج العدوان قد بدأ يتضح ، من مظالم فرنسا في سوريا ، وبرنامج الانجليز في فلسطين ، اذن فليكن لهم مع لندن لسان مباشر ، ولينتخبوا وفدا يسافر اليها ، عسى أن يكون في التفاوض المواجه سبيل للاقناع وطريق للتفاهم .

#### وفد فلسطين في لندن :

وسافر الوفد الفلسطيني الأول الى لندن ، حيث أجرى اتصالات عديدة ، واستعان ببعض الصحفيين الأحرار ، وأوضح المظالم لأعضاء المجالس العامة ، ورفض مجلس اللوردات صك الانتداب لمناقضته للعهد التي قطعت للعرب في الحرب العامة ، ولكن كل هذا لم يشن الحكومة الانجليزية عن تنفيذ برنامجها الخطير ، ولم تأبه بقرار مجلس اللوردات .

كان الوفد العربي الفلسطيني يتكون من أعضاء عرب يمثلون ٩٤ في المائة من سكان فلسطين ، ولم يكن اليهود في فلسطين آنذاك يمثلون غير ستة في المائة ، ومع هذا يشترط تشرشل وزير المستعمرات آنذاك على الوفد العربي أن يفاوض الدكتور وايزمان اليهودي رئيس المنظمة الصهيونية والذي لم يكن من سكان فلسطين يوما من الأيام ، ويسرع وايزمان فينشر بالصحف استعداداه لمفاوضة العرب على شرط ألا يناقش وعد بالفور ولا يسمح بمساسه .

ورفض الوفد العربي مفاوضة وايزمان ، وقدم مذكرة ضافية الى بريطانيا دون جدوى ودون اهتمام .

وعلى الرغم من أن بريطانيا كانت قد ألفت لجنة التحقيق الأولى والمندوعة لجنة « هيكرافت » ، والتي سجلنا بعضا من تقريرها الواضح في الفصل السابق مبينة فيه مظالم العرب والاجحاف بهم ، فان حكومة لندن لم تأبه بشيء من هذا .

وبينما كان العرب يدقون بابوزارة المستعمرات ووزيها ونستون تشرشل ، آملين أن يجدوا شيئا من يقظة الضمير ، أو شرعة الانصاف . كان المؤتمر الصهيوني بكرلسباد يتلو برقية من تشرشل نفسه يتمنى



للمؤتمر النجاح في إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين (١٧) ، وهو نفس المؤتمر الذي كان قد أعلن عالميا أنه قرر انشاء فرقة يهودية مسلحة للدفاع في فلسطين ضد العرب (١٨) .

وبينما كان العرب مستمرين في محاولاتهم اليائسة ، ولدة اثني عشر شهرا يمدون فيها يد الصداقة للانجليز ، ويحاولون تذكيرهم بثورة العرب والموائيق المعطاة للشريف حسين ، وأبناء العرب وشبابهم الذين بذلوا أرواحهم في الحرب فداء لحلف الحسين - مكماهون ، بينما العرب كذلك ، اذ سرت اشاعة تقول ان بريطانيا تعد كتابا أبيض رسميا توضح فيه سياستها في فلسطين ، وفيه الكثير مما يطمئن العرب ، ولكن هذا الكتاب الأبيض جاء اصرارا على الباطل محاربا الأمانى الفلسطينية ، وبعد ربع قرن حين نشر وايزمان مذكراته ، أتضح أن ذلك الكتاب الأبيض الذي صدر في لندن يحمل توقيع تشرشل كان قد صاغه في فلسطين الصهيوني البريطاني المعروف هربرت صموئيل .

ترى ما هو الكتاب الأبيض الأول الذي نشره تشرشل ، وسطره هربرت صموئيل ، وكان من أخطر وثائق بريطانيا وسياستها العدائية للعرب في قضية فلسطين بعد وعد بالفور ؟

#### ٧ - الكتاب الأبيض البريطاني ١٩٢٢ :

بدأ تشرشل كتابه الأبيض بذكر تفصيل موجز عن مخاوف العرب ، ومخاوف اليهود ، ثم تكلم عن اليهود بالتفصيل ، فقال :

« وقد أعاد اليهود في الجيلين أو الثلاثة الأجيال الأخيرة انشاء طائفة لهم في فلسطين ، يبلغ عددها الآن ثمانين ألفا ، ربعمهم تقريبا مزارعون أو عملة في الأرض ، ولهذه الطائفة ادارات سياسية خاصة ، منها مجمع منتخب لإدارة شئوننا الداخلية ومجالس منتخبة في المدن وهيئة تشرف على مدارسها ورئاسة حاخامين ومجلس رباني لإدارة شئوننا الدينية .

وتدار أعمال هذه الطائفة باللغة العبرية كلفتها الوطنية ، ولها صحف عبرية تفي بحاجتها ، وهي تتبع نمطا تهذيبيا يميزها عن سواها وتبدي نشاطا كبيرا في الحركة الوطنية الاقتصادية ، فهذه الطائفة بسكان المستعمرات والمدن ، وهيئاتها السياسية والدينية والاجتماعية ، ولقتها

(١٧) جريدة الاهرام ١٥ من سبتمبر ١٩٢١ .

(١٨) جريدة الاهرام ٣١ من اغسطس ١٩٢١ .

الخاصة وعوائدها ، وطرق معيشتها الخاصة ، لها في الحقيقة مميزات قومية .» وبعد أن قال تشرشل أنه لا يهدف الى فرض الجنسية اليهودية على كل فلسطيني ، وشرح هذا المعنى بحماس مستغرب قال ان الغرض هو :

« زيادة رقي الطائفة اليهودية بمساعدة اليهود الموجودين في جميع أنحاء العالم ، حتى تصبح مركزا يكون للشعب اليهودي فيه مقدرته ، وكان من الضروري أن يعلم أن وجوده في فلسطين هو كحق وليس كمنة ، ذلك هو السبب الذي جعل من الضروري ضمان انشاء الوطن القومي اليهودي ضمانا دوليا ، والاعتراف رسميا بأنه يستند الى صلة تاريخية قديمة » .

وتكلم الكتاب عن مطالب الوفد العربي في لندن ، وذكر أنها مطالب مستندة الى الكتاب المرسل من مكماهون الى الشريف حسين ، وأن الوفد يدعي أن هذا الكتاب تضمن وعدا بدولة عربية تشمل فلسطين ، وأنكر تشرشل هذا الكتاب مدعيا استثناء لبنان وفلسطين (١٩) .

ثم لفت النظر الى أن الإدارة الحالية قد نقلت للمجلس الاسلامي الأعلى المنتخب من الطائفة الاسلامية والمحاكم الشرعية ، وقد أعادت الإدارة لهذا المجلس أيضا اختيارا منها ايرادات كبيرة لأوقاف قديمة كانت الحكومة العثمانية قد ضبطتها .

وواضح من هذا الكتاب البريطاني ان الانجليز يغالطون في سياستهم مع العرب في فلسطين ، فهو بينما يشيد باليهود وتاريخهم فيها ، يقرر أنه من الضروري أن تعتبر عودتهم حقا وليست منة ، وأن هذا هو السبب في اعطائهم ضمانا دوليا لوطنهم القومي ، بينما لا يشير الى العرب الا كطائفة في فلسطين ، ويمن على المسلمين أنه أعطاهم حرية في أوقافهم ومحاكمهم الشرعية ، وهي لعمر الحق حرية منقوصة ، فقد ثبت أن اليهود كانوا أحرارا في التسليح والتدريب ، وانتخاب المجالس البلدية ، ونظامهم الزراعي ، وحركتهم الاقتصادية ، على حين لم يجد تشرشل شيئا يمن به على العرب الا حرية الأوقاف الاسلامية ، مع العلم بأنه حتى هذه الأوقاف لم تستمر حريتها بل تعرضت لاضطهاد رجالها والحد من أفعالها .

وتشرشل يتنصل من وعد دولته للشريف حسين بانشاء دولة عربية تضم وطنيا عربيا كبيرا بما فيه فلسطين ، ويدعي أن فلسطين كانت مستثناة ، وعلى الرغم من أن قوله هذا تكذبه الخطابات الرسمية التي قدمها العرب ،

(١٩) راجع نص الكتاب الرسمي الذي يشمل فلسطين في الفصل الاول من هذا الكتاب .



والتي اضطرت بريطانيا لنشرها بعد ذلك عام ١٩٣٩ ، على الرغم من كل هذا ، فإن الدولة العربية التي اعترف تشرشل بأن حكومته وعدت بها العرب والتي ادعى أن فلسطين مستثناة منها ، لم تتكون ولم تف بريطانيا بها .

ان واقع الحال في عام ١٩٢٢ حين أصدر تشرشل كتابه الرسمي المذكور ، يثبت أن الوطن العربي مرق تحت سنايك خيل الانجليز والفرنسيين وأنهم حين كانوا يحتلون العراق ويهودون فلسطين كانت سوريا تترنح تحت ضربات الفرنسيين المدمرة ، تلك الضربات التي باركتها بريطانيا وأيدتها .

والذين خانوا عهودهم وأصروا على خلفها حتى فيما لا ينكرون الوعد به ، لا ينتظر أن يصدقوا فيما يصرون على انكاره .

وكان طبيعياً ان يرى العرب في الكتاب الابيض استمراراً بريطانياً للسياسة المعادية لهم ، لا سيما وقد الحقته بريطانيا بما أسمته دستور فلسطين الذي كان من أبرز ما يقضي به تأسيس مجلس تشريعي فلسطيني يتكون من اثنين وعشرين عضواً ، عشرة منهم موظفون بريطانيون يعينهم المندوب السامي ، وينتخب اثنا عشر آخرون يكون منهم اثنان من اليهود وأثنان من العرب المسيحيين وثمانية مسلمون ، وللمندوب السامي الرأي الأخير في المجلس الذي ليس من شأنه البحث في الانتداب ولا وعد بالفور . وقاطع العرب الانتخابات الخاصة بذلك ، ففشلت وطوت الحكومة مشروعها عارضة اقتراحاً بمجلس استشاري لا يختلف عن سابقه ، ثم عرضت تأليف وكالة عربية على نسق الوكالة اليهودية وبنفس الاختصاصات السابقة التي رفضها العرب من جديد .

واستمر الشعب العربي يعقد مؤتمراته ، ويواصل اتصالاته السلمية مع جهات الاختصاص ، وعبثاً حاول أن يصل الى تقاط يمكن أن يطمئن بها العرب ويعملوا بها ولها ، برغم وفوده المتلاحقة الى لندن ، ومحاولة خلق جو للفهم والتفاهم .

بلغت المؤتمرات العربية من العدد سبعة ، كان آخرها ذلك المؤتمر المعقود في القدس في ٢٠ يونيو (حزيران) ١٩٢٨ ، وتقدم من جديد يطالب بحكومة نيابية والحد من الموظفين البريطانيين ، والاحتجاج على منح امتياز البحر الميت لشركة يهودية ، وعلى ايثار العمال اليهود بالعمل بدلا من العمال العرب ، والمطالبة بوقف سن القوانين ريثما تؤلف حكومة نيابية .

لقد ثار الشعب الفلسطيني عدة مرات خلال هذا التاريخ

ثم ركن الى المسألة املا أن تدرك بريطانيا تصميمه على النضال ، وتعود قليلا الى العدل الذي طالما تفتت به أثناء الحرب العالمية الأولى ، وتبعد عن الخداع ونكت اليهود ، وهي التي طالما شنت في منشوراتها بالمانيا واصفة لها بعديمة العهد والمخادعة .

ولكن اليهود الذين خبروا قوتهم المستمدة من سلطات الانتداب منذ احتلال الانجليز لفلسطين بدأوا يغيرون لهجتهم ، فبعد أن كانوا يحاولون خديعة العرب بأنهم لا يضمرون لهم شراً ، وأنهم سوف يحيلون فلسطين الى جنة جديدة لصالح العرب واليهود ، وان رؤوس اموالهم وخبرتهم وقدرتهم العالمية سوف تتيح لشعب فلسطين العربي ، أن يخدموا بلادهم بأنفسهم ، بعد هذه اللهجة الوديفة المخادعة ، ومجرد أن أنهى اليهود مؤتمرهم العالمي المعقود في زيوريخ عام ١٩٢٨ (٢٠) ، تغيرت لهجتهم واساليبهم ، فأعلن الحزب اليهودي الاصلاحى بلسان رئيسه جابوتنسكي الدعوة الى اليهود ليتسلحوا وأن يسلكوا طريق العنف والقوة لتحقيق أهدافهم ، وتشجع اليهود ، وطالبوا صراحة بحائط البراق الشريف ، وساروا جماعات يوم ١٥ من أغسطس ( آب ) ١٩٢٨ فرفعوا عليه العلم اليهودي هاتفين « الحائط حائطنا » (٢١) رافعين صوتهم بأناشيدهم الصهيونية .

واستمر صراع جدلي بين العرب واليهود على مختلف أنواع التظاهر وفوق أعمدة الصحف ، حتى اذا علم أن الميجر ساندروس البريطاني بدأ يوزع السلاح فعلا على اليهود ويجند بعضهم في الفرق النظامية (٢٢) ، انطلقت الشرارة الثورية ، وبدأ العرب معركة كانوا وحدهم في صفها يقاتلون جموع اليهود المسلحين ودولة الانتداب بجيوشها .

(٢٠) المصدر السابق ، ص ٦٦ .

(٢١) صدر عام ١٩٢١ بلاغ بريطاني سمي بمرسوم الحائط الغربي او حائط المبكى وجاء بمجموعة الناشيرة البريطانية بالجامعة الامريكية ببيروت ونصه كما يلي : « للمسلمين وحدهم تعود ملكية الحائط الغربي ولهم وحدهم الحق العيني لكونه يؤلف جزءاً لا يتجزأ من مساحة الحرم الشريف التي هي من املاك الوقف وللمسلمين ايضا تعود ملكية الرصيف الكائن امام الحائط وامام المحلة المعروفة بحارة المغاربة المقابلة للحائط لكونه موقفاً حسب أحكام الشرع الاسلامي لجيئات البر والخير » .

(٢٢) محاضرات في تاريخ قضية فلسطين ، ص ١٦٣ .



## الحق... والباطل

« ان ادعاء اليهود بحقهم في فلسطين أمر لا يمكن أن ينظر اليه نظرة جدية ، ولذلك يجب أن يصرف النظر نهائيا عن جعل فلسطين دولة يهودية »

اللجنة الامريكية لفلسطين ١٩١٩

« يجوز بيع أي أرض ارتهنها مصرف تسليف بأمر من مأمور الاجراء بلا أمر أو قرار من المحكمة » .

المادة ١٠ فقرة ١ من قانون الرهونات لفلسطين ١٩٢٦

« ان الادعاء بأن الفلاح لا يهتم شخصيا بالشئون السياسية لم يؤيد اختبارنا في فلسطين فالقرويون والفلاحون هنا يهتمون اهتماما حقيقيا وشخصيا بسياسة انشاء للوطن اليهودي ونرى أن الفلاحين العرب يهتمون بالأمور السياسية أكثر من كثير من اهالي أوربا » .

تقرير سير والتر شو قاضي القضاة البريطاني ١٩٢٩

« يا مستر ابراماسون لي عندك رجاء بحق العيش والملح الذي بيننا أن تعمل حسابا في أموالنا التي تريدها لجماعتك اليهود ، توسط لنا عندهم ليقرضونا اياها بالربح الذي تراه لنتمكن من دفع ما غرمتنا به !! »

محمد علي الطاهر جريدة الشورى ١٩٢٩

« ان العمال اليهود الذين ساعدتهم حكومة فلسطين هم الذين جاءوا من آفاق العالم يمتصون كالعلق دماء الشعب العربي الفقير البائس ، الذي اهلكته الحكومة ، وأرهقته بالضرائب وسيول القوانين حتى بارت زراعته وباع أرضه ليدفع الضرائب المفروضة عليه . »

جريدة الجامعة العربية القدس ١٩٢٩

« سمعت في كل قرية زرتها شكوى حول الأرض فقد اضطر البعض لبيع أرضه ، أما لتسديد ديونهم أو لدفع ضرائب الحكومة ، أو للحصول

على ما يسد به رمق العائلة » .

تقرير سير جون هوب سمبسون ١٩٣٠

« ان الحكومة تعلن بكل حزم عدم وجود أراض في فلسطين صالحة لاستقرار المزارعين من المهاجرين الجدد ( اليهود ) ، وهي تعلن أنه من الخطأ اعتبار الفقرات المتعلقة بالوطن اليهودي هي أساس صك الانتداب

الكتاب الأبيض البريطاني اكتوبر (تشرين اول) ١٩٣٠

« ان الكتاب الأبيض لا يعني منع اليهود من امتلاك أراضي جديدة ولا يتضمن هذا المنع، وليس في النية وضعه، والحكومة لم تقرر ولم يخطر ببالها ايقاف أو منع الهجرة اليهودية على تبين أنواعها » .

الكتاب البريطاني الاسود نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩٣٠

« ان خير ما يمكن به حماية الفلاح العربي ، هو أن نحفظ له أرضه من الفاصيين ، ففي انجلترا نفسها سن قانون مماثل لحماية الفلاحين الانجليز » .

تقرير مستر فرانشي ١٩٣١

قوموا اسمعوا من كل ناحية  
قوموا أنظروا الوطن الذبيح

يصيح دم الشهيد  
من الوريد الى الوريد

أبو سلمى في قصيدته « ملوك العرب »



## الفصل الخامس

### ثورة العرب عام ١٩٢٩

#### ١ - بداية الثورة :

في يوم ٢٠ من أغسطس ( آب ) ١٩٢٩ قامت معركة عنيفة عند ممر « البراق » في بيت المقدس لم يتمكن البوليس من إنهاؤها الا بجهد ومشقة، ولم يجد العرب لغة يمكن أن تستعمل مع تلك القوى المتكاثفة عليهم الا لغة الاستمرار في الثورة ، فجددوا هجماتهم على مجموعات مسلحة من اليهود استمرت كل يوم ٢٣ أغسطس ( آب ) وجرح خلالها ١٠٧ من الفريقين ، وخسر اليهود ٢٨ قتيلًا وذهب من العرب ١٣ جريحًا ، وكانت المعركة تدور في شوارع القدس من ركن الى ركن .

وسرت انباء الثورة في انحاء فلسطين ، فقامت معركة في الخليل حيث أعلن رسميا مصرع ستين يهوديا وجرح خمسين آخرين ، ولم تنم بريطانيا ولم تهدأ ، على الرغم من آلاف اليهود الذين دربتهم وجاءت بهم من مختلف أنحاء العالم لتخلق لهم وطن اليهود في فلسطين ، فقد أسرع بتوزيع السلاح على الرعايا البريطانيين ، وكان عدد كبير من اليهود يحمل الرعوية البريطانية .

وهاجم العرب مراكز البوليس ، ونشبت معركة جديدة في ضواحي الخليل ، كان قتلى العرب واليهود فيها مائة قتيل ، ونشبت يومها معركة في صفد استمرت ساعات طويلة ، قتل فيها تسعة من اليهود وجرح ٢٨ يهوديا .

ولم يكن تسليح اليهود سرا ، فقد نشرت جريدة الأهرام القاهرية برقية تعلن فيها أن الأدلة تتوافر كل يوم على أن اليهود مسلحون ، وأن العرب يعتبرون عزلا من السلاح (١) .

(١) جريدة الأهرام ٢٨ من أغسطس ١٩٢٩ .

ومع هذا تمكن هؤلاء العزل من الايقاع بأعدائهم ، ومن مهاجمة المواصلات والطرق . وبينما كان الشعب الفلسطيني يتحرك ، في طول فلسطين وعرضها دفاعا عن بقائه واستماتة في خط الدفاع الأول عن الأمة العربية ، كانت الأمة العربية الموزعة مشغولة منهوكة القوى ، ولم تنل فلسطين من اهتمامها أكثر من بعض المظاهرات قامت في سوريا ، وبرقيات الاحتجاج من المهاجرين العرب في أمريكا .

واستدعت بريطانيا قواتها من داخل فلسطين وخارجها ، وجاءت بسرب يتكون من ١٣ طائرة تحلق في عنف وارهاب فوق الحرم القدسي ، حينما كان المسلمون يؤدون فريضة الجمعة في اليوم الأخير من شهر أغسطس ( آب ) ١٩٢٩ .

ويستمر الطغيان الانجليزي المصّر على تهويد فلسطين ، فيتعاون مع السلطات الفرنسية لتشدّد قبضتها على حدود سوريا الفلسطينية حتى تمنع كل معونة محتملة ، وتسلب جيشها على العرب في « المسحة » فيستشهد منهم ٢٤ عربيا ليلة ٣ سبتمبر ( ايلول ١٩٢٩ ) (٢) .

يفخر بذلك وزير المستعمرات فيعلن في مجلس العموم « أن حكومته استطاعت أن تقمع تجمعا عربيا حيث قتلت الطائرات البريطانية عددا كبيرا منهم ، ونشبت المارك وامتدت الى القبائل العزبية في النقب ، وعلان رسميا أن بريطانيا بدأت تسليح اليهود دفاعا عن مستعمراتهم » .

يقول كاتب عربي معاصر لهذه الأحداث : « ان الثورة استمرت خمسة عشر يوما ، قتل وجرح خلالها ٤٧٢ يهوديا وكانت ضحايا العرب ٣٣٨ بين جريح وقتيل (٣) » .

لقد كانت هذه الثورة العارمة التي خاضها الشعب العربي في فلسطين رد فعل للتحدي الصهيوني السافر ، وللخداع البريطاني المستمر ، وقد ظهر فيها الانجليز على حقيقتهم ، فما من معركة نشبت بين العرب واليهود الا كان الجنود الانجليز في الصف المحارب للعرب ، ولقد تجاوزوا حد المارك الى المهاجمة للبيوت العربية وتقتيل الأسر الآمنة والتمثيل بها .

(٢) برقية لرويتز من لندن في ٤ من سبتمبر ١٩٢٩ . جريدة الأهرام ٥ من سبتمبر ١٩٢٩ .

(٣) عيسى السفري ، فلسطين بين الانتداب والصهيونية ، طبعة القدس ١٩٣٧ ، ص ١٦ .



## ٢ - المندوب السامي يندد بالثوار العرب :

وجاء المندوب السامي تشانسلور عاجلا من لندن ، لم يسلك السبل الطبيعية في دراسة أسباب الاضطرابات والبحث عن علاجها ، فهو في غنى عن هذا ، وهو يعلم أن العلاج يتلخص في الحد من طغيان الصهيونية ، وتمكين العرب من الحفاظ على ديارهم وأراضيهم ، ومقدساتهم ، وهو بالتالي يعلم أن هذا العلاج مستحيل ، فان وعد بالفور وصك الانتداب يدعوان ويعملان لغير هذا .

اذن فأولئك الذين ثاروا ضد اليهود مجرمون في تقديره ، وسرعان ما أعلن للعالم أن العرب كانوا وحوشا في قتالهم . وكان مما جاء في منشور المندوب السامي قوله :

« عدت من المملكة المتحدة فوجدت بمزيد الأسى أن البلاد في حالة اضطراب ، وأصبحت فريسة لأعمال العنف غير المشروعة ، وقد راعني ما علمته من الأعمال الفظيعة التي اقترفتها جماعات من الأشرار سفاكي الدماء عديمي الرافة وأعمال القتال الوحشية التي ارتكبت في أفراد من الشعب اليهودي ، خلوا من وسائل الدفاع بقطع النظر عن عمرهم ، وعما اذا كانوا ذكورا أو إناثا ، والتي صحت بها كما وقع في الخليل أعمال همجية لا توصف ، وحرقت المزارع والمنازل في المدن وفي القرى ونهب وتدمير الأملاك .

ان هذه الجرائم انزلت على افاعليها لعنات جميع الشعوب المتمدنة في انحاء العالم قاطبة ، فواجبي الأول أن أعيد النظام الى نصابه في البلاد ، وأن أوقع القصاص الصارم بأولئك الذين سوف يثبت عليهم أنهم ارتكبوا أعمال العنف ، وستتخذ جميع التدابير الضرورية لانجاز هاتين الغايتين » (٤) .

## ٣ - العرب يتحدثون المندوب السامي :

وسرعان ما أصدر العرب ردهم القوي التالي :

« أطلع عرب فلسطين بدهشة عظيمة على منشور فخامتكم الصادر

(٤) محاضرات في تاريخ قضية فلسطين ، ص ٢٢٣ .

في سبتمبر ( ايلول ) ١٩٢٩ ولم يكن احد منهم يتوقع أن يرى الحقائق التي عرفها القاضي والداني والتي اعترفت بها الحكومة وهي :

- ١ - ان أكثر اليهود كانوا مسلحين أنفسهم .
  - ٢ - ان الحكومة سلحت عددا منهم .
  - ٣ - انه لم يوجد في قتلى اليهود أي تمثيل أو تشويه حتى في الخليل ، كما تؤيد هذا التصريح ادارة الصحة العامة البريطانية بفلسطين .
  - ٤ - ان بعض قتلى العرب قد مثل اليهود بهم .
  - ٥ - ان جموع اليهود قد قتلت نساء وأطفالا من العرب على انفراد .
  - ٦ - أن اليهود هم الذين بدأوا قتل النساء والأطفال من العرب .
  - ٧ - ان الجنود البريطانية النظامية قتلت النساء والأطفال والرجال من العرب في فراشهم في قرية صور باهر وغيرها .
  - ٨ - أن اضطرابات فلسطين السابقة والحالية إنما هي ناشئة مباشرة عن السياسة البريطانية الصهيونية ، التي ترمي الى افناء القومية العربية في وطنها الطبيعي ، لكي تحل محلها قومية يهودية لا وجود لها .
- كل هذه الحقائق لم يكن أحد من العرب يتوقع اغفالها في منشور صادر على عجل وسابق لأوانه ، وتعلمون فخامتكم أن عرب فلسطين قد تكبدوا كل شيء عظيم في سبيل حقوقهم ، وهم لا يترددون أن يتكبدوا أكثر من ذلك ، وكانت الجنود البريطانية تجدهم عزلا من السلاح عند أي ضربة تنزل بهم .
- فاذا كان لم يزل ثمة عدالة يحق للعرب أن يطلبوا نصيبهم منها ، فهم يلحون بطلب اجراء تحقيق نزيه من أشخاص من خارج فلسطين ، لا يتأثرون اثناء قيامهم بواجبهم نحو العدالة بالنفوذ الصهيوني ، وأن التحقيقين اللذين أجريا في فلسطين في ظروف سابقة من قبل لجان بريطانية ، قد أظهرتا للملأ مطالب العرب الحققة ومقاصدهم النبيلة ، كما أظهرتا مصائبهم السياسية .

ان العرب يعتقدون كل الاعتقاد أن تحقيقات نزيهة كذلك ستروي للعالم حكاية حالهم الآن في هذه الاضطرابات الحاضرة ، رواية أكثر صدقا مما صورتموه للعالم في منشوركم الصادر ، قبل اعطاء العرب فرصة لسمع صوتهم . ثم يقول البيان العربي :



وان مثل هذا المنشور كان ينبغي اصداره بعد اجراء التحقيقات التي يشدها العرب ، وليس قبل اجرائها ، لذلك نحن نتأكد انكم لو أعدتم النظر في الحالة الحاضرة لتوصلتم الى حكم عادل (٥) .

رئيس اللجنة التنفيذية العربية  
موسى كاظم الحسيني

الأمناء : مفنم الياس مفنم - عوني عبد الهادي - جمال الحسيني  
في ٢٥ ربيع الأول ١٣٤٨ هـ .

لقد كان منشور المندوب السامي البريطاني ، منشورا سيء العبارة ، حارحا لشعور العرب ، متهما لهم بالوحشية وسفك الدماء ، ولهذا أصر العرب على وجوب اجراء تحقيق ليتضح اذا كان العرب قد مثلوا فعلا بقتلى اليهود في الخليل كما شاعت الصهيونية أن تشنع بهم عليا .

وتحت ضغط الرأي العام اضطرت بريطانيا الى أن تؤلف لجنة من ثلاثة اطباء كان احدهم بريطانيا والثاني يهوديا والثالث هو الدكتور العربي حسين الخالدي ، وقررت هذه اللجنة أنه لا يوجد تشويه ولا تمثيل في أي من القتل لليهود الذين أخرجوا من قبورهم وعينتهم اللجنة من جديد .

#### ٤ - المندوب السامي ينكل بالعرب :

واستمر المندوب السامي البريطاني يعصف بالشعب العربي لثورته دفاعا عن وجوده ومقدساته ، فاعتقل مئات من الشباب وصدر الحكم باعدام ٢٠ عربيا ( ونفذ فورا في الشهداء الثلاثة فؤاد حجازي - وعطا الزير - ومحمد جمجوم ) وحكم بالسجن المؤبد على ٢٣ مجاهدا ، وحكم على ١٨٧ عربيا بالسجن بين ثلاثة أعوام و ١٥ عاما ، وتنوعت الأحكام حتى بلغ عدد العرب المحكوم عليهم ٧٩٢ عربيا ، وفرضت غرامة مالية على عدد من القرى العربية وحددت اقامة كثير من الزعماء في أماكن نائية من فلسطين (٦) .

وهكذا أخذ عديد من شباب يافا مبعدين ، وحددت اقامتهم في الناصرة ، وأخذت مجموعات من حيفا مبعدين الى صفد ، وأخذت جماعات أخرى فأبعدت الى جنين ، وشرد الألوف من الشباب والرجال وحيل بينهم وبين مواصلة عملهم وحياتهم .

(٥) المصدر السابق ص ٢٢٤ - ٢٢٦ .

(٦) المؤامرة الكبرى واغتيال فلسطين ، ص ٦٨ .

وتوالت أحكام الأعدام تصدر للارهاب دون شفقة ، على حين لم يدن يهودي بالأعدام في هذه الأحداث التي كانوا سببها باستثناء اليهودي خانكيز الذي كان شرطيا دخل بسلاحه فأباد أسرة عون العربية المكونة من سبعة أفراد ، على أن هذا اليهودي أيضا قد استبدل حكم اعدامه بالمؤبد ثم خفض الى خمسة عشر عاما ثم أطلق سراحه بعد قليل \* واذاغت رويتر (٧) في السابع والعشرين من نوفمبر ( تشرين الثاني ١٩٢٩ ) أن محكمة حيفا أدانت تسعة من العرب بالأعدام وحكمت على اثنين آخرين بالسجن خمسة عشر عاما لاتهامهم بقتل أسرة يهودية ، كما نفذ حكم الأعدام فورا في ثلاثة من شباب فلسطين أظهروا من آيات البطولة والشجاعة ما قدسهم به الشعب واتخذهم مثلا للبطولة .

#### ٥ - الأبطال الثلاثة :

حكم بالأعدام على فؤاد حجازي وعطا الزير ومحمد جمجوم ، وتقرر يوم الثلاثاء السابع عشر من يونيو ( حزيران ) سنة ١٩٣٠ موعدا لتنفيذ الحكم ، وتدخل رجالات العرب فأبرقوا الى صديقتهم بريطانيا العظمى ، ورفع التماس الى مجلس الملك الأعلى بلندن ، وبذلت كل المحاولات فذهبت جميعها ادراج الرياح .

وقد أظهر الثلاثة شجاعة بطولية جعلتهم مضرب الأمثال ، استوى في ذلك الشاب فؤاد حجازي الذي لم يتجاوز الاثنين والعشرين ربيعا ، ورفيقاه الآخران اللذان دخلا الحلقة الرابعة من العمر ، وحين أبلغوا بساعات التنفيذ وتاريخها ، وسمح لذويهم بزيارتهم لم يزددهم ذلك الا ايمانا ، قال فؤاد حجازي لزمائره « اذا كان اعدامنا نحن الثلاثة يززع شيئا من كابوس الانجليز عن الأمة العربية الكريمة ، فليحل الأعدام في عشرات الألوف مثلنا لكي يزول هذا الكابوس عنا تماما .

وأمن الشهيد محمد جمجوم على قول رفيقه عطا الزير « نحمد الله على أننا نحن الذين لا أهمية لنا نذهب فداء الوطن ، لا أولئك الرجال الذين يستفيد الوطن من جهودهم وخدماتهم » ، وطلب هذان الشهيدان حناء خضبا بها أيديهما حسب عوائد أهل الخليل في أيام افراحهم . وتخاصم الثاني مع الاول عندما حانت ساعة اعدامه ، وأبى الا أن يسبق رفيقه الى شرب هذه الكأس رغم أن دوره كان الثالث وطلب أن تفك قيوده ، فلما رفض طلبه حطم السلاسل بقوة عضلاته ، وتقدم مبتسما بثبات الى المشنقة .

(\*) من ملاحظات الاستاذ اكرم زعير تصحيحا للطبعة الاولى .



وقالت جريدة الزهور الحيفاوية تصف يوم الأعدام :

« لم تجتز فلسطين في أدوارها السابقة يوما مثل يوم ١٧ يونيو ( حزيران ) الرهيب لقد تصاعدت أصوات المؤذنين على المآذن تستنزل الرحمات ، وقرعت نواقيس الحزن في الكنائس ، وولولت النساء ، وتصاعد عويلها في البيوت ، وتساقطت الدموع غزيرة من مآقي الرجال المجتمعين في الجوامع والمعابد وأنشدت الجماهير : « يا ظلام القبر خيم » وقد خيمت روعة الموت ، وسادت رهبة الموقف ، بينما وقف الجند يتبخترون ذهابا وإيابا ، والمدفع معد ، والسيف مصلت ، والطيارات سابحة في الفضاء الواسع ترقب الحالة عن كثب (٨) .

وفي الساعة الثامنة نفذ الحكم في الشهيد فؤاد حجازي ، وفي الساعة التاسعة نفذ في الشهيد عطا الزير ، وفي الساعة العاشرة نفذ في الشهيد محمد جمجوم ، وكانت الجماهير تقف خاشعة كلما دقت الساعة معلنة الثامنة والتاسعة والعاشرة ، ويملا الفضاء بأصوات المؤذنين وقرعات أجراس الكنائس حزنا على الشهداء .

ووصف الشاعر الفلسطيني المرحوم ابراهيم طوقان ساعات التنفيذ الثلاث في قصيدة معبرة ردها طويلا أحرار فلسطين ، تقتطف منها هذه الأبيات :

#### الساعة الاولى

أنا ساعة النفس الأبية	الفضل لي بالأسبقية
أنا بكر ساعات ثلاث	كلها رمز الحمية
قسما بروحك يا فؤاد	صعدت جوانحها زكية
عاشت نفوس في سبيل	بلادها ذهبت ضحية

#### الساعة الثانية

أنا ساعة الموت المشرف	كل ذي فعل مجيد
بطلي يحطم قيده	رمزا لتحطيم القيود
قسما بروح محمد	تلقي الردى حلو الورود
قسما بأمك عند موتك	وهي تهتف بالنشيد
ما نال من خدم البلاد	أجل من أجر الشهيد

(٨) جريدة الزهور ، حيفا عدد ١٩ من يونيو ١٩٢٠ .

#### الساعة الثالثة

أنا ساعة الرجل الصبور	أنا ساعة القلب الكبير
بطلي أشد على لقاء الموت	من صم الصخور
يلقى الإله مخضب الكفين	في يوم النشور
قسما بروحك يا عطاء	وجنة الملك القدير
وصفارك الأشبال	تبكي الليث بالدمع الغزير
ما أنقذ الوطن المفدى	غير صبار جسور

#### ٦ - امعان في سياسة التنكيل :

لم تكتف السياسة البريطانية بالارهاب والابعاد وبالأعدام ، انها تتخذ كل أسلوب لارهاق الشعب العربي ، ومن تلك الأساليب ارهاق العرب اقتصاديا ، وفرض غرامات على القرى العربية المهضمة الجناح ، وكانت غرامات باهظة ثقيلة مفروضة على قرى أضعفتها الديون ، وأثقلت بالضرائب ، وهدتها الرهونات .

وتقب المندوب السامي عن يهودي قدير يكل اليه تحديد الغرامات على القرى العربية ، فاختر اليهودي البريطاني « أبرامسون » الذي أنزل جام غضبه وحقده على القرى العربية ، مثقلا لها بالغرامات الفادحة ، قالت جريدة الشورى :

« أصدر المستر أبرامسون قرارات عديدة غرم بها مختلف القرى في فلسطين ، وكان آخرها ما فصلته برقية من القدس في ٢٤ نوفمبر ( تشرين ثاني ) ١٩٢٩ من أنه قدر الأضرار اللاحقة بمستعمرة بيار تعبيا اليهودية بالغرامات التالية التي فرضها على قضاء غزة :

ثلاثة آلاف جنيه على قرية بيت دارس ، ٣ آلاف جنيه على أسدود ، أربعمئة جنيه على برقا ، ألف جنيه على ياسود ، ألف جنيه على البطانة الغربي ، ثمانمئة جنيه على البطانة الشرقي ، ثمانمئة جنيه على سوافير شمالي ، ألف جنيه على سوافير غربي ، أربعمئة جنيه على تل الطرس ، ستمائة جنيه على المغار .

آمر بعد موافقة المندوب السامي يفرض الغرامات المبينة أعلاه بوجه التكافل على دافعي الضرائب من أهالي القرى المذكورة (٩) .

ابرامسون

(٩) جريدة الشورى ، العدد ٣٠ شهر نوفمبر ١٩٢٩ .



واذا عدنا الى عامي ١٩٢٩ ، ١٩٣٠ ادر كنا فداحة هذه الغرامات الكبيرة ، فقد كان الجنيه الواحد يمثل مبلغا كبيرا ، لا سيما في القرى العربية التي تعيش على زراعة الحبوب من الشعير والقمح ، وهي اذا استطاعت أن تستفيد من الأمطار وتضمن محصولا طيبا ، فانها عرضة للأوامر التي تستهدف صالح اليهود وحدهم .

وتستمر حملة أبرامسون اليهودية البريطانية تفرض الغرامات على مختلف القرى العربية ، وتشتد الوطأة على شعب فلسطين ، فكتب الأستاذ المجاهد محمد علي الطاهر رسالة الى ذلك البريطاني اليهودي في اسلوب يجمع الألم الى الجذ والسخرية ، ويقول له :

« الى المستر أبرامسون ... أعاهدك يا حضرة المستر بالنيابة عن اخواني الفلاحين اننا لن نعود نذكر جمال باشا وطغيانه ، وعبد الحميد واستبداده ، ولن نذكر بعد الآن الا المستر أبرامسون وغراماته . أعاهدك يا حضرة الحاكم بالنيابة عن اخواني الفلاحين اننا لن نسبح الله قبل ذكرنا للوطن القومي ، ولن نصلي على رسول الله قبل ذكرنا لوعده بالفور .

لذلك أرجوك أن تطلق لقلبك العنان ، لينشر الأصفار ذات اليمين لا ذات اليسار ، ولن اتوسل اليك أن تدع عنك هذا النثر لاني متأكد أنك وانت ترمي الأصفار الى اليمين تذكر أنك تتحكم في حياتنا ... في حياتنا نحن فلاحى البلاد .

ولكن لي عندك رجاء ... رجاء بحق العيش والملح الذي بيننا - وما أكثره - أن تعمل حسابا في أموالنا التي تريد ادخالها في جيوب جماعتك . بالله عليك أعمله وتوسط لنا عندهم من الآن ليقرضونا اياه بالربح الذي تراه لنتمكن من دفع ما غرمت (١٠) .

وكانت بريطانيا متخذة كل اسلوب ضار بالعرب ، فما كاد الفلاح في ذلك العام يتم حصاد زراعته حتى أوقفت حركة التصدير للخارج فهبط سعر الشعير ، وما كاد يتم حصاد القمح حتى ورد اليهود الدقيق الاجنبي بكميات كبيرة ف ضرب المحصولات المحلية ضربة شديدة (١١) .

وتصور جريدة فلسطينية معاصرة احوال فلسطين فتقول :

« ان ادارة الأشغال بفلسطين انفقت في ٢١ شهرا نحو نصف مليون

(١٠) جريدة الشورى العدد الصادر في ٤ من ديسمبر ١٩٢٩ .

(١١) جريدة الشورى العدد الصادر في ١٠ من يوليو ١٩٢٩ .

من أموال أهالي فلسطين على عمال اليهود الغرباء العاطلين عن العمل .

نصف مليون جنيه ، وأي بطالة هذه ، بطالة العمال اليهود الذين جاءوا من آفاق العالم بالأغراء الى هذه البلاد ، يمتصون كالعلق دماء الشعب العربي الفقير البائس الذي لا يجد لقمة يتبلغ بها ، والذي أهلكته حكومة فلسطين وأرهقته بالضرائب المختلفة وسيول القوانين ، حتى بارت زراعته وكسدت تجارته ، وأصبح يبيع أرضه لأنه عجز عن استثمارها ، ودفع الضرائب المفروضة عليها .

الفلاح العربي البائس المدم يضر الى أن يبيع أرضه ، ليقدم ثمنها الى العامل اليهودي الجشع الذي أغرته بريطانيا وأغراه زعماء الصهيونية على القدوم الى هذه البلاد الفقيرة ليجد فيها لبنا وعسلا ، وما هو واجد في الحقيقة الا دما ولحما ، هما دم هذا الشعب العربي المسكين ولحمه .

نصف مليون جنيه ، انه مبلغ هائل كانت تستطيع حكومة فلسطين لو كانت تنوي حقيقة اسعاد هذه البلاد أو تضرع الخير لأهلها ، أن تنفقه على انشاء بنك زراعي يقرض الفلاح ويساعده على تحسين حاله وشؤونه ، أو على انشاء مدارس عالية تغني أهل فلسطين عن ارسال أبنائهم الى الخارج لتلقي العلوم العالية ، وعلى زيادة عدد المدارس الابتدائية ومدارس القرى التي ترفض في مفتوح كل عام مئات الطلاب بحجة عدم وجود أماكن ومقاعد لهم \* \* \*

وموضوع الضرائب الذي يضر العربي الى بيع أرضه كما يشير هذا المقال يمضي بالحديث الى بنوك التسليف والرهونات اليهودية التي شرعت بريطانيا من أجلها قانونا خطيرا يستهدف افقار العرب حتى يضطروهم أن يقرضوا بضمانة أرضهم تمهيدا لاستيلاء بنوك التسليف اليهودية على تلك الأراضي ، مما يحسن بنا اثبات بعض مواده هنا :

#### قانون مصارف التسليف :

« المادة ٧ : (١) على الرغم مما ورد في قانون الرهونات العثمانية المؤرخ في اليوم الأول من ربيع ثاني ١٣٣١ هـ يجوز رهن حق الإيجار في الأموال غير المنقولة ، لمدة تتجاوز خمس سنوات لمصرف تسليف ، على أن يراعى في ذلك أي اتفاق مثبت في عقد الإيجار ، فيما يتعلق بالانتقال أو الرهن ، ويعقد هذا الرهن بمقتضى احكام القانون المذكور . كان هذا الحق هو أموال

\* جريدة الجامعة العربية ، القدس ، يوليو ١٩٢٩ .



غير منقولة حسب المعنى المقصود من ذلك القانون .

ويراعى في تحصيل دين المرتن الحق المخول له بمقتضى هذا القانون ،  
أو أي تشريع آخر أما بطريق البيع أو خلافه بالمدي نفسه كرهن أي حق  
آخر في أموال غير منقولة .

(٢) تباشر الحقوق المخولة للمرتن فيما يتعلق بالبيع أو خلافه دون  
حاجة الى أخذ موافقة المؤجر .

المادة ١٠ : (١) على الرغم مما ورد في المادة ١٤ من قانون انتقال  
الأراضي يجوز بيع أي أرض أرتنها مصرف تسليف ، سواء كانت واقعة  
في منطقة بلدية أو في منطقة تنظيم مدن بأمر من مأمور الاجراء بلا أمر أو  
قرار من المحكمة مع انذار المدين بالسداد قبل ثلاثة شهور من الاجل « (١٢) .  
ومعلوم أن أولئك الذين اقترضوا بضمان أراضيهم لدى بنوك التسليف  
قد اتخذت كل الاجراءات الضامنة لافقارهم وكساد انتاجهم ، ولن يكون  
بإمكانهم السداد الا ببيع تلك الأرض المرهونة التي اعتبرها القانون كأنها  
أموال غير منقولة .

#### ٧ - لجنة شو ١٩٢٩ :

وعلى عادة بريطانيا في انتهاز سياسة المراوغة والخداع ، سارعت  
فاعلمت في مواجهة الثورة أنها سترسل لجنة للتحقيق في أسباب هذه  
الثورة وعلاجها .

وجاءت الى فلسطين لجنة برلمانية تمثل الأحزاب الثلاثة ، يرأسها  
سير والترشو الذي كان قاضيا للقضاة البريطانيين في إحدى المستعمرات ،  
وقد بدأت اللجنة عملها في أواخر أكتوبر (تشرين الأول) عام ١٩٢٩ ،  
وعقدت ٤٧ جلسة علنية و ١١ جلسة سرية ، واستمعت الى ٦١ شهود  
من موظفين وعرب ويهود ، وقدمت تقريرها الى وزارة المستعمرات ، وكان  
من أهم ما جاء في تقرير تلك اللجنة :

« ان السبب الاساسي الذي لولاه في رأينا لما كانت الاضطرابات قد  
وقعت ، او لكانت عبارة عن فتنة محلية ، هو شعور العرب بالعداء والبغضاء  
نحو اليهود ، شعور نشأ عن خيبة امانهم السياسية والوطنية ، وخوفهم

(١٢) مجموعة الناشير والقوانين الفلسطينية : الجامعة الامريكية ، بيروت رقم  
٥٦٩ - ٢٤٩ .

على مستقبلهم الاقتصادي ، والشعور السائد اليوم يستند على خوف  
العرب المزدوج بأنهم سيحرمون من وسائل معيشتهم ، وسيطر عليهم  
اليهود سياسيا يوما ما بسبب الهجرة اليهودية وشراء الأراضي .

وأدى هذا التفاعل في التطلعات السياسية والاقتصادية الى زيادة  
شعور الاستياء ، وأصبح جميع الاهالي العرب خطوة بخطوة متحدين مع  
زعمائهم ، في مقاومة الوطن القومي اليهودي وفي طلب الحكم الذاتي .

وأعيدت الى ذاكرتهم العهود التي قطعت لهم اثناء الحرب ، والمركز  
الدستوري الذي تتمتع به البلاد العربية الأخرى ، ودفعوا الى الاعتقاد  
بأنه بإنشاء الحكم الذاتي في البلاد تخفض الضرائب ، وتقيد الهجرة ان لم  
توقف ، وتؤمن لكل فلاح ملكيته في أرضه .

ونحن نعتقد ان شعور الاستياء الذي يسود الاهالي العرب والناشئ  
عن عجزهم المتواصل عن نيل أي قسط من الحكم الذاتي يزيد في خطورة  
مصاعب ومشاكل الادارة المحلية .

وترى اللجنة أن السير جون كامبل كان محقا بلا ريب عندما ذكر  
في تقريره ان أزمة سنتي ٢٧ ، ١٩٢٨ نشأت في الواقع بأن المهاجرين الذين  
قدموا البلاد كانوا أكثر مما تستطيع البلاد استيعابه .

ثم تحدثت اللجنة عن مشكلة الأراضي العربية ، وطالبت بوضع ضمانة  
للعرب في أراضيهم ، ثم تحدثت عن الفلاح العربي قائلة (١٣) :

« الادعاء بأن الفلاح لا يهتم شخصا بالشئون السياسية لم يؤيد  
اختبارنا في فلسطين ، ولا يستطيع من تجول في البلاد كما تجولنا ، وسمع  
اصوات الهتاف التي قاطعت عبارات كثيرة وردت في الخطاب التي القاها  
رؤساء العرب والشيوخ ، ان يرتاب بأن القرويين والفلاحين على حد  
سواء يهتمون اهتماما حقيقيا وشخصيا في نتائج سياسة انشاء الوطن  
القومي ، وفي مسألة ترقية مؤسسات الحكم الذاتي في فلسطين ، ولهذا  
نرى ان الفلاحين العرب يهتمون في الأمور السياسية أكثر من كثير من  
اهالي أوروبا .

انه من المحتم علينا أن نبدي ما يسود العرب في فلسطين من شعور  
واستياء من الحالة الحاضرة ، فبالرغم من أنهم يؤلفون الاكثرية الكبرى  
من السكان ، ليس لديهم مرجع معترف به للاتصال بالادارة ، على حين أن

(١٣) المؤامرة الكبرى واغتيال فلسطين ، ص ١٢٦ .



أقلية من شعب آخر لها علاقات معينة ورسمية معها ، وهي في مباشرتها لهذه العلاقات توجه نظر الحكومة الى مصالح تلك الأقلية فقط » .

هذه لجنة بريطانية ألفت تحت ضغط من ثورة العرب الصارمة عام ١٩٢٩ ورأت بريطانيا أن تكون مؤلفة من أعضاء برلمانيين يمثلون الأحزاب البريطانية الثلاثة ، وأن يرأسها رجل من علماء القانون البريطاني هو « والترشو » ، وهذا هو تقريرها يقرع البريطانيون باللائمة ، على سياستهم تجاه العرب في فلسطين الذين أبعدوا عن حكم بلادهم وسياستها ، وقرّب بدلا عنهم ممثلين للأقلية اليهودية ، ويقرر أن ثورة العرب كانت بسبب شعورهم بالعداء لليهود المفروضين عليهم ، وخوفهم على مستقبلهم الاقتصادي وأن جميع العرب متحدون في دفع الخطر اليهودي ، وأنهم يهدفون الى حكم ذاتي يخفف عن كاهلهم الضرائب الباهظة المفروضة عليهم ، ويقيد الهجرة الخطيرة على وطنهم .

ان تقرير لجنة شو يشير بصراحة الى حاجة الفلاحين العرب لأن يؤمنوا في ملكيتهم لأرضهم ، وأن هؤلاء الفلاحين يهتمون بالأمور السياسية أكثر من كثير من أهالي أوربا ، وفي هذا تلويح بما كانت تعتمد اليه السياسة البريطانية من تحويل الأراضي الميري الى أراضي ملك ، ثم بيعها واهدائها الى المؤسسات أو الأفراد اليهود ، وهو اجراء سارت عليه بريطانيا في فلسطين طوال حكمها الكريه ، ونفذت به مخطط صك الانتداب المتحيز .

بل لقد أضافت بريطانيا مادة خاصة الى دستور فلسطين ، لتضفي شيئا من الشرعية البريطانية على فعلها ذلك ، وأنه لتعليل طريف ذلك الذي عمدت اليه بريطانيا حين قالت : « بما أن أحكام الشرع الاسلامي كانت قد خولت السلطان صلاحية تحويل الأراضي الميري الى أراضي ملك وورد نص بشأن هذه الصلاحية في المادة ١٢١ من قانون الأراضي العثماني ، والمادة ٨ من قانون التصرف بالأموال غير المنقولة لعام ١٣٢٩ هـ ، وبما انه من المناسب تخويل المندوب السامي هذه الصلاحية بشأن كافة الأراضي الميري في فلسطين لذلك تعدل المادة ١٦ من مرسوم الدستور التي يجوز للمندوب السامي أن يحول بمرسوم يصدره أية أرض في فلسطين يسميها في المرسوم من صنف الميري الى صنف الملك (١٤) » .

ولقد نتج عن هذا حرمان الفلاحين العرب من أراض توارثوا استقلالها

(١٤) مجموعة النواشير والامور والقوانين الفلسطينية ، مكتبة الجامعة الاميركية ببيروت ، دستور رقم ١ المسجل تحت رقم ٥٦٩ - ٣٤٩ .

قرونا طويلة ، ثم لعبت بها اليد البريطانية ، وأخرجوا منها قسرا وعنوه وسلمت الى الجمعيات اليهودية تحت اسم لجان التسوية أو بقرارات من المندوب السامي .

ورحب العرب بتقرير اللجنة برغم انه كان أقل من طلباتهم ، وسرعان ما ألفوا وفدا من كبار رجالهم رحل فورا الى لندن ، وكان قوامه : موسى كاظم الحسيني ، وأمين الحسيني ، والفريد روك ، وراغب النشاشيبي . وعوني عبد الهادي ، وجمال الحسيني .

ومن جديد قدم العرب الى رامزي مكدونالد زعيم حزب العمال ورئيس الوزارة البريطانية آنذاك مطالبهم الوطنية في إيقاف الهجرة اليهودية ، ومنع انتقال الأراضي وإنشاء حكومة وطنية على أساس سكان البلاد ، ولكن جهود العرب الايجابية في لندن ذهبت كلها ادراج الرياح ، فقد صرح مكدونالد رئيس الوزراء بأن على بريطانيا التزاما مزدوجا نحو اليهود ونحو الجماعات غير اليهودية ، وأن بريطانيا لن تتأثر بالضغط والتهديد ، ولن تخالف صك الانتداب ، فأيقن العرب من جديد أن فكرة الحق والعدل ليست موجودة في قاموس فلسطين لدى بريطانيا ، وأذاعت دار المندوب السامي في ٣٠ مايو ( أيار ) سنة ١٩٣٠ « ان الدولة المنتدبة لم تقبل مطالب العرب الدستورية ، لأنها منافية لصك الانتداب ، غير أن الحكومة ستلجأ الى صيانة مصالح الطوائف غير اليهودية في فلسطين ... وهي مصممة على عدم السماح باتباع سياسة تعرض تلك الطوائف للخطر ، ولهذا السبب ووفقا لاقتراح لجنة شو أوفد السير جون هوب سمبسون ليدرس مسائل الهجرة والاسكان والتنمية على الارض الفلسطينية نفسها ويرفع تقريرها عنها » .

وأوفدت بريطانيا سمبسون هذا ، ولم يكن إفاده الا نوعا من سياسة اضعاف الوقت على العرب ، والاستمرار في سياسة التهويد ، اذ لم تكن بريطانيا تجهل حقيقة الأوضاع وطرق الإصلاح ، وليس بعيدا عنها تقرير اللجنتين السابقتين ، ولكنه استمرار في المخادعة والتضليل ، وكتب سمبسون الى حكومته التي كانت تصدر مراسيمها بالاستيلاء على الأرض واعتبارها ملكا حكوميا ، وتسلمها الى الجمعيات اليهودية ، كتب يقول :

« لقد أصبح أكثر من ٢٩٪ من العائلات العربية القروية دون أرض كما أن الأراضي الصالحة للزراعة لدى العرب لا تكفي لضمان معيشة السكان والمحافظة على مستوى المعيشة ، ونتيجة لسياسة الحكومة في موضوع الأراضي اضطر قسم كبير من الفلاحين الى أن يفقدوا عملهم



وأرغموا على مغادرة أراضيهم ، ويرزح الفلاح العربي تحت عبء الديون ، مثقلا بالضرائب التي يتعذر عليه دفعها ، إلا إذا عمد للاستدانة بفائدة كبيرة لا تكاد تصدق .

وقد تناقصت الأراضي التي يملكها الأفراد تناقصا مطردا ، حتى اني سمعت في كل قرية زرتها شكوى حول هذه النقطة ، وذلك أن بعض الأهالي اضطروا الى بيع أراضيهم ، أما لتسديد ديونهم ، أو لدفع ضرائب الحكومة أو للحصول على ما يسد به رمق العائلة ، وعلى الحكومة حين تضع جدول العمال اليهود للهجرة الى فلسطين أن تدرس حقيقة البطالة بين العرب ، لا البطالة اليهودية وحدها (١٥) .

واستغرب التقرير في مرارة أن يسمح لعمال يهود من ليتوانيا وبولونيا أو اليمن أن يشغلوا عملا في فلسطين ، ما دام يوجد عمال قادرين على ذلك ، ولا يجدون لأنفسهم عملا ، لا سيما وأن اليهود يحرمون بشدة عمل غير اليهودي فيما يستولون عليه من أراضي .

#### ٨ - الكتاب الأبيض ١٩٣٠ :

تجمعت لدى الحكومة البريطانية آراء قيمة وقوية ، وجاءت كلها متساندة من لجنة سير والترشو ومن تقرير سير سامبسون ، وهي كلها آراء تنادي بوجوب وضع حد لهجرة اليهود ، وتأمين الفلاح العربي في أرضه ، وأشعار العرب بأنه لا خطر على مستقبلهم ، واثابة الفرصة أمامهم لحكم بلادهم ، وعلى عادة بريطانيا أصدرت كتابها الأبيض في أكتوبر ( تشرين الأول ) عام ١٩٣٠ معتمدا على تلك الآراء ، وموضحا مع ذلك أنه ليس في نية بريطانيا الاخلال بصك الانتداب ولا النكوص عن وعد بالفور ، ثم كرر نفس الفقرات المهمة لصالح اليهود والتي سبق أن وردت في الكتاب الأبيض الذي أصدره تشرشل عام ١٩٢٢ من أن اليهود حين يعودون الى فلسطين ليجعلوها مركزا يكون فيه لليهود اهتمام وفخر ، فإن عودتهم تلك الى فلسطين تعتبر حقا لا منة .

وبعد أن يسهب الكتاب الأبيض في شرح مواد صك الانتداب ، وأغلبها وضع لصالح اليهود ، تتغير لهجته قليلا ويقول :

« ان سكان فلسطين على الاطلاق .. لا فئة منهم فحسب .. هم الذين يجب أن يكونوا موضع عناية الحكومة ، ان النص القائل باتخاذ

(١٥) محاضرات في تاريخ قضية فلسطين ص ٩٥ ، ١٠٣ .

التدابير مع الوكالة اليهودية لاقامة أو ادارة الأعمال والمصالح والمنافع العمومية هو نص اختياري فقط لا اجباري ، وليس من الجائز أن يتعارض مع مصلحة الأهالي المطلقة .

لقد حاول البعض أن يجادل تأييدا للادعاءات الصهيونية بأن الفقرات المتعلقة بالوطن القومي اليهودي هي الأساس الرئيسي لصك الانتداب ، وبأن الفقرات التي ترمي الى صيانة مصالح غير اليهود ، إنما هي اعتبارات ثانوية تفيد نوعا ما يدعى بأنه القسم الرئيسي الذي وضع صك الانتداب من أجله ، ان حكومة جلالتة ما فتئت تعتبر أن من الخطأ الكلي فهم هذه الأحكام على هذا الوجه » .

ثم تحدث الكتاب الأبيض عن ثورة العرب فقال :

« ان الاضطرابات التي وقعت فيما مضى قد اخمدت فوراً ، واتخذت تدابير خاصة لمعالجة أية حالة اضطرارية قد تنشأ في المستقبل

وقد قررت حكومة جلالتة أن تحتفظ في فلسطين في الوقت الحاضر بفريقي من المشاة وسريين من الطائرات ، وأربع فرق من السيارات المسلحة ميسورة في فلسطين وشرق الأردن ، وقد زيدت فرقنا البوليس البريطاني والفلسطيني ، ووضع مشرؤف الدفاع عن المستعمرات اليهودية (١٦) » .

بعد أن تكلم الكتاب الأبيض عن مشروعات المجالس والانتخابات التي أخفقت نظرا لمقاطعة العرب لها قال :

« ومما يذكر أن بريطانيا مسئولة بموجب صك الانتداب عن جعل البلاد في أحوال سياسية وإدارية واقتصادية تكفل انشاء الوطن القومي اليهودي . وتأمل بريطانيا أن تنال معارضة السكان جميعا في فلسطين لتشكيل مجلس تشريعي ، وإنها سوف تقمع كل محاولة يقوم بها أي فريق من السكان للحيلولة دون تنفيذ قرارها » .

وأعلن كتاب بريطانيا الأبيض :

« انه يطن بكل حزم عدم وجود أراض في فلسطين صالحة لاستقرار المزارعين من المهاجرين الجدد ، باستثناء أراضي الوكالة اليهودية على سبيل الاحتياط ، وقد وجه فيما مضى انتقاد شديد بشأن الأراضي الأميرية القليلة المساحة التي وضعت تحت تصرف المزارعين اليهود ، إلا أنه

(١٦) المصدر السابق ، ص ٢٥١ .



من الخطأ أن يتبادر إلى الذهن أن حكومة فلسطين تملك مساحة شاسعة من الأراضي المحولة ، التي في الإمكان وضعها تحت تصرف اليهود لاستعمارها ، ذلك أن مساحة الأراضي التي تملكها الحكومة ليست مما يعتد بها ، فالحكومة تدعي مساحات كبيرة من الأراضي التي يتصرف فيها العرب في الواقع ويفلحونها ، غير أنه حتى - ولو سلم بملكية الحكومة لها وملكيته مختلف فيها في كثير من الأحوال - فليس في الاستطاعة وضعها تحت تصرف اليهود لاستقرارهم فيها ، بالنظر لوجودها في أيدي المزارعين العرب ، ولضرورة إيجاد أراضٍ إضافية أخرى لاسكان المزارعين من العرب الذين أصبحوا الآن بلا أراضٍ » .

وبعد أن تكلم كتاب بريطانيا عن الفوائد التي جناها العرب من هجرة اليهود ، ومن مستعمراتهم يقول :

« أن نتيجة الاستعمار اليهودي على الأهالي الحاليين تتأثر تأثيراً كلياً بالشروط التي تمتلك الهيئات اليهودية المختلفة بموجبها الأراضي وتستغلها وتؤجرها ، فقد نص دستور الوكالة اليهودية الموقع في زيورخ « ١٤ أغسطس ١٩٢٩ » على أن الأراضي التي تمتلك تعتبر ملك الشعب اليهودي ، وملكيته غير قابلة للانتقال ، وعلى وجوب مراعاة مبدأ تشغيل العمال اليهود في جميع الأشغال والمشاريع .

ويوجد أيضاً تعهد يقضي على المستأجرين بأن يقوموا بجميع الأشغال المتعلقة بزراعة الأرض بواسطة العامل اليهودي فقط ، وفرضت شروطاً شديدة لتأمين مراعاة هذا التعهد ، وهناك تعهد يرتبط به أهالي مستعمرات السهل الساحلي يحتم استئجار العمال اليهود فقط ، وجاء هذا الشرط أيضاً في الاتفاقات الخاصة بمستعمرات مرج ابن عامر .

أنه من الصعب أن تتفق هذه الأحكام الشديدة مع التصريح الذي أدلى به الصهيونيون عام ١٩٢١ في مؤتمرهم « من أن الشعب اليهودي يرغب أن يعيش مع الشعب العربي بصلات صداقة واحترام متبادلين وأن يعمل بالاشتراك مع الشعب العربي على ترقية البلاد المشتركة بينهما ، بحيث تؤمن رفاهية كلا الشعبين ، ويستهدف اليهود بهذه الشروط التمكن من ادخال أكبر عدد ممكن من المهاجرين الجدد غير ملاحظين أن بريطانيا ملزمة بعدم الحاق أي ضرر أو حيف بحقوق ومركز سائر طوائف الأهالي غير اليهود ... »

لقد أبدت بيانات تحمل على الاعتقاد بأن درجة البطالة بين العرب بلغت حداً خطراً ، وأنها بين اليهود قد أدت إلى نواح غير مرضية ، ولذلك

يجب الحكم على مقدرة فلسطين الاقتصادية على استيعاب مهاجرين جدد ، بفهم حالة فلسطين فيما يتعلق بالبطالة ، وكل قرار يتخذ لادخال مهاجرين جدد دون اعتبار عدم الأضرار بالسكان العرب في حصولهم على الأعمال يجب استنكاره » .

ثم يعترف الكتاب الأبيض بأنواع الهجرة المختلفة تلك التي طالما نفتها بريطانيا لدى كل احتجاج عربي ، فيقول :

« هنالك ناحية أخرى غير مرضية ، هي أن عدداً كبيراً من المسافرين الذين يدخلون البلاد بالاستناد على إذن يخولهم الإقامة مدة محدودة يبقون في البلاد بدون موافقة ، ويقدر عدد الذين دخلوا من هذا الصنف في الثلاث سنوات الأخيرة ٧٨٠٠ شخصاً ، ثم يلي ذلك ناحية خطيرة أخرى ، هي عدد الذين يدخلون البلاد مجتنبين أماكن المراقبة على الحدود ... »

لذلك فإن بريطانيا تدعو العرب إلى الاعتراف بحقائق الحالة ، وإلى التعاون للوصول بالبلاد إلى رخاء ويسر ، يشمل جميع السكان . وبريطانيا أيضاً تطلب إلى زعماء اليهود أن يعترفوا بضرورة إجراء بعض التنازل من جهتهم عن التصورات الاستقلالية الانفصالية ، وأن يتمكن العرب واليهود من الرقي والتقدم بوفق وقناعة (١٧) » .

\*\*\*

نظر العرب إلى الكتاب الأبيض من زوايا تناوله لخطر الهجرة اليهودية وضرورة إيقافها ، وإلى أن الأراضي التي يشغلها العرب من الحق عدم حرمانهم منها ، وإبعاد الفلاح عنها ، وإلى أن الوعد بوطن لليهود يسير إلى جانبه الوعد بعدم الأضرار بغير اليهود من شعب فلسطين ، فأصدروا بياناً قانونياً وتاريخياً مهماً وقالوا :

« ما دام الكتاب الأبيض يؤكد بكل حزم أنه لا توجد في فلسطين أراضي ميسورة للمزارعين الجدد من المهاجرين ، وما دام الوطن القومي اليهودي لا يؤسس بدون أرض وبدون رجال كما أعلن ذلك وايزمان في رسالته للمندوب السامي في ٢ مايو ، فلنا أن نقول بكل حزم أنه لا يمكن التوفيق بين خلق وطن قومي لليهود في فلسطين وعدم الأضرار بالعرب فيها » .

وناقش البيان العربي تهرب بريطانيا من تأسيس حكومة في فلسطين

(١٧) المصدر السابق ، ص ٢٦٥ - ٢٦٨ .

وانظر أيضاً : الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين ص ١٦٧ - ١٦٨ .



وفقا للمادة ٢٢ من صك الانتداب الذي يفرض وجود دولة منتدبة لحكومة منتدب عليها ، واكد البيان العربي أن بريطانيا لم تنفذ الى الآن من مواد صك الانتداب الا القسم المتعلق بتأسيس الوطن القومي اليهودي .

ولم يغفل العرب عن حقيقة الأوضاع ، فأوضحوا أنه اذا كان من شأن الكتاب الأبيض أن يزيل بعض المخاوف ، ويعطي شيئا من الضمانات حول الاراضي ، والهجرة ، والبطالة ، وأن بريطانيا قد اكدت انها لن تحيد عن تنفيذ سياسة الكتاب الأبيض بالضغط والتهديد ، ولن تعمل لصالح جماعة دون أخرى ، فانهم يعرفون مقدرة اليهود في الدعايات الخادعة ، ويعرفون أيضا ضعف بريطانيا تجاه هذه الدعايات (١٨) ، ولم يرفض العرب الكتاب الأبيض وما تضمنه من تعديل في سياسة بريطانيا ، ولكنهم اعلنوا أن المهم ليس المبادئ والنصوص ، ولكن المهم تنفيذها ...

#### ٩ - الكتاب الأسود :

ماذا يحدث عندما يحتد الخلاف في الراي داخل الحزب الواحد ؟ و يعلن الرئيس رأيا معيناً يخالفه فيه نائب الرئيس وأعوانه ، أن الذي يحدث هو أن ينسحب نائب الرئيس مستقيلا ، ويستقيل معه المؤيدون لرايه ، ثم تقوم حملة من انصاره تأييدا لموقفه في محاولة ليرضخ الرئيس من اجل الهدف المشترك .

وهذا ما حدث تماما في الموقف الذي أعقب الكتاب الأبيض البريطاني لعام ١٩٣٠ بين حكومة لندن والهيئات الصهيونية ، حدث ما أعطى صورة مكررة من أن الجميع يعملون في نطاق واحد ولمصلحة بينهما محددة مشتركة ، ففي اليوم التالي لاعلان الكتاب الأبيض ، استقال وايزمان من رئاسة الوكالة اليهودية والمنظمة الصهيونية ، واستقال خلفه عديد من الصهيونيين المعروفين ، وتحركت الصهيونية في أوروبا وأمريكا ، وقامت المظاهرات في هذه البلدان تستنكر الكتاب الأبيض البريطاني وتؤيد الصهيوني الدكتور وايزمان ، وتسلمت عصبة الأمم سيلا من البرقيات من ٤٨ دولة حتى أن أحد أعضائها كان يتساءل هل نحن أمام مؤامرة عالمية (١٩) .

وأعلن تشرشل وسمطس وغيرهم من حماة الصهيونية معارضتهم

(١٨) المصدر السابق ص ١١٩ .

(١٩) المصدر السابق ص ١٤٠ .

للكتاب الأبيض ، وقبل أن تمر عشرون يوما على الكتاب الأبيض الذي قبله العرب ، وحاربه اليهود ، وعلى التحديد في ٤ نوفمبر ( تشرين ثاني ) ١٩٣٠ ، أعلن وزير المستعمرات في كتاب أرسله الى جريدة التيمس : « أنه ليس في نية بريطانيا ايقاف الهجرة اليهودية الى فلسطين ، وأن هجرة العمال اليهود سوف لا تتأثر بزيادة العاطلين عن العمل من العرب » .

ولم يكن هذا الخطاب كافيا لليهود ، فأعلن رئيس الوزراء البريطاني في رسالة الى وايزمان الفاضل المستقيل ، ينسخ فيها أهم ما حواه الكتاب الأبيض ، ويتراجع عن الاتجاهات القليلة الطيبة فيه ، ويقدم للصهيونية ما يرضيها قائلا :

« ان الالتزام القائل بوجوب تسهيل الهجرة اليهودية وتشجيع حشد اليهود في اراضي البلاد يبقى التزاما ايجابيا من التزامات الانتداب ، وفي الاستطاعة تنفيذها بدون الحاق ضرر بحقوق الفئات الأخرى بفلسطين .

وأن الحكومة لتقوم بتحقيق يرمي للتأكد من مقدار الأراضي الأميرية وغيرها الميسورة الآن ، والتي يمكن الحصول عليها بصورة مشروعة ، واعدادها لاستيطان اليهود ، وأن الاجراءات التي تتخذ لمراقبة انتقال الاراضي يقصد منها تنظيم معاملات التملك لا منع ذلك ، والكتاب الأبيض لا يعني منع اليهود من امتلاك اراض جديدة ، ولا يتضمن مثل هذا المنع ، وليس في النية وضعه ، والمقصود هو عدم الاضرار بمشروع استعمار الاراضي المزعم انشاؤه .

وان حكومة جلالتهم لم تقرر ، ولم يخطر ببالها ايقاف أو منع الهجرة اليهودية على تباين أنواعها ، وسوف تستمر العادة المتبعة من حيث الموافقة على « جدول العمال » للمهاجرين الذين يدخلون البلاد للاكتساب بواسطة العمل ، وسيستمر دائما الى الاعمال التي تقتضي عمالا من اليهود ، باعتبارها تقوم على رؤوس اموال يهودية ، وينظر ايضا بعين الاعتبار الى حصول اليهود على نصيب من الاعمال الميسورة على أساس ما يدفعه اليهود من الضرائب للخزانة ، وتعترف الحكومة بحق المنظمات الصهيونية في الا تستخدم سوى العمال اليهود ، وتتعهد ان تأخذ هذا الحق بعين الاعتبار عندما تحدد مقدار الهجرة وقوة استيعاب البلاد الاقتصادية (٢٠) » .

وسمى العرب هذا التصريح البريطاني الجديد بالكتاب الأسود ، ومن حقهم أن يسموه بذلك ، فقد رضخت بريطانيا وركعت على ركبتها أمام

(٢٠) المصدر السابق ص ١٤١ - ١٤٢ .

وانظر ايضا : الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين ص ١٨٨ - ١٩٤ .



استقالة وايزمان ، وغضبة الصهيونية ، وتنكرت لما سبق أن نشرته على العالم قبل أيام ليست بعيدة ، من اعترافها بتضرر العرب من الهجرة اليهودية وانتشار البطالة بينهم ، وعدم استيعاب الأراضي للمهاجرين ، واستحالة اخراج الفلاحين العرب من أراضيهم حتى في حالة التشكك في الملكية .

وجاءت في تصريحها الجديد تعدد اليهود وتسترضيهم وتتملقهم ، وتنكر انها فكرت في ايقاف سيل هجرتهم ، وتعد بتدبير الأراضي الأميرية وغيرها لهم ، وهي الأراضي الكثيرة التي لم تسجل ملكيتها وبقيت مشاعة بين العرب ، فأخرجتهم منها بريطانيا بقوة الحديد والنار ، وسلمتها للمهاجرين والمزارعين اليهود .

#### ١٠ - مقارنة لوعود بريطانيا المتناقضة :

كم هي عميقة تلك الخطة التي تسلكها بريطانيا محاطة بالكذب والتضليل والخداع في سبيل حرب الأمة العربية .

قال الكتاب الأبيض البريطاني في أكتوبر ( تشرين الأول ) ١٩٣٠ :

« انه من الخطأ أن يتبادر الى الذهن أن حكومة فلسطين تملك مساحات شاسعة من الأراضي المحلولة التي في الامكان وضعها تحت تصرف اليهود واستعمالها ... والحكومة تدعي بمساحات كبيرة من الأراضي التي يتصرف فيها العرب واقعيا ويفلحونها ، غير أنه حتى ولو سلم بملكية الحكومة لها فليس في الاستطاعة وضعها تحت تصرف اليهود لاستقرارهم فيها ، نظرا لوجودها في ايدي المزارعين العرب ، ولضرورة ايجاد اراض اضافية أخرى لاسكان المزارعين من العرب الذين أصبحوا الآن بلا أرض » .

وقال التصريح الجديد في نوفمبر ( تشرين الثاني ) ١٩٣٠ الذي أسماه العرب الكتاب الأسود :

« ان الالتزام القائل بوجوب تسهيل الهجرة اليهودية ووجوب حشد اليهود في اراضي البلاد يبقى التزاما ايجابيا من التزامات الانتداب ، وفي الاستطاعة تنفيذه دون الحاق ضرر بغير اليهود » .

وقالت بريطانيا في الكتاب الأبيض في أكتوبر ( تشرين الأول ) ١٩٣٠ :

« كل قرار يتخذ لادخال مهاجرين جدد دون اعتبار عدم الاضرار بالسكان العرب في حصولهم على الاعمال يجب استنكاره » .

وقالت بريطانيا في الكتاب الأسود نوفمبر ( تشرين الثاني ) ١٩٣٠ :

« ان حكومة جلالتها لم تقرر ولم يخطر ببالها ايقاف أو منع الهجرة اليهودية على تباين أنواعها ، وتعترف الحكومة بحق المنظمات الصهيونية في ألا تستخدم سوى العمال اليهود » .

وقالت بريطانيا في كتابها الأبيض أكتوبر ( تشرين الأول ) ١٩٣٠ :

« ان الحكومة تعلن بكل حزم عدم وجود اراض في فلسطين صالحة لاستقرار المزارعين من المهاجرين اليهود الجدد باستثناء اراضي الوكالة اليهودية التي هي على سبيل الاحتياط » .

وقالت بريطانيا في كتابها الأسود الخنوع في نوفمبر ( تشرين الثاني ) ١٩٣٠ :

« ان الحكومة تقوم بتحقيق يرمي للتأكد من مقدار الأراضي الأميرية وغير الأميرية الآن والتي يمكن الحصول عليها بصورة مشروعة واعدادها لاستيطان اليهود » .

تم كل هذا التناقض في السياسة والمجاهرة بالأغاليط في زمن حكومة العمال البريطانية التي يرأسها رامزي مكدونالد ، ويتولى وزارة المستعمرات فيها باسفيلد من أشهر رجال بريطانيا وعلمائها ، وكان مكدونالد يعتد ويفخر بأنه ليس خاضعا للصهيونية ، وأنه شديد المراس قويه .

وحين كان الوفد العربي في لندن عام ١٩٣٠ صارحه مفتي فلسطين السيد محمد أمين الحسيني قائلا :

« لقد دلت التجارب على أن كل تقرير يكون في صالحنا ولا يريده اليهود لا ينفذ ، وان كان التقرير في صالح اليهود نفذ فورا ، والدليل على هذا ازماكم ارسال لجنة سمبسون ، ولما يجف مداد لجنة شو ، واننا لنخشى أن يؤثر اليهود على أعضائها » .

وقال مكدونالد :

« ان هذه اللجنة فنية لبحث شئون الأراضي ومقدار استيعابها » .

وقال مازحا :

« لا يستطيع اليهود أن يؤثروا على السير سمبسون مطلقا فهو انجليزي أصيل مثلي (٢١) » .

(٢١) محاضرات في تاريخ قضية فلسطين ، ص ١٣٩ ، وحقائق عن قضية فلسطين ص ٤٢ و ٤٣



وتبين وجه الزور في حديث ماكدونالد ، فمسح بنفسه سطور الكتاب الأبيض، وكذب علنا وعالميا راضخا لليهود ، وقبل أن يمر شهر أو نحو شهر على الكتاب الأبيض ، ولم ينج وهو « الانجليزي الاصيل » ( كما صرح ) من الهوان والرضوخ ، وأما الوزير العالم باسفيد فقد حاربه اليهود في بلاده ، واستقال من الوزارة ، ولم يظهر منذ ذلك الحين على المسرح السياسي أبدا ( ٢٢ ) .

\*\*\*

ها قد مضى أكثر من ثلاثة عشر عاما على دخول الجيوش البريطانية الى فلسطين عام ١٩١٧ ، والفلسطينيون يتجرعون كل يوم كأسا جديدة مليئة بالآلام والأحزان . وما من لجنة بريطانية الا رأت وجه الحق ظاهرا في صالح العرب ، وانصفتهم وانحت باللائمة على نظم حكومتها .

ولكن بريطانيا برغم اللجان العديدة التي أرسلتها الواحدة تلو الأخرى ، وبرغم اعلانها في الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٠ أنها سوف تنفذ محتوياته بحزم مهما كانت المعارضة ، برغم كل هذا فقد كانت تنعقد نية الخلف في ضميرها ، قبل أن يجري لفظ الوعد للعرب على لسانها ، وكانت تنظر الى فلسطين كأنها قطعة مجهولة اكتشفها بريطانيا خالية من السكان ، وهي تفتح أبوابها لليهود ليسكنوها ويعمروها .

والشعب العربي في فلسطين يقف وحيدا في معركة غير متكافئة ، يبعث بوفوده الى لندن ويقابل ويفاوض . ويقدم احتجاجاته الى جمعية الأمم ، ويتظاهر في الداخل ، ويثور ويفقد الضحايا مئات وراء مئات ، ويقاوم اليهود الذين تسلحهم بريطانيا رسميا وهو أعزل الا من قطع من السلاح قليلة وقديمة مخلفة عن الحرب أو متسربة بصعوبة وقلة وندرة .

وجيرانه ، بل اخوته العرب في شغل عنه شاغل ، لكل منهم مشكلة يعانها ، والرأي العام العالمي لا يعنى بالعرب الفلسطينيين ، وجهود هؤلاء ليست في المستوى الذي ترقى له جهود اليهود ، وصحافة العالم مسيرة لهم ، أو مجاملة لحكومتها المتآمرة مع الصهيونية ، والشعوب تتأثر بأجهزة اعلامها المختلفة ، أو بآراء أحزابها وقادة الرأي فيها ، وقد رأينا في الصفحات السابقة كيف تسابقت الدول الأوروبية الى تأييد وعد بالفور ، وخلق وطن قومي لليهود في فلسطين وشايعتها في ذلك صحافتها الا قليلا ، وخطب قادة رأيها ، فنادوا بوجوب تهويد فلسطين ، ويكفي أن الأحزاب

( ٢٢ ) المؤامرة الكبرى ، ص ٧٨ .

البريطانية الثلاثة مجمعة على ذلك برغم الخلف بينها في برامجها العامة ، والتنافس بين رؤوسها ومحركيها .

ويتضح نفس الموقف لدى الحزبين الأمريكيين حتى أن الكونجرس الأمريكي أصدر قرارا اجماعيا ، يؤيد به خلق الوطن القومي اليهودي في فلسطين .

وهكذا صدم الشعب العربي في فلسطين بخطاب ماكدونالد الى وايزمان الذي اعتبر سحبا للكتاب الأبيض .

## ١١ - المؤتمر الاسلامي في القدس ١٩٣١ :

وجاءت خواطر الشعب الفلسطيني ، فقامت مظاهراته في كل صقع من اصقاعه ، تدعو الى التسليح والى توجيه الثورة ضد الانجليز باعتبارهم المسؤولين أولا عن أحداث فلسطين ، وهكذا تنادى الخطباء وهاجم الجند المتظاهرين وسقط مئات من الجرحى ، واكتظت السجون بالمعتقلين العرب ، وتلفت الفلسطينيون الذين خاب أملهم في الرأي العام باوربا وأمريكا ، تلفتوا الى اخوانهم في الجنس والدين وتنادوا الى عقد مؤتمر اسلامي في القدس .

ان القدس تمثل القبة الاولى للاسلام وهي مسرى الرسول العربي محمد العظيم عليه الصلاة والسلام ، وفيها ثالث الحرمين الشريفين ، وفي بطاح فلسطين مئات من صحابة الرسول الكريم ، وفي ثغورها وعلى هضابها ذهب مئات الآلاف من سكانها صرعى تحت سلاح الصليبيين وهجماتهم ، اذن فلتكن الدعوة الى المؤتمر الاسلامي عسى أن تكون فيه القوة التي تحسب لها بريطانيا حسابها ، لا سيما وان أكثر مستعمراتها مسكونة بالمسلمين .

وفي ليلة الاسراء والمعراج في الرابع من ديسمبر ( كانون الأول ) ١٩٣١ ، انعقد المؤتمر الاسلامي الذي شهدته مندوبون عن أكثر من اثنين وعشرين قطرا ، وأسهم فيه عديد من كبار المفكرين والزعماء ، وأصدر قرارات مهمة دعا فيها العالم الاسلامي الى مقاطعة البضائع الصهيونية ، ونادى بوجوب وقف الهجرة اليهودية ، وقرر انشاء جامعة اسلامية في القدس ، وانشاء شركة زراعية لاتقاز اراضي فلسطين والحيلولة دون استيلاء اليهود عليها .

غير أن هذا المؤتمر الذي نجح في صوغ القرارات واحداث صدى لها



مسموع في العالم ، لم يستطع أن يخلق لها الأثر العملي ، فقد كان المسلمون محكومين بالانجليز وكان هؤلاء هم المتصرفين في فلسطين وغير فلسطين .

وما كان ممكنا انشاء جامعة كبرى تنافس الجامعة العبرية في القدس ، ولا كان ممكنا انشاء شركة زراعية تحافظ على أراضي العرب ، الا بقوة مالية تسند العرب في مشروعاتهم ، والا بقوة من الحكومة توافق على استعمال ذلك المال .

وذهب وفد فلسطيني يجوب العالم الاسلامي ، ويقنع زعماءه بالخطر على المقدسات الاسلامية والوجود الاسلامي ، في أرض مسرى الرسول ، واستجاب المسلمون لهذه الدعوة ، وتسابقوا يسجلون اكتابهم بمبالغ كبيرة في أنحاء الهند الشاسعة ، ولكن بريطانيا تكتب من لندن الى حكومة الهند بوجود عرقلة هذه المساعي ومنع تحويل الأموال (٢٣) .

ان فكرة جمع الأموال من العالم الاسلامي فكرة هزت بريطانيا واقفلتها ، فان انشاء جامعة في القدس تهيج لشباب فلسطين سبيل العلم في بلادهم دون حاجة الى الاغتراب ، وسيطرة بريطانيا على التعليم سيطرة كانت تستهدف نوايا معينة ليست في صالح العرب ، على حين هي تعطي لليهود حرية التعليم في مدارسهم وبرامجهم التعليمية ، وهم يقيمون جامعة عبرية في القدس منذ عام ١٩٢١ يضع تشرشل حجر أساسها ويباركها ، واذا أسس العرب جامعة لهم في القدس ، كان معنى هذا ان النهضة التعليمية العربية لا تقل عن النهضة اليهودية ، وهو أمر تحاربه بريطانيا في برامجها السرية والعلنية ، ويختلف عن المفهوم العام لوعده بريطانيا البلفوري في خلق وطن قومي لليهود في فلسطين .

وان انشاء شركة زراعية عربية تمول بأموال الأغنياء من مسلمي العالم ، سوف يكون عملا شبيها بالجمعيات اليهودية التي تتمول ماليا من يهود العالم كله ، وتمدهم بالملايين من أوروبا وأمريكا ، ولكن الأموال اليهودية تجد في رحاب القوانين البريطانية بفلسطين متسعا وترحيبا فتباع لها الأراضي الميسرة تحت اشراف الحكومة ، وتباع لها الأراضي الحكومية ، وتصادر أنواع أخرى (٢٤) ، بمراسيم من المندوب السامي وتعطى للوكالات

(٢٣) حقائق عن قضية فلسطين ، ص ١٣٩ .

(٢٤) راجع فصل الأرض في أواخر هذا الكتاب .

اليهودية باعتبار ذلك يتفق مع المنفعة العامة حسب التعابير التي تتردد في تلك المراسيم .

واذا أسست شركة زراعية عربية توافرت لها القدرة المالية ونافست في شراء الأراضي التي تعلنها الحكومة أو التي يضطر اصحابها العرب لبيعها تحت وطأة قوانين بريطانيا التي نددت بها نفس اللجان البريطانية ، اذا أسست هذه الشركة كان معنى هذا أن اليهود لن يجدوا كل شيء ميسرا لهم في التملك والانشاء والائماء ، ولهذا حاربت بريطانيا جمع المال المسلم لفلسطين ، ومنعت تحويل الأموال ، وأصدرت أوامرها الى حكومة الهند لمنع تحويل المال الى فلسطين .

كان وفد المؤتمر الاسلامي الى الهند يتكون من عدد كبير من زعماء العرب المخلصين ومن بينهم مفتي فلسطين السيد أمين الحسيني ، والزعيم المصري المعروف المرحوم محمد علي علوبة وشاعر الاسلام الهندي الكبير محمد اقبال ، وسرعان ما تبرع نظام حيدرآباد بمليون روبية ، وتبرع سلطان البهرة وبعض أتباعه بنصف مليون ، وتعهد أمير بهوبال بأموال كبيرة ، ولكن سكرتير اللجنة الاسلامية في الهند فيروز خان نون الذي كان يومئذ وزير معارف البنجاب اطلع على تعليمات واردة من حكومة لندن الى المدعو ونجتون نائب الملك في الهند ، تطلب اليه ان يعامل وفد المؤتمر الاسلامي بالاحترام ، وأن يحال بجميع الوسائل دون نجاح مهمته ، لأن من شأن نجاحه أن يعرقل سياسة حكومة جلالتة في فلسطين (٢٥) .

وبالفعل منع الانجليز خروج الأموال من الهند ، واجبطوا مهمة الوفد ، وبهذا لم تنجح فكرة مؤتمر العالم الاسلامي الذي انعقد في فلسطين ، لم تنجح حتى في مقاطعة البضائع اليهودية لدى المسلمين ، فلم يقف سيل التصدير من الشركات اليهودية في فلسطين ، ومن البيوت الصهيونية في العالم الى مختلف أنحاء العالم الاسلامي ، الذي كان محكوما ببريطانيا وفرنسا وإيطاليا ، ولم يكن لسكانه من رأي في منع التصدير الا بمقدار ما لهم من حكم بلادهم وهو قدر ضئيل تولاه التافهون في أغلب الاحوال .

## ١٢ - تقدير العرب وبذل اليهود :

على أنه من الصدق ان لا نبريء أنفسنا من الشح وعدم الاكتراث ، فان اجراءات الانجليز ليست وحدها التي حالت دون تقوية أهل فلسطين

(٢٥) المصدر السابق ، ص ١٣٨ - ١٣٩ .



ماديا ، بل كان الموقف العربي العام يسهم كثيرا في ذلك الضعف والفقر والعوز .

لقد كان عرب فلسطين يأملون العون من اخوانهم القرييين ، وكان فيهم أغنياء عديدون وملوك أثرياء وأصحاب أقطاع ومزارع .

ولطالما صدرت نداءات مؤثرة من فلسطين تستنهض الهمم وتطلب القوة والعون ، ولكن شعوب العرب كانت تقابل تلك الاستغاثات بالمشاركة المعنوية ، فيتكرم القليل بارسال البرقيات ، ولربما خرجت مظاهرة صاخبة في دمشق أو بيروت ، وحين تبدأ الاكتابات لا يزيد حجم التبرع عن فتات قليل لا يسمن ولا يغني من جوع .

أذاع عرب فلسطين بيانات عديدة أثناء أحداث عام ٢٩ . ١٩٣٠ . جاء فيها :

« أن اللجنة العليا لاعانة المنكوبين تواجه الصعاب الشداد في أداء مهمتها التي لم تنته بعد ، لا يزال في السجون عدد عظيم تركوا وراءهم أطفالهم ونساءهم بدون عائل ، وهناك عدد كبير من القضايا بين يدي القضاء في حاجة الى العناية والانفاق ، وعدد كثير من الجرحى لم يستعيدوا قواهم ، ولم يستطيعوا الرجوع الى أعمالهم ، هذا عدا هناك من أيتام الشهداء ، وأراملهم الذين هم في أشد الحاجة الى الاستمرار في العناية بهم وسد رمقهم ، لذلك فاللجنة تعود وقد نفذ ما لديها فتدعو كل كريم محسن الى مد يده الكريمة لتخفيف النكبة وسد العوز (٢٦) » .

لكن هذه النداءات كانت تنشر لا ليتحمس العرب ، بل ليتحمس اليهود ، فيسخوا بالاموال الكبيرة والآلاف الكثيرة ، فيعلن اليهودي أسحق رئيس الجمعية الصهيونية في الكاب أنه تبرع بألف جنيه للجامعة العبرية في القدس .

ويكتب الأمير المجاهد المرحوم شكيب أرسلان منددا بموقف العرب والمسلمين وبخلهم ازاء نكبة الأرض المقدسة ، مقارنا بين مجموع التبرعات التي احصاها واصلة فلسطين من جميع المهتمين بها ، فكانت ثلاثة عشر ألف جنيه ، وبين النشرة الصهيونية التي تحصى تبرعات اليهود الى منكوبيهم في نفس الثورة ، فكانت أكثر من مليون جنيه ، ولا يشمل هذا المبلغ الملايين الأخرى الخاصة بالمشروعات الاقتصادية المختلفة التي

(٢٦) جريدة الشورى العدد ١٧ من يوليو ١٩٢٩ .

تنفقها الصهيونية هنالك (٢٧) .

وعلى الرغم من تلك النداءات المؤثرة الحزينة التي كانت تذيعها اللجنة العليا لفلسطين ، فان آذان حكامهم وأغنيائهم كانت مقفلة صماء ، وحين يخرجون فيتبرعون لا ترقى تبرعاتهم الى مستوى الاحداث ، ولا تمثل الا نقطة ماء أمام سدود اليهود المحصنة .

كان أحد ملوك العرب يمثل في بلاده الملك والوزير والحاكم ، والمحافظ وجابي المال ، وكان شعبه ملزما بتقديم الزكاة والاعشار والضرائب اليه ، فكان هو الخاسب ، وكانت ميزانية بلاده تحت يده يصرفها ويتصرف بها كما يشاء ، وتقدم خطوة ليشترك في التبرع لفلسطين فلم يزد تبرعه عن ثلاثمائة جنيه ، وحرص على أن تنشر في الصحف كما لو كانت الملايين التي توسع ضائقة العرب (٢٨) .

وتنشر الصحف قوائم من التبرعات لاعانة منكوبي فلسطين وفيها حماة المسجد الأقصى ، فتأتي مجموعة من مختلف الوطن العربي والاسلامي فلا تصل كلها نصف الالف ، ولننشر لذلك مثلا :

« نشر في ٢٢ يناير ( كانون الثاني ) ١٩٣٠ كشف من أربعة أقطار مختلفة ، واشترك في كل قطر عديد من المتبرعين ، فكان المجموع واحدا وثلاثين جنيها ، وسبعة مليمات ونصف مليم اضيف الى مجموع سابق كانت قد جمعتها جريدة الشورى ، فلم يزد الكل عن مائة وستين جنيها وثلاثة وسبعين قرشا ونصف قرش (٢٩) .

على أن الصهيونيين لم يحتاجوا يوما الى المال ، فهم أصحابه يجمعونه بكل الوسائل ، ومن جميع بلاد العالم بما في ذلك الوطن العربي ، ولقد نشرت المجلة الصهيونية التي كانت تصدر في مصر أن يهود القاهرة أرسلوا ابان احتلال الانجليز ثلاثة آلاف جنيه تبرعا الى يهود يافا ، وذكرت أن يهود امريكا تبرعوا في عام واحد مجرد دخول النبي القدس بمبلغ مليوني جنيه للصهيونية في فلسطين ، كما تبرع روزلد جليوس من شيكاغو لليهود بمبلغ ٢٠٠ الف جنيه .

وحين تضرر المسجد الأقصى ، وتألفت لجنة عليا في القاهرة لاعادة

(٢٧) الامير شكيب أرسلان ، لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم ، وانظر ايضا : حقائق

عن قضية فلسطين ، ص ١٦١ .

(٢٨) كتب وكيله خيرا بذلك التبرع في جريدة الشورى القاهرية عام ١٩٣٠ .

(٢٩) جريدة الاهرام العدد ٣ فبراير ١٩١٨ .



عمارتها ، لم تزد التبرعات عن عدد قليل من الافراد ولم تتجاوز بضعة آلاف من الجنيهات ، ولم يجد كبار القوم من أصحاب الثروات والألقاب المفخرة مانعا من أن يتبرع أحدهم بمبالغ صغيرة لا تزيد عن العشرة أو العشرين جنيها .

بل كان التجار اليهود يعملون بحرية وقدره ونشاط في جميع أنحاء العالمين العربي والإسلامي ، فهم في لبنان محميون بقوانين فرنسا وقد تجاوزوا التجارة فيه إلى الإشراف على نظام الهجرة الصهيونية إلى فلسطين ، وحين اكتشفت الجبهة اليهودية التي تتخذ بيروت مركزا لتسريب اليهود إلى فلسطين ، غضب العرب اللبنانيون ولكنهم لم يستطيعوا أن يفعلوا أكثر من الألم الدفين ينفثون آهاته في سكون ...

وهم في مصر يتركزون في أهم البيوتات المالية ، لهم الكلمة العليا ، ويدهم الحول والطول ، فشيكوريل وبنزاوي وقطاوي ومزراحي وهانو يتصرفون في المال والتجارة بحرية كما لو كانوا في أرضهم وبلادهم ، وكان جاتينيو وفلكس دانا ومانيو إسرائيل وسلفاجوربسيس وكوري ودافير محرز وليفرا وشاربيتشو وموصيري وجوزيف ليفي وأوفاديا سالم وروفيه وجرسين يتحكمون في البورصة وتجارة القطن والبصل وشركاته والمقاولات ويتصرفون في الاقتصاد المصري كما لو كانوا أسياده وحماته (٣٠) .

وفي شمال افريقيا بأقطارها الاربعة ليبيا وتونس والجزائر ومراكش . كان اليهود يتحكمون في تجارة السكر والدقيق والصوف ويتعاونون مع دول الاستعمار مترجمين وعملاء وجواسيس .

وفي العراق أستمتر نشاط الصهيونية التجاري يسيطر مدة طويلة على تجارة العراق الخارجية في تصديره واستيراده .

ومن حصيلة نشاطهم في العالم العربي كانت تجمع أعاناتهم لليهود في فلسطين كما كان اليهود في بقية أرجاء العالم يجمعون الملايين لصالح مشروعاتهم في فلسطين . وتعتقل فرنسا لجنة التبرعات لفلسطين بالجزائر على حين يجمع العون لليهود تحت حمايتها علنا (٣١) .

ولم يكن اليهود في العالم العربي يحسبون لشعوبه حسابا ، ولقد بلغ من استهانتهم أن نشروا في مصر أنهم جمعوا لصالح الصهيونية آلاف

(٣٠) فتحي الرملي ، الصهيونية اعلى مراحل الاستعمار - القاهرة ١٩٥٦ ، ص ١١٧ .

(٣١) جريدة الثوري العدد الصادر في ٢٥ من أغسطس سنة ١٩٢٧ .

الجنيهات ، ونشرت الأهرام ذلك دون أن تثير اهتمام أحد ، فقد كان الجميع مشغولا بنكبات الإنجليز ، أما الأغنياء وكانوا مجموعة كبرى غارقة في خير مصر فهم في شغل شاغل من لهوهم وعبثهم عن أن يفكروا في مستقبل الشعب الفلسطيني الذي يواجه وحده صراعا خطيرا ضد الصهيونية العالمية والصليبية الاستعمارية .

لقد استنجد شعب فلسطين بالعالم العربي حين اتضح أن ثورته عامي ١٩٢٩ - ١٩٣٠ خلفت أسرا فقدت أربابها ، وأطفالا مشردين وعائلات دون مأوى هدم الإنجليز بيوتها وأحرق جنودهم مزارعها .

وحين يتحدث اليوم بعض السطحين العرب فيكيلون اللوم لشعب فلسطين مدعين أنه لم يحافظ على أرضه ، يتناسون عن عمد أو عن جهل أن المال العربي أو الثروة العربية لم تتحرك من عالمنا يومئذ لتقف في صف الفلاح العربي الذي حرّمته بريطانيا أرضه ، فاعتبرتها أرضا حكومية ، تحت نظم التسوية التي ابتكرتها ، ولم يتحرك يومئذ ليساعد الفلاح الذي أثقلته بريطانيا بالضرائب واضطرته للبيع أمام ملايين اليهود وسداد الديون (٣٢) .

#### ١٣ - تقريراً جونسون وفرانش :

ما من مرة تستشعر بريطانيا حركة مهمة تدب بين العرب الفلسطينيين إلا عمدت إلى سلاحها التاريخي في الماطلة والتخدير والمغالطة ، ولعل النفوس الهائجة والاعصاب المتوترة وحالة القلق التي كانت بادية في فلسطين في عامي ١٩٢٩ - ١٩٣٠ هي التي دفعت المندوب السامي البريطاني تشانسلور إلى تعيين لجنة جديدة من موظفي حكومة فلسطين ، وعين لها المستر جونسون نائب مدير المالية رئيسا لها .

وكل لجنة عينت للتحقيق في أحوال فلسطين أصدرت لجنة جونسون تقريرها موضحة الاثقال الخطيرة التي يئن تحتها الفلاح العربي ، ولا سيما تلك الضرائب الفادحة التي أوصلت المزارع العربي إلى حالة من الفقر خطيرة .

وأعلن التقرير في وضوح مسئولية الحكومة عن مساعدة الفلاح الذي زاد شقاؤه عندما زادت ضرائب العشر وتعداد المواشي من ١٩ بالمئة إلى ٣٣ بالمئة ، وفضحت هذه اللجنة البرنامج الحكومي الذي استهدف في

(٣٢) تقرير مستر فرانش ، الخبير البريطاني عام ١٩٢٨ ، ص ٣٧ .



فلسطين خلق وضع يحمي الانتاج اليهودي ، فيمنع استيراد كل ما يمكن ان تنتجه المصانع اليهودية ، على حين ترك باب التجارة مفتوحا بالنسبة الى الانتاج العربي ، فمن حق اليهود أن يستوردوا القمح والشعير كلما شاءوا ذلك ، مهما كان هذا الاستيراد ضارا بمصالح العرب مفلسا لهم ، وليس للعرب أن يستوردوا شيئا من تلك الأشياء التي ينتجها اليهود في فلسطين .

وذهب تقرير جونسون أدراج الرياح ، كما ذهب كل تقرير مماثل ينصف العرب ، ولكن بريطانيا لا تمل هذه السياسة التسوية المعرقة ، فكلفت من جديد المستر لويس فرنشي لدراسة الوسائل الكفيلة لتنفيذ مشروعات التنمية ، وكان ذلك في صيف ١٩٣١ ، ونشر فرنشي تقريرا مهما انحى فيه هو أيضا باللائمة على بريطانيا وقال :

« لو لم ترتكب الحكومة خطأ عظيما بسياستها في عدم المحافظة على حقوق ومصالح العرب في الماضي والحاضر ، لما رأينا مشكلة المزارعين الذين لا أرض لهم » .

وأضاف فرنشي الذي كان يعتقد أن حكومته صادقة في تكليفه للبحث عن الحقيقة ، أضاف يقول :

« يجب على الحكومة المنتدبة أن تعمل بجد في الحال على إيقاف انتقال الأراضي للصهيونية ، ففي إنجلترا نفسها سن قانون مماثل لحماية الفلاحين الإنجليز ، وإذا كنا نريد أن نحفظ وأن نحمي حقوق الأغنياء وأصحاب النفوذ اليهود ، فمن باب أولى يجب علينا حفظ وحماية حقوق الضعفاء والفقراء ، وبديهي أن خير ما يمكن به حماية الفلاح العربي هو أن نحفظ له أرضه من الفاصبين ، ولقد عرض كثير من الفلاحين الذين يرزحون تحت وطأة المطالبة ، أراضيهم للبيع رغبة منهم في الخلاص من ربقة هذه الديون » (٣٣) .

ولم تكن تلك الديون التي يعيها فرنشي إلا المبالغ التي اضطرت السياسة البريطانية الفلاح العربي إلى أن يستدينها في سبيل اصلاح أرضه وزراعتها ، ثم كسدت محصولاته تحت تأثير اللوائح والقوانين البريطانية ، فوجد الفلاح نفسه مدينا مطالبا منهار الاقتصاد وواهن القوى .

(٣٣) محاضرات في تاريخ قضية فلسطين ، ص ١٤٨ .

#### ١٤ - اصوات الحق العربي لا تسمع في بريطانيا :

باءت بالفشل كل تلك المحاولات التي بذلها الشعب العربي في فلسطين ، من ارسال الوفود تعبر الأجواء إلى لندن ، تفاوض حكومتها وتحدث صحافيتها ، وتباحث اعضاء مجالسها ، وتظهر لهم وجه الحق ، وتستنهض همهم للوقوف الى جانب العدالة العربية في فلسطين ، وتسربت الى الهواء وأهملت كل تلك التقارير التي دبجتها اللجان العديدة ، وأوضحت فيها ظلامة العرب على تعاقب السنين .

أهمل تقرير اللجنة الامريكية التي جاءت الى فلسطين عام ١٩١٩ ، وبعد جولة كبيرة اعلنت في وضوح ان اخضاع شعب لهجرة يهودية غير محدودة ، ولضغط اقتصادي واجتماعي من شأنه أن يجبره على تسليم البلاد ، يعتبر خرقا صريحا لمبدأ ويلسون الذي اعلن في الرابع من يوليو (تموز) ١٩١٨ الذي ينص على ضرورة تسوية كل قضية على أساس قبول السكان لتلك التسوية ، بحرية لا أساس فيها للمصلحة المادية لشعب مراعاة لنفوذه الخارجي ، ثم أن ادعاء اليهود بحقهم في فلسطين أمر لا يمكن أن ينظر اليه نظرة جدية ، ولذلك يجب أن يصرف النظر نهائيا عن جعل فلسطين دولة يهودية (٣٤) .

وأهمل أيضا تقرير لجنة هيكرافت لعام ١٩٢١ الذي أعلن « أن استياء العرب ناتج عن أن بريطانيا راعت في تشكيل الحكم بفلسطين رغائب الصهيونيين متناسية حقوق السكان الاصليين ، وأن اقحام فلسطين بأناس أقدر من العرب على التجارة والصناعة عمل يقصد به الاستيلاء على موارد البلاد ونزعها من أيدي أبنائها » .

وأهمل أيضا تقرير شو القاضي البريطاني الشهير الذي قال : « انه من المحتم علينا أن نبدي ما يسود العرب في فلسطين من استياء عن الحالة الحاضرة ، فبالرغم من أنهم يؤلفون الأكثرية الكبرى من السكان ، ليس لديهم مرجع معترف به للاتصال بالادارة ، على حين أن أقلية من شعب آخر لها علاقات معينة ورسمية معها ، وهي في مباشرتها لهذه العلاقات توجه نظر الحكومة الى مصالح الأقلية فقط » (٣٥)

وأهمل أيضا تقرير سمبسون الخبير البريطاني الشهير والذي قال :

(٣٤) الثورة العربية الكبرى ، ج ٣ ص ٤٧ - ٦٢ .

وانظر : نقطة العرب ، ص ٤٤٣ .

وانظر وثائق رئيسية من تاريخ قضية فلسطين ص ١١٦ - ١٢١ .

(٣٥) راجع بحثنا حول هذا التقرير ص ١٤٦ من هذا الكتاب .



« ان الفلاح العربي يزرع تحت عبء الديون ، مثقل بالضرائب التي يتعذر عليه دفعها الا اذا عمد للاستدانة بفائدة كبيرة لا تكاد تصدق ، ان قسما من الشعب اضطر الى بيع أرضه ، اما لتسديد ديونه ، أو لدفع ضرائب الحكومة ، أو للحصول على ما يسد به رمق العائلة (٣٦) » .

وأهملت بريطانيا أيضا كتابها الأبيض لعام ١٩٣٠ الذي يقول :

« ليس في استطاعة الحكومة وضع الأراضي تحت تصرف اليهود لاستقرارهم فيها ، وذلك لوجودها فعلا بيد العرب ، ولضرورة إيجاد اراض للمزارعين العرب الذين أصبحوا بلا أراض (٣٧) » .

وأهمل أيضا تقرير جونسون الذي أبان ظلم حكومة فلسطين للفلاح العربي الذي أصبح يدفع ٣٣٪ ضريبة ثابتة ، فأوقع العرب تحت طائلة الديون المرهقة ، والافلاس الشنيع بالإضافة الى حماية الانتاج اليهودي وفتح السوق لزاحمة الانتاج العربي .

وأهمل أيضا تقرير لجنة فرائش الذي فضح سياسة حكومته في تسليم الأراضي لليهود قائلا :

« لو لم ترتكب الحكومة خطأ عظيما بسياستها لما رأينا مشكلة المزارعين الذين لا أرض لهم ، وعلى بريطانيا أن توقف فورا انتقال الأراضي الى اليهود ففي انجلترا نفسها يوجد قانون لحماية الفلاحين الانجليز » .

#### ١٥ - اشتداد النضال الفلسطيني :

وعلى ما في هذه التقارير من تعبيرات مقنعة لسلطات الانتداب ، فان السياسة البريطانية التي ترمي الى تهويد فلسطين لم تتغير ، وصمم العرب على أن يوجهوا اهتمامهم الى الانجليز أنفسهم ، وقد كانوا في معظم حركاتهم يحاربون الصهيونية ، ولكنهم تأكدوا ان أولئك الذين سحجوا الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٠ والذين ساروا على طريقة اللجان تبحث وتنشر تقاريرها ثم تذهب أدراج الرياح ، ان أولئك هم الانجليز أنفسهم ، وهم الذين بيدهم الحكم وفي استطاعتهم الاستماع لو شاءوا الى نداء الضمير ومنطق الصدق ، ولهذا لم يجد العرب بداً في مؤتمرهم المنعقد في القدس عام ١٩٣٣ من مواجهة سلطات الانتداب بمطالبهم واعلانهم عدم التعاون معها ، والامتناع عن قبول دعوات حفلاتها ، وانهم سوف يعطون لتلك

(٣٦) راجع نص هذا التقرير ص ١٤٩ في هذا الكتاب .

(٣٧) راجع ما كتب عن هذا الموضوع ص ١٥٠ - ١٥٢ من هذا الكتاب .

السلطات شهرا آمليين أن تتخذ من الاجراءات ما يمنع تدفق المهاجرين اليهود ، وتسرب الأرض الى أيديهم ، وحاولت السلطات منع العرب من اجراءاتهم ، ولكن الشعب أعلن اضرابه في جميع أرجاء البلاد في مارس ( آذار ) ١٩٣٣ .

وفي مدينة يافا اجتمع العرب من جديد ، معلنين أنه لم يعد هناك أمل في أن يراجع الانجليز موقفهم ، أو يحيدوا عن أسلوبهم الخطير في البلاد ، وقرر المؤتمر مقاطعة الحفلات الحكومية واللجان الرسمية والبضائع الانجليزية والصهيونية ، كما قرروا تأليف لجنة من جميع الأحزاب للاشراف والمشاركة في تنفيذ المقاطعة وأن تبذل الجهود لدى الاهلين لشراء أسهم شركة انقاذ الأراضي .

لم يكن في جهد شعب فلسطين غير هذا ، فان مبدأ المقاطعة للحكومة ومنتجات بريطانيا والصهيونية كان مبدأ يستطيع العرب تنفيذه ، ولهذا عمدوا اليه برغم أنه ضعيف التأثير ، لأن شعب فلسطين ليس من العدد الكبير الذي تتأثر به صناعة بريطانيا ، ولو أن العرب في العالم كانوا يستطيعون المساهمة في ذلك الوقت لأحدثوا حدثا مؤثرا مهما ، والقادة الفلسطينيون حين يحاولون حث الشعب على شراء أسهم انقاذ الأراضي ، انما يحاولون جمع مبالغ ايهامية فقد استطاعت بريطانيا بسياستها خلال انتدابها أن تحرم الفلسطينيين من الثروات ، واذا كان أغلب الشعب الفلسطيني من المزارعين ، فان في تلك التقارير الرسمية التي أوردنا نصيبا منها في الصفحات السابقة ما يثبت بما لا يدع مجالا للشك أن الفلاح العربي كان فقيرا مثقلا بالديون مرهقا بالضرائب ، وان الحاصلات العربية التي يشترك في خيرها الفلاح أو الممول أو التاجر كانت دائما عرضة للخطر ، لا حماية لها ولا اهتمام بها .

لقد كان الهدف هو بذل محاولة لمنافسة اليهود في شراء الأراضي التي تعرضها الحكومة للبيع ، سواء بعد معاملة التسوية (٣٨) ، أو بفعل الديون والافلاسات أو سدادا للضرائب الكبيرة ، وكان يمكن أن يكون هذا العمل مثمرا لو أن العالم العربي والاسلامي أسهم في خلق هذه المحاولة وغذاها ومد لها يده ليستطيع عرب فلسطين أن يقفوا أمام أموال اليهود التي ترد من جميع أنحاء العالم ، وسياسة الانتداب التي تعهدت باعطاء الأراضي لليهود ...

(٣٨) راجع بحثنا عن الارض في الفصول الاخيرة من هذا الكتاب .



على ان الموقف ازداد حرجا حين أعلن ان عشرة آلاف يهودي دخلوا فلسطين بطرقهم الخاصة مهربين ، وانهم باقون بها ، وان آلافا أخرى أعطيت لها تأشيرات الدخول على التوالي ، وبينما تندد الصحف العربية بسياسة بريطانيا وتهاجمها ، أعلن مؤتمر الصهيونية في براغ ضرورة فتح فلسطين للهجرة اليهودية دون تقييد ولا تحديد .

وكانت بريطانيا تحرّم على العرب التظاهر ، وتمنع حمل السلاح ، على حين انها تسلح اليهود ، وكانت تبيح التظاهر لليهود وتعطيهم الترخيص بذلك كلما طلبوه ، ولم يعد للعرب - بعد أن أعلنوا عن سياسة المقاطعة - حاجة لأن يطلبوا منها تصريحاً بالتظاهر ، فأعلنوا أنهم متظاهرون في تواريخ يحددها دون ترخيص ولا استئذان ، وجن جنون سلطات الاستعمار ، وأعلنت انها لن تسمح بأي مظاهرة .

وفي يوم الجمعة الموافق ١٣ أكتوبر ( تشرين الاول ) ١٩٣٣ غادر المسجد الأقصى المبارك آلاف عديدة من المسلمين ، وانضم اليهم جمع كبير من المسيحيين ، وتقدمهم الزعيم موسى كاظم الحسيني وتعرض الجند البريطاني للمظاهرة الساخطة طالبا تفرقها ، ثم استعمل سلاحه فخرّ ٣٥ جريحا عربيا وعدد قليل من رجال الامن .

وفي تلك الليلة نفسها حيث كانت خمس وثلاثون اسيرة عربية تضمد جراح فتيانها ، أعلن الزعماء العرب أنهم سيقومون بمظاهرة أخرى دون تصريح حكومي في مدينة يافا ، وطالب المندوب السامي بعدم التظاهر ، ولكن العرب لم يكونوا معترفين بتلك المطالبة ، ولا مصفين لرئيس دائرة التهويد ، وفي الموعد المحدد الجمعة ٢٧ أكتوبر ( تشرين الاول ) كان الشعب العربي يتجه من القدس والخليل وحيفا وكل أنحاء فلسطين الى يافا ، وأمام باب الجامع الكبير في يافا وقع اصطدام مع الجند الذين كانوا يمثلون قوات كبيرة من مشاة الجيش البريطاني وخيالته ومدركاته ، وبينما كان الشباب العربي ينادي بسقوط بريطانيا وحياة الأمة العربية ، أطلقت النار على جموع المتظاهرين ، فاستشهد من العرب اثنان وثلاثون شابا ، وجرح ١٦٧ عربيا ، وضرب الشيخ الجليل موسى كاظم الحسيني في رأسه فرجع جريحا جرحا لم تفارقه آلامه حتى توفي شهيدا في ٢٦ مارس ( آذار ) ١٩٣٤ .



مشهد من مظاهرة جرت في يافا ، وفيها يسدو الزعيم موسى الحسيني ، وقد انهال الجنود البريطانيون عليه ضربا



وقرر أن تقام مظاهرة أخرى أوائل نوفمبر ( تشرين الثاني ) ولكن المندوب السامي أصدر أمره باعتقل الزعماء العرب الذين كانوا يعتقدون اجتماعهم في مقر الجمعية الإسلامية المسيحية في يافا ، وأخذهم إلى سجن عكا بعد أن أشبعهم اهانة وضربا . وعمت المظاهرات المدن الفلسطينية ، وتحرك الفلاحون يشاركون أهل المدن مظاهراتهم في الرملة والقدس وعكا وحيفا ونابلس والخليل ، وكان البوليس يفرقها مستعملا الرصاص في جموع العرب .

وأعلن شعب فلسطين الاضراب لجميع قطاعاته أسبوعا كاملا ، احتجاجا واطهارا لسخط الشعب العربي على السياسة البريطانية . ولئن تميزت هذه الفترة بالمظاهرات والاضطرابات من الشعب الذي أعلن مقاطعته للحكومة وعدم التعاون معها ، فإن ذلك لم يكن هو كل العمل الجدي الممكن القيام به ضد سياسة الانجليز في فلسطين ، لكن القوانين التي أصدرها الحكام البريطانيون أرغمت الشعب العربي على أن تطول فترة استعداداته للثورة ، وهي فترة قضاها يبحث عن السلاح مهما كان شأنه ضئيلا ، ومهما كان تاريخ صناعته قديما ، ومهما كان مفعوله ضعيفا ، وهو حين يبحث عن السلاح لا بد له من الاتصالات السرية مع قومه العرب في شرق الأردن وسوريا والعراق ، وللانجليز في جميع تلك البلدان القول الأعلى ، ولهم فيها مخابرات فطنة تحصي حركات الفلسطينيين وتتبع اتصالاتهم .

ولهذا لم يكن سهلا على شعب فلسطين أن يتسلح من العراق وأغلب وزاراته في ذلك الحين حكومة بوزارة الخارجية البريطانية ، أما بعض وزاراته التي كانت في مستوى وطنية الملك غازي المعروف بتأييده لفلسطين فقد ساعدت الثورة ببعض السلاح . ولم يكن ميسرا لشعب فلسطين التسليح من سوريا ولبنان وكلتاها تعاني مظالم فرنسا ووحشيتها ، وتقع حدودها تحت الرقابة الصارمة المتفق عليها بين الانجليز والفرنسيين ، ولم يكن يسهل عليه أن يتسلح من شرق الأردن ، وجهاز الحكم فيه في تلك الفترة يمثل مظهرا لامارة عربية يدير افكارها مندوب بريطاني ، ويتحكم في جيشها ويفرض وجوده واحترامه على الجميع ، ولم تكن مصر في حساب من يمكن الاستعانة بهم لعرب فلسطين ، فالمعسكرات الانجليزية تحتل مواقعها في القاهرة وعلى ضفاف القنال ، وهي الاحتياطي القوي الذي كثيرا ما أستعين به لمحاربة تحركات العرب في فلسطين ، ولم يكن ممكنا أن يتسلح عرب فلسطين مباشرة ، فإن الجمارك والسواحل والحدود محكومة أما بضباط بريطانيين أو بضباط من اليهود ، ولم يكن للعرب شأن يذكر في مجال مهم من تلك المجالات .

وعناد عرب فلسطين الذين أعياهم التظاهر والاضراب

عادوا يبحثون في باديتها ولدى فلاحها عن السلاح القديم ، هذا مزارع أخفى منذ احتلال الانجليز سلاحا عثمانيا وقيلا من رصاص ، وهذا عامل استطاع أن يستولي على بعض القطع من جيش الاحتلال في أثناء وصوله ، وذلك تاجر كان قد خشي مصيبة القوانين البريطانية فأخفى ما أمكن أخفاؤه حتى ليكاد ينسى مكانه ، وسرت روح قوية بين الشعب العربي كل يتنادى إلى السلاح ، وكل يعمل على جمعه ، ولكن السلاح نادر . عزيز ، قليل .

✱

كان كثير من المهتمين يعتقدون أن الاجراءات التهويدية التي اتخذها هربرت صموئيل أول مندوب سام بريطاني ، جاءت مدفوعة بعقيدته اليهودية ، وعلاقته التاريخية مع الصهيونية التي اعترف بها هو نفسه ، والتي أشرنا إلى تقريره عنها في الفصول السابقة (٣٩) ، ولكن ثبت أن كل حاكم بريطاني سار على الدرب نفسه مما يدل على أنها سياسة مرسومة . وقد تابعه في نفس خطواته كل من خلفه من المندوبين الآخرين ، وقد خلفه بعد ذلك عام ١٩٢٥ المدعو تشانسيلور وعلى الرغم من أنه لم يكن يهوديا فان سياسته كانت طبق الأصل لسلفه (٤٠) ، وفي عهده حدثت ثورة ١٩٢٩ وفي عهده أيضا سلب كثير من الأراضي من أيدي العرب وسلم إلى اليهود .

وتولى الجنرال آرثر واكهورب ادارة فلسطين في أواخر عام ١٩٣١ وكان رجلا عسكريا يتولى قيادة القوات البريطانية في أيرلندا ، فاعتقد البعض أنه بعيد عن التأثيرات اليهودية ، ولا بد أن يحدث تغييرا في سياسة حكومة فلسطين ، ولم يلبث هذا الأمل أن تبدد ، ففي سنوات حكمه اكتشف السلاح اليهودي المهرب ، والمغمضة عنه عين الحكومة ، وفي أيامه بلغت الهجرة اليهودية ذروة نشاطها ، فبينما كان عدد اليهود في أواخر عام ١٩٣١ لا يزيد عن ١٧٠ ألفا بلغ عددهم ٢٣٤،٢٦٧ في أواخر عام ١٩٣٦ بمعدل ٤١٠،٦٨ شخصا سنويا ولم يزد معدلهم السنوي قبل ذلك عن ٣ آلاف (٤١) ، بل لقد ثبت أنه أغمض العين خلال حكمه عن الهجرة غير الشرعية ، ويقصد بها هنا تلك الهجرة التي تتم دون إذن من سلطات الانتداب البريطاني ، حتى قدرت الأعداد التي تسربت إلى فلسطين بنحو ستة وعشرين ألفا لعام ١٩٣٣ و ٣٦،٤٠٠ لعام ١٩٣٥ ، وقد اعترف بذلك

(٣٩) راجع ما كتبناه في صفحات ٦٨ ، ٦٩ من هذا البحث .

(٤٠) WEIZMANN TREAL AND ERROR, LONDON, 1949, P. 406

(٤١) جامعة الدول العربية ، الهجرة الفلسطينية ، ص ١٥ .



واكهوب نفسه قائلا في خطاب له :

« ان عددا كبيرا من اليهود يدخلون البلاد تهريبا بصورة غير مشروعة دون علم الحكومة أو باذنهم ومراقبتها ، وعددهم لا يقل في الواقع عن عدد اليهود غير المهربين » .

وفي عهد واكلهوب هذا تم استيلاء اليهود على مستنقعات الحولة التي كانت مقطعة لأسرة سلام البيروتية (٤٢) منذ العهد العثماني ، لاستغلال الأرض المجففة ، وتوزيعها بثمان معقول على الفلاحين العرب ، ولم ينفع اعتراض المزارعين الفلسطينيين واعتبارهم البيع باطلا ، واستجارتهم بالحكومة ، لم ينفعهم هذا بل سلطت الحكومة جنودها وشرطتها ، وأخرجت عنوة واقتدارا ١٦ ألف عربي وهدمت أكواخهم واستولت على بيوتهم ، وأطلقت النار على جموعهم ، فقتلت وجرححت الكثيرين ، وسلمت لليهود قرابة ١٥ ألف متر مربع في منطقة الحولة .

وبروح العنف والشدة نفسها سلط واكلهوب جنوده المدججين بالسلاح على الفلاحين العرب في وادي الحوارث فأخرج المزارعين العرب من ديارهم حيارى ، سيقوا مع مواشيهم بالقوة ، وأبى بعضهم أن يترك أرضه ومراحه فسقط شهيدا برصاص السلطة .

حقا لقد كان واكلهوب البريطاني الأصل يمثل الصورة الصحيحة للسياسة البريطانية التي تحدث عنها مفتي فلسطين في كتابه « حقائق عن قضية فلسطين » ، والذي ذكر فيه أن رسلا بريطانيين اتصلوا به وبغيره من الفلسطينيين عام ١٩٣٤ وعرضوا أن ينقل عرب فلسطين إلى شرق الأردن ، على أن يعطوا ضعف مساحة الأراضي التي كانوا يملكونها ، وأن يقدم اليهود جميع الأموال المطلوبة لذلك ، ولم يكن هذا غريبا على بريطانيا التي شرحتنا في الفصول السابقة أوجه خداعها وصور مواقفها العدائية العديدة للشعب العربي في فلسطين وللامة العربية جمعاء .

ويتفق هذا مع ما ذكره وايزمان في مذكراته من أنه اتفق مع بريطانيا على تسليم فلسطين لليهود خالية من سكانها العرب (٤٣) .

وفي هذا الجو الملبد المشحون بالعواطف الثائرة المتأثرة ، دعا المفتي زعماء الأحزاب الستة لتناسي الخلاف وللوقوف صفا واحدا تجاه

(٤٢) محاضرات في تاريخ قضية فلسطين ، ص ١٦٤ .

(٤٣) حقائق عن قضية فلسطين ، ص ٣٠ .

السياسة البريطانية ، وقدم رؤساء الأحزاب مذكرة إلى المندوب السامي مطالبين بإنشاء حكومة وطنية ووقف الهجرة ، ومنع انتقال الأراضي لليهود ، ولم تأبه بريطانيا بالمذكرة العربية ، ولم تخش شيئا مما تضمنته من انذار .

#### ١٦ - مؤتمر العلماء :

ومن جديد وتحت ارهاب واكلهوب المندوب السامي الجديد ، انعقد مؤتمر العلماء برئاسة مفتي فلسطين وحضره مئات من قادة الدعوة الإسلامية والقضاة والمدرسين وغيرهم ، وأصدروا قرارات حول الأراضي والهجرة وضرورة أباحة وقف الأرض لصالح المسلمين ، ولكن هذا المؤتمر الديني الفلسطيني لم يأس من عون العرب والمسلمين ، أنه ما زال كالفرق بين الوحيد الذي يأمل النجاة متعلقا بأوهى الأسباب وأضعف الوسائل ، أنه يدع نداء إلى ملوك المسلمين والعرب وأمرائهم وزعمائهم عن حالة فلسطين ولأخطار التي تتهددها ، وذهب نداء العلماء أدراج الرياح ، فقد كان الملوك والرؤساء والزعماء كما يصفهم أبو سلمى الشاعر الفلسطيني :

قالوا الملوك وانهم	لا يملكون سوى الهيد
دكت عروش زينوها	بالسلاسل والقيود
المجد أن يحمي الرصاص على	المدى حمر البنود
قوموا اسمعوا من كل ناحية	يصيح دم الشهيد
قوموا أنظروا الوطن الذبيح	من الوريد إلى الوريد

ولكن أحدا منهم لم يقم لينظر مذابح الشعب العربي في فلسطين ، وضاع صوت عرب فلسطين في قصور العواصم العربية ، ولم يلتفت أحد من الحكام العرب لنجدة شعب فلسطين .

ولم يعد أمام شعب فلسطين إلا ما صورده شاعرهم المرحوم ابراهيم طوقان :

أمامك أيها العربي يوم	تشيب لهوله سود النواصي
فلا رحب القصور غدا بياق	لساكنها ولا ضيق الخصاص
مناهج للابادة واضحات	وبالحسنى تنفذ والرصاص

#### ١٧ - ثورة الشهيد عز الدين القسام :

كان الشيخ عز الدين القسام داعية من دعاة الاسلام ، وبطلا من أبطاله ، اشترك من قبل في الثورة العامة التي قامت في سوريا ضد



الفرنسيين ، وحمل سلاحه حتى قدر لتلك الثورة ان تقف ، فجاء الى حيفا متخذاً منها مقاما ومستقرا ، وكان « القسام » رجلا عالما مؤمنا صادقا ، فكان يلتقي بتلاميذه في مسجد حيفا الكبير تحت ستار الدروس الدينية ، وما كان درسه موقوفا على البحث عن فتوى الزواج والطلاق ،



الشهيد الشيخ عز الدين القسام

ولا عن افتراضات الفقهاء في عصور التأخر ، ولكنه كان درسا من دروس اعلام المسلمين الذين يؤمنون بأن الجهاد العملي والقتال الصادق هو خير منطق يجابه به الاعداء الذين يهاجمون ارضنا ويدنسون مقدساتنا ، وأنه لا كرامة لمسلم يرضخ للأعداء أو يعاملهم أو يصادقهم أو يطمئن اليهم ، وما انتهى يوما من الايام من درسه الا وختمه بقوله تعالى : « ومن يتولهم منكم فإنه منهم » وكان الشباب والرجال يلتفون حول الشيخ عز الدين القسام ، وحين يعودون الى بيوتهم يتحادثون حول الوطن ، ويستعيدون دروسه

وتعاليمه ، وابتدأت المنطقة تشهد أعمالا بطولية عظيمة ، فمنذ أوائل ١٩٣٥ شهد المثلث العربي « جنين ، نابلس ، طولكرم » سيلا من الاغتيالات للضباط الانجليز ونسفت القطارات ، وهوجمت معسكرات الجيش البريطاني ، وقتل اي عربي يثبت لدى الوطنيين اتصاله بالبريطانيين اتصلا مرييا .

وكانت هذه الأعمال تتم تحت جنح الظلام ، وفي فترات متعاقبة غاية في الدقة والتنظيم والسرية ، وسرت روح الجهاد بين الشعب ، فتتابع تنظيم التشكيلات السرية ، وزادت متاعب البريطانيين وارهابهم . ولقد كان القسام صادق الرأي مخلص العقيدة ، فربأ بنفسه ان يدعو الى الجهاد ولا يجاهد ، وأن يشهد تلاميذه يقاتلون ولا يقاتل ، وان يكون قائد الجهاد قابعا وراء أحد أعمدة المساجد ، او بعيدا عن الميدان كما يفعل عديد من قواد المعارك او الدعوات ، ربأ بنفسه عن هذا وأعلن في قوة عن معاداته لسلطات الانتداب ، وعزمه على منازلة الجنود البريطانيين في سبيل عروبة فلسطين .

وحاصرت قوات الاحتلال عرين البطل المجاهد ودارت معركة في غابة « يعبد » بمنطقة جنين ، انتهت يوم ٢٥ نوفمبر ( تشرين الثاني ) ١٩٣٥ باستشهاد القائد وبعض رفاقه ، وأسر الباقون من عصبة المؤمنة ، ليسجنوا ويعذبوا طويلا في سجون الاستعمار ، وذهب القسام البطل المجاهد الى ربه شهيدا ، فجدد في النفوس معنى التضحية والاعتزاز بالبطولة ، وقوى من عزائم شعب فلسطين الأبي برغم قلة العتاد وضآلة الزاد .

ورثاه الشاعر فؤاد الخطيب فقال :

أولت عمامتك العمائم كلها	شرفا تقصر عنده التيجان
ان الزعامة والطريق مخوفة	غير الزعامة والطريق امان
ما كنت احب قبل شخصك أنه	في بردتيه يضمها انسان
يا رهط عزالدين حسبك نعمة	في الخلد لا عنت ولا احزان
شهداء بدر والبقيع تهللت	فرحا ، وهش مرحبا رضوان



## صُورٌ ... مَكْتُوبَةٌ

اتخذوا يا ألمان السوديت من عرب فلسطين قدوة لكم ، انهم يكافحون انجلترا ( اكبر امبراطورية في العالم ) واليهودية العالمية معا ، ببسالة خارقة ، وليس لهم في الدنيا نصير أو مساعد ، أما أنتم فإن المانيا كلها من ورائكم » .

رسالة هتلر الى ألمان السوديت - ١٩٣٦

« ان خمسمائة من ثوار عرب فلسطين يقومون بحرب العصابات ، لا يمكن التغلب عليهم بأقل من فرقة بريطانية كاملة السلاح » .

الجنرال ولسون ، وكان قائدا بريطانيا في بعض معارك فلسطين

« لقد يؤسنا من عدالة بريطانيا ، قلنا لها يا صديقة الاسلام والعرب احذري أن تفجعينا بفلسطين الأقصى وفلسطين القيامة فلم تسمع ، أيها الانجليز ان يدنا مبسوطة للسلام والخصام فاختاروا ، اننا لا نهدد قواتكم الهائلة ، ولكننا أقسمنا ان نظل فلسطين لنا أو نظوي شهداء » .

الحرس الوطني الفلسطيني - ثورة ١٩٣٦

« اذا لم تتوقفوا ( عن الثورة ) فلن يكون هناك اعفاءات من الضرائب ، ولا اعمانات ، وترتفع الضرائب ، ان الذي يخسر هو أنتم وقربتكم - . - قبل ثلاثة أشهر كان التاجر العربي والفلاح العربي يفيد عائلته ويؤمن راحتها ، واليوم أصبح التاجر والفلاح في فقر ، ان المداومة على أعمال العنف تؤخر ذلك اليوم الذي تسمع فيه ظلاماتكم » .

فقرات من المنشور البريطانية التي القتها الطائرات على معاقل المجاهدين الفلسطينيين - ١٩٣٦

« يجوز للمندوب السامي أن يأمر بزيادة قوة البوليس في أي منطقة اضطراب ويلزم المكلفون من سكان المنطقة بالنفقات الناشئة عن تلك الزيادة ، ولحاكم اللواء بموافقة المندوب السامي أن يأمر بفرض غرامة

مشتركة على جميع المكلفين من سكان المنطقة التي ارتكب فيها الهجوم » .  
قانون العقوبات المشتركة بفلسطين ، مادة ٤ و ٥

« ليس من الضروري في الاجراءات التي تتخذ بموجب قانون منع الجرائم اثبات أن المتهم ارتكب فعلا معينا أو أفعالا معينة من شأنها أن تظهر غايته » .

المادة ٥ فقرة ٥ ، قانون منع الجرائم بفلسطين

« لقد عاد اليهود الى بلادهم وشكروا لمن رفضوا اقتراح كينيا ، لو لم يعط وعد بالفور منذ ١٨ سنة لأعطيناه اليوم » .

وزير المستعمرات البريطانية - ١٩٣٥

« اني اطالب العالم العربي والاسلامي أن يدرك فلسطين قبل أن تصبح أندلسا ثانية » .

أمين الحسيني - ١٩٣٦

« ندعوكم للاخلاد الى السكينة معتمدين على حسن نوايا صديقتنا الحكومة البريطانية ورغبتها المعلنة لتحقيق العدل ، وسنواصل السعي في سبيل مساعدتكم » .

نداء الملوك العرب لشعب فلسطين - ١٩٣٦

« مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا ، وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون »  
قرآن كريم

يا جهادا صفق المجد له	لبس الفار عليه الأرجوانا
شرف باهت فلسطين به	وبناء للمعالي لا يداني
قم الى الأبطال نلمس جرحهم	لمسة تمسح بالطيب يدانا
قم نجع يوما من العمر لهم	هبه صوم الفصح هبه رمضاننا
انما الحق الذي مانوا له	حقنا ، نمشي اليه حيث كانا

الاختل الصغير  
عن ثورة فلسطين ١٩٣٦



## الفصل السادس

### ثورة العرب الكبرى

١٩٣٦

#### ١ - الاضراب الشامل :

كان لثورة الشهيد عز الدين القسام التي ابتدأت سرية ، ثم أعلنت بن نفسها في ذكرى وعد بالفور ٢ نوفمبر ( تشرين الثاني ) ١٩٣٥ ، صدى بعيد المدى في نفوس البريطانيين ، فقد هالهم أن يستطيع شعب فلسطين الثورة المسلحة ، ويحاول مقاومة الجيوش البريطانية أسابيع طويلة ، ورغم تلك الاجراءات العنيفة التي اتخذتها بريطانيا ضد التسليح ، وبرغم سياسة الافقار والتجويع والحصار التي سنتها في فلسطين منذ احتلالها .

ولم يمر شهر على استشهاد القسام حتى أعلن المندوب السامي أنه عازم على تأسيس مجلس تشريعي في فلسطين يتكون من اربعة عشر عضوا عربيا واربعة عشر عضوا من اليهود والبريطانيين والأجانب ، وأنه سوف يضع قانونا يمنع انتقال الأرض في بعض المناطق ، ويحتم استبقاء جزء كاف لاعالة الأسرة .

ولكن هذا المشروع على ضعفه الذي أراد به الانجليز تهدئة ثائرة العرب ضدهم ، لم يعش الا أياما ، فقد رفضه اليهود بعنف وقوة ، وتحرك أساطين الاستعمار بعد ذلك فأعلنوا معارضتهم له ، لم يتخلف عن ذلك المدعو ( سنل ) زعيم المعارضة العمالية ، ولا ( تشرشل ) وأمثاله من المحافظين ، ولم تتقدم بريطانيا بعد معارضة اليهود خطوة واحدة في صالح العرب ولم يجرؤ المندوب السامي على تنفيذ شيء مما أعلنه ، وكان شعب فلسطين يدرك لسوابق الأحداث أن بريطانيا لن تحيد عن طريق التهويد الذي سنت من أجله صك الانتداب وجعلته متمما لوعده بالفور .

وبينما كانت نفوس الشعب العربي تغلي لهذا الموقف البريطاني

المرير ، وبينما ردد الجميع قصص الثورة المجيدة التي تحركت في قضاء جنين ، تتقدم سلطات فلسطين لاغتصاب اربعمائة الف متر مربع من أرض المدرسة الزراعية العربية بطولكرم لتسلمها الى اليهود (١) ، فيتظاهر الطلاب ، وينتشر السخط بين السكان ، ثم أقدمت بريطانيا على اعطاء مقاول يهودي بناء ثلاث مدارس في قلب يافا العربية ، وحرّم هذا العمل على العمال العرب واختص اليهود وحدهم ، وحين تظاهر العمال العرب هاجمهم الجند ، واعتقل عديدا منهم ، وترك قسما من قواته تحمي العمل اليهودي (٢) .

ويعلن اليهود رسميا أنهم فتحوا اكتتابا في أمريكا لجمع سبعمائة ألف جنيه ، حتى يتم لهم نقل ألف شاب من ألمانيا الى فلسطين .

وتستمر مناقشات مجلس العموم البريطاني ، وتنتشر وتقرأ في فلسطين ، وكلها مليئة بالفكر اليهودي والمحاربة للعرب حتى أواخر مارس ( آذار ) من نفس العام .

وتظاهر العرب معلنين سخطهم على سلطات الانتداب ، وتتابع أحداث واضطرابات طوال شهر ابريل ( نيسان ) .

وفجأة ظهرت جماعة عربية مسلحة ، واعترضت سيارات كانت تعبر الطريق الى يافا ، فسلبت أموالها وقالت للركاب العرب أننا نأخذ أموالكم لكي نستطيع أن نحارب العدو وندافع عنكم ، وقتلت يهوديا ، وهاجم اليهود عربيين فقتلوهما عند مستعمرة بتاح تكفا اليهودية ، واستمرت الحوادث وتطورت الى قتال بين العرب واليهود ، فلم يحن يوم ٢٠ من ابريل ( نيسان ) ١٩٣٦ الا وكان قد قتل ١٢ يهوديا وجرح ٦٥ منهم ، وجرح ٤٧ عربيا واستشهد ٦ أشخاص ، وعمت الاضطرابات القدس والخليل وحيفا ، ومن حيفا ابتدأت الدعوة للاضراب العام تعبيرا عن السخط ضد السياسة البريطانية .

ولم يحن اليوم العشرون من ابريل ( نيسان ) حتى كان الاضراب يعم فلسطين كلها ، ولكنه لم يكن اضرابا جزئيا ولا محدودا ، بل كان عاما شاملا مؤثرا مستمرا ، كان اضرابا وحيدا في نوعه لم يعرف له مثيل في التاريخ ، ابتداء في ابريل واستمر ستة اشهر حتى أكتوبر ( تشرين الاول ) ١٩٣٦ .

لقد شاهدنا اضطرابات سياسية عديدة في منطقتنا العربية ، التي

(١) جريدة الاهرام ١٥ فبراير ١٩٣٦ .

(٢) جريدة الاهرام ٢٤ فبراير ١٩٣٦ .



بليت بالاستعمار وهددها الطغيان الاجنبي ، وكان الاضراب يستمر يوما أو يومين ، ولربما بدأت شكاوى عديدة من الاضرار بالمصالح أو فساد الحاجيات ، وتوقف دولا العمل ، أما أن يستمر الاضراب شهرا كاملا ثم يمتد حتى يتم شهوره الستة ، فهذه صورة رائعة نادرة من صور البطولة العربية التي رسمها شعب فلسطين ، وهكذا استمع الشعب لنداء الحزب العربي الفلسطيني ، بأن يستمر اضرابه ، وكان هذا الحزب طليعة من طلائع الحركة المنظمة للجهاد ، حتى تكونت اللجنة العربية العليا وضمت كل أحزاب فلسطين .

وواجهت هذه اللجنة المؤتلفة التي تم تشكيلها من جميع الأحزاب على ما بينها من تفاوت (٣) في التفكير والأسلوب ، واجهت الأحداث بشجاعة ، واجمعت كلها على ضرورة مقاومة السياسة البريطانية مقاومة عملية ، لم يشذ عن ذلك حتى حزب المعارضة الذي يمثلها راغب النشاشيبي ، والذي يتهم بالاعتدال ، ويرى الفائدة في التفاهم السلمي مع الانجليز ، وأعلنت اللجنة أنها سوف تستمر تدعو الشعب الى الاضراب والجهاد ريثما تجاب مطالبه التي حددتها في :

١ - وقف المهجرة اليهودية نهائيا .

٢ - منع انتقال الأراضي الى اليهود .

٣ - انشاء حكومة وطنية في حياة برلمانية .

ومن جديد تلفت عرب فلسطين الى ملوك وأمراء ورؤساء العرب والمسلمين ، آمليين أن يعملوا على انقاذهم وتحرير المقدسات ، ولكنهم لم يجدوا أحدا ... وبدأت فلسطين بلدا توقفت فيه الحركة تماما ، فقد كان اليهود برغم سيل هجرتهم لا يمثلون الأكثرية ولا ما يقاربها ، وظهرت الصورة الحقيقية لفلسطين العربية أمام العالم أجمع ، وأخذت الصحف العالمية تنشر تحقيقاتها اليومية متابعة أيام الاضراب المتواصلة ، وانك لتجد فيها تلك الأيام الخالدة الشجاعة مسطرة بعناوين مثيرة : « اليوم التسعون لاضراب فلسطين » « اليوم المائة لاضراب فلسطين » « اليوم المائة والعشرون (٤) » ... وهكذا .

(٣) كانت هذه اللجنة تتألف من السيد امين الحسيني والفرد روك ، والدكتور حسين الخالدي ويعقوب الفصين ، وجمال الحسيني ، وعوني عبد الهادي ، وأحمد حلمي باشا ، وراغب النشاشيبي ، ويعقوب فراج ، وعبد اللطيف صلاح ، ومحمد عزة دروزه ، وفؤاد سابا .

(٤) راجع مجموعات الصحف العربية بدار الكتب بالقاهرة ، وبمكتبة الجامعة العربية .

واستمع شعب فلسطين لنداء اللجنة ، ونفذ قراراتها ، اضرب طلاب المدارس ، وتوقف المحامون عن حضور المحاكمات ، وأغلقت الغرف التجارية في القدس وحيفا ويافا ونابلس وجميع أرجاء فلسطين ، وامتنع عن العمل رؤساء المدن والمناطق ومديرو البلديات ، وأغلق المجلس الاسلامي دوائره العديدة ، وامتنع السجناء العرب عن العمل التي اعتادت السلطة تكليفهم به ، وأضر رجال البوليس العربي في طولكرم ويافا والقدس على الاضراب ، وأعلن الأطباء العرب أنهم سوف يعالجون المرضى مجانا مهما طال الاضراب ، وشاركت المرأة رجال الوطن وأسهمت بجهودها في استمرار الاضراب ، وأضر سائقو السيارات والموظفون والمدرسون ، وأغلقت المتاجر الكبيرة والصغيرة ، وامتنع القرويون عن انزال محصولاتهم الى الأسواق ، وأغلق بائعو الخضروات متاجرهم ، ولم تبق الا الصيدليات والأفران توزع الخبز تحت ارشاد من زعماء الاضراب .

## ٢ - اشتعال الثورة :

وفي مطلع شهر مايو ( أيار ) بدأت انفعالات الاضراب العربي تتحول الى جهد مسلح ، وصدر في الثالث منه بلاغ رسمي من دائرة المندوب السامي ، يعلن وقوع حوادث عديدة في مختلف المدن الفلسطينية ، فقد أشعل العرب حريقا هائلا في ساحة الأخشاب بميناء يافا ، وألقيت القنابل في عديد من المدن ، واعتقلت السلطات اثني عشر عربيا في مدينة حيفا . وكانت قد بدأت الاعتقالات بحجز السيدين اكرم زعيتر ثم الشيخ صبري عابدين بمعتقل عوجا الحفير . وتوالت جموع المعتقلين . وبدأ الفلسطينيون يكتلون الرأي العام ، وتوزع المسلمون والمسيحيون العرب يخطبون في الكنائس والمساجد ، ويحاربون سياسة بريطانيا في بلادهم ، ونادت اللجنة العربية العليا بالامتناع عن دفع الضرائب ، وتابع العرب جهادهم ، فأشعلوا حرائق جديدة في أنحاء مختلفة من فلسطين ، وقتل أحدهم برصاص البوليس ، وقطعت المواصلات بين يافا وتل أبيب . ولم يفت في عضد العرب تكرار سلطات الانتداب لاندازهم في الخامس والسادس من مايو ( أيار ) بأنهم سوف يقمعون الاضراب والاضطراب بشدة وعنف ، ولم يزددهم هذا الانذار الا تمسكا وتصميما (٥) . وأعلنت بريطانيا أن كل قرية أو مدينة يخل فيها النظام ستعين فيها مجموعات من البوليس على حساب تلك القرية (٦) . ونفذت ذلك في جنين

(٥) جريدة الاهرام العدد ٤ و ٥ من مايو ١٩٣٦ .

(٦) جريدة الاهرام العدد ٤ من مايو ١٩٣٦ .



التي رشق أهلها بعض السيارات بالحجارة ، وكان يراد من هذا الاجراء البريطاني ارهاق الشعب العربي ووقفه عن مواصلة الكفاح .

وطبقت (٧) بريطانيا على مدن فلسطين وقراها العربية المادة الرابعة من قانون العقوبات المشتركة :

« اذا رأى المندوب السامي أن منطقة أو قسما منها في حالة خطر أو اضطراب فيجوز له أن يعلن ذلك بأمر أو مرسوم يصدره ، وأن يأمر بزيادة قوة البوليس التي تقيم عادة في تلك المنطقة ، وإلى الحد الذي يراه ضروريا ، وللمدة التي تعين في الأمر أو المرسوم ، ويلزم المكلفون من سكان تلك المنطقة ، أو ذلك القسم بالنفقات الناشئة عن تلك الزيادة (٨) » .

وكانت بريطانيا قد أثقلت كاهل الشعب الفلسطيني بهذا القانون وتلك المادة طوال مدة انتدابها منذ أن شرعته في ٢٢ ديسمبر (كانون الأول) سنة ١٩٢٦ .

وفي السابع من مايو ( أيار ) والاضراب مستمر قوي عنيد ، اجتمعت اللجنة العربية في مؤتمر عام بالقدس ، واشترك المندوبون من القرى والمدن ، وقد أعلن السيد أمين الحسيني رئيس لجنة الاضراب المؤتلفة ، « أن العرب لم يعودوا يثقون في الانجليز » وأهاب بالأمة أن تثبت إلى النهاية ، مستعرضا أحداث فلسطين وعهود بريطانيا للعرب ، وطالب العالم العربي والاسلامي « أن يدركوا فلسطين قبل أن تصبح أندلسا ثانية (٩) » .

لقد كان هذا الانذار الموجه للأمة العربية التي سقت عبر التاريخ أرض فلسطين بدمائها ، وللأمة الاسلامية التي تهفو قلوبها إلى أولى القبليتين وثالث الحرمين الشريفين ، منبثقا من صميم الاحساس المدرك للخطر ، ولكن العرب والمسلمين لم يكونوا قد استطاعوا أن يفكروا بحرية حتى يدركوا الخطر المحدق بفلسطين ، والذي سوف يحيلها إلى أندلس ثانية ، ثم تصبح محتلة بالأعداء ، شوكة في جنب الأمة العربية وقاسما لشطريها ، ومانعا من وحدة أراضيها .

وأصدر المؤتمر قرارات اهاب فيها بالأمة أن تقف صفا واحدا في وجه العواصف المبيتة للوطن ، وأن تتوقف عن دفع الضرائب بتاتا ، وأن

(٧) جريدة الاهرام العدد ٧ من مايو ١٩٣٦ .

(٨) مجموعة القوانين والناشر الفلسطيني ، مكتبة الجامعة الامريكية ، بيروت .

(٩) فلسطين بين الانتداب والصهيونية .

يستمر اضرابها إلى أجل غير مسمى ، وبدأ الطلاب والشباب والعمال يطوفون اطراف القدس قبل الفجر ويمنعون أي بائع يصل المدينة بأي شيء من الخضار أو اللحوم أو الفاكهة .

وواصلت دار المندوب السامي إصدار بلاغاتها الرسمية ، فأعلنت في التاسع من مايو ( أيار ) (١٠) أن النار أطلقت على سيارة يهودية كانت بين الرملة ويافا ، وأن الحرائق اشتعلت في معمل الظروف بقرية عتليت قرب حيفا ، واستمرت من الصباح إلى الرابعة مساء . وتصف البرقيات الصحفية الواردة من القدس فلسطين بأنها تظهر شاحبة الوجه بسبب الاضراب وكأنها تقترب من عاصفة لا يعلم أحد متى تبدأ بالهبوب .

ولم تتراجع بريطانيا عن سياستها تجاه شعب فلسطين ، وأعلنت عن وصول امدادات عسكرية كبيرة قادمة من مصر ، وهي التي سبق أن أعلن كتابها الأبيض أنها تحتفظ في فلسطين بفرقتين من المشاة وسريين من الطائرات وأربع فرق من السيارات المسلحة من قواتها العسكرية .

ان تحرك الشعب العربي في فلسطين ، برغم قلة عدده متسلحا بالشجاعة والايمان بحقه ، أرغم الامبراطورية العجوز أن تستعين بقوات جديدة ، غير مكنتة بما في فلسطين من فرق أعدتها لتحارب العرب ولتهود فلسطين ، وفي اليوم الثاني لاعلان وصول القوات العسكرية الكبيرة من مصر أعلن المندوب السامي أن الحكومة قادرة في كل وقت على اخماد كل حركة خارجة على القانون .

وسلط المندوب السامي جنوده وشرطته ، يعتقل الشباب العربي لاتفه اشتباه ، وقد بلغ عدد المعتقلين إلى اليوم العشرين من الاضراب ستمائة عربي (١١) .

وتشير البرقيات الصادرة من القدس في التواريخ الواقعة بين اليوم الثالث عشر واليوم الثلاثين من مايو ( أيار ) ١٩٣٦ إلى أن حالة الهياج في فلسطين تبدو شديدة مقلقة ، وأن مدن فلسطين تترنح بين القنابل والحرائق ، ففي حيفا أقيت قنبلة على مركز الشرطة وحطمت ثلاث سيارات نقل يهودية ، وفي يافا أشعلت النار في مدرسة يهودية ، وأسفرت الاضطرابات الدموية عن جرح ١٧ عربيا . وفي القدس أعلن منع التجول من الثامنة مساء حتى السادسة صباحا ، وقد قتل من العرب واليهود

(١٠) جريدة الاهرام العدد ٨ و ١١ من مايو ١٩٣٦ .

(١١) جريدة الاهرام ١٢ و ١٨ من مايو ١٩٣٦ .



سبعة افراد ، وجرح كثيرون .

واضطر الموظفون اليهود الى الاضراب لعدم تمكنهم من اداء أعمالهم ، كما اضطر اليهود القاطنون في القدس القديمة الى النزوح عن مساكنهم خوفا من ثورة العرب ، وهجر اليهود مستعمراتهم الى القدس الجديدة ، وتصادم المساجين العرب مع حراسهم بينما هاجم العرب المستعمرات اليهودية وأطلقوا عليها الرصاص . وأعلن الكناسون العرب انضمامهم الى الاضراب ، فاضطربت بلدية القدس اضطرابا كبيرا ، واستعانت الحكومة بالشرطة لأعمال الكناسة .

وخرجت المظاهرات في جميع المدن ، وحطمت الأنايب التي تسقي القدس بالمياه ، وقطعت الاسلاك التليفونية بين مدن فلسطين ، وقطعت اسلاك الاذاعة في القدس ، وانتشر الجنود البريطانيون يحرسون دار المندوب السامي ودوائر الحكومة والسكك الحديدية ، واستشهد عربي تبادل اطلاق النار مع كونستابل بريطاني ، وألقيت قنبلة أخرى على مبنى الشرطة في يافا ، وأعلن رسميا أن تعزيزات بريطانية أرسلت الى بئر السبع ، وبينما كان منع التجول مستمرا ، قررت حكومة فلسطين دفن القتلى ليلا لكي لا تقع أحداث دموية أثناء تجمهرات الدفن ، وبلغ عدد القنابل التي أقيمت في الثالث والعشرين من مايو ( أيار ) بنابلس على الجنود البريطانيين ١٥ قنبلة .

وبينما زحف عرب قرية بلعا الى طولكرم اصطدموا مع الجنود ووقعت معركة كبيرة ، وتكرر الصدام بين العرب والجنود في يافا ، وأصبحت مساجد يافا الاسلامية تحت اشراف الجنود الانجليز ، وأعلنت يافا عصيانها قانون منع التجول الذي فرضه المندوب السامي ، فحدثت معارك طاحنة بين الشعب والجنود البريطانيين ، وأعلن المندوب السامي أن الجيش البريطاني احتل نابلس عسكريا ، ثم عاد وأعلن ذلك بالنسبة لطولكرم أيضا ، وبينما تجري مصادمة بين الجند البريطاني والمتظاهرين في القدس ، أقيمت المتاريس والحواجز في شوارع المدينة كجزء من اقامة العوائق أمام تحركات العرب .

وأعلن رسميا (١٢) أن الطائرات البريطانية اكتشفت تجمعا لعصابات عربية في الجبال وأنها طاردتهم بقنابلها ، وأعلن أن الاضطرابات والاضرابات تحولت الى ثورة مسلحة ، وقد هاجمت مجموعة من الشباب العربي معسكرا

(١٢) جريدة الاهرام ٢٤ من مايو ١٩٣٦ .

للجيش البريطاني واستولت على البنادق والدخيرة .

ونصب الجيش المدافع الرشاشة على الأسطح ، وبرغم منع التجول فان صوت الرصاص لم ينقطع طول الليل (١٣) . وارشدت الطائرات البريطانية عن أماكن تجمعات المجاهدين العرب في جبال نابلس ، فخرجت القوات البريطانية ، ونشبت معركة شديدة قرب قرية « توزا » واستمرت ساعتين ، وهاجم المجاهدون مستعمرة « مليس » اليهودية وأحرقوا مخازن البرتقال فيها ، واستمر دوي الرصاص وانفجار القنابل طول ليل السابع والعشرين في يافا ، وقطع المجاهدون الطريق الى القدس ونشبت معركة حامية بينهم وبين الجنود البريطانيين .

وفي اليوم الثامن والعشرين أسفرت الثورة عن وجهها بوضوح اكبر ، وتقول البرقيات « لا تزال الحالة على أشدها في جميع أنحاء فلسطين ، فالجبال غاصة بالعصاة ( المجاهدين ) والمدن والقرى مضرية ومتمردة على قوانين الحكومة ، والطرق غير مأمونة ورجال العصابات ( المجاهدون ) يهاجمون المستعمرات والمزارع اليهودية بلا انقطاع ، والمصادمات وحوادث القتل والتدمير تتوالى في كل مكان ، واسلاك التليفون والتلغراف تقطع مرة او مرتين في اليوم ، والخواطر قلقة والافكار مضطربة » (١٤) .

وفي اليوم الثلاثين من مايو ( أيار ) أعلن أن المجاهدين هاجموا مستعمرة كينوتس هايجار وأشعلوا النار في الممتلكات اليهودية بجوار يافا ، وسمع دوي الرصاص والقنابل في الرملة ونشبت معركة بين المجاهدين والشرطة ، وقد أسر أحد أفراد الشرطة لدى الثوار العرب ، وسقط تسعة عشر جريحا عربيا في مظاهرات غاضبة ، وأضرب العمال العرب في شركة البوتاس وأستقال أفراد من الشرطة العربية فقدموا الى المحاكمة ، وهوجمت مستعمرة يهودية ، وأحرق المهاجمون خمسمائة ألفين من شجر البرتقال ، وأتلفوا المحصولات الزراعية اليهودية ، وهاجم فدائيان عربيان اثنين من الكونستبلات الانجليز وقتلا أحدهما ، كما نسف الجسر الممتد شمال أريحا (١٥) ،

وهكذا انقضى شهر مايو ( أيار ) من سنة ١٩٣٦ وفلسطين العربية كلها نائرة مجاهدة . لقد كان سكان فلسطين العرب يقاربون السبعمائة ألف نسمة ، وكانوا يكافحون بريطانيا بجيوشها وأساطيلها وطائراتها ،

(١٣) جريدة الاهرام ٢٧ من مايو ١٩٣٦ .

(١٤) جريدة الاهرام ٢٩ من مايو ١٩٣٦ .

(١٥) جريدة الاهرام ٣٠ من مايو ١٩٣٦ .



ويكافحون معها الصليبية الاستعمارية متمثلة في فرنسا وأمريكا ، وإيطاليا وهولندا وبلجيكا واليونان وكلها دول أسرعت بتأييد وعد بالفور ، والعمل على تهويد فلسطين ، ويكافحون أيضا الصهيونية العالمية التي سيطرت على دول أوروبا وأمريكا ودوائر المال فيها فسيرتها لمصالحها . وأصبحت صاحبة الحول والطول لدى أحزابها ورجالها .

واشتطت سلطات الانتداب البريطاني من جديد في تطبيقها التعسفي لقانون العقوبات المشتركة ، وأرهقت الشعب مستهدفة افقاره واعوازه ، فطبقت المادة الخامسة من ذلك القانون ، والتي نصها :

« إذا ارتكب جرم ، أو الحق ضرر بالاموال في منطقة ، وكان لدى حاكم اللواء ما يحتمنه على الاعتقاد بأن سكان تلك المنطقة :

أ - ارتكبوا ذلك الجرم ، أو تسببوا في ايقاع التلف أو الضرر .

ب - تواطؤوا على ارتكاب ذلك الجرم ، أو على ايقاع التلف والضرر ، أو ساعدوا على ارتكاب الجرم أو ايقاع التلف أو الضرر بأي وجه من الوجوه .

ج - تخلفوا عن تقديم ما في وسعهم من مساعدة لظهار الجرم أو المجرمين أو للقبض عليهم أو عليه .

د - تواطؤوا على فرار أو إيواء أي مجرم أو شخص يشتبه أنه اشترك في ارتكاب الجرم أو ايقاع التلف أو بأن له ضلعا في ذلك .

هـ - تعاونوا على اخفاء بيانات جوهرية ، تتعلق بأرتكاب الجرم أو ايقاع التلف أو الضرر .

فيجوز له بعد اجراء التحقيق بموافقة المندوب السامي أن يأمر بفرض غرامة مشتركة على جميع المكلفين من سكان تلك المنطقة » (١٦) .

وكانت بريطانيا قد أعلنت منذ أوائل مايو ( ايار ) قانون الطوارئ الذي جاء رهيبا عنيفا ، وقد أعطى للحكومة حق انزال العقوبات الصارمة لمن تقتنع أنه مخل بالامن ، وأن للسلطة أن تضع يدها على أي منزل أو بناء تقتنع أن رصاصة أو قنبلة أو مواد متفجرة قد اطلقت منه ، وللمندوب السامي أن يأمر بهدم ذلك المكان أو التصرف فيه كيفما يشاء ( ١٧ ) .

(١٦) راجع نص القانون في مجموعة اللوائح والقوانين الفلسطينية بمكتبة الجامعة الأمريكية ببيروت تحت رقم ٥٦٩ - ٣٤٩ .  
(١٧) محاضرات في تاريخ قضية فلسطين .

وكعادة بريطانيا في سياستها التقليدية ذات الوجهين ، بينما كانت اجراءاتها التعسفية تستمر ضد الشعب العربي بشدة وعنف ، كانت تحاول تهدئتهم وانهاء اضرابهم وثورتهم بطرق الترغيب والخداع .

ووصل نوري السعيد يحاول التوسط ، وعاد دون جدوى ، وسعت بريطانيا للايقاع بين العرب المسيحيين والمسلمين ، وأسندت الى عدد كبير من المسيحيين مناصب استحدثتها للغرض المذكور والفتت في البرلمان البريطاني لجنة برئاسة المدعو ونترتون أدعت صداقة العرب والدفاع عنهم بقصد تضليلهم وتهدة ثورة نفوسهم واقناعهم الا يقطعوا آمالهم في الانجليز .

وظهر الأمير عبدالله (١٨) على مسرح الاهتمام ، وسعى لوقف الثورة وانهاء الاضراب ، ولكن الشعب الفلسطيني الممثل في مؤتمر القدس قرر الاستمرار في الكفاح حتى النهاية ، واستمر جهاد شعب فلسطين ، وعلى طلاقات الرصاص ودوي القنابل وانين الجرحى وسلاسل المعتقلين أصدر الحرس الوطني منشوره التالي :

« أيها الشعب الباسل :

باسم الحرس الوطني نوجه اليك هذا النداء ، فقد رأينا أن نغير أساليب كفاحنا قبل أن نطلب الى الانجليز تغيير سياستهم ، ووسائلنا معهم كانت احتجاجات وبيانات ، وسيلتنا الآن كفاح عملي شريف ، هم الأصل في قضيتنا واليهود فرع ، هم الذين رمونا بالصهيونية ، وهم الذين يهدرون دماء ابنائنا دفاعا عن هذه الحركة الآثمة ،

ايتها الأمة الشريفة .

سيري في اضرابك العظيم الى النهاية ، الرجوع قتل لوطنيتنا انه انتحار ، مضيا الى أن تنال البلاد حقها ، واذا الانجليز أستكبروا صمدنا لهم الى النهاية فأما فلسطين عربية وأما كل عربي فيها شهيد .

الى الانجليز :

لقد يسنا من كل شيء اسمه عدالة بريطانيا ، رجونا ، طلبنا ، استعطفنا ولكن ذهب كل محاولتنا عبثا ، قلنا لها - يا صديقة الاسلام والعرب - أحذري أن تفجعي العرب والاسلام بفلسطين الأقصى والقيامه

(١٨) المؤامرة الكبرى واغتيال فلسطين .



فلم تسمع ، حقنا داسوه ، شرفنا تعرض للشتيمة ، بلادنا كادت تصبح للعدو بالمرّة ، اذن سماعا ايها الانجليز : لا مهادنة بيننا وبينكم ، حتى تجاب مطالبنا الحقّة ، وهذه لا تحتاج الى ذكرها لكم ، يدركها الطفل في مهده ، والشيخ على حافة قبره ، أن يدنا مبسوطة للسلام والخصام ، فاختاروا الذي تريدون ، اننا لا نهدد قواتكم الهائلة ، ولكننا اقسمنّا مع ذلك أن نظل فلسطين لنا او نظوي شهداء » ( ١٩ ) .

وعادت بريطانيا سيرتها الأولى ، سيرة ارسال اللجان والتحقيق حتى اذا ظهر وجه الحق وأعلنت وفود بريطانيا تقاريرها استمرت في باطلها الثقيل .

فقد أعلنت في ١٨ مايو ( ايار ) أنها سوف ترسل لجنة ملكية لبحث اسباب الثورة ، وبدأ المندوب السامي يلح على اللجنة العربية العليا ، ويقابلها مرات كل يوم محاولا اقناعها بايقاف الاضراب وتهدئة الخواطر ، ولكن العرب كانوا قد ملوا اللجان والتقارير وأستنفدوا كل وسيلة سلمية يمكن أن تؤدي الى الحق مع بريطانيا ، ولقد سبق لهم أن أسمعوا وسمعوا ، وقابلوا اكثر من سبع لجان فأعلنوا مقاطعتهم للجنة الملكية المقترحة ( ٢٠ ) .

ووسط معازل الثوار تساقطت المنشورات البريطانية تدعو المجاهدين الى وقف الثورة ، وعلى ما في هذه المنشورات من محاولة التفرير والخداع ، فان العرب لم ينسوا سوابق اللجان والمحققين ، ولهذا لم تجد المنشورات لدى عرب فلسطين الا اعراضا .

وجاء شهر يونيو ( حزيران ) ١٩٣٦ والثورة تأخذ شكلها الجدي .

هاجم المجاهدون فصيلة من الجنود البريطانيين وقتلوا ضابطا وجنديين ، وقتل يهودي في مستعمرة « كيزال شاول » ( ٢١ ) وهاجم العرب مستعمرة « هاتفا » اليهودية ، وأحرقوا عدة منازل ، وألقوا قنبلة على دار الحكومة في القدس ، وأشعلوا حريقا كبيرا في يافا ، فأحدثوا خسائر كبيرة جدا ، ونسفوا الخط الحديدي بين القدس واللد ويافا ، ووزع المجاهدون منشورات دعوا فيها الشعب الى الثورة ( ٢٢ ) .

وتحت الضربات العربية أضطر اليهود الى هجر مستعمراتهم الى

( ١٩ ) فلسطين بين الانتداب والصهيونية . ص ٨٢ .

( ٢٠ ) جريدة الاهرام ٢ يوليو ١٩٣٦ .

( ٢١ ) جريدة الاهرام ٢ من يوليو ١٩٣٦ .

( ٢٢ ) جريدة الاهرام ٣ من يوليو ١٩٣٦ .

مدينة القدس ، وقد نشرت برقيات الصحف في الرابع من يونيو ( حزيران ) أن مدينة القدس قد ضاقت باللاجئين اليها من المستعمرات اليهودية ، وأصبح أمر اعاشتهم عسيرا جدا .

وقد طالبت الهيئات اليهودية حكومة الانتداب وضع حد لهذه الاضرابات ، ورفض أهالي بني مالك دفع الضرائب للحكومة استجابة لنداء رئيس اللجنة العربية العليا ، وأنفجرت قنابل عديدة في اللد وعكا وطبريا ، وأطلق المجاهدون الرصاص على مركز الشرطة في بيت دجن ، ونسفوا الجسرين الواقعين بين القدس والخليل وقتلوا يهوديين ، وتعرضت دوريات الجنود البريطانيين لهجمات عديدة من الثوار المجاهدين .

وبينما تتحرك نابلس فترسل لها الدبابات والطائرات يهاجم المجاهدون مستعمرتي الكركور وعين شمس .

وأعلن أن خسائر اليهود حتى الرابع من يونيو ( حزيران ) بلغت مليونين من الجنيهات ، وجرح ثمانية من اليهود حيث القيت قنبلة على سيارة كانوا يستقلونها ، وهاجم المجاهدون مستعمرتي بيت ألفا وخابوري ، وقطعت اشجار البرتقال في المستعمرات اليهودية ، وأشتبك المجاهدون في معركة مع الجنود البريطانيين في الخليل ، وهوجمت قافلة من السيارات اليهودية ، وهاجم العرب خفيرا يهوديا فقتلوه ، ونسفوا الجسر الواقع بين حيفا واللد .

ونشبت معركة بجوار نابلس ، وهاجم المجاهدون المستعمرات اليهودية بجوار القدس وأحرقوا ١٨ ألف شجرة برتقال ، وحطموا أعمدة التليفون ، ولم يستطع الجنود البريطانيون التحرك اذ نسف المجاهدون جسور الطرق العامة .

وبينما يعلن في القدس عن وصول امدادات كبيرة من الجند البريطاني في مصر يهاجم المجاهدون الحرس العسكري في محطة اللد ، ويهجمون على القطار الذي يقل الجنود البريطانيين ، وعلى دورية بريطانية بجوار تل أبيب ، كما هاجموا مستعمرة الخضيرة ، ونسفوا جميع جسور السكك الحديدية ( ٢٣ ) .

ووزعت المنشورات في جميع المدن والقرى تدعو الى الثورة ، كما هاجم المجاهدون قوة من رجال الشرطة فسلموا لهم سلاحهم ، وقتلوا كونستبلا عربيا لعدم تعاونه مع الثورة ، وهاجموا معسكرات الشرطة

( ٢٣ ) جريدة الاهرام ٤ و ٨ و ٩ من يوليو ١٩٣٦ .



في الجنوب ، واستمر قطع أشجار اليهود ، فقطعت ٢٨٠٠ شجرة برتقال في مستعمرة يهودية ، وأحرقوا سيارتين يهوديتين ، وأحرقوا غابة بالفور ، وتوقفت السيارات اليهودية عن السير في طريق القدس - حيفا - نابلس لشدة تربص المجاهدين بها ، وظهر جنود البحرية البريطانية يحرسون محطات السكك الحديدية .

وأطلق الرصاص على المندوب السامي في اليوم الحادي عشر من يونيو (حزيران)، وأعلن عن مهاجمة العرب للمستعمرات اليهودية في يافا، وعن مهاجمتهم الجند البريطاني في طريق بيت لحم والمخيمات البريطانية في جوار نابلس ، وأطلق الرصاص على المدعو « سكرست » مفتش البوليس البريطاني في القدس ، فنقل في حالة خطيرة إلى المستشفى ، وحدثت معركة بين المجاهدين والجنود البريطانية عند قرية «دير شرف» وهاجم أحد الثوار في يافا شرطيا بريطانيا فطعنه بخنجره في صدره ، وأستشهد الثائر برصاص الجند البريطاني ، وانفجرت قنبلة في طريق حيفا اللد ، وأعلنت الحكومة جوائز مالية للارشاد عن الثوار ، وأصدرت قانونا لمصادرة أموال الاعانات .

ولكن الثوار لم يهدأوا ، فهاجموا سيارة تقل جنودا بريطانياين وسيارات يهودية بين القدس - يافا ، كما هاجموا مستعمرة كفار عصيون ، وأتلفوا الوفا من الأشجار ، ونبادلوا الرصاص مع الجند البريطاني ، وأحرقوا معملا يهوديا في القدس ، وهاجموا مركز البوليس في عكا وأتلفوا كثيرا من أشجار البرتقال في مستعمرة اثيا (٢٤) .

ودارت معارك بين الثوار والجند البريطاني بجوار جنين ، وهاجم المجاهدون قوة من الجند بين سيلة الظهر وجنين حيث وقعت معركة كبيرة ، وقطعت أسلاك التليفونات بين القدس وأريحا ، وأطلقوا النار على القطار الحديدي ، وهاجموا مركز الشرطة في بيت لحم ، وأحرقوا بعض الاكواخ في محطة طيران اللد .

وهاجم المجاهدون العمال الذين يعملون في الخط الحديدي الجنوبي ، وقطعوا أسلاك التليفون عند خان البن ، وأتلفوا أشجار البرتقال والكروم بالقرب من مستعمرة « زهرون يعقوب » وفجروا قنبلتين في دار بلدية حيفا ، وأطلقوا النار على جبال كنعان وأشعلوا حريقا في مستعمرة منحنا .

وفي الثاني والعشرين من يونيو (حزيران) أعلنت السلطات عن نشوب أعظم معركة بين جنودها وبين الثوار العرب ، وقد اشتركت فيها الدبابات

(٢٤) جريدة الاهرام العدد ١٨ و ١٩ و ٢٣ من يونيو ١٩٣٦ .

والطائرات على خط طوله عشرون كيلو مترا ، وقد عززت القوات البريطانية أثناء المعركة بنجدات من فرقة السيפורت ، مع عدد من الدبابات والطائرات ، وقد انقسم الثوار الى فريقين أحدهما تحصن في جهة الشمال واحتشد القسم الأكبر في الجنوب ، وقد استؤنفت المعركة بشدة في ميدان أزداد طوله الى ثلاثين كيلومترا وهاجم الثوار المستعمرات اليهودية في « رامن هاكوتش » و « مال لنفسكي » و «مجل» كما هاجموا حاميات القطارات .

وتستمر البلاغات الرسمية البريطانية تعلن عن الحوادث اليومية ، ويتضح أنها كانت ثورة شاملة قوية موزعة .

وقد أجرينا احصائية للاحداث التي أعترفت بها حكومة فلسطين في بلاغاتها الرسمية الصادرة من الرابع والعشرين من يونيو الى الثلاثين منه سنة ١٩٣٦ ، فبلغت ستة عشر بلاغا رسميا عن سبعة أيام مما يدل على أنها اضطرت الى اصدار اكثر من بلاغ واحد في بعض الايام .

وتفيد بلاغاتها الصادرة بين التاريخين المذكورين وقوع اربعين حادثة من الحوادث المختلفة ، كمهاجمة المستعمرات اليهودية ، وأتلاف أشجار البرتقال في المستعمرات اليهودية ، وتعطيل المواصلات التليفونية ، ونسف الجسور بين المدن المختلفة ، والابقاع بالقوافل اليهودية ، ومهاجمة محطات السكك الحديدية ، ونشوب معارك مختلفة متنوعة بين المجاهدين العرب والشرطة البريطانية تارة ، وبينهم وبين الجنود البريطانيين تارة أخرى ، وفي مختلف البقاع من نابلس وجنين الى القدس وبيت لحم الى الخليل ويافا وبمستعمرات تل أبيب على ساحل البحر .

وجن جنون المندوب السامي ، فأصدر أمره بأبعاد أمين سر اللجنة الفرعية العليا الى الحفير ، ثم أمر بأبعاد رئيس لجنة أضراب السيارات ، ثم أمر بأبعاد رئيس بلدية يافا ، واستمر المندوب ينزل جام غضبه على شعب فلسطين العربي حتى شرد من كل بيت عددا وأبعد من كل أسرة قسما ، وكانت بريطانيا قد أعدت لذلك الأمر تشريعها المشهور « قانون منع الجرائم » الصادر في ٢٢ من ديسمبر ( كانون أول ) ١٩٣٣ ، والذي نثبت هنا بعضا من مواده تسجيلا لأساليب بريطانيا في تهويد فلسطين :

« المادة ٥ فقرة ٤ ب : ليس من الضروري في الاجراءات التي تتخذ بموجب هذا القانون اثبات أن المتهم ارتكب فعلا معيناً أو أفعالا معينة من شأنها أن تظهر غايته ، أو تنم عن نيته ، أو أخلاقه ، ويجوز اصدار قرار بحقه ليستمر الاعتقال أو التمهيد أو إطلاق السراح اذا ثبت لحاكم اللواء أو لرئيس المحكمة المركزية من ظروف القضية أو من أخلاقه المعروفة وجوب



اصدار قرار بحقه ، ويحظر على من طبق عليه هذا القانون أن :

١ - ينقل مكان أقامته الى أي قضاء أو مدينة أو قرية أخرى .

٢ - أن ينقل مكان أقامته الى أية منطقة بوليس أخرى .

٣ - أن يغادر القضاء أو المدينة أو القرية ويجب عليه أن :

١ - يعلم مدير بوليس اللواء الذي يقيم فيه عن حركته أو مسكنه .

٢ - أن يحضر الى أقرب مركز بوليس كلما كلف بذلك .

٣ - أن يبقى داخل مسكنه من غروب الشمس الى شروقها ، وللبوليس أن يزوره في مسكنه في أي وقت يشاء .

وكل مخالف يعاقب بالعقوبات أو الغرامة (٢٥) .

### ٣ - صور من الفدائية والبطولة :

ومن واقع الجرائد اليومية التي واصلت نشر البلاغات البريطانية خلال عام ١٩٣٦ أحصينا حوادث شهر يوليو (تموز) ١٩٣٦ فكانت كما يلي :

أشعل الثوار ثلاث حرائق كبيرة في أنحاء مختلفة من فلسطين ، والقوا حوالي ثلاثين قنبلة لانتلاف الخطوط الحديدية ، وفي الطريق بين المدن والقرى والمستعمرات اليهودية وتحت الجسور وبجوار منازل الحكام البريطانيين وعلى مراكز الشرطة .

وشنوا اثني عشر هجوما على مستعمرات اليهود ومخازن بضائعهم في مختلف أنحاء البلاد ، واتفوا ثمانية وأربعين ألف متر مربع بما فيها من اشجار مثمرة في مستعمرات اليهود وبساتين الحكومة ، وقطعوا اسلاك التليفون ثلاث مرات بين عديد من المدن والقرى ، وقامت أربع وعشرون معركة بين المجاهدين والجيش البريطاني في نابلس وصفد وطرطوف وعكا والخليل ومستعمرة بن شيمان وغزة وبجوار اللد وطولكرم وكفر سابا وكفر عشبون ، وأعترفت البلاغات الرسمية خلال هذا الشهر بثمانية وعشرين قتيلا وجريحا من البريطانيين واليهود ، وتم اعتقال ستة وثمانين عربيا وانزلت الغرامات المالية على تسع من المدن والقرى العربية (٢٦) .

(٢٥) مجموعة المنشائر والقوانين الفلسطينية ، مكتبة الجامعة الامريكية بيروت ، رقم

٥٦٩ - ٢٤٩

(٢٦) احصائية عن جريدة الاهرام ، الاعداد الصادرة من ١ يوليو الى ٣١ يوليو ١٩٣٦ .

ورفع اليهود شكواهم الى سلطات الانتداب البريطاني راجين حفظ الأمن ، وبدأت جموع منهم تغادر فلسطين ، الامر الذي أثار قلق بريطانيا خوفا على انهيار برنامجها الخطير فيها ، وأستمر إعلان الأحكام العرفية وفرض منع التجول في جميع أنحاء فلسطين من الساعة مساء الى الساعة صباحا ، ثم أستعان المندوب السامي بالطائرات لتلقي قنابلها على معازل المجاهدين يوما ، وتلقي المنشورات تدعوهم فيها الى انهاء الاضراب والثورة يوما آخر ، واذاع المندوب السامي بيانا طويلا طالب فيه العرب بالهدوء والاقلاع عن الاضراب وأعمال العنف ، ولكن المجاهدين أتلفوا أنابيب بترول العراق ثلاث مرات متوالية برغم التعزيزات العسكرية التي صدرت بلاغات رسمية تفيد القيام بها لحراسة تلك الانابيب ، وبلغ من سيطرة المجاهدين ان البلاغات كانت تعترف بدخولهم الى قلب المدن والقرى واحداثهم التفجيرات في عديد من الأماكن ، واضطربت حال اليهود اضطرابا خطيرا فهجروا مستعمراتهم وتجمعوا في تل أبيب وهددتهم المجاعة فتظاهروا يطالبون بالخبز (\*) .

ولكن الأحداث كانت تتوالى بسرعة كل يوم منبعثة من تصميم شعب فلسطين وشجاعته ، فلم يلتفت أحد الى المنشورات ولا الى النداءات ، وهكذا وضع لسلطات بريطانيا في فلسطين الموقف الحازم الذي اتخذه الشعب العربي هناك ، وحارت في ذلك الاجماع الذي وحد صفوفه حتى لم يشد أحد عن الكفاح ، فأتجهت الى محاولة جديدة عسى أن تصل بها الى الافساد بين صفوف الشعب المتحد ، فهي قد يئست من ارضاخ اللجنة العربية العليا ، وهي قد ارتبك موقفها في فلسطين امام انظار العالم ، فأخذت تلقي بمنشوراتها على معازل الثوار وفوق القرى والجبال عسى أن يجدوا فيها مطمعا يبعدهم عن مشقة الجهاد .

ولنظهر صورة صادقة لعجزها في مقاومة الثورة ، وحيرتها امام الجهاد العربي ، نثبت فقرات من تلك المنشائر العديدة :

### المنشور الأول :

« من الذي يخسر بسبب الأعمال الخارجة عن القانون القائمة الآن ؟ ان الرجل الفني يعيش مرتاحا في المدينة ، وهو لا يعرض أسباب معيشته للخطر . . ان الذي يخسر هو ذلك التاجر الصغير الذي أجبر على

(\*) جريدة الاهرام اعداد ٨٩٠١ و٩٠٢ و٩٠٣ و٩٠٤ و٩٠٥ و٩٠٦ و٩٠٧ من يوليو ١٩٣٦ .



#### فقرات من المنشور الرابع :

« لقد أحضرت الجنود البريطانية الى فلسطين لمساعدة الحكومة على توطيد القانون والنظام ، وواجبهم هو القبض على العصابات التي تقوم بارهاب البلاد ، وتجريد هذه العصابات من السلاح ، عندما تأتي الجنود لتفتيش قرية تضرب حولها نطاقا من العساكر لمنع العصابات من الفرار... وإذا حاولتم الفرار يظنكم الجند من أفراد العصابات ... فلا تمدوا اذن يد المساعدة الى العصابات ولا تدعوها تدخل قريتكم . حالما يستتب النظام، ولكن ليس قبل ذلك سيجري تحقيق شامل في جميع ظلاماتكم » .

ولحق المنشور الرابع ما سبقه من منشورات ، والسياسة البريطانية لا تياأس ، وهي تدرك أن الثورة ليست لبنا وعسلا ، وأن العرب وهم ثائرون ومضربون لا بد أنهم يقاسون مر التضحية ويدركون متاعب الحياة ، فلتأتهم من هذا الباب ، وجاء بيانها الجديد في المنشور الخامس .

#### فقرات من المنشور الخامس :

« كيف أصبحت حال فلسطين اليوم ؟ قبل ثلاثة اشهر كانت فلسطين ترتع في رخاء ، وكان التاجر العربي يبيع بضائعه ويفيد عائلته ، ويؤمن راحتها ، وكان الفلاح يجلب محصولاته الى السوق ويبيعها ويربح ، وكان لدى الحكومة أموال تصرفها على تحسين احوال القرى ، فكيف أصبحت حال فلسطين اليوم ؟ لقد أصبح التاجر العربي في حالة فقر ، وأصبح مديونا وليس لدى الفلاح سوق لبيع محصولاته واموال الحكومة تصرف على القوات المسلحة ، فما الفائدة من كل هذا ؟ ان اللجنة الملكية ستقوم بالتحقيق الوافي في ظلامات العرب بدون تحيز أو محاباة ، المداومة على أعمال العنف تؤخر ذلك اليوم الذي تسمع فيه ظلاماتكم » .

ولم تفد هذه المنشورات الخمسة في وقف الجهاد العربي ، فقد مضت تسعة عشر عاما والعرب لا يتلقون كل يوم من الانتداب البريطاني الا طعنا لقضيتهم ، وحرمانا من حقوقهم ، وعملا بريطانيا صليبا بأن فلسطين بلد لليهود ، سواء الذين يسكنونها أو الذين يقيمون في مختلف الأقطار الأخرى مهما بعدت أوطانهم في غرب الارض أو شرقها .

#### فقرات من المنشور السادس :

« لا تعيروا أذنا صاغية للاشاعات الكاذبة ، ولا تصدقوا أولئك الذين

اغلاق دكانه . ان الذي يخسر هو ذلك البائع الصغير التي تتلف بضائعه فيما لو حاول بيعها . ان الذي يخسر هو الفلاح الذي لا يستطيع أن يبيع محصولاته في السوق .

أليس بصحيح ؟ .. الزموا الهدوء والسكينة ودعوا التحقيق يبدأ » (٢٧)

واستمر عرب فلسطين في جهادهم ، فلم يكن المنشور يحوي أبلغ ولا أقوى من العبارات التي سبق أن تضمنتها وعود بريطانيا للشريف حسين ، فعمدت بريطانيا الى التهديد والوعيد وتبذر بطايراتها منشورا جديدا .

#### فقرات من المنشور الثاني :

« في أوقات العنف عندما أمسكت السماء عن المطر ، وأمحلت مزروعاتكم أعفتكم الحكومة من دفع الضرائب ، ولكنها تنفق أموالها الآن على توقيف الأعمال الخارجة عن القانون ، فإذا لم تتوقفوا عن الأعمال الخارجة عن القانون وتحافظوا على النظام ، فلا يكون هنالك اعفاءات من الضرائب ، ولا اعانات ، وترتفع الضرائب ، ان الذي يخسر هو أنتم وقريتكم » . ولم ينفع هذا المنشور أيضا في وقف الثورة العربية ، ولم يخش العرب ارتفاع الضرائب ولم يطمعوا في اعانات بريطانيا ، فسكت هذه لغة جديدة ملؤها اللوم والوعود ، فألقت منشورا جديدا .

#### فقرات من المنشور الثالث :

« لماذا الاستمرار على أعمال العنف والاضطراب ؟ ما دمتم لا تجنون من ذلك سوى تأخير الوقت الذي ستسمع فيه ظلامات العرب ، لقد وعدت حكومة جلالتهم أن تكون اللجنة الملكية حيادية وذات سلطة ، ولكنها لن تأتي حتى يعود النظام الى نصابه، ضموا حدا للشقاء الذي تسببه أعمال العنف، ودعوا اللجنة الملكية تبدأ عملها في الحال »

ولم يكن مصير هذا المنشور بأحسن من غيره ، فعمدت الى التهديد من جديد ، تحاول به انزال الرعب بسكان القرى العربية واستغلال تخويفهم ، فألقت طائرتها منشورا جديدا \* .

\* لقد كان وصول القائد فوزي القاوقجي الى ميدان القتال عاملا مفيدا في شمول الثورة ، لما عرف عنه عامها من شجاعة ودراية أعطت مثلا حيا لوحدة الكفاح العربي متعاوناً مع القادة الفلسطينيين .

(٢٧) فلسطين بين الانتداب والصهيونية ص ١١٨ - ١٢٠ .



يقولون لكم ان في امكانكم ان تجنبوا شيئا من الاستمرار في الاضطرابات ، كلما طال استمرار اعمال العنف ازداد ما ينشأ عنه من الضيق لكم ولقربتكم بدون ان تسفر عن أي فائدة بتاتا ، انما تؤخر اليوم الذي تسمع فيه ظلاماتكم » .

ولحق هذا المنشور بكل المنشورات السابقة ، ولم يعره الثوار اذنا ولا اهتماما .

واستمرت الثورة قوية عارمة ، واستمرت بريطانيا تتخذ كل يوم شكلا جديدا من اشكال محاربة العرب لصالح اليهود وقهرهم واثقالهم وارهاقهم ، فالى جانب المعتقلات المكتظة بالمسجونين والى جانب المنافي التي أبعدت اليها آلاف الشباب والرجال ، الى جانب كل هذا تفننت في تنويع الغرامات على القرى والمدن ، حتى اذا أدركت ان العرب استطاعوا جمع المال المفروض ، قررت على قرية أخرى غرامة عينية ملزمة كنوع من التعجيز ، فاذا تكاتف العرب لجمع تلك الغرامة لجأت الى هدم القرى واحياء كبيرة من المدن ، وبينما تفرض غرامة خمسة آلاف جنيه على مدينة اللد لمهاجمة دورية عسكرية فيها ، تفرض غرامة أخرى قدرها ثلاثمائة جنيه على قرية بيسان ، ثم تنوع العقوبة فتفرض خمسة وعشرين كيسا من الحنطة على نفس القرية ، كل ذلك خلال اسبوع واحد ، ثم تعتمد الى جنين فتهدم جانبا منها ، وتذهب الى يافا فتهدم جميع حيها العربي القديم (٢٨) .

لقد شهدت تلك الثورة معارك خالدة ما زال شعب فلسطين يؤرخ بها عديدا من الأحداث ، وهي معارك يجب ان تنحني الرؤوس لذكرها ، فقد كانت تدور بين شعب لا يكاد يتسلح الا بجهد قليل ، وبين جيوش الامبراطورية البريطانية المدربة ، وعمدت بريطانيا فوق قواتها العادية المقيمة بفلسطين الى استعداد عسكري كبير ، وكان جيشها يقوم بمناورات عسكرية في « الدرشوت » قرب لندن سنويا ، ولم تلغ تلك المناورات الا عند قيام الحرب العامة الأولى ، ولكن الثورة الفلسطينية أرغمت الانجليز على الغاء مناوراتهم التقليدية ، وأرسلت قواتها بقيادة الجنرال « جون ديل » لتحارب ثورة العرب هناك ، ووزعتها على الأماكن التالية :

١ - مركز قيادة الجيوش البريطانية في فلسطين وشرق الأردن ( القدس ) .

(٢٨) المصدر السابق ، ص ١٣١ .

٢ - الفرقة الأولى بقيادة الماجور جنرال أرمتياج منطقتها الأنحاء الجنوبية ومركزها القدس وتضم :

- ١ - لواء المشاة الأول بقيادة اللواء موون منطقتة القدس .
- ب - لواء المشاة الثاني بقيادة اللواء كار منطقتة يافا .
- ج - لواء المشاة الثالث بقيادة اللواء ماسي منطقتة القدس .
- ٣ - الفرقة الخامسة بقيادة الماجور جنرال هوارد منطقتها الأنحاء الشمالية مركزها حيفا وتضم :

١ - لواء المشاة الثالث عشر مع قوة حدود شرق الأردن بقيادة اللواء بريتي منطقتة الناصرة .

- ب - لواء المشاة الخامس عشر بقيادة اللواء يومان منطقتة حيفا .
  - ج - لواء المشاة السادس عشر بقيادة اللواء أكيفنس منطقتة نابلس .
- وفي منطقة حيفا فرقة « الهوسار » الحادية عشرة وجيوش السكك الحديدية بقيادة اللفتنت كولونيل « اترسوف » وثلاث كتائب أخرى .
- وفي القدس مركز لقوات الطيران الملكية في فلسطين وشرق الأردن بقيادة كومودور الطيران « هيل » .

وكانت هذه القوات البريطانية المنتظمة الكبيرة مضافة الى القوات الأخرى التي كانت تعسكر قبلا في فلسطين ، والى قوات البوليس البريطاني وقوة حدود شرق الأردن ، كانت كلها معدة لمحاربة الثورة العربية الفلسطينية التي طال الصراع معها في قوة وفي عنف ، وقد كان العديد منها معارك كبيرة فعلا .

#### معركة بلعا :

في الثالث من سبتمبر ( ايلول ) ١٩٣٦ صدرت الاوامر لتخرج عشرون سيارة عسكرية مصحوبة بالدبابات ومحملة بالجند ، وطلب منها ان ترابط على الطريق بين طولكرم ونابلس للحفاظ على القافلة اليهودية اليومية ، وعلمت بهذا قيادة الثوار من مخبريها الذين يعملون مع العدو ويخلصون للثورة ، فبثت الألغام في طريق السيارات ، وحين نزل الجند مفزوعين من الانفجارات ، أطلق الثوار رصاصهم وابتدأت معركة كبرى ، وكان الثوار يرابطون على جبلين متقابلين ، وكان الجنود يحتمون بالسيارات وحواجز الاشجار وخلف الدبابات .

ووصلت اثناء المعركة قوة عسكرية من نابلس ، وأصبح عدد الجند



يقارب خمسة آلاف جندي ، واشتركت خمس عشرة طائرة في المعركة ، واستعمل الجيش البريطاني مدافع الميدان ، فحطم صخور الجبال وعصف بأثمار الأشجار ، وتوافد القرويون يساعدون المجاهدين ، وكانت النسوة يزغردن لهم ويساعدنهم بالعتاد والماء والطعام .

واستمرت هذه المعركة يوما كاملا من الصباح حتى غروب الشمس ، وأسقطت فيها طائرتان للعدو ، وأحرقت اثنتان واستشهد عشرة من المجاهدين كان بينهم عدد من العراق والشام ، وفقد الانجليز باعترافهم الذي لا يذكرون فيه الحقيقة الكاملة ضابط الطيران « هنز » والطيار « لتكوني » وضابطين آخرين والاونباشي « ولكس » ولم يكن بد أمام القيادة البريطانية من أن تعترف بهؤلاء بعد أن أحرقت الطائرات بطيارها ، أما الخسائر الأرضية فلم تذكر عنها شيئا .

### معركة ترشيحا :

وفي معركة ترشيحا التي حدثت على طريق نهاريا - ترشيحا قرب عكا ، رابط ستون عربيا واشتبكوا مع الجند ورجال الشرطة الذين جاءت الطائرات تعززهم ، ودامت المعركة من منتصف النهار حتى عم الظلام . وانتهت باستشهاد نصف هؤلاء الأبطال تقريبا ، إذ استشهد منهم ٢٩ بطلا وجرح ثمانية حملوا جميعا من ميدان المعركة .

وفي عصر اليوم نفسه أطلق المجاهدون النار شمال الجاعونة على سيارات شرطة بريطانية فأحرقوها وقتلوا كل من فيها الكونستبلات « بار ، كتل ، فلتشر ، موريون » وأخذوا رشاشاتهم ومسدساتهم وسلاحهم وعشرة آلاف رصاصة ، ووصلت القوات البريطانية تساعدها الطائرات ، فأصيب عدد منهم وانتهت المعركة بفعل الظلام الدامس .

### معركة جبع :

قامت هذه المعركة في سهل قرية جبع في قضاء جنين ، حيث تجمعت القوات البريطانية من جنين ونابلس تؤيدها سبع طائرات وعدد من مدافع الميدان ، وطوق الثوار من جميع الجهات فاستعملوا سلاحهم الأبيض وهاجموا الجنود ، وكاد الثوار يهزمون ، ولكن اخوانهم في الجبال أسرعوا لنجدهم ، وطوقوا الجند وأنقذوا الثوار المحاصرين ، وفي الليل تبين أن إحدى وأربعين أصابة بالثوار نتجت عن قنابل الطائرات وإن ثلاث عشرة أصابة نتجت عن المعركة مع الجند ، وقد أسقطت طائرة وجرح قائدها « ستيوارت » وفجرت مصفحة مرت فوق لهم أثر عودتها الى نابلس .

وقتل البريطانيون الأربعة بها .

ولكن هذه المعركة لم تكن الوحيدة في سهل قرية جبع بل عمد الثوار الى ربك قوات بريطانيا ربكا أفزعها وأخل بنظامها ، فلم تكذ تمضي نصف ساعة على انتهاء المعركة حتى هاجم الثوار جميع مراكز الشرطة في نابلس ، وقسموا أنفسهم سبع فرق ، وفي وقت واحد هاجم كل فريق المكان المحدد له ، فهاجم الجنود البريطانيون المرباطون في الجهة الشرقية من نابلس ، وهاجمت القوات المربطة في ساحة سكة الحديد ، وهاجم الجند المربط في النادي الرياضي ، وهاجمت القوات المربطة في المحكمة الشرعية ، وهاجم الجند المربط في المدرسة الغزالية ، وهاجم الفريق السادس سراي الحاكم ، وبقيت الفرقة السابعة في سفوح الجبال تراقب المعركة وتحمي ظهور المقاتلين .

وتحولت مدينة نابلس الى ساحة قتال ، وعم الخوف والفرع جميع أرجائها ، وخرجت المصفحات تجوب الشوارع وتقاتل الثوار ، ولم تذكر البلاغات الخسائر البريطانية ، ولكنها كانت دون ريب كبيرة في هجوم شامل منظم ومفاجيء .

ان قائد القوات البريطانية كان خائفا مفزوعا ، ولم يجد اجراء يتخذه أمام قوم يهاجمونه في عقر المدينة ، ويضربون جنوده في كل مكان ، الا ان يبعث بقواته الى رئيس بلدية نابلس سليمان عبد الرازق قائلا :

« ان رجالكم أطلقوا النار على قواتي ، واحضرتك لتكون ضيفي وستنام على ظهر السطح مع حرس الرشاشات الذين كانوا يتبادلون اطلاق النار مع الثوار » .

وأخذه لينفذ فيه هذه الضيافة ، وفي الصباح رمى رئيس البلدية بالوسام البريطاني الممنوح له الى المندوب السامي واستقال أعضاء المجلس البلدي احتجاجا (٢٩) .

وسد الثوار الطريق العام عن منطقة الخليل ، ووضعوا فيه الحجارة الكبيرة ، وقطعوا أسلاك التليفون على مسافة كيلومترين ، وعندما وصل الجند البريطاني نزلوا لرفع الحجارة فاستقبلهم الثوار بالنيران ، فاحتموا بالخنادق على جانبي الطريق ، واستعملوا سلاحهم ورفعوا شارات الاستنجاد ، وبعث الثوار بفريق الى طريق القدس ، وبآخر الى طريق



الخليل لعرقلة هذه النجذات التي بلغت ١٥٠٠ جندي ، وأمد القرويون الفلسطينيين الثوار بسلاحهم وعتادهم ومؤنهم ، واستمرت المعركة عشية ٢٤ سبتمبر ( أيلول ) وطوال الليل ، وفي الصباح كانت الدماء تبدو واضحة في كل مكان ، على طول خمسة عشر كيلومترا ، وهو الميدان الذي نشب فيه القتال بين الثوار والجند البريطاني ونجذاتهم .

#### ٤ - المعارك تتوالى :

ولحقت هذه المعارك الكبيرة معارك أخرى تشبهها أو تعظمها ، مثل معركة بيت جبرين التي انتشر فيها الجنود البريطانيون في جبل برقة ، وبيت جبرين شمال غربي نابلس ، وسرعان ما ظهر ثوار آخرون يكمنون في الكهوف والمغاور بين أشجار الزيتون ، ودارت معركة مريرة ، وجاءت الطائرات تساعد الجيش البريطاني وتمده بالذخائر ، وجاءت النسوة العربيات يحملن قرب الماء ، ويزغردن مع طلقات الرصاص ، وتجاوبت الأصدا ، ودام القتال خمس ساعات ، ولم تفصح الحكومة الا عن إصابة ضابط وجنديين و ٢٢ مجاهدا بين قتيل وجريح .

وهناك كثير غير هذه المعارك مثل معركة الخضر التي استشهد فيها البطل السوري القائد سعيد العاص وجرح فيها الشهيد عبد القادر الحسيني ، ومثل معركة كفر صور التي اشتركت فيها عشر دبابات فقم الثوار واحدة منها في جبل طولكرم وعطلوا أخرى .

ولم تكن هذه المعارك لتوقف الأعمال الفردية الفدائية ، ففي نفس الوقت التي كانت تدور فيه هذه المعركة طيلة النهار كان عربي يطلق النار على مساعد مدير الشرطة في حيفا وأصابه بجراح خطيرة ، وخربت مزرعة طماطم قرب مستعمرة نائانيا كما يقول البلاغ الرسمي البريطاني ، وعندما كانت تدور معركة الخضر التي اشرنا اليها سابقا كان المجاهدون الفدائيون يقطعون الأشجار المثمرة في ضواحي القدس ، ويتبادلون الرصاص مع الشرطة .

وجاء شهر اكتوبر ( تشرين اول ) ١٩٣٦ والمعارك تستمر نارها في جميع ارجاء فلسطين المجاهدة ، يقول البلاغ الرسمي البريطاني :

« اهتدت دورية من الجنود بمعمونة الطائرات الى مواقع صغيرة مسلحة من العرب بالقرب من بيت جبرين شمالي نابلس ، فتبادلت معها اطلاق النار حتى دخول الليل ، وقد اسفرت عن إصابة جنديين وضابط بريطاني بجراح طفيفة ، ويعتقد أن أضرار العصا بلغت ٢٢ إصابة ، وعثر

البوليس على ذخيرة واسلحة في قضاء الناصرة ، وأطلقت النار على سيارات بالقرب من بيت دجن فقتل سائق السيارة الأولى . ويجري البوليس تحقيقا لمعرفة المعتدين ، وأطلقت النار على دورية عسكرية بالقرب من قرية بيت دجن ، وقبض خلال الأربع والعشرين ساعة الأخيرة على أربعة عرب بتهمة اطلاق النار على الجنود ، وعلى عربي آخر لحيازته أسلحة بصورة غير قانونية (٣٠) » .

وتستمر المصادمات وأعمال التخريب في فلسطين فتحدث معركة بين الثوار والجند في بيت لحم دامت نحو ساعة استخدم فيها الجنود المدافع الجبلية ، وقد قطعت أسلاك التليفون بين مدن أريحا والقدس وبيت لحم ، وهاجم جماعة من الثوار مستعمرة شجرة في الشمال (٣١) .

وقبل يوم واحد من تدخل ملوك العرب وهم يدعون الشعب الفلسطيني لانهاء الاضراب والثورة كانت معارك فلسطين تدور بشدة وشجاعة ، فقد دارت معركة كبيرة في جبل الكرمل طول النهار ، وأخذت النهار بطوله واشتبكت فرقة من الجنود تابعة للهيلاندرز مع جماعة عربية واسفرت المعركة عن قتل عربي وجرح اثنين القى القبض على أحدهما ، وأطلق المجاهدون النار في حيفا على مساعد مدير الشرطة فأصيب بجراح خطيرة ، وضرب المجاهدون مزرعة طماطم بالقرب من نائانيا وقبض على عربي لحيازته سلاحا بصورة غير قانونية (٣٢) .

وبعد تدخل ملوك العرب وقبل يوم واحد من فك الاضراب استجابة لتدخلهم ، أعلنت برقيات القدس أن مصادمات شديدة جرت في الطريق بين يافا والقدس ، وأن السلطة فرضت غرامة الف جنيه على مدينة الخليل .

ولقد حملت اقاويص شعب فلسطين حقائق مشرفة عن أبطال خاضوا هذه الثورة ، واسهموا في تلك المعارك بصلاية وإيمان فهذا هو الشيخ قاسم محمد الشايب من علماء الاسلام الذي استشهد يوم بلعا ، لم يوجد بين ثيابه الا مصحف كريم و ١٢ مليما لا غير ، كان هذا كل رأس ماله .

وتلك المرأة القروية تقف الى جانب جثث الشهداء فتشير بيدها الى احدي الجثث « انه يشبه ابني » ثم تترك الجثة لتدخل القرية وهي تزغرد فقد تبين لها أن الشهيد كان ابنها .

(٣٠) البلاغ الرسمي لحكومة فلسطين رقم ٢٧٣ ، جريدة الاهرام ٢ من اكتوبر ١٩٣٦ .  
(٣١) جريدة الاهرام ٤ من اكتوبر ١٩٣٦ .  
(٣٢) البلاغ الرسمي لحكومة فلسطين رقم ٢٩٣ ، جريدة الاهرام ١٠ من اكتوبر ١٩٣٦ .



وحين تدهور القطار بين كمرجنس ومحطة اللد كان الفاعل الشهيد « حافظ صقر » واقفا أمام القطار المتدهور يشاهده ، فأطلق عليه جندي النار فأصابه إصابة قاتلة ، ولما جاء رجال الشرطة يسألونه عن الذين اشتركوا معه في انتزاع قضبان الخط أجاب : « لم يشترك معي أحد ، بل أنا وحدي قمت بهذا الواجب الوطني اسقوني ماء .. » ثم أسلم الروح .

وبينما كان العالم المسلم عبد الحفيظ أبو الفيلات يقود فريقا من المجاهدين كمنت له مفرزة من الجند ، واشتبك معها في معركة ، فلما سدّد بندقيته اليهم لم يتطلق رصاصها لفساده ، فاستل خنجره وهجم يقاتل الجنود البريطانيين الذين عاجلوه برصاصة ذهب معها شهيدا .

وتلك العروس الشابة التي لاحظت حزن زوجها حين لم يجد بندقية يشارك الثوار بها أمجادهم ، فباعت بيتها الموروث عن أبيها ، واشترت بثمنه ذخيرة وسلاحا ، وشجعت زوجها محمود شحادة النابلسي على اللحاق بالثورة وأسهم بشجاعة وبطولة ، حتى استشهد في معركة وادي الطواحين يوم ١٣ يوليو ( تموز ) ١٩٣٦ .

#### ٥ - الوصف البريطاني الرسمي للثورة :

تحدثت الوثائق الرسمية عن الثورة في بيان بريطاني صدر أثناءها وفي الشهور الأولى منها قال :

« ابتدأت الاضطرابات في فلسطين في شهر ابريل ( نيسان ) من هذه السنة ، وعقب وقوع بعض حوادث الشغب في يافا ، وفي أماكن أخرى أخدمت في الحال اتخذت هذه الاضطرابات شكل اضراب عام ، أعلنته لجنة من وجهاء العرب ، يصطبغ بصبغة سياسية معينة ، ويرمى الى تحقيق مآرب لا يتفق والانتداب ، واستعملت في مواصلته وسائل هي بمثابة تحد مباشر للسلطة القائمة .

وقد وقعت حوادث قتل واعمال مستنكرة أخرى في مختلف أنحاء البلاد ، من قبل عصابات مسلحة من الارهابيين ، فعدا عما وقع من حوادث التعدي التي أدت الى خسارة في الأرواح بين الجنود البريطانيين ورجال الطيران والبوليس ، وقضت على حياة كثيرين من العرب واليهود على السواء ، فقد اشتملت اعمال هذه العصابات المسلحة على محاولات متكررة في شل وسائل المواصلات وقطع خطوط البرق والتليفون ، واخراج القطارات عن الخط ، وعلى محاولات لمنع حركة السير على الطرق العامة .

وقد سببت أضرارا مادية عظيمة ألحقت ضررا فاحشا باقتصاديات

البلاد ، ووقعت محاولات عديدة لاتلاف خط انابيب البترول بين حيفا والعراق واشعال النار في المتدفق منها ، وثمة نتيجة مهمة أسفر عنها الاضراب هي اقفال مرفأ يافا اقفالا فعليا ، وان كان مرفأ حيفا لم يتأثر لغاية الآن الا قليلا لحسن الحظ .

وقد عمدت ادارة فلسطين في الحال الى اتخاذ تدابير فعالة لحماية الأرواح والأموال وقمع الاضطرابات ، وفي أثناء الاشهر التي تلت نشوب الاضطرابات عززت الحامية الفلسطينية تعزيزا وافيا ، غير أنه بالرغم مما أظهرته السلطات البريطانية من رحابة الصدر الأمر الذي حاز الموافقة التامة من حكومة جلالته ، التي كان جل اهتمامها اعادة السلام بين مختلف الطوائف في فلسطين باتخاذ تدابير تنطوي على أقل ما يمكن من الآلام والخسائر في النفوس ، فقد استمر الاضراب السياسي مصحوبا بأفعال مستنكرة ، وبمناوشات حربية واستعمل التخويف على مجال واسع من قبل أولئك المسؤولين عن مواصلة هذه الاضطرابات ، بقصد ارغام كافة الأهالي العرب على التعاون الضمني .

على كل حال وبالإيجاز فقد أصبحت الحالة التي أوجدت في البلاد بمثابة تحد مباشر لسلطة الحكومة البريطانية في فلسطين (٣٣) .

كان وزير المستعمرات قد صرح في الثامن عشر من شهر مايو ( أيار ) في مجلس العموم ، أن حكومته رأت أن من المرغوب فيه القيام بتحقيق محلي شامل ، على أن تكون الخطوة الأولى في ذلك السبيل اعادة توطيد القانون والنظام ، وصرح أيضا « ان نية حكومة جلالته بعد اعادة النظام الى نصابه ان تتقدم بتوصية الى جلالة الملك كي يعين لجنة ملكية تقوم بالتحقيق في أسباب الاضطراب وفي ظلمات العرب أو اليهود المزعومة بدون التعرض لنصوص الانتداب الأساسية . وفي اليوم التاسع والعشرين من شهر يوليو ( تموز ) أعلنت أسماء أعضاء اللجنة الملكية في مجلس العموم مع شروط صلاحيتها وهي كما يلي :

« أن تثبت من الأسباب الأساسية للاضطرابات التي نشبت في فلسطين في أواسط شهر ابريل ( نيسان ) وأن تتحقق في كيفية تنفيذ صك الانتداب على فلسطين بالنسبة لالتزامات الدولة المنتدبة نحو العرب ونحو اليهود ، وأن تثبت بعد تفسير نصوص صك الانتداب تفسيرا صحيحا مما اذا كان لدى العرب أو لدى اليهود أية ظلمات مشروعة ناجمة عن الطريقة



التي اتبعت فيما مضى ، أو المتبعة الآن في تنفيذ التواصي ، لازالة تلك الظلمات ومنع تكرارها ، وستتولى اللجنة الملكية القيام بواجباتها في أقرب وقت ممكن ، غير أنه كما ذكر فيما سبق يجب إعادة النظام في فلسطين الى نصابه ، قبل أن تبدأ اللجنة تحقيقها في هذه البلاد .

هذا هو الشرط الضروري لتمكين اللجنة من القيام بواجباتها بصورة فعالة ، ولسوء الحظ اتخذ الزعماء العرب موقفا ينطوي على عدم انهاء الاضراب ، ما لم تدخل الحكومة البريطانية تغييرا اساسيا على سياستها المتعلقة بفلسطين ، وبالرغم من اعلان أسماء أعضاء اللجنة وصلاحياتها ، استمر الاضراب مصحوبا بأعمال مستنكرة ، تتفاوت درجة شدتها في أنحاء كثيرة من البلاد ، وفشلت جميع المساعي التي بذلت لغاية الآن لاجاد جو ملائم للتفاهم .

وقد تقدم اصحاب النوايا الحسنة من الملوك والامراء العرب ، وذوي المقامات العالية في البلاد المجاورة ، فأعربوا من حين الى آخر عن رغبتهم في استعمال نفوذهم لمحاولة الوصول الى مسالمة ، فعرض صاحب الجلالة ملك المملكة السعودية العربية وساطته ، بالاشتراك مع ملوك وأمراء العرب الآخرين اذا كان في الامكان تأمين تعاونهم ، ولسوء الحظ استمرت الأحوال تسير في مجرى جعل من المتعذر التقدم تقدما موفقا في هذا السبيل .

وقام صاحب السمو أمير شرق الأردن أيضا ، ومؤخرا قام الجنرال نوري باشا السعيد وزير خارجية العراق بمسعى آخر من هذا القبيل ، غير أن المحادثات المطولة التي جرت بينه وبين الزعماء العرب المشار اليهم انتجت أنهم أصدروا في اليوم الحادي والثلاثين من شهر أغسطس ( آب ) بيانا صرحوا فيه مداومتهم على الاضراب الى أن تتحقق مقاصدهم ، وبالرغم من تدخل الجنرال نوري باشا ، استمرت الأفعال المستنكرة وغيرها من حوادث الاضطرابات الجسيمة تقع يوميا دون توقف ، وبعد امعان النظر الدقيق في الحالة من جميع نواحيها ، اقتنعت حكومة جلالتهم أن حملة العنف والتهديد بالعنف التي يحاول الزعماء العرب التأثير بواسطتها على سياسة حكومة جلالتهم ، لا يمكن السماح بدوامها ، وأن من الواجب الآن اتخاذ اجراءات أسرع وأكثر فاعلية لوضع حد لحالة الاضطراب الحالية بأقل ما يمكن من التأخير وتحقيقا لهذه الغاية وجد من الضروري ارسال نجدات كبرى أخرى الى فلسطين وبناء على ذلك تتخذ التدابير الآن لارسال فرقة من الجنود الى فلسطين .

وبالنظر لكثرة النجدات وما يترتب عليها من المسؤوليات الإضافية تقرر أن يعهد للقيادة بزمام الرقابة العسكرية العليا في البلاد الى لفتنت

جنرال ، ووقع الخيار على اللفتنت جنرال ج.ج. ديل. دي. أس. أو . مدير العمليات والاستخبارات العسكرية في وزارة الحربية سابقا .

ان حكومة جلالتهم تأسف كل الأسف لاضطرارها الى اتخاذ هذه القرارات ، فبريطانيا العظمى قبلت الانتداب على فلسطين بناء على شروط تنطوي على مسؤولية تأمين رفاهية جميع أهالي فلسطين وهي تعتبر هذه المسؤولية كإمانة لا خيار لها في أدائها ، ومما يجدر ذكره في هذا الصدد أن لجنة الانتداب الدائمة كانت قد ذكرت في تقريرها الذي رفعته الى مجلس عصبة الأمم في سنة ١٩٣٠ أن من رأيها أن التأكيدين التاليين يعربان اعرابا صحيحا عما اعتبرته روح الانتداب على فلسطين :

١ - ان الالتزامات المفروضة في صك الانتداب على فلسطين نحو فريقي السكان هي ذات قيمة متساوية .

٢ - وان الالتزامات المزدوجة المترتبة على الدولة المنتدبة ليست غير قابلة للتوفيق بحال من الأحوال .

ان حكومة جلالتهم لعلى اتفاق تام مع روح هذا التصريح الذي أعطي في جنيف ، وهي شديدة الرغبة في السير على سياسة تنطوي على تأمين العدالة بلا محاباة لكل من العرب واليهود ، والعمل على توطيد السلام وتقديم هذه البلاد التي لها مكانة خاصة لدى كلا الشعبين . ان الهدف الدائم للسياسة البريطانية هو تأكيد وصيانة العلاقات الودية والثقة مع الشعوب الاسلامية ، ولهذا السبب بقطع النظر عن كافة الأسباب الأخرى كانت حكومة جلالتهم تود أن تجتنب بكل الوسائل الممكنة خطة العمل التي أرغمت الآن على اتخاذها ، غير أنه لا يمكن لحكومة من الحكومات ، وبخاصة اذا كانت مضطلة بمسؤوليات الانتداب ، أن تبيع لنفسها الحيد عن طريقها بأعمال العنف والأفعال المستنكرة .

ومع هذا لا تزال الحكومة البريطانية تأمل أنه عندما يدرك أولئك الذين يقومون بتكدير صفو السلام في فلسطين ، أن أعمالهم الحاضرة مضرّة بالمصالح الحقيقية لجميع فئات السكان وبالبلاد بأكملها ، وأن الدولة المنتدبة مصممة على ممارسة سلطاتها بلا تحيز وبروح العدل ، يصبح عندئذ في الامكان التثبت مما اذا كان لدى العرب أو اليهود أية ظلمات مشروعة أو مخاوف من جهة المستقبل ، وتقديم التواصي لازالتها بنية تأسيس علاقات ودية وسلمية بين جميع ذوي العلاقة . أن حكومة جلالتهم مقتنعة أن هذه الفايات يمكن الوصول اليها ضمن نطاق الانتداب الذي لا تنوي التخلي عنه ، وحكومة جلالتهم وطيدة الأمل أن اللجنة الملكية ستقدم



تواصي تمكثها من القضاء نهائيا على حالة الشكوك والمخاوف التي يشعر بها كلا الطرفين وان سوء التفاهم والاضطرابات المفجعة التي سادت البلاد خلال الخمسة الأشهر الماضية ستنجلي عن تسوية دائمة (٣٤) .

#### ٦ - تدخل الملوك والرؤساء العرب :

وعلى الرغم من هذا البيان الخطير الذي أرادت به بريطانيا ادخال الفرع الى عرب فلسطين ، وتهديدهم بقواتها العسكرية ، وهي التي لم تأل جهدا منذ أول يوم في العسف بالعرب ، والتنكيل بهم ، على الرغم من هذا البيان استمرت الثورة ، واستمر الاضراب ستة شهور ، وأخذ بالتحديد مائة وستة وسبعين يوما .

أما عرب فلسطين فما ضعفوا وما وهنوا ، وما استكانوا ، على الرغم من النجذات العسكرية العديدة التي كانت تتوالى على فلسطين من قوات الاحتلال البريطاني المربطة في مصر وفي مالطة ، وبرغم قوات الطيران والأسطول .

لم يدعوا لمنشورات بريطانيا تلقيها على معارلهم ، ولم يشنهم الجوع والفقر والأرهاق عن المضي في ثورتهم ، ولم يقلل من تصميمهم الإبعاد والقتل والتفريم وغير ذلك من أساليب التنكيل ، ومضت الثورة عارمة مدمرة .

وفي الأسبوع الثاني من أكتوبر ( تشرين الأول ) سنة ١٩٣٦ أذيعت نداءات ثلاثة بتوقيع الملك عبد العزيز آل سعود والملك غازي الأول ملك العراق ، والأمير عبدالله أمير شرق الأردن وجاء النداء على النحو التالي :

« القدس - بواسطة رئيس اللجنة العربية العليا

الى أبنائنا عرب فلسطين

لقد تألمنا كثيرا للحالة السائدة في فلسطين فنحن بالاتفاق مع اخواننا ملوك العرب والأمير عبدالله ، ندعوكم للاخلاق الى السكينة ، حقنا للدماء ، معتمدين على حسن نوايا صديقتنا الحكومة البريطانية ورغبتها الملنة لتحقيق العدل .

وثقوا بأننا سنواصل السعي في سبيل مساعدتكم (٣٥) » .

(٣٤) فلسطين بين الانتداب والصهيونية ص ١٣٧ - ١٤٢ .

(٣٥) محاضرات في تاريخ قضية فلسطين ، ص ١٨٦ .

وأذاعت اللجنة العربية العليا أنها قررت بالاجماع وبعد استشارة اللجان القومية وموافقتها باتفاق الآراء ، أن تلبي نداء أصحاب الجلالة ملوك العرب وسمو الأمير بالبيان المنشور أعلاه ، وأن تدعو الأمة العربية الكريمة في فلسطين للاخلاق الى السكينة وانهاء الاضراب والاضطرابات ، ابتداء من صباح الاثنين المبارك الواقع في ٢٦ رجب ١٣٥٥ هـ تشرين الأول ١٩٣٦ م وبأن يبكر افراد الأمة الكريمة في صباح ذلك اليوم الى معابدهم لاقامة الصلاة على أرواح الشهداء ، ورفع الشكر لله تعالى على ما ألهمهم من صبر وجلد ، ثم يخرجوا الى فتح مخازنهم وحوانيتهم ومزاولة اعمالهم ، والله ولي التوفيق .

ان بيانا صغيرا صدر عن ثلاث شخصيات عربية هم ملكا السعودية والعراق وأمير شرق الأردن ، استطاع أن يفتح محلات العرب ، ويعيد موظفيهم الى اعمالهم ، ويحيل الاضراب الى عمل والى انشاء ، بعد أن عجزت بريطانيا بقواتها وسلاحها ومنشوراتها أن تفعل ذلك .

وان التاريخ ليردد بألم ومرارة تلك العبارة التي تضمنها بيان هؤلاء الكبار المذاع على عرب فلسطين من أنهم « يعتمدون » على حسن نوايا صديقتنا الحكومة البريطانية ورغبتها الملنة لتحقيق العدل . فكيف كانت بريطانيا تحمل وجه الصديق في قضية فلسطين ، وهي صاحبة معاهدة سايكس - بيكو التي قسمت بها البلاد العربية بينها وبين فرنسا ؟ وهي مانحة وعد بالفور الذي وعد بانشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ؟ وهي واضعة صك الانتداب الذي حتم أن تكون فلسطين في وضع اقتصادي وسياسي واجتماعي يكفل انشاء وطن لليهود فيها ؟ وهي صاحبة الحكم الذي يمثل المندوب السامي في فلسطين حيث اغتصب الاراضي من أصحابها العرب ، وطرد الفلاحون من قراهم تحت سياط الجنود ورصاصهم ؟ وهي فارضة القوانين التي أثقلت كاهل العرب بالضرائب ، وجعلت تملك الاراضي لليهود حقا يؤيده القانون وأحييت ثم انعشت بها صناعة اليهود ، وأذابت تجارة العرب ؟ وهي صاحبة الجيوش التي سلطت على القرى العربية تفتشها وترهبها ، وتعدم شبابها وترمل نساءها ؟ وهي التي صرح وزير مستعمراتها عام ١٩٣٥ في حفل صهيوني بلندن :

«اني فرح جدا لأن اقترح هجرة اليهود الى كينيا قد اخفق، وبصفتي وزير المستعمرات اشكر الذين رفضوا اقتراح كينيا ، فنبوءة وايزمان قد تحققت ، وعاد اليهود الى بلادهم ، ولو لم يعط وعد بالفور منذ ١٨ سنة



لاعطيناه اليوم» (٣٦) ، هذه هي بريطانيا التي اعتمد بعض العرب على صداقتها عام ١٩٣٦ ، والتي اشدوا برغبتها في تحقيق العدل ، أنه لبيان جدير ان يقابل بالسخرية والامتهان ، وأن يقرن بروح الضعف وقلة الحيلة والواقع المرير، اذ اتخذ وسيلة لوقف ثورة عجزت بريطانيا عن اخمادها .

اما شعب فلسطين فقد هذا قليلا ، ولا يلام على هذا الهدوء القليل ، فما كان له أن يقطع الصلة بملوك العرب وأمير الاردن ، وهو الشعب الصغير المنعزل في فلسطين ، في مواجهة قوات عالية كبيرة ، وأنه لجزء من الامة العربية التي حيل بينه وبينها ، وأنه لمدر ك أنه اذا لم يستمع الى هذا النداء بعد أن ثار وأضرب ستة اشهر كاملة ، أقامت عليه الاجيال التالية حجة أنه رفض وساطة عليا بذلت من جانب بعض الملوك العرب لتسوية القضية الفلسطينية تسوية ترضي مطالب الشعب العربي في فلسطين، وأن النكسة التي اصابت هذه القضية مردها الى رفض العرب وساطة ملوكهم .

غير أنه من انقاص التاريخ أن نتحدث دائما عن تاريخ فلسطين فنشيد بثورة ١٩٣٦ ونصمت عن غيرها ، كأنها خاتمة المطاف عند عرب فلسطين ، وكأن شهورها الستة كانت الأخيرة في جهادهم . الواقع أن تلك الثورة الخالدة امتدت بسرعة طوال سنوات ٣٧ ، ٣٨ ، ١٩٣٩ والى أن أعلنت الحرب العالمية الثانية ، وبذلك تكون ثورة فلسطين أستمريت أربع سنوات ، ولم تهدأ الا قليلا نتيجة تدخل ملوك العرب ، حتى اذا أستمعوا الى بيان وزير المستعمرات البريطاني في مجلس العموم يعلن اعطاء الجمعية الصهيونية حق ادخال ١٨٠٠ شاب يهودي (٣٧) ، بدأ هدوءهم يتحول الى تحرك ، وراوا أن مقاطعة اللجنة البريطانية الموفدة للتحقيق يجب أن يكون المظهر الاول لغضبهم بسبب استمرار الهجرة اليهودية ، وأن يمتنعوا عن استقبالها وحضور الحفلات ومراسم الترحيب التي تقام لها (٣٨) .

وسرعان ما تدخل الأمير عبدالله يطلب اليهم ضرورة لقاء اللجنة وايضاح مطالب العرب أمامها ، ونهج هذا النهج الملك غازي ملك العراق ، فبعث برسالة تحمل تاريخ ٣ يناير ( كانون الثاني ) يطلب تعاون العرب مع اللجنة ، وما لبثت اللجنة العربية العليا أن تلقت رسالة من الملك عبد العزيز آل سعود يحملها الوفد المبعوث اليه وكانت تتضمن ما يلي :

(٣٦) القضية الفلسطينية ، ص ٩٥ .

(٣٧) جريدة الاهرام ٧ من نوفمبر ١٩٣٦ .

(٣٨) جريدة الاهرام ٢٥ من نوفمبر ١٩٣٦ .

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل الى حضرة صاحب السماحة الحاج أمين الحسيني رئيس اللجنة العربية العليا حفظه الله تعالى : -

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . فلقد وصل الينا وفد اللجنة العربية العليا وعرض علينا الموقف الحاضر في فلسطين ، والاسباب التي حملت لجننتكم على مقاطعة اللجنة الملكية ، وبعد استماعنا لكل ما أبداه الوفد الكريم من مبررات لموقف لجننتكم وبالنظر لما لنا من الثقة بحسن نية الحكومة البريطانية في انصاف العرب ، فقد رأينا أن المصلحة تقضي بالاتصال باللجنة الملكية والادلاء اليها بمطالبكم العادلة لأن ذلك أضمن لحقوقكم ، وأدعى لمساعدة أصدقائكم في حسن الدفاع عنكم .

وقد أبدينا للوفد الكريم جميع ما لدينا من الآراء في ذلك ، ونحب أن تكونوا على ثقة بأننا لا نألو جهدا في سبيل مساعدتكم لاصلاح الحال ، بقدر امكاننا ، وانا لنترجو من الله أن يوفقنا جميعا لما فيه الخير للسلام والعرب ، وأقبلوا احتراماتنا الفاتكة (٣٩) .

عبد العزيز

#### ٧ - البيان العربي أمام اللجنة الملكية البريطانية :

وتحت هذا الالاح المكي ، وجد عرب فلسطين انفسهم مضطرين الى أن يقدموا ايضاحاتهم الى اللجنة البريطانية ، وهم الذين خبروا لجان بريطانيا وأدركوا تفاهة نتائجها ، ولعل من صدق التاريخ أن ثبت جزءا من بيان الحاج أمين الحسيني رئيس اللجنة العربية العليا الذي القي أمام هذه اللجنة في ١٢ يناير ( كانون الثاني ) ١٩٣٧ فان فيه كثيرا مما يتعلق بتاريخ العرب قبل الانتداب وبعده :

« لقد كان العرب يؤلفون جزءا مهما من كيان الدولة العثمانية ، ومن الخطأ أن يقال ان العرب كانوا تحت نير عبودية الأتراك ، وان نهضتهم ومساعدة الحلفاء لهم في الحرب العامة انما كانت ترمي الى تحريرهم من ذلك النير ، فقد كانوا في الحقيقة يتمتعون في كيان الدولة العثمانية بجميع انواع الحقوق التي كان يتمتع بها الأتراك سياسية كانت أو غير سياسية ، وذلك بحكم الدستور الذي وضع أساس حكم واحد لجميع البلاد والعناصر التي كان يتألف منها كيان الدولة العثمانية .

وكان العرب يشاطرون الأتراك جميع مناصب الدولة العثمانية

(٣٩) فلسطين بين الانتداب والصهيونية ، ص ١٨٠ .



المدنية والعسكرية فكان منهم وزراء ورؤساء وزارات وقواد فيالق وفرق وسفراء وولاة ومتصرفون ، كما كان في مجلس النواب والأعيان العثماني عدد كبير من الأعضاء العرب بنسبة أعدادهم وفقا للدستور وقانون الانتخاب العثماني .

وفوق ذلك كانت البلاد العربية تدار بحكم يستند على مجالس ادارية ومجالس عمومية في الاقضية والالوية والولايات وكان لهذه المجالس صلاحيات واسعة في الادارة والمالية والتعليم والعمران . وضعت الحرب أوزارها على أساس مبادئ الرئيس ولسون ، ومنها مبدأ تقرير المصير لكل أمة حسب رغبتها أو اختيارها ، وأذاع اللورد اللبني في هذه البلاد بيانا في ٨ نوفمبر ١٩١٨ في جميع مدن فلسطين وقراها جاء فيه « ان الغاية التي رمى اليها الحلفاء من خوض غمار الحرب في الشرق هي تحرير الشعوب التي هي تحت حكم الأتراك وتأسيس حكومات وطنية تستمد سلطاتها من رغبة السكان الوطنيين ومحض اختيارهم ، وانه ليس لبريطانيا العظمى ولا لفرنسا أي مقصد في وضع نظم خاصة لحكومات هذه الاقطار .

ومما تحسن الإشارة اليه في هذا الموقف أن اللورد اللبني اعترف صراحة للوفد الفلسطيني العربي في لندن سنة ١٩٢٢ بما يأتي « ان فلسطين مقصودة في هذا البيان مثل سائر البلاد السورية والعراقية » .

وبعد أن تحدث رئيس اللجنة العربية عن خيبة الأمل من صك الانتداب الذي وضعته بريطانيا وتكرها ليهودها قال :

« سارت الحكومة البريطانية التسعة عشر عاما الماضية بطولها على تلك السياسة التي أضرت الكيان العربي أعظم الضرر ، اذ هبطت نسبة العرب العددية التي كانت ٩٣٪ في بدء الاحتلال الى ٧٠٪ اذ مكن لليهود من الاستيلاء على قسم وافر من أخصب الأراضي العربية ، وتم تشريد مزارعيها ، ومحو القرى العربية التي كانت أهلة فيها وخبب كل أمل للعرب في الاستقلال ، ولم يترك عرب فلسطين طيلة هذه التسعة عشر عاما وسيلة من وسائل الشكوى والاحتجاج ومراجعة الحكومات المتوالية في فلسطين ولندن وجامعة الأمم ، وقد أوفدوا الى لندن خمسة وفود لهذه الغاية .

ان الاصرار على هذه السياسة ليس في مصلحة أحد ، وأن مما يؤلم العرب كثيرا أن يروا الحكومة البريطانية ممعنة في ظلمهم ، والاجحاف بحقوقهم وتعريض كيانهم القومي للاضمحلال ، وهي تخضع للمطامع

اليهودية في جميع الشؤون وتمنح اليهود الامتيازات الخطيرة المتحكمة في حياة البلاد ومستقبلها وتعاملهم معاملة المحابة والتحيز في الشؤون الاقتصادية ، وتحمي مصنوعاتهم بالجمارك بصورة غير عادية وتوزيع الضرائب وغيرها .

وبصورة مجملية يؤلم العرب كثيرا أن يروا هذه الروح الاستعمارية الصهيونية هي المسيطرة على فروع الادارة والتشريع والاقتصاد في البلاد ، مما يخالف مبادئ الحق والعدالة » .

ثم ختم رئيس اللجنة بيانه بتحديد المطالب الوطنية وقال :

« وأخيرا فان العرب لا يرون أية فائدة أو أمل من اصلاح في ادخال تغييرات ثانوية ، لأن الداء انما هو في الأساس ، وما لم يعالج الأساس معالجة صحيحة فان الداء يظل مستفحلا والشر متفاقما ، وفي اعتقاد العرب أن المعالجة الأساسية والصحيحة هي في :

١ - العدول عن تجربة الوطن القومي اليهودي الفاشلة التي نشأت عن وعد بالفور ، واعادة النظر في جميع النتائج التي نتجت عنها ، والتي ألحقت الأضرار والأخطار بكيان العرب وحقوقهم .

٢ - ايقاف الهجرة اليهودية ايقافا تاما وفورا .

٣ - منع انتقال الأراضي العربية منعا باتا وحالا .

٤ - حل قضية فلسطين على الأسس التي حلت عليها قضايا العراق وسوريا ولبنان ، بانهاء عهد الانتداب ، وعقد معاهدة بين بريطانيا وفلسطين ، وتقوم بموجبها حكومة مستقلة وطنية ذات حكم دستوري ، تمثل فيها جميع العناصر الوطنية ، ويضمن للجميع فيه العدل والتقدم والرفاهية ، والنتيجة فان سياسة انشاء وطن قومي يهودي في هذه البلاد العربية من طبيعتها أن تؤدي الى استمرار القلق والاضطرابات ، وتجعل هذه البلاد المقدسة وطنا دائما للفتن ، بينما هي أحق بلاد العالم بالسلام والطمأنينة » (٤٠) .

(٤٠) المصدر السابق ، ص ١٨٢ - ١٨٩ .



## لكي لا ننسى ...

« ليس ثمة فرع من فروع الإدارة لا تتدخل فيه الوكالة اليهودية ،  
والمادة الرابعة من صك الانتداب تخولها ذلك ، والمركز الممتاز الذي تتمتع  
به يزيد من حدة خصومة العرب .

لقد كانت اللجنة العربية العليا مسئولة عن مواصلة الاضراب ،  
وتمديد أجله ، ويجب أن يتحمل مفتي القدس بصفته رئيسها قسطه  
الوافي من المسؤولية .

ان التقسيم يفسح مجالا لتوطيد السلام الأمر الذي لا يتحجه أي  
مشروع آخر » .

من تقرير لجنة بيل ١٩٣٧

« ليس في الوطن العربي أقسام للمنع ، فمن شاء فليهب من ماله  
ومن أراد فليمنح من ملكه الخاص » .

اللجنة العربية العليا ١٩٣٧

« لقد أوفى الانتداب بوعده أعطي تحت ظروف الحرب ، أما اقتراح  
التقسيم فهو انقلاب لا يجوز أن يجريه الأوصياء دون موافقة شعب  
فلسطين الذي ليس هو بالساذج المفتقر الى الوصي ، ولا بالعاجز عن  
اتخاذ قرار » .

مستر ريد عضو لجنة بيل والمعارض لها ١٩٣٧

« ان ما يملكه اليهود في الدولة العربية ( لو قسمت فلسطين ) ضئيل  
يقارب ٩٢ ألف دونم ويملك العرب أربعة أخماس الدولة اليهودية » .

اللجنة الفنية الملكية عام ١٩٣٨

« لقد تحدثت المارشال وايفل ، وكتبت الى دكتور وايزمان بتأليف  
جيش يهودي ولم يتحرك .... عربي واحد » .

« تشرشل »

« ان كثيرين من المشتغلين بالحركة العربية الفلسطينية ، انما يشتغلون  
بحافز الشعور الوطني الصادق ، ان الكثيرين منهم قد اضطروا الى ركوب  
المخاطر ، والمجازفة بأرواحهم في سبيل بلادهم ... ولو كنا مكان العرب  
لما أحجمنا عن أي تضحية بأي فائدة مادية لقاء الحرية المهددة » .

وزير المستعمرات في مجلس العموم البريطاني ١٩٣٨

« كثيرا ما لوح أمام العرب بالاستقلال في صور شتى ، لكنه لم  
يتحقق شيء قط ، وكانت آمال العرب تحيا كل سنتين لتعود فتتحطم  
على صخور الخيبة » .

جمال الحسيني بمؤتمر لندن ١٩٣٩

سأحمل روجي على راحتني	والقي بها في خضم الردى
فاما حياة نسر الصديق	وأما ممات يقيظ العدا
ونفس الابي لها غايتان	بلوغ المنايا ونيل المني

الشهيد الفلسطيني عبد الرحيم محمود

فلسطين سلام الله يسري	على تلك المشارف والبطاح
ام القدس والتاريخ دام	ويومك مثل أمسك في الكفاح
ولا تعني بنا انا بكاة	نمدك بالعويل وبالصياح

الشاعر العراقي الجواهري يكبر جهاد فلسطين

« ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص »  
قرآن كريم



## الفصل السابع

### لجنة بيل تقترح تقسيم فلسطين

#### ١ - تقرير اللجنة يفيض بالحباة المائلة لليهود :

تجسّمت انفعالات العرب حين نشر تقرير لجنة « بيل » الملكية في ٧ يوليو ( تموز ) ١٩٣٧ تلك التي قيل أنها باحثة عن الحقيقة ، وكان تقريرها ينادي بوجوب تقسيم فلسطين بين العرب واليهود ، وفرض انتداب على منطقة القدس ، وضم القسم العربي الى امانة شرق الأردن ، ولأول مرة يسمع العرب في تقرير رسمي وجوب اعلان دولة يهودية في ارضهم ، وهو التطور الطبيعي لفكرة الوطن القومي ، والسياسة التدريجية التي سلكتها بريطانيا وأيدتها الصليبية الدولية ، فبعد عشرين عاما من دخول بريطانيا الى فلسطين ، تبين لها أن الثوب الذي نسجت خيوطه قد أوشك على التمام ، وأنه يصلح لأن تلبسه الصهيونية فتقيم لنفسها دولة في فلسطين ، وأن يلبسه العرب فيتخلوا عن ارضهم ويقصوا عن بلادهم .

وعلى طول هذه السنين العشرين التي لم يهدأ فيها عرب فلسطين ، ولم يصمتوا ، كانت بريطانيا تجابه ثوراتهم بالقمع ، وتحارب تحركاتهم بالارهاب ، وتحاول أن تقنعهم أن خوفهم من هجرة اليهود هو خوف لا مبرر له ، وأن صراخهم من الهجرة اليهودية احجام عن بذل جزء من انسانياتهم لمساعدة شعب لا يطلب الا المأوى .

ولكن الثورة العارمة والاضراب الشامل الذي عاشه الشعب الفلسطيني خلال عام ١٩٣٦ ، كل ذلك دفع ببريطانيا الى أن تفصح عن نواياها ، وأن تعلن بلسان لجنّتها الملكية عن فكرة تقسيم فلسطين الى ثلاثة أجزاء بين العرب واليهود والانجليز ، وأن يتبين بوضوح وجلاء أن هدف الوطن القومي اليهودي هو انشاء دولة يهودية ، تقول اللجنة : (١)

(١) تقرير اللجنة الملكية لفلسطين : مطبعة حكومة فلسطين ومطبعة دير الروم القدس ١٩٣٧

« ان الروح القومية عند العرب هي شديدة القوة ، كما هي الحال عند اليهود ، وقد ظل ما يطلبه الزعماء العرب من تأسيس حكومة ذاتية وطنية ، وقفل باب الوطن القومي اليهودي ثابتا لم يطرأ عليه تغيير منذ سنة ١٩٢٠ والروح القومية عند العرب كالروح القومية عند اليهود ، ينفذها النظام التعليمي ونمو حركة الشبان ... » الخ .

ان وضع حكومة فلسطين بين الشعبين المتنافرين ليس بالوضع الذي تحسد عليه ، فهناك هيئتان متنافستان هي اللجنة العربية العليا المتساندة مع المجلس الاسلامي الأعلى من جهة ، والوكالة اليهودية المتساندة مع المجلس الملي اليهودي من جهة أخرى ، وهاتان الهيئتان تستطيعان اكتساب ولاء العرب واليهود الطبيعي أكثر مما تستطيعه حكومة فلسطين ، والجهود الصادقة التي بذلتها الحكومة لمعاملة كلا العنصرين بدون تحيز ( كذا ) لم تؤد الى تحسين العلاقة بينهما ، كما أن استمالة المقاومة العربية لم تنجح ، ولقد أثبتت حوادث السنة الماضية ان الاستمالة لا تجدي نفعا ، وقد كان الحل الوحيد للمعضلة الذي تقدمت به اللجنة العربية العليا هو تشكيل حكومة عربية مستقلة في الحال ، وأن يترك لهذه الحكومة أمر معاملة الأربعمئة ألف يهودي الموجودين في البلاد على الوجه الذي تستصوبه ، والجواب على ذلك أن الثقة بحسن نية الحكومة البريطانية لن تزداد في أية ناحية من أنحاء العالم فيما لو سلم الآن أمر الوطن القومي اليهودي للحكم العربي .

وقد اكدت الوكالة اليهودية والمجلس الملي اليهودي ان في الامكان حل المعضلة عن طريق تطبيق الانتداب بحذافيره تطبيقا حازما على أساس مطالب اليهود ، وذلك بأن لا يوضع قيد جديد على الهجرة وأن لا يكون هنالك ما يمنع ضرورة أكثرية يهودية في فلسطين مع مرور الزمن . والجواب على ذلك أنه لا يمكن تنفيذ هذا الا باللجوء الى القوة ولا يحتمل توريط الرأي العام البريطاني او اليهودي في اللجوء الى استعمال القوة الا اذا اقتنع بعدم وجود وسيلة أخرى « (٢) » .

ان هذا الذي أثبتناه في هذه الصفحة هو جزء من تقرير اللجنة البريطانية التي طالما نوهت بها منشورات بريطانيا الى المجاهدين ، أن أوقفوا ثورتكم ، وحلوا اضرابكم ، وأعطوا اللجنة الملكية فرصة الاطلاع لتقول كلمتها دون تحيز .

وبعد دراسة طويلة أصدرت اللجنة تقريرها ، فاذا بها تعترف اول

(٢) فلسطين بين الانتداب والصهيونية ، ص ١٩١ - ١٩٣ .



ما تعترف بأن العرب لم تشهم سنوات الانتداب البريطاني وضراوته عن مطلبهم الأصيل منذ عام ١٩٢٠ ، وهو استمرار فلسطين جزءا من الوطن العربي ، وتأسيس حكومة وطنية ، وقفل باب الوطن القومي اليهودي . ولا مرأ أن هذا المطلب يتمشى مع روح الحق والعدالة ، فلكل شعب الحق في تقرير مصيره ، ولكل شعب الحق في أن يحكم نفسه .

ولكن بريطانيا لا ترى العرب في فلسطين يمثلون شعبا لها ، انها فتحت أبوابها لأناس غرباء ، واعتبرت كل يهودي ذا حق في أن يكون من شعب فلسطين ، ولهذا ذكرت اللجنة أن في فلسطين « شعبين متنافرين » متناسية أن أحد الشعبين يملك الأرض والماء والسماء في فلسطين منذ عهود غابرة في التاريخ ، ثم منذ ألف وثلاثمائة عام على التوالي ، ومتناسية أن الشعب الآخر هو شعب زرع في فلسطين ، استقدمته بريطانيا من خارج حدودها ليكون صاحب الأرض ، وليشرد العرب من أرضهم .

ولا تجد هذه اللجنة غضاظة ولا تستشعر حياء حين تقول :

« أن الجهود الصادقة التي بذلتها الحكومة لمعاملة العنصرين بدون تحيز لم تؤد الى تحسين العلاقة بينهما » .

ولم يرد في قواميس اللغات ولا في مفاهيم الحكم أن عدم التحيز يعني ادخال اجانب معادين على وطن شعب آمن في بلده ، وان عدم التحيز يعني اغتصاب الأرض وسن القوانين لطردها أهلها ، وتسليط الرصاص والمدافع على جموعهم لتعطى أرضهم لليهود ، وان عدم التحيز يعني نصب المشائق وتنفيذ الاعدام لأوهى الأسباب ، وتجميد امكانيات الشعب العربي والعمل على ارهاقه وافلاسه في سبيل تنمية المشروعات اليهودية وتمكين المال اليهودي من السيطرة والتحكم .

لم يرد في عرف الانسانية الطويلة التاريخ أي تعريف من هذه المعاني للتحيز الا في عرف الانتداب البريطاني في فلسطين .

ثم يتضح التحيز ، لا عدم التحيز في تلك السطور نفسها التي اثبتناها من تقرير اللجنة نفسها وفيها انها لا تستطيع ان تستجيب لمطلب العرب في خلق حكومة عربية ، لأن ذلك يفقد الثقة بحسن نية بريطانيا ازاء الوطن القومي اليهودي ، وهي هنا تتناسى عهود بريطانيا للشريف حسين ومواثيقها المسهبة العديدة في خلق دولة عربية من سيناء الى مرسين ، تلك العهود وهذه المواثيق لا يؤبه لها ولا تشغل اللجنة التي لم تجد مانعا يمنع اجابة مطلب اليهود الذين يرون امكان حل المعضلة في تنفيذ الانتداب على أساس

مطالب اليهود الا شعورها بضرورة الالتجاء للقوة في سبيل ذلك ، ولا ترى الالتجاء الى القوة الا حين يقتنع الرأي العام بأنها الوسيلة الوحيدة لذلك .

ولقد برهنت الأيام التالية أن بريطانيا استجابت لليهودية العالمية ، ورأت لجنتها أن القوة هي السبيل الوحيد ، فلقد استعملتها مع شعب فلسطين بجميع فظائرها وشدتها وأهوالها .

وتحدثت اللجنة بعد ذلك عن الوكالة اليهودية فقالت :

« ليس ثمة فرع من فروع الادارة لا تتدخل فيه الوكالة اليهودية ، ولا يصح أن تكون الوكالة موضع انتقاد بسبب ذلك ، فالمادة الرابعة من صك الانتداب تخولها حق ابداء المشورة والتعاون مع الحكومة في كل امر من الأمور التي تمس مصالح السكان اليهود تقريبا ، وهي شكل حكومة موازية تقوم الى جانب حكومة الدولة المنتدبة والمركز الممتاز الذي تتمتع به يزيد من حدة خصومة العرب » .

وتمضي اللجنة في تقريرها مستكثرة على العرب حتى المنصب الديني او الادارة الدينية التي بقيت لهم في عهد الانتداب ، والتي كانت هي المظهر الوحيد الذي يجمعهم وسط وطنهم المهدد ، وتصيب اللجنة جام غضبها على اللجنة العربية ، وعلى رئيسها مفتي فلسطين فتقول :

« لقد كانت اللجنة العربية العليا مسئولة لدرجة كبيرة عن مواصلة الاضراب في السنة الماضية وتمديد اجله ، ويجب أن يتحمل مفتي القدس بصفته رئيسا لهذه اللجنة قسطه الوافي من المسؤولية ... والوظائف التي جمعها المفتي في نفسه واستعماله لتلك الوظائف ، أدى الى انشاء حكومة عربية ضمن حكومة ، ويمكن وصفه بأنه رئيس حكومة موازية ثالثة ... (٣) » .

ان الحكومة المنتدبة قد قامت تمام القيام بتنفيذ الالتزام المترتب عليها لتسهيل انشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين ، كما يشهد بذلك وجود ٤٠٠.٠٠٠ من السكان اليهود فيها » .

وتستمر هذه اللجنة الملكية البريطانية في مغالطتها التاريخية ، لتقلب الحجج وتهدم المنطق ، ولتعلن أن منع الهجرة لا يحل مشكلة فلسطين ، وكان الذي يحلها هو دوام الهجرة :

(٣) الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين ، ص ٢٠٣ - ٢٨٢ .



« الوطن القومي تعتمد حياته الاقتصادية الى حد بعيد على دوام المهاجرة ، وقد وظف فيه مقدار كبير من رؤوس الأموال بدافع افتراض دوام المهاجرة ، ان وضع القيود على الهجرة اليهودية لا يحل مشكلة فلسطين ، فالعرب أصبحوا يعتبرون الوطن القومي وهو في حالته الحاضرة أكبر مما يجب أن يكون .

من المسلم به أن عرب فلسطين يصلحون لحكم أنفسهم ، كعرب العراق أو سوريا ، ثم ان يهود فلسطين يصلحون لحكم أنفسهم بأنفسهم كأي شعب منظم مثقف من شعوب أوربا ، غير أنه بالنظر لكون هذين الشعبين خاضعين معا لانتداب واحد ، فمنح الحكم الذاتي لكليهما معا أمر غير عملي .

ثم قالت اللجنة بصراحة :

« لا يمكن حل المشكلة بمنح العرب أو اليهود كل ما يصبون اليه ، وإذا سئل من من الشعبين سيحكم فلسطين في النهاية فجواب السؤال يجب أن يكون « لا هذا ولا ذاك » ، فليس ثمة سياسي منصف يسعه أن يفكر في تسليم الأربعمئة ألف يهودي الذي سهلت الحكومة البريطانية دخولهم الى فلسطين بموافقة عصبة الأمم الى الحكم العربي ، أو في تسليم مليون عربي الى الحكم اليهودي فيما لو أصبح اليهود الأغلبية في البلاد . . .

ولا ريب في أن فكرة التقسيم قد بحث فيها فيما مضى كحل للمشكلة ثم أهملت لصعوبتها . . فالتقسيم يفسح مجالا لتوطيد السلام في النهاية الأمر الذي لا يتيح أي مشروع آخر » .

ثم تمضي اللجنة الى تحديد المناطق المراد ادخالها في الدولة اليهودية ، والمناطق الأخرى المراد ادخالها للدولة العربية ، والتي سوف تبقى على الدوام تحت الانتداب .

ولا ريب أن من يطلع على خريطة التقسيم يتضح له التناقض بين اقتراح اللجنة بالدولة اليهودية وحجمها الصغير ، وإلى اعترافها باستمرار الهجرة اليهودية على الدوام ، إلا إذا أدركنا أن المقصود بالتقسيم إنما هو إجراء مرحلي ، تعود بعده الدولة اليهودية بمساعدة الانتداب لالتهام الدولة العربية الفقيرة المرهقة .

واننا لنجد في التصريحات الخطيرة التي نشرت في الصحف اليهودية بفلسطين خلال شهر أغسطس ( آب ) ١٩٣٧ وبعد نشر تقرير اللجنة بنحو ثلاثين يوما ، ما يثبت أن فكرة التقسيم ليست الا تمهيدا بريطانيا لاستيلاء

اليهود على كل فلسطين .

يقول الدكتور وايزمان :

« ان عضوا من أعضاء اللجنة الملكية البريطانية طلب لقاءه » .

واختار وايزمان أن يكون اجتماعهما في مستعمرة « نخلال » بين الناصرة وحيفا .

« ان هذا العضو بسط له أنه وزملاءه يقدرّون الجهود التي يبذلها اليهود في فلسطين ، وأنهم يرون أن التوصية التي سيضعونها في تقريرهم لا تستوي بوجه من الوجوه مع المطالب الحققة العادلة التي يطلبها الشعب اليهودي ، ولا مع الالتزامات التي في عنق بريطانيا لليهود ، وأن خطة التقسيم هي بمثابة نقطة تحول أو انتقال من دور الى دور ، وهي تتضمن من الوسائل ما يتمكن به اليهود من أن يتوسعوا توسعا عظيما في المستقبل في فلسطين » .

## ٢ - اللجنة تستغل لقاء فيصل ووايزمان :

ولكن هذه اللجنة وهي تدرك انها تقترح سلب جزء من الوطن العربي واعطاءه الى شعب غريب مستجلب ، تشير في خبث الى اتفاق خطير طالما تشدق به اليهود والاستعماريون وتقول :

« لقد سبق لرجال الساسة العرب أن رضوا بالتنازل عن فلسطين صغيرة لليهود ، بشرط أن تكون بقية آسيا حرة ، غير أن هذا الشرط لم ينفذ في ذلك الحين ، وها هو الآن على وشك التنفيذ ، ففي غضون أقل من ثلاث سنوات تصبح كافة المنطقة العربية الواسعة الواقعة خارج فلسطين بين البحر المتوسط والأقيانوس الهندي مستقلة ، كما ان القسم الأكبر من فلسطين سيصبح مستقلا أيضا اذا نفذ مشروع التقسيم » .

وهي حين تشير الى أن الساسة العرب سبق لهم أن وافقوا على فلسطين يهودية ، تقصد بذلك الاتفاق بين الأمير فيصل حين كان أكبر ناطق باسم العرب في سنوات ١٨ ، ١٩ ، ١٩٢٠ ، والدكتور حاييم وايزمان رئيس الوكالة اليهودية .

ويعتبر تصريح وزير المستعمرات البريطانية في بيانه الذي لقيه أمام مجلس العموم البريطاني في ٢٤ نوفمبر ( تشرين الثاني ) ١٩٣٨ تفسيراً لتلك العبارة التي جاءت في تقرير اللجنة وذلك حين قال :



« ليس من الصعب على زعماء العرب واليهود أن يصلوا الى اتفاق فيما بينهم ، فلقد مرت قبل عشرين عاما برهة ظن فيها أن مثل هذا الاتفاق لم يكن ممكنا فحسب ، بل هو في حيز الوجود ، فلقد عبر عندئذ الدكتور وايزمان بالنيابة عن الجمعية الصهيونية نهر الأردن وقابل الأمير فيصل في سرادقه المضروب في الصحراء ، يحيط به مضيفوه العرب ، وبعد أشهر وقع هذان الرجلان اتفاقا يتعلق بفلسطين ، فالى مثل هذه الصلة بين العرب واليهود نود أن نعود الآن (٤) » .

وقد تعرض لاتفاقية فيصل - وايزمان عديد من الباحثين ونشروا نصوصها دون اختلاف يذكر (٥) .

بدأت القصة عندما وصل الدكتور وايزمان الى القدس في ابريل ( نيسان ) ١٩١٨ على رأس وفد اللجنة الصهيونية التي كان يصحبها الماحور اورميس جور كضابط اتصال مع اللجنة الصهيونية ( وزير المستعمرات بعدئذ ) واغتنم وايزمان الفرصة ، فقصده يوم أول يونيو ( حزيران ) الى العقبة وزار الأمير فيصل في ٥ من يونيو ( حزيران ) ١٩١٨ وبسط له أغراض الصهيونية ، ورغبته في التعاون مع العرب (٦) ، فكان الأمير كثير الحذر كما تقول المصادر الصهيونية ولم يبد رأيا حاسما .

وفي باريس عام ١٩١٨ استقبل الأمير الزعيم اليهودي سوكولوف الذي طلب من الأمير أن يظهر عطفه على القضية اليهودية ، فصرقه بلطف ، ولما سافر الأمير الى لندن زاره عظماء اليهود الانجليز الفريد موند والسير هربرت صموئيل واللورد بركنهد ( وزير الحقانية البريطانية ) وتظاهروا أمامه بالعطف على القضية العربية ، مبدين استعدادهم لمساعدتها وطلبوا اليه أن يوقع بيانا كتبوه باللغة الانجليزية ، وقالوا له انه ينطوي على اظهار العطف على فكرة الوطن القومي ، فوقعه الأمير باللغة العربية بعد أن كتب عليه تحفظا يقول فيه « مشترطا أن ينال العرب استقلالهم من رفح حتى طوروس وخليج العجم » ويقول اليهود أن ما وقع عليه الأمير فيصل كان

(٤) الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين ، ص ٢٧٤ .

(٥) الثورة العربية الكبرى ، ج ٣ ص ٤٧ .

وانظر ايضا : دكتور جلال يحيى : مشكلة فلسطين والاتجاهات الدولية ، منشأة المعارف الاسكندرية عام ١٩٦٥ ، ص ٤١ - ٤٦ .

انظر ايضا : فلسطين بين الانتداب والصهيونية ، ص ١٣ .

وانظر ايضا :

ANTONIUS GEORGE, THE ARAB AWAKENING P.P. 437. 439.

(6) WEIZMANN, P.P. 290, 294.

ينطوي على اتفاقية نشروا نصوصها كما يلي :

« ان صاحب السمو الملكي الأمير فيصل ممثل المملكة العربية الحجازية والقائم بالعمل نيابة عنها والدكتور حاييم وايزمان ممثل المنظمة الصهيونية والقائم بالعمل نيابة عنها ، يدركان القرابة الجنسية والصلات القديمة القائمة بين العرب والشعب اليهودي ويتحققان أن ضمن الوسائل لبلوغ غاية أهدافهما الوطنية هو في اتخاذ أقصى مدى من التعاون في سبيل تقدم الدولة العربية وفلسطين ، ولكونهما يرغبان في زيادة توطيد حسن التفاهم الذي يقوم بينهما فقد اتفقا على المواد التالية :

١ - يجب أن يسود جميع العلاقات والتزامات الدولة العربية وفلسطين أقصى النوايا الحسنة والتفاهم المخلص . وللولصول الى هذه الغاية تؤسس ويحتفظ بوكالات عربية ويهودية معتمدة حسب الأصول في كل بلد منهما .

٢ - تحدد بعد اتمام مشاورات مؤتمر السلام مباشرة الحدود النهائية بين الدولة العربية وفلسطين من قبل لجنة يتفق على تعيينها من قبل الطرفين المتعاقدين .

٣ - عند انشاء دستور ادارة فلسطين تتخذ جميع الاجراءات التي من شأنها تقديم اوفى الضمانات لتنفيذ وعد الحكومة البريطانية المؤرخ في ٢ نوفمبر ( تشرين ثاني ) ١٩١٧ .

٤ - يجب أن تتخذ جميع الاجراءات لتشجيع الهجرة اليهودية الى فلسطين على مدى واسع والحث عليها وبأقصى ما يمكن من السرعة لاستقرار المهاجرين في الأرض ، عن طريق الاسكان الواسع والزراعة الكثيفة ، ولدى اتخاذ مثل هذه الاجراءات يجب أن تحفظ حقوق الفلاحين والمزارعين المستأجرين العرب ، ويجب أن يساعدوا في سيرهم نحو التقدم الاقتصادي . لندن في ٣ يناير ( كانون الثاني ) ١٩١٩

( ثم تنص باقي المواد على الحرية الدينية وممارسة الشعائر دون تمييز بين السكان وأن تكون الأماكن الاسلامية المقدسة موضوعة تحت رقابة المسلمين ، وأن المنظمة الصهيونية التي تقترح ارسال لجنة خبراء لتفهم أحسن الوجوه للنهوض بفلسطين سوف تضع خبرة هذه اللجنة أيضا تحت تصرف الدولة العربية ، وأن الحكومة البريطانية هي الحكم في أي نزاع ينشأ بين الدولة العربية وفلسطين ) .



### تحفظات فيصل :

« يشترط أن يحصل العرب على استقلالهم كما طلبت في مذكرتي المؤرخة في الرابع من شهر يناير ( كانون الثاني ) ١٩١٩ المرسلة الى وزارة الخارجية البريطانية ، ولكن اذا وقع اقل تعديل أو تحويل فيجب ان لا يكون عندها مقيدا بأي كلمة وردت في هذه الاتفاقية التي يجب اعتبارها ملغاة لا شأن ولا قيمة قانونية لها ويجب ان لا اكون مسئولا بأية طريقة مهما كانت (٧) » .

فيصل بن الحسين

حاييم وايمان

### LAWRENCE'S NOTE IN FACSIMILE

If the Arabs are established as  
law-abiding in my manifesto addressed  
to the British Secretary of State for Foreign  
Affairs, I will carry out what is  
written in this agreement. ~~If demands are changed~~

If changes are made, I can  
not be considered for failing  
to carry out this agreement

Faisal ibn

Hussain

التمهد الذي تدعي الصهيونية صدوره عن الامير فيصل ويلاحظ انه مكتوب  
بخط انجليزي ولم يكن فيصل ينطق ولا يكتب هذه اللفظة .

(٧) الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين ، ص ٢٧٨ .

لقد استعمل الصهيونيون صورة هذه الوثيقة باللغة الانكليزية وأبرزوها كمستند مهم أمام عدة هيئات واجتماعات دولية حسبنا أن نذكر منها لجنة « شو » البريطانية في فلسطين عام ١٩٢٩ وأنكرها العرب وأبرقوا يسألون فيصل ، فرد « بأنه لا يذكر انه كتب شيء مثل هذا بعلم منه » والمفروض أن فيصل وقع عليها ، وتحفظ فيها بخطه العربي ولفته العربية التي لم يكن يحسن غيرها ، ولكن كل ما نشر هو ترجمة انكليزية يقال انها بخط لورانس البريطاني رفيق فيصل المعروف .

ويبني العرب على هذا أن الوثيقة مزورة أو مدسوسة على فيصل ، ولم يتضح أصلها العربي ، وحتى لو فرض أن فيصل وقعها فعلا دون أن يدري ما فيها تحت الحاح من كبار اليهود الذين زاروه في لندن ومر ذكروهم قبل قليل ، فان هذا لا يعتبر عقدا يربط شعب فلسطين العربي ، ولم يكن فيصل يحمل من هذا الشعب أي تفويض ، وأن التفويض الذي أعطيه من الشعب السوري كان ينحصر في طلب الاستقلال ، وخلق دولة عربية واحدة .

ونحن حين نورد هذا الموضوع لا نقف عنده لأنه كان ذا أثر في مجرى الأمور بفلسطين ، ولا لأنه كان سببا من أسباب انهزام الأمة العربية فيها ، ولكن نورده كجزء من تلك المتاعب والهوان وعدم الادراك الذي لاقاه الشعب الفلسطيني على يد عدد كبير من أمته العربية وسط معركة التاريخ الخطيرة .

ذلك أنه حتى اذا برىء فيصل من تلك الوثيقة ، على اعتبار أنه وقعها في استغفال ودون دراية فان تحفظه عليها يعطي التأكيد الجازم بادراكه انها تعني سلخ فلسطين من الوطن العربي ، وتهويدها بأساليب الصهيونية ، ولا يشفع لهذا التوقيع ما يذهب اليه الدكتور أحمد طربين في كتابه (٨) من أن الانطباعات عن الصهيونية في ذلك الوقت لم ترد عن كونها حركة يراد بها فسخ المجال لسكنى اليهود في فلسطين ليس أكثر ،

(٨) مطبوعات معهد الدراسات العربية العالية ، محاضرات في تاريخ القضية الفلسطينية .



لا تشفع هذه الحجة بعد أن جاءت بنود الاتفاقية صريحة بأن « تحدد الحدود النهائية بين الدولة العربية وفلسطين من قبل لجنة يتفق على تعيينها من الطرفين » .

ولا نعتقد أن النص على خلق الحدود يسمح لأي ذهن بأن يفهم أكثر من أنه تحديد بين موطنين مختلفين أحدهما الدولة العربية وثانيهما فلسطين .

ثم تعلن المادة الأخرى في صراحة أنه « عند انشاء دستور فلسطين تتخذ جميع الإجراءات التي من شأنها تقديم أوفى الضمانات لتنفيذ وعد بالفور المؤرخ في ٢ نوفمبر ١٩١٧ » .

وتتضح المعالم الخطيرة في المواد الأخرى الخاصة بالهجرة اليهودية وغيرها .

أما إذا قيل أنه لم يوقعها ولم يرها ولم يسمع بها فهذا جانب مشرق في الحجة العربية ، ولكن بعض الوثائق الأخرى تعطي الايضاح بأنه لم يكن الرجل المتمسك بفلسطين والحفيظ عليها والضنين بها أو أنه انطلت عليه الحيل فظنها حركة صغيرة لا تقوى على العرب ، فهو حين مثل الأمة العربية في مؤتمر الصلح ، كان واضحا من مذكرته المقدمة لهذا المؤتمر في اليوم الاول من يناير (كانون اول) ١٩١٩ أنه لم يترشح عن المطالبة باستقلال سوريا ، ولكنه بشأن فلسطين لجأ الى السياسة الواقعية المرنه (٩) ، وحرمت تماما تلك القطعة الغالية من صوته المرتفع وسط جنبات المؤتمر العالمي ، ويقول الأمير فيصل :

« أكثرية السكان الساحقة في فلسطين مؤلفة من العرب ، واليهود قريبون الى العرب تربطهم بهم روابط الدم ، وليس هنالك أي تناقض في الطباع بين هذين العنصرين ونحن على اتفاق تام مع اليهود في القضايا الأساسية ، غير أن العرب لا يقدرّون أن يتحملوا مسئولية حفظ التوازن بين مختلف العناصر والأديان التي تصطدم في هذه المنطقة الوحيدة في الشرق ، وقد طالما أدى تصادمها في الماضي الى خلق صعوبات دولية ، العرب يطلبون أن يشرف عليهم وصي في هذه البلد الى أن تقوم فيه ادارة

(٩) المصدر السابق ، ص ٦٣ .

( حكومة ) على أساس التمثيل الشعبي تكون قادرة على تأمين رفاهية البلاد (١٠) .

أن العربي الذي يحيا في عام ١٩٦٧ ليخجل حين يقرأ نصا من هذا النوع يقدمه أمير عربي الى مؤتمر الصلح ، وليس ادعى لهذا الخجل من الاعتراف بعجز العرب عن اقامة العدالة في فلسطين وأنهم لا يقدرّون تحمل مسئولية الحكم ، وأنهم يطلبون وصيا عليهم ، ويقول هذا بعد أن يقرر أن العرب على اتفاق مع اليهود في القضايا الأساسية ، وليس لليهود قضية أساسية أكثر من تنفيذ وعد بالفور وملء فلسطين بالمهاجرين اليهود ووضعها تحت الانتداب البريطاني ليتم مهمة التهويد المتفق عليها .

على أن فيصل كرر هذا في مذكرته المقدمة في جلسة ٦ فبراير (شباط) حيث طالب فيها باستقلال البلاد العربية الا فلسطين التي تركها جانبا لطابعها العالمي ، ورأى أن تحل قضيتها من قبل جميع أصحاب العلاقة (١١) ويظهر أن فيصل هذا كان ينتظر من الصهيونية تأييدا عالميا بخلق دولة عربية كبرى ، ولكن اللجنة الصهيونية لم يكن يشغلها غير فلسطين ، فحين مثلت في مؤتمر الصلح بعد أن قدم فيصل مذكرته المذكورة في الثالث والعشرين من فبراير (شباط) ١٩١٩ قدمت مذكرتها الحاسمة مطالبة فيها مؤتمر السلام أن يدرس ويعتق طلباتها الآتية :

١ - يعترف المتعاقدون بحق اليهود التاريخي في فلسطين واعادة تأسيس وطنهم القومي فيها .

٢ - تخطط حدود فلسطين وفقا لمذكرة اليهود بحيث تشمل جزءا من سوريا ولبنان والاردن .

٣ - تفوض العصبة بريطانيا كدولة مندوبة على فلسطين وعليها أن تحقق ما يلي :

أ - وضع فلسطين في احوال سياسية واقتصادية وادارية تضمن تأسيس الوطن القومي اليهودي وتوجد امكانيات لانشاء دولة يهودية فيما بعد .

(١٠) دكتور احمد طربين ، مصدر سبق ذكره ، ص ٦٤ .

(١١) Hurewitz J.C. Diplomacy in the Near and Middle East Vol 2 P.P. 38-39.



ب - لتحقيق ذلك تشجع الهجرة اليهودية وتسهل اقامة اليهود وأن تعترف لمجلس يهودي بحق الاولوية في اخذ كل الالتزامات التي تحقق المشاريع العامة وتستثمر موارد البلاد الطبيعية (١٢) .

وقد أسرف الوفد الصهيوني اسرافا بعيدا حين تقدم الى مؤتمر الصلح في باريس بطلباته المحتوية على آمال الصهيونيين الذين تحالفوا مع بريطانيا على تحقيقها ، ولقيت استجابة من دول الصليبية الاستعمارية ، وقد ارتكب فيصل أكبر خطأ سياسي تجاه فلسطين حين وصف مطالب الصهيونية بأنها معتدلة ولائقة وذلك اذا صح خطابه المرسل الى فيلكس فرانكفورتر كبير الصهيونيين في أمريكا والمؤرخ في الثالث من مارس ( آذار ) ١٩١٩ وكان مما جاء فيه :

« اننا نشعر أن العرب واليهود هم أبناء عم ، وأنهم تحملوا اضطهادات متشابهة من الدول القوية ، وقد ساعدتهم حسن الطالع بأن يتمكنوا من الصعود معا الى الدرجة الاولى من سلم آمالهم الوطنية ، ونحن العرب وخاصة المتعلمين ننظر برغبة شديدة الى النهضة الصهيونية وقد أطلع وفدنا في باريس الآن على الاقتراحات التي قدمتموها أمس الى مؤتمر السلام ، ونحن نعتبر أن هذه الاقتراحات معتدلة ولائقة ، وسنعمل جهدا وما في وسعنا لمساعدة اليهود أبدا ، ونتمنى لهم وطنا ينزلون فيه على الرحب والسعة ، اني أطلع وشعبي أيضا الى مستقبل نستطيع فيه أن نتبادل التعاون لتصبح البلاد التي نشترك في الاهتمام بها ذات مركز بين الامم المتقدمة في العالم » (١٣)

ان ترك فيصل لفلسطين خارج مطالبه الاستقلالية ، واعتبارها منطقة تخص العرب وغير العرب وأن موضوعها يجب أن يحل بالاتفاق بين جميع الأطراف ، كل هذه تمثل جانبا يعطي لكل عربي حرية البحث الطليق في أن قضية فلسطين التي اكتوى بها أهلها أولا وقاتلوا عنها ثلاثين عاما ، كان بعض العرب موافقا على تعقيدها وهو غير مصمم على انقاذها .

على أن ما نشره فيصل في الرابع من أكتوبر ( تشرين الاول ) ١٩١٩ بالجريدة الصهيونية « جويش كرونيكل » يزيد الأمر وضوحا في أنه بينما

(12) David Hunter Miller, My Diary at the Conference of Paris New York 1924 Vol V P.P. 12-25.

(\*) يقول السيد عوني عبد الهادي سكرتير الامير بمؤتمر الصلح ان الخطاب مزور

قطعا ، وقد أيد ذلك رستم حيدر سكرتير الملك في برقيته للجنة شر ١٩٢٩ .

(١٣) فلسطين بين الانتداب والصهيونية ، ص ١٦ .

Weizmann Ouvre CLT P.P. 307-308.

وانظر ايضا :

يقرر أن فلسطين جزء من سوريا العربية لا يمانع في أن تكون ضمن الدولة الكبرى ولاية يهودية حين يكثر يهودها ، وهو بذلك يوافق على الهجرة اليهودية ضمنا ويقول :

« يجب أن تظل فلسطين جزءا من سوريا ، فليس بينهما حد طبيعي ولا فاصل ، وما يؤثر في الواحدة يؤثر في الاخرى ، والعرب يرون فلسطين ولاية عربية ولا يرونها بلادا قائمة بذاتها ، ونحن نسعى لننشئ امبراطورية عربية تتألف على الأقل من العراق وسوريا وفلسطين ، وقد قيل لي ان جميع اليهود يعتمدون على التصريح الذي فاه به اللورد بالفور ، ويتطلعون الى انشاء وطن قومي لهم في فلسطين أي أن تصير فلسطين دولة يهودية ، ولا ريب أن هذه الاماني تناقض افكار العرب ولا ترضيهم ، فأنشد اليهود وهم ساميون قبل العرب طالبا معونتهم لنا في انشاء المملكة العربية حتى اذا كثر عدد اليهود في فلسطين تيسر أن نجعلها ولاية يهودية من ولايات هذه المملكة العربية » (١٤) .

وهذا الاضطراب الواضح في موقف فيصل بين تركه فلسطين خارج نطاق الاستقلال المطالب به للبلاد العربية ، وبين السماح بها لجعلها ولاية يهودية ، وبين نظريته للمطالب الصهيونية ( الخطيرة ) بأنها مطالب معتدلة ومعقولة ، هذا الاضطراب الفكري الذي عمل الصهيونيون كثيرا على وضع فيصل في اطاره باتصالاتهم ووعدهم أو وعيدهم يتكرر أيضا حين يمانع فيصل في حديث له مع مراسل الجريدة اليهودية « جويش كرونيكل » في أن تكون فلسطين دولة محكومة باليهود ، ثم ينشأ عن هذا التصريح اعتراض صهيوني ولوم وعتاب ومطالبة بتصريح آخر ، فكتب رسالة في العاشر من ديسمبر ( كانون الاول ) الى السير هربرت صموئيل قال فيها :

« اني مقتنع تمام الاقتناع أن الثقة الوطيدة المتبادلة بيننا ، واتفاق وجهتي نظرنا اتفاقا كاملا اللذين أقاما في السابق تفاهما تاما بين الدكتور وايزمان وبينني سيمنعان (١٥) قيام أي سوء تفاهم آخر في المستقبل . وسيكفلان الانسجام اللازم لنجاح قضيتنا في المستقبل » .

وهذه المواقف المحزنة المربكة للامة العربية ، والتي تؤخذ تاريخيا وقوميا على فيصل ركزت محددة حين وعد بريطانيا في العشرين من يناير ( كانون الثاني ) ١٩٢١ أنه سوف يتبنى رأي الحكومة البريطانية بان تستثنى

(١٤) الثورة العربية الكبرى ، ج ٣ ص ٤٨ .

(١٥) انيس صايغ : الهاشميون والقضية الفلسطينية ، بيروت عام ١٩٦٦ ، ص ٨٠ .



فلسطين من مشروعات الدولة العربية الموحدة ، وقد أعلن تشرشل الوعد الذي قدمه فيصل في خطاب القاه في مجلس العموم في الحادي عشر من يوليو ( تموز ) ١٩٢٢ ( ١٦ ) .

على أننا لا نترك هذا البحث الذي يخص فيصل وتعهداته للصهيونيين قبل أن نسجل كلمة حق تنير بعض جوانب هذه الشخصية التي لازمت تاريخ الأمة العربية في أهم تطوراتها بعد الحرب الاولى .

ذلك أننا حين ننشر كل تلك الوثائق ، نعني أنه كما خدع والده الملك حسين من الانجليز الذين سيروه ليكون مطية لتحطيم دولة الاسلام ، خدع فيصل أيضا من الصهيونيين ، فوافقهم على تجزئة سوريا واقتطاع فلسطين لهم ، أن صحت وثيقة الاتفاقية المطعون فيها ، أو وافقهم على الأقل أن تكون فلسطين ولاية يهودية ضمن الدولة العربية ، أن صح غيرها من تلك الوثائق ، وفي هذا تعهد بفتح أبواب الهجرة أمامهم حتى يملكوا أراضي البلاد برغم اضرار ذلك بمصالح أهلها .

ويظهر لنا أن فيصل كان يصحو أحيانا ولكن بعد فوات الاوان ، فهو يصرح للوفد الفلسطيني الذي زاره في دمشق عام ١٩٢٠ بأنه لن تكون فلسطين صهيونية وأنه فخور بشعبها الذي يحافظ مصرا على عروبتها .

وتضيف المصادر العربية أن فيصل ليلة وفاته الفجائية في جنيف عام ١٩٣٣ كان قد أعد مذكرة لوزارة الخارجية البريطانية يطالب بعروبة فلسطين ، ويخلص النصح لحليفته بريطانيا .

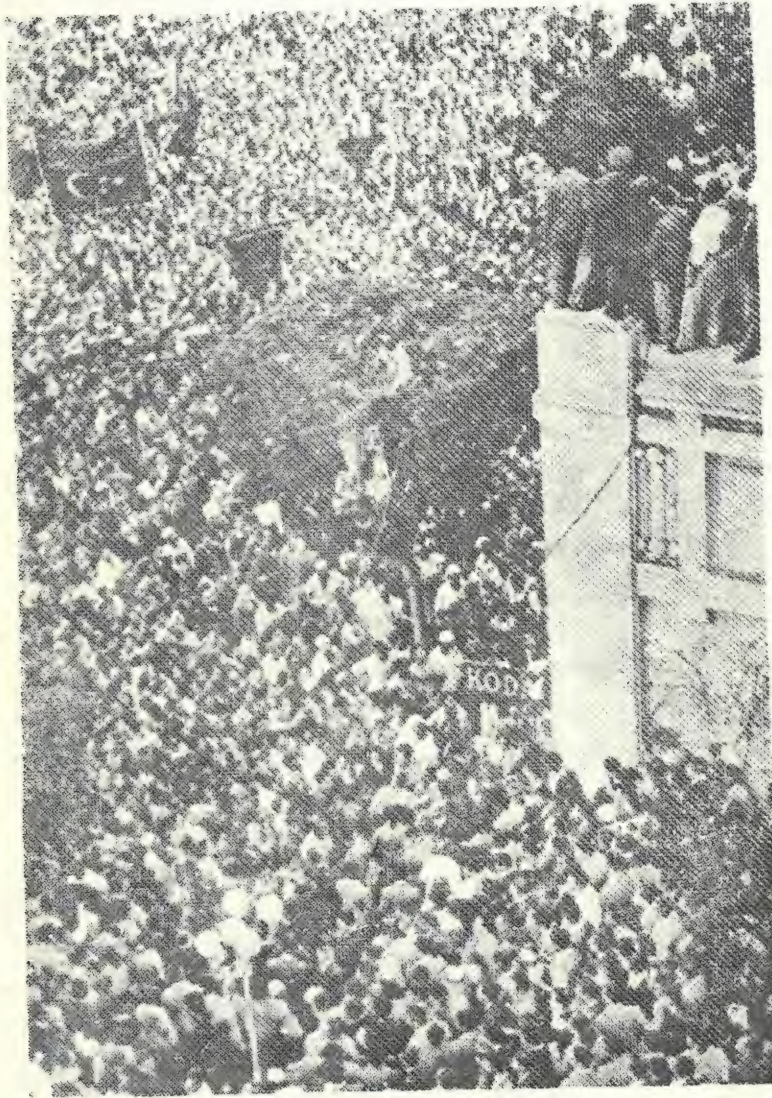
ولكن الانجليز وهم المتلفون على التهويد ، والعاملون عليه ، لا يعترفون بأي مذكرة لفصل ولا يستشهدون بها ، وانهم ليأخذون تلك الوثيقة التي تعلنها الصهيونية كمعاهدة مع فيصل حجة تساق على عدم تمسك سياسة العرب بفلسطين ، وأن كبارهم سبق أن وافقوا على تهويدها .

### ٣ - موقف العرب واليهود من التقسيم :

واذا كان فيصل قد خدع كما خدع والده الحسين ، فإن ابنه الملك غازي الذي تسلم العراق بعده كان مثلا للشباب العربي المؤمن بقضيته ، الصادق في وطنيته ، ومن حقه على التاريخ العربي أن يسجل أنه كان ركنا من أركان الوطنية الفلسطينية، حتى حمى مجاهديها وأكرم لاجئيها، وأقام في

(١٦) المصدر السابق ، ص ٨٢ .

قصره أذاعة تذيع بلاغات الثورة وتنادي للجهاد ، وشارك شعبه عواطفه ، وخطب جموع المتظاهرين ، وتناسى أبهة الملك ومظاهرة في سبيل قضية العرب الكبرى ، وحين توفي في حادث مفاجيء عام ١٩٣٩ ذهب سر موته معه لغزا محيرا .



صورة المظاهرات ضد التقسيم في القاهرة



وهكذا سلطت اللجنة الملكية أضواءها على التقسيم مستغلة لقاء وايزمان وفيصل واتفاقهما لصالح تمزيق وطن عربي ، ولكن اليهود تنادوا برفض التقسيم في داخل فلسطين وخارجها ، ورأوه أقل مما يطلبون ، ولم يشذ منهم أحد في ذلك ، كما نهض الفلسطينيون من جديد الى أرواحهم يقدمونها لمذابح الحرية ، تفتالها بريطانيا بجميع أساليبها في سبيل الصهيونية وبدأوا ثورتهم من جديد على النحو الذي سنذكره بعد حين .

وتجاوب العالم العربي على ضعفه وهزاله ينادي ببطلان التقسيم ، وأرتفعت الاصوات هذه المرة عالية في سوريا ولبنان والعراق ومصر والحجاز ولعلها أحست بالخطر الذي أوشك أن يبنى كيانه في قلب الوطن العربي .

#### ٤ - الثورة لم تتوقف عام ١٩٣٧ :

لم يستمر ذلك الهدوء الذي سببه تدخل الملوك العرب وثقتهم في صديقتهم بريطانيا العظمى الا قرابة أربعة شهور حدث خلالها تقديم مطالب العرب للجنة الملكية البريطانية التي طالما نوهت بها المنشورات الملقاة على المجاهدين ، والتي أعلن فيها أنها مستقلة الرأي باحثة عن الحقيقة ، وخلال هذه الشهور الأربعة تسلمت الجمعية الصهيونية شهادات جديدة للهجرة اليهودية ، وأعلن استعداد عشرة الاف يهودي بولندي للرحيل الى فلسطين (١٧) ، وتم تنفيذ حكم الإعدام في بعض الشبان العرب (١٨) ثم تسرب عديد من الإشاعات تقول : ان اللجنة ترى أن خير سبيل لهدوء الحالة في فلسطين هو أن تقسم بين العرب واليهود ، وتأكد ذلك بعد نشر تقرير اللجنة ، وصحب ذلك تحرش يهودي بالعرب ، فعمد العرب من جديد الى امتشاق سلاحهم ، ووقعت حوادث متفرقة ، خلال هذه الشهور ، حيث جرح ستة عشر يهوديا في القدس ، وقتل اليهود بائعا عربيا متجولا ، وصرع يهودي في نابلس ، وتلاحقت الحوادث من الفريقين .

كانت بريطانيا قد سلطت ضباطها الكبار وحكام الالوية يسومون الشعب العربي سوء العذاب ، وكان أكثرهم تجبرا وطغيانا وأشدهم حرصا على محابة اليهود وحمايتهم ، وأقواهم ضلعا في تشجيعهم على تملك الاراضي وسلبها من العرب ، حاكم لواء الجليل المسمى « اندروز » ، وكثيرا ما أئذره الثوار العرب وطالبوه بأن يكف عن اضطهاد الشعب ، وأن يحسب لحياته

(١٧) جريدة الاهرام ٢٧ من فبراير ١٩٣٧ .

(١٨) جريدة الاهرام ١٢ من نوفمبر ١٩٣٦ .

حسابا وهو يناصر الصهيونية الدخيلة في بلادهم ، ولكن هذا البريطاني الحاكم كان معتدا بقوة الامبراطورية مخلصا لسياستها التهودية المرسومة ، معتقدا أن حرسه الدائم سوف يحميه من تنفيذ حكم الثوار ، وكان لا يرى الا شاهرا مسدسه ، ومتبوعا بحارسين على الاقل .

ولقد حاول العرب على الدوام أن يتفاهموا مع هذا البريطاني الكبير منذ أن كان مساعدا لحاكم لواء القدس ، فشدد قبضته على الصحف العربية مانعا لها من أن تقول كلمة الحق ضد الصهيونية ، وحين قررت الحكومة مشروعا انشائيا برأس مال قدره مليون جنيه جعله وكرا للموظفين اليهود ، وأقنع الحكومة بالغاء الجانب الذي كان من المفروض أن يسهم في مساعدة العرب ، الذين طردوا من أراضيهم المعطاة لليهود ، ثم عين ضابط اتصال امام اللجنة الملكية البريطانية ، فخدم الصهيونية خدمات كبيرة ، فأخذوا يسعون في سبيل ترقيته الى حاكم لواء ، وحين تم هذا التعيين أمعن في سكانه نفيا وسجنا ، وطبق على كثير منهم قانون الطوارئ ، وقانون منع الجرائم .

وآخر ما فعله أنه أصدر أمرا اداريا بتجديد سجن جماعة الشهيد القسام عاما جديدا ، بعد انتهاء مدة الحكم القضائي الاصيل ، وكان صاحب اليد الطولى في انتزاع وادي الحوارث (١٩) واجلاء العرب عنه وتسليمه لليهود ، فلم يجد الثوار بدا من أن يصدروا عليه حكم الإعدام .

وفي اليوم السادس والعشرين من سبتمبر ( ايلول ) ١٩٣٧ « وبينما كان « اندروز » الذي لم يفز بصداقة العرب يوما من الايام خارجا من الكنيسة الانجليكية في الناصرة يصحبه « جوردون » احد مساعدي حكام الالوية ، ووراءه كونسبل بريطاني كحارس مسلح دائم معه ، فوجئوا جميعا بأربعة من الشباب العرب يرتدي اثنان منهم الملابس الافرنجية والآخرا الكوفية والعقال ، واطلق هؤلاء الرصاص على اندروز وحارسه من مسافة اربعة امتار فخرا صريعين » (٢٠) .

وكان المجاهدون قبل ذلك قد وجهوا انذاراتهم الى ضباط الشرطة الذين وجدوا في رحاب بريطانيا منطلقا لوحشيتهم ضد الوطنيين والمعتقلين والابطال الذين يؤسرون في المعارك ، وفي اوائل عام ١٩٣٧ اطلق الرصاص على حليم بسطا فأصيب بجراح في عنقه ، وكان بسطا هذا قد دخل فلسطين في حملة الانجليز الاولى بقيادة النبي ثم أخلص في خدمتهم ، حتى أصبح مساعدا

(١٩) جريدة المصري ٣٠ من سبتمبر ١٩٣٧ .

(٢٠) جريدة الاهرام ٢٩ من سبتمبر ١٩٣٧ .



لمدير الشرطة، وكثيرا ما انذره المجاهدون دون جدوى، طالبين اليه أن يكف عن شدته مع العرب، ومع ذلك لم يرعو هذا الضابط، ولم تقف خدماته المتلاحقة للزهونية مما اضطر المجاهدين الى ملاحقته وقتله، وحين كان الشعب يستمع الى المذيع أعلن البلاغ الرسمي التالي :

« يعلن فخامة المندوب السامي مع الاسف الشديد ان حليم افندي بسطا مساعد مدير البوليس واحد الضباط المخلصين والمتفانين في عملهم، قد قتل بالرصاص بعد ظهر اليوم في حيفا بيد ثلاثة اشخاص من العرب المسلحين بالمسدسات، وقد اصيب معه الكونستابل الذي يرافقه بجراح مميتة » (٢١) .

وبينما كان المدعو « موفات » حاكم جنين قد احاط نفسه بمجموعات من البوليس والجنود يحرسونه ويحمون مقره بعد ان تلقى انذارا من الثوار كان هذا نصه : « من القائد الصغير يوسف ابودرة الى مستر موفات .. اذا لم تحسن سلوكك مع الاهالي خلال ثمانية ايام ... فسأقتلك » (٢٢) ولكن مستر موفات ركب رأسه واستمر شرا على عرب فلسطين، بينما نقل سكنه الى معسكر الجيش البريطاني خارج جنين، واشتدت حراسته بالمصفحات ولم يبق اي احتمال لامكان اي اعتداء عليه، ولكن القائد الفلسطيني الصغير ابو درة كان صادقا في وعيده، فبعد ثمانية ايام تماما ارسل اليه اثنين من الفدائيين تسلق احدهما انايب المياه حتى وصل الدور الذي به مكتب موفات، فوجه انذارا الى سكرتيره العربي رافت الدرهللي، واجتاز غرفته الى غرفة الحاكم البريطاني وافرغ فيه رصاص مسدسين كانا معه، واستمر يطلق الرصاص دون ان يجفل او يخاف وعاد تاركا المكان (٢٣)، بينما اخذ رفيقه يطلق الرصاص خارج البناء لتفطية الانسحاب والحرس في ذهول وارتيابك شديدين .

وجن جنون المندوب السامي، كيف يصبرع العزب اركان ادارته التهودية في فلسطين، فأصدر امره باعتقال عديد من العلماء، والقضاة، والاطباء، والمحامين، والمثقفين، ونكلت السلطة بالشعب وبجميع الصور، واعتقلت اعضاء اللجان القومية، وحلت اللجنة العربية العليا، وكل لجانها القومية وعزلت رئيس المجلس الاسلامي الاعلى، وابعدت الى جزيرة (٢٤)

(٢١) جريدة الشباب ٢١ من ابريل ١٩٣٧ .

(٢٢) مجلة فلسطين العدد الصادر في نوفمبر ١٩٦١ .

(٢٣) جريدة الاهرام ٢٤ من اغسطس ١٩٣٧ .

(٢٤) وهم احمد حلمي باشا والدكتور حسين الخالدي والحاج يعقوب الفصين وفؤاد سابا ورشيد الحاج ابراهيم .



الشهيد الشيخ يوسف ابودرة اشترك في ثورات ١٩٢٩ و ١٩٣٥ و ١٩٣٦ و ١٩٣٩، استقر في دمشق ثم عمان وسلمه الجنرال جلوب للانجليز عام ١٩٤٠ حيث نفذوا فيه الاعدام أعزل وكان قد اعجزهم محاربا مسلحا

سيشل من وقع في يدها من اعضاء اللجنة وبعض زعماء الحركة، ومن استطاع الافلات حرمت عليه العودة .

وأعتصم السيد أمين الحسيني رئيس المجلس الاسلامي الاعلى بالمسجد الأقصى، ثم استطاع أن يخترق متخفيا صفوف الجنود البريطانيين المحاصرين للمسجد، وأذيع رسميا يوم ١٧ أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٣٧ أن المفتي وصل الى بيروت ولم يعرف كيف وصل (٢٥) .

(٢٥) جريدة الاهرام ١٧ من اكتوبر ١٩٣٧ .



وقد رجعنا الى صحف ذلك العهد المحفوظة بدار الكتب العربية بالقاهرة واحصينا ما نشرته عن فلسطين على الرغم من أنها صحف لم تستق أنباءها الا من شركتي الأخبار الاستعماريين روتر وهافاس وهما لا تناصران العرب ولا تنشران امجادهم ومع هذا دلنا الاحصاء على الحوادث التالية للشهور الأخيرة من عام ١٩٣٧ : قتل وجرح ٣٤ شخصا من العرب واليهود ، وأشعلت أربع حرائق بسبب القنابل التي القاها المجاهدون ، وشن ثلاثة عشر هجوما على المستعمرات اليهودية أو املاك اليهود ، وقامت اثنتا عشرة معركة او مهاجمة لمراكز الشرطة والجيش ، وحدثت ثلاثة اعتداءات على خطوط التليفون والتلغراف ، وصحب ذلك ستة عشر حادث اعتقال بالجملة ، وفي ٢٨ ديسمبر ( كانون اول ) ١٩٣٧ نفذت بريطانيا حكم الاعدام في الشيخ فرحان السعدي ذلك الشيخ الكبير الذي يبلغ الثمانين عاما ، وتجاوبت اصداء الوطن العربي كله باستنكار جرائم بريطانيا وارهائها للشعب العربي في فلسطين ، وصدرت الاحتجاجات من سوريا والاردن والسعودية ومصر ، وأعلن رسميا أن عدد القتلى من رجال السلطة والجنود البريطانيين يقارب مائة قتيل عدا اضعافهم جرحى . واعترفت ادارة الشرطة في القدس بأن مجموع الحوادث التي وقعت في فلسطين خلال عام ١٩٣٧ كانت ٦٦٣٨٢ قضية جنائية منها ٢٧٦ قضية قتل و ٢٨١ شروع في قتل و ٣٧٨٦ اعتداء فظيما على الاشخاص وانتهاك حرمت المنازل ، وتضيف ادارة الشرطة أن هذه الاحصائية لا تشمل خسائر الثوار ( المجاهدين ) لأنها مجهولة لدى الادارة (٢٦) .

#### تعيين الجنرال وايفل في فلسطين :

واستجلبت بريطانيا قوات جديدة من قوات الاحتلال المرابطة في مصر ، وعينت المAJOR جنرال وايفل قائدا عسكريا جديدا في فلسطين ، ولكن الاعمال البطولية الفلسطينية لم يثنها تعيين وايفل ، كما لم يثنها تعيين القواد الكبار قبله ، واضطرت بريطانيا ازاء هذا الموقف الملتهب الى محاولة تخدير الشعب العربي ببيانات عليها تبعت فيه الاستكانة ، فوجه وزير مستعمراتها في ديسمبر ( كانون الاول ) ١٩٣٧ خطابا الى المندوب السامي في فلسطين يعلن فيه سحب مشروع التقسيم ، وكان مما جاء فيه :

« وبالنظر الى الاهتمام الذي ابداه الراي العام في انتظار نواحي مشروع التقسيم التجريبي في تقرير اللجنة الملكية ، أود أن أبين بجلاء أن حكومة

(٢٦) جريدة الشورى ١٩ من فبراير ١٩٣٨ .

جلالته غير مقيدة بوجه من الوجوه بالموافقة على ذلك المشروع ، وأنها بصورة خاصة لم تقبل اقتراح اللجنة القائل بوجود اللجوء في النهاية الى نقل العرب اجباريا من المنطقة اليهودية الى المنطقة العربية » .

#### ٥ - الثورة تزداد شدة سنة ١٩٣٨ :

لم تكن تلك الاجراءات التعسفية الا حافزا قويا للشعب العربي في فلسطين على مواصلة النضال ، واستمرت ثورته مجيدة هادرة ، وازدادت شدة عام ١٩٣٨ تصدر بلاغاتها وأوامرها فيطيعها الشعب عن بكرة أبيه طاعة مطلقة كاملة .

ويروي المعاصرون لتلك الثورة أحداثا لا تكاد تتكرر في غيرها من الثورات ، فحين اختصت السلطات البريطانية لابس الكوفية والعقال بالمطاردة والتنكيل لأن هذا الزي لباس الشعب العربي الثائر ، ولا سيما القروي منه ، أصدر الثوار أمرا بتعميم الزي ، فلبس الجميع العقال حتى استحال على السلطة أن تفرق بين الثائر وغير الثائر ، واضطرت بعد ذلك ان تأمر بحمل البطاقة الشخصية ، فأصدر الثوار أمرا بقتل كل من يحملها ، فلم يحملها أحد ، وبلغ من قوة الثورة أنها كانت تصدر احكام الأعدام وتحدد ساعات تنفيذها ، ويتم كل ذلك برغم الاحتياطات والخراسات ، بل بلغ من قوة الثورة حدا مكثها من احتلال المدن والقرى ، ففي مايو ( ايار ) ١٩٣٨ احتل الثوار مدينة الخليل ، وقبلها كان الثوار قد احتلوا مدينة القدس القديمة ، وفي ٩ سبتمبر ( ايلول ) احتلوا مدينة بئر السبع ، وأطلقوا سراح المساجين ، واستولوا على مراكز الشرطة وسلاح رجالها ، وفي ٥ اكتوبر ( تشرين الاول ) احتلوا مدينة طبريا ومعظم سكانها من اليهود وقتلوا فيها أكثر من مائة وعشرين يهوديا (٢٧) .

ويحدثنا عن احتلال الثوار لبئر السبع شاهد عيان هو المؤرخ الكبير عارف باشا العارف الذي كان حاكما لبئر السبع خلال عام ١٩٣٨ فيقول :

« وفي بئر السبع شاهدت أعمال الثوار بعيني ، وكان يقودهم يومئذ القائد الموهوب عبد الحليم الجيلاني ، فقد قطعوا قبل كل شيء أسلاك البرق والهاتف ، وأقاموا في مداخل المدينة قوات كافية لمنع الدخول اليها والخروج منها ، ثم راحوا يتعقبون الجنود البريطانيين الذين كانوا في المدينة ، وقتلوا أحدهم برتبة نقيب ، ثم راحوا يستولون على دور الحكومة

(٢٧) القضية الفلسطينية ص ١٢٥ .



نقتصر على نشر بعضها ، وأنها لصفحات خالدة جديرة بأن يطلع عليها كل عربي سواء ذلك الذي آمن بأن أهل فلسطين دفعوا الضريبة غالية ، أو ذلك الذي يحتاج لاثبات أن هناك ثلاثين عاما قضاها الفلسطينيون في جهاد طويل مرير دام .

ففي شهر يناير ( كانون الثاني ) ١٩٣٨ قام المناضلون العرب بالهجوم على مخفر للشرطة ، ووقعت مصادمة شديدة بينهم وبين الخفراء ، كما قام المناضلون بتفجير عدد من القنابل في تل أبيب فأصيب عدة أشخاص ، وانطلق الثوار يطلقون وابلا من الرصاص على قطار الركاب بين اللد والقدس ، وتبادلوا الرصاص مع رجال الشرطة في أماكن مختلفة بمنطقة الخليل ، وأطلقوا نيرانهم على يهوديين في القدس فأخذوا مصابين بجراح خطيرة ، ونشبت معركة شديدة في ضواحي الخليل اشترك فيها سرب من الطائرات البريطانية في مطاردة المجاهدين ، وانفجرت قبيلة بجوار المعسكر البريطاني بالقدس ، وهاجم المجاهدون عديدا من المستعمرات اليهودية ، وقتلوا خمسة من اليهود حين هاجموا قافلة سياراتهم بين القدس وأريحا ، ولم تفلح الطائرات البريطانية حين تعقبت الثوار الفلسطينيين الذين هاجموا مخفرا بريطانيا حيث قتلوا قائده وأخذوا معهم جنوده أسرى ، وواصل المجاهدون تحركاتهم فهاجموا قرية يهودية ونشبت معركة مع سكانها ، وكان لهذه الأحداث الكبيرة رد فعل قوي لدى البريطانيين الذين قاموا يفتشون المنازل والمحلات التجارية بحثا عن مستودعات السلاح (٢٨).

وما لبثت أن دارت معركة بين الجنود البريطانيين والمجاهدين العرب في المسالك الوعرة بين جنين والكرمل اعترف الجيش البريطاني بفقد جنديين خلالها ، على حين استمرت أقسام أخرى من الجيش والشرطة البريطانية توالي عمليات التفتيش عن السلاح في أماكن عديدة من فلسطين .

وصرع جاويش بريطاني في المعركة التي حدثت في شمال طولكرم (٢٩) وجن جنون السلطات البريطانية ، فأقامت الأسلاك الشائكة المكهربة على الحدود ، وأعلنت نظام منع التجول في قريتي أم الفحم والطيبة ، وبينما كان الجنود البريطانيون يطوقون منطقة جنين ، ويواصلون البحث عن الثوار العرب استحالت عليهم التفريق بين المجاهدين والشرطة ، إذ ارتدى المجاهدون أيضا ملابس الشرطة ذاتها .

وفي خلال شهر مارس ( آذار ) ١٩٣٨ بدأت المصادمات بين الجيش

(٢٨) جريدة الاهرام ، أعداد ٣ وه ١٥ و ١٩ و ٢١ يناير ١٩٣٨ .

(٢٩) جريدة الاهرام عدد ٢ و ١٠ فبراير ١٩٣٨ .



المجاهد عبد الحليم الجيلاني وقد رافق اسمه الجهاد الفلسطيني وبجواره سعيد عيده أحد رجال ثورة ١٩٣٦ - ١٩٣٩

وأحرقوا بعضها ، وقد أطلقوا السجناء من سجونهم واستولوا على مقادير كبيرة من الأسلحة والأعتدة العسكرية ، وظل الثوار في تلك البقعة من جنوب فلسطين مسيطرين يفتشونها متى يشاؤون زهاء سبعين يوما .

وبلغ من قوة الثورة ونموها ، أنها بينما تحتل بئر السبع في الجنوب ، تحتل أيضا طبريا في الشمال وأريحا في الشرق والقدس والخليل في الوسط .

وتحدثنا البرقيات الصحفية عن أمجاد تلك الثورة الخالدة حديثا طويلا مسهبا ، ولولا خشية الاطالة لنشرناها يوميا كاملة كما أثبتتها صحافة ذلك العهد ، صادرة من برقيات روتر وهافاس ، ولكننا نكتفي بتسجيل بضعة أيام من كل شهر ، وأنها لأيام لا تعطي الحصر قدر ما تعطي المثل ، وكم تتفاعل لدينا الأحاسيس ونحن نضطر خشية الاطالة الى أن



البريطاني والمجاهدين العرب ، تشتد في منطقة جنين ، فقد بدأت معركة في صباح الحادي عشر من هذا الشهر واستمرت مشتعلة طيلة النهار واستؤنفت في اليوم الثاني عشر واتسع نطاق المعركة مما اضطر السلطات الى أن تقفل الطريق العام بين نابلس وطولكرم ثلاث مرات ، وقد كان من أهمية هذه المعركة التي خاضها المجاهدون أن اشتركت فيها الطائرات ، وواصل المجاهدون تحركاتهم فشنوا هجوما على محطة في جوار طولكرم وهاجموا عدة مستعمرات يهودية في ضواحي القدس .

ونسف المجاهدون قاطرة وقتلوا جنديا بريطانيا وجرحوا آخر ، ويعلم البلاغ الرسمي أن مناوشات عنيفة حدثت في أنحاء فلسطين وأن عددا كبيرا من سكان القرى المجاورة للقدس أرسلوا الى المعتقلات ، وبينما شاغل المجاهدون الجنود البريطانيين في هجوم على المستعمرات اليهودية نسفوا أنابيب بترول العراق في مرج ابن عامر بالقرب من الناصرة (٣٠) .

وحيث أعيت الوسائل سلطات الانتداب في مكافحة الثوار أعلنت عن جوائز مالية لمن يرشد عن زعماء الثوار ، في نفس الوقت الذي واصلت فيه فرض الغرامات المالية على القرى العربية ، وقد استمر المجاهدون يأخذون



هكذا يدمر مجاهدو فلسطين مواصلات الإعداء ١٩٣٨

(٣٠) جريدة الاهرام اعداد ١ ، ١٢ ، ١٧ ، ٢٧ ، ٣٠ مارس ١٩٣٨ .

بين أيديهم سبق الهجوم وينوعون أهدافهم ، فبينما يقاتلون الجيش البريطاني هاجموا تجمعات العمال اليهود ثم فجروا قبيلة على معمل يهودي ونسفوا أيضا الخط الحديدي بجوار القدس كما نسفوا جسرين لمنع القطارات من التحرك ، وتستمر الثورة العربية بفلسطين في عنفوانها القوي إذ يعلن بلاغ رسمي أن الثوار دخلوا بلدة الطيرة وأخذوا رهائن من سكانها ثم هاجموا بساتين البرتقال اليهودية وقطعوا ٤٠٠ شجرة فيها ، واتجهت الشرطة الى اقامة مخفر في الحرم المقدس فهاجم المجاهدون الشرطة في داخل مدينة القدس وبجوار الحرم لمنعها من دخوله . وقتل المجاهدون جنديين في هجوم عنيف على قوة من الجيش البريطاني ثم أضرموا النار في مركبة قطار وسلطت السلطات غضبها ففرضت غرامة كبيرة على قرية البصة لمقتل جندي بريطاني بجوارها وألقت القبض على عدد من سكان الخليل لعلاقتهم بالمجاهدين (٣١) ، واستمر هجوم المجاهدين على مدينة روشينا اليهودية (٣٢) .

ونسف المجاهدون من جديد أنابيب البترول العراقي ، فسبوا خسائر كبيرة لبريطانيا إذ تدفق البترول بشدة وغزارة ، ووالوا مهاجمتهم للقرى اليهودية . ونشبت معركتان شديدتان في ضواحي قرية طيرة حيث هاجم المجاهدون رجال الشرطة البريطانيين ، وقد استشهد تسعة من العرب خلال المعركتين . وقد استمر المجاهدون يكررون الهجمات على أنابيب بترول العراق الممتدة عبر فلسطين الى حيفا ، فنسفوا من جديد تلك الأنابيب بين بيسان والعفولة ، وأطلقوا النار على الدورية العسكرية حيث قتلوا ضابطا بريطانيا ، واتجهوا الى سكة الحديد بجوار القدس حيث نسفوها بالديناميت . وأضرمت المجاهدون النار في غابات واسعة ثم قطفوا الوف الأشجار من البرتقال التي يملكها اليهود ، كما هاجموا القرى اليهودية في جهات صفد والناصرية ، واستشهد السيد محمد الرشيد متأثرا بجراحه بعد اشتراكه في إحدى المعارك ، وقد أعلنت السلطات أنه تقرر تعزيز الجيش البريطاني في فلسطين بثلاثة آلاف جندي (٣٣) .

وقد أدرك المجاهدون أن ائتلاف الأملاك اليهودية يصيب الصهيونية في صميمها ، فوالوا هجومهم على المستعمرات قرب الناصرة وأتلفوا مشروعات يهودية كثيرة في أماكن عديدة بين حيفا وصفد ، ووزح الشعب العربي تحت الغرامات المالية فرضتها السلطات على سكان القرى المجاورة.

(٣١) جريدة الاهرام العدد ٣ و ٦ و ٢٢ أبريل ١٩٣٨ .

(٣٢) جريدة الاهرام ٢ مايو ١٩٣٨ .

(٣٣) جريدة الاهرام اعداد ٨ و ١٧ و ١٨ و ٢٠ مايو ١٩٣٨ .



وقررت محاكمة ١٩ عمدة في نابلس لعدم مساعدتهم للسلطات بالقبض على المسلحين فيها ، فهاجم المجاهدون الجنود البريطانيين بين نابلس وجنين وظهرت مجموعات منهم في جبال الخليل (٣٦) ، واحتجت مدينة القدس فأعلنت الاضراب العام .

ونشبت معركة رهيبة كانت أعظم معركة تشمل عدة قرى في منطقة نابلس حيث استنفرت الحكومة قوات كبيرة من الجند من نابلس وطولكرم ، وقررت الحكومة تطويقها على سفوح الجبال الشرقية المواجهة لنهر الأردن ، وبينما كانت القيادة العليا تعنى بعد الظهر بتوزيع القوات على هذه المنطقة للبدء في أعمال التطويق ، فوجئت بالمجاهدين يخرجون من كمين في قرية دوما ومن مكانهم في قرية بورين وصواره وعقبة وزعتره ، وقد هاجموا الجيش البريطاني بعنف ، ومنعت الحكومة المواصلات على الطرق العامة وحاصرت أهل كل قرية في قريتهم واستخدمت أنواعا كثيرة من المدافع كما سلط الانجليز طائراتهم تلقي قنابلها على المجاهدين في معركة شملت ١٥ كيلومترا ، واستطاع هؤلاء تحطيم إحدى الطائرات ، واستمرت هذه المعركة طوال أربع وعشرين ساعة ، ودخلت قوة من المجاهدين محطة المزرعة ، وبعد أن أخرجت الموظفين منها أضرمت الناري المحطة فالتهمت عن آخرها ، وداهمت جماعة منهم مكتب دار الحكومة في الخليل وأطلقوا النار عليها ونشبت معركة خلال ذلك مع الجند الذين يحرسون الدار وجرح أحد المجاهدين (٣٧) .

وتتنوع أساليب المجاهدين في فلسطين ، حتى أنهم ليحتلون مدنا ، ويمنعون فيها التجول ، فقد حدث في أوائل أغسطس ( آب ) أن دخلت جماعة منهم الجهة الغربية من نابلس وأعلنوا منع التجول في الشارع المؤدي إلى منتصف المدينة حيث يقع بنك باركليز ، وأخذوا يسرون في الطرقات شاهرين مسدساتهم ويتبادلون الاشارات ، حتى وصلوا إلى باب البنك ، فوقف بعضهم على الباب ، ودخل فريق آخر ، وطلبوا من موظفي البنك باللغة الانجليزية أن يرفعوا أيديهم ، ثم أخذوا في جمع الأموال فبلغت ٥ آلاف وعشرين جنيها ، ولم يتقدموا إلى الصناديق الكبيرة لأنها كانت مقفلة ولم يؤذوا أحدا من الموظفين العرب ، ولم تظهر لهم قوات الجيش برغم اكتظاظ نابلس بها . وبينما كانت هذه الحركة تتم في نابلس إذ فجرت مجموعة أخرى من المجاهدين ثمانية الفام تحت أعمدة الكهرباء بين كركور وفاقون وهما مستعمرتان يهوديتان في منطقة طولكرم ، فتحطمت أربعة أعمدة

(٣٦) جريدة الاهرام أعداد ٦ و ٢٤ و ٢٥ يوليو ١٩٣٨ .  
(٣٧) جريدة الاهرام عدد ٢ و ٧ أغسطس ١٩٣٨ .

وانقطعت الاسلاك وانقطع النور عن جميع المستعمرات .

ودفنوا لغما في الطريق بين جنين ونابلس اصطدمت به سيارة عسكرية فقفذ بها إلى واد قريب فتحطمت ، وهاجم فريق منهم منزل ضابط البوليس في مدينة اللد وطلبوا إليه النزول من داره فأعلم مركز البوليس تليفونيا فحضرت قوة من البوليس ودار قتال عنيف ، وقذفت سيارة ركاب يهودية قاصدة إلى يافا قنبلة على جماعة من العمال العرب (٣٨) .

وقد استولى الرعب من الفام الطريق على سلطات فلسطين ، إذ اصطدمت فصيلة من الجيش البريطاني بلغم في الطريق إلى الجهة الجنوبية الشرقية من قلقيلية ، وما كاد يتم الانفجار حتى أطلق المجاهدون النار على الجنود من كمين قريب وبدأت معركة شديدة بين الفريقين دامت وقتا طويلا وتدخلت الجيوش البريطانية فذكر البلاغ الرسمي أن عشرة من العرب قد قتلوا وكانت معركة حامية استبسل فيها المجاهدون فأسقطوا طائرة أثناء المعركة وقتل قائدها ومساعدته ، وأذيع في البلاغ الرسمي عن هذه الليلة أن مجموع خسائر العرب في معارك بعد ظهر التاسع عشر من أغسطس في شعب ومجد الكروم بين صفد وعكا وفي معركة قلقيلية صباح العشرين منه كان ٤٧ قتيلا وجريحين .

وحدثت معركة كبيرة أخرى بين المجاهدين وقوات الجيش في قرية دير شرف الواقعة على بعد عدة كيلومترات غربي نابلس وقد أسقطت طائرة حربية في محل المعركة وقتل جميع من فيها ، وتصدى أفراد لسيارة ركاب عربية بعد ظهر التاسع عشر من أغسطس تقل ١٥ راكبا بالقرب من مطار اللد المدني فقتلوا كونوستابلا عربيا كان يرافق السيارة للحراسة ، وفجروا قنبلة على الخط الحديدي بين بتير ودير الشيخ فأحدثت أضرارا في الخط (٣٩) .

#### أيام من سبتمبر ( أيلول ) ١٩٣٨ :

أضرم المجاهدون النار في كنيس يهودي بين يافا وتل أبيب ، وفي محلات تجارية لليهود في يافا ، وأعلنت القدس غضبها فأضربت واشتركت معها يافا واللد ، وانقطعت المكالمات التليفونية بين فلسطين والخارج (٤٠) . وهاجم المجاهدون مدينة بئر السبع فاقترحوا مركز البوليس ، واستولوا

(٣٨) جريدة الاهرام ١١ أغسطس ١٩٣٨ .  
(٣٩) جريدة الاهرام ٢٠ أغسطس ١٩٣٨ .  
(٤٠) جريدة الاهرام ٣ من سبتمبر ١٩٣٨ .



على سلاحه واحتلوا المدينة وأضرموا النار في محال كثيرة ، واضطرت حركات الثورة السلطات الى وقف سير القطارات بين القدس وحيفا ، وانتشر الاضراب في جميع مدن فلسطين . كما هاجم المجاهدون دائرة الجمرك في ميناء يافا وأسروا أمين الصندوق واستولوا على أموال الميناء وتعطلت الطريق بين القدس وأريحا ، وقطعوا عشرة آلاف شجرة برتقال يملكها اليهود . ثم أطلقوا النار على دورية عسكرية بين طولكرم وقلقيلية فأصيب كونوستابلان يهوديان وقتل كونوستابل عربي يافا ، وهاجم المجاهدون سراي الحكومة في نابلس وفتحوا خزينة المال ، وأضرموا النار في محكمة الصلح في الناصرة فالتهمتها عن آخرها (٤١) .

#### أيام من أكتوبر ( تشرين الأول ) ١٩٣٨ :

وشهد شهر أكتوبر ( تشرين الأول ) عام ١٩٣٨ قوة وصلابة في لواء حيفا اذ تصدى عدد من المجاهدين لسيارة يهودية وقتلوا من فيها وأحرقوها ، ونشبت معركة في رام الله واتسع نطاقها ، وشملت عدة قرى مجاورة وقد قتل فيها مفتش بوليس بريطاني وجرح جنديان ، وأحصيت بين المجاهدين أربعون إصابة ، وقد أعلنت الأحكام العرفية في جميع أنحاء فلسطين في الثامن عشر من أكتوبر ( تشرين الأول ) وأعلن أن البوليس أصبح تابعا لقيادة الجيش العام ، واقفلت الحدود ومنع التجول وأرسلت الطائرات تحلق فوق أماكن الأعمال العسكرية وسيرت قوات كبيرة لأماكن معينة في فلسطين ، وألقيت قنبلة تحت سيارة شحن عسكرية فأصيب ضابطان وجنديان ، وأضرم المجاهدون النار في خمسة منازل يهودية في حيفا وفي مخزن يملكه أحد اليهود ، كما أطلقوا النار على مركز البوليس في المدينة وهاجموا الخط الحديدي بالقرب من حيفا واشتبكوا مع الجنود في معركة شديدة أسفرت عن وقوع أربع إصابات في المجاهدين وواصلوا قطع الأشجار المثمرة لليهود فأحصيت ٤٠٠ شجرة برتقال مما قطعه المجاهدون أخيرا ، وواصلت السلطات أعمال التفتيش بين حيفا وطبريا واستشهد عربيان أثناء ذلك . واذيغت برقية من لندن تفيد أن أعظم حملة عسكرية سوف تشهدها فلسطين حين يبدأ الجنرال هاتين قريبا الهجوم العام الذي يأمل أن يكسر به شوكة الثوار العرب ، ويبلغ عدد القوات التي عبأها لهذا الغرض ٢٥ ألف جندي أخذوا يحتلون مراكزهم ، أما المهمة الأولى لهذا الهجوم فاستعادة البلدان التي استولى عليها الثوار مثل رام الله وبيت شعب وأريحا وغزة حيث تخفق راية العرب دون منازع ، ثم تقول إحدى

(٤١) جريدة الاهرام أعداد ١١ و ١٢ و ٢٨ من سبتمبر ١٩٣٨ .

البرقيات « انه يستحيل تطويق كل قرية من القرى الفلسطينية البالغ عددها ألف قرية (٤٢) » .

#### أيام من نوفمبر ( تشرين الثاني ) ١٩٣٨ :

واستقبل الشعب الفلسطيني شهر نوفمبر ( تشرين الثاني ) من عام ١٩٣٨ بنفس الروح الثائرة التي تقمصها منذ عام ١٩٢٠ ، فهاجم المجاهدون إحدى المستعمرات اليهودية بجوار حيفا وفجروا قنبلة في نابلس فقتلت أربعة من اليهود وجنديا اضافيا ، وواصلت السلطات أعمال القمع ، على حين دارت معركة بين الجنود البريطانيين والمجاهدين في المنطقة الشمالية ، واحتدمت معركة أخرى في المنطقة الجنوبية وقد أسر الجيش بعض المجاهدين .

واتجه المجاهدون الى المواصلات فأوقفوها بين فلسطين وشرقي الاردن وتمكنوا من استعمال الديناميت فنسفوا جسرا قرب أربد في الوقت الذي مر عليه قطار بضاعة فسقط القطار في الوادي مع عدد من الضحايا ، وفجروا لغما تحت سيارة بوليس فجرح أربعة من ركبائها ، وبلغ عدد المعتقلين في اللواء الشمالي خلال أسبوع واحد ٧٥٧ عربيا (٤٣) .

#### أيام من ديسمبر ( كانون الأول ) ١٩٣٨ :

وهاجم المجاهدون دورية عسكرية في نابلس وجرحوا اثنين من رجالها ، ودارت معركة بينهم وبين الجند البريطاني في جوار قرية خربتا ، واستولى الجيش البريطاني على جثث تسعة من القتلى في المعارك الأخيرة . ودخل المجاهدون قرية قبلان وأمروا الاهالي بمنع التجارة مع اليهود ، ثم واصلوا مهاجمة الممتلكات اليهودية ، واشتعلت معركة بين المجاهدين والجند البريطاني جرح فيها أربعة كونستبلات بريطانيين ، وأعلن المندوب السامي منع التجول في يافا ٢٤ ساعة ثم أعلن منع التجول في الرملة ثم أعلن القاء رخص السلاح لجميع الأشخاص ، وقتل العرب يهوديا في القدس كان يحاول القاء قنبلة على متجر عربي ثم هاجموا الخط الحديدي والممتلكات اليهودية في يافا ، وأشعلوا النار في أحد البساتين اليهودية (٤٤) .

يتبين من هذا العرض السريع لأحداث الثورة في خلال سنة ١٩٣٨

(٤٢) جريدة الاهرام أعداد ١٦ و ١٩ و ٢٨ أكتوبر ١٩٣٨ .

(٤٣) جريدة الاهرام أعداد : ٥ و ٨ و ٢٤ نوفمبر ١٩٣٨ .

(٤٤) جريدة الاهرام أعداد : ٥ و ٢٨ و ٣١ ديسمبر ١٩٣٨ .



ان الثورة الفلسطينية ظلت متأججة الاوار لم يخمد لهيبها منذ اندلعت في سنة ١٩٣٦ ، وان الشعب العربي في فلسطين تحمل العبء الأكبر من الكفاح الوطني امام التحالف الذي ضم جحافل البريطانيين والصهيونيين ، والواقع اننا عمدا الى اختصار الاحداث والايام ، والذي يراجع مجموعات الصحف في ذلك الوقت لا يجد يوما قد مر في فلسطين دون صراع وجهاد ونضال قوي مرير .

ولكي نحيط احاطة كاملة وسليمة بالثمن الذي دفعه شعب فلسطين دفاعا عن الوطن العربي ، نعود الى الصحف وهي تمثل سجلا لا يتهم بالتحيز للعرب ، ولنطلع عليها باحثين عن احكام الاعدام وبعض الخسائر المعلنة خلال عام ١٩٣٨ :

في ٤ يناير تم في سجن عكا تنفيذ حكم الاعدام في عربي لحيازته سلاحا ، وقد جرت محاكمته سرا ، وفي ١١ منه اعلنت موافقة القائد العام على اعدام عرييين لاتهام أحدهما بقتل المستر سباركس ، وفي ٢٦ منه نفذ حكم الاعدام في سجن عكا في ثلاثة من العرب بتهمة علاقتهم بمصرع ضابط بريطاني .

وفي خلال فبراير من نفس العام حكم على عربي يدعى الحاج عبدالله اوتيله من الخليل بثلاث سنوات سجن لحيازته ثلاثة جرامات من ملح البارود ، وفي ١٤ منه نفذ حكم الاعدام في السيد محمد حسين أبو الرب لحمله مسدسا ، وفي ٢١ منه أعلن اعتقال السيد عبد الحميد شومان مدير البنك العربي وارساله الى السجن ، وفي ٢٣ منه نفذ على السيد رمضان عبد القادر حمام حكم الاعدام بتهمة حيازته مسدسا ومحاويلته اغتيال « كرانر » يوم اعدام الشهيد محمد أبو الرب .

وفي ٢ مارس نفذ حكم الاعدام في ١٢ عربيا لاتهامهم بقتل احد البريطانيين .

وفي ١٣ أكتوبر أعلن أن العرب خسروا ١٥ قتيلا في معركة حاياردن وفي ٣٠ منه أعلن ان الكونستابل البريطاني « ميكس » قتل ثلاثة من العرب المساجين حينما كانوا يرحلون الى طولكرم بدعوى محاولتهم خطف سلاحه .

وفي ٨ نوفمبر قتل عربي في المنطقة الجنوبية ، وفي ١٧ منه أعلن مصرع عربي آخر عندما حاول الافلات من الجند ، وفي اليوم نفسه وجد عرييان قتيلا ، وفي ٢١ منه قتل عربي آخر بجوار القدس .

وفي ٢٨ ديسمبر أعلن أن عربيا قتل بقبلة يدوية .

وفي نفس العام حكم على جميع سكان عين كارم ، وعددهم ثلاثة آلاف أن يسيروا عشرة كيلو مترات يوميا ليثبتوا وجودهم لدى مركز البوليس ثم يسمح لهم بالعودة الى قريتهم .

وواصلت بريطانيا حملتها المخومة على شعب فلسطين في سبيل قضية التهويد فحكمت بالسجن المديد على أكثر من ٢٠٠٠ من الشيوخ والشباب والنساء ، وهدمت أكثر من خمسة آلاف بيت ، وجعلت حكم الاعدام مجزأ لكل من يحمل رصاصة أو قطعة من سلاح أو مفرقة ، حتى بلغ عدد الذين أعدموا شنقا في سجن عكا ١٤٨ شهيدا ، وبلغ عدد من اعتقل لمدد مختلفة أكثر من خمسين ألفا وفقدت السلطات البريطانية صوابها فكان ضابطها يجمعون سكان أي قرية يشتبه في اطلاق الرصاص منها ، ثم ينتقي الضباط البريطانيون عددا من الشباب ويطلقون عليهم الرصاص على مشهد من سكان القرية العزل . هذا بالإضافة الى التعذيب الوحشي من كي الأجسام وتقطيع الأظافر وهرب اللحوم واحراق اللحى والشوارب وتسليط الكلاب الجائعة لتنهش لحوم الأحرار .

#### ٦ - أسعار للمجاهدين :

ومع تلك الاجراءات العنيفة التي اتخذتها سلطات الانتداب البريطاني خلال ذلك العام ، كانت مشغولة قلقة بأولئك النفر الذين لم تستطع اعتقالهم ، وهم يربكون مخططات التهويدي كل يوم ، ونثبت هنا واحدا من المناشير العديدة التي كانت تتلاحق من دار المندوب السامي دون جدوى في سبيل اعتقال أبناء فلسطين الذين يقودون الحركة النضالية في مختلف أرجائها .

« تعطي حكومة فلسطين مكافأة لكل من يقدم اخبارية تؤول مباشرة الى القبض على الأشخاص المذكورة أسماؤهم ادناه :

- |                             |                           |
|-----------------------------|---------------------------|
| ١ - خليل محمد العيسى المكنى | من حيفا ٥٠٠ جنيه          |
| بأبي ابراهيم                | من بلد الشيخ ٥٠٠ جنيه     |
| ٢ - عطية أحمد               | من ذنابة ٥٠٠ جنيه         |
| ٣ - عبد الرحيم الحاج محمد   | من سيلة الحارثية ٢٥٠ جنيه |
| ٤ - يوسف سعيد أبو الدرة     | من الطيبة ٢٥٠ جنيه        |
| ٥ - عارف عبد الرازق         | من ترشيحا ٢٥٠ جنيه        |
| ٦ - فوزي رشيد               |                           |



- ٧ - محمود سالم  
٨ - فريد سعيد عبدالرحيم المكني  
٩ - محمد الاحمد الحلقموس  
١٠ - محمد احمد القاسم المكني  
١١ - اسعد خليل السعدي  
١٢ - ابراهيم عموري  
١٣ - احمد محمد عبد القادر الطوبي  
١٤ - صالح الحجري  
١٥ - عيسى بطاط  
١٦ - يوسف الحاج اسعد  
١٧ - توفيق الابراهيم  
١٨ - مسعود محمد العبد النصار  
١٩ - كامل الحسن اللبادي  
٢٠ - رئيس جماعة ابو حميد  
٢١ - عبدالله شعر
- من قباطية ٢٥٠ جنيه  
من المزرعة القبلية ٢٥٠ جنيه  
من جلقموس ٢٠٠ جنيه  
من دير ابو ضعيف ٢٠٠ جنيه  
من المزار ٢٠٠ جنيه  
من طولكرم ٢٠٠ جنيه  
من صفورية ٢٠٠ جنيه  
من حيفا ٢٠٠ جنيه  
من الخليل ٢٠٠ جنيه  
من عربونة ١٠٠ جنيه  
من عين دور ١٠٠ جنيه  
من ام الزينات ١٠٠ جنيه  
من يامون ١٠٠ جنيه  
من ترشيحا ١٠٠ جنيه  
من صفد ١٠٠ جنيه

ولهذه المناسبة تعلن الحكومة البريطانية بفلسطين عن مكافأة قدرها عشرة آلاف جنيه لمن يرشد الى قاتل أو قتلة المستر أندروز حاكم لواء الجليل (٤٥).

#### ٧ - اللجنة الفنية البريطانية تدحض تقرير لجنة بيل :

وسط هذه الأحداث التي كانت تجري مخضبة بالدماء في مختلف أنحاء فلسطين ، كانت بريطانيا قد أرسلت لجنة فنية لتتابع توصيات اللجنة التي سبقتها والتي أوصت بتقسيم فلسطين ، ووصلت هذه اللجنة برئاسة السير جون ودهيد في ٢٧ من ابريل ( نيسان ) ١٩٣٨ ، ولكن الشعب العربي أعرض عنها ، وقرر الا يلاقيها ولا يباحثها ، ولم يعد هذا الشعب مستعدا للعدول عن رايه الذي كان قد ارتآه بالنسبة للجنة السابقة ، واضطر ان يعدل عنه تحت الحاح من حكام العرب الذين لا يتوقعون الا خيرا من صديقتهم بريطانيا (٤٦) .

واستقبل العرب هذه اللجنة الفنية بالاضراب العام ، وقاطعوها

(٤٥) جريدة الشباب ٢٣ من فبراير ١٩٣٨ .

(٤٦) راجع خطاب عبد العزيز وعبدالله وغازي في اضراب عام ١٩٣٦ ص ٢٠٨ ولجنة بيل ص ٢١٦ من هذا الكتاب .

مقاطعة كاملة شاملة ، واستجاب الشعب كله الى اللجنة العربية العليا وهي تقول في منشورها بمناسبة مجيء اللجنة الفنية : « ليس في الوطن العربي اقسام للمنح ، فمن شاء فليهب من ماله ، ومن أراد فليمنح من ملكه الخاص » .

وعلى الرغم من انها بقيت في فلسطين من شهر ابريل ( نيسان ) الى اوائل شهر أغسطس ( آب ) ، فان المظهر الوحيد الذي عاصرها من العرب كان هو استمرار الثورة ودوي القنابل واحتلال المدن والقرى ، وعادت تلك اللجنة الفنية لتقول الى بريطانيا والى العالم اجمع : « في أثناء اقامتنا بفلسطين لم يتقدم لنا اي شخص عربي لاداء الشهادة او التعاون معنا على أي وجه من الوجوه ، بل كانت مقاطعتهم لنا تامة شاملة ، وقد وجدنا الجو مشبعاً بالفضاء والمرارة الشديدين ، وقمنا بتحقيقتنا في هذا الجو المظلم الذي ساد فيه العداء العنصري وأعمال العنف والاضطراب الشامل .

واذا كانت اللجنة قد رأت ان ادخال الجليل الى الدولة اليهودية لن يؤدي الى صعوبة كبيرة ، لأن سكان الجليل العرب كانوا اثناء اضطرابات ١٩٣٦ الماضية أقل انقيادا من عرب السامرة والجنوب الذين تركزت فيهم روح المقاومة القومية ، فان الحوادث الأخيرة أثبتت خطأ هذا الرأي ، وذلك ان الحالة تغيرت سريعا على أثر تقرير اللجنة الملكية ، فمنذ ذلك الحين والجليل يتمخض بالثورة ويتطلب توطيد السلام والنظام فيه احتلالا عسكريا » .

ولقد تناول تقرير هذه اللجنة الفنية مشروع التقسيم الذي وضعتة اللجنة الملكية بالتحليل والتفنيد ، مما يحذر تسجيله هنا للتاريخ ، ولما فيه من ايضاح عن أراضى العرب التي احتفظوا بها برغم الارهاب البريطاني والمال اليهودي ، ولنسر مع تقرير اللجنة الفنية :

« بعد دراستنا لمشروع اللجنة الملكية ( التي أوصت بالتقسيم ) دراسة فنية احصائية مستفيضة ، اتضح ان عدد اليهود في الدولة العربية لا يتجاوز سبعة آلاف نسمة أي نحو ٢٪ من عدد السكان ، مع ان عدد السكان العرب في الدولة اليهودية يكاد يساوي عدد من فيها من اليهود ، وأما الأراضى ، فما يملكه اليهود في الدولة العربية ضئيل وهو ما يقارب ٩٢ ألف دونم ، على حين يملك العرب في الدولة اليهودية نحو ثلاثة ملايين وثمانمائة وخمسة وخمسين ألف دونم ، مع ان اليهود أنفسهم لا يملكون في دولتهم المقترحة أكثر من مليون ومائة وأربعين ألف دونم ، أي سيكون للعرب أربعة أخماس الأراضى في الدولة اليهودية كلها » .



وتضيف اللجنة الفنية قولها : « فلا مجال والحالة هذه لتبادل الاراضي والسكان ، يضاف الى هذا أن العرب لا يرضون بالخروج من اراضيهم وارااضي آبائهم ، ثم أن هذه الاراضي التي يطلب منهم مغادرتها هي أخصب اراضي فلسطين وأحسنها ربا ، وذلك الى أراض قاحلة يندر فيها سقوط المطر ، وتتوقف مواسمها الزراعية على الري وكل ذلك لايجاد متسع لليهود » .

ولقد واصلت هذه اللجنة الفنية شجب مشروع التقسيم وتهديمه ، بحجج هي غاية في المنطق الواقعي والتصوير الصحيح ، وهي بعد أن أشارت الى تملك العرب لاربعة أخماس اراضي دولة اليهود المقترحة ، وبعد أن أوضحت أن عددهم في تلك الدولة سوف لا يقل عن عدد اليهود ، تحدثت عن القسم الجنوبي فيها فقالت أن العرب يمثلون سواده الاعظم ، وهم يبلغون نحو تسعين في المائة من مجموع السكان ويملكون أكثر من تسعة وتسعين في المائة من اراضيها ، فلا يجوز ادخالها ضمن الدولة اليهودية فسكانها كلهم عرب تقريبا ، وارااضيها كلها عربية تقريبا ، وعرب الجليل يقاومون بشدة الحاق منطقتهم بالدولة اليهودية ، ولا شك أنهم سيلجئون الى القوة للحيلولة دون ذلك ، وليس هنالك ما يسوغ استعمال القوة لارغام هذا العدد الكبير الذي يقطن في منطقة عربية محضة على قبول سيطرة اليهود ، واذا أمكن سحق مقاومة العرب فالهدوء سيكون موقتا ، وستظل هذه المنطقة بسبب عروبتها وصعوبة مسالكها قرحة دائمية في جسم الدولة اليهودية .

وكان من المنتظر أن نتيجة هذا التقرير الذي قدمته اللجنة الفنية لمشروع التقسيم الذي يحوي كل سطر فيه معنى بطلان المشروع ويوضح ظلامة العرب ويثبت ملكيتهم الساحقة للاراضي واكثرتهم العددية ، كان المنتظر أن تعلن اللجنة أن فكرة التقسيم هي خيال لا يقوى على البقاء ، ولكنها مع كل هذا ، ووفقا للسياسة البريطانية العليا التي تهدف الى خلق ركيزة استعمارية وسط الوطن العربي ، جاءت توصياتها هي ايضا داعية الى تقسيم جديد لا يختلف جوهره الا في تغيير المناطق واستبدال الاماكن .

ومع هذا السير الذي سلكته هذه اللجنة نحو التقسيم وفقا للهدف البريطاني الاعلى ، فانها لم تستطع أن تخفي عجزها وربكتها وعدم ايمانها بجدية وأحقية هذا التقسيم الذي قدمته معدلا ومعالجا في رأيها ، وأنها لتقول : « ان تنفيذ هذا التقسيم الذي نوصي به سوف يقابل بثورة عربية وسوف لا يمكن اخمادها الا بقوة تفوق قوتهم ، أما عدد تلك القوات اللازمة لهذا الامر ، وأما المدة التي ستصرف في اخمادها ، وأما النفقات التي ستبذل

والخسائر التي تلحق بالبلاد والعدد والارواح التي ستزهق ومقدار ما ستخلفه هذه الاعمال من شعور الكره للانجليز واليهود ، فهي أسئلة لا تستطيع اللجنة أن تكلف نفسها عناء الاجابة عنها » .

وليس من شك في أن هذا التحذير الواضح الخطير الذي تقدمه اللجنة الفنية يستوي معناه تماما مع عبارة أخرى أكثر صراحة ، يشعر الباحث انها كانت تدور بخلد هذه اللجنة ، فحواها : ها نحن يا حكومة بريطانيا قدما لك مشروعا للتقسيم هو مجحف بالعرب أصحاب البلاد الاصليين ، ولكنه أقل ظلما لهم من مشروع التقسيم السابق ، ولكننا مع اننا أصحاب هذا المشروع فاننا لا نؤمن به ولا نراه خليقا بالتنفيذ ، ولا نعتقد أنه سوف يميز دون ثورة وحرب وخسائر وزعزعة للثقة وكره سايع وحقد مقيم .

ان هذا المعنى السري الذي صاغته اللجنة الفنية بين سطور تحذيرها ، ظهر واضحا من أحد أعضائها الذي تحرك ضميره بنشاط أقوى من نشاط ضمائر الآخرين ، وأراد أن يعلنه للتاريخ صادقا قويا يقرأ بالحروف لا بين السطور ، فقد احتفظ عضو اللجنة المدعو مستر ريد برأيه ونشرت توصيته مع تقرير مذكرته المستقلة التي استنكر فيها التقسيم على جميع أشكاله

وقال : « اذا تركنا الآراء جانبا جابهتنا الحقيقة الواقعة التالية وهي ان اعلان سياسة التقسيم قد حول الاضطرابات في فلسطين الى ثورة عربية قومية ، أسهم فيها العرب المقيمون ببعض الاقطار العربية ، لقد أوفى الانتداب بوعده أعطي تحت ضغط ظروف الحرب ، أما اقتراح تقسيم البلاد فهو أمر آخر بالمرّة ، اي انه انقلاب لا يجوز أن يجريه الاوصياء من دون موافقة شعب فلسطين الذي ليس هو بالساذج المفتقر الى الوصي ، ولا بالعاجز عن اتخاذ قرار بهذا الشأن » (٤٧) .

#### ٨ - بريطانيا تعلن عدولها عن التقسيم :

وعلى ضربات الثورة العربية المسيرة ، ومع تجلد الشعب العربي في فلسطين أمام ارهاق الاستعمار ومظالمه ، أعلنت بريطانيا عدولها عن قرار التقسيم ، فأذاعت أوائل نوفمبر ( تشرين الثاني ) من عام ١٩٣٨ : « أن بريطانيا بعد انعام النظر في تقرير لجنة التقسيم قد ظهر لها أن صعبا سياسية وإدارية ومالية عظيمة ، ينطوي عليها اقتراح انشاء دولة عربية وأخرى يهودية حتى أصبح واضحا أن هذا الحل لن يكون حلا عمليا (٤٨)

(٤٧) القضية الفلسطينية ، ص ١٢٨ - ١٢٩ .

(٤٨) الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين ، ص ٢٦٥ .



ان بريطانيا تسعى لخلق تفاهم بين العرب واليهود في سبيل اقامة السلام في فلسطين ، وهي في سبيل ذلك سوف توجه فوراً دعوة الى الدول العربية والى الوكالة اليهودية والى عرب فلسطين لعقد اجتماع في لندن حول السياسة الخاصة بفلسطين بما فيها الهجرة اليهودية ، وان بريطانيا تحتفظ لنفسها بالنسبة لتمثيل عرب فلسطين بحق رفض الزعماء الذين تعتبرهم مسئولين عن حملة الاغتيال والعنف ، واذا لم تنجح هذه المباحثات فسوف تعلن بريطانيا السياسة التي يجب اتباعها . » (٤٩) .

اذن لقد استحال حتى هذا التاريخ على بريطانيا بجميع ما سنت من قوانين واغتصبت من ارض وشردت من أسر ، أن تحنسي رؤوس عرب فلسطين لوعد بالفور وصك الانتداب ، وها هي ذي تدرك أن تقسيم فلسطين أمر مستحيل وغير عملي ، وهي لذلك تقرر عقد مؤتمر لندن ، وتعترف بحق العرب جميعاً وواجبهم تجاه فلسطين ، فتقرر دعوة الدول العربية المجاورة للمشاركة في المباحثات .

ويشتمل الحقد في قلب حكام بريطانيا ، حقد يظهر حين تدعو لذلك المؤتمر مرغمة وغير راغبة ، وان هذا الارغام انما جاء بفعل ثورة الاحرار الفلسطينيين وزعمائهم الكبار ، ولذلك فهي تعلن انها سوف ترفض ان يمثل الفلسطينيين أحد من الزعماء المتهمين بأنهم ذوو علاقة بالثورة ، وكانت بريطانيا قد ارغمت رئيس المجلس الاسلامي وهو رئيس اللجنة العليا وعديداً من رفاقه على الهجرة خارج الحدود حيث استقروا في سوريا ولبنان ، كما اخذت أعضاء اللجنة العربية معتقلين في جزيرة سيشل ، وهي تود أن يبعد هؤلاء عن شرف التمثيل لشعبهم فهم الثوار وهم القادة ، وهم الاعداء للبرنامج الصهيوني الصليبي ، وانها لتود أن يمثل الشعب الفلسطيني أحد الذين يبحثون عن أنصاف الحلول ، ولكن شعب فلسطين وثورته مستمرة ملتزمة ، صمم على الا يشترك في المؤتمر ما لم يطلق سراح معتقلي سيشل ، وان يختار بحريته ممثليه في ذلك الاجتماع ، وحاولت بريطانيا واتصلت بأساليبها العديدة وبذلت جهدها وفشلت في أن تفرض من وراء ستار ممثلين ترضاهم ومندوبين تختارهم ، وفي السابع من ديسمبر ( كانون الاول ) عام ١٩٣٨ أعلنت إطلاق سراح معتقلي سيشل وان العرب احرار في اختيار ممثليهم ، ويأتي بعد ذلك تصريح وزير المستعمرات البريطانية ليصور صلابة عرب فلسطين وقدرتهم على الثبات والمواجهة فيقول :

« ان بريطانيا اذا تدخلت في اختيار ممثلي العرب فيحتمل الا يقبل

اي عربي أن يجيء الى لندن (٥٠) » .

وسرعان ما وصل الى مصر ثم الى بيروت أولئك الذين بقوا على قيد الحياة من القادة المبعدين في روديسيا (٥١) ، وهناك عقدت اللجنة العربية العليا جلستها برئاسة السيد أمين الحسيني مفتي فلسطين واللاجئ الى لبنان ، وتقرر أن يكون أغلب الممثلين في لندن والجالسين على مائدة المفاوضات هم أولئك الذين أبعدهم سلطات الانتداب منذ أكثر من عامين الى جزيرة سيشل وهكذا تقابل في لندن وجهها لوجه من يمثل الثورة المخلصة المستمرة ، ومن يمثل الانتداب البريطاني الذي فرض نفسه ليتمكن للصهيونية وسط بلاد العرب .

ولندرك الانطباعات والافكار التي كانت في مخيلات الانجليز في هذا المؤتمر ، يجب أن نعود الى بيان وزير المستعمرات الذي القاه في ٦ أكتوبر ( تشرين الثاني ) ١٩٣٨ في مجلس العموم البريطاني لنرى كيف يصور المشكلة بين العرب واليهود :

« ان فلسطين تشتمل على فريقين متنازعين : فلنبداً باليهود أولاً ، لقد كان لهم في فلسطين موطن منذ ألفي سنة ، ولكنهم منذ ذلك الزمن فرقوا وشتتوا في جميع أنحاء المعمورة ، أنهم شعب لا بلاد له ، ولكن الكثيرين منهم عاد اليها مستنداً الى صك الانتداب الذي أيده أكثر من خمسين دولة ، ولا يدعي أحد ان بريطانيا لم تقم بتسهيل الهجرة اليهودية الى فلسطين ، فمنذ عام ١٩٢٢ دخل فلسطين ما يزيد على ربع مليون واستوطنوها ، ان اليهود المقيمين في فلسطين يوجدون فيها بناء على حق وليس كمنة ، ولكننا لم نقطع على أنفسنا عهداً بجعل تلك البلاد موطناً لكل شخص يود أن ينجو من تلك الكارثة العظمى ، وفلسطين صغيرة حتى ولو كانت خالية من السكان لا تستطيع أن تقبل الا جزءاً صغيراً من اليهود الهاربين من أوروبا ، ومع هذا وبرغم الاضطرابات فانهم يقدون اليها بمعدل ألف يهودي كل شهر » .

وبعد أن افاض الوزير البريطاني في الحديث عن اليهود وفلسطين ، تحدث عن العرب فقال :

« أما الشعب الآخر الذي يشمل هذا النزاع المرير في فلسطين ، فهو الشعب العربي ، لقد عاش العرب في تلك البلاد منذ قرون عديدة ، ولم يؤخذ رأيهم عندما صدر وعد بالفور ولا عندما وضعت صيغة صك الانتداب ،

(٥٠) القضية الفلسطينية ص ١٢٦ .

(٥١) وهم جمال الحسيني وأمين التميمي والفرد روك وبغوب الفصين وأحمد حلمي .



ولقد كانوا خلال السنوات العشرين التي تلت الحرب الكبرى يرقبون هذا الاجتياح السلمي الذي يقوم به شعب غريب، ورفعوا عقيرتهم بالاحتجاج الصاخب بين الآن والآخر، فقد شاهدوا تسرب اراضيهم من ايديهم وانتشار المستعمرات اليهودية انتشارا مطردا في صميم البلاد، واضطروا الى الاعتراف بتفوق ذلك الشعب عليهم في النشاط والمهارة والثروة فاخذت تساورهم المخاوف» .

وبعد ان تحدث الوزير البريطاني عن ازدياد الهجرة اليهودية التي شجعتها وحمتها حكومته قال :

« وتساءل العرب في عجب : متى تقف هذه الهجرة الواسعة النطاق ؟ وهل ستقف يوما عند حد ؟ ، ام تبقى مستمرة بلا نهاية ، حتى اصبحوا يخشون ان يؤول مصيرهم في بلاد آبائهم واجدادهم الى الخضوع لسيطرة هذا الشعب الجديد النشط ... ولو كنت انا عربيا لتولاني الذعر ايضا . ولنصل الى حقيقة هذه المسألة يجب ان نضع انفسنا لا في موضع اليهود فحسب بل في موضع العرب ايضا » .

وبعد ان انتقد الوزير ثورة العرب واصفا بعض الثوار بالارهاب ، اضطر ان يعترف بالوطنية العربية قائلا :

« ان كثيرين من المشتغلين بالحركة العربية الفلسطينية ، انما يشغلون بحافز من الشعور الوطني الصادق ، ومهما بلغ بهم الخطأ ، ومهما بلغ بهم الضلال في الاسترشاد ، فان الكثيرين منهم قد اضطروا الى ركوب المخاطر والمجازفة بأرواحهم في سبيل بلادهم .

« وحتى اذا كان وعد بالفور قد افاد العرب الذين جاء اليهود الى بلادهم بالمال والعمل ، فلهم ان يبصروا هذا ولا يسمعوا هذه الحجة ، انهم يفكرون في حريتهم المهددة ، ويجب علينا نحن الشعب البريطاني ان نكون آخر شعب في العالم لا يدرك شعور العرب بهذا الشأن ، فلو كان الشعب البريطاني مكان العرب لما احجم عن التضحية بأي فائدة مادية حين يرى حريته مهددة » (٥٢)

ثم اعلن الوزير عن الاجتماع الذي سوف يدعى له العرب : الحكومات المجاورة وشعب فلسطين وكذلك اليهود من جانب آخر ، ولكن الوزير البريطاني لا يذكر اليهود وحدهم ولكنه يقول :

(٥٢) الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين ، ص ٢٦٧ .

« ان الحكومة ستدخل المباحثات بطبيعة الحال مرتبطة بالالتزامات المترتبة عليها بموجب صك الانتداب نحو العرب ونحو اليهود ونحو البرلمان ونحو الولايات المتحدة الامريكية » .

اذن فالولايات المتحدة طرف في هذا النزاع الذي خلفه التآمر الصهيوني مع الصليبية الاستعمارية في فلسطين وهي طرف دل التاريخ على انه الى جانب اليهود سافر غير خاف .

#### ٩ - مؤتمر المائدة المستديرة :

انعقد مؤتمر لندن في السابع من فبراير ( شباط ) عام ١٩٣٩ ، وقد اشتركت فيه عن العرب مصر والعراق وشرق الاردن واليمن والمملكة السعودية ، وقد وصلنا في استعراض المراحل التاريخية الى ان الثورة الفلسطينية بما فيها من خسائر مادية متلاحقة بالعرب ، وخسائر ومتاعب يومية لحكومة الانتداب قد اضطرت الحكومة البريطانية التي باركت التقسيم وايدته في عام ١٩٣٧ ، اضطرتها الى ان تلغيه وتتناساه في عام ١٩٣٨ ، ودفعته الى دعوة مؤتمر كبير يبحث المسألة من جميع جوانبها ، واصبح لازما ان نستعرض في ايجاز موقف العرب في ذلك المؤتمر وموقف المندوبين الذين كانوا يفاضون بريطانيا ويباحثونها .

كان الوفد البريطاني ، ويرأسه مستر تشمبرلين رئيس الوزارة ورافقه ثلاثة عشر عضوا هم خليف من وزراء ووكلاء وزارات وبرلمانيين ووكلاء دائمين وغيرهم ، غير ثلاثة من السكرتيرية ومترجم رسمي واحد ، ولكي نحيط بموقف العرب ومقدار قوتهم في ذلك المؤتمر ، يجب ان نسمع بعضا مما قاله كل وفد ، ومن تلك العبارات سوف نستخلص القوة او الضعف ، ونرى ان بعضها كان استجداء لبريطانيا ، وكان استجداء ينزل الى الملق والزلقي ، ويعطي صورة واقعية حية لحديث المستضعفين مع الاقوياء على حين كان البعض الآخر قويا صامدا اشبه بأحاديث الثوار الصادقين .

كان رئيس الوفد الفلسطيني احد المتكلمين فقال :

« ان السياسة التي اتبعتها الحكومة البريطانية في فلسطين منذ عام ١٩١٨ قد اظهرت ان مخاوف العرب لم تكن وهمية مطلقا ، وقد حرم العرب الاستقلال الذي وعدوا به في تعهد بريطانيا ٢٤ اكتوبر ( تشرين الاول ) ١٩٢٥ ، وقد اقيمت في فلسطين ادارة ظلت طوال السنين العشرين الماضية تمارس حكما مطلقا كانه سلطة استبدادية دكتاتورية في كافة نواحي الحكم من تشريعية وتنفيذية وقضائية ، وبهذا حرم عرب فلسطين من أبسط



## حقوق الحكم الذاتي .

وقد كانوا يتمتعون قبل الحرب ( أيام الحكم العثماني ) بحق التمثيل البرلماني والمسئولية الوزارية ، وذلك الانتداب كانت بنوده نتاج بحوث خفية دارت بين بريطانيا واليهود الصهيونيين أبعد عنها العرب أبعدا مقصودا ، بينما كانت تلك الأبحاث تتعلق بمصير بلادهم نفسها ، وبناء على ذلك الانتداب سنت بريطانيا القوانين التي سهلت بها الهجرة اليهودية ، والاستيلاء على ما أمكنهم من الأراضي ، وبوغم احتجاجات العرب المستمرة . ان العرب لا يعترفون ولن يعترفوا بتصريح بالفور ولا بالانتداب ، فقد تضمن الاول وعدا لم يكن من حق بريطانيا اعطاؤه بدون رضى العرب أما الثاني فهو مستند غير قانوني ، اذ تتعارض بنوده مع نص المادة ٢٢ من ميثاق عصبة الامم ، ان العرب يقفون ضد سياسة بريطانيا في فلسطين لثلاثة أسباب :

١ - انكار الاستقلال الذي وعد به العرب .

٢ - ادخال جموع اليهود المهاجرين الى فلسطين ، وهم غرباء في لغتهم وعاداتهم وآدابهم .

٣ - سن القوانين الشاذة تحت الضغط الصهيوني وتسهيل استيلاء اليهود على الارض .

ثم لخص مطالب العرب في الاستقلال وانهاء تجربة « الوطن القومي » والفاء الانتداب ووقف هجرة اليهود (٥٣) .

وتكلم الامير فيصل رئيس الوفد السعودي فهدد بريطانيا بأن علاقاتها مع العرب انما تتوقف على نتائج ذلك المؤتمر وقال :

« انه اذا لم تحل قضية فلسطين حلا عادلا يرضي العرب ، ويؤمنهم على سلامة بلادهم وكرامة مقدساتهم ، فانه يخشى أن علاقات بريطانيا مع العرب تسوء الى درجة كبيرة » .

واكد ان فلسطين داخلة ضمن مباحثات الحسين - مكامهون ، وأن وعد بالفور وصك الانتداب كلاهما باطل .

وتكلم الامير الحسين رئيس وفد اليمن ، فقال :

« أرجو أن يتفضل الوفد البريطاني بأن يقول لليهود انه مهما بلغ من قوة أي نفوذ في العالم ، فلن يستطيع أن يهزم الحق ، أو أن يخفف الشعور

(٥٣) كان رئيس الوفد الفلسطيني هو السيد جمال الحسيني .

الذي يسود العالمين العربي والاسلامي بسبب هذا التحدي لوطنية العرب والمسلمين وكرامتهم ومصالحهم المشتركة » .

وتكلم علي ماهر عن وفد مصر فقال :

« اننا حين نلح على الحكومة البريطانية بوجوب اقامة دولة مستقلة في فلسطين مستعدون للالحاح كذلك على عرب فلسطين بوجوب قبول كل الضمانات والمصالح المعقولة التي تطلب منهم »

وجاء دور بريطانيا داخل المؤتمر ، فألقى المستر مكدونالد كلمة طويلة قال فيها :

« انني لا اظن أن أحدا ممن قرأ تقرير سمبسون وتقرير اللجنة الملكية وتقرير لجنة وودهيد يشك في أن المجال لاقامة اليهود المهاجرين في فلسطين محدود جدا ، فهناك مساحات لا يوجد فيها متسع لآخرين ، ومساحات يضيق فيها المجال جدا لقبول مهاجرين ، والحكومة بمقتضى تعهداتها ملزمة أن لا تسهل الهجرة اذا كانت تضر بحقوق الاهالي الآخرين ومركزهم » (٥٤) .

ولكن هذا الوزير نفسه الذي يشير الى تقارير اللجان البريطانية التي اكدت انه لم يعد هناك متسع للهجرة يقول في الخطاب نفسه مناقضا نفسه :

« أن حالة العمل بين اليهود والعرب تتعرض للضرر اذا توقفت الهجرة ، وأن من النتائج غير المباشرة أن ينقص دخل الحكومة في هذه الحالة ، وأن يؤدي هذا الى تقليل الانفاق على الاعمال العامة والتي كان التوسع النافع فيها من خصائص بريطانيا في العشرين السنة الماضية » .

وهنا يقف مندوب شعب فلسطين ليرد على المتحدث البريطاني ويقول :

« ان المستر مكدونالد قد اغرق في حماسه للمزايا العظيمة التي جاءت بها الهجرة اليهودية لفلسطين ، حتى جعل العرب يبدون كأنما ينقصهم الفهم أو الإدراك لما هو خير لهم أو ليس بخير لهم ، وقد قيل انه لولا الهجرة لما كانت لهم اليوم قدرة شرائية ، وكاد يقال لهم انه لولا الهجرة لما كان لهم أطفال » .

وتكلم السيد نوري السعيد عن العراق ، فعاد به الفكر الى مراسلات الحسين ومكامهون ، مؤكدا أن مستقبل العراق وفلسطين كان في نفس

(٥٤) المصدر السابق ٢٧٩ - ٣٠٩



المستوى في تلك المراسلات ، وذكر بالثورة العربية التي كان هو احد رجالها، والمساعدات التي قدمتها للحلفاء ضد تركيا ، ثم صاغ خاتمة بيانه في عبارات ودية وقال :

« اننا لمؤكدون من انه لا يمكن أن يسود السلم في فلسطين ويضمن دوامه في المستقبل الا باعطائها حكما ذاتيا ، انني في جميع ما قلته أرجو أن تتذكروا بأنني أتكلم كصديق حميم لبريطانيا العظمى ، وأعتقد بأنني الشخص الوحيد هنا الذي قام تحت قيادة الملك حسين وأولاده بقيادة الجيوش في ساحة الحرب بالتعاون مع القوات البريطانية ، واني لا أرغب بأن أقول كلمة تجرح شعور أي بريطاني ، لأنني أشعر بصدقة نحوهم من أعماق قلبي وإذا كان ما قلته يعتبر قويا جدا فعذري في ذلك انه يجب أن أبين لكم كيف ينظر الى حقيقة سياستكم في البلاد العربية » .

وشاءت بريطانيا أن تكون صريحة مع العرب ، فأكدت أنه ليس في نيتها أن تقيم دولة عربية ولا دولة يهودية ، ولكنها عازمة على اعلان استقلال فلسطين لجميع سكانها بعد عشر سنوات ، على أن تستمر الهجرة اليهودية بمعدل خمسة وسبعين الفا للسنوات الخمس ، بحيث يكون عدد اليهود يمثل ثلث سكان فلسطين ، وبعد انقضاء السنوات الخمس ، سوف لا يسمح بالهجرة اليهودية الا بموافقة العرب واليهود والسلطات البريطانية ، وان قيام حكومة مستقلة في فلسطين مرهون بالتطورات الدستورية والتشريعية التي تنوي بريطانيا اقامتها لصالح الجميع .

ويقف من جديد رئيس الوفد الفلسطيني ليطالب بكل وضوح مندوب بريطانيا أن تكون اقتراحاته بعيدة عن متناول الاعتراض الجدي ، ذلك أن الاقتراح بفترة الانتقال من الانتداب الى الاستقلال لم يحدد لها موعد ، وجعلت مرهونة بنجاح المراحل الدستورية والتعاون بين الحكومة وأهل فلسطين ، والعرب يقبلون فترة الانتقال مع تمسكهم بضرورة تحديد مدة لهذه الفترة ، أما عن الهجرة ، فالوفد العربي يلاحظ بكل ارتياح أن بريطانيا قد اعترفت أخيرا بأن من الواجب أن تنتهي هجرة اليهود الى فلسطين ، ولكن هذا لا يمنعه من القول بأن البلاد لم يعد فيها مكان لاستيعاب أي مهاجرين جدد .

وكرر رئيس وفد فلسطين انه كثيرا ما لوح أمام عيون العرب بالاستقلال في صور شتى في السنوات الماضية ، لكنه لم يتحقق قط ، وقد جرب العرب التصريحات السياسية التي كان مصيرها كمصير الفقاع ، وفي خلال العشرين السنة الماضية كانت آمال العرب تحيا كل سنتين لتعود فتتحطم على صخور الخيبة .

## ١٠ - استمرار الثورة عام ١٩٣٩ :

لقد بدأ ذلك المؤتمر الذي دعت اليه بريطانيا في فبراير ( شباط ) ١٩٣٩ واستمر مناقشا القضية الفلسطينية بوجهين ، أحدهما قابلت به بريطانيا الوفود العربية في صباح كل يوم ، والآخر قابلت به اليهود في مسائه ، ولكن الثورة العربية التي اشتعلت في ابريل ( نيسان ) ١٩٣٦ كانت مستمرة في داخل فلسطين حتى أثناء انعقاد المؤتمر في لندن وبحوثه عن المستقبل المرتقب ، وفي الوقت الذي كان فيه تشمبرلين ووزراؤه يفتتحون المؤتمر ، كانت قواتهم العسكرية تنازل الثوار العرب وتفتش القرى وتهدم المباني وتنكل بالجموع .

ولكن تلك الثورة تخطت حدود الاستعدادات البريطانية ، واستمرت مشتعلة قوية صادقة ، واننا لتأخذنا الحيرة ونحن نواصل الاطلاع على سجل تلك الأيام الحافلة المليئة بالامجاد العربية ، حين كانت قوى بريطانيا والصهيونية تتحطم أمام جهاد شعب فلسطين ، وحين كان العرب في كل مكان يتخذون من ذلك الجهاد فخرا يرفعون به رؤوسهم .

وفي حيرة أيضا نستغرب ذلك الاستمرار العربي الثوري والبطولة والشجاعة ، ولكنها حيرة الباحث حين يجد نفسه بين عديد من الأيام المهمة التي يحفل كل منها بأحداث وأحداث ، فهو لا يستطيع نشرها جميعها ، لأن ذلك يمثل اطالة تشابه فيها الاسماء والمواقع ، ولا يستطيع تركها لأنها صفحات عربية غاية في النضاعة والبياض لا يمكن الاستغناء عنها ، ولا يستطيع الجزم بأي يوم يستطيع أن يففيه عن التسجيل .

وسواء كان النصر حليف المجاهدين في تلك الأيام أم كان استشهادهم دليل جهادهم وتضحياتهم ، فإن الفاية هي اعادة الصورة المشرفة لذلك الكفاح البطولي الى اذهان العرب اليوم .

ولنبدا الحديث عن عام ١٩٣٩ وفلسطين تلتهب ويزداد أوارها على الرغم من طفيان الانجليز وتنكيلهم بالشعب العربي في سبيل التهويد .

ولنأخذ هنا اليوم الاول من يناير لهذا العام ، لنرى كيف أستقبل الشعب العربي في فلسطين مطلع هذا الشهر دون أن يمل أو يهدأ ، ودون أن يرتبك كفاحه فيستكين . ان برقيات الاهرام الصادرة في ذلك التاريخ تفيدنا أن المجاهدين هاجموا مستعمرات رامات يوحنا الواقعة بين حيفا وشفا عمر ، كما هاجموا بيت ياقم بالقرب من يافا ، وهاجموا أيضا كفر سيديم الواقعة شمال حيفا ، ونشبت معركة مع جماعة مسلحة بالقرب من بيت أمرين ، وذكر البلاغ الرسمي أن ثلاثة من العرب قد قتلوا ، وقد طوق



الجنود البريطانيون قرية بيت أمرين (٥٥) .

وتتوالى أيام يناير ( كانون الثاني ) كلها لا هدوء فيها ولا تراجع ، فيشهد اليوم الثاني منه معركة مع المجاهدين عندما أقدم البوليس على تفتيش قرية زواتا ، ونشأت معركة أخرى بالقرب من بيت وزن ، وهاجم المجاهدون سيارة المفتش العام للبوليس تشارلس تيجارت فقتل مساعده ، وهاجموا أيضا سجن طولكرم حيث يعتقل عديد من رفاقهم ، فتغلبوا على حراس السجن وفتحوا أبوابه فأنطلق المعتقلون الى مواصلة الثورة (٥٦) ، وأستمرت الأحداث دون توقف ، والى اليوم الثلاثين من هذا الشهر كان قد حدث أربع وخمسون معركة اشتركت الطائرات في اثنتين منها .

وكان قرابة ثماني عشرة معركة تمثل هجوما على مستعمرات يهودية، وكان العديد منها يمثل هجوما من الثوار على الجنود البريطانيين عندما يكونون متجهين لتفتيش القرى العربية أو خارجين من تفتيشها . وكان مجموع القرى التي فتشت في هذه المدة ستا وعشرين قرية ، وأشعلت ثلاثة عشر حريقا ، ونسفت السكة الحديد مرتين ، واعتقلت السلطات ٩٧ عربيا ، كما قتل أو جرح من الجانبين خلال هذه المدة ٢٢٠ شخصا ومنع التجول مرتين في القدس وحيفا (٥٧) في معركة بطة .

وتوفي خلال هذا الشهر الشهيد علي سليم الحسيني متأثرا بجراحه التي أصيب بها (٥٨) ، في معركة بطة واعتقلت السلطة في القدس أكثر رجال أسرة الحسيني وأودعتهم السجون (٥٩) . وحكم بالاعدام على ستة من الثوار (٦٠) ، وكانوا قد أسروا في معركة بيت حاييم قرب الجليل ، كما وافق القائد العام على حكم الاعدام الذي أصدر في القدس على أحد المجاهدين (٦١) ، وعلى الحكم الذي صدر في حيفا على عرييين آخرين (٦٢)

(٥٥) جريدة الاهرام ١ من يناير ١٩٣٩ .

(٥٦) جريدة الاهرام عدد ٣ من يناير ١٩٣٩ .

(٥٧) هذا الاحصاء منقول عن الحوادث التي نشرتها جريدة الاهرام في برقياتها خلال يناير ١٩٣٩ .

(٥٨) جريدة الاهرام ١٠ من يناير ١٩٣٩ .

(٥٩) جريدة الاهرام ٢٢ من يناير ١٩٣٩ ، وهم نافذ ومصطفى وسالم ويعقوب واكرم الحسيني وابراهيم اسماعيل واحمد الراغب الحسيني .

(٦٠) جريدة الاهرام ١١ من يناير ١٩٣٩ .

(٦١) فقد هذا الحكم في الشهيد علي مصطفى .

(٦٢) هو الشهيد عبدالله محمود صباح ورفيق له لم تذكر الاهرام اسمه - ٢٤ من يناير ١٩٣٩ .

وحين وصل الشهر الثاني من عام ١٩٣٩ كانت حركات المجاهدين الفلسطينيين تأخذ نفس خط سيرها الذي استمر سنين طويلة ، وأثبتت قدرة الشعب على النضال والصبر ، فقد أذاعت دار المندوب السامي بلاغا أعلنت فيه أن معركة شديدة حدثت بجوار المزرعة القبلية ، بعد أن انتهى الجيش البريطاني من تفتيش المزرعة الشرقية بين نابلس والقدس ، وتركزت أعمال التفتيش في البحث عن السلاح في قرى المجدل وكفر كنة وبيت درس ،

وهاجمت القوات البريطانية قرية تمرين بعد أن حاصرتها واعتقلت سبعة من المجاهدين حينما كانوا يعقدون محاكمة ثورية ، وقابل المجاهدون هذا بهجوم عنيف شنوه على المستعمرة اليهودية في مجدل الصادق وعلى مستعمرة عين شمس بجوار مدينة اللد ، وهاجموا أيضا دائرة الصحة في حيفا وأستولوا على خزينتها ، وأطلقوا نيران بنادقهم على السيارات اليهودية في الطرق العامة وعلى أفراد اليهود ، وأعلن رسميا أن أحداث هذا الشهر كانت ١١٠ من القتلى و ١١٢ من الجرحى (٦٣) .

وتتلاحق الايام كلها خلال هذا الشهر حافلة مليئة بالأحداث ، ولا تمضي ايامه الثلاثون حتى تكون قد حدثت اثنتا عشرة معركة بين الجنود البريطانيين والمجاهدين العرب ، وفتشت السلطات تسعا وثلاثين قرية مع ما في تفتيش القرى من ارهاق ومظالم بريطانية معروفة ، وأعلن منع التجول في ثلاث مدن على ثلاث مرات متتالية ، وأشعل المجاهدون خمس حرائق في الدوائر الحكومية ومخازن الشركات اليهودية ، وانايب بتروال العراق ، واعتقل ما يتجاوز المائتين من رجال المدن والقرى .

وتم اعدام عشرة من العرب بتهمة حمل السلاح أو الاشتراك في الممارك، وهاجم المجاهدون عشرة من المستعمرات اليهودية وفجرت أربع قنابل في أملاك اليهود ، وشاركت الطائرات البريطانية في بعض الممارك (٦٤) ، ولغم طريق قطار مكون من ثلاثين عربة بين حيفا واللد ، فخرجت القاطرة وتسع عربات عن الخط وحدثت أصابات عديدة (٦٥) .

ولكن حدثا تاريخيا صاحب هذا الشهر حيث أنشأت بريطانيا نقطة شرطة للتفتيش ومراجعة المصلين في المسجد الأقصى الأمر الذي عطل إقامة

(٦٣) جريدة الاهرام ٢ من فبراير ١٩٣٩ .

(٦٤) جريدة الاهرام ٧ من فبراير ١٩٣٩ .

(٦٥) راجع مجموعة الاهرام بدار الكتب المصرية بالقاهرة الاعداد ١ الى ٣١ من يناير ١٩٣٩ .





جنود بريطانيون في سبيل التهويد يفتشون قضبان السكك الحديدية بحثاً عن ألقام  
المجاهدين الفلسطينيين

الشعائر الدينية شهراً كاملاً في الحرم الإسلامي المقدس ، وقد رفع العلماء  
والمسلمون صوتهم بالاحتجاج والاستنجد بالعالم الإسلامي .

واقترح المجاهدون مطاحن جلاد اليهود الواقعة في ضواحي يافا ، وبعد  
أن اعتقلوا الحرس أضرموا النار في المطاحن فالتهمت بكاملها . ورابطوا  
لليهودي العالمي المعروف الدكتور فوهسون فقتلوه على الطريق بين القدس  
ويافا وجرحوا رفاقه الثلاثة ، وأطلقوا النار فجرحوا مستر يونج من كبار  
موظفي يافا . وكان اثنان من المجاهدين قد أخذوا للمستشفى بقصد العلاج

من جراحهما ، وكان أحدهما قد أسر في معركة مستعمرة عين هاشوفت ،  
والثاني في معركة الكفرين ، وقد أعلنت السلطات أنهما توفيا خلال العلاج (٦٦)  
وفي اليوم الأخير من فبراير توالى الهجمات العربية للجنود والشرطة في  
كل من القدس ويافا وحيفا ، وأعلن رسمياً أن إصابات العرب كانت ٢٥  
شهيداً و ٦٠ جريحاً في يوم واحد كما أعلن أن معركة كبرى حدثت في الشمال  
في آخر أيام فبراير ، وأن إصابات العرب كانت ثمانية عشر شهيداً (٦٧) .

ويجب المستر ماكdonald وزير المستعمرات البريطانية على سؤال  
للمستر فليدز في مجلس العموم البريطاني فيقول :

« انه من ٢٠ ديسمبر الى ٢٠ فبراير حدث ٣٤٨ اغتيالا بالرصاص  
و ١٤٠ حادثة تخريب و ١٩٠ حادثة خطف و ٢٣ سرقة وانفجرت تسعة  
الغام و ٣٢ قنبلة » .

ويقول الوزير البريطاني عامدا الى اخفاء خسائر دولته :  
« ان الجنود خسروا ١٨ قتيلاً و ٣٩ جريحاً من الجيش والبوليس ،  
وان الأهالي خسروا ٨٣ قتيلاً و ١٢٤ جريحاً ، ولا تشمل هذه الأرقام منا  
أصاب الثوار ( المجاهدين ) من قتل وجرح بفعل رصاص الجند لأن الإحصاء  
غير ميسور ( ٦٨ ) » .

وجاء مارس ( اذار ) وكان كسابقه من شهور عام ١٩٣٩ معارك  
طاحنة يقودها الفيلد مارشال « وايفل » الشهير ، وينازله فيها أبطال من  
عرب فلسطين أحسنوا فيها المواجهة وصدقوا لها النية .

وكانت المعركة الكبرى التي نشبت بين عكا وصفد ، واشتركت  
الطائرات البريطانية فيها حيث وصفها البلاغ الرسمي بأنها كانت شديدة  
بين الطرفين ، ولم يفصح هذا البلاغ عن خسائر الجيش البريطاني ، ولكنه  
ذكر مقتل ثمانية عشر عربياً ( ٦٩ ) . وتلت هذه الموقعة معركة أخرى بالقرب  
من مستعمرة جبعات ، ومعركة ثالثة مع ثلاث سيارات مصفحة كانت  
عائدة من القدس الى نابلس ، وكان المجاهدون قد سدوا الطريق بالحجارة ،  
فلما نزل الجنود البريطانيون لازالها فاجئهم باطلاق الرصاص من جانبي  
الطريق ، وذكرت الحكومة مصرع الكونوستابل البريطاني « درلنج » .

(٦٦) جريدة الاهرام اعداد ٨ و ٢٣ و ٢٧ من فبراير ١٩٣٩ .

(٦٧) و (٦٨) و (٦٩) جريدة الاهرام عدد ١ من مارس ١٩٣٩ .



وتتلاحق هذه الأحداث طيلة الشهر دون توقف ، وكان منها خمس معارك كبرى ، وأربعة وسبعون شهيدا وثمانية عشر هجوما على الاملاك اليهودية ، واعتقلت السلطات ثمانمائة وتسعة وثلاثين عربيا (٧٠) .

وخلال هذا الشهر وقع حادثان مهمان في ثورة فلسطين ، الاول ان معركة استمرت يوما كاملا ثم استؤنفت في الصباح اللاحق . وان خمس عشرة طائرة اشتركت في هذه المعركة وأن إحدى تلك الطائرات كان فيها الكولونيل « كريستال » واصيبت هذه الطائرة بعشر رصاصات من الثوار وجرح الطيار كوجنز ، ويفيد البلاغ الرسمي للمندوب السامي أن ٤٥ عربيا قد قتلوا في هذه المعركة المهمة كما قتل ضابط بريطاني بالجيش الاردني العربي واصيب بعض جنوده بجراح (٧١) .

#### استشهاد عبد الرحيم الحاج محمد :

اما الحادث الثاني الذي شهدته الايام الاخيرة من هذا الشهر فهو المعركة التي نشبت قرب القرى الشمالية بين الجنود البريطانيين والمجاهدين العرب الذين كان يقودهم المجاهد عبد الرحيم الحاج محمد وقد استشهد هذا القائد خلال المعركة .

وكان القائد عبد الرحيم الحاج محمد بطلا من أبطال الجهاد العربي ، نازل البريطانيين في المنطقة الشمالية ، وأنزل بهم خسائر لا تنسى ، وكان اسمه يتداول بين جموع القوات البريطانية مخيفا مرعبا ، وحين استشهد في المعركة المذكورة ، حزن كل فلسطين لفقده وسط الثورة التي كان هو أحد أركانها ، ولم يخف شعب فلسطين حداده على القائد الشهيد ، بل رفعت المنازل الأعلام السوداء ، وأقامت المساجد صلاة الغائب ، وأقيمت في أغلب المنازل التعازي والمآتم . وتقول برقية رويتر « أن شعب فلسطين فوجيء بنبا مصرع قائد الثورة المعروف عبد الرحيم الحاج محمد ، فكان لهذا النبا رنة حزن في جميع أنحاء البلاد ، وأضربت مدن طولكرم ويافا ونابلس والناصرة والرملة وغزة ، كما أضربت القدس وحيفا وطبرية وصفد واللد وعكا ويسان والخليل وبيت لحم وبئر السبع ورام الله والمجدل وسائر المدن الفلسطينية حدادا على القائد الشهيد (٧٢) » ، وفي القدس أعلن القائد العسكري لليوم الثاني للاضراب الحزين أنه اذا لم ينته الاضراب فسوف يتخذ اجراء ضد المضربين .

(٧٠) هذا الإحصاء مجموع من اعداد جريدة الاهرام بدار الكتب العربية لشهر مارس ١٩٣٩ .  
(٧١) و (٧٢) جريدة الاهرام الاعداد ١٣ و ١٨ و ٢٩ من مارس ١٩٣٩ .

#### شهيد يرثي شهيدا :

ويصور البطل عبد الرحيم محمود رفيق الشهيد عبد الرحيم الحاج محمد لوعة المجاهدين على القائد الفريد في قصيدة يحمل كل بيت فيها روح الاجلال ومعنى الاعزاز وكان منها قوله :

انذا انشدت يوفيك نشيدي	حقك الواجب يا خير شهيد
أي لفظ يسع المعنى الذي	منك أستوحيه يا وحي قصيدي
كملت فيك المروءات فلم	يبق منها زائد للمستزيد
حسرتا للوطن العاني	وللامل الفاني ويا تعس الجدود
اقفر الميدان من فرسانه	وخلا من أهله غاب الأسود
خمدت نار لقد اضرمتها	للعدي كانوا لها بعض الوقود
والحمى قد ريع يا ذخر الحمى	وغدا بعدك منقوص الحدود
لم اكن قبلك أدري ما الذي	يرخص الدمع ويودي بالكبود
كل بيت لك فيه مأتم	يندب الناس به أغلى فقيده

على أن هذا الشاعر البطل لم يعيش بعد قائده الا ثمانى سنوات حيث لحق به شهيدا في معركة الشجرة ١٩٤٨ وهو يردد ابياته المعروفة :

سأحمل روحي على راحتي	وأرمي بها في خضم الردى
فأما حياة تسر الصديق	وأما ممات يغيظ العدا
ونفس الابي لها غايتان	بلوغ المنايا ونيل المنى

#### ١١ - العرب يحاربون اليهود والانجليز :

في عام ١٩٣٩ كان قد مضى على اليهود وهم يستعدون ويتدربون قرابة العشرين عاما ، وقد قوي ساعدتهم واشتد عودهم ، وبذلك أصبح الشعب العربي في فلسطين يقاوم مواجهة اليهود المدربين الى جانب جيوش بريطانيا ، بعد أن عاش العرب تلك السنوات العشرين في ثورة مستمرة ، وارهاق دائم وتسلبت حكومي مريب ، فاذا أضفنا الى ذلك استحالة الحصول على السلاح منذ أن بدأت البوادر تنذر بالحرب العالمية الثانية أدركنا المالبسات التي جعلت الثورة العربية تتوقف الى حين .

وفي اوائل مايو ( أيار ) نشرت السلطات احصاء عن أحداث ابريل ( نيسان ) قالت فيه : « ان مجموع القتلى من الثوار العرب خلال هذا الشهر بلغ ٣٣ مجاهدا قتلوا اثناء المعارك وسلاحهم في ايديهم ، واعتقل اثناء تلك المعارك ١٣ جريحا وبلغت خسائر الانجليز ١٢ بين جريح وقتيل ، وان ٥٨ من المدنيين اغتيلوا بيد الثوار » .

في الشهر الخامس من عام ١٩٣٩ كان العرب يحاولون أن تستمر



ثورتهم برغم أنهم أصبحوا يحاربون داخل فلسطين الضعيفة الصغيرة في جبهتين ، جبهة تجاه اليهود وجبهة تجاه الانجليز ، ولهذا نجد أبناء ذلك الشهر تفيض بالأحداث في هذا المجال . فيشهد اليوم الثاني من مايو ( أيار ) معركة بين الثوار العرب والجيش البريطاني بين مدينتي الناصرة وطبرية ، ويفيد البلاغ الرسمي الذي سكت عن اصابات الانجليز انه وقعت عدة اصابات بين الثوار .

وهاجم المجاهدون عديدا من المستعمرات اليهودية في المنطقة الشمالية ، كما هاجموا قرية المزرعة القبلية وقتلوا ثلاثة من المنحرفين ، وهاجموا مدينة الناصرة ودارت خلال ذلك معركة شديدة استمرت الى منتصف الليل ، وهاجموا أيضا مستعمرة المجدل قرب طبرية ، وتقدم بريطانيان فتعرض على مدينة الناصرة غرامة خمسمائة جنيه للاشتباه في علاقة بعض سكانها بالثوار ، ولكن المجاهدين شنوا هجوما جديدا في الخامس من مايو ( أيار ) على نابلس كما تكرر هجومهم على المستعمرات اليهودية الشمالية ، وأضرموا النار في حقول مستعمرة شعريم . وبينما كانت قوة من الشرطة الاضافية تكافح النيران أطلق عليها الثوار رصاصهم وهاجموا مستعمرة نائانيا فأشعلوا فيها النار وصرعوا خلال تلك المعركة جنديا بريطانيا وجنديا يهوديا (٧٣) ، وهاجم المجاهدون في الثامن من مايو ( أيار ) دورية عسكرية كانت عائدة من قرية بني مالك واستمرت المعركة حتى غروب الشمس ، ثم هاجموا مستعمرة دير نوبل والقوا قنبلة على مكتب قائمقام صفد ، وأطلقوا الرصاص على سيارة يهودية بين الناصرة وطبرية وأعدمت بريطانيا عربيين من أهالي الخليل بتهمة مقتل شرطي بريطاني (٧٤) ، وألقوا ثلاث قنابل على مركز البوليس في باب الساهرة بالقدس (٧٥) .

واذا كان اليهود قد أطلقوا الرصاص على عربي يدعى الحاج سعيد من أهالي طبرية فقتلوه فان العرب قتلوا لقاءه اثنين من اليهود من رجال البوليس الاضافي في حيفا .

وشهد هذا الشهر الخامس من عام ١٩٣٩ اصرارا مستمرا من بريطانيا على تفتيش القرى العربية بحثا عن السلاح ، وقد كان هذا التفتيش يأخذ أياما طويلة والقرى العربية محاصرة ، يجري الجنود

(٧٣) جريدة الاهرام اعداد ٣ و ٤ و ٩ مايو ١٩٣٩ .

(٧٤) هما الشهيدان الاخوان عبدالغني ومحمد عيسى فراح .

(٧٥) جريدة الاهرام العدد ١١ من مايو ١٩٣٩ .

فيها أعمال الحفر والتنقيب والبحث ، واذا احطنا بمساحة فلسطين الصغيرة الضيقة أمكننا أن ندرك أن مهمة اخفاء السلاح كانت من أصعب المشاق في ثورة فلسطين ، وقد تمكنت قوات الانتداب فعلا من العثور على كميات مختلفة من هذه الأسلحة ، حيث أعلن في اليوم الثالث من مايو ( أيار ) أن أحد عشر يوما مضت على أعمال التفتيش المستمرة في قرية بيت ريجا وان السلطات صادرت بها أربعين بندقية ، وأعلن في الثالث عشر من مايو ( أيار ) أن أعمال التفتيش ما زالت مستمرة في القرى العربية وقد صودرت مقادير من الأسلحة والذخيرة واعتقل الكثير وصار الجنود ٢١ بندقية و ٣ مسدسات وكميات كبيرة من الذخيرة في قرى بني مالك وعبودين ، وأصبحت كل منطقة في فلسطين تمثل ميدان حرب ، فهنا معركة وهناك ارباب يهودي وفي منطقة اخرى فصائل من الجيش البريطاني تفتش وتبحث عن السلاح ، ثم تسوق المعتقلين الى السجون والاعدام .

#### ١٢ - الارهاب اليهودي في حماية بريطانيا :

لقد بدأ اليهود اربابهم منذ أن أذيع الكتاب الابيض لعام ١٩٣٩ ، وكرروا أن « ما حققته الثورة العربية يجب أن تزيله الثورة اليهودية » فوجهوا اربابهم ضد الانجليز الذين أصدروا الكتاب ضد العرب الذين أرغمت ثورتهم الانجليز على اصداره ، وما كان اليهود في حاجة لتلك الثورة ، ولكنهم يؤكدون بها رغباتهم ويستعجلون توقيتها ، وبريطانيا التي قابلت العرب طوال انتدابها بالارهاق والمشاق ، وهدم القرى ، لمجرد حمل رصاصة أو اشتباه في ايواء الثوار أو مساعدتهم ، قابلت الثورة اليهودية باللين والود والمهادنة .

ونحن حين نطلع على أحداث ١٩٣٩ نرى الفرق في مجابهة بريطانيا للثورة العربية وللارهاب اليهودي ، ونرى أيضا كيف أدى احكام الطوق البريطاني على فلسطين العربية الى تناقص السلاح ثم فقدانه .

أعلن قبل نهاية مايو ( أيار ) أن اليهود أطلقوا النار على جمهور من العرب بالقرب من المحطة الشرقية في حيفا فأصابوا خمسة أشخاص كان اثنان منهم في حالة خطيرة ، ونلاحظ الحاجة الملحة الى السلاح عندما نجد أن رد الفعل العربي لم يكن الا رجما بالحجارة للسيارات اليهودية في مكان الحادث ، وحين تكررت الأحداث يوم ٢٧ مايو ( أيار ) تجمع العرب في أحد أحياء القدس وواصلوا رجم اليهود بالأحجار (٧٦) ومن يملك السلاح أو يستطيع الحصول عليه وسط ذلك الموقف الرهيب لا يمكن أن يعتمد الى مقابلة النار بالأحجار .

(٧٦) جريدة الاهرام العددان ٢٦ و ٢٧ من مايو ١٩٣٩ .



وفي الثلاثين من مايو ( أيار ) فجر اليهود قنبلتين زمنيتين في دار سينما ريكس بالقدس ، فأصابوا ثلاثة عشر عربيا وثلاثة بريطانيين (٧٧) ، وأصيب عدد كبير من الجمهور بأصابات مختلفة ، ووجدت قنبلة ثالثة لم تنفجر ، وتجمع العرب أيضا ولجأوا الى ما أبقت بريطانيا لديهم من سلاح في وطنهم الذي سلحت فيه اليهود ، فكانت الحجارة يرمون بها المعتدين ، ويدخل ثلاثون يهوديا قرية تيار عدس العربية ويقتحمون منازلها ويقتلون أربع سيدات ورجلا ويجرحون أربعة رجال وطفلا .

وتكرر حوادث القنابل اليهودية يلقونها حيث يجتمع العرب وفي دور السينما والأسواق ، وتكررت حوادث اطلاق الرصاص يلقونها من سياراتهم بسرعة ، وشملت قنابلهم دوائر الحكومة وصناديق البريد ، ودار الإذاعة ، وتحت السيارات التي تحوي عمالا عربا ، ولم ينزل اليهود مرة الى معركة مواجهة واستنوا لأنفسهم خطة لا تدل على الشجاعة ولا على الثبات .

وبعد نحو شهر من استفحال أذى اليهود وارهابهم ، وبعد أن شملوا بتفجيراتهم العديد من الشوارع والمدن ، وبعد أن ازهقوا العديد من الأرواح ، تحركت بريطانيا فقررت عقوبة على اليهود ، ولكن تلك العقوبة لم تكن تناسب مع الاجرام اليهودي ولم تكن الا هوانا واضحا . فقد قررت السلطة العسكرية البريطانية التي كثيرا ما نسفت الأحياء العربية في يافا وطبرية ، والتي شمل تدميرها مئات القرى العربية عقوبة على أي حادث يقع فيها أو بجوارها ، قررت هذه السلطات نسف أربعة منازل يهودية في حي العقبة اليهودي ببلدة طبرية ، عقوبة على انفجار تحت سيارة حكومية تحمل العمال العرب (٧٨) .

وعلى الرغم من أن العقوبة المثلثة لا تتكافأ مع الجرائم التي ارتكبتها اليهود ، فقد نظر اليها على أنها الخطوة الأولى لمجابهة عدوانهم ، ولكن لم يكد ينتصف اليوم السادس عشر حتى أعلنت السلطة أنها عدلت عن نسف المنازل الأربعة اليهودية في مدينة طبرية ، وأنها استعاضت عن ذلك بغرامة مالية على المدينة قدرها ٢٠٠ جنيه (٧٩) ، ويجمع أولئك الذين شهدوا الأحداث أن هذه الغرامة لم تحصل ، وتنتشر الأهرام في ٢١ من يونيو ١٩٣٩ أن اليهود في طبرية رفضوا دفع تلك الغرامة .

#### بريطانيا تواصل التنكيل بالعرب :

أما بالنسبة للعرب فقد استمرت بريطانيا في تدميرها المهرب وحكمها

(٧٧) جريدة الأهرام العدد ٣١ من مايو ١٩٣٩ .

(٧٨) و (٧٩) جريدة الأهرام العددان ١٥ و ١٦ من يونيو ١٩٣٩ .

#### الباطش .

حكمت محكمة القدس في الرابع من مايو ( أيار ) باعدام الشقيقين عبد الفني ومحمد عيسى فراخ من أهالي الخليل ، بتهمة قتل كونستابل بريطاني ، وتقدم ذووهما يطلبون من القائد العام تخفيض الحكم ، ولكن القائد العام لم يأبه للرجاء ونفذ الحكم في الشقيقين صباح التاسع من الشهر نفسه ، ثم نفذ حكم الإعدام في السابع من الشهر السادس في عربيين آخرين (٨٠) ، وأعدم في الرابع والعشرين من نفس الشهر عربي آخر بتهمة الاشتراك في اعتداء مسلح .

وفي ذلك اليوم نفسه الذي عدلت فيه السلطات البريطانية عن نسف المنازل الأربعة اليهودية في طبرية ، أعلن أن حكم الإعدام سوف ينفذ في أربعة من الشبان الفلسطينيين بسجن صفد (٨١) .

ويقول أحد الكتاب العرب في فلسطين عن وضع فلسطين في ذلك التاريخ :

« طوقت قواتها ( بريطانيا ) المدن والقرى بحجة التفتيش عن السلاح وعن الأشخاص المتهمين بالاشتراك في أعمال العنف والعصيان أبان الثورة الماضية ، وأنزلت بالأهليين خلال عمليات التفتيش هذه أقصى صنوف الارهاب والتعذيب وأشد أنواع القهر والتنكيل ، فضربت الشيوخ والأطفال واعتدت على النساء واجهضت الحبالى ، ونهبت الأموال ، وأتلفت المؤن وأحرقت المزروعات ، واقتلعت الأشجار وقتلت الماشية ، ودمرت الأثاث والمقتنيات ، ونسفت بعض البيوت والمنازل ، وصادرت ما وجدته عند الأهليين من سلاح قديم وعتاد بال .

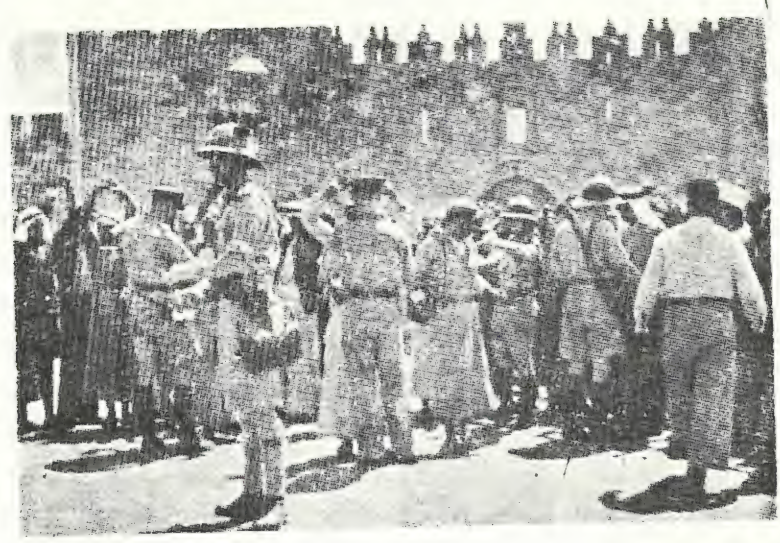
ثم فرضت على أهل القرى تقديم كميات معينة من الأسلحة النارية والبنادق والمسدسات ، وأمهلتهم مددا قصيرة لتنفيذ ذلك والا نسفت سائر بيوتهم ودمرت قراهم ، واعتقلت جميع الذكور الراشدين منهم ، فكان العرب وبخاصة القرويين منهم يضطرون الى رهن أملاكهم أو بيع حلي نسائهم واثاث بيوتهم للحصول على المال اللازم لشراء الأسلحة من الأقطار المجاورة وتقديمها للحكومة ، وحكمت المحاكم العسكرية بالاعدام على العرب الذين قبضت عليهم وفي حيازتهم أسلحة حتى بلغ من ظلمها في هذا الصدد الحكم بالاعدام على ثلاثة شبان في قضاء طولكرم لمجرد العثور على طلقات

(٨٠) هما الشهيدان خليل إبراهيم خوري ومحمد احمد نصوح الله .

(٨١) هم الشهداء الشيخ طه عبد الحميد واحمد حسن القوصي وحسن الحريري

ومحمود حسان وكلهم من مدينة صفد .





البريطانيون بفلسطين في سبيل التهويد يفتشون العرب بحثا عن السلاح .

انارية في حيازتهم ، وقد نفذت ذلك الحكم الجائر (٨٢) .  
ويعطينا شهر يونيو ( حزيران ) من عام ١٩٣٩ صورة بيانية عن حالة  
عرب فلسطين الذين أنهكتهم الثورة وأثقلت امكانياتهم ، والذين صمدوا في  
قوة لبطش الانجليز منذ احتلالهم في عام ١٩١٨ والذين استمرت ثورتهم طيلة  
هذه السنين معتمدين على أنفسهم ، باذلين ارواحهم مسترخيين الموت في  
سبيل الوطن ، ولكن هذا الجهد الانساني الكبير تبدو خسائره متلاحقة  
خلال يونيو ( حزيران ) ١٩٣٩ ، فبينما تحاصر بريطانيا القرى بحثا عن  
السلاح اسابيع طويلة ، يتعرض العرب لهجمات اليهود الذين اتموا  
استعدادهم وهم في مأمن من عقوبات الانجليز ومشاقهم ، وتنشط فيالق  
بريطانيا وطائراتها في محاربة الثوار العرب وافنائهم .

ونحن نتمتع هنا اثبات بعض ايام من شهر يونيو بالكلمات التي  
اوردتها برقيات الصحف حتى يكون هذا كشفا بيانيا .

ذكرت وكالة رويتر للأخبار أن دورية عسكرية قد اشتبكت مع فريق  
من الثوار في منطقة المغيرة بجوار رام الله ، وجاء في البلاغ الرسمي أنه  
وقعت عدة اصابات بين الثوار ، وقامت قوة عسكرية بتفتيش واسع

(٨٢) المؤامرة الكبرى واغتيال فلسطين ، ص ١٠٣ - ١٠٤ .

النطاق في بعض الأماكن في القدس ، فعثرت في بركة اسرائيل على مسدس  
وقنابل تركية قديمة ، وتوفي في مستشفى الحكومة في القدس المستر  
بنجها ، وكان قد اطلقت عليه النار في حي المصراة في ٢ فبراير الماضي (٨٣) .

وقد روعت مدينة حيفا في ١٩ من يونيو ١٩٣٩ بحادث انفجار قنبلة  
كبيرة في سوق الخضار في حيفا بالقرب من المركز العام للبوليس ، حيث  
يجتمع عادة عدد كبير من العرب لشراء الخضار والفاكهة ، وقد أسفر هذا  
الانفجار عن قتل ١٨ شخصا بينهم ٩ رجال و ٦ نساء وثلاثة أطفال ،  
واصابة ٢٤ شخصا بجراح مختلفة ، وانفجرت قنبلتان بعد حادث القنبلة  
الاولى برقع ساعة احدهما في غرفة للتليفون بشارع هرتزل في حي هدار  
كرمل اليهودي ، والاخرى عند ملتقى الخطوط التليفونية في شارع آخر .

وعلى اثر هذه الحوادث اعلنت السلطة قانون منع التجول في جميع  
انحاء حيفا لأجل غير مسمى ، وقبل الظهر ألقى شخص عربي في أحد  
شوارع تل أبيب القنبلة من يافا قنبلة وانفجرت قنبلتان في مركز بوليس  
يافا ، وحاول عربي الفرار في اثناء التفتيش لقرية أم الضبع في نابلس  
فأطلقت عليه النار وقتل . وقد اعتقل الجنود ١٢ عربيا عقب هذا الحادث  
ولم تقع خسائر بين الجنود ، وتوفي في مستشفى حيفا الحكومي جريس  
فرحة أحد جرحى حادث القنبلة في سوق الخضار ، وقبض في يافا على  
عربي يحمل نشرات للتخريض ، وقبض رجال خفر السواحل على ١٢  
يهوديا كانوا يحاولون اجتياز الحدود الفلسطينية اللبنانية خلسة الى  
فلسطين ، وقد تبين أنهم قدموا من أوروبا .

أرسلت السلطة العسكرية قوة من الجنود ورجال البوليس يؤيدها  
سرب من الطائرات الحربية الى أحد الأديرة المشرفة على بلدة أريحا ، بعد  
علمها بأنه يوجد فيها ثوار واشتبكت هذه القوات مع الثوار في معركة شديدة  
أسفرت عن قتل ٨ من الثوار واصابة آخر وأسر ، ولم يصب أحد من  
الجنود ، وتوفي في المستشفى الحكومي في حيفا أحد الجرحى العرب في  
حادث انفجار القنبلة في سوق الخضار أمس فأصبح مجموع الضحايا العرب  
عشرين ، وأطلقت النار على يهودي في أحد البساتين للبرتيال بالقرب من  
مدينة الرملة فأصيب بجراح شديدة .

اقتحم مجهولون أحد منازل لوبيا بالقرب من طبرية وأطلقوا النار  
على سكانه العرب فقتلوا رجلا وجرحوا طفلا وطفلة ، وأطلقت النار على

(٨٣) جريدة الاهرام العدد ١٩ من يونيو ١٩٣٩ .



سيارتين كانتا مارتين في شوارع الرملة فأصيب أحد ركبها وهو يهودي بجراح ، وأطلقت النار على سيارة ركاب عربية في الطريق بين القدس وحيفا فلم يصب أحد ، حاول أحمد عبد السلام المدني الفرار من معتقل صرفند فقتله الجنود ، وعثر البوليس على جثة يهودي في إحدى مستعمرات يافا .

قام جنود عدة فرق بمحاصرة جماعة من الثوار في منطقة الرامية وعطارة وبلغا بين طولكرم وجنين وقد وقعت مصادمة بين الفريقين قتل فيها ثلاثة من الثوار وأسير ، وكان يقود الثوار في هذه المنطقة القائد حامد سليمان المرادوي فظفر به الجند عند عطارة واستشهد وهو من كبار قواد الثورة ، انفجرت قنبلة في وادي الصليب في حيفا فأصابت أربعة من العرب بجراح ، شبت النار في مستعمرة مولدة في منطقة صفد فدمرت جميع منازلها ومحلاتها التجارية وتقدر الخسارة بعدة آلاف من الجنيهات (٨٤) .

اشتبكت قوة من الجنود مع فريق من الثوار في منطقة رام الله فجرح أحد الثوار وأسر ، انفجرت قنبلة في يافا فأمر القائد العسكري باقتال جميع المطاعم والمقاهي في المدينة أربعة أيام ، توفي اليوم في مستشفى حيفا الياس كرم وهو أحد الجرحى في حادث قنبلة سوق الخضار فأصبح مجموع الضحايا العرب ٢١ قتيلا .

اشتبكت قوة من الجنود مع عصابة مسلحة في الليلة الماضية بين الناصرة وروشينا فجرح أحد الثوار واعتقل وكان يحمل بندقية ، وقعت مصادمة أخرى بين الجنود والثوار في أحد بساتين البرتقال بالقرب من قرية رنيتا في منطقة حيفا وجاء في البلاغ الرسمي أنه وقعت عدة إصابات بين رجال العصابة ، قتل ١٥ نائرا أثناء هجومهم على مزرعة يهودية بالقرب من بنات ايكفا .

انفجرت قنبلة في صندوق الخطابات في حي شنلر الواقع وسط الأحياء اليهودية ، وفي ساحة تكتظ عادة بالبائعات القرويات ، وقد أصيبت خمس نساء بجراح مختلفة ومنهن من حالتها خطيرة ، أطلقت النار في القدس على عبد الحميد عال بالقرب من مخفر البوليس في حي ميشوريم فقتل للحال وعلى حسين عبد الهادي من أهالي حيفا فقتل أيضا ، عثر البوليس على جثة عربي في محطة سكة الحديد القريبة من اللد ، وتبين أنه من الثوار ، أطلق عربي النار أمس على يهودي في حيفا فأصابه بجراح خطيرة واعتقل

(٨٤) جريدة الاهرام اعداد ٢٠ و ٢١ و ٢٢ و ٢٤ من يونيه ١٩٣٩ .

البوليس ستة من العرب بسبب هذا الحادث ، قتلت امرأة عربية برصاص الجند في ضواحي طولكرم ، أعلن قانون منع التجول في طولكرم .

قام اليهود بحملة عنيفة ضد العرب في أماكن مختلفة في منطقة يافا وضواحي المستعمرات اليهودية والكبيرة وذلك بإطلاق الرصاص على كل عربي يسير في الطرق العامة فتمكنوا من قتل ١١ عربيا وجرح ستة في أقل من ساعة (٨٥) .

وهكذا ينتهي شهر يونيو ( حزيران ) من عام ١٩٣٩ وفلسطين يعمها الاضطراب ، وتسيل الدماء العربية غزيرة من كل جانب ، وتعلن السلطات البريطانية أن عربيا من الخليل قتل في أحد الأحياء اليهودية ، ولكن السلطة تعلن أنها لم تعتقل أحدا لأنها لم تجد شهودا على الحادث ، وهذه السلطة نفسها هي التي طالما نسفت قرى العرب وأثقلتهم بالغرانات كلما انطلقت منهم رصاصة أو وقع حادث قرب ديارهم ، وما كانت في حربها لثورة العرب تنتظر شهودا ولا تحتاج في الادانة الى دليل .

وفي بحر هذا الشهر أعلن القائد العام موافقته على اعدام عربي كان قد أسر في معركة قرب أريحا (٨٦) ، وأصدرت المحكمة العسكرية حكما بالاعدام على عشرة من العرب بتهمة قتل أربعة من البوليس البريطاني ، وحكمت على خمسة آخرين بالسجن المؤبد لحملهم أسلحة ، وأصدرت محكمة حيفا العسكرية حكم الاعدام على ستة من العرب بتهمة حمل السلاح واستعماله في الهجوم على قرية شفا عمرو في سبتمبر الماضي ، وهذه السلطة نفسها هي التي أعلنت يوم ٢٢ من يوليو ( تموز ) ١٩٣٩ أنها حكمت على شاب يهودي بشهر سجن لأنه ضبط حاملا سلاحا ، وأدانت يهوديا آخر بقتل عربي فأصدرت عليه حكم السجن المؤبد ، بينما أطلقت السلطات سراح ١٤٠٠ لاجيء يهودي دخلوا خلصة الى فلسطين ونقلتهم الى تل أبيب (٨٧) .

وما حل الشهر الثامن حتى استحل الانجليز واستحل معهم اليهود أعمال القتل في العرب الذين قُلت أسلحتهم وكوتهم الثورة الطويلة الأليمة ، فالبوليس لا يحاول اعتقال يوسف ابراهيم أبو درش في غزة عندما قابله في الرابع عشر من أغسطس ( آب ) ولكنه يعالجه بإطلاق الرصاص فريديه قتيلا ، وصدق القائد العام على حكم الاعدام في عربيين آخرين (٨٨) ،

(٨٥) جريدة الاهرام ، اعداد ٢٥ و ٢٦ و ٢٨ من يونيه ١٩٣٩

(٨٦) هو الشهيد محمود عمار .

(٨٧) جريدة الاهرام العدد ٢١ من يوليو ١٩٣٩ .

(٨٨) هما الشهيدان علي فخر وفايز حسن الريماوي .



ويتقدم اليهود فيهاجمون قرية عربية قرب رحابوت وينسفون أحد المنازل بالديناميت ، وهاجم فريق يهودي آخر قرية النعامة العربية ونسفوا منزلا بها ، واقتحم فريق يهودي ثالث قرية المنصورة العربية واعتدوا على عربي ، وأضرموا النار في أحد المنازل العربية ، وبالجهد الذي تقويه روح الفداء يلتقي المجاهدون العرب مع الجنود وأسراب الطائرات قرب طبرية ، وتنشب معركة حامية ، ويذكر البلاغ الرسمي أن ستة من العرب المجاهدين وضابطا بريطانيا قتلوا كما جرح بعض الجنود .

#### ١٢ - توقف الثورة إبان الحرب العالمية الثانية :

توقفت تلك الثورة التي استمرت سنوات طويلة .. توقفت خلال الشهر الذي نشبت فيه الحرب العالمية الثانية وهو سبتمبر ( أيلول ) ١٩٣٩ ولم يكن بد من توقفها ، وما كان بيد أحد من البشر يعيش الآلام التي عاشها شعب فلسطين أن تستمر ثورته بعد ذلك التاريخ .

فقد انهكت المظالم البريطانية التي أوردناها قبل هذا الفصل قوى الشعب العربي الفلسطيني ، ولم يعد هناك سكان قرية لم تفرض عليهم غرامات جماعية تحت طائل من قانون العقوبات المشتركة الذي كان يحتم فرض العقوبات والغرامات على سكان القرية أو الحي مهما بلغ عددهم ومهما كان الفاعل واحدا .

وكانت القيادة مشردة ، كان المفتي الأكبر لاجئا في لبنان ، وكان يدير الحركة الوطنية من ملجئه ، وكان يجب أن تدور حركته في أضيق الحدود والا طارده فرنسا ، وحرمت عليه البقاء هناك ، وكان عديد من زملائه ومساعديه موزعين بين لبنان وسوريا ، وكانت صلة الثوار بهذه القيادة تتم عن طريق التسرب الى البلدين العربيين اللذين يثنان تحت وطأة الانتداب الفرنسي ، ومن حدود سوريا ولبنان كان السلاح يهرب الى فلسطين ، وكان يشتري من بعض المصادر التي كانت مفيدة مهما تصورنا ضآلتها وعدم حريتها في البيع ، وأدركنا أيضا ضعف القدرة المالية لدى الثورة الفلسطينية ، ولم يكن هناك سلاح غير ما يغنمه الثوار ويخطفونه من الجيش البريطاني أو معسكراته . وكان قدر آخر من السلاح يرد من العراق الذي كان ساعدا مهما لتلك الأيام الخالدة ، وكان فريق آخر من رجال فلسطين قد أبعدها الى جزيرة سيشل المعروفة ، وفيها تعودت بريطانيا إبعاد العرب الكبار ، وقد سبق أن جعلتها منفى لسعد زغلول ورفاقه من قادة مصر وأحرارها ، وحين أطلق سراحهم نتيجة تمسك شعب فلسطين بالأمة يمثلها في مؤتمر لندن إلا رجالها المعتقلون بقي أغلبهم خارج البلاد بعد انقضاء هذا المؤتمر .

وحيث قامت الحرب العالمية الثانية بين بريطانيا وفرنسا من ناحية وبين ألمانيا النازية من ناحية أخرى ، فقد عرب فلسطين كثيرا من التسهيلات التي كانوا يجدونها في سوريا ولبنان ، فقد كبل الشعب العربي في هذين البلدين بالحكم الفرنسي الذي اعتبر كل حركة ضد بريطانيا عملا عدائيا ضد المجهود الحربي الكبير ، وبذلك شلت الحركة الفلسطينية في لبنان وخمدت في سوريا ، وأحكمت الرقابة على حدود العراق .

ولم يكن في إمكان الشعب الفلسطيني أن يستمر في ثورته ، وقد أحكم إغلاق الطوق عليه من جميع الجهات ، وتلقى الضربات المتتالية خلال الأعوام الطويلة ، فضعف جهده وتبعثرت قواه .

والى جانب هذا الوضع العام ، بدا له جانب من أمل ضمنه الكتاب الأبيض البريطاني الذي صدر في عام ١٩٣٩ والذي أعلن عزم بريطانيا النهائي على تنفيذ سياسة تستهدف استقلال فلسطين بعد عشر سنوات ، ووقف الهجرة اليهودية بعد خمس سنوات ، ووضع قيود على انتقال الأراضي لليهود ، وأنه ليس في نية بريطانيا تفسير وعد بالفور بأنه خلق دولة يهودية في فلسطين ، وألقى العرب سلاحهم ، بل أقوا عصيهم ، فلم يعد للسلاح ذخيرة تستعمل ، واستمر السلاح البريطاني يصب فوهاتة الى صدور العرب تحت ظل من أحكام الحرب العامة وقوانينها .

تظاهرت بريطانيا بتنفيذ ما أعلنته في كتابها الأبيض ، وأعلنت أنها سائرة في سياستها المعلنة ، ولن تتأثر بأي معارضة من جانب العرب أو من جانب اليهود .

وإذا كان الكتاب الأبيض البريطاني قد تعهد لليهود بادخال خمسة وسبعين ألفا منهم الى فلسطين ، فانه وعد للعرب بأنه لن يدخل أحد من اليهود بعد ذلك الا بعد موافقة العرب انفسهم ، وقد تم ادخال العدد الذي جاء في الكتاب الأبيض في أواخر عام ١٩٤٥ ، ولكنها سرعان ما قررت استمرار الهجرة بمعدل ألف وخمسمائة يهودي شهريا .

وعلى الرغم من تعهدها في كتابها الأبيض بالحد من تسرب الأراضي لليهود ، فقد استمرت في اتباع الأساليب التي تسهل لهم تملك الأراضي سواء عن طريق عمليات التسوية أو بقرارات نزع الملكية بمراسيم المندوب السامي .

وقد سبق أن أوضحنا الجهود التي بذلتها بريطانيا خلال حكمها فلسطين في سبيل تسهيل إقامة الوطن القومي اليهودي فيها والتكثيف بالعرب .



ولذلك أعلن تشرشل عن تأليف فرقة يهودية مسلحة بضباطها وجنودها وسلاحها وعلمها اليهودي الخاص ، وكانت تلك الفرقة اليهودية مجهزة فعلا في فلسطين لا ينقصها الا أمر ابرازها ، فمنذ امد بعيد واليهود يؤلفون جيشهم المدرب ، بدأوه ببوليس المستعمرات وأمدتهم بريطانيا بصناديق الذخيرة وأكوام الأسلحة وسخرت ضباطها لتدريبهم ، واستعانت بجيشها ليحميهم في مرات عديدة ، عندما كانوا يخرجون الى جوار الأراضي العربية يجرون تدريبهم وتمارينهم (٨٩) ، وخلال الحرب الثانية استمر العون البريطاني لليهود بقصد جعلهم قوة عسكرية .

ويذكر أحد الباحثين العرب ان حكومة الانتداب وضعت عددا كبيرا من اليهود في ورش الجيش البريطاني ومطاراته ونكباته وخاصة في الوظائف الرئيسية والفنية وحراسة القناصل والمستودعات وجندت الألوف من شبابهم فسلحتهم ودربتهم واشركتهم في العمليات الحربية ، واعتمدت بعض المصانع اليهودية لانتاج المتفجرات والذخائر وسائر الاحتياجات العسكرية مع المعونة المالية الكافية ، ودارت مشاورات عديدة بين المارشال وايفل القائد البريطاني العام في الشرق الأوسط ، وهو الذي كان يقود الجيش البريطاني في فلسطين خلال ثورة ١٩٣٨/٣٧ وبين ونستون تشرشل رئيس وزراء بريطانيا خلال الحرب ، لقد كان وايفل يعتقد ان العرب كلهم سوف يثورون ضد بريطانيا اذا ألف الجيش اليهودي ، وبريطانيا في حاجة الى هدوء المنطقة العربية حيث يعسكر جيشها ، وحيث يهددها رومل من الغرب في ليبيا ، ولذلك نصح القائد البريطاني رئيس الوزراء بعدم تأليف ذلك الفيلق اليهودي ولكن تشرشل يثبت في مذكراته ما يلي : « لقد تحدثت ويفل وكتبت الى الدكتور وايزمان سامحا بتأليف ذلك الجيش ، ولم يتحرك كلب عربي واحد (٩٠) » .

وهكذا أصبح لليهود جيش رسمي عاد الى فلسطين بمجرد انتهاء الحرب بجميع أسلحته ومعداته ، بل لقد استجلبت بريطانيا الجنرال ويتجيت البريطاني خبير حرب العصابات الذي كان يقود القوات البريطانية ضد عصابات الملايو وبورما وكلفته أن يدرب منظمة ( الهاجانا ) اليهودية على حرب العصابات . وكانت في عام ١٩٣٩ حين قررت منع الهجرة غير الشرعية أعلنت انها سوف لا تسمح بالدخول الا لمن هم في سن بين الحادية عشر والسادسة عشرة ، وكأنها تختار من يقرب سنهم للتجنيد والحرب .

(٨٩) المؤامرة الكبرى واغتيال فلسطين .

(٩٠) حقائق عن قضية فلسطين ، ص ٥٧ .

## إصرار... وعداء

« ان تصريحات فخامة رئيس الولايات المتحدة ومساعيه تحدث انزعاجا كبيرا في البلاد العربية والعالم الاسلامي ، وتسيء لطيب العلاقات التي ترغب دول الجامعة العربية أن تظل دائما بينها وبين الحكومة الامريكية » .

مذكرة الجامعة العربية للولايات المتحدة ١٩٤٦

« ان حكومتي انما تتصرف طبقا لسياسة الولايات المتحدة التقليدية التي ترمي الى تعزيز وابرار فكرة الوطن القومي اليهودي في فلسطين الى حيز الوجود » .

رد الرئيس ترومان على مذكرة الجامعة ١٩٤٧

« وافق مجلس الجامعة العربية على سحب مذكرة ترومان من أيدي اعضاءه وأن يبقى الموضوع في طي الكتمان » .

راجع ص ٢٨٤ من هذا الكتاب

« فليشجع العرب على الخروج بينما اليهود يدخلون ، ان للعرب مناطق واسعة . يجب علينا أن نعيد دراسة امكانية توسيع حدود فلسطين الحالية » .

مؤتمر حزب العمال البريطاني ١٩٤٤

« ليس من العدل ان تقف الهجرة اليهودية انتظارا لتوصيات اللجان ، وسوف تستمر الهجرة ( الى فلسطين ) ألف وخمسمائة مهاجر يهودي سنويا » .

المندوب السامي البريطاني في فلسطين

« يجب ان يصرح في الحال بادخال مائة ألف يهودي الى فلسطين وان يباح دخولهم بالسرعة الكافية خلال ١٩٤٦ » .

اللجنة البريطانية الامريكية المشتركة



هو الألف لم تعرف فلسطين ضربة  
يهاجر ألف ثم ألف مهربا  
والف جواز ثم ألف وسيلة  
وفي البحر آلاف كأن عبابه  
أشد وأنكى منه يوما لضارب  
ويدخل ألف سائحا غير آيب  
لتسهيل ما يلقونه من متاعب  
وأما وجه مشحونة بالمرائب

الشاعر الفلسطيني ابراهيم طوقان عن الهجرة اليهودية

« طلبت من ترومان أن يقسم النقب بيننا وبين العرب على أساس  
خط عمودي ، فأمر ترومان مندوبه بأن يكون النقب كله لنا » .

وايزمان في مذكراته

« أجلت الجمعية العامة للأمم المتحدة جلسة التصويت على التقسيم  
أمس بعد أن وجد مؤيدو الصهيونية أنهم لا يضمنون ثلثي الأصوات » .

نيويورك تايمس ٢٧ نوفمبر ١٩٤٧

« هل يلام العرب والمسلمون اذا اعتقدوا انها حرب صليبية بعض  
أسلحتها اليهود ، وانها ممالة من الدينين الصالب والمصلوب على الاسلام ،  
وكلمة النبي في القدس لا يزال رنينها مجلجلا في الآذان وصداها متجاوبا  
في الأذهان » .

البشير الإبراهيمي مجلة البصائر الجزائرية ١٩٤٧

يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء  
بعض ، ومن يتولهم منهم فإنه منهم ، ان الله لا يهدي القوم الظالمين .  
قرآن كريم

## الفصل الثامن

### التطورات الخطيرة

أمام شعب فلسطين بعد الحرب العالمية الثانية

#### ١ - أمريكا تحتضن الصهيونية :

حين أعلن تصريح بالفور في ٢ نوفمبر ( تشرين الثاني ) ١٩١٧ كان  
الرئيس « ويلسن » رئيس الولايات المتحدة الاميركية قد استشير من طرف  
بريطانيا وأطلع على نص التصريح ووافق عليه في برقية بعثها بأسمه  
الكولونيل « هاوس » بتاريخ ١٦ ( تشرين الاول ) ١٩١٧ الى سير « أريك  
دراموند » السكرتير الخاص لوزير خارجية بريطانيا ، وقال « ويلسون »  
بعد ذلك في بيانه للشعب الأمريكي « أنا مقتنع أن أمم الحلفاء بالاتفاق التام  
مع حكومتنا وشعبها قد اتفقت أنه في فلسطين ستبقى أسس كومنولث  
يهودي » .

بل ان كاتبها يهوديا هو « لنடன் » يقرر أن أمريكا لم تؤيد فقط وعد  
بالفور ، بل ان دخولها الحرب العالمية الاولى لم يتأكد الا بعد أن أعلن وعد  
بالفور كثمن لمشاركتها في الحرب الكبرى ، وأنه ليقول « أن مستر «مالكولم»  
سكرتير رئيس الوزارة البريطانية « لويد جورج » قد أقنع بعض الساسة  
الفرنسيين بوجود التحالف مع الصهيونية مؤكدا أن الطريقة المثلى بل  
الوحيدة لحمل رئيس الولايات المتحدة على دخول الحرب هي الوصول الى  
تفاهم مع صهيوني الولايات المتحدة (١) » .

وفي عام ١٩١٩ جاء الى فلسطين القاضي الاميركي اليهودي « لويس  
برنديس » وهو صديق « ولسن » الحميم ، وصرح مخاطبا القائد البريطاني  
« جنرال موني » : يجب ألا تنسى أن أعمالك يلزم أن تكون مستمدة من تعهد  
حكومتك بإنشاء وطن قومي لليهود هنا .

(١) قضية فلسطين ، ص ٤٠ .



وعاد لبريطانيا ولم تمض الا ايام حتى طرد القائد البريطاني وعديد من ضباطه بتهمة عداوة اليهود وعين محلهم من يعطف على الصهيونية وامانيها .

وفي ٢٠ سبتمبر ( ايلول ) ١٩٢٢ وقّع المستر « هاردن » رئيس الولايات المتحدة ( بعد ولسن ) قرار الكونجرس موافقا على تهويد فلسطين . وفي عام ١٩٢٢ أعلن اليهود في أمريكا أنهم سوف يجمعون ١٨ مليون دولار لجمعيات الوطن القومي في فلسطين .

وفي عام ١٩٢٢ أعلن الكونجرس الأمريكي قراره الاجماعي الذي ايد فيه وعد بالفور وتأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين ، وحدث اثناء انعقاد مؤتمر المائدة المستديرة بين العرب وبريطانيا في فبراير ( شباط ) ١٩٣٩ لبحث قضية فلسطين بلندن أن خشيت أمريكا ادراك بريطانيا لأخطائها التاريخية مع العرب ، فتدخلت لينتهي المؤتمر دون نتيجة حاسمة ، وكان من مظاهر تأييد أمريكا أن عارض « جورج مارشال » وزير خارجية أمريكا سنة ١٩٤٢ بحث مجلس الشيوخ الأمريكي اقتراح إلغاء الكتاب الأبيض البريطاني الذي يحدد الهجرة ويعد بالاستقلال ، ثم عندما تبينت بوادر النصر للحلفاء ولم يعد للعالم العربي أثر مخيف ، كتب مارشال نفسه الى المستر « واغنر » عضو اللجنة بالكونجرس يقول « ان الاعتبارات التي حملته في السابق على تأجيل بحث اللجنة للاقتراح قد زالت الآن » .

وذلك المؤتمر الصهيوني العالمي الذي عقد دورة استثنائية بفندق بلمورا بنيويورك ، اتخذ قرارا بتحويل فلسطين الى دولة يهودية وأجلاء العرب عنها اذا عارضوا هذا التحويل ، فأسرع الرئيس الأمريكي « روزفلت » وأعلن كما أعلن غيره من الأمريكيين تأييدهم لهذا القرار (٢) .

وتجمع مائة وواحد وثمانون عضوا بالكونجرس الأمريكي ، وقدموا عريضة موقعة منهم جميعا طلبوا فيها الى الرئيس الأمريكي روزفلت أن يصدر وعدا بإنشاء وطن قومي في فلسطين شبيه لوعد بالفور (٣) . وأثناء المعركة الانتخابية عام ١٩٤٤ تسابق المرشح الجمهوري « جون ديوي » والمرشح الديمقراطي روزفلت في تأييد القرار اليهودي لإنشاء دولة يهودية في فلسطين .

ولم يكن رجال الدين الأمريكيون أقل حماسة لليهود من رجال السياسة

(٢) كان ذلك في ١١ مايو ١٩٤٢ .

(٣) كان ذلك في ديسمبر ١٩٤٢ .

فقدم خمسة الاف قسيس بروتستانت في فبراير ( شباط ) ١٩٤٥ طلبا الى حكومتهم ، طالبين اباحة الهجرة اليهودية الى فلسطين دون قيد ، وكان ترومان رئيس الولايات المتحدة أسرع مستجيب لمثل هذا النداء ، فأرسل كتابا الى « اتلي » رئيس الوزارة البريطانية يطلب ادخال مائة ألف يهودي دفعة واحدة الى فلسطين ، وأن تفتح أبوابها دون قيد للهجرة بعد ذلك ، (٤) وفي ٢ ديسمبر ( كانون الاول ) ١٩٤٥ أصدر الكونجرس الأمريكي في عهد ترومان هذا قرارا ثبت فيه تصريح بالفور وإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين .

وحضر روزفلت الى مصر بعد انقضاء مؤتمر يالتا ببلاد القرم ، وقابل الملك عبد العزيز آل سعود في فبراير ( شباط ) عام ١٩٤٥ وكان من اهم جدول الاعمال أن تناقش أمنية الاسر اليهودية التي حمل روزفلت رجاءاتها باقامة مستعمرات يهودية في ضواحي المدينة المنورة ، لقاء عشرات الاف من الجنيهاات الذهب ومعلوم لدينا رفض الملك عبد العزيز (٥) .

ونهض حكام الولايات الأمريكية يسهمون في اذى الامة العربية ونصر الصهيونية ، فقدم ٣٨ حاكما منهم طلبا الى الرئيس « ترومان » خلال عام ١٩٤٦ يطلبون اتخاذ الاجراءات اللازمة لاستمرار الهجرة الى فلسطين ، حتى يقيم اليهود فيها دولة لهم ، وخلال مناقشات الامم المتحدة عام ١٩٤٧ كان الوفد الأمريكي يحمل لواء الدفاع عن اليهودية وامانيهم في فلسطين وكان من اشد المتحمسين لقرار التقسيم وخلق دولة يهودية فيها ، وفي خلال ثلاثة ايام من نوفمبر ( تشرين الثاني ) ١٩٤٧ ووسط مناقشات الامم المتحدة ، نجح الضغط الأمريكي في تغيير آراء تسعة من الدول التي كانت معارضة أو ممتنعة عن تأييد التقسيم الى الموافقة عليه ، ولم يعد هذا سرا بعد أن اعترفت الصحافة العالمية وشهد به « روزفلت » (٦) .

ومن هذا العرض السريع يتضح أن سياسة الولايات المتحدة كانت في جميع مظاهرها وخططها سياسة تعمل على طرد العرب من فلسطين واحلال اليهود فيها ، ويرى البعض أن هذا الهدف الأمريكي بدأ قبل تصريح بالفور بزمان بعيد ، فقد أفصحت أمريكا بلسان كبار موظفيها منذ القرن التاسع عشر عن هذا اللقاء الذي تم بين الصهيونية وبين الصليبية الاستعمارية لتحطيم الخلافة ، وليس وعد بالفور الا عنوانا لهذه الخطة المرسومة ، ففي

(٤) كان ذلك في ٣١ ديسمبر ١٩٤٢ .

(٥) وثائق الحرب العالمية الثانية التي نشرتها أمريكا عام ١٩٦٥ .

MIDDLE EAST JOURNAL JANUARY 1948 P. 138.

(٦)



عام ١٨١٨ كان مستر « نوح » قنصل أمريكا السابق في تونس يخطب في حفل افتتاح أحد معابد اليهود بنيويورك ويقول :

ان القضاء على السيطرة التركية في أوروبا سترتب عليه تحرير اليهود وسيكون في استطاعتهم السير مرة أخرى لامتلاك سوريا تحيط بهم هالات النصر ، وبذلك يظهرون مكانتهم بين دول العالم (٧) .

وتدل أحداث التاريخ الحديث والتاريخ المعاصر على انه ما من رئيس للولايات المتحدة الا أحاط به اليهود عن يمين وشمال ، وليس أدل على ذلك من أن « ولسن » صاحب مبدأ حقوق الانسان خلال عام ١٩١٧ كان أول المنتكرين لهذه الحقوق حين تعارضت مصالح اليهود مع حقوق العرب في فلسطين ، وكان مستشاره الذي يخضع لرايه ولا يخالفه هو اليهودي العالمي القاضي « لويس برانديس » ، كما كان « روزفلت » يهتم كثيرا بأراء مستشاره « أرنيسست مديرس » وكان يهوديا .

وحين جاء « ترومان » الى كرسي الرئاسة في الولايات المتحدة كانت الحلقة حوله تتكون من شخصيات صهيونية بارزة كان شغلها الشاغل انشاء دولة اسرائيل في فلسطين العربية (٨) ، وكانت تصريحات « ترومان » الفياضة بالعطف على الاماني الصهيونية تملأ الصحف والنشرات ، وتحتل الاسماع والاذهان ، وحين تحرك مجلس الجامعة العربية فبعث في ٤ من ديسمبر ( كانون الثاني ) ١٩٤٦ بمذكرته التالية ليلفت نظر الولايات المتحدة الامريكية لموقفها غير الودي مع العرب صفعه ترومان صفقة قوية تحسس العرب بها خدودهم ، ثم واروا آثارها عن عيون المشاهدين ، ولم يجرؤ أحد منهم أن يرفع صوته احتجاجا أو يدفع عن نفسه أذى الامريكان ، وقد جاءت مذكرة الجامعة العربية في أسلوب هادئ رزين ، وهذا هو نصها :

« يهدي الامين العام لجامعة الدول العربية أزكى تحياته الى حضرة صاحب السعادة سفير الولايات المتحدة الامريكية ، ويتشرف بأن يبلغه ما يأتي باسم الجامعة ، وبناء على قرار صدر عن مجلسها بالاجماع في ٢ ديسمبر ( كانون الاول ) ١٩٤٦ مع رجاء التفضل بابلاغه الى سعادة وزير الخارجية في واشنطن :

لقد انتهز مجلس الجامعة فرصة اجتماعه في دورته الحاضرة وتداول

(٧) صلاح دسوقي ، امريكا مستعمرة صهيونية ، ص ٢٠

(٨) وهم بارنارد باروخ ، دافيد نايلز ، ادوارد جاكسون ، سام روزلمان ، سلفر ، روبرت ناغان ، هربرت سواب .

فيما بدا خلال الشهور المنصرمة من تدخل أمريكا في شؤون فلسطين ، وما يحدثه ما يصدر عن فخامة رئيس جمهورية الولايات المتحدة من تصرفات ، وما يبذله لدى الحكومة البريطانية من مساع ، وقرر لفت نظر حكومة الولايات المتحدة الى ما تحدث هذه التصريحات والمساعي من انزعاج كبير في البلاد العربية والعالم الاسلامي ، والى ما يترتب عليها من اساءة لطيب العلاقات التي ترغب دول الجامعة أن تظل دائما بينها وبين الحكومة الامريكية .

كذلك تناول المجلس موضوع ما يبذل في مناطق الاحتلال الامريكي في أوروبا من تشجيع وتسهيل للهجرة الصهيونية الى فلسطين ، وهو يرجو أن تعمل حكومة الجمهورية على وضع حد لهذه التصرفات ، التي لا يمكن أن تفسر الا بالتحيز لأحد طرفي النزاع في القضية القائمة بين العرب واليهود ، والتي لا تزال موضع البحث والدرس أملا في الوصول الى حل يزيل ما تراكم في النفوس كنتيجة للموقف الحالي البالغ الصعوبة ويوطد أركان السلام - وهو ما تنشده جميع الأمم - الذي تحمل علم زعامته الحكومة الامريكية في كل ما تناصره من مبادئ سامية (٩) .

على أن هذه المذكرة التي تحوى من عبارات الزلفى والملق لأمريكا أكثر مما تتضمنه من عزم العرب على الوقوف تجاه من يحارب حقهم ، لم تلق من ترومان الا ردا ينم عن روح الاستخفاف بحقوق عرب فلسطين ، والاصرار على دعم المطالب الصهيونية ، وقد جاء في رده :

« لقد طلبت الى حكومتي أن أعرب عن بالغ ارتياحها لروابط الصداقة المتينة التي تربط الولايات المتحدة بجميع الدول العربية ، وعن أملها في أن تزداد الصداقة توثقا ، ولقد أحيطت حكومتي علما بتقرير المجلس ، أن اهتمام حكومة الولايات المتحدة بقضية فلسطين والتصريحات الاخيرة التي أدلى بها رئيس الولايات المتحدة بخصوص فلسطين قد سببت قلقا شديدا في سائر الدول العربية والعالم الاسلامي ، فمنذ نهاية الحرب العالمية الاولى عاضدت الولايات المتحدة حكومة وشعبا فكرة الوطن القومي اليهودي في فلسطين ، وأذن فحكومتي انما تتصرف طبقا لسياسة الولايات المتحدة التقليدية عندما تدعو الى اتخاذ التدابير التي ترمي الى تعزيز وابرار هذه الفكرة الى حيز الوجود » .

الى أن يقول ذلك الرد الاميركي : « ان كثيرا من اليهود المشردين يتطلعون

(٩) نقولا الدر : هكذا ضاعت وهكذا تعود ، بيروت ١٩٦٣ مطابع دار الحوادث ، ص ٢١٤ وانظر ايضا جريدة الاهرام العدد الصادر في ٨ ديسمبر ١٩٤٩ .



الى فلسطين كملجأ ، وأنه ليدو مخالفا للمبادئ الانسانية لجميع الشعوب انكار حق الباقين الان في مراكز المشردين في اوربا في البحث عن مأوى لهم في بلاد اخرى ومنها فلسطين .

ويروي باحث عربي بعد أن نقل هذا الرد كاملا عن جريدة الاهرام ما اوردته الجريدة المذكورة في ديسمبر ( كانون الاول ) ١٩٤٩ من أن مجلس الجامعة عندما استعرض أمر هذه المذكرة القاسية تلقى اقتراحا من السيد هنري فرعون ممثل حكومة لبنان أن يبقى الموضوع في طي الكتمان ، وطلب دولة السيد رياض الصلح سحب مذكرة الجامعة من أيدي الاعضاء ، فوافق المجلس على ذلك (١٠) .

وهكذا جاء رد أمريكا على العرب يمثل صفة ساخرة قوية ، وكل ما يبذله أثنان من كبار رجالهم هو أن اقترحا اخفاء الموضوع وتناسيه بل سحبه من أيدي الاعضاء وكأنه لم يكن .

وأمريكا التي تطالب بفتح أبواب فلسطين للمهاجرين اليهود تقفل أبوابها في وجههم ، وقد ثبت أنه بين عامي ١٩٣١ ، ١٩٣٩ دخل فلسطين ٢١٨٠٠٠ مهاجر ، بينما لم يدخل الولايات المتحدة والبرازيل واستراليا والارجنتين كلها سوى ٢٠٧٠٠٠ في حين أن مساحات هذه الاقطار أكبر من مساحة فلسطين بمئات المرات (١١) .

ولعل قصة هذه المذكرة العربية ، ورد أمريكا عليها تقرب الى أذهاننا صورة الموقف عام ١٩٤٧ سواء بالنسبة لموقف العرب مع شعب فلسطين العربي ، أو بالنسبة لموقف القوى العالمية منه ، ذلك أن موقف العرب كان موقفا متخاذلا ضعيفا وأهنا يود لفلسطين الخير ، ولكنه لا يملك تقديمه ، ويخشى الدول الكبرى ويتملقها ويحاول أن يخادع ويرضى أن يخدع ، وبذلك فشعب فلسطين حتى ذلك العام ومنذ عام ١٩١٨ كان وحده في الميدان تجاه الصهيونية والصليبية ، أما موقف القوى العالمية فيتمثل في هذا المظهر الصهيوني الأمريكي وما يلحق به من مواقف الدول الاخرى التي تسابقت تأييدا له وسيرا معه ، ويتمثل أيضا في المراوغة البريطانية التي استمرت طوال انتدابها ثلاثين عاما تخادع العرب باللجان والمؤتمرات ، وتسلب كل قواتها لقهر الشعب العربي في فلسطين ، ثم لجأت الى اشراك أمريكا رسميا في بحث القضية الفلسطينية وهي بذلك انما تسرع الخطى

(١٠) المصدر السابق ، ص ٢١٦

(١١) تقرير اللجنة الدولية عن فلسطين ، ج ٢ ، ص ٨٧ .

نحو الهدف الاكبر في طمس عروبة فلسطين ثم تهويدها .

## ٢ - انجلترا تصر على تهويد فلسطين :

كان رأي الانجليز منذ دخولهم فلسطين هو أن يجعلوها وطنا قوميا لليهود ، وذلك بترقية أوضاع اليهود في أركانها الثلاثة السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وقد نفذوا طوال انتدابهم هذه البرامج بما في مفهومها من محاربة العرب سياسيا واجتماعيا واقتصاديا .

ولقد كان واضحا أن العرب خسروا من الانتداب البريطاني ما لم يخسره أي شعب آخر ، فقد كان لهذا الشعب ممثلوه في البرلمان العثماني يرفعون صوته ويقدمون رأيه ، ويدافعون عنه ، وأصبح مع الانتداب شعبا مهاجما في داره ، فرضت عليه الدولة المحتلة جنسا غريبا متلها لا ثبات وجوده ، وأفنى الشعب الفلسطيني عشرات السنين يرفع عقيرته بالاحتجاج ، ويقدم أرواحه في الثورات ، دون أن يهتم به سادة بريطانيا أو يغيروا من سياستهم .

وكان الشعب الفلسطيني لا يدفع الا القليل من الضرائب زمن الحكم العثماني فأثقلته بريطانيا بالضرائب تفرضها على الأملاك والبناء والأرض والإيراد والحيوان ، حتى بلغت ٣٣٪ ولم تكن تصرف حصيلتها لصالح الشعب العربي ، بل يذهب أغلبها لصالح المستعمرات اليهودية التي تمد لها الطرق ، وتوصل بمحطات السكك الحديدية ، وتساعد للنمو في جميع احتياجات الحياة .

وكان الشعب الفلسطيني يمثل جزءا من بلاد الشام ، له تجارته وحاصلاته ، مستورا قليل الفقراء ، وجاء الانتداب البريطاني وبمكر خطير سن له القوانين التي سهلت اغتصاب أراضيه ، وأصدر اللوائح التي منعت تصدير حاصلاته ، حتى وقع تحت طائلة الرهون والديون وحجز على الأرض وانتشر فيه الفقر والعوز .

وكان في فلسطين بنك عقاري للدولة العثمانية يسهل القرض ، ويراعي حالة المزارعين ، فأغلقت أبوابه ، وحجز على المزارعين دون اناحة فرصة للسداد ، وتكالبت البنوك اليهودية تنتشر بقدرتها المالية ، فأثقل كاهل العربي بالفوائد والديون والضرائب وانخفاض أسعار حاصلاته وتكدس انتاجه ، واضطر لشراء احتياجاته من الصناعات اليهودية المحمية بقوانين المندوب السامي .

وما كادت تصل سنة ١٩٣٩ حتى بدا للعيان أن بريطانيا قد أوفت



بمعهدا لليهود على حساب العرب .

وحين نشرت بريطانيا كتابها الأبيض ظن البعض انها بدأت تغير موقفها ، وانها وان لم تطلب من اليهود الدخلاء مغادرة فلسطين ، فانها سوف توقف الهجرة في الموعد المحدد ولن تسمح بقيام دولة يهودية ، وسوف تنفذ وعد باستقلال فلسطين بجميع سكانها ، وأن العرب سوف يكونون فيها بأغلبية تساوي الثلثين ، ولكن هذا الخيال كان سرايا خادعا ، فاسسرت الهجرة بعد ذلك دون توقف ، وتعاقبت بواخر المهاجرين المهربين ، وسمح للعديد منها بالرسو والانزال .

ومهما تخالفت الأحزاب البريطانية في سياستها الداخلية أو في موقفها من بعض مشكلات السياسة الخارجية ، فان الحزبين الرئيسيين فيها كانا يتفقان دائما على مساندة اليهودية العالمية ، وقد مرت بنا امثلة من تأييد حزب المحافظين للصهيونية ، وأما حزب العمال فقد صدر عن مؤتمر هيئته البرلمانية عدة قرارات في سنوات متعاقبة تضمنت تأييدا سافرا لليهود في انشاء وطن قومي لهم في فلسطين ، بدعوى ان انشاء هذا الوطن المرتجى يؤدي الى القضاء على آلام اليهود وضمان بقائهم ونموهم الحر ، وطالبت هذه القرارات بدعم نمو الوطن القومي اليهودي نموا مطردا عن طريق المساعدات الدولية تبذل لتجير اليهود وتوطنهم في فلسطين ، كما طالبت هذه القرارات الحكومة البريطانية بالوفاء بالتزاماتها ، في ضوء تصريح بالفور وصك الانتداب ومنح الوكالة اليهودية مزيدا من السلطات .

وبات حزب العمال يطلق على هذه المطالب التي يرددها في اجتماعات هيئته البرلمانية اسم « السياسة التقليدية لحزب العمال » .

وسنمر مرورا سريعا على بعض هذه القرارات تدليلا على افعال حزب العمال في هذه السياسة التقليدية ، ففي سنة ١٩٣٩ اصدرت الهيئة البرلمانية للمؤتمر في « ساورثبورت » القرار التالي : « ان مؤتمر الهيئة البرلمانية لحزب العمال يؤكد ثانياة التأييد التقليدي الذي توليه حركة العمال البريطانيين من اجل اعادة انشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين ، ويعترف بأن فوائد جلى للجماهير العربية قد نجمت عن الهجرة والاستيطان اليهوديين ، ان هذا المؤتمر لمقتنع بتوافر امكانية التعاون السلمي المستمر بين الشعبين العربي واليهودي في فلسطين في ظل الانتداب وسياسة وعد بالفور » .

ومضى حزب العمال على سياسة الصهيونية فأصدر في عام ١٩٤٠ القرار التالي :

« ان مؤتمر حزب العمال يعلن انه لازالة السبب الأساسي لآلام اليهود ، ولضمان بقائهم ونموهم الحر ، يجب أن يدعم النمو المطرد للوطن القومي اليهودي في فلسطين بالهجرة والاستيطان بمساعدة دولية ، ويجب أن يسمح للشعب اليهودي أن يستغل الى الحد الأقصى مقدرة القطر الاقتصادي ولاستيحاب المهاجرين ، والمؤتمر بتأييده ثانياة تأييده التقليدي لانشاء الوطن القومي لليهود في فلسطين فانه يشدد على الالتزامات الخاصة المفروضة على بريطانيا بموجب تصريح بالفور والانتداب ، ويكرر ايمانه بأن هذه السياسة تهىء الأسس للتعاون السلمي المستمر بين العرب واليهود في فلسطين ، ويصرح المؤتمر بوجود تمثيل الشعب اليهودي تمثيلا كافيا عندما يبحث مؤتمر الصلح المسائل التي تؤثر عليهم » .

وعندما انعقد مؤتمر حزب العمال في لندن عام ١٩٤٣ أعلن :

« ان مؤتمر حزب العمال يعبر من جديد عن الغزع والسخط اللذين ينظر بهما العالم الى حملة هتلر الوحشية في افناء يهود أوروبا ، ويصرح بأن عملية الانقاذ يجب أن تكون على مقياس يتناسب مع هذا الجرم الفريد ، ويؤكد المؤتمر من جديد سياسة حزب العمال التقليدية التي تحجد بناء فلسطين كوطن قومي لليهود ، ويطلب أن تعطي الوكالة اليهودية السلطة لأن تستغل لأقصى حد مقدرة البلاد الاقتصادية لاستيعاب المهاجرين وأن تستثمر القطر بما في ذلك الاراضي الخالية وغير المستغلة » .

### فليطرد العرب :

وتستمر روح بريطانيا متمثلة في حزبيها الكبيرين تسير مع التهويد خطوة خطوة ، ويوما بعد يوم ، حتى اذا قاربت الحرب العالمية الثانية على الانتهاء تبدل لهجة حزب العمال في بياناته ، فهو لم يعد يطلب لليهود ذلك الوطن القومي الغامض المعنى ، ولا يكتفي بالهجرة والاستيطان ، لقد أوشكت الحرب على الانتهاء ، ولم تعد تهدة العرب تشغل أحدا منهم ، فأفصح عن الهدف الأعلى ، وطالب باجلاء العرب عن فلسطين في قراره الخطير الذي اصدره في لندن عام ١٩٤٤ :

« ها نحن وقفنا في مفترق الطرق حائرين بين السياسات المتناقضة ، ولكن الشيء الأكيد هو أنه لا أمل ولا معنى لـ ( وطن قومي لليهود ) ما لم نكن على استعداد للسماح لليهود ( ان هم رغبوا ) في دخول هذه البلاد الصغيرة ( فلسطين ) بأعداد كبيرة لكي يصبحوا اكثرية ... لقد كانت هناك قضية قوية لهذه الغاية قبل الحرب ، وتوجد اليوم قضية لا تقاوم



بعد وقوع الفظائع التي لا توصف لخطة النازي المرسومة عمدا لقتل جميع يهود أوروبا ، ويوجد هنا في فلسطين بالتأكيد قضية تقوم على اعتبارات انسانية لانجاح استيطان ثابت ونقل السكان، فليشجع العرب على الخروج بينما اليهود يدخلون ، ان للعرب مناطق واسعة تخصهم وحدهم فيجب الا يطالبوا باخراج اليهود من فلسطين الضيقة والتي تقل عن مساحة ويلز ، وبالحقيقة يجب علينا أن نعيد دراسة امكانية توسيع حدود فلسطين الحالية بالاتفاق مع مصر وسوريا وشرق الأردن » .

### ٣ - إنجلترا تشرك أمريكا لتنفيذ التهود :

تولى حزب العمال الحكم في بريطانيا خلال عام ١٩٤٥ ، وتوالت الاتصالات بينه وبين ترومان رئيس الولايات المتحدة ، فسلكت بريطانيا خطوتين نحو النكبة ، كانت الخطوة الأولى اشراك أمريكا اشراكا رسميا في بحث القضية ، على حين كانت الخطوة الثانية ايفاد لجنة مشتركة منهما لتضع تقريرا يطابق سياستهما .

أعلن المستر بيغن وزير الخارجية البريطانية انه بالتفاهم مع أمريكا سوف تؤلف لجنة بريطانية أمريكية تكون مهمتها :

١ - بحث أحوال فلسطين العامة بالنسبة لتأثرها بهجرة اليهود .

٢ - بحث حالة اليهود الذين تعرضوا للاضطهاد في أوروبا ، واحصاء من يود منهم النزوح الى فلسطين أو غيرها .

٣ - تقديم التواصي لبريطانيا وأمريكا ليجاد حل لقضية فلسطين .

وأعلن أيضا وزير الخارجية البريطانية أن الهجرة اليهودية سوف تستمر الى أن يرفع تقرير هذه اللجنة ، وهكذا مزق المستر بيغن الكتاب الأبيض ، وهدم ما كان قد حدده ذلك الكتاب بل زاد تعقيد القضية بادخال أمريكا طرفا فيها .

وفوجيء العرب بهذا التطور ، فان هذا الموقف الجديد يضيف رسميا الى صف الصهيونية أمريكا كطرف ونصير جديد ، وأمريكا ليست صاحبة الانتداب في فلسطين حتى تبحث قضيتها ، وليست شريكة في ذلك الانتداب ، ولم يطلب منها سكان فلسطين أن تكون طرفا في النزاع ، وكل علاقتها بفلسطين هو عطفها وتأييدها للأمانى الصهيونية .

ونشرت الهيئة العربية بيانا بعد انقضاء مؤتمرها ، نددت فيه بنقيض بريطانيا لسياستها التي وضعتها بمحض اختيارها في كتابها الأبيض

عام ١٩٣٩ وقالت :

« ان العرب يعارضون بكل قواهم دخول مهاجر يهودي واحد الى فلسطين ، ان فلسطين ملت سياسة ايفاد لجان التحقيق ، وهم يعتبرون قضية فلسطين قضية بينهم وبين بريطانيا ، ولا يعترفون لأي فريق بالتدخل ، ولا يقرون لأي شعب آخر أو دولة أخرى بحق تقرير مصير بلادهم ، ولذلك فهم يستغربون اشراك بريطانيا للولايات المتحدة في هذه القضية ، وان العرب اذ يرفضون بيان مستر بيغن يعلنون تمسكهم بمطالبهم القومية والانسانية » .

ولكن هذا الاعتراض العربي لم يجد أذنا صاغية في لندن ولا في واشنطن ، أما لندن فقد كان مندوبها السامي في فلسطين يصدر قبل وصول اللجنة المشتركة بيانا عجيبا لا مثيل له في تاريخ المنطق المعوج :

« ليس من العدل أن تقف الهجرة اليهودية انتظارا لتوصيات اللجنة ، وسوف تستمر الهجرة بالمعدل المقترح ، وهو ألف وخمسمائة مهاجر سنويا » .

وأما في واشنطن ، فقد اتخذ مجلس الشيوخ والنواب قرارا اجماعيا يطالب فيه حكومته بالتوسط لدى الدولة المنتدبة لفتح أبواب فلسطين لهجرة اليهود ، وقيام دولة يهودية ديمقراطية .

وكان التصريح البريطاني الذي أصدره المندوب السامي ، وكذلك القرار الأمريكي كلاهما يمثل احياء الى اللجنة البريطانية الأمريكية المكونة من اثني عشر عضوا عرف معظمهم بميولهم الصهيونية ، وكان لندن وواشنطن انما بعثتا بمندوبيهما ليقولا أن الهجرة يجب أن تستمر ، أن فلسطين يجب أن تشهد دولة يهودية ، وكان قرارا متخذا قبل التحقيق والاستقصاء .

وجاءت اللجنة المشتركة ، واستمعت لآراء عشرات من الأشخاص والزعماء والحكومات ، وتفرغت الى لجان ، جال بعضها في الأقطار العربية وأوروبا ، وأحاطت هذه اللجان بآراء الفنيين والمؤرخين والسياسيين ، وكلها تفيد أن فلسطين لا تحل المشكلة اليهودية وأن العرب أصحاب هذه الأرض من آلاف السنين ، وأن خلق دولة يهودية أو وطن يهودي يسعى لأكثرية يهودية هو عمل من شأنه خلق اضطراب مستمر في المنطقة ، وهو استهانة بالسلام في هذه المنطقة المهمة من العالم ، ولكن كل ما استمعت له اللجنة المشتركة لم يغير شيئا من روح الصهيونية والصليبية الاستعمارية



لدى أعضائها .

وجاء تقرير اللجنة المشتركة مطابقا للسياسة البريطانية والأمريكية التي عملت دائما على مساندة الصهيونية ، وهذا جزء من ذلك التقرير :

« يجب أن يصرح في الحال بادخال مائة ألف يهودي الى فلسطين ، ممن كانوا ضحايا للاضطهاد النازي والفاشي ، وأن تمنح أذونات الدخول بالسرعة الكافية خلال عام ١٩٤٦ ، وأن تطلق حرية التصرف بالأراضي ، بغض النظر عن العنصر والطائفة أو المذهب ، وأن تضمن حماية صفار الملاك والمزارعين والمستأجرين حماية وافية ، وأن يكون واضحا أن فلسطين لن تكون دولة يهودية ولا دولة عربية ، وأن الدستور يجب أن لا يجعل الكلمة العليا للكثرة العددية اذا أريد اقامة حكم حقيقي لكلا الشعبين ، وإلى أن يرجع الى الأمم المتحدة توصي اللجنة أن تتولى الدولة المنتدبة ادارة فلسطين وفق صك الانتداب الذي يضمن تسهيل الهجرة اليهودية » .

ويصف مؤلف عربي توصيات تلك اللجنة فيقول :

« أن توصي هذه اللجنة ترديد لما أبداه مستر ترومان من رغبات ، وأن الرقم الذي اقترحه وهو مائة ألف بالذات دل على أنها جاءت لاقرار سياسة مرسومة معلومة ، وهي تحقق للصهيونية من الالاماني ، ما لم يكن الصهيونيون يحلمون بتحقيقه في مثل هذه السرعة . وهذه التوصي لا ارتباط بينها مطلقا وبين ما ذكرته اللجنة من حقائق وما وقفت عليه من معلومات ، وهي تنم عن تجاهل تام لقوة القومية العربية وحققها في الحياة ، وتنكسر لمصلحة دولة عربية ، وتوصي اللجنة ألا تكون فلسطين عربية ، ولا دولة يهودية ، والا يقوم أي نظام دستوري يعطي الأغلبية سلطة الحكم ، ومعنى هذا أنها تساوي ظلما في الحق والمركز بين أصحاب البلاد وأكثرية سكانها ، وبين أقلية طارئة ، وهي في سبيل الأقلية اليهودية الدخيلة تنسف كل ما تعارف عليه البشر ، وقامت عليه حقوق الدول ودساتيرها . على أن أفكار لجنة التحقيق لحق عرب فلسطين في الاستقلال من أجل خاطر الأقلية اليهودية يناقض نص الفقرة الرابعة من المادة ٢١ من ميثاق عصبة الأمم ، التي تعترف برشد البلاد العربية وجدارتها بالاستقلال ، كما أنه يناقض ميثاق الأمم باعتبارها وثيقة دولية واجبة الرعاية (١٢) » .

(١٢) القضية الفلسطينية ، ص ٢٢٢ .

#### ٤ - تجميع قضية فلسطين في اجتماعات الجامعة العربية ومؤتمر لندن :

كان العالم العربي يفور غضبا كصدي طبيعي لتوصيات لجنة التحقيق الأمريكية البريطانية ، وكان الوطنيون يطلبون أن تكون مواقف الدول العربية من الحزم والشدة ، بدرجة توقف الانجليز والأمريكان عند حدهم ، وتنادى ملوك العرب ورؤساءهم الى اجتماع شهدته بلدة « أنشاص » في مصر (١٣) وضم ملك مصر وأمير شرق الأردن ورئيسي جمهوريتي سوريا ولبنان وأميرين من السعودية واليمن والوصي على عرش العراق (١٤) .

وقرر المجتمعون التمسك بالاستقلال لفلسطين وعروبته ، وتأليف هيئة تمثل الفلسطينيين وترفع صوتهم عاليا ، ولحق بمؤتمر الملوك والرؤساء مؤتمر الجامعة العربية الذي انعقد استثنائيا في بلودان بسوريا خلال يونيو ( حزيران ) ١٩٤٦ ، وبدأ المظهر وطنيا ، وكون المجلس لجنة خارجية ولجنة داخلية ، وأنيط باللجنة الخارجية وضع رد باسم الجامعة العربية على مقترحات لجنة التحقيق المشتركة ، أما الداخلية فقد قررت تأليف هيئة فلسطينية عربية عليا ، تخصص لها الجامعة العربية مليون جنيه سنويا ، وتواصل أعمالها لصالح القضية ، وقررت تلك اللجنة انشاء لجنة مركزية داخلية تكون تابعة للهيئة العليا ، وتمدها الجامعة بمليون جنيه أخرى سنويا للعمل على انقاذ الأراضي .

ولكن هذه القرارات على ما فيها من مظهر الجدية ، لم تكن عملية بالنسبة لفلسطين ، ذلك أن المبلغ المحدد لا يعني شيئا بالنسبة لأهمية القضية وخطورتها ، وماذا عساه أن يكون مبلغ المليون جنيه الموعد للهيئة العربية ، والقضية تحتاج لجهد عالمي يستطيع أن ينافس ملايين اليهود في المجتمعات العالمية وفي دور الصحف وأجهزة الاعلام في العالم . وماذا يستطيع أن يفعل المليون الآخر لانقاذ أراضي فلسطين ، وأمام هذا المليون من الجنيهات العربية اعداد هائلة من ملايين جمعية الأراضي اليهودية .

ولكن على الرغم من ضالة هذا الجهد الذي قرره سيع دول عربية تزيد مجموعات ميزانيتها عن ألفي مليون جنيه سنويا في ذلك الوقت ، فإن هذين القرارين لم ينفذا بل لم يقرأ .

(١٣) كان ذلك في ٢٨ من مايو ١٩٤٦ .

KIMCHE JON; SEVEN FALLEN PILLARS, THE MIDDLE EAST, (١٤)  
1915-1950. LONDON 1950 P.P. 54-60.



## الاجتماع العربي في بلودان :

ان فكرة عقد اجتماع استثنائي للجامعة العربية في بلودان ، وعلى بعد ستين ميلا من دمشق ، لا يمكن أن يكون المقصود بها الا اختيار مكان بعيد عن الرقباء ولاقطي الأخبار ، وأجهزة المخابرات الأجنبية ، حتى يستطيع العرب أن يبحثوا ويحصوا دراسة أخطر قضية تواجههم وتهددهم ، ولكن أولئك العرب الذين اجتمعوا في بلودان عام ١٩٤٦ لم يكن أغلبهم يملك نفسه ، ولا يعترف لها باستقلاله ، فقد لحق بالمجتمعين الجنرال كلايتون رئيس مخابرات الجيش البريطاني في الشرق الأوسط ، ورافقه المستر برايانس المدير المساعد للمخابرات البريطانية في فلسطين وهو المختص بالشئون العربية فيها ، ولم يجرؤ عربي واحد أن يستغرب وجود هذين الانجليزين الخطرين ، بل ولم يستطع العديد من أولئك المجتمعين أن يبعد من لقاؤهما والتحدث اليهما .



البريجادير كلايتون ممسكا بمظفه بمطار بيروت  
في طريقه الى بلودان حيث يجتمع العرب

وسرعان ما أصبح الفندق الصغير الذي يسكنه كلايتون في بلودان مقصدا للمؤتمرين من رجالات العرب ، ثم سرعان ما تفتحت أبواب فندق بلودان الكبير أمام كلايتون نفسه ، وأصبح وسط قاعاته محط الأنظار . . والأسرار (١٥) . ومنذ أن دخل كلايتون بهو فندق بلودان الكبير ، جاءت قرارات الجامعة على وفاق لا خلاف فيه مع ما قرره بريطانيا قبلا ، وأعلنه بيغن وزير خارجيتها .

وبهذه الروح الكليتونية قرر مجلس الجامعة العربية مفاوضة الحكومة البريطانية ( وزارة العمال التي قرر مؤتمرهم قبل شهر وجوب اخراج العرب من فلسطين بينما اليهود يدخلون ) لحل قضية فلسطين ، فاذا فشلت المفاوضات تعرض القضية على الأمم المتحدة ، وليس من شك في أن هذا القرار يكاد يكون من صياغة كلايتون .

ومنذ قريب أعلن بيغن عزمه على نقل القضية للأمم المتحدة ، بعد أن أشرك فيها أمريكا ، وما كان قرار الجامعة العربية الا موافقة في نقلها لتلك الهيئة التي تسيطر عليها بريطانيا وأمريكا ، وما كانت بريطانيا بذات أمل للنجاح العربي ، ولم تكن الأولى ولا التجربة العشرين .

ان القرار الذي اتخذته الجامعة في بلودان ، والذي كاد أن يكون عمليا وهو تخصيص جانب مالي من خزينة الجامعة العربية لصالح شعب فلسطين ، هذا القرار أهمل وترك جانبا ولم يحظ بالتنفيذ ، ولكن القرار الذي يدعو الى مفاوضة بريطانيا سرعان ما اخذ طريقه الى الوجود ، وخلال نوفمبر ( تشرين الثاني ) من عام ١٩٤٦ انعقد مؤتمر لندن الذي اقترحتة دول الجامعة العربية ونال موافقة بريطانيا ، فدعت اليه .

وحاولت بريطانيا أن تخلق تصدعا في صفوف الفلسطينيين (١٦) ، والقضية تجتاز مرحلة خطيرة ، فطلبت الى السيد جمال الحسيني باعتباره نائبا لرئيس الهيئة العربية العليا التي ألفها مجلس الجامعة العربية في بلودان بتاريخ ١٢ يوليو ( تموز ) ١٩٤٦ أن يؤلف وفدا يشارك العرب بحث القضية في لندن ، وفي نفس الوقت أبلغ المندوب السامي السيد جمال الحسيني ان بريطانيا قد وجهت الدعوة الى أربعة فلسطينيين ليكونوا أعضاء في الوفد (١٧) ، ولم يكن هذان الاجراءان البريطانيان الا فتنة مقصودة ، فهي توجه دعوة الى الهيئة العربية عام ١٩٤٦ ، باعتبارها ممثلة عرب فلسطين ، وهي نفسها توجه دعوة أخرى الى أربعة أشخاص فارضة

(١٥) المؤامرة الكبرى واغتيال فلسطين ، ص ١٨٠ .

(١٦) المصدر السابق ، ص ١٨٢ .

(١٧) هم : سليمان طوقان ، انطون عطا الله ، موسى العلمي ، يوسف هيكل .



لهم في الوفد ، وكان طبيعيا أن ترفض الهيئة ، وكان وطنيا أن الأعضاء الأربعة أنفسهم الذين اختارهم بريطانيا رفضوا ذلك الترشيح ، وأعلنوا عن تأييدهم للهيئة ، وأنه لا وفد إلا من تختاره وسافرت الوفود العربية الى لندن ، ورفضت بريطانيا حضور الوفد الفلسطيني دون أربعة معينين .

وحاول الفلسطينيون أن يحملوا أعضاء الجامعة العربية على الإصرار بوجود اشتراك عرب فلسطينيين في المؤتمر ، فهم أصحاب الحق ، وهم الذين اصطلوا بنار الانتداب ، وهم الذين غزت جموع المهاجرين اليهود بلادهم ، وهم أحق الناس أن يرتفع لسانهم معلنا رأيهم في جنات كل مؤتمر .

ولكن الدول العربية عام ١٩٤٦ وهي ذاتها التي كان أغلب أعضائها يقضون الجلسات الطويلة مع كلايتون في بلودان ، لم تأبه لطلب فلسطين ولم تشغل به .

ولكن الفلسطينيين لم يأسوا من اخوانهم العرب ، فقد طالب مندوبهم اللجنة السياسية العربية المجتمعة في الاسكندرية سبتمبر (أيلول) ١٩٤٦ أن تتمسك الوفود بالمطالب العربية والتي تلخص في وقف الهجرة اليهودية ، واقامة حكومة فلسطينية ، واعلان استقلال فلسطين .

لقد تقدم العرب في المؤتمر الى مستر بيغن وزير الخارجية البريطانية بمشروعهم الذي أطلق عليه يومذاك اسم « المشروع العربي » :

« اعترف العرب بما لليهود من كيان ومكان في فلسطين ، على الا يزيدوا في أي يوم من الأيام عن ثلث السكان ، وهم مستعدون للسماح بهجرة جديدة عند اللزوم للمحافظة على النسبة المذكورة وانشاء مجلس تمثيل لا يتجاوز أعضاء اليهود نسبة الثلث ، على الا يتخذ في ذلك المجلس أي قرار بشأن هجرة اليهود ومصالح اليهود الا اذا وافقت على ذلك القرار اكثرية الأعضاء اليهود ، على أن يتمتع اليهود في مناطقهم بحقوق دستورية وبلغتهم العبرية وبالإشراف على التعليم وبقسط وافر من الحكم الذاتي ، وأن يكون كل ذلك وسط دولة فلسطينية مستقلة مرتبطة مع بريطانيا بمعاهدة تحالف » .

ان هذا العرض العربي لا يمكن أن يكون صادرا عن جماعة مؤمنة باستطاعتها استرداد حقها المنهوب ، ولكنه مظهر من مظاهر الهوان العربي الذي أدركته بريطانيا وأحاطت به أمريكا ، فالدول العربية عام ١٩٤٦ لا تتمسك بحضور شعب فلسطين للمؤتمر ، وتتولى وحدها حضوره والمناقشة فيه ، والدول العربية تقدم مشروعا يعترف باليهود أصحاب حق مكتسب ، وتعطيهم الوعود بأن الهجرة لا تتوقف الا بقرار من المجلس المشترك ، على شرط أن يوافق عليه أغلب الأعضاء اليهود وهو ما لا يمكن

أن يحدث أبدا ، وتعترف لليهود بالحكم الذاتي وباستقلال تعليمهم ورسمية لغتهم .

ان هذا الضعف العربي الذي برز للعيان في المؤتمر ، يحاول به أصحابه تأجيل نكبة هم مدركوها ، وهم لا يزنونها وزنها الحق ، بل هم أضعف من أن يقرروا أخطارها ويسبروا أغوارها .

ومع هذا لم ترحب بريطانيا بالمشروع العربي على ضعفه وهوانه ، فهي تطلب لليهود أكثر من هذا ، واقترحت تأجيل المؤتمر لينعقد من جديد في فبراير ( شباط ) ١٩٤٧ ، وعلم الفلسطينيون بالمشروع العربي ، فاستنكروه ، وطلبت الهيئة العربية الى دول الجامعة أن يستشار عرب فلسطين فيما يخصهم ، ولكن بريطانيا التي تسلمت المشروع العربي واعتبرته مستندا بيدها ، لم يعد يرهبا حضور الفلسطينيين ، فحين انعقد المؤتمر لثاني مرة ، وجه المندوب السامي دعوة رسمية الى الهيئة العربية لايفاد وفد الى لندن ، وهكذا أعلن بيغن وزير الخارجية البريطانية في ٤ من فبراير ( شباط ) ١٩٤٧ أن بريطانيا لا يسعها الا رفض المشروع العربي « لان اليهود لا يوافقون عليه ، ولأنه يخشى أن يقوموا بحركة عنف ضد الحكومة اذا هي قبلته .. »

ثم قدم بيغن مشروعا جديدا يتلخص في « وضع البلاد تحت حماية دولية لمدة خمسة أعوام ، وتقسيمها الى وحدات ادارية ، وبعد أربعة أعوام تحاول جمعية عربية يهودية سن دستور فلسطين المستقلة ، فاذا اتفقت اكثرية أعضائها اليهود وأعضائها العرب أعلن الاستقلال ، والا رفعت القضية الى الأمم المتحدة » .

ويحدثنا أحد مندوبي الشعب الفلسطيني في مؤتمر لندن فيقول : « لقد انتهى مؤتمر لندن بفشل ذريع للعرب ، وريح البريطانيون واليهود هذه الجولة ، اذ حصلوا من الدول العربية بطريق رسمي بفضل المشروع العربي على تنازل عن بعض المبادئ والحقوق التي ما برح الفلسطينيون وأبناء الشعوب العربية يسفكون دماءهم في سبيل الدفاع عنها والعمل على تحقيقها (١٨) » .

#### ٥ - القضية أمام الأمم المتحدة :

لقد قررت بريطانيا منذ أمد بعيد أنها سوف تحيل القضية الى الأمم المتحدة ، وجاء بعدها مجلس الجامعة العربية المنعقد في بلودان ، فقرر أيضا أنه اذا لم يتفق مع بريطانيا فسوف يرفعها الى الأمم المتحدة ، والأمم

(١٨) المؤامرة الكبرى واغتيال فلسطين ، ص ١٨٦ .



المتحدة هي من عرفنا جميعا عام ١٩٤٦/١٩٤٧ أكثرية من الدول الصغرى تخضع لنفوذ طاغ محطم تفرضه السياسة الأمريكية ، وفي ٢٨ أبريل ( نيسان ) ١٩٤٧ عقدت الجلسة بناء على طلب بريطانيا في مقر الأمم المتحدة « ليك ساكسيس » ، ومنذ الجلسة الاولى ظهر جليا ان الصحافة الامريكية تتبنى مطالب اليهود ، وتؤيد آمالهم وان بريطانيا وأمريكا والدول التي تدور في أفلاكهما يتفقون مع اليهود كامل الاتفاق ، وحين وصل وفد عرب فلسطين قابلته الصحف بمظاهر الاستهجان والسباب ناعته أفراد الوفد بكل ما في قاموس الصهيونية من عبارات نابية وتعابير وضيعة (١٩) . واستمعت الهيئة الى بن غوريون رئيس الوكالة اليهودية ، والى المستر « وايز » باعتباره ممثلا لليهود امريكا ، فطالب الاثنان باعلان دولة يهودية في فلسطين ، ولاقى هذا الطلب تأييد الصحافة الامريكية ومحطات اذاعتها وبرامج التليفزيون فيها ، على حين لم يجد الرأي العربي الذي يفند طلب اليهود ، وقيم الدليل على أن فلسطين بلد عربي ، الا جزءا صغيرا من عناية الصحافة الامريكية ، بل كان أغلبها يتولى الرد عليه ومحاربته .

وانتهت مناقشات اللجنة السياسية الى قرار بتأليف لجنة للتحقيق في قضية فلسطين تشترك فيها احدى عشرة دولة (٢٠) . وأنيط بتلك اللجنة بحث المشكلة الفلسطينية من جميع جوانبها ، والتعرف على أحوال اليهود في أوروبا ومخيمات اللاجئين ، وأن ترفع هذه اللجنة توصيها الى الأمم المتحدة .

لم تكن نتائج هذه اللجنة خافية على أحد ، فقد اصرت السياسة الانجلو امريكية أن تكون أغلبيتها ممن يسيرون في ركاب هذه السياسة ، بل ان بعض أعضائها كان صاحب رأي معروف لصالح اليهود حينما مثل بلاده في الأمم المتحدة من أمثال مندوبي جواتيمالا ، هولندا ، أرغواي (٢١) ، ثم انها لم تكن لجنة محددة العمل بالبحث في خير حل لقضية فلسطين ، بل طلب اليها أيضا أن تبحث وضع اليهود المشردين بأوروبا في أعقاب الحرب العامة الثانية ، وبذلك ربط ذهنها بين مشكلة فلسطين وبين أولئك اليهود الذين هبأتهم الوكالة اليهودية للهجرة الى فلسطين ، وجاءت اللجنة بتكوينها العجيب المتحيز ، وجابت أجزاء كثيرة في أوروبا والشرق ، ووصلت فلسطين .

(١٩) المصدر السابق ، ص ١٨٧ .

(٢٠) كانت هذه الدول هي : الهند - إيران - يوغوسلافيا - كندا ، اورغواي - استراليا - هولندا - جواتيمالا - لوكسمبورج - السويد .

(٢١) المصدر السابق ، ص ١٩٢ .

ولنعرف ماذا يمكن أن تكون آراء تلك اللجنة لو كان هناك شك في تحيزها ، علينا أن نعرف شيئا مما فعلته بعد وصولها : كان من بين أولئك الأعضاء دكتور رالف بانس الذي تولى بعد ذلك منصب الوسيط الدولي في فلسطين ، وكان قبلها مرافقا لتلك اللجنة عام ١٩٤٧ تم له اجتماع سري مع عصابة الأرجون زفاي ليومي الارهابية ، فلا يقول لها أنكم تشورون لاغتصاب بلد غيركم ، وانكم تخلقون القلاقل لهدم البيوت على الآمنين وتشريد السكان وقتل الأبرياء ، انه لا يقول لهم ذلك ، بل يشاركهم فهمهم . يقول منحام بيغن زعيم عصابة الأرجون زفاي ليومي الارهابية : « لقد حرص أعضاء هذه اللجنة على مقابلي ومقابلة زملائي » ، وقال دكتور بانس « انني أستطيع أن أفهمكم تماما . . انني مثلكم أتمني الى أقلية مضطهدة » ، أما الدكتور « هو » مساعد الأمين العام للأمم المتحدة وسكرتير اللجنة الدولية لفلسطين فقد وجه كلامه الى زعيم العصابة ولمعاونيه يعقوب كوهين وافرهم شمويل قائلا : « الى اللقاء في اسرائيل المستقلة » .

أما مندوب جواتيمالا دكتور جراندوس ومندوب الأرجواي بروفوسور فايريجات فقد أبديا الأسف المرير أن ظروفنا تحول دون اكرام أكثر لأبناء اسرائيل قائلا : « كان بودنا لو قررنا أن تصبح فلسطين كلها لكم ، لولا أننا لا نستطيع أن نطلب لكم أكثر من الحدود التي رسمتها الوكالة اليهودية في مطالبتها بتقسيم فلسطين بينكم وبين العرب (٢٢) » .

ان لجنة هؤلاء أعضاؤها لهي لجنة موظفين خط لهم طريق يسيرون فيه ، وما هي بلجنة تحقيق تشغلها كلمة الحق أو تناديها عوامل الانصاف . ولهذا عادت تلك اللجنة لم يشذ عن باطلها الا مندوب الهند ويوغوسلافيا وإيران ، أما الثمانية الباقون فقد جاءوا الى الهيئة يطلبون تقسيم فلسطين الى دولة يهودية لها الشواطئ الطويلة والمساحات الشاسعة الهامة ودويلة عربية صغيرة لا تقوى على البقاء الطويل .

لقد اقترحت أكثرية اللجنة أن تؤسس الدولة اليهودية على مساحة ١٤٦٢٠٠٠٠٠٠٠ دونم وبتحديد تلك الدونمات تبين أنه كان يقيم فيها ٤٦٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ عربي ، ولا يزيد اليهود فيها آنذاك على ٥٣٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ يهودي ، وكان العرب يملكون فيها ثلثي الأراضي المسجلة والعقارات المملوكة .

وكانت المناطق المقترحة لهذه الدولة تتألف من الجليل الشرقي ومرج ابن عامر والسهل الساحلي من أسدود ويشمل تل أبيب ويافا وحيفا الى قرب عكا مضافا اليها بشر السبع ومنطقة النقب .

(٢٢) ناصر النشاشيبي ، تذكرة عودة ، بيروت ١٩٦٢ ، ص ١٤٩ .



أما الدولة العربية والتي كان المفروض أن تعطى لأهل البلاد الأصليين، فكانت تحتوي ١١٥٨٩٠٨٧٠ دونم يقيم فيها ٦٥٠ ألف عربي، وأحد عشر ألف يهودي، ولا يملك اليهود فيها إلا نحو ١٠٠٠٠٠ دونم وكانت الدولة اليهودية المقترحة حسب قرار التقسيم تشمل ٥٦٠٤٧٪ من مجموع أراضي فلسطين على حين تشمل الدولة العربية ٤٢٠٨٨٪ من تلك الأراضي، أما منطقة القدس الدولية فكانت تشمل ما يساوي ٠٠٦٥٪ منها.

ولم تراعى تلك اللجنة حقوق الملكية الفردية، ولا أي الجانبين أكثر أملاكا، فقد كان التقسيم يعطي لليهود دولة يملك العرب في أراضيها المسجلة رسميا ٣٠٥٧٧٠٨٢٥ دونم على حين لا يملك اليهود فيها إلا ١٠٣٨٣٠٨٥٨ دونم، وتملك طوائف أخرى ٥٠٠٩٠ دونم والباقي أراض أميرية عربية كان يستغلها العرب ويتملكونها دون تسجيل، وهي ملك لهم بالتقادم والاستعمال وباعتبار أن الوطن وطنهم.

أما الدولة العربية فكان العرب يملكون فيها ٨٠٨٤٨٠٢٩٠ دونم، ويملكون أيضا باقي أراضيها المشاعة بين الأسر والقبائل ملكا تاريخيا بالاستعمال منذ ألف عام، ولا يملك فيها اليهود إلا ٩٥٠٥٤٣ دونم، وبينما تشمل الدولة العربية المقترحة ٥٦٨ مدينة وقرية كلها عربية و ٢٣ مدينة وقرية يهودية، تشمل الدولة اليهودية المقترحة ٢٧٣ مدينة وقرية عربية و ١٩٧ مدينة وقرية يهودية وثلاث قرى مختلطة، وكان ذلك التقسيم الذي اقترحه اللجنة تقسيما موغلا في الظلم لا يطبق عدلا ولا يساير منطقا.

واقترحت تلك اللجنة اقامة اتحاد اقتصادي للمرافق العامة، كالطرق ووسائل المواصلات الحديدية ودعت الى وحدة الرسوم الجمركية، وأن يكون لكل دولة دستور توافق كل دولة منهما على دستور الأخرى، وتستقل الدولتان بعد مرحلة انتقال قدرها سنتان، ويلاحظ أن مشروع التقسيم الجديد الذي أوضحناه آنفا هو صورة أخرى من مشروع التقسيم الذي اقترحه اللجنة الملكية البريطانية في سنة ١٩٣٧، واقترحت اللجنة اعطاء منطقة القدس صفة دولية، ويعين لها حاكم عام لا يكون يهوديا ولا عربيا.

أما اقلية اللجنة المكونة من الهند ويوغوسلافيا وإيران، فقد اقترحت أن تنشأ في فلسطين حكومتان مستقلتان ذاتيا، تؤلفان دولة اتحادية عاصمتها القدس، على أن تختص الحكومة الاتحادية بشئون الدفاع الوطني والمصالح الخارجية والاقتصادية التي تهم الحكومتين، ويرأسها رئيس منتخب من مجلس الاتحاد، ولا يسمح بالهجرة إلا في المنطقة اليهودية، على أن تكون في نطاق الامكان الذي تقرره لجنة تشمل تسعة أعضاء، ثلاثة من العرب، وثلاثة يهود، وثلاثة مندوبين من الأمم المتحدة.

## ٦ - الضغط الأمريكي وصنود قرار التقسيم :

وفي ٢٩ نوفمبر ( تشرين الثاني ) ١٩٤٧ فاز اقتراح الاكثرية بأغلبية ٣٣ صوتا ضد ١٣ صوتا، وبالعودة الى احصائية ذلك اليوم الكريه نجد أن الدول التي صمدت ضد التقسيم هي : « مصر - المملكة العربية السعودية - اليمن - سوريا - لبنان - إيران - أفغانستان - باكستان - العراق - تركيا » وهذه كلها دول عربية اسلامية، ورافقها من الدول الصديقة الهند واليونان وكوبا. أما الدول التي امتنعت عن تأييد الحق وأيضا عن مباركة الجريمة فهي كل من : « الأرجنتين - شيلي - الصين - كولومبيا - سلفادور اثيوبيا - هندوراس - مكسيك - يوغوسلافيا - بريطانيا ».

أما الدول التي نادت بالتقسيم وصوتت له فقد كانت الدول الصليبية الاستعمارية أو من يلوذ في فلكها.

ومن الملاحظات التي نسجلها في هذا الصدد أن يوغوسلافيا غيرت موقفها من أقصى اليمين الى أقصى اليسار، فبعد أن رفضت التقسيم في لجنة التحقيق عادت فأيدته عند التصويت عليه في هيئة الأمم، ويلاحظ أيضا أن بريطانيا التي طبخت هذه المأساة حتى نهايتها خلال ثلاثين عاما تمتنع هي الأخرى عن التصويت، انها مطمئنة الى أن المقدمات التي وضعتها في تاريخ طويل لا بد أن تنتج ما تريد من خلق جسم غريب وسط الوطن العربي الكبير.

أما الاتحاد السوفييتي الذي صوت مع التقسيم ونادى به، فمن حقه على العرب أن يعذر في ذلك الموقف الأليم، ذلك أن العالم العربي كله كان يقاطعه، ويحاربه في المجتمعات والمؤتمرات، وكان زعماء العرب قبل أن يبدأوا حديثهم عن مظالم بريطانيا يقدمون له بالحملة على الاتحاد السوفييتي باعتباره رائد الشيوعية ومصدرها العالمي، وإذا كنا نؤمن أن الهيئة الأممية لم تكن مكانا للبحث عن العدل، فمن المنطق أن نتوقع موقف الاتحاد السوفييتي ضدنا أيام عزوفنا عن أن نمد له حتى يد التحية. ومنذ ثورة ٢٣ تموز ( يوليو ) العربية في مصر عام ١٩٥٢ تغير موقف الاتحاد السوفييتي وأصبح سندا للقضية العربية في قرارات عديدة وسط الهيئة الدولية، وما موقفه اثناء العدوان الثلاثي عنا ببعيد.

لئن تخاذل الزعماء العرب كثيرا تجاه القضية الفلسطينية، لقد احسوا بنارها حين شاهدوا المؤامرات تحاك لاقرار التقسيم في أروقة الأمم المتحدة، ولقد جاهدوا جهادا صلبا في مسالك تلك الأروقة وفي سبيل وأد قرار التقسيم، ولكن القوى المعادية كانت أقوى منهم وأكثر.



ان أمريكا تتحمل الوزر الأكبر في النهاية الأليمة لقضية فلسطين ، فهي التي أتمت ما بدأته بريطانيا ، وهي التي ساعدت على إقامة إسرائيل وتشريد العرب وهزيمة قضيتهم ، لا يقول ذلك العرب الذين شهدوا تلك الجلسات الأليمة الحزينة فقط ، بل أن الصهيوني الدكتور وايزمان يسجله في مذكراته ويقول :

« عندما حمت المناقشات في الجمعية العمومية للأمم المتحدة ، وظهرت معارضة العرب الشديدة للتقسيم ، أدرك الوفد الأمريكي الذي يرأسه السفير المستر هيرشل جونسون أن من الواجب عمل شيء للتخفيف من حدة مقاومة العرب ولا سيما وأن الوفد الأمريكي غدا يعتقد أن مشروع التقسيم يعطي لليهود مساحات شاسعة من الأراضي الأمر الذي يثير شعور العرب ، فاعتزم التقدم بتسوية تبنى على اقتطاع قسم من أراضي النقب بما فيه العقبة ، وضمه الى أراضي الدولة العربية المقترحة ، ولقد أصبت بفزع شديد عندما علمت بهذا الاقتراح ، وسافرت الى واشنطن حيث استقبلني مستر ترومان في يوم الاربعاء ١٩ نوفمبر ١٩٤٧ وشعرت في لقائه بلطف وعطف شديدين ، وقلت للرئيس بعد حديث اجمالي عن النقب انه اذا كان لا مندوحة من تقسيم النقب فيجب أن يقسم على أساس خط عمودي لا على أساس أفقي ، وبذلك ينال كل من العرب واليهود جزءا من الأراضي الخصبة وجزءا من الصحراء ، ولكن العقبة يجب أن تكون يهودية (٢٣) » .

وحين جاء رئيس الوفد الأمريكي ليلبلغ شرتوك وجهة النظر الأمريكية بشأن التقسيم في النقب ، وبينما كان يهم ببدء الحديث دق جرس التليفون ، وكان المتحدث مستر ترومان شخصيا الى مندوبه مستر جونسون ، وانتظر شرتوك انتهاء المحادثة بقلق وألم شديد ، وقد استمرت المكالمات نصف ساعة قضاها في كآبة وألم ، وعندما انتهى الحديث التليفوني انصرف المندوب الأمريكي ، دون أن يبلغ كلمة مما كان يريد ابلاغه لشرتوك ، ان الذي حصل هو أن المستر ترومان كان صادقا في قوله ، وانه بعد ساعات قليلة من اجتماعي به أصدر التعليمات اللازمة للوفد الأمريكي لابقاء النقب والعقبة من نصيب اليهود ، وفتح هذا القرار الأمريكي السبيل للتصويت في الجمعية العمومية في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ على مشروع التقسيم ، فنال اكثرية ٣٣ صوتا مقابل ١٣ صوتا (٢٤) » .

(٢٣) مذكرات وايزمان باللغة الانجليزية ، ص ٥٦١ و ٥٦٢  
(٢٤) المصدر السابق .



اعترف ترومان بإسرائيل بعد لحظات من اعلانها . واسرع وايزمان لرئيس امريكا ليقيم له بعد لحظات من اعترافه بعدالة الفصب تورااة اليهود ونجمة داوود .

وليس اصرح من حديث وايزمان هذا الذي يعترف أنه كان قادما لاقتناع ترومان بأن يكون التقسيم في النقب على أساس خط عمودي بين العرب واليهود ، فوجد ترومان أكثر منه حرصا على تسليم النقب كله لليهود .

وما دمنا نستشهد بما ذكره وايزمان من حقيقة تكشف تدخل ترومان لصالح اليهود بقوة وتصميم ، فلا بأس من أن نسجل أيضا ما ذكره أحد المندوبين العرب الذين عاصروا عملية التصويت ، وهو يتحدث عن كيفية كسب اليهود للأصوات فيقول :

« كان المفروض أن تبلغ هذه الأصوات ثلثي أعضاء الهيئة ، وكان ممثلو الدول العربية مطمئنين الى تأييد ثماني عشرة دولة من الدول التي تتألف منها الهيئة ، بحيث يستحيل أن ينال مشروع التقسيم أغلبية



الثلثين المطلوبة ، ولكن الصهيونيين ومن ورائهم امريكا التي كانت تناصرهم ، بذلوا قصارى جهدهم وما يملكون من وسائل مغرية لاستمالة بعض المندوبين الذين كانوا قد أبدوا معارضتهم لمشروع التقسيم ، فتمكنوا من استمالة مندوبي هايتي وليبيريا وسيام ، ووقف هؤلاء الى جانب قرار التقسيم .

وفوجيء المندوبون العرب بعد أن وقف مندوب هايتي فقال والدمع يترقق في عينيه : « انه ما يزال عند رايه الشخصي في معارضة التقسيم لكنه بصفته ممثلا لحكومته لا يسهه الا أن ينزل عند ارادتها في الموافقة على المشروع » هذا بعد أن رفض الرشوة التي قدمها اليه موسى شاريت وقدرها أربعون ألف دولار ، أما ليبيريا فقد اضطرت للنزول على مشيئة تجار المطاط ، وفي طبيعتهم شركة فايرستون العالمية ، وكانت هذه تؤيد الصهيونية ، والمطاط هو المورد الرئيسي لخزانة ليبيريا ، وأما سيام فقد استبدلت مندوبا آخر من مؤيديه بمندوبها الذي أبدى معارضته للتقسيم ، وجاء هذا الاستبدال نتيجة وشاية اختلقها اليهود ، إذ اتهموا المندوب الأول بأنه لا يؤيد الحكومة الجديدة التي قامت في سيام أثر انقلاب داخلي ، فاستبدلته حكومته بمندوب آخر أيد التقسيم .

على أن اليوم المحدد للتصويت على قرار التقسيم وهو ٢٦ من نوفمبر ( تشرين الثاني ) ١٩٤٧ كان يوما خطيرا في تاريخ الأمة العربية ، وتكتلت في ذلك اليوم الوفود العربية تؤيدها باكستان بمندوبها ظفر الله خان الذي أخلص الوقوف ضد مشروع التقسيم وناضل بصدق وعزم قويين ، أصبح ذلك اليوم والجميع يحذوهم أمل قوي في أن مشروع التقسيم لن ينال أغلبية الثلثين وهي الأغلبية المشروطة لأقراره .

وما كاد الاجتماع ينعقد حتى وقف المندوب الأمريكي يطلب التأجيل الى ما بعد عيد الشكر الذي سيكون في اليوم التالي ، مدعيا أن عددا كبيرا من الأعضاء يطلب الكلام ، وأن الوقت لا يتسع لذلك ، وتنازل مندوبو الدول العربية عن حقهم في القاء كلماتهم توفيرا للوقت ، واصرارا على اجراء التصويت في تلك الجلسة ، ولكن الرئيس البرازيلي « أزوالدو أرانيا » أبى الا التأجيل (٢٥) ، ومضت أيام ٢٧ ، ٢٨ تحت تصرف الرئيس الأمريكي ترومان ووفوده ونفوذه ، فأثرت امريكا على المندوبين واكتسبت من الاصوات قلة افادتها .

على أن المؤامرة الجديدة التي أجلت موعد التصويت بغية كسب أصوات للصهيونيين ، لم تعد سرا أو قولا يردده العرب وحدهم ، فقد

اثبت أحد الكتاب اليهود ما يفضح سر ذلك اليوم الخطير وقال : تمكن الصهيونيون من اقناع بعض مندوبي الدول كي يطلبوا تأجيل الاجتماع ، فتأجل ، ولا يعلم أحد الى الان كيف تأجل ، والذي أجله هو مندوب البرازيل الذي كان رئيسا للهيئة ، وعندما اجتمعت الهيئة يوم الجمعة ٢٨ نوفمبر ( تشرين الثاني ) وقف مسيو بارودي مندوب فرنسا يطلب التأجيل لمدة ٢٤ ساعة ( فتم تأجيل جديد ) وعندما حل يوم التصويت ، كان اليهود قد تمكنوا من استمالة بعض الاعضاء بحيث نال المشروع أغلبية الثلثين (٢٦) .

ويقول الزعيم السوري المرحوم فارس الخوري وكان يومئذ ممثلا لسوريا في مجلس الامن :

« ان هيئة الامم اقرت مشروع التقسيم بأغلبية صوتين اثنين وان المعركة بلغت أشدها في اليوم الذي سبق قرار التقسيم ، وان معظم الدول كانت تؤيد العرب في وجهة نظرهم ، لولا تدخل الولايات المتحدة التي راحت تؤثر على مندوبي الدول واحدا واحدا ، وتضغط عليهم ضغطا متواصلا وانني لاذكر أن مندوب الفلبين بعد أن وعد بتأييدنا اضطر الى الهرب حتى لا ينقض وعده ، استجابة للضغط الأمريكي ، وان مندوب هايتي بكى أمامي لأن مصالح بلاده مع امريكا أقدس من مصالح العرب ، ولهذا اضطر أن ينقض وعده (٢٧) » .

واستطاعت الصهيونية أن تسخر سكرتير عام الامم المتحدة لصالحها حيث وقف بكامل امكانياته مع الصهيونية ، ويقول السيد فارس الخوري : « ان المستر تريجفي لي السكرتير العام للامم المتحدة مسؤول الى حد كبير عن النكبة التي حلت بالشعب الفلسطيني ، إذ أنه جنّد الموظفين الذين يعملون تحت رياسته في الامم المتحدة ، وعددهم ثلاثة الاف ليندسوا بين الاعضاء للتأثير عليهم . ولقد وصف أحد أعضاء الوفد الفلسطيني في هيئة الامم ما اتخذته تريجفي لي وصفا مفصلا دقيقا فقال : « أن تريجفي لي بحكم منصبه يسيطر على الشيء الكثير من أعمال الامم المتحدة ويعتبر الموجه الاول لاعضائها في عدد من الامور والشئون ، وكان سلوكه الحقيقي سلوك التأييد للاستعمار واليهود والعطف عليهم ، ومن أعماله البارزة في هذا الشأن أنه وضع مجلدين ضخمين عن القضية الفلسطينية أشتتلا على وثائق وبيانات وغيرها جعلهما تحت تصرف الاعضاء ، وكذلك جمع في مكتبة الامم المتحدة كتباً ومذكرات ومقالات عن القضية الفلسطينية

(٢٦) الفرد لينتال ، ثمن اسرائيل ، شيكاغو ١٩٥٣ ، ص ٥٩ - ٦٠ .

(٢٧) مجلة الصور العدد ١٤٧٠ في ١٢ ديسمبر ( كانون الاول ) ١٩٥٢ .



لتكون مرجعا للاعضاء ، ولكنه حرص على جمع الوثائق والمستندات التي تدعم المطالب ووجهة النظر اليهودية ، وأهمل أهملًا فاضحا جميع المستندات والوثائق التي تؤيد حقوق العرب وتدعم مطالبهم ووضعها في المكتبة .

وكان تريجفي لي ومساعدوه يقومون بتوزيع النشرات اليهودية ضد الفلسطينيين ، وقابل الوفد الفلسطيني تريجفي لي وأحتج على موقفه ، وكذلك فعلت الوفود العربية وثبت أن تريجفي لي أخفى كل ما سلمه له الوفد الفلسطيني ولم يعرضه على الاعضاء ولا وضعه في المكتبة والدوائر المختلفة (٢٨) .

ولقد اتنى وايزمان في مذكرته على تريجفي لي ثناء عاطرا (٢٩) وإذا كنا قد استشهدنا بكل هذه الاقوال ممن شهدوا المأساة تمثل على مسرح الامم المتحدة ، وإذا كانت كل هذه الاقوال قد وصلتنا بعد المأساة وبعد تكوين اسرائيل ، فمن الاصلح أن نستشهد بقول صحفي صدر في نفس فترة التأجيل وكان صريحا لا خفاء فيه ، صريحا صراحة تدل على أن كسب أمريكا الاصوات لليهود كان أمرا عاديا في أمريكا ، ولم تكن الصحف تجد غضاظة في نشره علانية ، فلقد قالت جريدة نيويورك تايمس في ٢٧ نوفمبر ( تشرين الثاني ) ١٩٤٧ وهو ثاني يوم التأجيل ؟

The United Nations General Assembly Postponed Avote on the Partition of Palestine Yesterday after supporters found that they still lacked an assured two thirds majority.

#### المعنى :

« أجلت الجمعية العامة للامم المتحدة جلستها التي تصوت بها على تقسيم فلسطين أمس بعد أن وجد مؤيدو الصهيونية أنهم لا يضمون ثلثي الاصوات اللازمة لنجاح المشروع » .

وهكذا تمت جريمة تاريخية في القرن العشرين سوف لا يكون وصف من ينسأها او يتناسأها من قومنا الا المروق والبلادة . « وهل يلام العرب بعد هذا - والمسلمون من ورائهم - اذا اعتقدوا انها حرب صليبية بعض اسلحتها اليهود وانها ممالة مكشوفة من الدينين الصالب والمصلوب على الاسلام (٣١) ، نعم وكلمة المارشال للنبي التي قالها يوم انتزع القدس من يد الاتراك لا تزال ماثورة مشهورة ، ولا يزال رنينها مجلجلا في الآذان ،

(٢٨) المؤامرة الكبرى واغتيال فلسطين ، ص ١٩١ - ١٩٢ .

(٢٩) مذكرات وايزمان باللغة الانجليزية ص ٦٨١

(٣٠) جريدة نيويورك تايمز العدد الصادر في ٢٧ من نوفمبر ١٩٤٧

(٣١) البشير الابراهيمي مجلة البصائر الجزائرية العدد ٢٢ سنة ١٩٤٨ .

وصداها متجاوبا في الازهان » (٣٢) .

#### ٧- حالة عرب ويهود فلسطين عام التقسيم ١٩٤٧ :

اعلنت بريطانيا خلال عام ١٩٤٧ أنها عازمة على انتهاء الانتداب وسحب قواتها العسكرية وجهازها الاداري في ١٥ مايو ( ايار ) ١٩٤٨ ، وأنها سوف تترك فلسطين لمن يقيم فيها ، نافضة يدها من مسئولية الانتداب الذي نفذته لصالح الصهيونية على مدى ثلاثين عاما .

وتتداعى الى الذهن عدة نقاط تدور حول حالة عرب فلسطين سنة ١٩٤٧ ، ومدى استعدادهم لخوض معركة فاصلة مع العصابات اليهودية ، وتجر هذه النقاط بدورها الى الجانب المقابل ، وهو حالة اليهود ، ومدى تأهبهم لمواجهة الموقف وقت انسحاب بريطانيا من فلسطين .

فتتصل هذه التساؤلات اوثق اتصال بالمعهد الذي اخذته بريطانيا على عاتقها في صك الانتداب وفي دستور فلسطين ، من أنها سوف تجعل فلسطين في وضع اقتصادي وسياسي واجتماعي يضمن انشاء الوطن القومي اليهودي فيها ، كل هذه التساؤلات يكاد يفيد فيها الاحصاء الدقيق عن حالة البلاد الاجتماعية والاقتصادية في عام ١٩٤٧ ، وهي صورة لحالة العرب في مختلف أنحاء فلسطين ، الأمر الذي يجعلنا نؤمن بأن بريطانيا قد اعلنت عن قرب تخليها ، لأنها دبرت أمرها مع اليهود ووثقت أنهم في وضع يضمن بقاءهم وتفوقهم على العرب اصحاب البلد الأصليين ، ففي ظل الانتداب البريطاني وبقواه استطاع اليهود أن يمتلكوا مساحات كبيرة من الأرض ، وقد تملكوها بقوة مراسيم المندوب السامي ، او بقوة الفقر الذي فرضته سياسة المندوب السامي على العرب ، او بقوة الضرائب والفوائد والرهونات التي ادت الى البحث عن لقمة العيش ، ولو بالتخلي عن الأرض مما ستجده واقيا في فصل قادم .

لقد استطاع اليهود ان يكونوا اقلية كبيرة عام ١٩٤٧ تتكون من ٦٠٠ ألف على حين كان عددهم يوم احتلال القدس ثلاثة وخمسين ألفا ، وقد تجمعت هذه الاقلية الكبيرة بفضل فتح بريطانيا ابواب فلسطين أمام اليهود ، وقفلها أمام العرب حتى الفلسطينيين منهم الذين كانوا يوم صدور قانون الجنسية خارج فلسطين .

(٣٢) قال النبي يوم احتلاله القدس « اليوم انتهت الحروب الصليبية » ، راجع ص ٦٥ من هذا الكتاب .



واستطاع اليهود تحت حماية بريطانيا وعونها ان يكوّنوا قوة عسكرية مسلحة من جيش الهاجانا وأزفاي ليومي وعصابة شترن ، وكان هؤلاء جميعا مدربين ومسلحين ، بينما كان العرب محرومين من السلاح ، تنزل بهم العقوبات من السجن الى الاعدام لمجرد حيازة السلاح أو الذخيرة .

على أن تلك المساحات التي تملكوها من الأراضي ، وأولئك المسلحين الذين أعدوهم لمحاربة العرب ، وهذه الأقلية الكبيرة التي تجمعت في الأرض المقدسة ، كانت كلها تركز على قوة اقتصادية كبيرة ، سهرت بريطانيا على تقويتها بمراسيمها وقوانينها ولوائح جماركها وأساليب الضرائب لديها ، لقد استطاع اليهود أن يكونوا سادة الاقتصاد في فلسطين ، فهم أصحاب المصانع التي سنت القوانين لحمايتها ، وهم أصحاب مشروع الكهرباء الذي يضيء فلسطين ، وهم أصحاب البيوت المالية والتجارية والمحلات العامة .

وإذا ألقينا نظرة على احصائية لمدينة القدس مثلا باعتبارها كبرى مدن فلسطين وعاصمتها عام ١٩٤٧ يتضح لنا أن بريطانيا حين حددت يوم ١٥ مايو ( أيار ) لانتهاء انتدابها ، كانت على يقين من أنها قد نفذت فعلا تصريح بالفور ، فأقامت الوطن القومي اليهودي في فلسطين ، وقد نفذت فعلا تلك المواد الثقيلة التي عملت على تضمينها صك الانتداب من أنها سوف تجعل فلسطين في وضع يضمن انشاء وطن قومي لليهود ، ولنلق نظرة سريعة على جزء من احصائية التجارة في القدس التي كانت تضم خمسة آلاف ومائة وعشرة دكاكين ، منها الفان وثلاثمائة وأثنا عشر دكانا للعرب المسلمين والمسيحيين على حين يملك اليهود في القدس الفين وسبعمئة وثمانية وتسعين دكانا .

وبينما تضم القدس أربعة وأربعين مخبزا وفرنا ، كان اليهود يملكون واحدا وثلاثين منها ، وهي تضم أيضا أربعة وعشرين دكانا لبيع الدخان والتبناك ، كان اليهود يملكون تسعة عشر دكانا منها ، وبينما تضم تسعة عشر مصرفا ماليا كان اليهود يملكون منها أربعة عشر ، ولا يملك العرب منها الا مصرفين اثنين ، وفي حين تضم القدس تسعة وتسعين محلا لبيع الكتب كان اليهود يملكون منها خمسة وخمسين ، وبينما تضم مائتي خياط كان اليهود بينهم مائة وستة وعشرين ، وحين كان في القدس اثنان وأربعون محلا لبيع مواد البناء كان اليهود يملكون منها ثلاثين محلا .

وإذا اتجهنا الى الشركات العاملة في القدس نجد ان اليهود يكونون فيها الأغلبية دائما ، فبينما تكونت في القدس اثنتان وستون شركة لشراء الأراضي ، لم تتكون الا شركتان عربيتان ، وبينما تكونت أربع وخمسون

شركة يهودية للأشغال العامة والمقاولات الهندسية والبناء ، لم تتكون لهذه الأغراض الا شركة عربية واحدة ، وبينما تكونت خمس شركات للآلات الزراعية والأسمدة وتعمير الأراضي ، لم تتكون الا شركة عربية واحدة ، وبينما يملك اليهود ست عشرة شركة لأعمال البوتاس والأدوية والاملاح والراديوم ، وثلاث شركات للسجائر ، وست شركات لنشر العلم والتدريس ، وخمسا وستين شركة للطباعة وثمانين شركات للأفلام والسينما لا يملك العرب شيئا من هذا . وبينما تدل الاحصائية على أن اليهود كوّنوا في القدس ثلاثمائة وسبعا وسبعين شركة لم تكن الأحوال العامة التي فرضها الانتداب وعمل لها ، قابلة ليتمكن العرب من تكوين أكثر من اثنتين وثلاثين شركة .

ولم نجد للعرب الذين أرهقهم حكم الانتداب وطول الثورة وتضحيات الجهاد ، كفة راحجة ، الا في بعض الأشياء القليلة جدا ، والتي لا تكون الأغلبية فيها مظهرا من مظاهر التقدم الاجتماعي والازدهار الاقتصادي . وما دمنا قد تحدثنا في ثانيا هذا البحث عن الضائقة المالية العربية ، واضطرار العرب الى الاقتراض من البنوك للقيام بمشروعاتهم الزراعية وغير الزراعية ، وجب أن نوضح الصورة البيانية لتلك البنوك التي كانت تسيطر على المال في فلسطين ، وتمتص مال العرب الفلسطينيين بالفوائد المستمرة ، حتى ترغمهم على التخلي عن أرضهم سدادا لديونها وحجوزاتها ، وما كان ذلك الا وفاقا من بريطانيا لعهدها المعطى لليهود وتوافقا مع صك الانتداب .

كان في فلسطين أربعة عشر مصرفا ماليا كلها يهودية او خاضعة لليهود ، وكان مجموع أموالها المصرح بها اثنين وثلاثين مليونا ومائتين وأربعة وتسعين الفا من الجنيهات ، ومن بين تلك المصارف اليهودية كان مبلغ اثني عشر مليونا ومائتين وأربعة وستين ألفا مقسما بين عدة مصارف مالية يهودية (٣٣) ، أما البنوك اليهودية الأخرى ، وهي البنك المركزي للمؤسسات التعاونية ، والبنك الفلسطيني ، وبنك مزراحي ، وبنك فلسطين التجاري وبنك يعقوب يافث فكانت مراكزها بين القدس وحيفا (٣٤) .

ولعلنا بهذه الاحصائية المهمة نفهم في وضوح الموقف الاقتصادي الخطير

(٣٣) كان من بين هذه المصارف بنك أنجلو فلسطين المتخذ يافا مركزا رئيسيا له ، وبنك كوبات عام وبنك فلسطين للرهن والتسليف ، والبنك البولوني الفلسطيني ، وبنك ايللرن ، وبنك فويخت واغتر التجاري ، وبنك الخصم الفلسطيني ، وكلها متخذة مركزها الرئيسي في المدينة الصهيونية تل ابيب .

(٣٤) الفصل في تاريخ القدس ، ص ٤٧٦ .



الذي وصل اليه عرب فلسطين كنتيجة لسياسة بريطانيا في سبيل اقامة دولة صهيونية ، وزرع سرطان مدمر وسط الوطن العربي بينما لم يكن هناك للعرب الا البنك العربي ، ورأس ماله خمسمائة وخمسون الف جنيه ثم بنك الأمة العربية الذي أسس بأربعين ألف جنيه ثم تطور حتى أصبح رأسماله المصرح به مليوناً من الجنيهات ، على ان هذين البنكين العربيين لم يؤسسا الا مؤخراً ، فحتى منتصف ١٩٣٠ لم يكن في فلسطين أي بنك عربي ، والى أواخر سنة ١٩٣٣ حيث أسس بنك الأمة العربية لم يكن الا البنك العربي الذي تضافرت الصهيونية مع سلطات الانتداب على عرقلة انشائه ، وكان مؤسسه عبد الحميد شومان بين الذين ذاقوا مر السجون والتعذيب في قصص شهيرة .

لم يكن أحد في العالم العربي يشعر بالمرارة القاتلة من قرار التقسيم كما كان يشعر به الشعب العربي في فلسطين ، وهو الشعب المكبل بسلاسل بريطانيا الحديدية ، والمسلطة عليه أثقال الصهيونية وبرامجها .

ولكن السلاح كان مشكلة المشكلات ، وسرعان ما تنادى أبناء فلسطين فأرسلوا الجماعات تبحث عن السلاح في كل مكان ، وكانوا يرضون بأي نوع من انواع الاسلحة حتى بالسلاح القديم ، وما خلفته الحرب العالمية الثانية ، وكان موفدوهم يجوبون الصحراء الغربية بحثاً عن كل قطعة من سلاح ، واجتاز الحدود الى داخل فلسطين عبد القادر الحسيني (٣٥) وجماعة من اخوانه الذين كانوا في مصر ، واجتازها من سوريا حسن سلامة (٣٦) وجماعة من اخوانه الذين كانوا في الشام .

وقسمت فلسطين الى اربع مناطق رئيسية ، منطقة الشمال ومنطقة الجنوب ومنطقة يافا ومنطقة القدس ، وربطوا كل هذه المناطق بالقيادة العامة التي تمركزت في قرية بئر زيت في قضاء رام الله لواء القدس (٣٧) ونظم المجاهدون ، وأسست فرقة الفدائيين وفرقة التدمير ، وأنشئت جماعات الاسعاف وأنشئت حاميات للأمن العام والمدن والقرى ، وفرق القناصة والمفاوير ، أما اليهود فقد قسموا قواتهم ، فتولت الهاجاناه حراسة المدن والقرى والطرق والقوافل بين القدس وتل أبيب وجيفا والمستعمرات في غور بيسان وغيرها ، وأنزلت البالمخ للامانة المجاهدين ، وخصص لمصايب الارغون زفاني ليومي القيام بأعمال التدمير والنسف والارهاب ضد المدنيين .

(٣٥) اقرأ معركة القسطل صفحة ٣٥٠ من هذا الكتاب حيث استشهد هذا البطل .

(٣٦) اقرأ معركة رأس العين صفحة ٣٨٦ من هذا الكتاب حيث استشهد هذا البطل .

(٣٧) المؤامرة الكبرى واغتيال فلسطين ، ص ٢١٤ .

حدث كل هذا والانجليز لا يزالون في فلسطين ، يتولون الانتداب ويشرفون عليه ، ولاول مرة في تاريخ العالم المتمددين تقف دولة تتولى سلطات البلاد بأسم عصبة الأمم ، متظاهرة بالحياد أمام صراع رهيب بين شعبين ، ثم تمد بالسلاح والخبراء والأعتدة شعباً استجلبته من الخارج ، يقيم دولة على انقراض الشعب الأصيل ، ثم تجري المارك أمام بصرها ، فلا تحرك ساكناً الا اذا كان اليهود هم المهزومين ، فانها تسرع بضرب العرب والوقوف ضدهم .

أما مجمل حالة الفلسطينيين عند صدور التقسيم ، فيصفها مؤرخ عربي معاصر فيقول : « شعب أعزل لا سلاح لديه ، لطمته هيئة من أكبر الهيئات الدولية بأظلم واقسى قرار عرفه التاريخ ... ويقضي عليه بالتجزئة والحرمان وضياح الأمل بالحرية التي كان ينشدها والوحدة التي كان يصبو اليها والأمن والاستقلال الذي طالما تمناه ، ويرى بعين دامية وقلب واجف ، الهوة السحيقة التي حفرت أمامه والتي سيقع حتماً ، اذا لم يهب لانتقاذ بلاده ، قبل أن يتمكن الاعداء من تأسيس دولتهم ، ولكن وسائله محدودة ، ووسائل أعدائه متوافرة ، فيقف حائراً متسائلاً ما العمل ؟ وكيف السبيل الى النجاة (٣٨) » .

ولكن الشعب الفلسطيني الذي كان حائراً باحثاً عن سبيل النجاة ، اعتقد في تلك الظروف الخطيرة أن العالم العربي يقف الى جواره ، وأن الجامعة العربية التي أسست حديثاً سوف تأخذ بيده وسوف تكون له عوناً وسنداً ، وهو بذلك سوف لا يعيد التاريخ الذي قضاه قبلاً يحارب وحده وينتظر العون من أخوانه خارج الحدود .

#### ٨ - الجامعة العربية وقرار التقسيم :

انتشر الحماس في البلاد العربية كلها التي كانت تدرك خطر ذلك التقرير الذي قدمته أغلبية اللجنة الدولية ، ووافقت عليه الأمم المتحدة ، وبادرت الهيئة العربية العليا الى رفضه واستنكاره وإعلان العزم على مقاومة تنفيذه ، وتنادى الشعب العربي في كل مكان مطالباً بانتقاذ فلسطين ، وأن يكون موقف الدول العربية موقفاً يليق بالخطر المنتظر ، ومستشعراً مسئولية التاريخ .

(٣٨) نكبة بيت المقدس ، ج ١ ، ص ٣١ .

وانظر ايضاً : كارثة فلسطين ، ص ١ - ١٠ .



واجتمع مجلس الجامعة العربية في عاليه بلبنان في ٧ أكتوبر ( تشرين الأول ) ١٩٤٧ مستعرضا الوضع الحقيقي في فلسطين ، ومستمعا الى



اللون الاسود يمثل المنطقة التي حافظ عليها شعب فلسطين الى دخول الجيوش العربية

- ٣١٠ -

مندوبي عرب فلسطين الذين كانوا على علم عميق بمقدار قوة اليهود ، ومدى استعدادهم وبرنامجه لانشاء اسرائيل ، ولم تكن طلبات الفلسطينيين من مجلس الجامعة العربية تستهدف أن تدخل جيوشها فلسطين ، ولا أن تبادر فتحل فيها محل قوات الانتداب البريطاني ، ولكن طلباتهم كانت كما يلي :

١ - يرجى من دول الجامعة العربية أن تعتمد على الفلسطينيين انفسهم في المعركة الفاصلة مع اليهود .

٢ - يرجى من دول الجامعة العربية أن تمد الفلسطينيين بالسلاح والمال والخبراء العسكريين .

٣ - يرجى من الدول العربية أن توافق على تأليف حكومة عربية بفلسطين تملأ الفراغ بعد بريطانيا وتبدأ حكمها في فلسطين .

وبحث هؤلاء الخبراء أحوال فلسطين ووضعها الداخلي وانتهوا الى التوصيات التالية :

« ان للصهيونيين في فلسطين منظمات سياسية وتشكيلات عسكرية يستطيعون معها أن يؤلفوا فورا حكومة صهيونية ، وان لهم قوة كبيرة من الرجال والسلاح والعتاد ، وفي مقدورهم أن يجندوا خلال مدة قصيرة ما يريدون من القوات الاحتياطية .. ولهم موارد من المال لا تنضب ، وليس لعرب فلسطين في الوقت الحاضر من المال والسلاح والرجال ما يمكن أن يقاس بما لأعدائهم اليهود .

وان ما لا يقل عن ٣٥٠.٠٠٠ عربي يعيشون في مناطق اكثريتها يهودية ، وهم معرضون للقضاء اذا ما داهمهم الصهيونيون . ان فلسطين قادمة على أحداث خطيرة بسبب ما أعلنته بريطانيا عن عزمها على الانسحاب من فلسطين ، ولهذا توصي اللجنة العسكرية :

اولا : المبادرة حالا بتجنيد المتطوعين وتسليحهم .

ثانيا : قيام الدول العربية بحشد جيوشها النظامية على مقربة من الحدود الفلسطينية .

ثالثا : تأليف قيادة عربية عامة ، وأن يعين المرجع الاعلى لهذه القيادة من جميع الدول العربية .

رابعا : والى أن يتم ذلك يجب أن يمد عرب فلسطين بما لا يقل عن عشرة آلاف بندقية وبمقادير كافية من الرشاشات والقنابل اليدوية



والمتفجرات وما الى ذلك من الاسلحة .

خامسا : يوضع تحت تصرف اللجنة العسكرية ما لا يقل عن مليون دينار لتموين القوات الفلسطينية .

سادسا : تبادر الدول العربية لشراء أكبر كمية من الاسلحة والأعتدة وأن تدخرها لتموين المجاهدين (٣٩) .

ولم تبد الجامعة العربية اهتماما لتنفيذ المقترحات باستثناء تخصيص مليون جنيه والوعود بارسال كميات من السلاح (٤٠) .

ولا ريب أن تلك التوصيات كانت عملية الى حد كبير ، فالعرب في فلسطين هم الذين جاهدوا الانتداب ثلاثين عاما ، وهم الذين عاشوا سلسلة الثورات طوال هذا الأمد الطويل ، وهم بالتالي أقدر الناس على مجابهة اليهود ومقاتلتهم في داخل فلسطين ، وكل ما كان ينقص الشعب الفلسطيني هو القوة المالية التي تساعد على التسلح تسلحا كاملا يضارع تسليح اليهود وكان ينقصه أيضا امكانية خلق مصدر لهذا التسليح ، فقد كانت بريطانيا تغلق الحدود ، وتمنع عنه حيازة السلاح ، على حين تبيع ذلك لليهود ، وما دامت الدول العربية سوف تمد شعب فلسطين بالمال وبالسلاح فإن المعركة قررت مصيرا .

#### ٩ - عقبات أمام الكفاح الفلسطيني :

وما كادت الدول العربية تبدأ تدريب الشباب الفلسطيني في معسكر قطنا قرب دمشق ، حتى تقدم الجنرال كلايتون باسم بريطانيا بذاكرة الى الجامعة العربية معارضة تسليح الفلسطينيين وتدريبهم ومعتبرة ذلك « عملا غير ودي » لأن بريطانيا لا زالت موجودة في فلسطين (٤١) .

وكان رجال الدول العربية كانوا ينتظرون تلك المذكرة ، فما ان وصلت حتى اخذهم الرعب ، وسرحوا الشباب الفلسطيني وسحبوا اسلحتهم .

وكانت غريبة تلك الروح التي كانت تسير رجال الجامعة العربية .

(٣٩) اسماعيل صفوة باشا رئيس اللجنة العسكرية لجامعة الدول العربية ، تقرير الى الجامعة بتاريخ ٩ من اكتوبر ١٩٤٧ .

(٤٠) نكبة بيت المقدس ، ج ١ ص ١٦ - ١٧ .

(٤١) المؤامرة الكبرى واغتيال فلسطين ، ص ٢١٢ .

انهم يستجيبون لرغبة بريطانيا في عدم تسليح الفلسطينيين ، ويتناسون انها تسليح اليهود في داخل فلسطين ، وتصادر كل سلاح عربي وتفتك بحامله ، والحق أن موقف بريطانيا ودول الجامعة العربية كان موقفا شاذا فاذا كانت بريطانيا تملك الى أن يتم انسحابها معارضة تسليح أو تدريب عرب فلسطين داخل البلاد فليس لها أن تتدخل في أمر تدريبهم خارجها ولا ريب انه مما يتنافى ومعاني الاعتزاز بالاستقلال والكرامة الوطنية أن تفعل تلك المذكرة ما فعلته في دول العرب كما أن موقف دول الجامعة العربية سنة ١٩٤٧ بخضوعها للمذكرة البريطانية قد أضر بقضية فلسطين ، لانه حرم الفلسطينيين من فرصة مهمة للتدريب ، وأعطوا اليهود فرصة سبق في التفوق العسكري الذي حرم منه العرب طويلا .

وفي الثالث من ديسمبر ( كانون الاول ) ١٩٤٧ ابتدأ النضال الفلسطيني الجديد ، وحدثت في القدس اشتباكات كبيرة بين العرب واليهود ، وحدثت حرائق استمرت أربعاً وعشرين ساعة ، وقد قتل يهودي وجرح ستة يهود وعربيان ، وانتشرت الأحداث في جميع أنحاء فلسطين .

لقد كان اعتماد شعب فلسطين على اللجنة العسكرية العربية التي اتخذت سوريا مستقرا لها ، وكان ينتظر أن تصله كميات كبيرة من الاسلحة التي تجعله في موقف يضارع موقف اليهود ، ولكن هذه اللجنة العسكرية كانت نفسها تشكو قلة الاسلحة ، فان الدول العربية لم تف بما سبق أن وعدت به ، ويفيد تقريرها الى مجلس الجامعة العربية في ديسمبر ( كانون الاول ) ١٩٤٧ انها « تأسف لقلة السلاح والعتاد الموجود بين يديها ، وتقرر اللجنة انها لم تحصل الى الآن الا على ٥٥٦ بندقية و ١٣٤ مسدسا و ٢٣٠٠٠ طلقة من الحكومة السورية ، ٣٠٠ بندقية و ٣٠ مسدسا و ٥٠٠٠٠ طلقة من الحكومة اللبنانية ، مع انها كانت تنتظر أن يكون تحت يديها في ذلك التاريخ ٢٠٠٠٠ بندقية و ٢٠٠٠ رشاشة خفيفة و ٣٠٠٠ مسدس وغيرها من المتفجرات والاعتدة (٤٢) » .

وتحت تأثير هذه الشكوى من اللجنة العسكرية ، اجتمعت اللجنة السياسية ، وقررت الزام دولها بكميات من الاسلحة ، على أن تقدم كل من مصر والعراق والمملكة السعودية وسوريا الف بندقية مع الف طلقة لكل بندقية ، وتقدم كل من لبنان والأردن الف بندقية مع الف طلقة لكل بندقية .

(٤٢) نكبة بيت المقدس ، ج ١ ، ص ٥٥ .



وعلى الرغم من ضالة هذه الكميات أمام معركة الأمة العربية في فلسطين ، فإن طريقة تسليم ذلك السلاح كانت متلازمة مع الفوضى والارتباك وعدم العناية ، وكان العديد منها غير صالح للاستعمال ، أما لقدمه أو لفساده أو لعدم وجود عتاد له ، بل لقد كان بعض السلاح عثمانيا مضى أكثر من خمسين عاما على صنعه اذ تسلمت اللجنة العسكرية في ١٣ ديسمبر ( كانون الأول ) ١٩٤٧ من العراق ١٢٦٠ بندقية فرنسية دون عتاد ، فجهزتها وزارة الدفاع السورية ، وبعد وصول البنادق بخمسة عشر يوما وصلت من العراق ٦٠٠٠٠ طلقة فرنسية ( قرار اللجنة السياسية يوجب أن تكون ألف طلقة مع كل بندقية أي مع ١٢٦٠ بندقية ١٢٦٠٠٠٠ طلقة ) وفي ٣٠ ديسمبر ( كانون الأول ) اتضح أن ٢٥ بندقية المانية فقط تصلح للاستعمال من أصل ٢٥٠ بندقية تسلمها المفتي من مصر ، وأرسلها الى صيدا بحرا ، وكان معها ٣٠٠ صندوق مفرقات صالحة للاستعمال ، وفي ١ يناير ( كانون الثاني ) تسلمت اللجنة من لبنان ٢٥٠ بندقية المانية و ٢٤٠٠٠٠ طلقة ، وفي ٣ يناير ( كانون الثاني ) سلمت الحكومة السعودية لندوب اللجنة ١٢٠٠ بندقية أرسل منها ٥٠٠ الى فلسطين ، وفي ٢ فبراير ( شباط ) أفاد الندوب نفسه أنه تسلم من الحكومة المصرية ٣٠٠ بندقية ومعها ٢٥٠ مسدسا و ١٧٠٠٠ طلقة تومي وبندقيتان ضد الدبابات و ٣٠٠٠ كبسول كهربائي .

وبفحص هذه الأسلحة وجد أن البنادق قديمة وأن معظم المسدسات عاطل (٤٣) لا يصلح للاستعمال ، ويطلق أحد الباحثين العرب على هذه الأسلحة وصفا طريفا فيقول « أنها أسلحة أثرية » وأن وجدت فمن المستحيل جدا ايجاد قطع الفيار اللازمة لها ، وكانت كل الذخيرة المقدمة من الدول العربية لا تعادل الأسلحة المودعة في مستعمرة يهودية واحدة .

ونصل سريعا الى ذكر الرقم الاجمالي الذي يفيد أن مجموع ما تسلمته اللجنة من الحكومات العربية كان الى ٨ فبراير ( شباط ) ١٩٤٨ ٤١١٠ بندق ، ١٨٠٩٠٠٠ طلقة ، وأن ما وزعته على المحاربين وخاصة في القدس ويافا وحيفا ١٦٥٧ بندقية ، ٤٠٠٠٠٠ طلقة ، وسلمت للمتطوعين ١٥٠١ بندقية ، ٩٠٩٠٠٠ طلقة .

ولكن من صدق التاريخ أن نذكر أنه حتى بعد هذا التاريخ توالى وصول الكميات الصغيرة المبعثرة من السلاح ، وأنه كان في أغلبه سلاحا

(٤٣) جريدة الحارس العراقية فبراير ١٩٥٣ .

(٤٤) فلسطين تاريخا وعبرة ومصرا ، ص ٢٢٣ .

فاسدا ، لا يصلح لمعركة يجابه العرب فيها اليهود المسلحين .  
ولنأخذ مثلا لذلك :

تلك الطائرة السورية التي هبطت في « اسكاكه » من أعمال الجوف ، وأفرغت ما فيها من أسلحة وأعتدة سعودية كانت ٢٣٧ بندقية نمساوية قديمة جدا ، وتعرف بالخدوية وقد غنمها الوهابيون من الجيش المصري في حربه مع الوهابيين في القرن الماضي ، ٢٣٣ بندقية المانية ، ٢٤٤ بندقية من مختلف الدول انجليزية والمانية وفرنسية وتركية وهندية لا تصلح أبدا للاستعمال ، وأما البنادق النمساوية والروسية ومجموعها ٢٥٨ فانه لا نفع يرجى منها لفقدان عتادها ، ولم يبق من هذه الشحنة الكبيرة التي أخذت طائرة لنقلها وحسبت على شعب فلسطين الا ١٧٧ بندقية تصلح للاستعمال بعد تعميمها . وتلك الشحنة المصرية عام ١٩٤٨ حيث تبين أن ١٧ بندقية المانية من مجموع ٨٦ ، ٢٠ بندقية انجليزية من مجموع ٢٠٠ ، و ٥ بندق ايطالية من مجموع ٦٥ ، وبندقية واحدة من بندقيتين امريكيتين ، وبندقيتان عثمانيتان (٤٥) .

هذا مثل واضح للعون الذي لقيه شعب فلسطين من تلك اللجنة العسكرية التي كانت تنفذ قرار الجامعة العربية بأن تمدد بالسلاح . وتجعله في موقف يضارع اليهود المسلحين المدربين في فلسطين ، وإذا كان الشعب الفلسطيني قد حرم من السلاح والتدريب خلال الانتداب البريطاني فإن السلاح الذي أمده به اخوانه العرب كان قديما ضئيلا فاسدا ، على أن الدول العربية ذاتها لم تكن دولا مسلحة عام ١٩٤٧ ، وتلك مصر حين تسلمت غدر حكامها بجيشها العظيم فزودوه بسلاح فاسد طرح موضوعه أمام القضاء المصري وأدان المتهمين .

وإذا كانت أكبر دول الجامعة العربية لم تكن تملك سلاحا ذا قيمة في ذلك التاريخ ، فكيف يمكن أن ينتظر من شعب فلسطين أن ينال من دول تلك الجامعة سلاحا يقابل به جيش الهاجانا وعصابات شترن وزفاي ليومي ، لقد كانت دول الجامعة العربية تمثل سبع دول تحمل كل منها اسما بلا جسم ، وجيشا بلا سلاح ، وفاقد الشيء لا يعطيه .

على أن شعب فلسطين سرب مندوبيه كما اوضحنا الى كل مكان ظن فيه امكان الحصول على السلاح وتبرع العديد من افراده بأثمان تلك الصققات ، وأسهمت بعض دول الجامعة في تبرعات للهيئة العربية العليا ،

(٤٥) نكبة بيت المقدس ، ج ١ ، ص ٥٨ - ٥٩ .



فكان لذلك السلاح اثره الحميد في امكان الشعب المناضل من خوض ايام رهبة شجاعة في مختلف انحاء فلسطين .

ولو ان دول الجامعة العربية قدمت لشعب فلسطين من الاسلحة كميات كافية كبيرة ، ومن الاموال مقادير تقويه وتمكنه من تقوية اوضاعه ، لكان لمعركة فلسطين شأن غير الشأن الذي وصلت اليه .

ويجمل بنا ان نذكر ان مجموع ما تلقاه شعب فلسطين لم يتجاوز ٧٦٨ الف جنيه وهو مبلغ ضئيل في معركة الفناء او البقاء ، قدمت الى الهيئة العربية العليا التي واصلت جهدا مخلصا لشراء الاسلحة والمعدات ، ولقد كانت تلك المبالغ من مصادر مختلفة ، وكانت تفاصيلها كما يلي :

١٠٤	آلاف جنيه من سوريا .
٢٠	الف جنيه من مصر .
١٥	الف جنيه من لبنان .
٤٥٠٠	الف جنيه من اليمن .
٤٦١٧٥	من مصادر عربية تبرعت لمفتي فلسطين رغبة عدم ذكر اسمائها .
١٧٥	الف جنيه من بيت المال العربي في فلسطين .
١٩٨	الف جنيه من تبرعات المهاجرين الفلسطينيين والعرب .
٢٠٥	الف جنيه من تبرعات الشعوب العربية والاسلامية .
٧٦٧٦٧٥	المجموع

واذا القينا نظره فاحصة اليوم على هذه التبرعات ، نواصل الدهشة التي احطنا بها تبرعات العرب لفلسطين خلال ثورة ١٩٢٩ وثورة ١٩٣٦ حيث لم تتجاوز تلك التبرعات عددا من آلاف الجنيهات لقاء ملايين وصلت لليهود في فلسطين (٤٦) .

(٤٦) تقول الادبية الفلسطينية السيدة سميرة عزام في ردها بمجلة الاسبوع العربي اللبنانية على الانسة ليلي بعلبكي : لن نسكت عن ثاني التساؤلات ( عن هجرة الشعب الفلسطيني ) والجواب قصة طويلة كانت تلهب خيالنا ونحن صفار نلتقف قصص المارك الحقيقية التي تنتصر فيها البنادق العتيقة اذ يقف وراءها حق ، تعلمين متى بدأت البنادق العتيقة تصبح دمي خشبية ؟ انها يوم كانت تستجدي الطلقات من كل عاصمة عربية ، فلا تفوز بأكثر من وعود عميقة جوفاء ، اتعرفين متى ترك شعب بكامله ساحة المعركة ؟ انه يوم شاءت ارادة الدول السبع ان تمسخ الثورة الكبيرة الى حرب تتولى امرها جيوش نظامية تحركها سياسات اذا لم تكن السداجة من خصائصها ، فالتواطؤ ، اتعرفين متى ارتدى شعب في حضن البحر ؟ انه يوم ان رأى نفسه اعزل الا من وعود الفتى ...

ولو ادركت الشعوب العربية يومئذ ان تسليح الفلسطينيين كان يعني درء الخطر ، لا عن فلسطين وحدها ، بل عن كل شبر عربي في كل ارض عربية ، لتسابق الجميع في التبرع لشعب فلسطين ، وتسليحه ولتنازلوا عن اموالهم واملاكهم ، ولاسرعوا يدفعون مقدما ضريبة البقاء قبل ان تنشأ اسرائيل فيصل الخطر الى حدودهم ، بل الى بيوتهم ويهدد كيانهم جميعا بما فيه من وجود وذاتية ومقدسات .

#### ١٠ - تجدد الكفاح المسلح في فلسطين :

وبينما كانت الكميات الضئيلة من السلاح تسرب الى الشعب العربي في فلسطين ، كان هناك صراع في مختلف انحاء فلسطين لا يمكن تصويره تصويرا كافيا الا باثبات برقيات بعض تلك الايام حتى نشعر ان فلسطين كانت تمثل معركة مستمرة في جميع اجزائها .

ولنثبت هنا برقيات الأهرام قبيل منتصف شهر ديسمبر ( كانون الاول ) ١٩٤٧ ، وخلال شهر واحد من صدور قرار التقسيم المشؤم ، أعلن مصرع عشرة من العرب ويهودي في سلسلة الحوادث التي وقعت في انحاء فلسطين خلال الأربع والعشرين ساعة ، وكان منها القاء قنبلة على سيارة ركاب في حيفا فقتلت خمسة وجرح ثلثين آخرين ، ونصب العرب كمينا لسيارتين تقلان رجال الهاجانا ، فقتلوا تسعة من ركابها كما قتل خمسة آخرون من اليهود بصحراء فلسطين الجنوبية ، وقام فريق كبير من الحرس الوطني العربي في الساعات الأولى من الصباح بهجوم خاطف على الحي اليهودي في القدس القديمة ، فاشتبك الفريقان في معركة حامية استعملت فيها مختلف الاسلحة الاوتوماتيكية ، واستطاع العرب التغلب على مقاومة اليهود فدخلوا الحي عنوة واحتلوه ورفعوا العلم العربي على سارية عالية فيه ، ولكن قوات كبيرة من الجيش والبوليس البريطاني خفت الى الحي فانسحب العرب الى مراكزهم الأولى ، وقام فريق من اليهود بمهاجمة ادارة احدى الشركات العربية للنقل فالتقوا عدة قنابل محرقة واحرقت بعض السيارات ، وكانت مدينة حيفا مسرحا لسلسلة من المعارك بين العرب واليهود في الشوارع والبيوت والأزقة وقد سجل العرب فيها ضروبا من الشجاعة والتفاني والتفوق ، وفي بئر السبع هاجم العرب عددا من اليهود المسلحين ونشبت معركة انسحب فيها اليهود وتركوا عشرة من القتلى غنم العرب اسلحتهم ، ثم وقع صدام آخر بين العرب واليهود في نفس المنطقة صرع فيه اربعة من اليهود وجرح عشرة ، وقام العرب في الصباح بهجوم عنيف على مستعمرة القرين اليهودية بجوار



غزة فأحرقوها وخرّبوا دورها (٤٧) .

وفي الثالث عشر من ديسمبر ( كانون الأول ) ١٩٤٧ كانت المعارك بين العرب واليهود قد امتدت الى جميع أنحاء فلسطين حتى أن البلاغات الرسمية أعلنت أن عدد القتلى في ذلك اليوم كان ٢٥ قتيلا عربيا و ١٥ يهوديا على حين بلغ عدد الجرحى سبعة وستين جريحا (٤٨) .

وتستمر البلاغات الرسمية تعلن أن الاصطدامات مستمرة بين العرب واليهود في جميع أنحاء فلسطين ، وقد قام أربعة وعشرون يهوديا يرتدون الملابس العسكرية بهجوم على قرية عربية بالساحل فاقحموها في أربع سيارات عسكرية كبيرة ، وأطلقوا الرصاص على جماعة من سكانها ، على حين وضع آخرون القنابل خارج سور القرية وكانوا يلقون القنابل اليدوية على من يحاول التصدي لهم ، وقتل من العرب سبعة في هذا الهجوم المفاجيء ، كما أعلن جيش الدفاع اليهودي ( الهاجانا ) أنه قتل عشرة من العرب في معركة تل الريش جنوبي ميناء يافا العربي ، كما أضرمت الحرائق في بعض منازل العرب بين يافا وتل أبيب ، وأعلن أيضا أن جماعة من العرب هاجمت مستودعات البوليس في الرملة ، واستولت على أربع مائة بندقية وثلاثة مدافع برن وستة مدافع رشاش وستين ألف طلقة ، وأذيع أيضا أن عددا من النجادة العرب هاجموا فصيلة من الجنود البريطانيين على طريق القدس - يافا واستولوا على ثلاثمائة بندقية وستة آلاف طلقة (٤٩) .

#### ١١ - المعارك في الشوارع والقرى :

وكان القتال في شوارع القدس متواصلا غير منقطع ، فلم ينقض يوم من الأيام دون حرب أو قتال ، ولا مرت ساعة دون أن يسمع صوت الرصاص يلعلع في الفضاء ، وما كنت ترى أينما حللت وحيثما سرت في مدينة القدس سوى جثث القتلى مبعثرة هنا وهناك ، هذا يهودي وهذا عربي ، وهناك شخص آخر انجليزي كان قد أتى ليحول دون اصطدام الفريقين ، أو ليحرض أحدهما على الآخر ، ولم تنقطع الحرائق وأعمال النسف والتدمير تارة في هذا الحي وطورا في ذاك ، وقد تنطفئ النار في حي أو تخبو وقتا قصيرا لتعود فتشتعل أو تزداد التهابا في الأحياء الأخرى .

وكان اليوم السابع والعشرون من ديسمبر ( كانون الأول ) ١٩٤٧ من

(٤٧) جريدة الاهرام ١٢ من ديسمبر ١٩٤٧ .

(٤٨) جريدة الاهرام ١٤ من ديسمبر ١٩٤٧ .

(٤٩) جريدة الاهرام العدد ١٥ من ديسمبر ١٩٤٧ .

ايام القدس العصبية ، فقد اقتتل الفريقان حيثما التقيا في المدينة القديمة وفي لفنا وروميما وفي القطمون وباب الخليل وعند طلعة القسطل وباب الواد وفي كل مكان .

وبينما كانت تمر قافلة يهودية في القسطل على طريق القدس - يافا اذ هاجمها العرب وقتلوا أربعة من أفرادها أحدهم هانس ياريت من رجال الوكالة اليهودية ، وجرحوا خمسة ، منهم غولدا مايرسون رئيسة الشعبة السياسية في الوكالة (٥٠) .

ولجأ اليهود الى الارهاب يهدفون به الى اضعاف المقاومة العربية ، فألقت منظمة الأرغون الارهابية برميلا طافحا بالمتفجرات بباب العمود ، فقتلت أربعة عشر عربا وجرحت سبعة وعشرين ، وبينما تلاحق العرب يقتفون أثر السيارة التي تحمل الفاعلين ، راح الجنود البريطانيون المرابطون في عمارة تجاه مكان الحادث يطلقون النار على العرب فقتلوا آخرين ، ومع هذا فقد أوقف العرب السيارة وألقوا القبض على أحدهم ، ولكن كونستبلا بريطانيا انفذ اليهودي من أيديهم فقتلوا الكونستابل نفسه ورفيقا له حاول انقاذه ، كما أحرقوا سيارة يهودية جاءت لتحمي الجناة (٥١) .

ويستمر شهر ديسمبر ( كانون الأول ) ١٩٤٧ في حوادث متفرقة حتى اذا كان اليوم الأخير أعلن أن العرب قضوا على واحد وأربعين يهوديا في معمل التكرير في حيفا (٥٢) .

فاذا اطل شهر يناير ( كانون الثاني ) من عام ١٩٤٨ نجد الانباء تفيدنا أن شعب فلسطين يوالي جهاده في كل قرية ومدينة ، بل في كل شارع وامام كل بناية ، وأنه في هذا الصراع يكسب معركة ويخسر معركة أخرى ، وأنه يدفع كل يوم العديد من رجاله بين قتلى وجرحى .

ولنأخذ هنا برقيات وكالات الانباء التي نشرتها الاهرام في اليوم الاول من عام ١٩٤٨ لنرى أن فلسطين كانت في كل بقاعها مرجلا يغلي وبركانا يقذف بالحمم ، حيث هددت جمعية الهاجانا اليهودية بالانتقام من العرب لمقتل الواحد والأربعين يهوديا في المعركة التي دارت عند معمل تكرير البترول في حيفا ، حينما تدخل اللواء العربي الاردني لانتقاذ الكثيرين من اليهود في المذبحة ، ونشطت جماعة من العرب المسلحين فألقت عدة قنابل يدوية على

(٥٠) نكبة بيت المقدس ، ج ١ ص ٧٦ .

(٥١) جريدة الاهرام ٣١ من ديسمبر ١٩٤٧ .

(٥٢) جريدة الاهرام ٣١ من ديسمبر ١٩٤٧ .



سيارتين يهوديتين تقلان عمالا من اليهود بجوار محطة القدس ، فأصيب عدد من ركبها بجراح ، وأطلق عربي الرصاص على يهودي في أحد شوارع القدس فقتله .

وقد بات حيان من الاحياء اليهودية في القدس ليلة في ظلام تام على اثر انفجار عظيم وقع في محطة القوى الكهربائية يعتقد انه نشأ عن قنبلة ألقتها العرب في المحطة ، واقتحمت سيارة لوري عند قرية يازور العربية الواقعة على طريق يافا - القدس والقيت منها قنبلتان فاخذ سكانها العرب يسددون نيران مسدساتهم وينادقهم الى احد الاحياء اليهودية المجاورة ، واطلقت النار على سيارة ركاب يهودية في حي البقعة الفوقا فأصيب بعض ركبها وفي الوقت ذاته مرت سيارة ركاب عربية فألقى أحد ركاب السيارة اليهودية قنبلة انفجرت بعد مرورها .

ووقعت عدة اشتباكات في احياء الجبالية وتل الريش وأبسي كبير والمنشية بين يافا وتل أبيب أسفرت عن اصابة تسعة من اليهود واربعة من العرب واطلقت النار من مستعمرة غيشر بجوار يافا على سيارة لوري عربية فأصيب ثلاثة من ركبها ، وهاجم اليهود بعد الظهر سيارة نقل عربية قرب مستعمرة ملبس فأصابوا احد ركبها وسيارة أخرى بالقرب من قلقيلية فأضطر سائقها الى الاسراع فانقلبت وقتل أحد ركبها وجرح آخر ، وهوجمت سيارة ثالثة تقل عددا من العمال العرب بالقرب من مستعمرة ويلهلم فأصيب احدهم ، وانفجرت قنبلة في شارع اغريبا بالقدس فأصيب عدد من اليهود بجروح (٥٣) .

واستمر القتال ضاريا دون انقطاع ويوميا ، وقد خفت قوات الشرطة تؤيدها السيارات المصفحة لنجدة مستعمرتين يهوديتين في طريق القدس - الخليل في المنطقة الجنوبية من فلسطين ، حيث اخذت قوات عربية كبيرة تنس عليها هجمات شديدة منذ الفجر ، وقد أستعد العرب لهذا الهجوم فأقاموا الحواجز على الطرق ، وبثوا فيها الالغام لمنع القوات البريطانية من الوصول الى المستعمرتين ، ثم بداوا هجماتهم بقوة يتراوح عددها بين عشرين وثلاثين مجاهدا بعد أن مهدوا لها بنيران حامية .

واقام اليهود ستارا كثيفا من نيران اسلحتهم ، ولكن القتال لم يلبث أن تطور واتسع نطاقه بوصول نجدات أخرى من العرب يربو عددها على المائتي مقاتل ، وقد وقعت خمسة انفجارات هزت مدينة القدس ، وسمع

(٥٣) جريدة الاهرام العدد ١ من يناير ١٩٤٨ .

على اثرها أزيز رصاص المدافع الرشاشة ، وقيل أن رجال الهاجانا صبوا نيران مدافع الهاون على حي الشيخ جراح العربي ، ويقول المراقبون من جبل سكوبس الذي يطل على حي الشيخ جراح العربي ، أنهم شاهدوا عددا يتراوح بين ١٢ ، ١٥ قنبلة من قنابل الهاون تتساقط على أسطح منازل العرب في هذا الحي (٥٤) .

ومضت أربعة شهور منذ صدور قرار التقسيم الجائر ، والعالم مشدوه بما يديه عرب فلسطين من غضب ، وما يقوم به من حركات وجهاد متصل .

ويستمر هذا الشهر الى آخر ايامه يشهد المارك في ليلها ونهارها في جميع الجهات وفي مختلف مناطق فلسطين ، فتلك قافلة يهودية مهاجمة ومحطمة ، وذلك هجوم عربي على انابيب نفط العراق وعلى متجمعات اليهود ومستعمراتهم ، مع حوادث ارهابية عديدة يتبادلها الفريقان ، فاذا انتصر العرب تدخلت بريطانيا بجيوشها توقف المجاهدين ، وتمكن لليهود من رد الفعل العنيف .

وانذر القائد العربي اليهود في بلاغه أنهم سيدوقون الامرين ، وسيفتك بهم العرب فتكا ذريعا لا هوادة فيه ولا رحمة اذا لم يكفوا عن الفدر وسفك الدماء (٥٥) .

وحين لم يمثل اليهود للانداز الذي اعلنه القائد عبد القادر الحسيني بالكف عن قتل الارباء غير المحاربين ، تم نسف الوكالة اليهودية في الحادي عشر من شهر (آذار) ١٩٤٨ (٥٦) .

وفي آخر مارس (آذار) ١٩٤٨ كانت الاحداث تتوالى بذات الصورة ، اذ نصب المجاهدون العرب كمينا لقافلة يهودية تتألف من ٣٠ سيارة مصفحة كانت قد غادرت القدس منذ الفجر لتعزيز مستعمرة كفار عصيون ، فاشتبك العرب مع رجال الهاجانا الذين كانوا يتولون حراسة القافلة في معركة شديدة ، ولكن القافلة تمكنت من اجتياز الطريق الى المستعمرة .

وهاجمت قوة من العرب قافلة يهودية أخرى في باب الواد بين القدس - يافا فنشبت بين الطرفين معركة شديدة بلغ عدد القتلى والجرحى من اليهود فيها ٦٠ قتيلا و ٨٠ جريحا وغنم المجاهدون ١٢ مدفعا برن و ١١

(٥٤) جريدة الاهرام ١٥ من يناير ١٩٤٨ .

(٥٥) جريدة الاهرام ٢٥ من فبراير ١٩٤٨ .

(٥٦) راجع تفاصيل هذا الحدث المهم في صفحة ٣٤٥ من هذا الكتاب .



مدفعا ستن و ٢٠ بندقية و ٨ مسدسات وكميات كبيرة من الذخيرة ، وهاجمت فرقة الامين بقيادة عبد القادر الحسيني عددا من السيارات المصفحة اليهودية على طريق القدس رام الله انتقاما لاعتدائها على فتاة عربية عمرها ٦ سنوات فقتل العرب ١٧ يهوديا من رجال الهاجانا وجرحوا نحو ٢٠ ونسفوا احدى المصفحات واستولوا على أخرى وعلى سيارة شحن كبيرة وغنموا خمسة مدافع (٥٧) .

ونصبت قوة من العرب قوامها بضع مئات من المجاهدين كمينا لقافلة من السيارات التابعة لقوات الهاجانا تتألف من ٥٨ سيارة بينها ١٧ سيارة مصفحة على مسافة أربعة أميال من بيت لحم ، وما كادت تصل القافلة الى مواقع العرب حتى طوقها المجاهدون ، وسدوا في وجهها الطريق ، وأشتبكوا مع رجالها في معركة عنيفة ، واستنجد ركاب القافلة وحراسها بقيادة الهاجانا ، فحققت الى مكان المعركة أربع طائرات من السلاح الجوي اليهودي ، وأخذت تضرب العرب بالقنابل والنيران ، وقتل نحو ٨٠ من رجال القافلة اليهودية ، ونصب نحو ٢٠٠ من العرب كمينا آخر لقافلة يهودية مؤلفة من ست سيارات على مقربة من سواحل فلسطين الشمالية وقتلوا ٤٢ يهوديا من ركابها ، وكانت ثاني قافلة يهودية يتصيداها العرب خلال أربع وعشرين ساعة (٥٨) .

وحين جاء شهر ابريل ( نيسان ) ١٩٤٨ جاءت أيامه صورة مطابقة للأيام السابقة من تجدد القتال وقوته ، واشتعال النار بين العرب واليهود في كل مكان في فلسطين ، ولقد شهد هذا الشهر ذلك الصراع المرير حول بلدة القسطل في ضواحي القدس والتي فصلنا معركتها وما اتصل بها من أحداث استشهد خلالها القائد عبد القادر الحسيني في غير هذا المكان (٥٩) ، وشهد ايضا دخول المجاهدين المتطوعين العرب من جيش الانتقاذ الى فلسطين حيث بدأت تلك الافواج تعبر الحدود الفلسطينية ، وكان على رأسهم القائد فوزي القاوقجي الذي كان قد اشتهر بجهاده وقيادته ثورة فلسطين العارمة عام ١٩٣٦ .

وعلى الرغم من أن الايام العشرة الاولى من هذا الشهر كانت أياما فاجعة للعرب ، ولا سيما عندما تناقص سلاحهم في معارك القسطل ، واستشهد القائد الحسيني وجرح عديد من رفاقه ، وعندما هاجم اليهود

(٥٧) جريدة الاهرام ٢٨ من مارس ١٩٤٨ .

(٥٨) جريدة الاهرام ٢٩ من مارس ١٩٤٨ .

(٥٩) راجع التفاصيل عنها في صفحة ٣٤٧ من هذا الكتاب .

دير ياسين وفتكوا بسكانها ، على الرغم من ذلك فان الروح القومية التي استولت على الفلسطينيين دفاعا عن ديارهم لم تخمد ولم تتراجع ، ويحدثك التاريخ أن العرب كانوا أقوياء في جميع الميادين على الرغم من الخسائر العديدة في الارواح والعتاد سواء في معارك يافا أو حيفا أو في القدس نفسها .

وفي الثالث عشر من ابريل ( نيسان ) ١٩٤٨ كانت معركة كبرى قد نشبت في حي الشيخ جراح ، وانها لتواصل تقديم الدليل على قوة شعب فلسطين ودفاعه ، فبينما كانت قافلة يهودية كبيرة تجتاز الحي الى الجامعة العبرية ومستشفى هداسا وهي مؤلفة من تسع سيارات كبيرة اثنتان منها مصفحتان وتضم الى جانب العلماء والاطباء اليهود مجموعات من رجال الهاجانا المسلحين اذ اعترضهم رجال فرقة الجهاد المقدس التي كانت قد فقدت قائدها الشهيد عبد القادر الحسيني منذ اسبوع ، وكان عدد هؤلاء المجاهدين أربعة وعشرين مقاتلا مشاة مسلحين بالرشاشات والبنادق ، وفتكت الفام العرب بسيارتين ، مبيدة ثمانية وثلاثين من رجالهما ، وعلى صراخ الوكالة اليهودية واستنجاها بالجيش البريطاني خف هذا ووجهه سلاحه الى المناضلين العرب من ثلاث جهات ، وازاء ذلك خف قسم آخر من المرابطين في الاحياء الاخرى من القدس جاءوا يهللون ويكبرون ، وتتناقل جبال القدس رجوع صوتهم المدوي وهم ييلفون المائتين ، وقذفوا بأنفسهم في لهيب المعركة ضد اليهود والبريطانيين على السواء ، ووسط هذا العزم النافذ عرض اليهود الاستسلام والقاء السلاح ، وقتل اليهود غدرا المندوب العربي المفوض لابلاغهم الشروط ، فلم يعد هناك متسع لقبول الاستسلام .

وعند السادسة مساء كان قتلى اليهود ييلفون المائة والعشرين بينهم عدد كبير من رجالهم المهمين ، ولم ينج من القافلة الا ثمانية اشخاص حماهم البريطانيون الذين خسروا هم أيضا ستة بين قتيل وجريح ، وكانت خسارة الفلسطينيين يومها اثني عشر شهيدا بينهم صحفي معروف ( ٦٠ ) ، كما كان بين الجرحى قائد المجموعة العربية عادل النجار ، فتولى بعده القيادة عادل عبد اللطيف واستشهد مناضلان آخران بينما كانا يحملان لقما انفجر اثر رصاصة بريطانية (٦١) .

ان هذه المعركة التي حدثت في ١٣ ابريل ( نيسان ) ١٩٤٨ تعطينا أكثر من معنى وأقوى من الاثبات ، أن الفلسطينيين لم يهنوا ولم يضعفوا برغم

(٦٠) هو الشهيد المرحوم شكري قطينة .

(٦١) جريدة الاهرام ١٤ من ابريل ١٩٤٨ .



خسائرهم وبرغم متاعبهم وبرغم استمرار قتالهم منذ بدء الحوادث بعد قرار التقسيم في شهر نوفمبر ( تشرين الثاني ) وطوال خمسة شهور .

وتعطينا أيضا أن العرب يستطيعون محاربة اليهود والانجليز معا ، اذا ما توافر لديهم السلاح ( وكانوا قد تزودوا ببعضه من المعسكرات الانجليزية المهاجمة ) وأن العرب وهم المشاة لا سيارات معهم استطاعوا أن يهزموا اليهود وهم محصنون في سياراتهم ترعاهم المصفحات ، وتوضح هذه المعركة أيضا أن المقاومة العربية لم تذب وتخدم بعد مقتل القائد الحسيني ، ولكن رسالته استمرت واخوانه سدوا الفراغ . وتعطينا أيضا أن اليهود الذين هاجموا قبل ثلاثة ايام قرية دير ياسين العربية ومثلوا بسكانها مما سنعرضه في مكان آخر لم يستطيعوا أن يثبوا الرعب والخوف في نفوس العرب برغم فظائعهم في سكان تلك القرية فظائع يندى لها جبين الانسانية .

وبعد كل هذا ، وقبل كل هذا ، ان الفلسطينيين استمروا يصلون المارك ويفرعون لها ، ويتنادون اليها من قراهم واحيائهم ، حتى بعد دخول جيش الانقاذ العربي الذي تؤيده سبع دول ، وتقف وراءه سبع ميزانيات ، بل تثبت لنا ان الانجليز الذين خفوا لنجدة اليهود مسرعين لم يسرعوا حين كان اليهود يهاجمون قبل ثلاثة ايام بمصفحاتهم ورجالهم وقوتهم قرية دير ياسين الآمنة الصغيرة فحطموها وقتلوا رجالها ونساءها .

على انه من المضحك أن نجد ان الدكتور « ماكنس » رئيس الجامعة العبرية يكتب الى الجنرال ماكملان القائد العام للقوات البريطانية في فلسطين يلومه لان الجيش البريطاني لم يسرع لنجدة القافلة ، وأنه جاء متأخرا ،

ولسنا نعرف حقا يبيع لرئيس الجامعة العبرية ان يلوم ، الا ان يكون لوم الحليف لحليفه الذي يريد أن ينسب اليه أسباب الهزيمة .

وكانت هناك معركة أخرى تدور على طريق الجسر المؤدي الى مستعمرة صهيونية ضاع فيها عدد من اليهود ، وتلور ايضا معركة مع مستعمرة الخضيرة التي نسف قربها القطار ، ومعركة أخرى مع قافلة تقصد مستعمرتي زراعين وجبرين .

وتتعدد المعارك والاشتباكات حتى لا يهدأ مكان ولا تستقر جهة .

ونعود من جديد لنذكر أن الباحث المنصف لا يستطيع الا تقديم الاسف

والالم ، وهو يرى شعبا شجاعا مقادما يعوزه السلاح وتنقصه المعدات .

واذا كانت هذه الاحداث التي روينها في ايجاز واضطررنا الى حذف الكثير منها لتشابه حوادث ايامها تشابها فرضته مواصلة الجهاد ، وهي لا تكفي للاحاطة بكامل الوضع في ذلك التاريخ الخطير ، فاننا نورد فيما يلي شيئا من احداث أخرى تلاحقت واخذت صورة المعارك الكبرى ، وثبت فيها الفلسطينيون ثبات الابطال برغم قلة السلاح قلة تبدو واضحة في مثل معركة الصبيح ( ٦٢ ) ، اذ حدث ان اصطدم ثمانية من أبناء عشيرة الصبيح ( ٦٣ ) بفئة من اليهود قوامها عشرون مسلحا ، وأرشد اليهود تاركين وراءهم سبعة قتلى ، وطلب اليهود النجدة من قيادة الهاجانا فأنجذتهم هذه بعدد كبير من أبناء المستعمرات ، وتنادى العرب للقتال ، وجاءتهم النجدة من قرى الشجرة وكفر كنا والناصر ( ٦٤ ) ، وعند الظهر كان عدد المنجدين قد بلغ التسعين مسلحا ومعهم مدفع رشاش واحد من طراز برن ، فخندق الجميع حول المستعمرة اليهودية بشكل هلال ، واستطاعوا السيطرة على السهل والوادي القريب منه ، وكان البرد شديدا ، وكانت الامطار تنهمر بغزارة ، واستعمل اليهود مدافع المورتر والرشاشات لمدة ساعتين ، ثم خرجوا من المستعمرة وراحوا يزحفون في اتجاهين ، فريق مكون من تسعين مقاتلا اتجه قاصدا عبور الوادي وفريق اتجه صوب التل الذي وقعت عليه معركة الفجر ، مستعملين الحرائث لنقلهم بسبب الامطار والاحوال ، وكانت تلك الحرائث تجر وراءها السيارات المصفحة ، وصمد المجاهدون ساكنين الى ان اقترب اليهود ، وترجلوا ، فاطلق المجاهدون عليهم نارا حامية أصابتهم بهزيمة صاعقة ، حتى ان الحرائث لم تعد تكفي لنقل جرحاهم ، ولاحقهم المجاهدون الذين لم يستطيعوا اقتحام المستعمرة المحصنة تحصينا فويا ، ولم تكن بنادقهم قادرة على حصونها ، بل ان قائد هذه الجماعة العربية صرح بأنهم عندما أحصوا ما تبقى من عتاد لم يكن بيد الواحد منهم سوى عشر طلقات ، وقد توسط الصليب الاحمر في نقل القتلى فكانوا عشرين قتيلا وعشرين جريحا .

وانه ليبدو واضحا كيف كان ممكنا صمود الفلسطينيين في بلادهم وديارهم ضد اليهود والانتصار عليهم ، لو مكثوا من السلاح الكافي المفيد ، فان معركة الصبيح هذه التي استشهدنا بها لم تسفر عن هزيمة العرب ،

( ٦٢ ) حدثت هذه المعركة في الثالث من يناير ١٩٤٨ .

( ٦٣ ) كان يقودهم احد أبناء القبيلة المسمى علي النمر .

( ٦٤ ) كان يقود النجدة عبد القادر الفاهوم .



على الرغم من انهم كانوا مسلحين بالبنادق وحدها ، وكان العدو يملك مدافع الموترر والرشاشات والسيارات المصفحة .

واذا كان شهداء العرب ليسوا كثيرين في هذه المعارك ، فان المنهزم عادة يدفع اكثر ارواحا ، وكان العرب منتصرين ، ولكن اليهود استطاعوا مواصلة الارهاب وانزال خسائر كبيرة بالعرب عامدين الى نشر الذعر وبث روح الفوضى والشعور بالالام .

### معركة ظهر الحجة :

اقتربت مجموعة من اليهود من قرية صوريف العربية وكانت المجموعة قادمة لنجدة اخوانهم في مستعمرة كفار عصيون ، فخرج لهم سكان القرية وراحوا يطاردونهم حتى ارغموهم على ان يحتموا بجبل يدعى «ظهر الحجة» وكانت النجدة اليهودية مسلحة بأسلحة أوتوماتيكية وجهاز لاسلكي ، ولكن المناضلين العرب الذين لم يكن سلاحهم الا البنادق الاعتيادية استطاعوا ان يبيدوهم عن آخرهم ، وكانوا اربعين مقاتلا بينهم العديد من شباب الجامعة العبرية ، وقد اعترفت احدى الجرائد اليهودية باسماء خمسة وثلاثين قتيلا منهم ( ٦٥ ) .

وجاءت في اليوم التالي قافلة يهودية لنقل الجثث ، فدارت معها معركة دامت سبع ساعات ، وخلفت وراءها ثلاثة وعشرين قتيلا ، واستشهد من العرب سبعة مجاهدين .

### معركة كفر كنا :

وتسير بنا الاحداث متوالية ، فتقع معركة كفر كنا حيث هاجم اليهود القرية بغية الاستيلاء عليها ، ولكن المناضلين صدوهم ولحقوا بهم حتى وصلوا الى كرم الزيتون التابع لمستعمرة الشجرة .

### معركة عين ماهل :

هاجم اليهود معسكر المناضلين العرب ومهدوا لهجومهم بقنابل الموترر ، وكانوا زهاء ستين يقابلهم خمسة عشر عربيا مسلحا ، وصد اليهود برغم سلاحهم القوي وعددهم الكثير ، واستولى العرب على قطيع من البقر قوامه اربعون بقرة حلوبا ، بعد ان قتلوا حراسها الخمسة ، وتصدى لهم

( ٦٥ ) جريدة جيروساليم بوست ، العدد ٧٤٦٦ الصادر في ١٩ من يناير ١٩٤٨ .

اليهود محاولين استرداد بقريهم ، فقامت معركة خسر فيها اليهود اربعة من القتلى ، وبينما كان المناضلون يكمنون لقافلة يهودية قادمة من طبريا اذ جاءت خمس مصفحات بريطانية تحرس تلك القافلة ، وتحلق عليها طائرتان من طائرات الجيش البريطاني ، وطوقوا المناضلين العرب الذين أحسنوا الانسحاب قبل ان يلحق بهم الجنود ( ٦٦ ) ، وكان المناضلون قد نصبوا لغما لتلك القافلة ، ونسف المجاهدون جسر الشراء فاضطر ركاب سيارات يهودية تحمل عددا من المسلحين للهبوط ارضا بسبب نسف الجسر ، فهاجمهم المناضلون وقتلوهم وكسبوا سلاحهم ، ويلحق بذلك نسف اربعة خزانات كهربية من جسر الجامع بحيث عاشت مستعمرات اليهود بمرج ابن عامر في نلام دامس .

ويثبت مؤرخ ( ٦٧ ) عربي رافق الاحداث يوما بيوم ان الخسائر كانت الى ١٧ يناير ( كانون الثاني ) عام ١٩٤٨ كما يلي :

١٠٥٠ عربيا

٧٥٠ يهوديا

١٠٣ انجليزيا

### معركة الماصيون :

كانت جماعة من اليهود يرابطون في الطريق لاعتراض السيارات العربية ، وفي احدى محاولاتهم اعترضهم العرب حينما كانوا يصعدون تل الماصيون بمنطقة رام الله ، وكان بين المجاهدين العرب عدد من المثقفين ( ٦٨ ) ، ودارت المعركة وانتصر العرب وقتل أحد عشر يهوديا ، ورفع ستة ايديهم رامين سلاحهم معلنين استسلامهم ، وحينما تقدم العرب لتسلمهم رماهم أحد اليهود بقنبلة يدوية فسلط العرب رصاصهم عليهم وأبادوهم .

### معركة شعفاط :

وتلك معركة شعفاط حيث هاجم المناضلون الفلسطينيون ( ٦٩ ) قافلة

( ٦٦ ) كانت هذه المعركة في ٢٣ من يناير ١٩٤٨ .

( ٦٧ ) تعني به الاستاذ عارف العارف صاحب كتاب النكبة والفردوس المفقود من سبعة

اجزاء .

( ٦٨ ) كان بينهم الدكتور خليل بدران رئيس منظمة الشباب برام الله ، ولبيب حنينة رئيس الكشاف العربي بها وعبد الحليم عبد الصمد الشيخ الذي بلغ السبعين من عمره ، وعبد الرؤوف اسماعيل الذي كان يدير شركة السيارات الوطنية بتلك المنطقة .

( ٦٩ ) كانت في ٢٤ من مارس ١٩٤٨ .



يهودية كانت تمون بعض المستعمرات ، وحطّموا المصفحتين اللتين ترعيان القافلة ، وقضوا على حياة أربعة عشر يهوديا من رجال القافلة وجرحوا آخرين ، واستولوا على أسلحة كثيرة ، ولولا تدخل الجنرال ماكملان قائد القوات البريطانية في فلسطين لما توقفت المعركة ، ولقضى العرب على جميع رجالها ، وكانت هذه القافلة نفسها قد أطلقت نارها على قرية شعفاط العربية فقتلت تسعة رجال وفتاة .

وفي الوقت نفسه الذي كان فيه المناضلون الفلسطينيون يخوضون المعركة ضد المصفحات اليهودية عند شعفاط ، كان اخوانهم الآخرون يرابطون على طريق القدس - يافا ، وما أن مرت القافلة اليهودية الأخرى المؤلفة من ١٣ سيارة حتى حطموها جميعها .

### معركة الدهيشة :

ولم يمر يومان على معركة القافلة المقدسية ، حتى نشبت معركة كبرى أثبت فيها الفلسطينيون وجودهم بحق وصدق ، تلك هي معركة الدهيشة (٧٠) ، حيث اصطدم مائتا مجاهد من أبناء فلسطين النخريين في فرق الجهاد المقدس مع قافلة يهودية قوامها مائتان وخمسون رجلا من رجال جيش الهاجانا اليهودي كانوا يركبون أربعة وخمسين سيارة محروسة بأربع مصفحات عسكرية ، ودارت بين الفريقين معركة رهيبة قبيل شروق شمس ذلك اليوم ، وانفجرت الألغام العربية المبتوثة في طريق القافلة فقتل وجرح العديد من اليهود ، وأحاط المجاهدون برجال القافلة من جميع الجهات واستمر القتال بقوة وبعنف النهار بطوله وتبعه الليل أيضا .

وأشتركت الطائرات اليهودية في المعركة فحلقت أربع منها تحاول امداد المحصورين بالمؤن والعتاد ، ولكنها فشلت واسقطت واحدة منها ، وحين أدرك اليهود أنهم مفلوبون استنجدوا بالوكالة اليهودية التي استنجدت بالجيش البريطاني ، وجاء الجيش البريطاني مزودا بالمدافع ، يحاول فك حصار اليهود ، ولكن العرب كانوا قد تجمعوا من القرى المجاورة كل بما يملك من سلاح ، فقابلوا الجيش البريطاني برصاصهم ، وأنذروه بأن الألغام مبعثرة في طريقه ، وحذروه أن يتقدم معلنين أنهم على استعداد لقتاله ، وتراجع الجيش البريطاني ، ولم يتقدم خطوة واحدة ، واستنجد اليهود من جديد بوكالتهم ، وبالحكومة التي راحت تستنجد بكبار العرب وتفاوضهم كما تفاوض الهيئة العربية العليا طالبة فك حصار اليهود ، وأمام اصرار

(٧٠) كانت في ٢٧ من مارس ١٩٤٨ .

العرب القى اليهود سلاحهم بعد حصار دام ٣٦ ساعة متخلين للعرب عن ثلاث مصفحات وثمانين سيارات ركاب كبيرة وثلاثين سيارة شحن وثلاثين بندقية من طراز ستين ، وأربعين بندقية من طراز برن ومائة قنبلة انجليزية والمانيّة وقنابل ومسدسات كثيرة وطنا ونصف طن من ملح البارود والمتفجرات ، ومقادير كبيرة من الامتعة والذخائر ، وتسلمت الحكومة ١٥٩ يهوديا بينهم ٢٤ قتيلا .

### ١٢ - تأرجح أمريكا بين مشروع الوصاية وقرار التقسيم :

كان الموقف العربي من القوة والعزم بحيث مرت أحداثه منذ نوفمبر ( تشرين الثاني ) ١٩٤٧ الى آخر مارس ( آذار ) ١٩٤٨ وكلها أحداث بطولية عربية مصممة ، وقد رأينا أبناء الانتصارات في المعارك العديدة ، وعجز اليهود عن كسب أي نصر في معاركهم مع العرب .

وكانت القدس الجديدة محاصرة بقوات الفلسطينيين المجاهدين يمنعون الماء والغذاء وكانت عزائم اليهود فيها تسير الى الضعف والانهيار ، حتى قامت مظاهراتهم بداخلها يطلبون وقف القتال ، وحتى اضطروا الى توزيع المياه بالبطاقات ، وضاعت بهم الحياة وتجرعوا مرارة الحصار ، كان كل ذلك يجري وليس في الميدان الا شعب فلسطين وقلة مخلصه من المتطوعين العرب الذين تدفعهم العقيدة الاسلامية فأسرعوا الى الميدان يحاربون ويشاركون .

وتجاوبت شكاوى الصهيونية العالمية مع يهود القدس المحاصرين ، الذين انقطعت صلتهم بالعالم وبتل أبيب ، فتقدمت جموع اليهود الى مستر ترومان رئيس الولايات المتحدة الأمريكية طالبة العون والتدخل لانقاذهم من الهلاك .

وتغير موقف أمريكا التي طالما نادى بالتقسيم ، والتي اختارت وفدها في لجنة التحقيق ليكون صهيونيا أولا ثم دوليا ثانيا ، والتي عملت على التهويد السريع ذلك الذي لم يستطعه اليهود في ثلاثين عاما ، تغير موقفها أمام صلابة وتصميم شعب فلسطين ، وفي ١٩ مارس ( آذار ) ١٩٤٨ تقدم مندوبها في مجلس الامن السناتور « اوستن » ليعلم أن الولايات المتحدة لم تعد متمسكة بالتقسيم ، وانها تطالب بوضع فلسطين تحت وصاية الامم المتحدة . ولكن هذا الاعلان الذي أيدته بريطانيا وفرنسا وغيرهما من الدول التي نادى بالتقسيم لم يعش طويلا ، ذلك لان الصهيونية نادى ببطلانه ، وصرح وايزمان لاولئك الذين الحوا عليه بترك التقسيم :



« ان قوة العرب خرافة ، وان التراجع عن التقسيم سابقة خطيرة للهيئة ، وان نتائج العدول عنه أخطر من اقراره ، هيئوا لليهود نصف فرصة لينسفوا اسطورة العرب المسيطرة على العقول في الغرب (٧١) » .  
وسرعان ما تغير موقف الامريكان والانجليز وغيرهم ، سرعان ما تغير موقفهم جميعا .

تمسك « ترومان » من جديد بالتقسيم ، وفتح ميناء تل أبيب يستقبل السفن المأوى بالسلاح الثقيل وبالذخائر ، وواصلت بريطانيا مهمتها التي بدأتها منذ انتدابها في تسليح اليهود وتدريبهم ، وهي التي بالامس استغلت ضعف الدول العربية فأعرضت على تدريب الفلسطينيين بسوريا ، ها هي ذي تصمت عن السلاح ينزل ثقيلًا ومتنوعًا لليهود بتل أبيب لتقوى به جيوشهم ، بل انها تسلم اليهود في فلسطين في اواخر مارس ( آذار ) كميات كبيرة من سياراتها المصفحة والسلاح والعتاد والدبابات من معسكراتها في وادي الصوار ورأس العين وصرفند وغيرها (٧٢) ، وتعدد وصول السلاح لليهود من تشيكوسلوفاكيا في الكتلة الشرقية ومن امريكا ومن كل مكان في العالم الغربي المتعصب الاعمى ، وتوافد على فلسطين عديد من الضباط الامريكيين والبولونيين والتشيكيين والروس ماجورين لليهود ومتطوعين معهم .

وبقي عرب فلسطين في ميدانهم الكبير يجالدون اليهودية العالمية والاستعمارية الصليبية .

### ١٣ - متاعب الفلسطينيين في الحصول على الأسلحة :

على الرغم من القيود التي كانت مفروضة على العرب لمنعهم من حيازة السلاح ، رايناهم يقاتلون كل يوم وفي كل مكان قتالا تعددت اساليبه واختلفت صوره ذلك أنهم قد استطاعوا بصدق وطنيتهم الحصول على السلاح من مصدرين :

أما الأول : فهو ما اشتراه الفلسطينيون انفسهم بالأموال التي جمعوها من داخل وطنهم وبالأموال التي وصلت الى الهيئة العربية العليا ، فمدت المقاتلين في حيفا ويافا والقدس وبقية الجبهات بما أمكن الحصول عليه من سلاح وعتاد ومرتبات لمساعدة المقاتلين . وكان المصدر الثاني :

(٧١) مذكرات وايزمن باللغة الانجليزية ص ٥٧٩

(٧٢) المؤامرة الكبرى واغتيال فلسطين ص ٢٢٣

ما أمكن الاستيلاء عليه من القطارات والمسكرات البريطانية التي أخذ الفلسطينيون يهاجمونها بذلك السلاح القليل ، هجوما يقلب التصميم فيه كل مقاومة ، حتى أمكن في كثير من المرات الاستيلاء على كميات طيبة ومفيدة ، ولا ثبات ذلك يحسن ان نرجع معا الى البرقيات التي نشرتها الاهرام في حينها عن هذا الموضوع ، اذ أعلن رسميا ان جماعة مسلحة من المجاهدين هاجمت مستودعات الشرطة في الرملة واستولت على ٤٠٠ بندقية وثلاثة مدافع من طراز برن وستة مدافع رشاشة من طراز ستن و ٦٠ ألف طلقة ولكنها اضطرت الى التخلي عن سيارتين من السيارات المحملة بهذه الفنائم (٧٣) . وأذيع بلاغ رسمي آخر ان عددا من رجال جيش النجادة العربي هاجموا فصيلة من الجنود البريطانيين في منتصف ليلة ١٤ ديسمبر ( كانون الأول ) ١٩٤٧ على طريق القدس - يافا واستولوا على ٣٠٠ بندقية و ٦ آلاف طلقة من الرصاص ، ثم علم ان العرب تمكنوا من وقف أربعة قطارات حديدية بين حيفا واللد وأفرغوا شحناتها من المواد الغذائية والأسلحة وأعلن في تاريخ هذا الحادث نفسه أنهم هاجموا مركزا للشرطة واستولوا منه على سبعين بندقية وثلاثة عشر مسدسا ومقادير من الذخيرة (٧٤) .

ثم أذيع رسميا أن العرب هاجموا قطار البضائع في شمال فلسطين واستولوا على ما فيه ، وحين فتحت جماعة أخرى عربات القطار في محطة المجلد في منتصف ليلة الرابع والعشرين ولم يجدوا ما يطلبون انسحبوا دون أخذ شيء ، ثم هاجم المجاهدون حراس انابيب المياه الرئيسية فنسفوا هذه الانابيب ، واستولوا من الحراس على سبع بنادق وألف رصاصة . وتمكنت جماعة عربية أخرى ترتدي الملابس العسكرية من مهاجمة مخزن بريطاني للأسلحة في تل لتفنسكي ، واستولت على مائة بندقية بعد قتل جنديين بريطانيين وجرح اثنين آخرين (٧٥) . وكان المعسكر البريطاني بجنوب فلسطين هدفا لهجمات المجاهدين في سبيل الاستيلاء على السلاح حيث أذيع بلاغ رسمي بذلك خلال الشهر الأول من عام ١٩٤٨ (٧٦) . ثم اتجهوا الى مركز شرطة عكا فهاجموه واستولوا على مقادير من الأسلحة والذخيرة (٧٧) . وصدر بلاغ رسمي من دار الانتداب يفيد أن جماعة من

(٧٣) جريدة الاهرام ١٥ من ديسمبر ١٩٤٧ .

(٧٤) جريدة الاهرام ٢١ من ديسمبر ١٩٤٧ .

(٧٥) جريدة الاهرام اعداد ٢٤ و ٢٦ و ٣٠ ديسمبر ١٩٤٧ .

(٧٦) جريدة الاهرام العددان ٩ و ١٢ من يناير ١٩٤٨ .

(٧٧) جريدة الاهرام العدد ٤ من مارس ١٩٤٨ .



العرب ترتدي ملابس كونستبلات الشرطة أغارت على مركز البوليس بالمدينة القديمة بالقدس واستولت على خمس وسبعين بندقية وبعض مدافع ستن (٧٨) .

وحين عجز العرب عن غنم ذخائر وأسلحة حي ميكورحايم تولوا نفسه واتلافه وكان هذا قبيل وصول الجيوش العربية .

على أن هذه الحوادث نوردها على سبيل المثال لا الحصر ، وكانت هذه الكميات من الأسلحة توزع على سكان المدن والقرى في مختلف أنحاء فلسطين ، ليشترك الجميع في الدفاع وفي الهجوم ، وأنه لا ريب عمل فدائي مهم برغم عدم كفاية الكميات وتناسبها مع المعركة والاستعداد المقابل .

#### ١٤ - لجنة الجامعة وكفاح الفلسطينيين :

على أن هناك مصدرا ثالثا لا بد من ذكره ، وأن كان ذكره لا بد أن يجرنا الى تحميله مسؤولية كبيرة عندما وقف حائلا دون تسليح عرب فلسطين ، وآثر جيش المتطوعين عليهم ، ونعني بهذا المصدر اللجنة العسكرية للجامعة العربية في دمشق .

ولقد أثبتنا قبلا تلك الكميات الصغيرة التي زودت بها اللجنة عرب فلسطين ، وكانت كمية لا تعدو الفا وستمئة قطعة وزعت بين حيفا وصفد وطبريا ويافا والقدس وبعض القرى في المنطقة الشمالية (٧٩) ، وكان قسم كبير منها بدون ذخيرة وقسم آخر لا يصلح للاستعمال .

والتاريخ لا يففل ، أنه حينما أمكن توفير كميات من السلاح لشعب فلسطين ، اعترضت جهات رسمية عديدة في الدول العربية ، ووجهت المال والسلاح الى لجنة الجامعة ، وذلك محسن البرازي وزير الخارجية السورية يوضح في مذكراته التي نشرت بלבنا أوجها عديدة من طرق منع السلاح والمال عن الفلسطينيين ويقول : « عندما تبرع الشعب العربي في المملكة السعودية بنحو نصف مليون جنيه خلال أيام قليلة للمجاهدين الفلسطينيين عام ١٩٤٧ ، تدخل المسؤولون العرب طالبين تحويل المبلغ الى الجامعة لا الى الهيئة العربية الفلسطينية التي ألغتها الجامعة وتولت قيادة الجهاد في فلسطين ، وحين تقرر في الرياض أيضا مد المجاهدين الفلسطينيين بكميات من السلاح والذخائر بواسطة المفتي باعتباره رئيس

(٧٨) جريدة الاهرام العدد ٢ من مايو ١٩٤٨ .

(٧٩) المؤامرة الكبرى واغتيال فلسطين .

الهيئة حول السلاح تحت الحاح المسؤولين العرب الى اللجنة العسكرية بدمشق بدلا من ارساله الى المجاهدين .

بل ان البرازي ليذكر انه استقل طائرة لتبليغ رغبة المسؤولين العرب حكام الرياض وكان لهم ما ارادوا .

ولما سلمت مصر جزءا من كميات السلاح التي تعهدت بها الى الهيئة العربية ، نقلت الى فلسطين بواسطة محافظ سيناء وبعض ضباط الحدود ، اسرع أحد اعضاء اللجنة العسكرية بالحضور الى القاهرة فتسلم بقية السلاح ونقله الى دمشق (٨٠) .

ان عرقلة تسليح فلسطين كانت في بعض الأحيان تأخذ صورة أوضح وأعمق ، فقد تجمعت تبرعات لبنان واستطاع إبنائه أن يشتروا من بلجيكا ٧٨٥ بندقية و ١٧٥ رشاشا ، وصلت في تكتم وحذر سالة الى ميناء بيروت ، وكان مقررا تسليمها الى القائدين العربيين عبدالقادر الحسيني (٨١) وحسن سلامة (٨٢) ، ويقول باحث عربي عاصر تلك الأحداث وسجلها في حينها : « وصلت هذه الكمية العظيمة من الأسلحة والذخائر قبل وقوع معركة القسطل ببضعة أيام ، وكانت مكدسة في عتابر اللجنة العسكرية عندما حضر عبد القادر الحسيني يستنجد باللجنة العسكرية ويطلب سلاحا .. وقابله طه الهاشمي بالرفض والصدود وعدم المبالاة ، ولو سلمت تلك الكمية أو بعضها للمجاهدين لكان في الاستطاعة تجنب الكارثة (٨٣) » .

على أن هذا الباحث (٨٤) يضيف الى قوله هذا ما يفيد أن مندوبي اللجان القومية والمدن والقرى المهددة بالاجتياح اليهودي كانت تهرع الى دمشق طالبة اسلحة وذخائر من مخازن اللجنة العسكرية المكدسة بها ، وأنها كانت تعود فاشلة آسفة بعد أن تسمع من طه الهاشمي قارص القول والسخرية والازدراء . وكانت تلك الوفود موضع اللوم والتأنيب أن هي حاولت مراجعة الهاشمي في بيته أو نوادي دمشق الذي كان حريصا على المحافظة على مواعيده لزيارتها .

وأنه لأمر محزن أن تمتنع لجنة الجامعة العسكرية عن امداد

(٨٠) طه الهاشمي ، جريدة الحارس العراقية ابريل (نيسان) ١٩٥٣ .

(٨١) استشهاد هذا القائد في معركة القسطل .

(٨٢) استشهاد هذا القائد في معركة رأس العين .

(٨٣) المؤامرة الكبرى واغتيال فلسطين .

(٨٤) اميل الفوري عضو اللجنة العربية العليا .



الفلسطينيين بالسلاح<sup>(٨٥)</sup>، والمركبة تلتهب ناراها في القسطل ، لأنها على حسب تعبير طه الهاشمي « تحتاج الى السلاح لإنشاء فوج جديد لجيش الانتقاذ من الاسماعيليين (٨٥) » وأنه لمنطق يشذ عن كل فهم ، أن يترك المحاربون الذين يحسون بالآلام النكبة ويريقون دماءهم وسط أرضهم دون سلاح ، انتظارا لإنشاء فوج لم يكون بعد ، ولعله لم يكون حتى الان .

وعلى الرغم من افتقار الفلسطينيين الى السلاح وعدم تدريبهم تدريبا كافيا ، حافظوا على عديد من مواقعهم ولم يستطع اليهود اجلاءهم عنها ولا احتلال أراضيهم الا بعد أن تم اقضاء شعب فلسطين عن ميادين القتال ، وتولت الامر دول الجامعة العربية السبع ، ولنضرب لذلك مثلا :

كانت المعارك في القدس تشتعل ليل نهار ، وكان اليهود الذين تمركزوا في اجزاء القدس الجديدة يحاولون ان يكتسحوا العرب من كل المدينة المقدسة القديمة والجديدة ، ولكن العرب صمدوا امام هجمات الهاجانا وزفاني ليومي ، بل انهم أحكموا الحصار على الحي اليهودي في المدينة القديمة منذ الرابع من فبراير ( شباط ) ١٩٤٨ ، فعاش اليهود في عزلة مبررة على الرغم من أن الجيش البريطاني كان يمددهم بالخضروات ومواد التموين . وكان القتال متواصلا بين اليهود المحاصرين وبين العرب ، وكان كل فريق يفقد عددا من رجاله يوميا بين قتيل وجريح ، ووسط هذا الحصار كانت قوات الهاجانا تهاجم العرب وتحاول فك الحصار فلا تفلح ، واستمر هذا الحصار أكثر من ثلاثة شهور حتى احتلها العرب مما سنفضله في صفحات لاحقة .

وكان حي المصراة في القدس حيا عربيا كثيف السكان ، وتلقى من اليهود ضربات مبرحة يرمونه بقنابلهم ويصطادون سكانه برصاصهم ، وحين هزم اليهود في معركة الدهيشة انزلوا جام غضبهم عليه وبلغ مجموع ما رموا به الحي في يوم واحد قرابة العشرين قنبلة ، فهدموا بعض اجزائه وقتلوا ستة من العرب وجرحوا اربعين آخرين ، ولكن العرب ركزوا على الحي اليهودي الذي اتخذته اليهود منطلقا وهو حي مياشوريم فدكوه بقنابل المورتر حتى أحدثوا به خسائر كبيرة ، وأعلنت صحفهم أن مائة وخمسة وثمانين يهوديا قتلوا في ذلك القذف العربي ، بل ان الآلاف ممن سكانه هجروه والتجأوا الى غيره من احياء اليهود ، وهنا تقدم المجاهدون الفلسطينيون يحاولون احتلاله ولكن الانجليز حالوا دون ذلك ، فقد تصدت

(٨٥) المصدر السابق ، ص ٢٤٨ .

لهم قوة منهم وأطلقت رصاصها على المناضلين العرب فجرحت منهم عددا كبيرا .

واستمر الترامي بين الفريقين دون هوادة ، الا خلال هدنة قصيرة فرضها الانجليز في شهر مارس ( آذار ) حيث استأنف اليهود ضرب حي المصراة في أواخره ، وفقد العرب كثيرا من الشيوخ والنساء والأطفال فيه ، حتى كان اليوم الرابع عشر من مايو ( أيار ) ١٩٤٨ حين رحل الانجليز عن القدس ، فتقدم اليهود واحتلوا المستشفى الايطالي الذي يكون نقطة استراتيجية مهمة بالنسبة للأحياء العربية ، وهاجم العرب اليهود يريدون اخراجهم من المستشفى ، واستمرت المعركة سبع ساعات ، وكان قوامها خمسة وستين شابا فلسطينيا يشاركون خمسة وستون متطوعا من جيش الانتقاذ ، وكان هناك عشرة من شباب فلسطين لم يجدوا سلاحا ، فخصصوا لنقل القتلى والجرحى ، ومضى اليوم الرابع عشر ولم يستطع اليهود زحزحة العرب من مواقعهم ، وفي اليوم الخامس عشر من مايو ( أيار ) استعمل اليهود مكبرات الصوت طالبين الى العرب الانسحاب من الحي ، ولم يستجب العرب لنداء اليهود ، ولكنهم كانوا على استعداد لأن تستمر مقاومتهم لولا أن أمر الحامية العراقية المدعو فاضل رشيد وهو المسئول امام اللجنة العسكرية للجامعة أصدر أمره بوجوب الانسحاب ، ووسط المفاجأة نفذ المناضلون أمر القائد ، ومرت ساعة على الانسحاب ، وعادت الى النفوس خواطرها المفكرة ، فكرر المناضلون (٨٦) ، ودارت من جديد معركة جديدة شديدة ، وانهار اليهود ، وانسحبوا بعد قتال دام ثلاث ساعات ، وفي الخامسة مساء كان العرب قد حرروا الحي كله . وحرروا مدرسة الأسوج والنوتردام ، وفكوا حصارا يهوديا كان قد ضرب على عشرين من جيش الانتقاذ فاجأهم اليهود في فندق رغدان (٨٧) .

كان اليوم الخامس عشر من مايو ( أيار ) هو الموعد المضروب لانتهاج الانتداب البريطاني في فلسطين ، وكان بالتالي هو اليوم المحدد لدخول الجيوش العربية الى فلسطين ، وحين كر الأبطال المجاهدون على اليهود كان الأمل يملأ نفوسهم جميعا أن الجيوش العربية قادمة ، والجيش العربي الأردني بالذات سوف يضل قبل غروب شمس ذلك اليوم ، وبذلك سوف تتوافر لديهم الذخائر وسوف يواصلون ضرب اليهود وطردهم من كل الأحياء بل من القدس الجديدة كلها .

(٨٦) كان قائدهم المجاهد الفلسطيني بهجت ابو غربية .

(٨٧) ص ١٤٦ - ١٤٧ . الفصل في تاريخ القدس .



ولكن اليوم المنتظر ذهب وذاب ، والجيش العربي يعسكر بعيدا لم يتحرك بعد لتنفيذ الواجب المقدس في فلسطين ، وبانتهاء ذلك اليوم كانت الذخيرة قد نفدت من المناضلين الفلسطينيين في القدس فلم يستطيعوا تقدما خلف اليهود المنهزمين .

وعندما انتصف الليل ١٦/١٥ مايو ( أيار ) ولم يبدأ العرب (٨٨) زحفا في المنطقة ايقن اليهود ان خصمهم ضعيف الحيلة ، فكروا من جديد واحتلوا ما خسروه نهارا .

ان سكان العالم العربي كانوا يفتون في نوم عميق ليلة ١٦/١٥ مايو ( أيار ) ١٩٤٨ بعد أن استمعوا الى اذاعات العواصم العربية تعلن بدء زحف جيوشها ، ولكن أولئك المناضلين في القدس لم يغمض لهم جفن ولم يناموا ، بل كانوا يبحثون عن السلاح في كل جانب ، وكانوا يستعدون في محاولة أخيرة لاسترداد ما غنمه اليهود ليلا ، وفي صباح يوم ١٦ مايو ( أيار ) خاض المناضلون معركة في هجوم قوي شنوه في استماتة وتصميم ، واستمرت المعركة حتى الواحدة ظهرا ، حيث طرد اليهود من الحي للمرة الثالثة ، وزحف المجاهدون حتى أبواب الحي اليهودي « مياشوريم » ، وعاد اليهود فهاجموا هذا الحي في ١٧ مايو ( أيار ) وانسحبوا مسرعين بعد أن نسفوا بعض عماراته ، واستمر الحي عربيا يحميه أبناء فلسطين ، ولم يضع الا في ٨ يونيو ( حزيران ) ١٩٤٨ ، وضاع من يد جيش رسمي مدرب ، هو الجيش العربي الأردني ، وكان الفلسطينيون قد نفذ عتادهم وحيل بينهم وبين القتال .

يصور هذا الكفاح المستمر استمساك شعب فلسطين بوطنه ، وقدرته على رد الأعداء ، ويقرب لنا الصورة التي نحتاج لرؤيتها عن تلك الأحداث المهمة خلال عام ١٩٤٨ ولا سيما احتياج أهل فلسطين الى السلاح ، احتياجا ظهر بوضوح في معظم المعارك التي خاضوها واحتياجا اضطرهم لأن يقف رجالهم بدون سلاح ، حتى اذا أدى أحدهم واجبه سلم سلاحه لغيره ، بحيث كانت القطعة الواحدة تدور بين عديد من الأفراد ، لقد كانت حامية القدس لا تزيد في مختلف أرجاء المدينة عن ٥٨٦ مقاتلا ، بينهم ١٣٥ من جيش الانقاذ والباقي من العرب الفلسطينيين موزعين بين

(٨٨) عبدالله التل : كارثة فلسطين ، ص ١٠٠ .

جهات المدينة (٨٩) ، وكانوا يصلون أحيانا الى ٧٥٠ مقاتلا ، ولكن الكثير منهم بقي بلا سلاح حتى يسلمه أحد المناضلين سلاحه ليأخذ قسطه من الراحة (٩٠) .

على أن لقاء تم بين اللواء طه الهاشمي باشا القائد العام لجيش الانقاذ ، وقنصلي مصر وسوريا في القدس ، وكان ذلك في ابريل ( نيسان ) من عام ١٩٤٨ حيث لاماه على قلة السلاح والعتاد ، فأجاب ان اللجنة لا تملك مالا ولا سلاحا ، وأن أكثر الدول العربية لم تف بوعدها ، ولا سيما حكومة مصر ، وأن السلاح الذي قدمته لا يصلح ، وتأثر قنصل مصر لهذا الخبر وقال « لماذا خدعت هذه الدول عرب فلسطين ؟ » .

على أن الحديث عن ضالة التسليح ، واللجنة العسكرية التي عينتها الجامعة العربية لتقود حركة الجهاد ، وتدفع عن الوطن العربي كارثة الصهيونية في فلسطين ، هذا الحديث يجرنا الى الحديث عن عون الانجليز لليهود وارهابهم للعرب حتى ألف العرب فرقة التدمير واستشهد قائدهم في معركة القسطل تلك الفاجعة التي استشهد فيها عبد القادر الحسيني البطل العربي الذي سيخلد في سجل الايمان والوطن .

(٨٩) كانت هذه الجهات هي الروضة والقطمون والشيخ جراح ، وادي الجوز ، البلدة القديمة ، البقعة ، السماعة ، ماملا ، عمارة الاوقاف ، ودار الهيئة العربية العليا ، وحي النوري ، والمصرارة وباب الزاوية .  
(٩٠) نكبة بيت المقدس ، ج ١ ص ١٥٠ .



## بطولة .. برغم المحنة

« هيا نرجع الى فلسطين كي نستشهد او نتصر على الاعداء ولنذكر قوله تعالى : فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ، ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما » .

الشهيد عبد القادر الحسيني وهو في الطريق الى القسطل حيث استشهد في ابريل ١٩٤٨

« انه ليستحيل علينا أن ننقذ غرناطة ولكن ما زال ثمة بديل للنفوس النبيلة ذلك هو موت مجيد ، فلنمت دفاعا عن حريتنا وانتقاما لمصائب غرناطة ، وحاشا لله ان يقال ان اشراف غرناطة خافوا ان يموتوا دفاعا عنها » .

الشهيد موسى بن ابي غسان فارس غرناطة بالاندلس عام ١٤٩١ م

« لقد فشل هجومنا الأول ولم تستطع وحدتنا اختراق تحصينات العدو ، وانسحبنا عن الأرض التي خضناها بدمائنا وكانت هجمات العرب عنيفة بحيث تداعت وحدتنا تحت وطأتها ، ثم كررنا على العدو ولكنه هزمنا في الجولة الثانية كما هزمنا في الجولة الأولى ، لقد هاجمنا يافا خمس مرات في يومين ورددنا على اعقابنا وبلغ من صلابة حماة يافا ان فكرنا في العدول عن اقتحامها واصدرنا الأمر بالانسحاب ولكن الهاجاناه خالفتنا وبقيت تحارب » .

مناحم بيغن يتحدث عن دفاع عرب يافا عن مدينتهم ١٩٤٨

« يا عرب حيفا انني لن أكون مسئولا عن ذبح العرب اذا لم توقع شروط الاستسلام لليهود قبل السادسة مساء » .

الجنرال البريطاني قائد حامية حيفا يغاطب سكانها لقد ردوا عليه بكلمة التاريخ .. لن نسلم مدينتنا

ولا يبنّي الممالك كالضحايا ولا يدني الحقوق ولا يحق وللحرية الحمراء باب بكل يد مضرجة يدق شوقي

ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم .

قرآن كريم

## الفصل التاسع الحرب بين عرب فلسطين واليهود

### ١ - مساندة الانجليز لليهود في المعارك :

كان من الواضح أنه منذ صدور قرار التقسيم والقتال يسود مختلف المناطق في فلسطين ، وكان قتالا بين عرب فلسطين الذين يعوزهم السلاح الكافي ، وبين جيوش يهودية منظمة مدربة مسلحة ، وكانت الجيوش اليهودية تنتظم في منظمات ثلاث كما جاء في تقرير لجنة التحقيق الانجلو - امريكية لسنة ١٩٤٦ (١) الهاجانا : وكانت بريطانيا تعترف بهذه كحرس للمستعمرات اليهودية ، وأصبحت تبعا لذلك جيشا يهوديا مدربا ، وكانت هي القوة الحربية الرئيسية والرسمية لدى اليهود في فلسطين وتضم ٦٢ الفا من الجنود المدربين والمزودين بأحدث الاسلحة ، وكانت تخضع لقيادة واحدة ولها ثلاثة أقسام هي :

أ - سكان المدن والمستعمرات وعددهم ٤٠ ألف مسلح .

ب - شرطة المستعمرات وتضم ١٦ ألف شخص مدرب ومسلح ومتفرغ .

ج - البالمخ او فرقة الصاعقة وتضم ستة الاف مقاتل مدربين في فن الحرب الحديثة ومزودين بالمدفعية الخفيفة وبوسائل النقل المصفحة السريعة .

عصابة شترن : وهي من المنظمات الارهابية وتضم ثلاثمائة ارهابي مدرب ومسلح ومزود بجميع وسائل النقل .

عصابة الارغون زفاي ليومي : الارهابية التي اشتهرت بأعمال ارهابية خطيرة وتضم في حالة الطوارئ ستة الاف شخص مدرب ومسلح .

هذا بالاضافة الى قوة الشرطة اليهودية المركزية التي كانت تخضع

(١) فلسطين تاريخا وعبرة ومصيرا ، ص ٢٢٤ .



للادارة البريطانية وعددها حوالي الف شخص مدرب ومسلح (٢) .

وكان مجموع المحاربين من اليهود عند صدور قرار التقسيم لا يقل عن سبعين الف مقاتل ، وفي هذه الصورة سرى القتال من شارع الى شارع ومن حي الى حي ، وفي اغلب المرات التي اشتعلت فيها النار بين الفريقين ، كتب النصر للعرب الذين كانوا يؤمنون بحقهم ويستمتعون دونه ، ولكن سرعان ما تخف دبابات الانجليز وطائراتهم لتحمي اليهود ، وتبعد العرب وتنزل بهم ضربات اليمه ، وفي اهدأ لحظات تدخلها كانت تعتمد الى خديعة العرب والفدر بهم . ولنسجل بعض تلك الاحداث :

### في حي المونتفيوري :

تجمع المجاهدون الفلسطينيون وهاجموا الحي اليهودي المشهور في القدس « المونتفيوري » واحتلوا جزءا من هذا الحي ، ولاقوا من اليهود مقاومة شديدة اشتركت فيها نجدات عديدة من الطرفين ، وعندما تمكن المجاهدون من نسف بعض المنازل اليهودية فيه ، تقدم القائد البريطاني منذرا المجاهدين بالانسحاب خلال نصف ساعة والا استعمل القوة ضدهم لاجراجهم ولم يكن بمقدور عرب فلسطين الا ان ينسحبوا (٣) وهؤلاء الانجليز أنفسهم هم الذين لم يتدخلوا عندما كان اليهود في اوائل ذلك الشهر ينسفون قسما من حي الشماعة العربي .

وأحس المجاهدون بالحسرة والالام أن يحرموا من نصر كادوا يحققونه ، وأن ترغمهم القوات البريطانية على الانسحاب حامية الفلسول اليهودية ، والواقع ان الانجليز لم يكونوا مكتفين بارجاع العرب عن اتمام انتصارهم ، ولكنهم في عديد من المرات كانوا يقاتلون الى جانب اليهود بمصفحاتهم ورجالهم ، وكان شعب فلسطين يتنادى للقتال فتسري نداءاته الى مختلف قراه ، فيسرع للجهاد لا يربكه ولا يثنيه الا قلة السلاح .

ولنقرأ معا ما سطره المؤرخ العربي عارف العارف عن معركة بيت سوريك الذي كان شاهد عيان لها :

### في معركة بيت سوريك :

فيما كانت رحي المعركة دائرة في مكان قريب من مستعمرة الخمس ،

(٢) تقرير لجنة التحقيق الانجلو - امريكية ص ٣٩ - ٤١ .

وانظر ايضا : تقرير حكومة الانتداب لسنة ١٩٤٦ ج ٢ ص ٥٩٢ .

(٣) كان هذا في ١٢ فبراير ( شباط ) ١٩٤٨ .

وكان قوام العرب خمسة وخمسين بينهم القائد عبد القادر الحسيني وابراهيم أبو دية وعزمي الجاعوني وفوزي القطب وكامل عريقات ، راح رجال الصاعقة اليهود المعروفون بالمالخ يهاجمون قرية بيت سوريك ، وكان معهم أربعة مدافع رشاشة واثنتان من طراز برن وآخران من طراز ستن . وأكد لي من اثق بحديثه من رجال الجهاد المقدس الذين اشتركوا في هذه المعركة أنه رأى بأمر عينه مصفحتين بريطانيتين من مصفحات قنوة الطيران البريطاني وهما تقاتلان في صفوف اليهود ، وقد أصلتا المناضلين نارا حامية من مدافعها الرشاشة ، وأحاطوا بالقرية والمجاهدين الذين فيها أحاطة السوار بالمعصم .

وذاع الخبر أن عبد القادر وصحبه في خطر ، وانتشر رسل القرية في القرى المجاورة يستنفرون القوم ويستصرخونهم للنجدة ، فلبى هؤلاء النداء ، وانسلوا الى الميدان من كل حذب ، وبلغ عدد المنجدين الذين خفوا للنجدة ألفا وبلغت حماسة الناس الى درجة لا توصف ، فرأيت بأمر عيني عندما كنت في سنجل وترمسعيا استنفر المناضلين لنجدة اخوانهم المحصورين فتى راح يتوسل الى ابيه الشيخ كي يسمح له بالذهاب الى ميدان الوغى بدلا منه ، وأبى الشيخ في البدء الا ان يذهب هو ثم عاد فاستجاب لرجاء ولده ، وسلمه بنديته وقال أذهب يا بني . . . وعين الله ترعاك . . . وكذلك قل عن أخوين كادا يتضاربان اذ ود كل منهما أن يكون مع الذاهبين ، وما كانا ليختلفا لو كان معهما بنديتان . واني لا قسم غير حاث أنه لم يتخلف عن القتال يومئذ سوى الضعفاء والمرضى والذين لم يجدوا دابة تحملهم أو سيارة تنقلهم ، وفي هؤلاء وامثالهم نزل قوله تعالى « ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم ولا على الذين اذا ما أتوا لتحملهم قلت لا اجد ما أحملكم عليه ، تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون » . وقصارى القول ما كادت شمس ذلك اليوم تجنح الى المغرب حتى كان النصر معقودا للعرب فرفع الحصار ، وأرند اليهود الى الوراء ، تاركين وراءهم أربعة وثلاثين قتيلًا وتسعة وعشرين جريحًا ولم يقتل من العرب سوى رجل واحد من بني صخر ، وجرح خمسة احدهم القائد ابودية (٤) .

وما أن انتهت المعركة ، حتى قصد المجاهدون مستعمرة الخمس اليهودية معترمين مهاجمتها ولكن رجال البوليس البريطاني ومعهم رجال من

(٤) نكبة بيت المقدس ، ج ١ ص ٩١ - ٩٢ .



البوليس اليهودي اشتبكوا مع العرب في معركة جديدة استطاعوا ان يردوهم الى بيت سوريك العزية ، وأن يحموا المستعمرة اليهودية ، وهكذا حال الانجليز بين المجاهدين واثمام نصرهم في معركة بيت سوريك ، كما حالوا قبلا بينهم وبين نفس فندق عدن اليهودي بشارع بن يهودا ، بل انهم أرجعوه حين هاجموا حي المونتفيوري في القدس الجديدة ، ونصب الانجليز انفسهم حماة لليهود بقوة السلاح ، بعد أن حموهم ثلاثين عاما بقوة القوانين والمشائق ، ولكن عرب فلسطين كانوا اباة ومكافحين ، انهم لا يميلون الى الارهاب ما لم يرغبوا عليه ، وعندما لم يجدوا وسيلة غيره يردون بها على ارباب اليهود عمدوا اليه ونفذوه .

### في قرية بيت صفا :

كانت قرية بيت صفا هادئة آمنة ، وحسب تنظيم الفلسطينيين لانفسهم كان بعض رجالها وشبابها يتولى مهمة الدفاع عنها ، وهي قرية صغيرة يسكنها الف وخمسمائة نسمة كلهم عرب مسلمون ، وتقع على تل القدس وبيت لحم والخليل (٥) .

هاجمها اليهود في أواخر عام ١٩٤٧ موزعين انفسهم على جماعتين ، ولكن القرية الصغيرة ثبتت في وجه المهاجمين وردتهم على اعقابهم ، واستمر القتال والثبات الى ان تدخلت بريطانيا ، حيث جاءت قوة بريطانية (٦) عسكرية الى القرية متظاهرة بأن قصدها الحيلولة بين المقاتلين .

وتقدم قائد السرية البريطانية الكولونيل هاربر ، فاكد لصاحب دار عربية كان قد استولى عليها أنه لن يسلمها لاحد سواه وأنه لن يسمح لليهود بالمجيء الى ذلك المكان ، ولكن بينما كان العرب مطمئنين الى ذلك الوعد ، اذ غدر بهم ، فأخلاها سرا يوم ١٣ من فبراير ( شباط ) ١٩٤٨ ، وتقدم لها اليهود فنسفوها ونسفوا غيرها من المنازل التي كانت تطل على مستعمرتهم ( ميكور حاييم ) واستطاعوا ان يتركزوا هناك في موقع استراتيجي ويواصلوا ضرب القرية ودور المجاهدين حتى انهم رموا أكثر من سبعين قبلة ، ولكن أهل القرية واصلوا الثبات والدفاع (٧) حتى قسمت نصفين بين اليهود والعرب في تسوية الهدنة المعروفة .

على أن تدخل الانجليز لم يقف عند قرية بيت صفا ، ولم يكن تدخل ذلك الكولونيل هاربر وغدره بالعرب تدخلا أو غدرا فرديا ، بل كان

(٥) نكة بيت المقدس ، ج ١ ص ٧٥ .

(٦) كان ذلك في السادس من فبراير ( شباط ) ١٩٤٨ .

(٧) المصدر السابق ، ج ١ ص ٧٦ .

ذلك صادرا عن سياسة بريطانية مبيتة تفصلها أحداثها في مختلف مناطق فلسطين ، فبينما كانت المعارك في القدس تشتد وتشتعل ، وكان المجاهدون الفلسطينيون يرمون الحي اليهودي بقنابل مورتر ، حتى أضطر خمسة الاف من سكان اليهود الى هجرته ، وأعلنت صحف اليهود أن مائة وخمسة وثمانين منهم قد قتلوا عندما حدث ذلك ، اندفع المناضلون الفلسطينيون مقتحمين الحي اليهودي لاحتلاله ، وكان احتلال ذلك الحي يعني تفرغ هؤلاء المجاهدين للعمل في جبهة أخرى من جبهات القدس العديدة ، ولكن الانجليز الذين كانوا يربطون في مركز البوليس ومعهم فريق من رجال الطيران البريطاني تصدوا للمجاهدين الفلسطينيين واستعملوا السلاح ضدهم ، حتى جرحوا عددا من المدنيين المناضلين .

### في حي القطمون :

وعندما اشتد القتال في حي القطمون بالقدس وكاد العرب ان يحتلوا احياء يهودية تدخل الانجليز أيضا ، واستعملوا مدافع الهاون ، فقتلوا بها العرب وصدوهم الى الورا فاستشهد عربي .

### ٢ - العرب ينسفون الاحياء اليهودية :

أصدر القائد العربي عبد القادر الحسيني أمره الى رفاقه المجاهدين ان ينزلوا باليهود أكبر قدر ممكن من الخسائر ، وأن يتجهوا الى احيائهم ينسفونها حيا بعد الآخر ، وتقدم عديد من الشباب المخلص ممثلا للامر ، منفذا للتعليمات ، ومن حق اولئك الفدائيين الابطال أن نفخر بهم ونقرن أسماءهم بالاحترام والتبجيل ، ففي كل اسم منهم معنى حي للتضحية والجهاد وامكانية فعالة للعمل الجدي الثوري الصحيح ، وكانوا شبابا من مختلف انحاء فلسطين بينهم سوري واحد وأثنان من أبناء شمال أفريقيا (٨)

### نسف شارع هاسوليل :

تمكن قسم من الفدائيين من نسف شارع هاسوليل اليهودي فحطم وانهار عديد من عماراته الضخمة ، وقتل وجرح فيه خلق كثير من اليهود ونزح العديد الاخر منهم عن منازلهم (٩) .

(٨) هم : فوزي القطب ، ابو محمد الدمر ، محمد علي الكرد ، عادل شرف ، يعقوب ابو حليمة ، ياسر شرف ، خليل دكيرك ، زيد غنيم ، جواد الجاعوني ، محمد الشرفا ، يوسف الحايك ، محمود عيسى ، نادي عيسى ، عبوده غيث ، محمود الحنيني ، حلمي البرق ، محمود الكاوي ، عطا عثمان ، ناجي مصطفى ، كاظم صالح ، داود البيتوني ، عبدالله الكرد ، ادب الشامي ، عبد القادر التونسي ، عبد الرحمن السيلوي .

(٩) جريدة الاهرام ٢ من فبراير ١٩٤٨ .



## .. وحي المونتفيوري ؟

وتقدم البطلان ناجي مصطفى وعبد القادر التونسي ينفذان أوامر قائد الجهاد المقدس ، بنسف حي المونتفيوري ، ويسيران بعربة مليئة بالالغام ، وكان الحي محاطا بالأسلاك الشائكة التي نصبها اليهود لحمايته ، وكانت جماعة من جنود البالمخ الفدائيين اليهود ترابط في ذلك الحي ، وهي حذرة يقظة ، بعد أن نسف الفدائيون العرب حي هاسوليل ، وتوزع الإبطال الفلسطينيون يحمون الفدائيين اللذين يحملان الالغام (١٠) ، واستعملوا سلاحهم حتى شاغلوا اليهود ومكنوا لحاملي الالغام أن يعملوا في ثبات وأن يزيلوا الأسلاك الشائكة ، وتم تفجير لغم كبير كان وزنه نصف طن ، فقتل العديد من السكان اليهود ، وجرح الكثيرون ، وتساقطت المنازل وتضررت مئات العمارات (١١) .

## وشارع بن يهودا :

ولم تمض عشرة أيام حتى واصل القائد العربي عبد القادر الحسيني



لم يجد العرب ردا على الإرهاب اليهودي الا المعاملة بالمثل والصورة لشارع بن يهودا حين نسف الفدائيون العرب

(١٠) كان هؤلاء الحماة هم بهجت ابو غربية وجماعته وعادل شرف وفرحات وجماعتهما وابو احمد بركات وجماعته .

(١١) نكبة بيت القدس ، ج ١ ص ١٠٤ .

اعماله البطولية يعاونه اخوانه من شباب فلسطين ، فنسفوا شارع بن يهودا واستولى العرب على مصفحة من بوليس يافا ، وجاءت هذه تنهاتى تتبعها ثلاث سيارات تحمل كل واحدة طنا من المتفجرات ، وتركزت وسط الشارع المهم واشتعل الفتيل ، فتهاوى الشارع بعماراته ، وبلغ عدد القتلى والجرحى من اليهود ما يقارب ثلاثمائة شخص ، وقدرت الخسائر بمليونين من الجنيها (١٢) .

## والوكالة اليهودية :

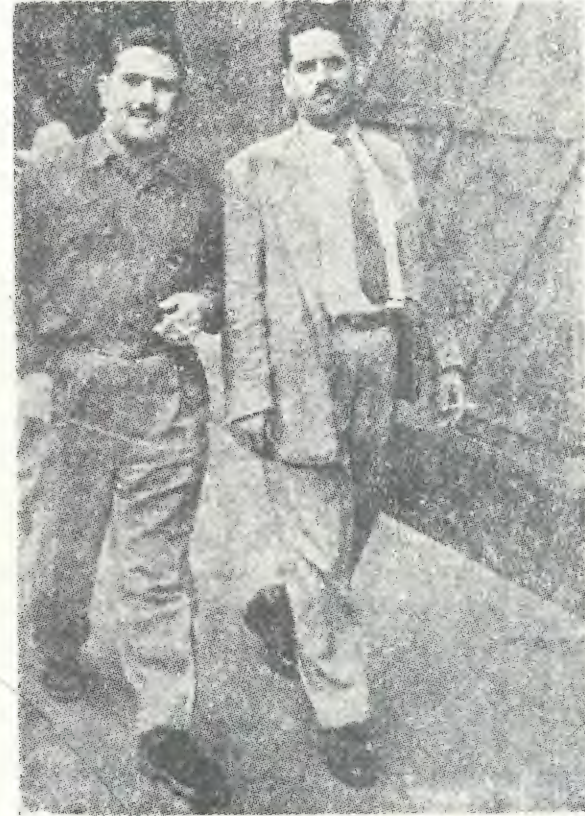
انهارت دار الحكومة اليهودية التي سيطرت على فلسطين منذ أن احتلها الانجليز عام ١٩١٨ . فلقد ضمن الانجليز صك الانتداب نص الاعتراف بها وبحقها في التدخل لصالح اليهود ومستقبلهم وهجرتهم . ولقد كانت الهاجانا جيش اليهود المدرب تقوم على حراستها ليل نهار ، وما كان يدور بخلد اليهود أن احدا يستطيع الوصول الى تلك الوكالة وبنائها الضخمة المحروسة المحمية ولكن لم تمض عشرون يوما على نسف شارع بن يهودا ، حتى لحقت به دار الوكالة اليهودية . وعلى الرغم من أن الوكالة اليهودية كانت محمية بالرقباء والجنود اليهود ، فقد تمكن الفدائيون العرب منها باخلاص رافق هذا الشعب في أشد أيام محنته ، في ذات الوقت الذي كان ينظر بعيونه الى خارج الحدود ، متوقعا عونا عربيا فعلا ، فلا يصله الا القليل وغير المفيد .

كان الشاب أنطون داود عربيا مسيحيا يعمل سائقا لدى القنصل الامريكي العام بالقدس مستر ميكاتي ، وكان معروفا لدى الجيش الهاجاني اليهودي ، ولدى حراس دار الوكالة ، فطالما عبرها يوصل القنصل المذكور لمقابلة أحد زعماء اليهود ورجالهم ، وهم بذلك مطمئنون اليه لا يخشون منه وطنية ، ولا يتوقعون حراكا ، ومن حقهم أن يطمئنوا فالصهيونية بنت الامريكان المدللة ، ولا يمكن أن يوظف هذا القنصل الامريكي معه الا شابا وثق في اخلاصه لهم ، أو على الاقل تأكد من عدم اهتمامه بالاحوال العامة ، وخطأ أتجه اليهود في اطمئنانهم الى الشاب العربي ، فلقد كان يدرك حقيقة الموقف ، ويتفاعل معه مخلصا وطنيا ، وكان في سبيل مصلحة عليا يعمل صامتا ، لا ترقى اليه الشبهات ، ولا تحوطه منهم الظنون ، وفي ضحي الحادي عشر من مارس ( اذار ) ١٩٤٨ اجتازت السيارة الامريكية الفخمة الفورد موديل ١٩٤٧ رقم ٦٦١١ يقودها أنطون داود أسوار الوكالة اليهودية متحصنة بالعلم الامريكي الذي كان يرفرف عليها ، وظن الحراس أن السائق العربي الذي جاء بسيارة القنصل انما حمل رسالة للوكالة ، فدخل دون

(١٢) كارثة فلسطين ، ص ٧ .



اعتراض . كانت المتفجرات تزن أكثر من مائتي كيلو غرام معبأة في صندوق السيارة الخلفي ، وأوصلت بساعة زمنية محددة الوقت ، وانفجرت السيارة في الدقيقة التي حددها الفدائيون ، وعم القدس صوت الانفجار رهيبا مفزعا ، فدمر بيت المال اليهودي ومكتب المجلس الملي اليهودي ، وتسرب الخراب الى العديد من الاملاك اليهودية المجاورة وقتل ستة وثلاثون يهوديا بينهم عدد من كبار اليهود ورجالهم ، وجرح مئات آخرون ، وكان بين القتلى « يافة » مؤسس الكرن هايسود ، وابن زفي وشمويل دوب ، ويائيل متسي وغيرهم من كبار زعماء اليهود وأقطابهم (١٣) .



انطون داود ( الاول من اليمين ) شاب من بيت لحم فدائي تولى نسف الوكالة اليهودية في ١١ آذار (مارس) ١٩٤٨ وعبد النور جنحو ( من اليسار ) شاب من القدس فدائي تولى نسف شارع هاسوويل في ١ شباط ( فبراير ) ١٩٤٨ .

(١٣) نكبة بيت المقدس ، ج ١ ص ١٣١ . وانظر ايضا : كارثة فلسطين ، ص ٨ .

### ٣ - معركة القسطل :

استطاع اليهود ان يتغلبوا على خمسين مناضلا فلسطينيا من ابناء بلدة القسطل العربية ، كانوا يتولون الدفاع عنها ، وقد هاجمهم رجال البالماخ الفدائيون من جيش الهاجانا اليهودي في الثالث من ابريل ( نيسان ) ١٩٤٨ ، وكان اليهود يستهدفون فتح طريق الى القدس الجديدة التي احكم العرب حصار احيائها اليهودية ، ومنعوا وصول التموين اليها ، حتى ضج اليهود في المجالات الدولية طالبين الفوئ ، وتدخلت هيئة الامم قبل ان يفنى سكانها جوعا وعطشا .

وتجمع من العرب بعد سقوط القسطل حوالي الثلاثمائة مناضل ولقيف من مختلف القرى العربية تولى قيادتهم صبحي ابو جبارة ، ولقيف آخر من الجهاد المقدس يقوده كامل عريقات ، وجماعة من القطمون يقودهم ابراهيم ابو دية ، وجماعة اخرى من بيت صفا يقودها عبدالله العمري يرافقه المحامي انور نسيبة ، وآخرون من القدس يقودهم حافظ بركات ، وثلة من عين كارم يرأسهم خليل عنون ، وآخرون يرأسهم عبد الفتاح درويش (١٤) .

وابتدأت المعركة اثر هجوم رتبة العرب في ٤ ابريل ( نيسان ) ١٩٤٨ خسروا فيه بضعة شهداء ، وقتل من اليهود عدد كبير ولم يستطيعوا احتلال القسطل نفسها .

واستمرت المعركة طيلة اليوم الخامس ، وفي السادس منه هاجم العرب استحكامات اليهود وتحصيناتهم فأحدثوا بها خسائر مهمة ، ولكنهم لم يستطيعوا اكمال احتلال القرية ، فقد كان اليهود اكثر سلاحا واقتوى ، وفي منتصف نهار السادس كانت ذخيرة العرب قد اوشكت على النفاد ، وكان أحد قواد (١٥) المعركة قد جرح مع آخرين من رفاقه ، وكان عدد آخر قد استشهد وجاءت النجذات لليهود ، واستعملت الطائرات في تزويدهم بالمؤن والمعدات ، وبعث المقاتلون العرب يطلبون العون من اخوانهم سكان القدس ورام الله ، ولكنه كان عونا ضئيلا لا يفيد « وفاقد الشيء لا يعطيه »

يقول الاستاذ عارف العارف ، انه ذهب بذاته يستنهض همة الجيش العربي الاردني المعسكر في رام الله على بعد قريب من ميدان المعركة ويرجوه في الحال ان يتدخل لصالح العرب ، وأن يهاجم بعض المعسكرات اليهودية ليخفف الضغط على المناضلين ، ولكن صراخ الاستاذ عارف ذهب مع الريح ،

(١٤) نكبة بيت المقدس ، ج ١ ص ١٦٣ .  
(١٥) كان القائد الجريح هو المجاهد الفلسطيني كامل عريقات .



ولم يوافق القائد العام جلوب باشا البريطاني ، ولم يثر أو يتحمس أحمد صدقي الجندي قائد اللواء الاردني الرابع .

على أن هذا الجيش الذي رفض أن يساعد العرب أو يخفف عنهم ثقل القتال ، لم يجد مانعا من أن يتدخل لحماية اليهود عندما نشبت معركة حامية بين العرب واليهود في حيفا في الواحد والثلاثين من ديسمبر ( كانون الاول ) ١٩٤٧ والتي انتصر فيها العرب وصرعوا واحدا واربعين يهوديا ، فخفف هذا الجيش العربي الاردني وحال دون العرب واتمام نصرهم ، وأنقذ مئات من اليهود كان موتهم حتما في تلك المعركة الهائلة .

أن قلة السلاح دفعت بقائد الجهاد المقدس عبد القادر الحسيني الى أن يسرع الى دمشق التي اتخذتها اللجنة العسكرية للجامعة العربية مقرا : وأن يطلب اليها تزويده بالسلاح الكافي من رشاشات ومدافع ، وكان عبد القادر يحاول أن يضع أمام اذهان رئيس وأعضاء تلك اللجنة تفاصيل الموقف العسكري في فلسطين ، وأن اليهود يزدادون قوة على قوة كل يوم ، وأنهم لا يستعملون البنادق والمسدسات فقط ، بل أنهم مزودون بالرشاشات على مختلف أنواعها ومدافع الهاون والمورتر ومدافع الميدان ، بل أنهم يملكون طائرات يلقون بها المون لقائليهم ويضربون بها المحاربين العرب ، وأن العرب الفلسطينيين لا تعوزهم الشجاعة ، ولكنهم عزل من السلاح .

كان عبد القادر يحاول أن يستنهض هم تلك اللجنة ، وهو الوطني المحارب الذي يدرك عمق المأساة ويحس بالآلام الوطن ، ولكن لجنة الجامعة العربية كانت صورة من دولها عام ١٩٤٨ عدد ولا عدة ، وكم بلا كيف ، وفي اثناء ذلك جاءت الانباء بسقوط القسطل بيد اليهود ، فغضب غضبا شديدا ووجه كلامه الى طه باشا الهاشمي المشرف العام على جيش التحرير وعلى تلك اللجنة : يا باشا أن القسطل حصن منيع ليس من السهل استرجاعه بالبنادق الإيطالية والذخائر القليلة التي بين أيدينا ، أعطني السلاح الذي طلبته منك وأنا استردها ، ولقد كانت خطتي الى الآن أن أحاصر القدس والمستعمرات اليهودية وباب الواد وأن أمنع عنهم وصول الامدادات العسكرية والمون ، ونجحت خطتي حتى اضطر اليهود أن يemonوا رجالهم بالقدس وفي المستعمرات بالطائرات ، أما الان فقد تطورت الحال وأصبح لدى اليهود رجال وطائرات ومدافع وليس بأستطاعتي أن أحتل القسطل الا بالمدافع ، أعطني ما طلبت وأنا كفيل بالنصر (١٧) .

(١٧) يقول المؤرخ عارف العارف ان الكلام كان موجها الى اسماعيل صفوت ، ولكن سماحة مفتي فلسطين يقول انه كان موجها الى طه الهاشمي المشرف العام على اللجنة .

ورد الباشا العسكري للجامعة العربية « شونو عبد القادر ما أكو مدافع » ( اي لا توجد مدافع ) ونهض الشرباتي وزير دفاع سوريا وقال : « اذا احتل اليهود القدس فسوف نخرجهم منها أو نقتلهم فيها » .

وأدرك عبد القادر أنه يخاطب قوما ليسوا في مستوى أحداثه ، وكانت أمامه خارطة رفعها ورمى بها في وجه الباشا والوزير وقال بصوت مرتفع « أنتم خائنون .. أنتم مجرمون ، سيسجل التاريخ انكم اضعتم فلسطين ، سأحتل القسطل وسأموت أنا وجميع اخواني المجاهدين » . وغادر مكان اللجنة أسدا استولى عليه الغضب وتجمعت لديه المآسي ، وكان يرافقه صديقه قاسم الريماوي فقال له « هيا نرجع الى فلسطين كي نموت فيها الميتة التي وضعناها نصب أعيننا ، هيا نستشهد أو ننتصر على الاعداء ، ولنذكر قوله تعالى ( فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما )

ولم تمض عشرون ساعة حتى كان عبد القادر قد وصل القدس في حماسه المتواصل ، وغضبه المستمر ، رفض أن يخضع لنصائح من طالبوه بالانتظار ، فقد صمم أن يحارب وان يكون شجاعا يدين باستشهاده أولئك القابعين وراء مكاتب اللجنة العسكرية في دمشق أدانة لا ينسأها التاريخ ، بل انه ليدين العرب كلهم في مختلف ديارهم ، أولئك الذين بخلوا بأموالهم أن تبذل نسخية في سبيل تسليح الابطال ، الذين أخذوا على عاتقهم أن ينوبوا عن العرب والمسلمين في الدفاع عن فلسطين .

وذهب عبد القادر يحيط به عدد من رفاقه الابطال ووزعهم ، ابراهيم أبو دية يقود فصيلتين في القلب ، حافظ بركات يقود ميمنة الهجوم ، فريق من بدو هارون بن جازي في الميسرة ، وأبقى فرقة صغيرة يقودها صبحي أبو جبارة ، وأخرى يقودها الشيخ عبد الفتاح المزرعاوي أبقاهما كاحتياطي في منطقة قريبة ، ولم يضع عبد القادر وقتا ، فقبل أن ينتصف الليل في السابع من ابريل ( نيسان ) ١٩٤٨ بدأ الهجوم ، وكر الابطال على استحكامات اليهود ، واتصلت الميسرة والميمنة ، ولكن سلاح اليهود القوي كان قد أصاب قائد قلب الهجوم ابراهيم أبو دية بجرح بالغ ومعه ستة عشر من مجاهديه ، وأوشكت ذخائر المتقدمين على النفاد فلم يكن معهم أكثر من ثلاثة امشاط لكل بندقية وخمسة عشر مشطا لكل برن ، وتراجع المهاجمون الذين نفذت ذخائرهم ، ولكن عبد القادر تقدم مع بعض صحبه الذين جرح ثلاثة منهم وبقي أحدهم مع القائد ، وتوليا مجاوبة اليهود من مدفع صغير طراز ستن ومسدس عيار ٩ ملم وأوشكت الذخيرة على النفاد ، وأمر القائد رفيقه



الجريح أن يتسلل عسى أن يأتيه بالذخيرة ، وذهب هذا يجر دمائه من جراحه ، ولكنه سقط مغمى عليه .

بقي عبد القادر واحاط اليهود به وبمن كان وراءه من قواته ، وعند انبثاق فجر الثامن من ابريل ( نيسان ) كان أهل المنطقة قد علموا أن عبد القادر وصحبه مطوقون ، فخف المجندون من كل صوب ، من الجهاد المقدس ( ١٨ ) ، ومن حراس الحرم الشريف ( ١٩ ) ، ومن شباب القدس ( ٢٠ ) ومن أهل الخليل ( ٢١ ) ، ومن قرى الوادية ( ٢٢ ) ، ومن جيش الانقاذ ( ٢٣ ) وأيضا تجمع شعب فلسطين من أكثر مناطقها قربا ، كل بما يستطيع من سلاح كان مكلفا أن يدافع به عن منطقته ، وكان اليهود أكثر عددا وعدة ، ولكن الحماس الذي أثاره نبأ حصار عبد القادر أنسى الشعب معنى القلة والكثرة ، وتهاوت حصون اليهود أمامهم ، وانهارت مقاومتهم ، فدخلوا القسطل منتصرين ، وكانت جثث القتلى من اليهود تزيد عن الثلاثمائة والخمسين .

ووسط ذلك النصر كانت الصدمة ، كان عبد القادر الحسيني القائد الشجاع ملقى شهيدا عند أول بيت من بيوت القرية ، ولم يبق العرب في القسطل أكثر من ساعات ، فقد تجمع اليهود من كل صوب ، واستفلوا الفجعة التي شاعت عندما استشهد القائد ، واستعانوا ببعض المصفحات البريطانية تحت مظهر جمع موتاهم ، وحين علموا أن الحامية الباقية صغيرة ، أحاطوا بها وبدأوا عليها هجوما كبيرا .

يقول أحد معاصري الاحداث ان الكثير من المهاجمين العرب للقسطل ذهبوا مع جثمان القائد ليشتبكوا في توديعه ولم يبق بها الا قرابة اربعين مقاتلا ، يقودهم بهجت أبو غربية ومحمد عادل النجار ، وبقي عبد الحليم الشلف في صوبا بجوار القسطل ، وحين اشتد الهجوم اليهودي في الساعات الاولى من اليوم التاسع من ابريل ( نيسان ) استنجد المقاتلون باخوانهم فتحررت جماعة قوامها خمسة وسبعون مقاتلا بعضهم من جيش الانقاذ خليط من السوريين والعراقيين ، وبدل أن يسرعوا الخطى للمعركة قضوا ليلتهم في عين كارم ، ولم تثمر المساعي التي بذلها المحامي انور نسيبة لاقتناعهم

- ( ١٨ ) كان هذا الفريق يقوده قاسم الريماوي .
- ( ١٩ ) كان يقودهم الحاج عبد الحميد المدني .
- ( ٢٠ ) يقودهم بهجت أبو غربية ومحمد عادل النجار .
- ( ٢١ ) يقودهم عبد الحليم الشلف .
- ( ٢٢ ) يقودهم رشيد عريقات .
- ( ٢٣ ) يقودهم جمال رشيد .

في الاسراع لنجدة المقاتلين سوى أنهم أرسلوا لهم ٥٠٠ مشط من العتاد وفي الصباح التاسع من ابريل ( نيسان ) ١٩٤٨ سقطت القسطل بيد اليهود ودمروا كل ما فيها ، بيوتها ، وحصونها ومسجدها ( ٢٤ ) .

لقد رضي عبد القادر الحسيني أن يخوض معركة القسطل وهو يعلم علم اليقين أنه فقير الى السلاح ، فقير الى الذخيرة ، وأنه يواجه قوما قد اتموا تسليحهم وجاءتهم النجدة من كل صوب ، وأنهم يملكون مع المدافع طائرات ومعدات كبيرة .

نردد كثيرا على السنة الشعب العربي الذي كان يود أن يبقى



الشهيد عبد القادر الحسيني قائد « الجهاد المقدس » وشهيد يوم القسطل

( ٢٤ ) نكبة بيت المقدس ، ج ١ ص ١٦٤ .



عبد القادر لنجدة فلسطين والوطن العربي ، ولعله سيكون ركنا من أركان الجولة الثانية لو بقي ، تردد تساؤل معبر لماذا فعل عبد القادر ذلك ، أن هذا التساؤل أوضحه عبد القادر نفسه قبل استشهاده بساعات ، ألم يرد الخارطة في وجه لجنة الجامعة العسكرية بدمشق ويقول : « سيسجل التاريخ أنكم أضيعتم فلسطين ، ساحتل القسطل ، وسأمت أنا وجميع اخواني المجاهدين ( ٢٥ ) وكما يفعل الأبطال الذين يؤمنون بالشعب كأسرة ، وبالإسرة كجزء من وطن عزيز ترك عبد القادر خلفه بنتا وثلاثة أطفال وزوجة بارة شاركته الجهاد وقدمت معه وبعده كل جهد لأحبابه المقاتلين .

### ما أشبه الفارسين في القسطل وغرناطة :

ان تاريخ العرب والمسلمين يكرر على دوامه صورة البطولة في أفراده بين الحين والحين . وكان ممكنا لي أن أشبه عبد القادر الحسيني بيوسف العظمة عندما أكد أن معركة ميسلون غير مكسوبة ، وحين صمم قومه على خوضها ، خاضها وكان أول شهدائها ، وكان ممكنا لي أن أشبه عبد القادر بعمر المختار شيخ شهداء ليبيا الذي استمر يقاتل مع رفاقه حتى أسر وشنق ، ولم يكن هناك أمل في نصره على قوات الاحتلال الإيطالي الذي جاء بجهده الكبير وشأنه الخطير ، وكان ممكنا لي أن أشبه عبد القادر بيوسف بورجيل الذي تولى القيادة في وطني ليبيا بعد عمر المختار ، وحين أيقن ان الاعداء قد عزلوا المجاهدين ، ورحلوا القبائل الى المعتقلات ، وأقاموا الأسلاك الشائكة مع الشقيقة مصر ، وحين جاع رفاقه وتساقطوا هلكى امر البقية الباقية أن تهاجر الى الكنانة ، وحين وصلت وجدت كتابه يقول انه لا يليق بي مدفن الا داخل هذا الوطن ولم يبق في عمري بقية لانتظار وصدر البلاغ الإيطالي يقول ان الملازم برنديزي تقدم بعد معركة مع الثوار فوجد يوسف بورجيل قتيلا مع ثلاثة من رفاقه ولا تزال البنادق حامية في أيديهم ( ٢٦ ) .

كان ممكنا لي أن أشبه عبد القادر بأحد هؤلاء الأبطال ، ولكن الشبه يختلف جدا ،

لأن عبد القادر لم يكن معه الا أولئك المخلصون من شعب فلسطين وهم عزل من السلاح ضعاف من التدريب ، لا تقويهم الا روح الإيمان ، أما

( ٢٥ ) لقد نفذ عبد القادر وعده واحتل القسطل ، ودفع نفسه لله وللوطن ، يقول الاستاذ عارف العارف ( انه أراد ان يلقى ربه في ميدان الوغى وفيه لاقاه ) .  
( ٢٦ ) راجع بحثنا عن جهاد ليبيا ، مجلة العربي ، يناير (كانون الثاني) ١٩٦٥ .

القاعدة التي يعود اليها في العواصم العربية وفي اللجنة العسكرية للجامعة العربية فقد كانت قاعدة لفها الوهن ، وعمها التراخي ، وتكاد تكون مؤمنة بالهزيمة ، راضية بالنكبة ، بل لقد كان البعض يعمل لها ويسعى اليها .

اني لاشعر مع اختلاف الزمان والظروف والوقائع ان ابا موسى عبد القادر الحسيني اكثر شيها بفارس غرناطة موسى بن ابي الفسان ، يوم ان تقرر خضوعها للأسبان ، وهانت الكرامة لدى حكامها ، ذلك انه حينما اجتمع الزعماء في بهو الحمراء الكبير بغرناطة الاندلس ليقعوا عهد التسليم لفرديناند وايزابيلا ملك الاسبان وملكتهم ، وليحكموا على دولتهم بالذهاب وعلى أمتهم بالفناء والمحو ، لبث موسى بن ابي الفسان وحده صامتا عابسا وقال : « أتركوا العويل للنساء والاطفال ، فنحن رجال لنا قلوب لم تخلق لأرسال الدمع ، ولكن لتقطر الدماء ، واني لارى روح الشعب قد خبت ، حتى ليستحيل علينا أن ننقذ غرناطة ، ولكن ما زال ثمة بديل للنفوس النبيلة ، ذلك هو موت مجيد ، فلنمت دفاعا عن حريتنا ، وانتقاما لمصائب غرناطة ، وسوف تحتضن أمنا الفبراء أبناءها أحرارا من أغلال السفاح وعسفه ، ولئن لم يظفر أحدنا بقبر يستر رفاتة ، فانه لن يعدم سماء تغطيه ، وحاشا لله أن يقال ان أشرف غرناطة خافوا أن يموتوا دفاعا عنها » .

وصمت موسى ، وساد المجتمعين سكون الموت وسرح الخليفة ابو عبدالله البصر ، فاذا اليأس مائل في تلك الوجوه التي أضناها الألم ، عندئذ صاح : « الله اكبر ، لا اله الا الله ، محمد رسول الله ، ولا راد لقضاء الله ، انا لله ، لقد كتب علي أن أكون شقيا ، وأن يذهب الملك على يدي » وعندما رأى موسى ان الجماعة قد اخذت فعلا في توقيع صك التسليم نهض مغضبا وصاح : « لا تخدعوا أنفسكم ، ولا تظنوا ان الاعداء سيوفون بعهدهم ، أن الموت أقل ما نخشى فأمامنا نهب مدننا وتدميرها ، وتدنيس مساجدنا ، وتخريب بيوتنا ، وهتك نساينا وبناتنا ، وأمامنا الجور الفاحش والتعصب الوحشي ، والسياسة والأغلال ، وأمامنا السجون والانطاع والمجارف هذا ما سوف تراه تلك النفوس التي تخشى الموت ، أما أنا فوالله لن أشهده ثم غادر المجلس وأخترق بهو الاسود عابسا حزينا ، وذهب الى داره .

ويذكر مؤرخ اسباني « انه خرج مدججا بالسلاح من رأسه الى قدمه ، وأخترق شوارع غرناطة على ظهر جواده حتى غادرها ، وكان مغلقا خوذته شاهرا رمحه ، وكان جواده غارقا مثله في رداء من الصلب ، وما أن رأى الفرسان الأسبان حتى وثب الى وسطهم وطعن أحدهم برمحه وانتزعه من سرجه فألقاه الى الأرض ، ثم انقض على الباقيين يوالي فيهم طعنا وكانت ضرباته ثائرة وقائلة ، وكأنه لم يشعر بما أثخنه من جراح ، ولبت يبطش



بشهادة جامعة هي وكر استعمار وتبشير ، وقاعدة لإعداد العرب ، ثم رفع الشهادة التي سلمت له قبل هنيهة فمزقها أمام الجميع ( ٢٨ ) .

وعبد القادر كان بطلا في ثورة ١٩٣٦ وجرح في موقعة قرية الخضر وأسره الإنجليز فنقل الى مستشفى القدس ، وكان قائدا مقاتلا في ثورة ١٩٣٨ وحين حوصر في معركة بني النعيم قاتل حتى جرح جرحا خطيرا وتركه الجيش البريطاني بين الشهداء فحمله رفاقه الى مفارة قريبة من ميدان المعركة ثم أخذ في الصباح التالي وقطع المجاهدون الاسلاك التليفونية بمستشفى الخليل ومنعوا اتصاله بالخارج وارغموا الدكتور البريطاني على علاجه ، ثم أخذوه على ظهر بعير حتى دمشق حيث تم له العلاج ، وأشترك في ثورة العراق عام ١٩٤١ وكان قد درس الشؤون العسكرية ، ثم لجأ الى إيران وحين منع رفاقه من دخولها امتنع عن دخولها الا بهم وعاد ماشيا من كرمشاه الى بغداد مسافة الف كيلو متر قضوها في ٢٥ يوما ( ٢٩ ) .



صورة تاريخية لبناء الشهيد عبد القادر الحسيني في طفولتهم عام ١٩٥٠ واثنان منهم الان هما فيصل وغازي رهائن في سجون اسرائيل لانهما فدائيان من منظمة الفتح

( ٢٨ ) مجلة فلسطين : الهيئة العربية العليا لفلسطين ، العدد ٢٦ ، اول ابريل ( نيسان ) ١٩٦٣  
( ٢٩ ) المصدر السابق .

بالفرسان حتى افنى معظمهم ، غير انه اصيب في النهاية بجرح خطير ثم سقط جواده من تحته اثر طعنة اخرى فسقط الى الارض ، ولكنه ركع على ركبتيه واستل خنجرا واخذ يناضل عن نفسه ، فلما رأى أن قواه قد خارت ، ولم يرد أن يقع اسيرا لدى اعدائه ، ارتد الى الوراء بوثبة اخيرة والقى بنفسه الى مياه النهر ، فابتلعه لفوره ودفعه سلاحه الثقيل الى الاعماق ( ٢٧ ) .

ما أشبه ذلك المجلس المتخاذل في غرناطة بمجلس قادسية دمشق الذي ضن بالسلاح على عبد القادر وهو يعرف أن المعركة بلا سلاح هزيمة مقررة . بل ما أشبه أولئك الجالسين في غرناطة وهم يقولون « لا راد لقضاء الله ولا مفر من التسليم » ، بالجالسين في قادسية دمشق عام ١٩٤٨ وهم يقولون : « شنو عبد القادر ماكو سلاح ، ماكو مدافع » .

وما أشبه موسى أبى الفسان وهو يقول لذلك المجلس : ان لم يظفر احدنا بقبر يستر رفاته فانه لن يعدم سماء تغطيه ، وحاشا لله ان يقال ان اشراف غرناطة خافوا أن يموتوا دفاعا عنها « ما أشبهه بأبي موسى عبد القادر الحسيني وهو يخاطب تلك اللجنة في قادسية دمشق قائلا : سيكتب التاريخ أنكم اضعتم فلسطين ، أما أنا فسأحتل القسطل وسأموت في سبيل الله . والتاريخ يعيد نفسه ، وما أشبه بصيدهم الدابر .. بقربينا الفابر .

وفي مساء الخميس ٨ ابريل ( نيسان ) ١٩٤٨ ، أستشهد عبد القادر الحسيني ، وفي ظهر الجمعة ٩ ابريل ( نيسان ) صلي عليه في المسجد الاقصى المبارك ، ودفن في ثالث حرم مقدس في الاسلام .

#### من هو عبد القادر ؟

ان عبد القادر الذي استشهد في ابريل ( نيسان ) عام ١٩٤٨ لم يكن شخصا عاديا ، فهو منذ شبابه انسان ثائر وعربي مجاهد ، كان طالبا في الجامعة الامريكية بالقاهرة ، وكان الى جانب اهتمامه بالتخرج في قسم الصحافة والتاريخ ، كان يراقب برامج الجامعة ويهتم بأهدافها ، ويوم اقيم حفل التخرج وسلم الشهادة وحان وقت كلمته ، خاطب أولئك الجالسين من كبار الامريكيين ورجال مصر ، خاطبهم أنه لا يشرف بشهادة من جامعة القوم الذين يباركون الصهيونية ويحمونها ، ولا يسعده أن يفرح

( ٢٧ ) محمد عبدالله عنان : نهاية الاندلس وتاريخ العرب المنتصرين ، مطبعة القاهرة ١٩٥٨ ، ص ٢٢٣ - ٢٢٨ .



وحين أعلن التقسيم ، جاء الى مصر وأبتدا يشتري السلاح ويدرب الشباب ، وأنشأ مخبأ خاصا للسلاح في احدى ضواحي القاهرة ، واستعان بالوطنيين الضباط من مصر وسوريا لتحديد أهداف المجاهدين في فلسطين ثم عينه المفتي قائدا لفرق الجهاد المقدس فدخل فلسطين وحالفه النصر في جميع المعارك التي خاضها (٣٠) ، ومنها معارك القدس وبيت سوريك وبيت محير وقلندة وشعفاط وباب الواد وبرك سليمان وصوريف ورام الله وغيرها .

واستشهد عبد القادر عن زوجة كريمة برت للجهاد على الدوام ورعت ابنائه الثلاثة موسى وفيصل وغازي الذين نموا في بيت للجهاد عريق

وأخيرا ، أن عبد القادر الحسيني هو ابن زعيم فلسطين الكبير موسى كاظم باشا الحسيني الذي لم تمنعه سنه الكبيرة من الجهاد وقيادة المظاهرات ضد الانجليز ، حتى ضربه الجند في المظاهرة الكبيرة بيافا ، وتوفي متأثرا بجراحه بعد أيام ، وكان ابنه عبد القادر أحد جرحى تلك المظاهرة التي خرجت لتنادي بسقوط الصهيونية وسقوط بريطانيا التي حمت الصهيونية وفرضتها على فلسطين تلك المظاهرات التي نبهت العرب الى خطر هجرة اليهود ووجوب صدها قبل أن يستفحل الخطر .

#### عبد القادر صورة مكررة للقواد الفلسطينيين :

واذا تحدثنا هنا عن الشهيد عبد القادر الحسيني ، فلا يعني هذا انه كان صورة فريدة في جهاد فلسطين ، فان شهداءها لم يحصوا بعد ، ولكننا خصصناه بهذا الفصل لعلاقته بتلك اللجنة العسكرية التي كانت تقبع في دمشق باسم الجامعة العربية ، ولان استشهاده رافق الصورة المحزنة من قلة السلاح ونفاد العتاد .

على ان الثورات الفلسطينية المختلفة شهدت مصارع عديد من الابطال الذين كانوا يقودون مناطقها ومن لم يستشهد منهم عاش بعدها قليلا او كثيرا يحمل في جسمه اوسمة المجد من جراح وقروح .

كان ابراهيم ابو دية رفيقا لعبد القادر الحسيني في منطقة القدس ، وفي معركة القسطل ، وقد جرح في معارك عديدة ، ثم جرح يوم الهجوم على القسطل ، ثم اصيب بجرح خطر في معركة رامات راحيل اقعده عن

(٣٠) نكبة بيت المقدس ، ج ١ ، ص ١٦٧ .



الى اليمين الشهيد ابراهيم ابو دية  
مقعدا بسبب اصابته في معركة  
رامات راحيل

الحركة بقية حياته حتى توفي في لبنان مهاجرا متأثرا بجراح البطولات وكان حافظ بركات شقيقا لعبد الحفيظ بركات الذي استشهد بالخليل وآلى اخوه على نفسه ان يستمر جهاده ، فكان من الابطال الذين خاضوا معارك القدس وقادوا جوانب منها ، جرح في الحي اليهودي بالقدس القديمة وقلعت عينه اليسرى عند باب الخليل بعد استئناف القتال قبيل الهدنة الثانية وكان في عام ١٩٥١ لا يعي الاسماء والارقام بسبب اصابته في الدماغ في معركة الخليل .

على ان قواد الثورات في فلسطين كانوا الى جانب القيادة يتولون الاسهام في المعركة كلما نشب القتال ولهذا نجدهم يتساقطون شهداء في مختلف المناطق سواء في ثورة ١٩٣٦ - ١٩٣٩ او ثورة ١٩٤٨/٤٧ .

فذلك سعيد العاص كان قائدا وشهيدا في منطقة بيت لحم .  
وذلك الشيخ عبد الحفيظ ابو الفيلات قائدا وشهيدا في منطقة الخليل .

وذلك الشيخ حسن سلامة كان قائدا وشهيدا في اللد والرملة .  
وذلك خليل ابو لبن كان قائدا وشهيدا في منطقة يافا .  
وذلك عبد الرحيم الحاج محمد كان قائدا وشهيدا في منطقة طولكرم  
وذلك عارف عبد الرزاق كان قائدا في منطقة الطيبة وشهيدا غريبا في يوغوسلافيا .

وذلك الشيخ يوسف ابو درة كان قائدا وشهيدا في منطقة حيفا .  
وذلك محمد الصالح ابو خالد كان قائدا وشهيدا في منطقة السيلة .  
وذلك سرور برهم كان قائدا وشهيدا لحيفا .  
وذلك الشيخ فرحان السعدي كان قائدا وشهيدا في منطقة جنين .  
وذلك عبدالله الاصبح كان قائدا وشهيدا في منطقة صفد .



والعديد غير هؤلاء ممن لم نصل الى اسمائهم او مناطقهم ، والى جانب هؤلاء كان هناك عشرات الالوف من الشهداء ، وكان بينهم عدد كبير من رجالات فلسطين واعيانها ، وشبابها المثقف .

#### صراع مرير ومعارك فاصلة :

وهكذا لا يهدأ جزء من ارض فلسطين طوال هذه الحقبة ، فبينما تشتعل النار في اللد والرملة يدور القتال عنيفا في جنوبي فلسطين وفي شمالها ، وتتعدد الاحداث تعددا سجلته وكالات الانباء العالمية ، مما لا يتسع المقام لنشره هنا لتشابه احداثه وتكرار امكانه ، تشابها وتكرارا يحملان صورة صادقة لمواصلة شعب فلسطين جهاده ، حتى بعد أن تولت جيوش الدول العربية زمام المعركة ، ودخلت فلسطين في منتصف مايو ( ايار ) ١٩٤٨ .

واذا كنا لا نرغب في تكرار برقيات تلك الايام المليئة بالخطيرة ، فاننا لا نستطيع تجاهل ما دار في المدن العربية التاريخية مثل يافا والناصرة وحيفا وعكا .

#### ٤ - معركة يافا :

كانت يافا في أواخر عام ١٩٤٧ مدينة عربية كبيرة وجميلة ، ذات ميناء مزدهر على ساحل البحر المتوسط ، عرفت بنشاطها التجاري والثقافي ، وأنها مركز من مراكز النقل العربية في المنطقة ، ومن أغنى مدن فلسطين وأشهرها بتجارة البرتقال .

وقد أنشأ اليهود حيا في يافا سموه تل أبيب ، لم يتمكنوا من توسيعه في العهد العثماني ، وبقي صغيرا هزيلا حتى جاء الانجليز فنما وازدهر ، وبدأ هذا التل يأخذ شكل المدينة ، وبعد ان كان يضم مائة وخمسين منزلا في عام ١٩١٤ أصبح يضم ٢٠٠٠ منزل عام ١٩٢٢ تحت حماية بريطانيا وبرامجها ، وما جاء عام ١٩٤٧ حتى كانت تل أبيب تضم ٢٣ ألف منزل ومائتي ألف ساكن وبذل اليهود جهودهم ، فأستولوا على كثير من الاراضي التي تحد يافا من أغلب جهاتها فأنشأوا مستعمراتهم بيت فيجان وهاتيكا وريشون ليتزيون وميكافا اسرائيل .

وحين أعلن قرار التقسيم وتنادى العرب ، كان السلاح مشكلية المشكلات ، فتحت وطأة القانون الصارم الحكم على من يحوز سلاحا من العرب ، لم يكن بها الا عدد قليل من البنادق الايطالية سرب لها من مصر بعد الحرب



هذا المنظر ليس في ستالينجراد وحرب شوارعها ، انها يافا العربية وقد قاومت الانتداب والتهويد فهدمت بريطانيا احياءها العربية ١٩٢٧/١٩٢٨

العالمية الثانية ، ومرت يافا من تاريخ ابتداء القتال الى تاريخ انهيار المقاومة العربية فيها بمرحلتين مهمتين لا يمكن ونحن نؤرخ في صدق واعزاز لجهاد الشعب الفلسطيني الا أن نسجل مجملهما في وضوح وأمانة وإبلاغ .

كانت المرحلة الاولى هي التي بدأت منذ أوائل ديسمبر ( كانون الاول ) ١٩٤٧ الى اواسط فبراير ( شباط ) ١٩٤٨ وهي المرحلة التي تولاها سكان المدينة وبعض المقاتلين الفلسطينيين .

أما المرحلة الثانية فتبدأ من دخول جماعات جيش الانتقاذ في اواسط فبراير ( شباط ) من ذلك العام ، فأشترك قسم من هذا الجيش مع سكان المدينة في مهاجمة اليهود .

ولنأخذ أول خبر نشر في الرابع من ديسمبر ( كانون الاول ) ١٩٤٧ لنجده يشير الى وقوع معركة شديدة بين العرب واليهود في مناطق الحدود بين يافا وتل أبيب ، استخدم خلالها الفريقان الرصاص والقنابل اليدوية ، واستمرت المعركة عدة ساعات ، قتل وجرح خلالها من العرب تسعة وعشرون ، ولم تعرف خسائر اليهود بالتفصيل ، غير أنه علم أن واحدا من كبار ضباط الهاجانا « جيش الدفاع اليهودي » يسمى « موسى نيومان » كان بين قتلاهم .



وأعلن أنه بينما يستمر القتال تلتهم الحرائق المنازل والمتاجر اليهودية المتاخمة لحي المنشية العربي في يافا ، ويستمر القتال في السابع والثامن من ديسمبر ( كانون الأول ) ويعلن أن قتل هذه الأيام بلغوا ٤١ شخصا منهم ٢٨ يهوديا وان ١٥٠ جرحوا ، ويعلن أيضا أن العرب قاموا بهجوم في ساعات الصباح الأولى بالمدافع الرشاشة والقنابل اليدوية على حي « جبعات موسى » اليهودي ، وأصيب الفريقان بخسائر في الأرواح (٣١) .

ويستمر تبادل إطلاق النار متقطعا عند الحدود بين يافا وتل أبيب ، وبذبح رجال الهاجانا أنهم نسفوا دارا للقنصاة العرب في ضواحي يافا (٣٢)

وكان المجاهدون قد تمكنوا من التسلل الى ضواحي تل أبيب ، وأشعلوا النار في عدد من دورها ، ودخلوا ميناءها بعد معركة حامية عند ضواحيها ، وفرت النساء والأطفال اليهود في سيارات نقل ، وأطلق المحاربون اليهود اشارات ضوئية في سماء تل أبيب يطلبون نجدات الهاجانا ، وهاجم المجاهدون العرب في التاسع من ديسمبر ( كانون الأول ) مستعمرة هاتكفا اليهودية المتاخمة لتل أبيب ، ولم يتمكن اليهود المدافعون عنها من الثبات على الرغم من تلقيهم نجدات كبيرة وبعد معركة حامية انسحبوا الى تل أبيب ، بينما تقدم العرب الى قلب المستعمرة حيث هدموا عددا من منازلها وأشعلوا فيها النيران ، وأعلنت الهاجانا نفسها أنها اضطرت الى الانسحاب تحت وطأة الهجوم العربي (٣٣) .

وتستمر المصادمات اليومية ، وارتكب اليهود إحدى جرائمهم الارهابية فدخلوا يافا في سيارة شحن تصحبها سيارة صغيرة مجتازين شوارع المدينة الهامة ، وكانت السيارة الكبيرة مليئة بالقنابل الزمنية المفظة بالبرتيال ودمر انفجارها بنايات كثيرة ، وقدرت خسائر العرب بثمانية وعشرين بين شهيد وجريح ، ثم استشهد أربعة من العرب وجرح عشرة آخرون عندما صد المجاهدون هجوما يهوديا على أحد الأحياء بيافا .

واستطاع العرب وهم يواصلون المعارك في منطقة الحدود بين يافا وتل أبيب أن يتوغلوا في منطقة تل أبيب ، بعد أن دمروا جزءا من استحكاماتها ، وبينما تستمر معركة كبيرة في منطقتي الشيخ مراد وأبو كبير قرب يافا ، عمد الجيش البريطاني الى نسف مركز عربي في تلك المنطقة ،

وانفجر لغم يهودي بحي المنشية في يافا فأحدث أضرارا في المنازل (٣٤) .

وشن اليهود هجوما عنيفا على يافا استغرق خمس ساعات وبلغ مجموع قذائف المدافع نحو ثلاثمائة قذيفة ، وقدرت قوات اليهود المهاجمين بخمسمائة مقاتل جاءوا زاحفين من ثلاث جهات (٣٥) . ثم هاجم عرب يافا مدينة تل أبيب اليهودية وأطلقوا القنابل عليها ، وأشعلوا بها النيران . ولم يمض يومان حتى أطلق اليهود قنابل مدافعهم على يافا في صباح مبكر حتى بلغت مقذوفاتهم مائة قذيفة مركزة فأحدثت خسائر وحرائق ، وأصر اليهود على احتلال يافا ، عملا على تحطيم روح المقاومة لدى العرب فشنوا هجوما قويا حيث قابلهم المجاهدون بدفاع قوي ، ولكنهم احتلوا نقطة بوليس المنشية ومحطة السكة الحديدية ، وكر المجاهدون العرب عليهم في اليوم الثاني فدحروهم وحرروا المناطق المذكورة .

ودار القتال في يافا من شارع الى شارع ، ومن ركن الى ركن ، وتجدد هجوم اليهود بقوات كبيرة وبمدافع قوية ، واستولوا على بعض المناطق في يافا ، ويقف شعب يافا يدافع عنها في عزم وتصميم ، وتعلن القيادة البريطانية رسميا « أن اليهود ارتدوا عن المدينة بفعل الدفاع العربي وانزل العرب خسائر فادحة باليهود الذين وصلوا إطلاق نيرانهم على يافا أربعة وعشرين ساعة متواصلة » ودفع العرب في ذلك اليوم ستة وعشرين شهيدا وتسعين جريحا .

وبينما يعلن رسميا أن العرب استردوا ما كان اليهود استولوا عليه في الليلة الماضية (٣٦) وأن القتال استمر من شارع الى شارع ، يعلن أيضا أن اليهود الذين لم يستطيعوا حتى الآن اخضاع يافا برغم ما بذلوا من جهود وضحايا ، اتجهوا الى القرى المحيطة بها يخلونها ويتمون حصار قرية سلمة التي كانت تهدد جنوب تل أبيب .

\*\*\*

هكذا كانت وكالات الأنباء تذيع أنباء يافا على العالم ، وفيها استمرار للقتال في كل ساعة وحين ، وفيها تصميم على عدم الاستسلام لليهود الذين قواهم الانجليز ، وأمدوهم بالعتاد والسلاح .

(٣٤) جريدة الاهرام ١٦ من فبراير ١٩٤٨ .

(٣٥) جريدة الاهرام ١٥ من مارس ١٩٤٨ .

(٣٦) جريدة الاهرام . اعداد : ١ و ٦ و ٢٦ و ٢٧ و ٢٩ و ٣٠ ابريل ١٩٤٨

(٣١) جريدة الاهرام العدد ٤ و ٩ من ديسمبر ١٩٤٧ .

(٣٢) نكبة بيت القدس ، ج ١ ص ٢٣٢ .

(٣٣) جريدة الاهرام العدد ٩ و ١٠ من ديسمبر ١٩٤٧ .



وإذا كنا قد أشرنا في أول البحث عن يافا أن مدينة تل أبيب لم تكن إلا حيا من أحيائها ، فإن ذلك يحملنا إلى تصور القتال بين تل أبيب ويافا ، وأنه لن يكون الا قتالا عصيبا ومن مواقع قريبة استعملت فيه المدافع والبنادق والمواجهة القريبة وصراع الشوارع واليادين .

ولكي يستطيع سكان يافا وعددهم يزيد قليلا عن ستين ألف عربي بين رجل وامرأة وطفل مواجهة حالة الحرب ألقت يافا سبع لجان : لجنة اقتصادية : تشرف على أسواقها وتمنع التلاعب وتوفر الخبز للشعب .

لجنة دفاعية : تحسن خطوط الدفاع وتزود المجاهدين بالسلاح .

ثلاث لجان : للصحة والقرى والرخص وكلها تخدم القتال وتربط الصلات بالقرى وتكافح الأوبئة الناشئة عن القتال .

لجنة دفاعية : تحسن خطوط الدفاع وتزود المجاهدين بالسلاح ، وتصفح السيارات للقتال .

لجنة السلاح والألغام : وهي التي تضع الألغام وتصلح السلاح وتحاول صنع أنواع من السلاح المحلي (٣٧) .

أنه لوضع مشرف ليافا العربية أن تسلك هذا التنظيم المحلي وتضع أسسا تهتم فيها بالاقتصاد وسط قصف المدافع وتحسن دفاعها ضد اليهود ، وتقوي من وسائل دفاعها وتصنع السلاح والألغام ، ويزداد هذا الوضع اشراقا لدينا حين نعلم أن عديدا من الذين عملوا في لجنة السلاح والألغام استشهدوا أو أصيبوا في أثناء الأعداد ، وهذا هو المهندس الكيماوي سليم دمياطي أصيب وجهه في انفجار لغم ، وذلك فيصل الطاهر الذي خلف المهندس الكيماوي استشهد وسط أحداث يافا ، وغيرهما عديدون كثيرون .

وعمد أهل يافا إلى تنظيم أحوالهم ماليا ، فأخذوا من بيت المال التابع للهيئة العربية العليا ما يروونه كافيا لبداية النضال ، ثم فرضوا على الأهلين ضرائب محلية على البنزين والجمرك والسفر ، وأطعموا بذلك الجائعين وسلحوا المناضلين وأمنوا الجرحى وأغاثوا عائلات الشهداء الذين يتساقطون كل يوم ، وحين سنحت لهم فرصة الحصول على سلاح مفيد اضطروا عشرة من أبنائها إلى الاستدانة من البنك العربي ليدفعوا إلى البائع

(٣٧) نكبة بيت القدس ، ج ١ ص ٢٢٩ .

عشرة آلاف جنيه ثمنا لخمسمائة صندوق من عتاد البنادق (٣٨) .

وأتمت اللجنة تجنيد ٥٤٠ مقاتلا ، منهم ٣٧٥ في مراكز ثابتة و ١٦٥ قوات متحركة ، ولكن السلاح لم يكن يزيد على ٢٨٤ قطعة كما أوردنا قبلا ، أما قائد القطاع فكان الشيخ حسن سلامة (٣٩) .

ولكي تكتمل أماننا صورة الجهاد الذي حمل لواءه أهل يافا ، يجدر بنا أن نذكر أن هؤلاء المجاهدين قسموا على ١٣ قطاعا من قطاعات يافا ، ولم يكن أي قطاع يضم جماعة مكتملة التسليح فمثلا : كان حي الجبالية يدافع عنه خمسة وعشرون مقاتلا يقودهم عبد الباري الهيني ولم يكن معهم الا ١١ بندقية وثلاث رشاشات ، وكان حي جبل الريش يدافع عنه خمسة وعشرون مقاتلا يقودهم خميس أبو النيل وأخوه حمدي ، ولم يكن معهم الا ١٠ بنادق وثلاث رشاشات وكان حي أبو كبير يدافع عنه مائة مقاتل يقودهم الحاج عبدالله الناقه ولم يكن معهم الا ٢٠ بندقية وستة رشاشات ، وكان حي البصة يدافع عنه خمسة وعشرون مقاتلا يقودهم كاظم الحسيني ولم يكن معهم الا ١٢ بندقية ورشاشان ، وهكذا بقية الأحياء في يافا .

على أن هذا الضعف في التسليح لم يثن العرب في يافا عن التفكير في سد النقص لديهم ، فهم يعمدون إلى صنع القنابل وتركيب الألغام ، ويقول مؤرخ معاصر « أنهم صنعوا القنابل من أوعية ومواد كانت قبلا تستعمل لاطفاء الحريق ، ووضعوا في كل وعاء مقدارا يتراوح بين عشرة وعشرين كيلوجراما من المواد المتفجرة ، وكانت قوة الهدم فيها عظيمة جدا (٤٠) » .

وذلك شاب عربي يسمى « علي جبر » صنع الألغام صاروخية تعاون هو وشقيقاه محمود وزكريا على نسف سيارات اليهود ومصفحاتهم بها ، وكانت أنبوبة البوتاجاز تنشر في شكل مدفع يطلق أنبوبة اطفاء الحريق المليئة بالمتفجرات ، فكانت عامل هدم ورعب بين اليهود .

وكانت يافا محاصرة بالمستعمرات اليهودية من أغلب جهاتها (٤١) ، ومن جهة أخرى كانت جارتها تل أبيب التي يسكنها ٢٠٠ ألف يهودي المحمية بمستعمرات أخرى تقف شوكة إلى جانبها ، وكان جهاد يافا

(٣٨) المصدر السابق ، ج ١ ص ٢٣١ كان البائع أحد ضباط الجيش الأردني يسمى

حكمت مهيار .

(٣٩) المصدر السابق ، ج ١ ص ٢٣٢ .

(٤٠) المصدر السابق ، ج ١ ص ٢٣٦ .

(٤١) كانت هذه المستعمرات هي : بتاح تكفا ، مكفا إسرائيل ، واغروبنك ، بيت

فيجان ، هاتيكفا وريشون لوتسيون .



وبسالة شعبها محل استفراب للأعداء أنفسهم . قال مناحم بيغن قائد الارهابيين في منظمة الأرغون في كتابه الثورة « ان تل أبيب قاست خلال تلك الفترة من يافا وطاة الضرب الشديد ، وقد سقط من سكان تل أبيب حوالي ألف قتيل وجريح ، وكان القناصون العرب يرسلون الموت الى كل مكان ، حتى وصل رصاصهم الفتاك الى العمارة التي تعمل فيها بلدية تل أبيب » وأن الألفام التي استعملها العرب دمرت احياء يهودية كاملة ، وأن احياء أخرى أخليت يومئذ من سكانها فهامت آلاف العائلات على وجوها في قلب المدينة ، وعاش آلاف آخرون في الملاجئ والأقبية شهورا طويلة .

وادرک أهل يافا أن صنع الألفام ليس سهلا ، وأن المواد الصالحة لصنعها ليست متوافرة فعمدوا هم أيضا الى دمشق حيث اللجنة العسكرية وعادوا بلا جدوى .

على أنه في منتصف فبراير ( شباط ) ١٩٤٨ هبط يافا قائد عراقي موفد من اللجنة العسكرية التابعة للجامعة العربية ويصحبه ثمانون متطوعا ومائة وخمسون بندقية المانية وتشيكية و ١٥٠٠ طلقة انجليزية و ١٥ ألف تشيكية وطن متفجرات .

وصل القائد الى يافا فوجد نقصا كبيرا في عدد سلاحها وعتادها ، وقدم بذلك تقريرا ضافيا الى طه باشا الهاشمي والى اللجنة العسكرية مطالبا بسرعة امداد يافا ، وطالب لجنة دمشق أن تزيد وتقوي حامية يافا، فلم ينجح في طلبه الأول ، ولم ينجح في طلبه الثاني ، وغادر يافا بعد بضعة أيام من وصوله ، وعلى الرغم من أنه كان على سمعة طيبة واخلاص كبير ، فإنه لم يستطع أن يساهم في انجادها ، ولم يشترك في امجادها .

ووصل يافا المقدم عادل نجم الدين فتسلم قيادتها باسم اللجنة العسكرية ، وكان يرافقه الملازم أول شناوة عود ، والمرشح اسماعيل قاطع ، والملازم مهدي صالح ، والملازم محي الدين ، والملازم ابراهيم الاعظمي ، والرئيس عبد الجبار الشامي .

وكان نجم الدين يخضع لقيادة الشيخ حسن سلامة الثائر الذي تولى الدفاع عن قطاع يافا واللد والرملة ، ويرسل هذا القائد يطلب من اللجنة العسكرية أن تكون حامية يافا في وضع مماثل لما عند اليهود في تل أبيب ، انه يطلب ٣٦٠٠ مقاتل للقطاع ، كان يريد منهم ١٥٠٠ ليافا و ٥٠٠ لسلمة و ٥٠ لبيتا و ١١٠٠ لللد والرملة وقليلية وصرفند ، ولكن هذا الطلب الذي نادى به القائد الفلسطيني ذهب لدى اللجنة العسكرية مع الريح ،

بل ان طه الهاشمي رئيس تلك اللجنة يصرح « انه اجاب الشيخ حسن سلامة بأن مهمته الدفاع فقط ريثما يتم حشد قوات الانقاذ » .

وكان على الهاشمي وهو العسكري الذي يهيمن على رئاسة اللجنة من الجامعة أن يدرك أن الدفاع القوي هو الذي ينقلب الى هجوم ، وأن هذا الدفاع الذي يطعم بين الحين والآخر هو الذي ينقلب الى هجوم ، وأن هذا الدفاع الذي يطعم بين الحين والآخر بسلاح هزيل وقواد ليسوا في مستوى الخطورة ، قد ينهار ، وحينئذ ينعدم الدفاع ويتقدم الأعداء محتلين ، فلا تقوى الجيوش في منتصف مايو ( أيار ) على المجهود الكبير الموزع ، وكان عليه وهو القائد الكبير أن يدرك بما جرب حتى ذلك التاريخ أن رؤساء الدول العربية ليسوا جادين كجماعة للحرب ، وأن الخلاف بينهم كان واضحا .

ولو وضع الهاشمي أمامه هذه الاعتبارات لاهتبل فرصة تصميم أهل يافا وقراها على القتال ، وأمدّهم بالسلاح الثقيل والمتطوعين ، ليمنّهم من أن يواصلوا جهدهم على نفس النسق الذي ساروا عليه ، فأنى ثماره ( قبل أن يخضعوا للجنة ) .

ويعطي أحد القواد العرب صورة مذهلة عن نقص السلاح في أيدي مجاهدي يافا (٤٢) فيقرر أنه كان في منطقة الجبالية ستة وثلاثون مقاتلا يعوزهم السلاح ، وكانت هذه المنطقة تضم جنودا يوغسلافيين مسلمين كانت معهم بنادقهم ، وفي منطقة أبوكبير كان يوجد أكثر من سبعين مقاتلا بدون سلاح ، وكانت هذه المنطقة تضم عددا من المجاهدين المصريين ، وفي منطقة تل الريش كان يوجد سبعة وثلاثون مجاهدا لا سلاح لديهم .

وإذا كان القائد الجديد عادل نجم الدين قد سافر هو الآخر يطالب لجنة الجامعة بسلاح هام وعتاد ثقيل ، فإنه عاد بخمسين بندقية انجليزية وأربعة رشاشات . أعطيات قليلة ، ومساعدات واهنة هزيلة .

وجاء أيضا معه خمسة وسبعون مقاتلا من المتطوعين الحمويين المدربين في معسكر قطنا غير ان أهل يافا المجاهدين كانت نكبتهم مزدوجة بهؤلاء الحمويين الذين لم يكتفوا في يافا الا ثلاثة أيام نهبوا خلالها البلدة ، واستولوا على ما وصلت اليه أيديهم ، وغادروا مواقعهم ، فهاجمها العدو ، لقد عاد هؤلاء الحمويون الى يافا تحت الحاح واقناع القائد عادل نجم الدين ، ولكن الذين

(٤٢) هو القائد الشهيد حسن سلامة وقد كان يسجل في دفتره أحداث تلك الايام الخالدة وقد استقى المؤرخ عارف العارف بعض مادته التاريخية من هذا المرجع . انظر الفصل من تاريخ القدس ، ص ٢٤١ .



يسلبون سكان يافا ويتعاونون على نهب المدينة لا يمكن أن يكونوا سندا لها ، ولا أن يبذلوا في سبيلها رصاصة ولا روحا ، ولهذا كانوا عوناً على يافا لا عوناً لها .

وبينما كان أهل يافا ينتظرون العون من لجنة جامعة الدول العربية ، ومن الضباط الذين ترسلهم إليها ، ثبت أن عددا كبيرا منهم كان شرا هادما ليافا ونضالها في ساعاتها الفاصلة ، وليس أدل على ذلك من الملائم عبد الجبار العشي العراقي الذي جعل مهمته بدلا من الجهاد مصادرة مؤن الأهلين ، ومصادرة سلاح المناضلين ، حتى أدانته محكمة عسكرية بالسجن خمس سنوات لمصادرته تلك الأسلحة وتركه القرى المجاورة من غير سلاح ، ولتشجيعه الحمويين على مفادرة يافا في أخرج ظروفها ، ولم يثبت مع المجاهدين في ساحة الشرف والجهاد (٤٣) .

ولنحيط أكثر بما لاقى شعب فلسطين من هؤلاء الذين دخلوها منقذين فكانوا حربا عليها ، يجب أن نقرأ تقرير طه باشا الهاشمي المرفوع لجمعية انقاذ فلسطين ببغداد عام ١٩٤٩ والذي يقول فيه « أن محكمة قوة اليرموك حكمت على سناوا عود والمرشح اسماعيل قاطع اللذين جاءا مع عادل نجم الدين الى يافا بالسجن ثلاث سنوات لانصرافهما الى سلب المدنيين الفلسطينيين وزجهم في السجون وتعذيبهم وبيع الأسلحة بدلا من الدفاء عن المناطق المكلفين بها » .

وقبل ذلك كان تقرير الهاشمي في الشهر السابع من عام ١٩٤٨ يقول « أن الملائم مهدي صالح (وكان هو أيضا قد جاء يافا مع القائد نجم الدين) تصرف بالأسلحة تصرفا غير مشروع وأنه باع في أسواق بيروت تلك الأسلحة مع الأسلحة التي غنمها المجاهدون من العدو وأنه سجن شهرا وطرده من الخدمة (٤٤) » .

ماذا يمكن أن تخلف هذه المظاهر التي لاحظها أهل يافا في جمهرة كبيرة من المتطوعين ؟ انها بلا ريب خلفت الما واسفا ، وبذرت كرها وثقة مزعزعة وحقد ، وبأدل أولئك المتطوعون أهل يافا نفس الشعور ، فحل الكره محل الوثام ، والحقد محل التعاون ، وكانوا حربا وتشنيعا وتشهيرا ، واستفاد اليهود من وضع مريب متخاذل يعوزه السلاح وينقصه

(٤٣) تقرير طه الهاشمي رقم ١١٧ - ١٤ بتاريخ ٥ يناير ١٩٤٨ المقدم الى جمعية انقاذ فلسطين ببغداد .

(٤٤) المصدر السابق ، رقم ٥١٠٧ - ١٤ بتاريخ ٦ يوليو ١٩٤٨ .

المال ولا يمثله الا شعب أعزل وقلة طاهرة من المتطوعين .

وفي غمار هذا الجو المريب وعلى صدى نداءات أهل يافا الى اللجنة العسكرية بدمشق ، والى الملك عبد الله بعمان ، بدأ اليهود هجومهم الكبير ، لقد جاء اليهود في مائة سيارة خليطا من رجال الهاجانا والأرجون (٤٥) ، وكانوا مزودين بمدافع الهاون والموترو والبرن والقنابل المختلفة ومدفع مضاد للدبابات .

واستقبلت يافا لهب النار القوية ، وكانت حامية يافا يومئذ ٢٦/٢٧ ابريل ( نيسان ) ١٩٤٨ مؤلفة من خمسمائة من رجال يافا وأربعين عراقيا و ٦٥ مسلما يوغسلافيا و ١٥٠ من المتطوعين يقودهم الملائم العراقي سناوا عود (٤٦) ، وثبت المجاهدون الذين خف سكان يافا لمساعدتهم وسط المعركة ، واستمر القتال ثلاثة أيام ، وكانت يافا مقطوعة الصلة بالقدس وبكل القرى المجاورة ، قال مناحم بيغن قائد منظمة الأرغون الارهابية في كتابه « الثورة » عن تلك المعركة :

« في الوقت الذي اندفعت فيه وحدتنا لاحتلال الاستحكامات الامامية للعدو ، لعل صوت مدفع رشاش ثقيل من طراز شفندا وأخذ يحصد المهاجمين . يا الهي لقد تعلمنا من استحكامات المنشية في يافا ما تعلمته جميع الجيوش في الحرب العالمية الثانية في قتال الشوارع ، وهو انك لا تجد استحكاما حصينا أفضل من أطلال البيوت الخربة المهدمة حول خطوط الجبهة ، وفي قلبها ، لقد كان العرب يتخذون من أطلال البيوت وخرائبها خطوط دفاع عن يافا ، وظهر لنا أن خطوط الدفاع في المنشية كانت عميقة جدا مزدوجة ومثلثة وخماسية ، ويظهر أنها أقيمت على أيدي خبراء ، بحيث اذا استطعت الوصول الى الصف الأول منها تصب عليك الأجنحة والاستحكامات النار والكبريت .

لقد تخضبت الأرض بالحجارة والأطلال بالدماء ، وفي غرفة المراقبة تهشم رأس « صدوك » برصاصة اخترقته ، وأخذت فرقة أسعاف الميدان تنقل القتلى والجرحى ، لقد سقطوا بالعشرات ، وكانت الدماء تقطر من جراحاتهم ومن قلوبنا أيضا ، لقد فشل الهجوم الأول ، وارتدت عنه فلول وحدتنا ، ولم تستطع اختراق تحصينات العدو وتدمير عنق الزجاجاة

(٤٥) يقودهم جدمون ومناحم بيغن وغاليلي باهوشع وغيرهم من كبار قواد الارهاب فيهم .

(٤٦) راجع الصفحة السابقة من هذا الكتاب كيف ادين في محكمة عسكرية .





يهودي واحد يفادر يافا الى تل ابيب فيحميه اربعة من جنود بريطانيا

وهكذا تتدخل بريطانيا كلما حزب اليهود أمر ، فتكون الهدنة في مراحل حرب فلسطين المتعاقبة هي النكبة بالنسبة للعرب ، ويرضى قائد المدفعية ويعود الى نابلس . لقد كان في الامكان انقاذ يافا لو استمرت المدفعية تساعد ، ولو لم يرضخ جيش الانقاذ لهدنة تقترحها بريطانيا بين خصمين متحاربين منذ ايام امام ابصارها ، وكانت قد قوت أحدهما فحين غلب تدخلت بالحيلة لانقاذه .

وتجدد هجوم اليهود ، وكانت خسارتهم ٢٥٠ قتيل ، ولكنهم استطاعوا أن يحتلوا حي المنشية العربي ، وذبحوا كل سكانه ، لا يشفع عندهم كر السنين لدى الشيخ الواهن ولا بسمة البراءة لدى الطفل الصغير ، بل مثلوا بهم تمثيلا مرعبا مفزعا اليما .

لقد انسحب القائد المقاتل عادل نجم الدين وسحب معه ٣٠٠ مقاتل أخذهم بأسلحتهم وعتادهم ، سحبهم وسط المعركة الدامية ، لم يفكر في التاريخ ، ولم يرع سمعة الوطن المجاهد ، وخرج بمجرد وصول القائد الجديد (٤٨) .

وأدرك القائد الجديد ثقل المهمة في مدينة هدمتها القنابل ، وازدحمت

(٤٨) القائد هو ميشيل العيسى .

ذي الشكل الهلالي ، وارتدنا على أعقابنا ، وانسحبنا عن الأرض التي خضبناها بدمائنا ، وكانت هجمات العرب المعاكسة عنيفة بحيث تداعت وحداتنا المقاتلة تحت وطأتها ، واضطرت الى الانسحاب .

وملأنا الفراغ بقوات جديدة من الاحتياطي وكررنا على العدو ، ولكنه هزمنا في الجولة الثانية كما هزمنا في الجولة الاولى ، لقد هاجمنا يافا بأفضل قواتنا وأحسنها تدريبا ومرانا في القتال ، هاجمنا خمس مرات في يومين وليتين ، وفي المرات الخمس رددنا على أعقابنا وحملنا من ميادين المعركة ابطالا أعزاء علينا ، حملناهم مضرجين بدمائهم ، وبلغ من صلابة حمايتها أن فكرنا في العدول عن اقتحامها وأصدرنا أمرا الى قواتنا الأمامية بالانسحاب ، ولكنها لأول مرة في تاريخ الأرغون خالفت الاوامر وبقيت تحارب (٤٧) » .

وجمع اليهود كل قواتهم ، واستنفروا كل قادر على السلاح . وهاجموا يافا من جديد ، واستمر القتال ليلة كاملة ، وفقد اليهود كثيرا من رجالهم ، وأصبحت يافا مهددة بالسقوط ، ان الشائعات تنطلق بأن مصر على وشك أن تنزل جنودها في يافا ، وأن قائد يافا يواصل استنجاذه باللجنة في دمشق .

وكان القاوقجي يعسكر في شمال فلسطين ، ووسط محنة يافا ألحقت به اللجنة قيادتها ، فأقال نجم الدين وولي قيادتها الرئيس ميشيل العيسى على فوج أجنادين ، وأن يرافقه المقدم صالح مهدي صالح العاني بفصيل مدفعي وأربع مصفحات ليعينه على دخول المدينة المحاصرة ، يقول هذا « امتطيت المصفحة وتقدمت ، وسار الفوج خلفي ، وما كدنا نصل الى نقطة تقع على مقربة من المستعمرة « نيترفي » في ضواحي يافا ، حتى أطلق اليهود علينا وابلا من رصاص رشاشات ومدافع الهاون ، وبدأت المدفعية التي ركزتها قبلا في مواضع مهمة تقصف المستعمرة التي انهار برجها على من فيه ، وتقدمنا بعد ذلك بالمصفحتين ، وفر اليهود تاركين قتلاهم وهناك تقدم فوج أجنادين ودخل يافا ، ولم أخطر غير شهيدين وستة جرحى ، وعدت الى قرية « يازور » حيث تركزت مدافعنا وأمرت بأن تقصف تل ابيب ، فأرسلنا عليها ستة وأربعين قذيفة وأخذ اللهب والنيران تنتشر في أرجائها ، واستجار اليهود بالانجليز ، فتدخل هؤلاء ونادوا بهدنة بين المتحاربين » .

(٤٧) نكبة بيت القدس ، ج ١ ص ٢٥٢ - ٢٥٣ .



بالمشردين الذين هدمت بيوتهم ، وظهر فيها الجوع الذين لم يجدوا خبزا ، وأبرق الى القاقوجي قائده العام مستنجدا : « عادل يترك المدينة دون تسليم ويرفض التسليم ، الحامية انهارت ، وأسلحتها تبددت ، المدينة والحامية في حالة فوضى تامة ، وموقف عادل من هذا سلمي بل ربما ارتاح اليه ، نهب الجنود متاجر متعددة ، لا تستطيع أية شخصية السيطرة على الموقف دون وجود جيش نظامي يدعمها ، ثمانون بالمئة من الأهليين رحلوا وسيل الرحيل متواصل بشكل محزن ، اللجنة القومية لا تستطيع مداومة أعمالها لانقطاع مواردها (٤٩) » .

وأبرق من جديد يقول : « عادل غادر المدينة مع جميع العراقيين واليوغسلافيين بحرا ، والمدينة تكاد تكون مقفرة من السكان بعد ترحيل اليوم ، مقدرة المدينة على تموين من تبقى من الحامية تتوقف غذا ، أصدر القائد البريطاني أمرا بوجوب إيقاف الضرب من الطرفين حتى منتصف الشهر الحالي ، في حالة عدم امتثال اليهود للأمر ليس لدي ما يقف امامهم ، عدوى الفرار سرت لأجنادين ، انتظر تعليمات مستعجلة » .

وهكذا تدهورت الحالة في يافا ، دهورها جيش الانقاذ وقواده ، وضعف الايمان في قلوب بعضهم ، لقد استنفذ الشعب كل حيلة في القتال ، ثم رأى بأمر عينه القائد يسحب جنوده ، ويركب معهم البحر وسط قتابل اليهود وهجماتهم ، وماذا ينتظر من الرجال العزل والنساء المخدرات والاطفال الصغار بعد هذا .. وبعد أن يروا أمام أعينهم انسحاب حمايتهم ، وهجوم الجنود المنقذين على المتاجر ينهبونها ، وفرارهم من حصون القتال وخنادقه .

أغلق اليابانيون متاجرهم ، وكثر القتل والجرحى ، وازدحمت المستشفيات ، وارتفعت الأسعار ، ووقع الشعب بين نار اليهود يصلها وهوان المتطوعين يسومونهم الخسف ، وضعف التسليح يرهقه في القتال ، وانعزلت يافا عن العالم ، وأبرق أهلها الى الملوك العرب والرؤساء ، وتلقوا جوابا واحدا من رئيس لبنان : « أن أربع بواخر ستبحر الى يافا لنقل المرضى والجرحى » ولم تصل البواخر .

ونزع السكان الذين علموا بآبادة السكان في حي المنشية والتمثيل بهم ، نرحوا بعد أن نصحهم القائد العربي ميشيل العيسى وأخبرهم أنه لا جدوى من البقاء ولا من الدفاع ، فالسلاح غير متوافر ولا كاف (٥٠) . ونهبت المخازن ، وارتبك الأمن العام ، يقول مؤرخ عربي : « أنه عندئذ

(٤٩) نكية بيت المقدس ، ج ١ ص ٢٥٩ - ٢٦٠ .

(٥٠) المصدر السابق ، ج ١ ص ٢٦٢ .

تنفس سكان تل أبيب الصعداء ، وغادروا مخابئهم ، وانطلقوا في الشوارع يمرحون احرارا ، بعد أن قضوا في المخابئ شهورا طوالا » .

وفي ١٣ مايو ( أيار ) ١٩٤٨ وقبل دخول الجيوش العربية بيومين ، اضطرت لجنة الطوارئ في المدينة أن توقع لليهود في مركز قيادة الهاجانا بتل أبيب الصك التالي :

« أحمد أبو لبن ، صلاح الناظر ، أمين اندراوس ، أحمد عبد الرحيم ، يشكلون لجنة الطوارئ في يافا ، وبما أنهم يقيمون فيها لإدارة شئون العرب في المنطقة المذكورة أعلاه ، وذلك بعد أن أعلنوا يافا مدينة غير محصنة ، ومن أجل المحافظة على السلام ، وعلى مصالح العرب في المنطقة المذكورة لذلك فإنهم يصرحون ويؤكدون أن جميع العرب سينفذون جميع التعليمات التي أصدرها أو التي سيصدرها لهم قائد الهاجانا في تل أبيب ، وأي ضابط معين أو مفوض من قبله اليوم أو فيما بعد منفردا أو مجتمعين ، وكذلك فإنهم يصرحون ويؤكدون أنهم قرأوا التعليمات الصادرة اليوم من قبل قائد الهاجانا في لواء تل أبيب الى العرب في المنطقة المذكورة ، وأنهم وقعوا على هذه الأوامر اشعارا منهم بفهمها فهما تاما ، وأنهم يتعهدون بتحمل المسؤولية التامة بتنفيذ هذه التعليمات تنفيذا تاما من قبل العرب ، ومن المفهوم أن الهاجانا تحترم دوما ، وستحترم فيما بعد ميثاق جنيف وجميع شرائع وتقاليده الحرب الدولية ، واشعارا بما تقدم قد وضعوا تواقعهم في هذا اليوم الثالث عشر من شهر مايو ( أيار ) ١٩٤٨ على هذا الاتفاق في رئاسة الهاجانا في لواء تل أبيب (٥١) » .

وكانت تعليمات اليهود هي :

١ - أن كل طلقة نارية تطلق على أية منطقة يهودية أو على أي عضو من أعضاء الهاجانا أو أية مقاومة لهم ستعتبر سببا كافيا لإطلاق النار على المذنب .

٢ - تسلم الأسلحة الى ممثلي الهاجانا وتخزن في المكان والزمان اللذين يحددان فيما بعد .

٣ - على كل من يعلم عن وجود ألغام أو متفجرات صغيرة أو أية أشياء كهذه يجب أن يبلغ أقرب عضو من الهاجانا والا عوقب بشدة .

٤ - على جميع الذكور الموجودين في المنطقة أن يجتمعوا في المنطقة الواقعة بين شارع فيصل وعمر المختار وشارع الحلوة والبحر وكل من

(٥١) المصدر السابق ، ج ١ ص ٢٦٥ .



يوجد خارجها يعاقب بشدة . الى آخر الأوامر التي تنظم سلطة الاحتلال وتمكن العرب في ظاهرها من حياة هادئة .

وفي الرابع عشر من مايو ( أيار ) دخلت جيوش اليهود مدينة يافا العربية ، وتناست بنود الاتفاقية ، وأعملت فيها يد السلب والنهب والقتل والفتك .

لقد خسر اليهود من جماعة الأرغون ألف وتسعمائة وثلاثة وعشرين بين قتيل وجريح في يافا وقراها ، ولم تعلن خسائر الهاجانا والمدنيين اليهود .

أما العرب فقد كانت خسارتهم تناسب جهادهم البطولي فبلغت ٧٧٠٠ بين قتيل وجريح من الفلسطينيين والمتطوعين .

#### ٥ - معركة حيفا :

كانت حيفا مستهدفة من اليهود ، يسكنونها ويتكاثرون فيها ، وتسهل لهم بريطانيا تلك الأراضي حواليها ، حتى كادوا منذ أيام السلم يحاصرونها ، وبلغ عدد سكانها خمسة وسبعين ألف يهودي و ٦٢٥٠٠ عربي ، وحين أقر التقسيم في هيئة الأمم نوفمبر ( تشرين الثاني ) ١٩٤٧ طالب رئيس اللجنة القومية رشيد الحاج ابراهيم بتأليف حكومة عربية ترعاها الهيئة العليا ، ومنها تستمد النفوذ ، ولكن الجامعة العربية عارضت هذا التدبير وشجبت ( ٥٢ ) وقدر عدد المقاتلين اليهود فيها بخمسة الاف جندي مدرب ، وبينهم عديد من الضباط الروس ( ٥٣ ) والجميع مزود بالسلاح الأمريكي والمصفحات الروسية ، أما العرب فقد انضوا تحت اللجنة القومية ، واخذوا كالعادة يبحثون عن السلاح الذي حرموا منه قبلا ، وقسموا حيفا الى مناطق دفاع عشر ، واشتروا بأموالهم بعض السلاح ، وأمدتهم اللجنة العسكرية بكميات من سلاح آخر ، وأرسلت لهم أيضا الهيئة العربية العليا سلاحا من بيروت ، حتى أن رشيد الحاج ابراهيم تسلم ٨٩ بندقية فقط ، وأرجع ١٦١ بندقية لأنها غير صالحة ، وكذلك كان كل سلاح يصل حيفا يتبين أن قسما منه فاسد ، لا يصلح للقتال ( ٥٤ ) .

لقد كان وضع حيفا لا يساعد على الوفاق ، فلقد ساعدت بريطانيا اليهود على تطويقها من جهاتها الأربع بالمستعمرات العديدة ( ٥٥ ) ، وكانت

( ٥٢ ) المؤامرة الكبرى واغتيال فلسطين ، ص ٢٣٩ .

( ٥٣ ) اللواء طه الهاشمي ، جريدة الحارس ، بغداد العدد ٢٧ في ٢٨ من مايو ١٩٥٢ .

( ٥٤ ) نكية بيت المقدس ، ج ١ ص ٢١١ .

( ٥٥ ) المستعمرات هي ميشيك باجور ونيتير وعطيت وكريات آمال ورامات يوحنا وكفار حسيديم وباروس حنا وبنيامينا والخضيرة وزخرون يعقوب .

بطولة من شعبها أن يصمم على القتال لا سيما حين أدرك أن اللجنة العسكرية للجامعة بدمشق ليست في مستوى الأحداث وخطورتها ، ولو انسحب منها شعبها لما ناله لوم التاريخ ، وقد جربنا في الحروب كيف ينسحب المقاتلون استعدادا لجولة أو بعدا عن المخاطر ، وفي الحرب العالمية الثانية رأينا كيف انسحب الحلفاء من أوروبا ، انسحبوا من بعضها بعد قتال وانسحبوا من بعضها الآخر قبل أن تصلهم جيوش الألمان ، وفي تلك الحرب نفسها رأينا كيف قاتل الروس الألمان من شارع الى شارع في ستالينجراد ، وقبلها في مواقع الحدود ، ورأيانهم أيضا كيف انسحبوا من أماكن كثيرة قبل أن تصلهم جحافل هتلر المدمرة ، وفي ليبيا نفسها شاهدنا كيف انسحب الألمان أمام الانجليز حتى احتل هؤلاء طبرق وبنغازي ، ثم انسحبوا من هذه الأخيرة دون قتال ، ولم يقف انسحابهم الا في طبرق حيث أدركوا أنها منبع الحصون ، طبيعة الميناء ، بل لقد عاصرنا كيف اضطر الرئيس جمال عبد الناصر الى اصدار الأمر لجيشه بالانسحاب من سيناء وغزه حين أدرك أن خطة الانجليز والفرنسيين هي حصر الجيش بينهما وبين إسرائيل بعد نزولهما في قناة السويس ، ولكن أهل حيفا شذوا عن كل هذه القواعد التي سجلها التاريخ في السابق واللاحق ، لقد قرروا أن يقاتلوا دفاعا عن مدينتهم من شارع الى شارع ، وحين تعاونت بريطانيا مع الصهيونية علنا ، وخذلت العرب جهارا ، وأرادت أن تفرض عليهم لليهود صك اذلال وأستسلام رفضوا التوقيع وقاتلوا حتى النهاية ، وفي بداية ديسمبر ( كانون الاول ) بدأ العرب يتحركون في حيفا ، وعمدوا الى مخازن اليهود فأحرقوها ، واطلقوا عليها رصاص الرشاشات ، ثم غمسوا قطع القماش في البترول ورموا بها كتل الاخشاب والمتاجر ، وفي العاشر منه بدأ قتال الشوارع في حيفا ، وأبرق مراسل الاهرام يقول : « شهدت حيفا معركة حامية استعملت فيها كمية كبيرة جدا من الذخيرة ، وكانت لعلعة الرصاص تسمع في كل ركن وفي كل شارع ، وقد بدأت المعركة عندما قتل اليهودي جوزيف زليخ في سوق الشوام ، فهاجم اليهود بعد ساعة شابا عربيا في شارع ستانتون ، وأشهبوا المسدسات عليه واختطفوه الى جهة مجهولة ، وشن اليهود هجوما على نفس الشارع استعملوا فيه الرصاص والقنابل اليدوية والمدافع الرشاشة ، فتصدى لهم العرب وردوهم على أعقابهم ، وانتقلت المعركة من شارع ستانتون الى شارع هاشومير حيث كان اطلاق الرصاص أشبه بتساقط الامطار ، ثم تحولت المعركة الى حي وادي روشينا ، واستمرت المعركة التي أبتدت في الحادي عشر صباحا الى الساعة الخامسة مساء .

وتستمر المعارك في تلك الليلة نفسها ، وتنتشر الاهرام برقية جديدة لم



يجد مرسلها بدا من الاشادة بشجاعة العرب وبسالتهم وهو المدرك لقوة اليهود في تلك المدينة ولتصميم العرب على خوض المعركة الوطنية ويقول : « كانت مدينة حيفا خلال الاربع والعشرين ساعة الماضية مسرحا لسلسلة من المعارك بين العرب واليهود في الشوارع والبيوت والازقة ، وقد سجل العرب ضروبا من الشجاعة والتفاني والتفوق ( ٥٦ ) ونشبت معركة اخرى في حيفا صرع فيها ثمانية من الهاجانا اليهودية ، وحاول اليهود القيام بعملية نسف خطيرة عندما ألقوا ثلاثة براميل محشوة بالفرقعات الفتاكة في شارع ستانتون (٥٧) .

وتشيد الجرائد بأنباء القتال المستمر في حيفا ، ويصوب اليهود مدافع الهاون على الجماعات العربية التي كانت تغادر معمل التكرير فقتل بعضهم ، ولكن العرب يقابلون ذلك بهجوم عنيف على حي الهادار اليهودي فيصيبون عشرين يهوديا بين قتيل وجريح (٥٨) .

وحينما كانت طلائع شهر مارس (آذار) ١٩٤٨ تأخذ مكانها من تاريخ فلسطين ، وأحس اليهود بالتصميم القوي لشعب حيفا على القتال ، عمدوا الى ارباب يشيعون به الرعب بين السكان ، اذ فجروا سيارة شحن تحمل برميلا به اربعمئة رطل من المواد الناسفة ، فجروها امام دار السلام العربية المؤلفة من عدة طوابق ، وهي الدار التابعة للهيئة العربية العليا ، فاهتزت المدينة للحادث المرعب ، وتحطمت دار السلام ومعها المتاجر المجاورة وأصيب من شعب حيفا في هذا الحادث سبعة وستون شخصا كان قرابة ثلثهم شهداء (٥٩) .

ويشعر العرب أن الواجب يناديهم ليكيلوا لليهود بنفس الكيل ، فعمدوا الى نسف بناء شركة « سوليل بونيه » اليهودية ، وهو بناء يضم فرع الوكالة اليهودية ، فتحطم بكامله ، وكانت اصابات اليهود تقارب الخمسة والستين بين قتيل وجريح (٦٠) ، وفي ذات اليوم فجر اليهود الفامهم في شارع العراق ، فهدمت ثلاثة منازل عربية ، وأصيب عدد من الدور بأضرار بالغة ، وأصيب ثمانية وعشرون عربيا بين جريح وقتيل .

ويقول مؤرخ عربي بعد أن سجل كميات الاسلحة المرسلة من اللجنة العسكرية بدمشق الى حيفا وهي كميات بعضها قديم ومجموعها لا يكفي :

- (٥٦) جريدة الاهرام ، اعداد : ١ و ١١ و ١٢ من ديسمبر ١٩٤٧ .
- (٥٧) جريدة الاهرام ٤ من يناير ١٩٤٨ .
- (٥٨) جريدة الاهرام ٤ من يناير ١٩٤٨ .
- (٥٩) جريدة الاهرام ٤ من مارس ١٩٤٨ .
- (٦٠) جريدة الاهرام ٢٠ من مارس ١٩٤٨ .

لقد بذل المجاهدون من أبناء حيفا والقرى المجاورة لها كل ما في وسعهم من جهد للتغلب على أعدائهم ، وكادوا ينجحون ، وقاتلوا اليهود خمسة أشهر كاملة من ٢ ديسمبر ( كانون الاول ) ١٩٤٧ الى ٢٢ ابريل ( نيسان ) ١٩٤٨ فقتلوا من اليهود خلقا كثيرا ، ونسفوا معامل التكرير فحرموهم النفط والبنزين ، ودام القتال مرة بينهم وبين اليهود ستا وسبعين ساعة دون انقطاع من يوم الواحد والعشرين من ابريل ( نيسان ) الى الرابع والعشرين منه ، وكثيرا ما نشب القتال بين الفريقين في المنازل والازقة . وكانوا أحيانا يشتبكون بالسلح الابيض وبالايدي والعصي من بيت الى بيت (٦١) .

وكان الجيش البريطاني في حيفا شرا خطيرا على شعبها ، فحين نسف العرب سيارة يهودية محملة الفاما في شارع هاشومير وتضررت دور يهودية عديدة ، تقدم الجيش البريطاني فحاصر المنطقة العربية في وادي السناس ، وأعمل يد الخراب في الدور والاشياء ، وسمح لجنده وضباطه بالسرقة والنهب وأزال تلك الحواجز التي اقامها العرب في الشوارع ، وقبيل منتصف فبراير ( شباط ) حين أحرق اليهود اربع سيارات عربية ، أخذ القائد العربي يونس نفاع يلاحقهم ، فاعترضه الجيش البريطاني واودعه السجن ، وحال بينه وبين هذه المطاردة ، ولم يطلق سراحه الا مساء ، عندما كان الفاعلون قد أمنوا البعد لأنفسهم .

وفوجيء العرب بالجيش البريطاني في الرابع عشر من فبراير ( شباط ) يطوق جامع الاستقلال من البر والبحر مفتشا كل جزء ، وباحثا عن الاسلحة ولم ينته هذا الارهاب البريطاني الذي لم يوجه منه شيء الى اليهود في حيفا الا مساء ذلك اليوم .

وبينما كان محمد فخر الدين أورشان ، المجاهد التركي الذي تطوع للجهاد قادما من الاناضول يقود فريقا من الفدائيين معدا كمية من المتفجرات ، اذ اطلق عليه الجنود البريطانيون رصاصهم فاستشهد في أوائل مارس ( آذار ) (٦٢) .

ثم تلك المعركة الكبرى التي كانت طعنة اليمه في جانب المقاتلين فسي حيفا ، وهي المعركة التي حدثت بين قافلة السيارات العربية القادمة من بيروت وبين اليهود عند مستعمرة « موتسكين » فقد ساعدت بريطانيا اليهود في القضاء على تلك القافلة ، وقتل رجالها المهمين جدا ، اذ عرضت دبابة في وسط الطريق ، فحالت دون تقدم القافلة ، وأطلقت النار على السيارة

(٦١) نكبة بيت المقدس ، ج ١ ص ٢١٣ .

(٦٢) المصدر السابق ، ج ١ ص ٢١٥ .



الاولى ، فاستشهد ضابط اردني كان يقودها قبل ان يتمكن من استعمال سلاحه ، واحاط اليهود بسيارة مملوءة بالمتفجرات ويقودها سرور برهم من ابناء فلسطين فلما ايقن انه لا نجاة له ، نسف سيارته فاستشهد وقتل عددا من اليهود الذين احاطوا به ، واستطاع اليهود والانجليز الذين تجمعوا وتعاونوا ان يقتلوا عددا مهما جدا من مجاهدي حيفا وضباطها وعلى رأسهم قائد حاميتها الضابط الاردني الوطني محمد الحنيطي الذي اتفق مع لجنتها على قيادة المعركة فيها ، وقد بلغ شهداء العرب في هذا اليوم أربعة عشر شهيدا .

اذا كان الانجليز قد جاءوا بدباباتهم يساعدون اليهود ، ويقتلون العرب في هذه المعركة فهم انما يتمون يدهم البيضاء على اليهود في ذلك اليوم ، فقد ذكر الشيخ محمد نمر الخطيب صاحب كتاب « من أثر النكبة » ان ضابطا انجليزيا متزوجا من يهودية كان في مركز الناقورة بحدود فلسطين لبنان ، وانه سمع محادثة تليفونية بين القائد الحنيطي وبين القيادة العربية بحيفا ( ٦٣ ) ، فلا يمكن أن يتصدى اليهود مرابطين في ذلك الموقع المهم الا بأخبار من عيونهم في مركز الحدود ، بالاضافة الى الجيش البريطاني الذي شاركهم في المعركة .

وانهارت المقاومة في حيفا ، فقد كان العرب القليلو السلاح ، المحاطون بالاعداء من كل جانب ، يقاتلون عدوين في حيفا ، قوين مسلحين ، اليهود والانجليز .

لقد جمع اليهود جنودهم وهاجموا المناطق العربية ، وأعملوا سلاح الفتك والقتل في الجميع ، لا يفرقون بين ذكر وانثى ، ولا بين صغير وكبير واستبسل حماة حيفا في قتال جنوني ، لا امل لنصرهم فيه ، وأمتدّت معركة دامية رهيبة من صباح التاسع عشر من ابريل ( نيسان ) الى مساء الحادي والعشرين منه ، لا تهدأ نارها ، ولا تجف دماؤها ، والبريطانيون الذين ايقنوا أن كفة اليهود هي الراجحة يقفون في ثكناتهم لا يمانعون ولا يتدخلون ، وحينما أقبلت جموع عربية من القرى المجاورة تنجد المقاتلين العرب ، تحرك البريطانيون فحالوا بينهم وبين دخول حيفا ، وكثر القتلى والجرحى من العرب ، وسلط اليهود مدافع الميدان الكبيرة ، وقاذفات الالغام والمدافع الصاروخية .

سلطت هذه كلها الى المناطق العربية في حيفا والمدافعين عنها ، ولم يلق العرب سلاحهم ، ولكنهم تقدموا الى القيادة البريطانية بطالب لا يستغرب بين الاعداء في ساحات الحروب ، طلب تحتمه الانسانية وتفرض الاستجابة

(٦٣) عارف العارف ، مصدر سبق ذكره ، ج ١ ص ٢١٦ .

له ، ذلك هو نقل الجرحى العرب الى المستشفيات ، وكانوا كثرة كثيرة ، فرفض الانجليز ذلك ، على أن الانجليز الذين شاركوا اليهود في معاركهم ضد العرب في حيفا ، والذين صدوا امدادات القرى العربية المجاورة من الوصول الى ميدان المعركة ، والذين رفضوا القيام بأقل واجب انساني في نقل الجرحى الى المستشفيات على كثرتهم وخطورة نتائج تركهم ، هؤلاء الانجليز لم يكتفوا بذلك ، بل وقفوا في وجه المناضلين العرب يصادرون ما معهم من اسلحة ، ويتركونهم طعمة لجحافل اليهود وسلاحهم .

وبذلك تكون القوات العسكرية البريطانية قد اتمت في حيفا ذلك البرنامج الرهيب الذي ابتدأته بريطانيا لتهود فلسطين منذ دخول جيوشها عام ١٩١٧ ، ولم يعد هناك معنى للبقاء في حيفا بعد أن ملكت الاراضي المحيطة بها لليهود ، ومنعت السلاح والعتاد عن العرب ، وأسهمت في اضعاف مقاتليهم وقتلهم ، وبذلك انسحبت من حيفا في الثالث والعشرين من ابريل ( نيسان ) ١٩٤٨ قبل ثلاثة وعشرين يوما من الموعد الذي حددته عالميا لانسحابها ، بل لقد كان المفهوم أن بريطانيا لا تنوي ترك حيفا لاسباب عسكرية وللرغبة في جعلها مرفقا بحريا .

واستنجد أهل حيفا بقناصل العرب ، وبقيادة الجيش الاردني التي كانت ترابط على بعد اميال منهم ، ووقف الجميع يتفرون على مجزرة اريق فيها الدم العربي مدرارا ، وكان الامر اكبر من وجودهم أو أنه لا يعنيهم ، لا يختلف في ذلك قادة اللجنة العسكرية في دمشق ، وقادة السرية الاردنية المدربة المسلحة والتي تضم ٧٠٠ جندي .

لعل الوطنية لم تكن تنقص قوادهم قدر ما تنقصهم امكانية العمل والخضوع للقادة البريطانيين ، فقد ذكر مؤرخ عربي أن القائد الاردني هزه صوت السلاح يستعمل في عنف وشدة ضد قومه العرب في حيفا ، وعندما حاول التحرك لنجدتهم انذره القائد البريطاني باطلاق النار على جيشه لو فعل ذلك ، وتقدم مساعد الحاكم الانجليزي ( ٦٤ ) للمنطقة ، الحاكم الذي ينفذ شروط الانتداب وبنوده والذي اعلنت دولته أنها تتحمل مسؤولية الامن حتى منتصف مايو ( ايار ) ١٩٤٨ ، تقدم الى العرب يقول : « اذا كنتم تريدون تفادي قتل العرب في حيفا هذه الليلة ، عليكم الاتصال باليهود حالا والاتفاق معهم » وعندما جودل بمسؤوليته عن حفظ الامن حتى تاريخ انتهاء الانتداب ، كان جوابه : « تلك هي نصيحتي » .

ولم تنفع مراجعات العرب لحاكم اللواء ، ولا للقائد البريطاني ، فقد تنصل الجميع من أي اجراء ، وأعلن القائد البريطاني « أنه لن يضحى

(٦٤) هو المستر فايتير برنج .



بجنوده ولن يسمح للقوات العربية المسلحة ان تدخل المدينة لمساعدة السكان العرب ، وهو على استعداد فقط للتوسط بشرطة ان يقبل العرب الهدنة . وعلى اولئك الذين لم يحيطوا بأحداث فلسطين ان يدركوا هذه الصورة المفصلة الواضحة عن موقف حيفا في الايام الاخيرة لعروبتها ، وليجعلوا انفسهم قضاة قبل ان يصدر احكامهم على جهاد عرب فلسطين ، وهم لو فعلوا ذلك لادركوا ان سكان تلك المنطقة قد بذلوا اقوى ما يبذله مثلهم ، ولقد استياسوا في القتال ، وجاهدوا صادقين ، لم يابھوا لمنطقتهم المحاصرة ولا لقوات بريطانيا التي طالما اخضعت كثيرا من شعوب ، وعديدا من بلدان .

أما شروط اليهود التي قدمها القائد البريطاني الى المجموعة العربية ، فكان ملخصها كما يلي :

- ١ - أن تسلم خلال ثلاث ساعات الاسلحة الى الجيش البريطاني ، لتسلم الى جيش الهاجانا اليهودي في ١٥ مايو ( ايار ) .
- ٢ - ان يسلم الجنود الغرباء ليرحلوا بمعرفة اليهود ، وأن يسلم النازيون الموجودون في صفوف العرب الى الجيش اليهودي .
- ٣ - اعلان منع التجول ٢٤ ساعة لعمليات التفتيش (٦٥) .

وأخذ العرب يعقدون الاجتماعات ، ويتناقشون ، وكان أهل حيفا في حالة الفيض الشديد ، وهم برغم ضعفهم يرون في قبول هذه الشروط استسلاما مذلا تقدمه بريطانيا هدية سهلة في آخر أيامها الى اليهود الذين تبنتهم وقوتهم ، وتدارس القوم ، ماذا تكون النتائج لو قبلوا ولو رفضوا ؟ لو قبلوا ، فيسلمون مدينتهم العزيزة للغاصبين يرزاهم ، ولن ينالهم بعد ذلك الا الفتك والهوان ، ولو رفضوا ، فسوف لا يقطعون جبل الود التاريخي مع حيفا العربية ، ولكن لسلطان اليهود الغاشم ما يكون ، وقبل الساعة السادسة والنصف من مساء ٢٢ ابريل ( نيسان ) ١٩٤٨ ، قال الجنرال البريطاني للمندوبين العرب في دار البلدية : « انه لن يكون مسئولا عن ذبح العرب اذا لم توقع شروط اليهود حتى السادسة والنصف وأقبل المندوبون العرب وهم عزل الا من الايمان وحب الوطن ، وأبلغوا في تصميم الى القائد البريطاني ومندوب الجيش اليهودي قرارهم النهائي وقالوا كلمة التاريخ « لن نسلم مدينتنا » .

ودخل اليهود حيفا مساء الخميس الثاني والعشرين من ابريل ( نيسان ) ١٩٤٨ ، تحميمهم قواتهم العديدة التي خلقتها بريطانيا وحمتها وساعدتها بأجنادها ودباباتها .

(٦٥) المصدر السابق ، ص ٢٢٠ - ٢٢١ ، ج ١ .

أما وكالات الانباء فقد وزعت برقياتها على الصحافة العالمية تصف تطور الاحداث في حيفا وتقول : « كانت السلطة البريطانية قد اصدرت أوامرها أمس فجأة الى جنودها بالتخلي عن زمام السلطة في مدينة حيفا ، وكان اليهود على موعد مع السلطات البريطانية ، فبدأوا أمس زحفهم على حيفا وهبطوا بجحافلهم من مستعمراتهم في جبل الكرمل تؤيده قوات استدعيت على عجل من المستعمرات القريبة ، وشرعوا يحتلون أحياء المدينة حيا حيا ، مقاتلين العرب الذين تصدوا لهم لوقف زحفهم المفاجيء السريع ، ومع ذلك فان العرب على قلة عددهم لم يقابلوا الزحف اليهودي على حيفا مكتوفي الأيدي ، بل تصدوا لقوات الهاجانا ، واشتبكوا معها في قتال مر ، ولا سيما حول جبل الكرمل وعند محطة السكك الحديدية التي حاول اليهود عبثا انتزاعها من قبضة العرب (٦٦) ... »

واذاعت روتر بعد ذلك برقية تقول فيها : « ان خطوط الدفاع العربية في مدينة حيفا قد انهارت تحت وطأة مدفعية اليهود من طراز مورتر والمدافع الرشاشة التي أصلت المدينة نارا حامية ، وقيل ان العرب تكبدوا خسائر فادحة عندما حاولوا صد الهجوم اليهودي الذي بلغ ذروته » (٦٧) .

يحصي المؤرخون خسائر المعارك الاخيرة في حيفا بـ ٦٥٠ عربي بين جريح وقتيل ، وبلغ القتلى اليهود ٣٦٣ قتيلا .

وجريا على عادة اليهود اعملوا في السكان العرب سلاح الفتك والابادة فقتلوا ومثلوا وسرقوا ونهبوا كل ما حوته المنازل العربية من مال ومتاع ، والقوا بالقتلى أمام النسوة والاطفال ، وأدخلوا الدواب الى مساجد المسلمين يتخذونها كاصطبلات لينجسوها ، وهدموا مقابر المسلمين والمسيحيين وأخذوا معالمها من الرمر لمنزلهم وبنياتهم ، ومنذ ٢٢ ابريل ( نيسان ) عام ١٩٤٨ ، والصهيونية العالمية تتحكم في ثغر حيفا التاريخي العربي ، وقسم من شعبها الذي استطاع الهجرة الى خارج الحدود يرنو بأبصاره اليها ، ويتذكر أبطاله الذين رفضوا توقيع صك الاستسلام برغم التهديد والابادة .

#### ٦ - صفد العربية تلحق بحيفا :

كانت المعارك في صفد وحولها مستمرة ككل مدن فلسطين وقراها ، وكان مجموع سلاح العرب منذ بدء القتال حتى نهايته وبما أرسلت لجنة

(٦٦) جريدة الاهرام ٢٣ من ابريل ١٩٤٨ .

(٦٧) جريدة الاهرام ٢٣ من ابريل ١٩٤٨ .



دمشق مضافا الى ما تمكن أهل صفد من شرائه ، لا يزيد عن أربعمئة بندقية بعضها فرنسي وبعضها انجليزي ، وكان اديب الشيشكلي هو قائد القطاع الذي يضم صفد ، وانسحب الانجليز من صفد المدينة التاريخية التي تضم حوالي ١٢ ألف وخمسمئة عربي ، انسحبوا منها في السادس عشر من ابريل ( نيسان ) ١٩٤٨ ، ودخل العرب المدينة فأحتلوا كثيرا من جوانبها ، وكانوا حوالي ستمائة مقاتل منهم قرابة اربعمئة وسبعين من الفلسطينيين ومائة وثلاثين من جيش الانقاذ (٦٨) .

تمكن اليهود عندما احتلوا القريتين العربيتين عين الزيتون وبيريا ، من عزل صفد عن القرى العربية المهمة ، وبينما يستمر القتال بين الفريقين دون انقطاع ، يتلقى اليهود في يومي ٥ ، ٦ مايو ( ايار ) نجدات عسكرية في ١٧٢ سيارة عسكرية ، كان الصفديون يرون هذه النجادات فلم تكن ميادين القتال بعيدة عن مرأى العين ، بل هي شوارع وميادين ومناطق ، واخذ الشيشكلي يستنجد بقيادة جيش الانقاذ وقائده فوزي القاوقجي وكان الرد دائما « لا يوجد احتياطي » ، وانهارت معنويات الشعب ، واخذ جنود جيش الانقاذ يتسللون هاربين ، فلم يبق الا القليل ( ٦٩ ) .

وسافر وفد من صفد لاقناع اللواء اسماعيل صفوت بحاجة صفد الى سلاح وعون ، ولكن اللقاء كان سيئا والعون كان عراقا ، وتمسك الصفديون بمواقفهم يدافعون ويستشهدون في سبيلها ، واخذ الشيشكلي يدك بمدافعه مواقع اليهود ، وتجددت الروح الوطنية ، واشترك عدد من العراقيين بمدافعهم ، فأسهموا بقدر كبير في تحطيم الحي اليهودي ، وجمع اليهود جحافلهم وهاجموا المواقع الصفدية في ثلاثة صفوف في اليوم الثامن من مايو ( ايار ) وكان اليهود يستعملون راجمات صنعوها باتقان مع قنابل الهاون ، وانكسر الهجوم اليهودي امام صلابة العرب المدافعين ، ولكن الذخائر العربية وهي المشكلة المتكررة بدأت تقل وتنقص (٧٠) .

يقول الكاتب اليهودي « ماير فيشر » : ان العرب استأنفوا قصف المدافع في يوم السبت ٩ والاحد ١٠ مايو ( ايار ) وكانت هذه المرة أشد فتكا واكثر احكاما ، وكانت قذائفهم تزرع الموت والدمار حيثما تساقطت وكادت صفد تسقط بيد العرب لولا أن ركضت نجدات كبيرة أخرى من قوات البالماخ يقودها قائدها الاعلى ، وكانت هذه القوات مسلحة بأسلحة

(٦٨) نكبة بيت المقدس ، ج ١ ص ٢٠٠ .

(٦٩) المصدر السابق ، ج ١ ص ٣٠٤ .

(٧٠) المصدر السابق ، ج ١ ص ٣٠٥ .

كثيرة ووفيرة ، وكان بينها عدد غير قليل من مدافع « الفيات » وكان الجو ماطرا والتحم الفريقان في كل مكان ، ولا سيما في عمارة البوليس من دار الى دار ، ومن غرفة الى غرفة ، وقد استعملوا السلاح الابيض عندما سكت صوت المدفع ونفدت ذخائر العرب ، فسقطت عمارة البوليس في ١١ مايو ( ايار ) .

على أن هذا القتال الذي يصله أهل صفد لم يشترك فيه ضباط وقادة جيش الانقاذ فقد كان الشيشكلي قد قصد دمشق طلبا للسلاح منذ اليوم التاسع ، وكان ساري الفنيش الضابط الاردني الذي عينه الشيشكلي قائدا للحامية قد غادر هو أيضا صفد حاملا ثيابه غير ناو عودة .

على أن القائد الجديد اميل جميعان امر الجيش بالانسحاب بعد منتصف ليلة العاشر من مايو ( ايار ) وفي الثاني عشر منه كان اليهود قد احتلوا صفد

ودفع العرب قرابة مائة شهيد ، على حين فقد اليهود فيها ثمانماية وخمسين ، ولعل صفد ما كانت لتسقط بيد العدو لولا تلك الازمات التي قابلتها من نقص السلاح ، وتخلى اللجنة العسكرية عن عونها ، وروح الهزيمة التي كانت مسيطرة على قائدها الاردني ساري الفنيش الذي قال عنه الشيشكلي : انه كان يتغيب عند كل هجوم ، والذي غادر صفد والمركة مستمرة حارقة ، وقضى ليلة انسحابه على بعد قريب من صفد يرى النار ويسمع طلقات المدافع ، ولولا تدخل الملك عبدالله لدى لجنة دمشق العسكرية ، لكانت محاكمة هذا الفنيش قد تمت حسب طلب الشيشكلي وتقريره ، يقول قائد عربي : « لقد حوصرت حامية صفد فدافعت ببطولة ، وفي منتصف ليل التاسع من مايو ( ايار ) ظن القائد الاردني ساري الفنيش أن الحامية الصغيرة قد استسلمت أو ابيدت فانسحب تاركا المدينة تحت رحمة القدر واستمرت الحامية الصغيرة تدافع ببسالة اربعة أيام بعد انسحاب قيادتها حتى نفدت آخر طلقة لديها (٧١) » .

ومما يذكر عن اسباب سقوط صفد ، ان تلك المدينة المنيعه الحصينة كانت على جبل يزيد ارتفاعه على ألف متر ، وكان أهالي صفد المعروفين بشدة بأسهم مصممين على الدفاع عن بلدهم ، فلما بدأت المناوشات في صفد وحولها تطوع ضابط سوري يدعى احسان قيميلاز بقيادة حركات الجهاد في صفد ، وكان ضابطا باسلا قديرا مخلصا مؤمنا ، فاستطاع أن يكسب

(٧١) كارثة فلسطين ، ص ٢٧ .

وانظر ايضا : نكبة بيت المقدس ، ج ١ ص ٣٠٧ .



ثقة مجاهدي صفد ، بما قام به من غارات شديدة على المواقع اليهودية في صفد والمستعمرات الصهيونية المجاورة ، فطلب أهل صفد من قيادة الجهاد المقدس والهيئة العربية العليا لفلسطين تعيينه قائدا للصفد وما حولها وامتداده بالسلح والعتاد والمال ، فلما رأت السلطات البريطانية ما قام به هذا القائد الباسل من معارك ناجحة ضد اليهود ، قلقت كثيرا وخشيت أن لا تتحقق خطتها المرسومة التي تهدف الى تمكين اليهود من احتلال جميع المناطق التي خصصت لليهود بموجب قرار التقسيم ( منها صفد ) فبذلت كل جهودها لابعاد القائد احسان ، فاتخذت كثيرا من الدس والتخريض عليه ، حتى خدعت طه باشا الهاشمي الذي كان مشرفا على اللجنة العسكرية للجامعة العربية ، فعزل احسان عن القيادة وابعده عن صفد ، وأمر بتعيين كل من ساري الفنيش واميل جميعان وهما من الضباط الضعاف التابعين للجنرال جلوب البريطاني قائد الجيش الاردني حينئذ الذي قام باعظم دور لتنفيذ الخطة البريطانية المرسومة لتهويد فلسطين

#### ٧ - معركة عكا :

استطاع شعب فلسطين أن يحتفظ بشعر عكا البحري والقرى المجاورة لها طوال أيام الصراع الدموي مع اليهود من نوفمبر ( تشرين الثاني ) ١٩٤٧ الى مايو ( ايار ) ١٩٤٨ .

وحين وصل جيش اليرموك بقيادة اديب الشيشكلي في اواخر يناير ( كانون الثاني ) من عام ١٩٤٨ استبشر أهل عكا بالعرب المنجدين ، ولكن اخوانهم رجال اليرموك ، وهم قسم من جيش الانقاذ ، لم يتركوا معهم الا ثلاثين مقاتلا ( ٧٢ ) ، وكان أهل عكا شوكة في جنب اليهود ، يتربصون بسياراتهم ويعترضون مقاتليهم

وأستمرت عكا محتفظة بكيانها العربي ، حتى هوت حيفا تحت سنايك اليهود ، وكثر عندئذ ساكنوها من اللاجئين ، وتفرغت لها وحدات اليهود المقاتلة ، وأخذت تصب عليها نيران مدافعها ، وأخذ أبناء عكا والمهاجرون من أبناء حيفا يواصلون قتالهم ، على حين راح قائد جيش اليرموك يستنجد بلجنة دمشق العسكرية دون جدوى ( ٧٣ ) ، وفي الحادي عشر من مايو ( ايار ) قرر الشيشكلي الانسحاب بجيشه وبقي أهل عكا وحدهم يقاتلون ، وحين خاب الامل في عون من لجنة الجامعة بدمشق ، ذهب وفدهم يستنجد

(٧٢) المصدر السابق ، ج ٢ ص ٤١٨ .

(٧٣) المصدر السابق ، ج ٢ ص ٤٢٠ .

بالمملك عبدالله في عمان ، ولكن هذه المحاولة أيضا ذهبت دون جدوى . وأدرك شعب عكا أن الجميع قد تخلى عنه .

ودارت معارك دامية عند تل نابليون ، وأستشهد عديد من شباب عكا الذين حاولوا وقف الزحف اليهودي ، ودارت معركة في الجانب الآخر من عكا ذهب فيه كل المدافعين في تلك الجهة من شباب عكا شهداء ، واستمر الموقف مضطربا خطيرا . وأن التاريخ يشير الى اليوم الرابع عشر من مايو ( ايار ) ودخول الجيوش العربية لم يعد بعيدا .

لقد فشل وفد عكا الذي استنجد بالمملك عبدالله وفشل أيضا استنجد القائد الشيشكلي بلجنة دمشق ، واقفرت كل الآمال ، ولكن شعب عكا لم يأس بعد ، فليذهب وفد من ثلاثة رجال ( ٧٤ ) الى الجارة القريبة من عكا الى الحكومة اللبنانية يطلبون أن تمدهم بالسلاح عن طريق الجو ، وذهبت هذه المحاولة أيضا أدراج الرياح ، وفي غمرة اليأس ، جاء فريق من المناضلين كانوا في جيش اديب الشيشكلي ، فقاتلوا يوما وليلة ، ثم انسحب أغلبهم ، ولم يبق منهم الا ٤٨ محارباً خاضوا المعركة بحماس ( ٧٥ ) ، واستمر القتال في عكا قتال شوارع ونزال امتار .

وفي الخامس عشر من مايو ( ايار ) حين كانت الانظار تتجه الى حدود فلسطين مترقبة دخول الجيوش العربية السبعة الزاحفة ، في ذلك اليوم تمكن الفلسطينيون من انتزاع محطة السكة الحديد من اليهود وأخرجوهم أيضا من بناية مصلحة الشئون ، واحتفظ المناضلون بمواقعهم وسط القتال المستمر حتى اذا انتصف النهار كانت المدفعية اليهودية وجحافل اليهود أقوى منهم ، وبينما هم ينسحبون تاركين عددا جديدا من الشهداء ، كان فريق منهم يخوض معركة دامية تدور عند دار السينما الاهلية ، حتى اشرف الليل بظلامه ، وترك اليهود هناك ستين قتيلاً .

وتقوّت روح أهل عكا المعنوية بنصرهم هذا ، وازداد أملهم والاذاعات تعلن زحف جيوش الدول العربية من كل صوب ، واستمر القتال الليل بطوله وعند نسمات الصباح ظهرت حقيقتان خطيرتان لمجاهدي عكا ، كانت الاولى أن الذخائر نفدت لطول المراك ، وكانت الثانية أن الجيوش العربية لم تصل عكا ولم تبعث لها بالمجندين .

(٧٤) هم صالح الحكيم وفريد ابو نسب واحمد العفيفي .

(٧٥) كان يقودهم أبو محمود الصفدي احد رجال الشهيد القسام ، ومن جيش الجهاد

المقدس الفلسطيني .



وتلفت المناضلون الى ذويهم وأسرههم ، فكانت نكبة أخرى ، لقد كان الجوع يفتك بالاطفال والنساء ، والجوع غول لا يرحم ، بل لقد عمد اليهود الى بث مكروب التيفوئيد في المياه فاتسع خرق المتاعب على العرب ، ان المرضى يطلبون علاجاً ، وان الاصحاء يطلبون حقناً للوقاية وان الجميع لم يجد ماء للشرب والاستعمال .

وسقطت عكا تحت سنانك اليهود في السادس عشر من مايو ( ايار ) ١٩٤٨ بعد يوم من زحف الجيوش العربية السبعة على فلسطين ، وبعد سبعة اشهر من ثورة الفلسطينيين العارمة نوفمبر ( تشرين الثاني ) ١٩٤٧ الى مايو ( ايار ) ١٩٤٨ ، واستحل اليهود القتل في شعبها المجاهد ، بينما أقاموا نصباً عند مدخلها ذكرى ٧٥٠ قتيلاً من ابطالهم قتلوا امام اسوار عكا (٧٦) .

وواصل اليهود زحفهم على قرى عكا امام مقاومة سكانها ، فأحتلوا البروة ، ثم اتجهوا الى قرية « شعب » فقاد شيخها المقاومة الاخيرة ضد اليهود ، وتنادى بالنجدة من القرى الصغيرة المحيطة ، فجاء هؤلاء على النداء ، وقاتلوا اليهود فهزمهم وأسترجعوا قرية « البروة » التي كان اليهود قد احتلوها من أيام .

ويقول مؤرخ عربي سجل هذه الاحداث يوماً بيوم : ان العكاويين تعقبوا اليهود يوماً حتى بئر العياضية في ضواحي عكا وأملوا يوماً ان يستردوا عكا نفسها ، وهنا تحرك جيش الانقاذ ، وجاء قائده القاوقجي الى المناضلين الذين سبق أن استنجد به شيخهم أبو اسعاف شيخ قرية « شعب » فتجاهله ونشب خلاف خطير بين قائد يريد وحده ان يكون كل شيء في الميدان ، ومجاهدين يدركون ان الحرب معركة وفداء ، فانسحب القاوقجي بعد أن تسبب في اقضاء أبو اسعاف والحسيني الضابط السوري الذي حاول أن يديم المقاومة في حيفا ولم يبق القاوقجي ولا جيشه في ذلك المكان الا ليلة واحدة ، وهاجم اليهود القرى فأحتلوها (٧٧) .

ان اليهود لم يستطيعوا طي القرى العربية الا خلال ثلاثين يوماً من سقوط عكا وعيون أهلها العزل ترتفع مترقبة الجيوش السبعة ، وبسقوط عكا وقراها تم انسحاب القاوقجي وجيشه الى ما وراء الحدود يحمل مدافع ميدان لم تشترك في مساعدة اهل القرى الذين قاتلوا بسلاحهم العادي وبذلوا شهداء كثيرين .

(٧٦) المصدر السابق ، ج ٢ ص ٤٢٥ .

(٧٧) المصدر السابق ، ج ٢ ص ٤٢٦ .

## ٨ - استشهاد حسن سلامة :

كان قائداً من قادة الجهاد المقدس ذلك الذي ضم كثيراً من شعب فلسطين ومقاتليه ، وكانت الهيئة العربية قد عينته لقيادة القطاع الاوسط الغربي ، وكان مقاتلاً مخلصاً خاض ثورات فلسطين المتعاقبة ، وكان له عامي ٣٦ و ١٩٣٨ مكان مهم بين المجاهدين ، وهو المتسبب في مصرع عدد كبير من الجنود البريطانيين حين نسف بهم القطار بين اللد وحيفا ، وقد صرع البريطانيون رفيقه في الحادث الشهيد محمد سمحان ، وناله من مطاردتهم جرح يسير ، وهاجر الى العراق واشترك كغيره من الفلسطينيين في الثورة العراقية التي قادها رشيد عالي الكيلاني وخرج منها الى سوريا وأستمر باحثاً عن ملجأ حتى وصل الى المانيا ، وهناك واصل تمارينه وتدريباته استعداداً منه لمستقبل لا ريب فيه يحتدم فيه الصراع بوطنه الحبيب فلسطين ، وفي عام ١٩٤٥ هبطت سرا طائرة المانية في سهل أريحا ، وهبط منها خمسة رجال ثلاثة المان وعربيان ، كان احدهما الرجل الشجاع حسن سلامة يرافقه ذو الكفل عبد اللطيف ، ولم ينج هؤلاء من مخابرات الانجليز ، ونجا حسن سلامة ومعه الماني واحد من الاعتقال حيث قصد سوريا حتى عاد الى وطنه محارباً ، وقائداً لقطاع يمتد من يافا الى وادي الضرار (٧٨) .

وتولى هذا القائد الدفاع عن يافا ، وكان شوكة خطيرة في جانب اليهود ، حتى اذا وصلها قواد ومتطوعو لجنة دمشق العسكرية غادرها الى القرى المحيطة ، ووصل بجنوده الفلسطينيين مرات عديدة الى تل ابيب ، ودخل مرة احدى المستعمرات اليهودية في ضواحي تل ابيب واضطر جيش الهاجانا اليهودي الى الجلاء عنها ، وترك خمسة وعشرين طفلاً بلا راع ولا حام ، اطفال صفار لا تزيد أعمارهم عن العشر سنوات ، فأخذهم العرب وسلموهم الى الصليب الاحمر ، وحين نفدت ذخائر المقاتلين في تلك المنطقة ، وأستطاع اليهود التغلب على جيش الانقاذ التابع للجامعة أستمر حسن سلامة يناضل في بقية القطاع حتى جرح في ٥ ابريل (تيسان) ١٩٤٨ ، وما كادت جراحه تندمل حتى واصل نضاله لا ينسى فيه اللد والرملة ولا رأس العين ، وفي هذه الاخيرة كان استشهاده .

(٧٨) المصدر السابق ، ج ١٩٣ ص ٥١٩ .





الشهيد حسن سلامة

قائد القسم الغربي من القطاع الأوسط . تراه في الصورة وهو يبحث مع مساعديه الخطة التي رسمها لاسترداد رأس العين . وما كادت رأس العين تسترد في ٣١ ايار ١٩٤٨ حتى اسلم الروح .

وكانت رأس العين نبعا مائيا يروي مدينة القدس ، حرص العرب على احتلاله والاحتفاظ به منذ بدأ القتال بعد قرار التقسيم ، وكان لاحتفاظهم به اثر خطير على اليهود في القدس فقد عطشوا واضطروا الى الحد من استعمال المياه وتوزيعها مقننة محددة . وامام غول العطش في القدس ، حاول اليهود كثيرا أن يستولوا على ذلك النبع المهم ، ومنذ صدور قرار التقسيم والمعارك تدور وتهدأ لتبدأ من جديد ، والفلسطينيون يواصلون دفاعهم عن المكان ، صامدين أمام عدو مدرب مسلح وقوي .

ولم تسقط رأس العين الا في العاشر من يونيو ( حزيران ) ١٩٤٨ حين كان القتال يحمل اسم الدول العربية وحين كانت فلسطين وديعة لدى تلك الدول ، اما قبل ذلك فقد ثبت عرب فلسطين امام جحافل اليهود المصممة على تأمين المياه من رأس النبع .

ولنسمع ما يقرره المؤرخ عارف العارف حول هذا الموضوع : ان المعارك لم تنقطع بين اليهود والمناضلين من عرب فلسطين في الايام التي سبقت مجيء الجيش العراقي الى ذلك القطاع ، وكان أشدها تلك المعارك التي وقعت في الايام الثلاثة الاخيرة من شهر مايو ( ايار ) ١٩٤٨ ، فقد قامت

بين الفريقين حول النبع معارك مريرة أبلى فيها كل منهما بلاء حسنا واستمات اليهود في سبيله ، وكادوا ينجحون ، لا بل تغلبوا على حاميتها وأخرجوها منه واحتلوا رأس العين في ٣١ مايو ( ايار ) ١٩٤٨ ولكنهم لم يبقوا هناك سوى ليلة واحدة ، اذ ما كاد الخبر ينتشر في القرى العربية المجاورة حتى راح المناضلون من كل صوب يزحفون ، وكان على رأسهم قائد القطاع الأوسط الغربي الشيخ حسن سلامة ، وفي طريقه اليها استنجد بالمناضلين من أبناء دير طريف وبيت نبالا والقرى الاخرى المجاورة لها ، وما أن وصل هؤلاء الى الميدان حتى انضموا الى اخوانهم الذين كانوا هناك وراح الجميع يعملون يدا واحدة على اخراج اليهود ، وكان الفجر قد أطل ( ٣١ مايو ( ايار ) سنة ١٩٤٨ ) ووقعت بين الفريقين معركة دامية ، جرح فيها القائد اثر شظية في رثته اليسرى ، فنقل على الفور الى مستشفى الميدان ، وازداد المناضلون حماسا فراحوا يقاتلون الاعداء بقلوب ملؤها الإيمان ، وعند الضحى كان لواء النصر معقودا للعرب ، فطردوا اليهود واستردوا العين ( ٧٩ ) .

وبعد أن انتصر أبناء فلسطين في طرد اليهود من رأس العين والاحتفاظ بها ودّع القائد الجريح جنوده ، وذهب شهيدا الى الله ، وترك النبع الذي سال دمه في سبيله أمانة لدى احبابه من شعب فلسطين ( ٨٠ ) .

وبينما المناضلون الفلسطينيون ينظمون أنفسهم عند رأس العين التي استردوها ، وصلت اليهم في اول يوليو ( تموز ) سرية عراقية ، فعدل اليهود عن مواصلة الهجوم ، وحطت السرية رحالها وأخذت تحصن مواقعها حتى اذا بلغها نبأ تخلي جيش الاردن الذي يقوده جلوب الانجليز عن مدينتي اللد والرملة ، تخلت هي ايضا عن رأس العين فاحتلها اليهود ولم يعد بإمكان المناضلين الفلسطينيين مواصلة الدفاع عنها بعد أن تولى المهمة جيش العراق ثم سلمها لليهود أيضا جيش العراق عام ١٩٤٨ .

#### ٩ - الانجليز يرجحون كفة اليهود عسكريا عند انسحابهم :

كان الانجليز قد اتبعوا خطة عسكرية تنطوي على الفدر بالعرب وتمكين العصابات الصهيونية من السيطرة على أكبر قدر ممكن من رقعة البلاد ، فقد بدأوا بالجلاء عن تل ابيب والمناطق اليهودية والمناطق

(٧٩) المصدر السابق ، ج ٣ ص ٥١٨ - ٥١٩ .

(٨٠) زرت اسرته الصابرة المهاجرة في القاهرة وتتكون من زوجته وابنته وابنه وقد بهرتني

روعة العزم وقوة الشجاعة في هذه الاسرة الكريمة .



القريبة من تجمعات اليهود ، حتى تستطيع العصابات الصهيونية من مباشرة الحكم في هذه المناطق ، والاستيلاء على المنشآت العسكرية مثل المطارات ومستودعات الذخيرة والمسكرات وغيرها ، وكانت تسلم أجهزة الحكم الى مندوبين من قبل الوكالة اليهودية وفي نفس الوقت ظل الانجليز محتلين المناطق العربية يحكمونها حكما عسكريا صارما مباشرا الى آخر لحظة من ايام الانتداب ، ويمنعون تسليح العرب وتموينهم ويصادرون الاسلحة التي كانت ترسل اليهم ويقاومون دخول المتطوعين العرب الذين انسبوا من البلاد العربية لنصرة اخوانهم المجاهدين الفلسطينيين ، يضاف الى ذلك أن الانجليز باعوا معظم مخلفاتهم الحربية في فلسطين الى الوكالة اليهودية فقد أرسلت الاسلحة البريطانية التي كانت لدى قواتها في فلسطين الى ميناء حيفا تمهيدا لشحنها ، وكان هذا الاجراء يبدو سليما لولا انه اتضح انه في لحمته وسداه كان ينطوي على الخيانة في أبشع صورها ، فما تكاد تصل الأسلحة الى ميناء فلسطين الرئيسي حتى يتسلمها اليهود في المكان ذاته .

ويذكر القائد عبدالله التل الذي عاصر هذه الأحداث أنواع الأسلحة ، وكان منها دبابات تشرشل الثقيلة ، ومدافع عيار ستة أرطال ومدافع ( اليات ) صاروخ ، ومدافع البوليس الفلسطيني ، ويقول هذا القائد العربي « ان جميع هذه الأسلحة ظهرت مع اليهود بعد جلاء الانجليز ، ولم يكن لديهم شيء منها قبل اليوم الخامس عشر من مايو ١٩٤٨ (٨١) » .

ولقد ثبت أن الأسلحة الثقيلة التي ظهرت عند اليهود كان قد باعها الانجليز لهم كمخلفات حرب اذ قالت جريدة « مشمار » اليهودية أن الوكالة اليهودية اشترت مخلفات حربية من السلطات البريطانية بقيمة خمسة ملايين جنيه ومن جملة ذلك ٢٤ طائرة وعدد من السيارات والأجهزة الأخرى ، كما نشرت جريدة « يديعوت » اليهودية « أن عشرة اشخاص من اليهود اشترت من الجيش البريطاني الف سيارة نقل كبيرة وقد كان الطيارون اليهود من السلاح الجوي الملكي وعددهم خمسون نواة لتدريب اعداد كبيرة من اليهود (٨٢) » .

(٨١) كارثة فلسطين ، ص ٥٠

(٨٢) محمد عزة دروزة ، فلسطين وجهاد الفلسطينيين في معركة الحياة والموت ضد بريطانيا والصهيونية العالمية - الهيئة العربية العليا لفلسطين - القاهرة ١٩٥٩ .

## لنفهم ... ولنعتبر

« ان قرار مجلس الامن الذي فرض الهدنة الاولى هو وحده الذي خلص اليهود وحال دون سحقهم على أيدي الجيوش العربية »  
وكيل القنصل الاميركي بالقدس ١٩٤٨

« ان قصف الجيش العربي لأحياء القدس بمدفعه الثقيلة ، جعل الشعب اليهودي يتظاهر طالبا السلام ، ولكني اعلنت الاحكام العرفية ومنعت التجول ووضعت الشبان بالخطوط الامامية ، وكانت الدوائر الصهيونية تعمل لعقد هدنة ، حيث جئنا بالطعام والسلاح والمحاربين من الخارج »  
الارهابي مناحم بيغن زعيم عصاية زفاي ليومي

« لقد وافق اعضاء اللجنة السياسية بالجامعة على الهدنة بدون قيد او شرط ، وهي اكبر خطيئة في تاريخ الحروب بالشرق العربي ، حيث فك حصار القدس وانقذ مائة الف يهودي كانوا على وشك التسليم .

ولقد كان ابعاد الفلسطينيين عن المعركة وحل فرقهم العسكرية الشغل الشاغل لقيادة الجنرال جلوب »

القائد عبدالله التل

لكن قومي وان كانوا ذوي عدد  
يجزون من ظلم اهل الظلم مفررة  
فليت لي بهم قوم اذا ركبوا  
ليسوا من الشر في شيء وان هانا  
ومن اساءة اهل سوء احسانا  
شنوا الاغارة فرسانا ووحدانا  
الشاعر الجاهلي قريض بن أنيف

« يا شعب فلسطين لقد احتملت متاعب الفارات وضحاياها ، واذاعات العدو ومنشوراته ، وكنتم رابطي الجأش ، ثابتي العزيمة ، بالرغم مما لاقيتم من خسائر ، اني اهنئك بهذا الايمان وهذه العزيمة الصادقة »

اللواء الركن فؤاد صادق قائد القوات المصرية بفلسطين

« حاصرها واضرب ذكورها بحد السيف ، واما النساء والاطفال والبهائم وكل ما في المدينة فتغنمها لنفسك ، هكذا في المدن البعيدة عنك جدا



التي ليست من مدن هؤلاء الامم ها هنا .. واما مدن هؤلاء الشعوب فلا  
تستبق منها نسمة واحدة »

توراة اليهود الحرفة

« اهلكوا ... احرقوا كل ما في المدينة ( اريحا ) من رجل وامرأة وشيخ  
وطفل ، حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف ، واحرقوا المدينة بالنار مع  
كل ما بها ، انما الفضة والذهب فاجملوها في خزانة بيت الرب »

التوراة .. في التوصية ليوشع بن نون

وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا  
يحب المعتدين .

قرآن كريم

ومن قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة ، وان ريحها توجد من  
مسيرة اربعين عاما .

حديث شريف

لا تخونوا ، ولا تغلوا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلا صغيرا ولا  
شيخا كبيرا ولا امرأة ، ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه ولا تذبحوا شاة  
ولا بقرة .

ال خليفة ابو بكر الصديق يوصي جيش اسامة بن زيد

ورحب الناس بالاسلام حين رأوا أن السلام وأن العدل مفضلاه  
هي العروبة لفظ ان نطقت به فالشرق والضاد والاسلام معناه  
الشاعر المصري محمود غنيم

## الفصل العاشر

### الحرب الرسمية ونتائجها

١٩٤٨ - ١٩٤٩

#### ١ - الجيوش العربية في المعركة :

اعلن اليهود قيام دولتهم اسرائيل في الخامس عشر من مايو ( ايار )  
١٩٤٨ ، وسرعان ما اعترف « ترومان » رئيس الولايات المتحدة بهذه الدولة  
التي اقيمت في الارض العربية ، وبعيد مضي دقائق على هذا الاعلان ، واصبح  
اليهود كيان دولي مفروض ، اغتصبوا من اجله الارض وحاربوا في سبيله  
شعبا عريقا في عقر داره ، وبدت اخطارهم تقترب من جميع البلدان العربية  
المجاورة ، ويحسن بنا ان نتحدث في ايجاز عن اشتراك الجيوش العربية في  
معركة فلسطين ، وما سبق ذلك الاشتراك من آراء ، ومؤتمرات وتفاصيل .

حين تأزمت الامور بعد قرار التقسيم نوفمبر ( تشرين الثاني ) ١٩٤٧ ،  
والت الدول العربية اجتماعاتها لتبحث الوضع ، وتتخذ له قرارات مناسبة ،  
وكانت الآراء عديدة موزعة ، كان أهل فلسطين وتمثلهم الهيئة العربية العليا  
تطالب بتسليح جموعهم وتدريبهم وامدادهم بالقوة والعون ، وتمكينهم من  
منازلة الاعداء ، وترى الهيئة أن شعب فلسطين أعرف بمواطنه اقدمه  
وأخبر بتضاريس أرضه ، وهو بعد ذلك سوف لا يكلف الا القليل ذلك أنه  
يحارب في موطنه ويعود الى منزله ، وسوف يحارب بقوة وعزم فهو يدافع عن  
موقع رأسه وعن شرفه وذماره وكانت ترى أيضا أن تبقى الجيوش العربية  
مرابطة على حدود فلسطين من جهاتها جميعا تتقوى بالتدريب وتتكاثر  
حشدا واعدادا ، ففي وجودها ارهاب لليهود وتقوية لاهل فلسطين ، واذا  
قدر للآخرين انهزام تقدمت هذه الجيوش بعملها الفاصل وقيادتها  
الموحدة المخلصة .



وزحفت الجيوش العربية (١) على فلسطين ، وهي في صورة متباينة من الراي والقوة لتحارب جماعات يهودية نظمتها بريطانيا وامريكا وسلحتها ، وجاءت من مختلف بقاع أوربا بعد أن شربت عقيدة تقوت في نفوسها ، وتمرن بتدريب قوي وتسلحت بعتاد كبير . واصلت الحكومات العربية الحصار البحري على فلسطين ، واخذت تفتش البواخر في المياه الإقليمية وتصادر ما يكون عليها لليهود ، واستقبلت الشعوب العربية نبأ الزحف بحماس بالغ ، وعلقت أعذب الآمال على هذه الخطوة الجماعية التي تبادل بشأنها ملوك العرب ورؤسائهم برقيات التهئة . (٢)

وكان الاتفاق بين حكومات الجامعة العربية ورؤساء جيوشها ، أن يبدأ الزحف في مساء الخامس عشر من مايو ( أيار ) ١٩٤٨ فتلتقي الجيوش السورية واللبنانية والعراقية والأردنية جميعها لدى « العقولة » في وسط فلسطين تقريبا ، ثم تواصل زحفها مجتمعة لتقسيم تجمعات اليهود ، وتصل إلى الساحل الفلسطيني ، وأن يزحف الجيش المصري نحو عسقلان وغزة والمجدل ثم يتقدم للالتقاء بالجيوش الزاحفة الأخرى ، على حين يتقدم قسم من الجيش الأردني نحو رام الله والقدس ، ويتقدم المتطوعون المصريون على طريق الخليل وبيت لحم لتطويق القدس متعاونين مع الأردنيين الذين يجب أن يحاصروها من الشمال والشرق . (٣)

ويقدر مؤرخ عربي أن عدد الجيوش العربية الزاحفة في أواسط مايو (أيار) ١٩٤٨ كان قرابة العشرين ألفا .

وتولى الملك عبدالله القيادة العامة لجيش مصر وسوريا والسعودية والعراق والأردن ولبنان ، وكان هذا القائد العام على ود مفتعل مع أغلب دول هذه الجيوش .

كان الفريق جلوب البريطاني الأصل هو رئيس أركان حرب الجيش العربي الأردني ، وبذلك كانت الأوامر العسكرية التي تصدر بأسم القائد العام الملك عبدالله إنما يضعها وينفذها القائد البريطاني في الجيش العربي ،

(١) كانت الدول العربية المستقلة عام ١٩٤٨ هي مصر وسوريا ولبنان والأردن والعراق واليمن والسعودية ، وكانت الخمسة الأول ذات جيوش وقيادات أما الآخرين فقد ساعدوا وكان للسعودية ألف وخمسمائة جندي ضمن جيش مصر بغزة .

(٢) القضية الفلسطينية ، ص ٢١٥ .

(٣) نكبة بيت المقدس ، ج ٢ ص ٣٤٢ - ٣٤٣ .

بل ان حوادث عديدة برهنت على أن جلوب القائد البريطاني للجيش العربي، إنما كان يقود هذا الجيش ليقم دولة يهودية ، ويكشف أجنحة الجيوش العربية الأخرى ، حتى يشفي غل بريطانيا الحاكمة ، والتي تتمنى أن يهزم العرب أمام اليهود ، وحتى اللد والرملة التي تضمنها قرار التقسيم ضمن الدولة العربية ، تخلى عنهما جلوب وسحب منهما جيشه العربي وتركهما ليتصارع فيهما شعب فلسطين الأعزل مع قوات اليهود المدربة المسلحة .

على أننا وقد أوصلنا السياق بسرعة إلى الحديث عن القيادة العامة العربية ، وعن قيادة الجيش الأردني ، لننظر كيف كانت قيادات الكتائب والوية الجيش الأردني الزاحف على فلسطين خاضعة لقيادة بريطانية صرفة ، حتى كأنها كتائب بريطانية ، ومن عجب أن تدخل الجيوش العربية معركة مصيرية وجيش القيادة يقوده بريطانيون سموا للتهويد وعملوا للتقسيم .

وقد أثبت القائد العربي عبدالله التل (٤) أسماء الضباط الإنجليز الذين تولوا مناصب قيادية في الجيش العربي الأردني وهو يخوض حربا مصيرية في فلسطين سنة ١٩٤٨ ، وقد بلغ عددهم ٤٨ ضابطا كبيرا يحملون رتبا في الجيش الأردني ، ويحتفظون بالولاء لبريطانيا ، ويعملون على تنفيذ مخططاتها في الوطن العربي ، وكان الضباط الإنجليز الذين قادوا الجيش الأردني في معركة فلسطين عام ١٩٤٨ هم :

الفريق	جلوب باشا	قائد الجيش العربي
الزعيم	برود هارست	مساعد قائد الجيش العربي .
الزعيم	نورمان لاش	قائد الفرقة الأولى التي زحفت إلى فلسطين
القائد	داونز	أركان حرب الفرقة « عمليات » .
وكيل القائد	جونز	أركان حرب الفرقة « إدارة » .
الرئيس	بيرس هاوس	أركان حرب الفرقة « لاسلكي » .
القائم مقام	ه. جولد	قائد اللواء الأول .
وكيل القائد	كورفيلد	أركان حرب اللواء الأول « عمليات » .
وكيل القائد	هايش	أركان حرب اللواء الأول « إدارة » .
القائم مقام	ج. اشتون	قائد اللواء الثالث .
وكيل القائد	ج. جري	أركان حرب اللواء الثالث .
وكيل القائد	ت. اسبرنج	أركان حرب اللواء الثالث .

(٤) كارثة فلسطين ، ص ٨١ - ٨٣ .



ولم يكن في مراكز القيادة من الضباط العرب الا خمسة ضباط هم :

القائم مقام	صدقي الجندي	قائد اللواء الرابع .
القائد	حابس المجالي	قائد الكتيبة الرابعة .
وكيل القائد	عبد الحليم الساكت	قائد الكتيبة الخامسة .
وكيل القائد	عبدالله التل	قائد الكتيبة السادسة .
وكيل القائد	علي الحياوي	ركن في القيادة .

وماذا ينتظر من جيش عربي لا يكون الضباط العرب في قيادته الا اقلية صغيرة ، واليهم تصدر الأوامر من الضباط البريطانيين الذين يملئون الصهيونيين ، ويدركون أن دولتهم هي التي شجعت الصهيونية وفتحت لها الأبواب ، وأقامت كيائها على الأشلاء العربية ، ولست أشك ان هؤلاء الضباط البريطانيين الكبار كانوا يضحكون ملء أشفاهم وفي مكنون صدورهم وهم يسمعون جنود الجيش العربي الأبرياء البواسل يتنادون زاحفين « أبو طلال لا تهتم سيفك أحمر يقطر دم » ويسمعون العراقيين يهزجون « فلسطين نحررها ودم يهودا نثرها » ، ذلك أن أولئك الضباط البريطانيين كانوا على يقين من أنهم يقودون جيشا يحاربون به في أضيق الحدود ، وهو يمثل بقيادتهم مظاهرة عسكرية تنفذ التقسيم ، وتعطي الجانب الأهم من فلسطين لليهود ، فما كانت لديهم نية لتحرير فلسطين ولشرب دم الفزاة اليهود ، كما كان يترنم جنود الجيش العربي المخلصين .

## ٢ - وجه المعركة وظروفها :

كان الأردن الذي تولى ملكه قيادة الجيوش العربية عام ١٩٤٨ خاضعا خضوعا تاما لسيادة بريطانيا على الرغم من تلك المعاهدة التي عقدتها مع ( الأمير ) عبدالله عام ١٩٤٦ حيث أعلن استقلاله ، ثم استبدل لقب أمير بلقب الملك في مايو ( ايار ) في السنة نفسها ، وقد عمدت بريطانيا بذلك التغير الى أحداث مظهر جديد لوضع الملك والوطن حتى لا يستمر ظهوره بشكل البلد الرازح تحت حكم الانتداب والخاضع للسيطرة البريطانية ، وهي بذلك تسعى الى تنفيذ برنامجها القديم في خلق دولة يهودية في الجزء الخصب من فلسطين ، وهي في سبيل مخطتها اشترطت في معاهدتها الاحتفاظ بالقواعد العسكرية والاشراف على الجيش الأردني وميزانية الدولة وغير ذلك من امتيازات وحقوق كانت قيودا ثقيلة على الحكومة الأردنية .

وقد روى أحد الصحفيين الأجانب أنه لم يكن هناك من سبيل الى مقابلة الملك عبدالله الا بعد الحصول على اذن من المسؤولين البريطانيين في

القائد	ه. بلاكدون	قائد الكتيبة الأولى .
وكيل القائد	أ. واتسون	مساعد قائد الكتيبة الأولى .
القائد	ه. سليد	قائد الكتيبة الثانية .
الوكيل	ي. ولسن	مساعد قائد الكتيبة الثانية « عمليات » .
الرئيس	برومج	مساعد قائد الكتيبة الثانية « ادارة » .
الوكيل	هنكن تيرفن	قائد الكتيبة الثالثة .
الوكيل	ج. نيومن	مساعد قائد الكتيبة الثالثة « عمليات » .
الرئيس	جري	مساعد قائد الكتيبة الثالثة « ادارة » .
القائد	ج. هيرست	ركن كتيبة المدفعية .
الرئيس	و. هوعان	مساعد قائد كتيبة المدفعية .
الرئيس	جونسون	قائد البطارية الأولى والثانية .
الرئيس	ج. وتسون	أركان حرب قيادة الجيش العربي « ادارة » .
الرئيس	س. كوكر	أركان حرب قيادة الجيش العربي « حركات » .
الوكيل	ب. ولس	أركان حرب الفرقة .
الوكيل	أ. كلفت	قائد التموين والنقل والمستودعات .
الوكيل	ن. بارك	مساعد قائد التموين .
القائد	د. توجود	مدير محاسبة الجيش العامة .
الوكيل	ر. ورسفلد	مساعد مدير المحاسبة العامة .
القائد	ه. فير	ضابط الفن الأعلى .
الوكيل	أ. برايس	مساعد ضابط الفن الأعلى .
الوكيل	ج. جونز	مساعد ضابط الفن الأعلى .
الوكيل	و. بريس	المشاغل الوسطى .
الوكيل	ج. هورن	قائد فرقة الهندسة .
الوكيل	أ. هارت	مساعد قائد فرقة الهندسة .
الرئيس	و. كلي	مساعد قائد فرقة الهندسة .
الوكيل	س. روبنسون	قائد اللاسلكي الأعلى .
الوكيل	ف. ديفدسن	قائد اللوازم .
الوكيل	ملفيل	القيادة - اللوازم .
الوكيل	بالر	ملحق عسكري في لندن .
الوكيل	ي. بريانت	ضابط الانشاءات .
الوكيل	ر. يونج	ضابط الاستعلامات .
الوكيل	ف. بترى	قوة الطيران .
الوكيل	ج. توينج	قوة الطيران .



عمان (٥) ، ورأى بيفن أن يخطو خطوة جديدة ، فعقد في ١٥ مارس ( آذار ) ١٩٤٨ معاهدة تحالف اشترطت الاحتفاظ بوحدة من سلاح الطيران البريطاني في عمان والفرق ومجلس للدفاع المشترك ، وكانت هذه المعاهدة حلقة في سلسلة المحاولات التي قام بها الانجليز لتقوية علاقاتهم بالعرب قبل طعنهم من الخلف (٦) ، وكانت تمهيدا لتصفية قضية فلسطين تصفية لا تخدم الاماني العربية بأي وجه من الوجوه .

وقد توالى الحوادث الاليمة التي أدت الى ضياع قسم كبير من فلسطين منذ ذلك التاريخ وكان يمكن أن يبقى بعضها سرا الى الابد فتضيع معالم هامة وخطيرة في التاريخ العربي ولكن حدث أن أقدم شاب فلسطيني على اغتيال الملك عبدالله في ٢٠ يوليو ( تموز ) ١٩٥١ ، أمام باب المسجد الأقصى وقبل صلاة الجمعة ، فتولى العرش الحسين بن طلال بعد والده الملك طلال الذي قرر البرلمان أنه في حاجة الى استشفاء طويل الأجل ، وجاء الحسين الى الملك وكان الأردن خاضعا لسياسة جلوب باشا « الفريق » الانجليزي الذي يقود الجيش ويتدخل في أهم الأمور وأخطرها ، ولكن الملك الشاب أنتهز أول فرصة مناسبة سنحت عام ١٩٥٧ فأعلن عزل الفريق جلوب وترحيله خلال ساعات ، ودهشت لندن لهذا التصرف الخطير الذي أفقدها ركيزة هزمت بها جيوش الدول العربية عام ١٩٤٨ بأساليب الخيانة والفدر والدس ، واقامت بها كيان الصهيونية ، وشردت بها الجموع الطاهرة بأطفالها وشيوخها من ديارهم بفلسطين ، ولكن دهشة لندن هذه لم تستطع أن تغير شيئا ، فقد كان موقف الملك حسين حازما وقويا ، وكان طرد جلوب باشا وساما تاريخيا يرصع صدر طارده ، فلولا هذا الطرد ما تحرر جيش الأردن ، ولولا هذا الطرد أيضا لما كان ممكنا أن يسطر جلوب مذكراته في كتابه « جندي مع العرب » الذي أثبت فيه كثيرا من حقائق التاريخ المهمة .

يقول جلوب في كتابه المذكور : « أجرى توفيق باشا أبو الهدى محادثة سرية مع وزير الخارجية البريطانية السير أرنست بيفن ، ولم يكن توفيق باشا يحسن الانجليزية فرافقه كترجم ، لقد ذكر توفيق باشا أن الانتداب البريطاني على فلسطين سينتهي قريبا ، وأن اليهود أعدوا العدة لتأليف حكومة تشرف عليهم عقب انتهاء الانتداب ، ولكن العرب لم يهيئوا شيئا من هذا ، فاليهود لهم شرطتهم ومجلسهم النيابي ، وقد أعدوا نواة لجيشهم من جماعات الهاجانا ، بينما العرب في فلسطين لا يملكون السلاح ، وليس لديهم الوسائل الكفيلة باقامة جيش يحميهم ، وأن النتائج حول نهاية هذا الموضوع

(5) Kermit Roosevelt, Arabs Oil And History London 1949, p.p. 102-103.  
(6) Allan Michie, "Retreat to Victory" p. 102.

ما زالت غامضة ولا بد من أن يقع أحد أمرين اثنين :

١ - أما أن اليهود سوف لا يعتبرون قرارات الأمم المتحدة ، فيحتلون فلسطين كلها حتى حدود نهر الأردن بالقوة .

٢ - وأما أن مفتي فلسطين سيعلن نفسه حاكما عاما على البلاد ، والمفتي يعتبر بريطانيا الد أعدائه وقد قضى مدة الحرب مع هتلر : كما أنه عدو للأردن ويعتبر نفسه المنازل الوحيد لجلالة الملك عبدالله .

ونائج هذين الأمرين ليست في مصلحة الأردن ، ولا في مصلحة بريطانيا ، وكثيرا ما نتلقى في الأردن عرائض من الفلسطينيين تطالب بتدخل جيشنا لحمايتهم ، وليس لدينا مانع من تنفيذ ذلك بعد انسحاب البريطانيين

وكان المشروع أو الاقتراح الذي حملة توفيق أبو الهدى يتلخص في أن يدخل الجيش الأردني فلسطين غداة انتهاء الانتداب تحت ستار حماية فلسطين كلها ومحاربة اليهود ، ويحتل القسم العربي ويضمه الى شرق الأردن دون أن يشتبك مع اليهود إطلاقا ، وتعهد أبو الهدى بثلاثة أمور : ألا يحتل الجيش الأردني غزة والجليل ، والا يعتدي الجيش المذكور على اليهود بأي شكل والا يحتل شبرا واحدا من القسم الذي صدر قرار الأمم المتحدة باعطائه لليهود .

ويقول جلوب بعد أن أنهى هذه الفقرات من حديث رئيس وزراء الأردن « اني لأذكر حتى اليوم ، المستر بيفن وهو جالس في مكتبه بعد أن أنهيت ترجمة الحديث ، يرد على رئيس الأردن قائلا : « ان ذلك هو الحل الوحيد المقبول » ولم أر بدا من أن أوضح للرئيس الأردني بأن الجيش ليس بمقدوره أن يحتل منطقة غزة والجليل ، فأيد الرئيس الأردني فكرتي ، أما المستر بيفن فقال : « أن هذا هو الحل الوحيد المقبول ، ولكن يجب ألا تذهبوا الى أبعد من ذلك وتحتلوا المنطقة اليهودية » فأجاب الرئيس أبو الهدى « ليس لدينا هذه الامكانيات حتى لو تمنينا ذلك ، وان الأردن حسب معاهداته مع بريطانيا لن يتخذ أي خطوة ايجابية الا بعد مشاورة الحكومة البريطانية ، فشكر بيفن أبا الهدى لوضوح موقف الاردن ، وأعلن موافقته على مشروع حكومته » (٧)

ان هذا الحديث الخطير الذي يعترف فيه أبو الهدى في حديثه السري مع بيفن بحدود التقسيم ، كان خيانة للمفهوم الوطني العام الذي قرره الدول العربية ، ووافق عليه أبو الهدى نفسه في اجتماع الجامعة بعاليه في

(٧) جندي مع العرب ، الطبعة الانجليزية ، لندن - ١٩٥٧ ، ص ٦٣ - ٦٦



لبنان ، حين قرروا بالاجماع تسليح الفلسطينيين ، واعداد الجيوش لتكون على أهبة الاستعداد لتثبيت عروبة فلسطين (٨) .

لقد كان اجتماع رؤساء الحكومات العربية هذا منعقدا في ٧ أكتوبر ( تشرين الأول ) ١٩٤٧ ولم ينس أو يمح من ذهن رئيس الأردن ، حين كان يحدث بيغن بعد ذلك بثلاثة شهور ، بل لقد كان أبو الهدى نفسه هو أحد المؤتمرين في مجلس الجامعة العربية المنعقد في القاهرة في ٨ ديسمبر ( كانون الأول ) ١٩٤٧ : والذي أصدر قراره بالاجماع فقال : « منذ تلاقى أغراض الاستعمار وأطماع الصهيونية على انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين وعرب هذه البلاد في محنة ، تفرض القوة عليهم جماعات اجنبية عنهم ، تأتيهم من الغرب والشرق بلغاتها وعاداتها ومذاهبها الاجتماعية ، ولا تلبث هذه الجماعات أن تنتزع من العرب بشتى الوسائل أراضيهم ، وموارد رزقهم ، وهي اليوم تسلبهم أوطانهم وقد أمدت الدولة المنتدبة هؤلاء الدخلاء بالمعونة فمكنتهم من انشاء جيش مدرب ومسلح ، انقلب في السنين الأخيرة الى أداة ارهاب وأداة شر على البلاد بما عاثوا فيها من فساد .. (٩) ولكن لشديد الاسف تنكرت جمعية الأمم المتحدة لذات المبادئ التي تضمنها ميثاقها ، فأوصت بتقسيم فلسطين واقامة دولة يهودية فيها ، وهي بذلك قد أهدرت حق كل شعب في اختيار مصيره وتقريره ، وأخلت بمبادئ الحق والعدالة جميعا ، وحكومات دول الجامعة العربية تقف صفا واحدا بجانب شعوبها في نضالها ، لدفع الظلم عن اخوانهم العرب ، وتمكينهم من الدفاع عن انفسهم ولتحقيق استقلال فلسطين ووحدتها ، ولقد قرر رؤساء وممثلو هذه الحكومات في اجتماعهم بالقاهرة أن التقسيم باطل من أساسه ، وقرروا كذلك عملا بارادة شعوبهم أن يتخذوا من التدابير الحازمة ما هو كفيل يعون الله باحباط مشروع التقسيم الظالم ونصرة حق العرب ومجابهة كل احتمال من الاحتمالات (١٠) »

هكذا ترى أن أبا الهدى رئيس وزراء الاردن الذي وقع في عاليه بلبنان بيان رؤساء الحكومات ، ثم وقع في القاهرة بيان مجلس الجامعة العربية قبل اجتماع لندن بأقل من شهرين ، هو الذي لم يجد مانعا من أن يحدث بيغن سرا فيعطي موافقته على التقسيم وأنهم سوف لا يتجاوزون حدوده ، لقد كان أبو الهدى رئيسا لوزارة الأردن ، وكانت محادثاته مع بيغن تدور

(٨) فلسطين تاريخا وعبرة ومصيرا ، ص ٢٤٣ .

(٩) نرّمز بالنقط الى ما حذفناه من بيان الجامعة مما لا يتصل بموضوع استشهادنا .

(١٠) نكبة بيت المقدس ، ج ١ ص ٣٣ - ٣٤ .

وانظر ايضا : حقائق عن قضية فلسطين ، ص ٤٩ .

خلال فبراير ( شباط ) ١٩٤٨ ولم تعلم أو تنشر الا بعد طرد جلوب من الأردن ، وعلى التحديد في كتابه الذي نشره عام ١٩٥٨ أي بعد عشر سنوات من الحدث نفسه ، ولكن أحد الأحرار العرب كان قد نشر وثيقة بريطانية سرية صادرة عن البريجيدير كلايتون الشهير في مخابرات بريطانيا ببلاد العرب ، نشرها في نفس الشهر الذي دارت فيه محادثات أبو الهدى السرية في لندن ، وكانت وثيقة تتضمن رأي حكومة الأردن في ارتضاء قرار التقسيم وتأيده (١١) :

« سري جدا .. محادثات مع زعماء البلاد العربية - اقتراحات بشأن تقسيم فلسطين - القواعد الجوية في الشرق الأوسط .. الخ رقم القيد ٤٥ - ١٩٤٧ في ١٤ ديسمبر ١٩٤٧ .

الى صاحب السعادة : السفير البريطاني في القاهرة - صورة الى القائد العام

١ - ( تحدث كلايتون هنا عن لقائه مع رئيس وزارة لبنان وسوريا ، وانهما رفضا التقسيم ورفضا اقامة قواعد بريطانية حتى في حالة الحرب الا بالرجوع لرئيس الجمهورية ومجالس النواب ، وأشار كلايتون بوجود استعمال التهديد ليؤتي أطيّب النتائج ) .

٢ - ولقد لمست من أحاديثي مع رئيسي وزارتي سوريا ولبنان بشأن مسألة تقسيم فلسطين أن البلاد العربية أجمعت على الحيلولة دون اتمامه ، غير انه في مقابلتي الأخيرة لسعادة رئيس وزراء شرق الأردن تبين لي أن له رأيا يخالف رأي رؤساء حكومات البلاد العربية وقد أدلى الي باقتراحات لو نفذت لتمكن تنفيذ تقسيم فلسطين التقسيم الذي نص عليه قرار منظمة الأمم المتحدة دون أن تعترض البلاد العربية ، وأستطعنا لو - نفذت هذه الاقتراحات - أن نحفظ بمراكزنا الاستراتيجية في شرق الأردن وفلسطين .

٣ - وترى الاقتراحات التي صرح لي بها سعادة رئيس وزراء شرق الأردن أنه عند اتمام جلاء القوات البريطانية عن فلسطين تنفيذا لقرار منظمة الأمم المتحدة ، تنسحب معها القوات الاردنية المسلحة في فلسطين ومتى تم انسحابها يقدم الضباط الانجليز الذين يعملون في جيش شرق الأردن استقالاتهم ويعتزلون العمل رسميا في الجيش على أن يبقوا في البلاد . ومما لا شك فيه أن الثورة ستشتد في فلسطين وسيتدفق عليها المتطوعون

(١١) اكد لنا الاستاذ سلمان الصفواني صاحب جريدة البقطة بيفداد حين لاقيناه بالقاهرة مشتركين في اللجوء السياسي عام ١٩٦٢ ان الوثيقة تؤكد بنفسه من سلامتها وانها اخذت له بطريقة خاصة من أرشيف السفارة البريطانية .



من جميع البلاد العربية وعندئذ تعلن الحكومة الأردنية عن قرارها بزحف القوات الأردنية على فلسطين بحجة تخليصها من الصهيونيين ، ولا شك في أن الجيش الأردني مدرب تدريباً حسناً ، فمتى اخترقت قواته أراضي فلسطين فمن المعقول أن ينضم إليه المتطوعون الذين سيكونون خاضعين لرئاسة الجيش الأردني .

٤ - مما تقدم تبين أن تنفيذ الشرط الأول من اقتراح الرئيس الأردني لن يثير رغبة الدول العربية ، أما فيما يختص بالقسم الثاني من الاقتراح فيرمي إلى أنه كلما تم لهذه القوات احتلال بلدة من بلدان فلسطين يعلن ضمها إلى المملكة الأردنية ، وستعمل القوات الأردنية جاهدة في احتلال البلاد التي تقع في القسم العربي ، وقد أكد لي سعادة رئيس وزراء شرق الأردن أن القوات الأردنية ستتحاشى مهاجمة القرى اليهودية ، وإنما ستقوم من وقت لآخر بهجمات خفيفة على هذه القرى لمنع التسهيلات عنها ، وأضاف أنه عندما يتم احتلال المنطقة العربية من فلسطين فإن الحكومة الأردنية ستقوم بالاتصال بزعماء اليهود في فلسطين لحملهم على تقديم الضمانات الكافية لعدم محاولة توسيع دولتهم أو الإغارة على القرى العربية المتاخمة لمنطقتهم ، وهنا قلت له : « قد تحاول المملكة الأردنية في المستقبل الهجوم على سوريا ولبنان لتحقيق فكرة سوريا الكبرى الأمر الذي يخلق اضطرابات في هذه البقعة من الشرق » فأبتسم سعادته وقال « وكيف لنا أن ننفذ هذه الفكرة ونحن خاضعون لنفوذكم وبيننا وبينكم معاهدة »

٥ - ورأيت قبل أن أختتم حديثي مع الرئيس الأردني أن أسأله عما إذا كان قد عرض هذه المقترحات على صاحب الجلالة الملك عبدالله فقال : « وهل يحق لي أن أبدي اقتراحات أو أن أتحدث بأسم صاحب الجلالة دون عرضها عليه وموافقته عليها » وعرضت على سعادته أن أدون مقترحاته كتابة وأن يذيلها بتوقيعه وأن ينص فيها على أن جلالة الملك عبدالله موافق عليها ، فلم يمانع في ذلك ، فدونتها فعلاً ووقعها بامضائه ، ولما لم استطع مقابلتهم لعرضها عليكم فقد رأيت الإسراع بإرسالها إلى وزارة الخارجية لإطلاع الوزير عليها بعد أن أحتفظت بصورة منها » (١٢)

تشارلز كلايتون بريجادير

..... (١٣)

(١٢) جريدة اليقظة العراقية لصاحبها سلمان الصفواني المدد الصادر في ٢٤ فبراير

١٩٤٨ .

(١٣) نشر هنا إلى الجزء الخاص بليبيا وانطباعات كلايتون حولها مما نؤجل نشره لبحثنا القادم عن « المراحل الأخيرة في الجهاد الليبي » .

على أن رأي توفيق أبو الهدى رئيس وزراء الأردن في قبول التقسيم لم يقتصر عليه وحده ، وإنما هو يقرر أنه موافق عليه من الملك عبدالله نفسه ، وقد عرف الكثير عن رأيه في ذلك وهو الاحتفاظ بالجزء الممكن من أرض فلسطين أمام الصهيونية التي لم يكن يرى في نفسه قدرة على محاربتها ، وقد تمت لقاءات عديدة بينه وبين أقطاب اليهود من أمثال شرتوك ، وجولداماير ، ورضي خلال هذه المقابلات بالتقسيم (١٤) .

وإذا كان التاريخ قد حمل عبدالله المسؤولية الخطيرة ، فإن ذلك يتم من خلال النظرة إلى أن الجيوش العربية كان من الممكن أن تنتصر لو صدقت نية الجميع في الحرب والنزال ، ولكننا عندما نذكر هذا ، لا بد أن نشرك في المسؤولية تلك الجبهات الأخرى التي كان حكامها يحولون بين جيوشها وبين خوض غمار الحرب ، فقد كان الجيش العراقي لا يقل حماسة عن جيش الأردن ولكنه كان في كثير من الأوقات ينتظر الأمر بالقتال ، ذلك الأمر الذي لم يصله آنذاك إلا قليلاً، وإذا كانت الجبهة المصرية قد اذقت الممارك في صحراء النقب ولا سيما عندما توقفت كل الجبهات الأخرى ، وأستطاع اليهود أن يجمعوا قواتهم فيها ، فإن السلاح الفاسد الذي كان يمد به الجيش المقاتل كان عاملاً هاماً في نتيجة تلك الحرب المهمة ، وإذا سار التاريخ على أن يحمل عبدالله مسؤولية كبيرة فإنه من صدق القول أن تكون تلك المسؤولية شاملة معه العديد من رجال القصور العرب بل ولوزراء الأردن أيضاً دون تخصيص ، فما كان لعبدالله أن يفعل ذلك لو وجد وزراء يصرون على الرفض ، ويتمسكون برأيهم ، وينادون بما تنادي به الأمة العربية من أن المعركة معركة مصر ، وكل تهاون فيها هو تخاذل عن واجب وهو عمل سيقربه التاريخ إلى الأبد .

وليس من ريب أن رؤساء الدول في النظام الذي يسير على الشكل المتظاهر بالديمقراطية ما كان يمكن أن يتدخلوا في شئون الحكم أو قضايا المصير ، لو أن كل وزير أدرك أن المسؤولية سوف تلاحقه وأنه يجب أن يكون في مستواها ، يعرف المعنى البعيد والقريب لرأيه في شئون الحكم وأمور الشعب ، بحيث لا يمكن أن يصدر قراراً لا يراه صواباً ، ولا يضع اسمه في أمر لا يرضاه ، ومن المؤسف أن أحداً من وزراء الأردن لم يستقل أبان المعركة مما يعطي الدليل أنهم يرون نفس الرأي المسالم غير المدافع عن الحقوق والأرض ، وأنهم بذلك يدينون . ولقد كان توفيق أبو الهدى رئيساً للوزراء في تلك الحقبة السوداء ، وكان فوزي الملقى وزيراً للدفاع رضي الأول بدخول

(١٤) كارثة فلسطين ، ص ٦٥ ، ٦٦ .



الجيش الاردني صورة ، ونفذ الثاني ذلك الى ان وقع الخرائط البديلة التي اضاعت كثيرا من الاراضي العربية . وهكذا يدان الجميع بنفس الصورة التي تلاحق كل متسبب في الهزيمة أو مهادن للصهيونية .

واذا كانت الأحداث قد جرت على رقعة فلسطين من مختلف حدودها ، فيهمني هنا أن أوجز الأحداث العسكرية التي وقعت في معركة لعبت فيها السياسة دورا أساسيا .

### في الجبهة الأردنية :

كانت أبرز معارك تلك الجبهة معركة القدس ، فقد حاول الجنرال جلوب أن يحول دون وصول قوات الجيش العربي إليها بحجة أنها دولية ، وأن الجامعة العربية قد أسقطتها من حساب المعركة الحربية بيد أن تردّي الحالة في المدينة وهجمات اليهود المستمرة على القدس القديمة وعدم تقيدهم بالهدنة التي فرضتها الأمم المتحدة بالقدس ، حدا بأقطاب المدينة من العرب إلى أن يهرعوا للملك عبدالله في عمان راجين الأمر بدخول الجيش العربي إلى المدينة .

وقد لبى الملك رجاء الوفود العربية واتصل بالقائد عبدالله التل قائد الكتيبة السادسة التي كانت مرابطة في أريحا والخان الأحمر وأمره أن ينجذ القدس القديمة (١٥) ، فرحفت الكتيبة السادسة وتعاونت مع المجاهدين الفلسطينيين والمجاهدين السوريين في الدفاع عن المقدسات الإسلامية والمسيحية ، واستطاعت أن تحتل الحي اليهودي وتدمر الكنس اليهودية التي استعملها اليهود أوكارا للقتل ، وباحتلال الحي اليهودي في القدس القديمة ارتفعت المعنويات العربية وخاصة بعد نقل الأسرى إلى عمان والاطمئنان على المسجد الأقصى وكنيسة القيامة .

ولم تسر الأمور في مواقع الكتائب الأردنية خارج القدس القديمة سيرا سليما مشجعا ، فقد أخذت كتيبة باب الواد موقع الدفاع وصدت هجمات اليهود الرامية إلى فتح طريق القدس - تل أبيب ، وظل موقفها سلبيا ، وجمد الجنرال جلوب كتائبه المرابطة في منطقة رام الله ونشرها في خطوط دفاعية طويلة ، وحاول القائد عبدالله التل في القدس أن يقنع القادة الإنجليز بالعمل لاحتلال بعض المناطق في القدس الجديدة ، ولكن القادة الإنجليز نفذوا العملية بطريقة تضمن الهزيمة ، فقد أرسل قائد الكتيبة الإنجليز « نيومان » ضابطا يقود مدرعة في شوارع اليهود دون حماية ، ووسط النهار ، فأحرق

(١٥) المصدر السابق ، ص ١٤٨ .

اليهود المدرعة بمن فيها ، وأهمل نيومان أمر من أوفده وترك المدرعة المحترقة حتى جرها اليهود ، وضاع ضابطها الشهيد محمد نجيب ، وضاع رفاقه في غياهب الأبد ، ثم أمر السرايا بالتقدم عبر الشيخ جراح ، حتى تلتقي في ساحة بنك بركليز دون أن يسمح لقادة السرايا والفئات بكشف طرق التقدم ، ودون أن يكلف نفسه مشقة استدعاء الخبراء من المجاهدين الفلسطينيين الذين لا يبعدون عن الشيخ جراح أكثر من مئتي ياردة ، فكان مصير الهجوم الاخفاق . (١٦)

وحين احتلت سرية الميسرة النوتردام في زحف شجاع من المشاة دون مساعدة من المدفعية على الرغم من هذا النجاح في احتلال نقطة مهمة تكبد فيها الجنود تضحيات كبيرة ، وذهب قائدهم الملازم أول عيد ديلم شهيدا ، برغم كل هذا أمر الضابط نيومان بالانسحاب إلى باب العمود ، ويقرر القائد عبدالله التل أنه « حينما أطمأن نيومان لاختراق سرية غازي وانسحابها أراد أن يحقق غايته مع سرية عيد ، ولكنها نجحت في احتلال الهدف الخطير بأعجوبة لم يكن يتوقعها ، فأسرع إلى إصدار أوامره بالانسحاب » (١٧)

وبدا النفوذ الإنجليزي في المعركة واضحا حين تدخل الملك عبدالله وحاول أن يفعل شيئا واتصل بالقائد عبدالله التل قائلا : « فين مدافع العراقيين . . أنا أرسلتها لتكون تحت أمرك ، هيا أدب اليهود بها ، فأجاب : أن مدافع العراقيين تحت قبضة لاش في رام الله ، وسأنتقل إليهم الحال أمر الملك » وأبلغ لاش أمر الملك باستعمال المدافع ضد هداسا والجامعة العبرية على جبل سكوبس ، ولكن لاش لا يطيع الملك عبدالله ، بل أنه يطيع جلوب ويتصل به ، وفي ضوء المخطط الأميركي الإنجليز ، بل في ضوء الصليبية الاستعمارية يجيب لاش بقوله : « أن المدافع ستبقى تحت أمر قائد المدفعية وأنها لن تقصف هداسا ولا الجامعة العبرية لأن أمريكا تدخلت وبريطانيا توسطت للبقاء عليها » .

ومن يومها والجامعة العبرية ومستشفى هداسا راibusان على جبل سكوبس تخترق سيارات اليهود بسببهما أراضي فلسطين العربية كل اسبوع في امان واحترام .

### ٣ - الجبهات العربية الأخرى :

كانت الأوضاع العربية على الأجمال في الأسبوعين اللاحقين لمنتصف

(١٦) المصدر السابق ، ص ١٥١ .

(١٧) المصدر السابق ، ص ١٥١ .



مايو ( أيار ) قوية وقريبة من النصر ، كان الجيش المصري يتقدم في ميدانه الساحلي ، وأستطاعت قواته أن تحتل المستعمرات اليهودية المهمة ( دير سنيد ، أسدود ، نيتسليم ) وتركت بعض المستعمرات محاصرة لأن هدف القوة الضاربة كان تل أبيب لو نفذت الخطة باخلاص من جميع الأطراف ، وفي ذات الوقت تقدمت قوة من الجيش المصري تسندها جموع المتطوعين الليبيين والسودانيين والمغاربة ، وواصلت سيرها حتى حطت جنوب القدس ، وأشتركت في حصار القدس الجديدة ، وساهمت بجدية في معارك هامة هناك ، وكان الجيش العراقي قد استرد جنين المدينة المهمة ، في المثلث العربي ، وكانت معركة جنين هذه بالإضافة الى معركة كوكب الهوى فرصة أثبت فيها جنود وضباط الجيش العراقي شجاعتهم واستهانتهم بالموت . (١٩) وكان الجيش السوري قد استطاع ان يربط في مواقع كبيرة ومتسعة ، وعلى الرغم من الاعداد الكبيرة من الشهداء التي قدمها هذا الجيش في عناد وتصميم في هذه المنطقة ، ظل قويا مهيبا يحسب له اليهود حسابا ، لا سيما بعد ان رابط في منطقة الفور على الحدود الأردنية واحتل بمعاونة المناضلين مستعمرة مسادة اليهودية (٢٠) .

وكان الجيش اللبناني الصغير قد حافظ على حدوده ، وأشترك بجهدده في بعض المعارك ، وكان أبناء الشعب الفلسطيني هم عماد المعركة في جميع الجبهات ، كانوا يتعاونون مع الجنود والقيادة ، فهم يشاركون فيما يتاح لهم من فرص المعارك ، وهم أعوان الجيش وعدته ، هم يحمون خطوطه ، وهم يساهمون في تموينه ، وهم أحبابه ، به يرحبون وبه أيضا يعتزون ، يشهد بذلك أبناء الجيش السوري في مناطق قتالهم المرير الرائع ، وسجل مثله في أعجاب واكبار القائد العربي المجاهد عبدالله التل . ولقد كان جلوب يعلم خوافي الأمور حين قال : « لو سمح العرب لقواتهم كلها بالعمل في ١٥ مايو ( أيار ) وزحفوا زحفا جديا لنجحوا على الأرجح في اجتياح الدولة اليهودية الجديدة (٢١) » .

#### حصار القدس الجديدة :

ولكن القدس الجديدة كانت تمثل أروع صور النجاح في الزحف العربي ، فلقد كانت هذه المدينة التي تضم مائة ألف يهودي والتي كانت

(١٩) اجمع المؤرخون على أن جنود الجيش العراقي وضباطه لم تكن تنقصهم الشجاعة ولكن حيل بينهم وبين القتال في أغلب اوقاته بسبب خيانة القيادة في بغداد .

(٢٠) المصدر السابق ، ص ١٩١ .

(٢١) الفريق جلوب باشا : جريدة النهار اللبنانية ، العدد الصادر ٣٠ مايو ١٩٥١ .

تمثل الروح المقدسة بالنسبة لليهودية ، كانت محاصرة من جميع الجهات ، كان المجاهدون الفلسطينيون قد احتلوا منذ أمد رأس العين ، وبذلك حرمت جموع اليهود من الماء ، وأعتمدوا على الآبار بداخلها ووزعوها بالبطاقات في كميات لا تكفي ولا تروي ، وحال المحاصرون العرب من جنود الجيش العربي وقوات المجاهد احمد عبد العزيز والمناضلين الفلسطينيين دون وصول الامدادات والتموين اليها ، فتسرب الجوع بعد العطش الى تلك المدينة المكتظة المهمة ، وواصلت المدفعية العربية قصفها نهارا وليلا فحرم السكان من النوم ، وانهارت أعصابهم وضاق بهم مجال النجاة ، وكان العالم كله يتوقع سقوط المدينة في يد العرب بين لحظة وأخرى ، لا سيما بعد أن فشلت مساعي مندوب الصليب الأحمر في ادخال المياه الى القدس ، واشترط القائد العربي ان يلقي اليهود سلاحهم وان يأسر المحاربين منهم ، ولقد كاد ذلك يحدث لولا ان بريطانيا خشيت فشل مخطتها البعيد .

#### ٤ - الهدنة المفروضة ونتائجها :

ووسط دوي المدافع تدمر القدس الجديدة ، وتضيق عليها الخناق ، وبينما كانت برقيات الاستفائة تفادر القدس الى تل أبيب ، وعلى أثر مظاهرات اليهود فيها طالبين السلم والقاء السلاح ، تقدمت بريطانيا الى مجلس الأمن تطلب وقف القتال أربعة أسابيع والتعهد بعدم ارسال محاربين ومواد حربية الى فلسطين خلال هذه الفترة ، وتطبيق مادة العقوبات العسكرية والاقتصادية على من يخالف الأمر ، وفي ٢٩ مايو ( أيار ) ١٩٤٨ وافق مجلس الأمن على هذا القرار وأعلنت الحكومة البريطانية أنها ستوقف عن ارسال الأسلحة الى الدول العربية المرتبطة معها في معاهدات وهي مصر والعراق والأردن (٢٢) ، كما قرر مجلس الأمن تعيين الكونت برنادوت وسيطا منتدبا من قبل هيئة الأمم مهمته التوفيق بين العرب واليهود (٢٣) .

وما كان اقتراح بريطانيا هذا الا صورة جديدة من صور عونها لليهود وخلق فرصة لهم ، ولكي يفك حصار المحاصر منهم ، ويستعيد قواه المرهق من مدنيهم أو مجنديهم ، ويستجلب السلاح بكميات أوفر وعتاد أحدث .

واجتمع العرب لبحثوا قرار مجلس الأمن ، وطال نقاشهم ، ولكنه انتهى الى الموافقة على قرار الهدنة ، ولقد كان توفيق أبو الهدى رئيس وزراء الأردن أعلاهم صوتا وأطولهم لسانا في وجوب قبول الهدنة ، مدعيا قلة السلاح ونفاد الذخائر وأن الأردن سوف ينسحب من الميدان ومن

(٢٢) القضية الفلسطينية ، ص ٢١٩ - ٢٢٠ .

(٢٣) كارثة فلسطين ، ص ٢٠١ .



الجامعة اذا لم تقبل الهدنة ، وقبلت الهدنة ، وقابلها المخلصون بوجوم وحزن عميقين فلقد كانت بحق بداية التاريخ الحزين للعرب ، وكانت بداية النصر لليهود .

ولنستمع الى تصريح وكيل القنصل الاميركي بالقدس الذي يقول « ان قرار مجلس الامن الذي فرض الهدنة الاولى هو وحده الذي خلص اليهود وحال دون سحقهم على ايدي الجيوش العربية » (٢٤)

بل ان الارهابي مناحم بيغن زعيم عصابة الارغون زفاي ليومي يتحدث عن



( مناحم بيغن )

الارهابي الذي اعلن مع غيره من زعماء الارهاب الصهيوني ضرورة ارحاب العرب بالقتل والافناء ، زعيم عصابة زفاي ليومي وعضو الوزارة التي حاربتنا في الخامس من حزيران ( يونيو ) ١٩٦٧

(٢٤) كنيث بلبي ، نجم جديد في الشرق الاوسط ، ص ٢٥ .

تلك الأحداث فيقول « تواردت الانباء من جميع المدن والمستعمرات اليهودية أن الشعب اليهودي أصابه الخوف وخصوصاً أهل القدس الذين شهدوا فشل القوات اليهودية في فتح طريق باب الواد وتموينهم ، وكان الجيش العربي قد بدأ يقصف احياءنا بمدافعه الثقيلة فجعل الشعب اليهودي يقوم بالمظاهرات الصاخبة داعياً الى انتهاء الحرب بأي ثمن ، وعندها طلب الي بن



( اللد )

سقطت بيد اليهود في ١١ تموز ( يوليو ) ١٩٤٨



غوريون الذهب للقدس فوصلتها والشعب اليهودي فيها ثائر يطالب بالخلاص ، فأعلنت الأحكام العرفية ، ومنعت التجول ، ووضعت الشبان في الخطوط الأمامية للدفاع ، ولكن لا سلاح ولا عتاد ولا غذاء ولا مال ، الاقنابل الأعداء ، وكانت الدوائر الصهيونية تعمل لارسال رسول سلام الى فلسطين وعقد هدنة مؤقتة تتلاشى معها الفضيحة الكبرى ، وتمت الهدنة فجئنا الى يهود القدس بالطعام وبعض الماء واستعدنا وجلبنا السلاح والعتاد والمتطوعين والمحاربين من الخارج » (٢٥)

ويقول مؤرخ عربي كان يتولى منصبا قياديا في حرب فلسطين وهو يتحدث عن قبول تلك الهدنة « ليس لي الا أن أصفها بالجريمة الكبرى وهي أخف وصف يمكن أن توصف به موافقة الجامعة العربية على شروط الهدنة التي قدمها برنادوت بدون قيد أو شرط ، فقد وافق أعضاء اللجنة السياسية على أكبر خطيئة في تاريخ الحروب بالشرق العربي الا وهي السماح بفك الحصار عن مدينة القدس وانقاذ مئة ألف يهودي كانوا على وشك التسليم أو الموت جوعا وعطشا ، وافقوا قبل أن يفكروا قليلا في نتائج ما أقدموا عليه ، وافقوا قبل أن يفكر أحدهم فيما سيقع بعد عشرة أيام فقط من ذلك اليوم المشؤم ، وافقوا لأنهم وثقوا من وفد الأردن في اللجنة السياسية وصدقوا رئيس الحكومة الأردنية الخائنة ، وافقوا قبل أن يفهموا أن القدس هي كل شيء في فلسطين وأن من يحتلها ينهي المعركة كلها ، وافقوا قبل أن يسألوا ويفهموا كيف كانت حال مائة ألف يهودي في القدس هم سبع يهود فلسطين ، وافقوا قبل أن يسمعوا ما يقوله القائد العربي في تلك المدينة العظيمة ، وقبل أن يعلموا مقدار الدماء والدموع والجهود التي بذلناها في القدس حتى جعلناها تترنح لتهوي صاعقة على رأس الصهيونية فتزيلها الى الأبد ، وافقوا قبل أن يفكروا في نوايا الانكليز وعزمهم على انقاذ الصهيونية وخاصة القلب ( القدس ) ، وافقوا قبل أن يسيئوا الظن قليلا بشروط الهدنة ويفرضوا شرطا واحدا على الأقل لمراقبة طريق الحياة للقدس وجعل تموين اليهود تحت اشراف العرب ، لقد وافقوا ولو لم يفعلوا لتغير مجرى الحرب في فلسطين ، وأنني أعتبر جميع الدول العربية مسئولة عن ذلك القرار في اليوم الأسود بعمان » (٢٦)

وتتضح الآن بعد مرور سنوات طويلة ، النتائج المرعبة لتلك الهدنة الأليمة التي التزم بها العرب وحدهم صادقين في احترام الكلمة وتقديس

(٢٥) جريدة الحياة ببيروت العدد الصادر في ٢٨ من ديسمبر ١٩٤٨ .

(٢٦) كارثة فلسطين ، ص ٢٠٣ - ٢٠٥ .



( الناصرة )

سقطت بيد اليهود في ١٦ تموز ( يوليو ) ١٩٤٨



( عين كارم )

قرية من قرى القدس . سقطت بيد اليهود في ١٩ تموز ( يوليو ) ١٩٤٨



الوعد ، وأخذ اليهود يعدون العدة لتنفيذ برنامجهم الطويل المدى ، حيث استمر امدادهم بالسلاح من أوروبا على مختلف أنواعه ، وحيث بنوا الاستحكامات والخنادق ، وفتحوا الطرق التي ربطت تل أبيب بالقدس بعد أن استحال عليهم ذلك مدة الحصار العربي ، بل استطاع اليهود أن يستوردوا الطائرات والدبابات والرجال من بريطانيا وأمريكا ، وواصلوا التدريب العملي الشاق ليجعلوا من عصاباتهم جيشاً منظماً . (٢٧)



بينما امتنعت أوروبا كلها وأمريكا عن مد العرب بالسلاح عام ١٩٤٨ كانوا يعدون اليهود ببواخر متتالية . والمنظر لشحنة سلاح تفرغ بتل أبيب من أمريكا خلال الهدنة الأولى .

وتجدد القتال في التاسع من يونيو ( حزيران ) ١٩٤٨ حيث رفض العرب تجديد الهدنة ولكن الوضع كان قد تغير ، فقد زال الخطر العربي الذي طالما أحرق بالقدس الجديدة ، وهدد جموعها بالموت ، وسحب الجنرال جلوب الجيش الأردني فجأة من المدينتين العربيتين اللد والرملة ، فمكّن لليهود من احتلالهما وزاد الربكة العربية بخلق هجرة جماعية جديدة ، وكشف بذلك ميمنة الجيش المصري واحتل اليهود مطار اللد العالمي الذي لا يبعد عن عاصمتهم بأكثر من أربعة عشر ميلاً ، واستولوا على ٧٥٠ ألف

(٢٧) المصدر السابق ، ص ٢٢٦ - ٢٢٨ .

دونم من أخصب أراضي العرب ، وكان الجيش العراقي يربط في المثلث العربي « جنين - نابلس - طولكرم » ولم تمكنه القيادة المنحرفة من أن يحتل نائانيا على البحر المتوسط فيشطر خطوط اليهود الى قسمين ، وإذا استثنينا معركة كوكب الهوى واستعادة جنين وقراها (٢٨) ، فإن هذا الجيش الباسل لم يعط فرصة لاثبات وجوده بالمعنى الصحيح ، بل لقد سحب من مواقعه الى نابلس ولم يعبأ برجاءات السكان والمناضلين الفلسطينيين الذين كانوا يساعدونه وتركهم دون عون . علماً بأن هذه المعارك التي خاضها جيش العراق في منطقة المثلث كانت كفاحاً مشتركاً مع شعب فلسطين ولم يخضها منفرداً ، فبينما كانت المدفعية العراقية تدك حصون اليهود في يوم الجمعة ٩ يوليو ( تموز ) ١٩٤٨ ، كان المشاة من الشعب الفلسطيني يكونون فصيلاً من ثلاثمائة مقاتل يخوضون المعركة باخلاص مع اخوانهم العراقيين ، حيث استولوا على « فقوعة وتل الخروبة وغرانة » وحين طوق العراقيون قطاعات اليهود العسكرية في « حلبة وصندلا » كان الفلسطينيون يكونون جزءاً مهماً من هذا الطوق العسكري ، وتم الاستيلاء على صندلة وجليه ، وواصل الفلسطينيون بمساعدة العراقيين الزحف فاستردوا غرانة وعربونة ودير غزالة ومقنبلة وفقوعة ، وكما كان القتال مشتركاً فقد كانت الخسائر أيضاً مشتركة إذ فقد العراقيون ثلاثة عشر شهيداً ، وفقد الفلسطينيون سبعة عشر ، وحين سحب الجيش العراقي فجأة وقف الفلسطينيون مشدوهين ، وراحوا ينظرون الى اخوانهم المنسحبين ، وفي قلوبهم حسرات وفي مآقيهم عبرات (٢٩) .

ولم يحاول هذا الجيش أيضاً معاونة جيش الانقاذ الذي كان يقوده فوزي القاوقجي في منطقة الجليل حين هاجمه اليهود بقوات كبيرة واستولوا على الناصرة في السادس عشر من يونيو ١٩٤٨ . وكانت الجبهتان المصرية والسورية محتفظتين بمواقعهما ، ولكن أيام القتال لم تطل ، فقد فرضت هدنة جديدة في الثامن عشر من يوليو ( تموز ) ولم يكن هناك أمام العرب

(٢٨) نكبة بيت المقدس ، ج ٣ ص ٥٩٠ - ٥٩١ .

(٢٩) نكبة بيت المقدس ، ج ٣ ص ٥٩٠ ، ويضيف هذا المؤرخ العربي ان القيادة العراقية لم تكن على علم بالمعركة وأن القائد العام نور الدين محمود باشا أمر بوقف القتال والانسحاب مجرد انسحاب والمعركة قائمة وأن الذي قرر القتال دون أمر من القيادة هو العقيد الركن عمر علي القائد الأول وصالح زكي توفيق وأنه عوقب بعد عودة الجيش الى العراق وقيل انه ادين . وهو ضابط كردي متدين تمهد لسكان جنين انه سوف يواصل القتال وقد فعل ويقول عارف العارف أن القائد العراقي المشهور مصطفى راغب استقال بعد هذا قائلاً انها تمثيلية وهو لا يرغب في ان يكون احد افرادها الممثلين في فلسطين .

(٣٠) كارثة فلسطين ، ص ٢٨٨ .



من سبيل الا قبول الهدنة ، فقد ادركوا عمق المأساة في قيادة جلوب الانجليزي ، وعمقت لديهم الآم تسليم اللد والرملة بسحب الجيش الأردني منهما ، أما اليهود فقد كانوا يستفيدون من كل هدنة ، يعدون ويستعدون وتوالي الدول الصليبية امدادهم بالعتاد وبالسلح وكثيراً ما ضربوا بالهدنة عرض الحائط ، وزحفوا فأحتلوا قرى ومساحات بينما مجلس الأمن الدولي لا يحرك ساكناً ، ولا يسمع لشكوى العرب ولا يشغل بها .

كان يحز في نفوس اليهود تحرير القدس القديمة من سلطانهم حين تعاون قسم من الجيش الأردني مع شعب فلسطين فآثم تحريرها ، واسر قوات الهاجانا اليهودية فيها ، ولهذا سرعان ما جمعوا قواتهم بقيادة موسى ديان وهاجموا في ١٨ من يونيو ( حزيران ) مناطق القدس ، وهم لم يستطيعوا ان يأخذوا المدافعين العرب فجأة ، ولم يحققوا أي نصر ، ولكنهم خسروا ثلاثمائة وعشرة من القتلى ، وما يزيد عن ثلاثمائة جريح ، ثم عاودوا الهجوم بعد اقل من شهر مستهدفين القدس القديمة ، ولكنهم لم يستطيعوا التقدم ولا النجاح ، ويشرح مناحم بيغن الراهبي اليهودي المشهور أحداث القدس فيقول « ان القطاعات اليهودية التي خاضت معارك القدس كانت يومئذ عبارة عن ثمانين سرايا تستهدف استرجاع الحي اليهودي بالبلدة القديمة ، وبرغم الجهود الجبارة التي بذلها اليهود فقد باءوا بفشل عظيم اذ انهم عجزوا عن اقتحام السور ولم يستطيعوا فتح ثغرة واحدة فيه » .

ولكن اليهود كانوا يبيتون أمراً للجيش العربية مجزأة وحين اطمأنوا الى أن الجيش العراقي قد جمّد تحت نفوذ مباشر مع الجيش الأردني ، وأن تلك الجبهة المهمة التي يحتلها سوف لا تتحرك ضدهم ، وجهوا أكبر جهدهم لجبهة الجيش المصري في النقب ، وفشل مجلس الأمن في ردع العدوان ولم يأبه اليهود به ، اذ كانوا مطمئنين لعون أميركا وبريطانيا اللتين تحولان دون اتخاذ أي اجراء ضدهم ، وعبثاً حاولت مصر اسماع صوتها الى الضمير العالمي ليرغم اليهود على احترام قرارات مجلس الأمن ، والعودة للخطوط ، تحركت قوات اليهود لفرض الامر الواقع في خليج العقبة فسحب جلوب ٨٠٠ جندي عربي مدرب من طريقهم ، وزحف اليهود في قوة لا تزيد عن ٣٠٠ جندي ، واحتلوا منطقة النقب التي كانت تحميها القوات الاردنية بما في ذلك ميناء ام الرشراش ( ايلات ) على الخليج ، وكان ذلك في العاشر من مارس ( آذار ) ١٩٤٩ . (٣١)

(٣١) المصدر السابق ، ص ٤٧٨ - ٤٨١ .

وكان كل هذا يجري والمفاوضات جارية في رودس بين وفود العرب والوفد اليهودي الذي كان يخاطبهم بلهجة المنتصر في سبيل خلق هدنة دائمة مع كل دولة على حدة ، ويفرض على بعضهم قبول حدود ظالمة ويقتطع مساحات جديدة لاسرائيل فوق ما كان قد نالته في ميدان الصراع المسلح وكانت الجبهة المهمة التي يحسب لها اليهود حساباً كبيراً هي الجبهة المصرية وقد والى اليهود اهتمامهم بها ، وكان الجيش المصري يشكو فساد السلاح ونفاده ، ولكنه خاض برغم ظروفه معارك مريرة دائمة في صحراء النقب وكان قسم منه محصوراً في الفالوجا بقيادة سيد طه ويضم بين ضباطه جمال عبد الناصر ، واحتفظ هؤلاء الأبطال بمراكزهم ثابتين حتى عادوا الى مصر بسلاحهم حسب الهدنة الدائمة في اليوم العاشر من مارس ( آذار ) ١٩٤٩ .

وهكذا انتهت جولة من جولات معركة الأمة العربية تعاون خلالها ضدها انحراف القيادات وضعفها ، وتعاون الصليبية الاستعمارية بكل قوتها مع الصهيونية الباغية لاذلال العرب وجيوشهم السبعة في سبيل خلق دولة يهودية ، يريدونها ركيزة أولى نحو توسع شاسع في اجزاء مهمة من الوطن العربي .

واذا كانت هذه هي الجولة الاولى التي تجمعت فيها جيوش عربية في معركة المصير ، فإنه من المأميد لهذا البحث أن نسجل احصائية بالخسائر التي تكبدتها الأمة العربية في الأرواح خلالها :

١ -	كان الشهداء من الجيش المصري يبلفون	١٠٠ ضابط
		٨٦١ جنديا
	يضاف اليهم شهداء مصريون	
	ليسوا في سلك الجندية	٢٠٠
	المجموع	١١٦١
٢ -	وكان الشهداء من الجيش الأردني	١٠ ضباط
		٣٥٢ صف ضابط وجندي
	يضاف اليهم شهداء ليسوا في سلك الجندية	٢٠٠
	المجموع	٥٦٢
٣	كان شهداء الجيش العراقي	١٠ ضباط
		١٨٩ صف ضابط وجندي
	يضاف اليهم شهداء ليسوا في سلك الجندية	٢٠٠
	المجموع	٣٩٩
٤ -	كان شهداء الجيش السوري	٣٠٧
		٥٤



يضاف اليهم شهداء ليسوا في سلك الجندية ١٥٠  
المجموع ٥١١

٥ - وكان شهداء الجيش اللبناني ١١ منهم ضابط واحد  
يضاف اليهم شهداء ليسوا في سلك الجندية ١٥٠  
المجموع ١٦١

٦ - وكان شهداء الجيش السعودي ٦٨ منهم اربعة ضباط  
يضاف اليهم شهداء ليسوا في سلك الجندية ١٠٥  
المجموع ١٧٣

وكان شهداء جيش الانتقاذ

وهو مزيج من كل شعوب العرب ٥١٢ يضاف اليهم

٢١ يمني

١٥ ليبي

١٢ من تونس والجزائر

ومراكش

اما شهداء شعب فلسطين خلال معركة ١٩٤٨ فكانوا ١٣٠٥٠ مجاهدا  
شهيدا (٢٢).

ولا يدخل في هذه الاحصائية ما فقدته شعب فلسطين خلال صراعه  
الطويل الدامي منذ ١٩١٧ ، ولا ما فقدته في معسكرات اللاجئين وعلى خطوط  
الهدنة وفي اعتداءات اليهود المستمرة والاحداث المتلاحقة بعد ذلك .

#### ٤ - الدور الايجابي لشعب فلسطين في المعركة :

كان الشعب الفلسطيني مهملا في اغلب الانحاء من وطنه ، بل لقد  
تعمد البعض اقصاءه عن المعركة ، وهو الشعب الذي احتفظ بأكبر الأجزاء  
في بلاده ، ودافع عنها وقاتل في سبيلها الى ان دخلت جيوش الدول العربية ،  
اذ لم تكن القوات اليهودية في منتصف مايو ( ايار ) تحتل الا جزءا ساحليا  
ممتدا من غرب يافا الى شرقي حيفا ، وجزءا آخر يحاذي بحيرة طبريا عند  
حدود سوريا ، وكانت بقية أجزاء فلسطين مصنونة بيد الشعب العربي بما  
في ذلك القدس القديمة والاحياء العربية الكبيرة بالقدس الجديدة والناصرية  
وعكا ورأس العين واللد والرملة وقرى جنين العديدة والخليل وبيت صفافا  
ورام الله ونابلس وجملة وزرعين ونورس والمزار ودير غزالة ، الى جانب

(٢٢) سجل الخلود اسماء الشهداء الذين استشهدوا في معارك فلسطين

صيدا بيروت - ج ٦ ص ٧ - ٩ .

النقب كله بمدنه وقراه ومضارب البادية في ربوعه وغزة وآلاف القرى والمدن  
في الجليل وغيره ، ويقول احد الثقات : « ان جميع ما استولى عليه اليهود  
سواء تملكا من الانجليز تحت حيلهم العديدة او بواسطة القوات العسكرية  
لم تكن في الخامس عشر من مايو ( ايار ) يزيد عن ثلاثة ملايين دونم وكان  
شعب فلسطين يتولى الدفاع عن مساحة تزيد عن اثنين وعشرين مليون  
دونم حتى اذا تسلمت الحكومات العربية مسئولية الدفاع عن فلسطين  
استولى اليهود على اكثر من ١٧ مليون دونم ضموها الى ما كان في حوزتهم :

١ - صفقة - اللد والرملة - وفيها استولى اليهود على ٩٥٠ ألف  
دونم تقريبا .

٢ - صفقة النقب وفيها استولى اليهود على ١٢٨٧٥٠٠٠ دونم  
تقريبا .

٣ - صفقة الجليلين الشرقي والغربي وفيها استولى اليهود على  
مليونى دونم تقريبا .

٤ - صفقة الثونة ورودس وفيها استولى اليهود على ١٦٧٥٠٠٠ دونم  
تقريبا وأغلبها من أراضي المثلث العربي ومنطقة الجليل ، ومجموع  
هذه الصفقات ١٧ مليون دونم أضيف الى ما كان في حوزة اليهود فصار  
مجموع ما بأيديهم ٢١ مليون دونم ، وبقي بأيدي العرب خمسة ملايين دونم  
تقريبا هي ما يسمى بالضفة الغربية من مملكة الأردن وما يسمى بقطاع  
غزة في الجنوب » (٢٣)

واذا كان الاحتفاظ بالوطن على هذه الصورة المشرفة يبرهن على معدن  
كريم لشعب فلسطين فان القيادة الانجليزية كانت تركز كل قواها لسحب  
السلاح من قوات الجهاد المقدس الفلسطيني وابعاد أفراده عن جو المعركة ،  
وقد أثبت مؤرخ عربي ان ابعاد الفلسطينيين وحل فرقهم كان الشغل  
الشاغل لقيادة جلوب . (٢٤)

وانه لعجيب أن تستمر هذه الخطة التي رسمها المستعمر لابعاد  
الشعب الفلسطيني عن مسرح القتال والحيولة دون معالجته قضيته  
بنفسه ، فتكون هي الخطة التي سارت عليها الجيوش العربية المنقذة ، فلم  
تكد تدخل فلسطين حتى بادرت بحل المنظمات العسكرية ونزعت السلاح

(٢٣) كارثة فلسطين ، ص ٣٦٠ - ٣٦٣ .

(٢٤) المصدر السابق ، ص ٣٦٠ - ٣٦٣ .



بل ان شعب فلسطين تعرض لحملة قاسية جدا من بعض اجهزة الاعلام العربية ، وكانت تلك الأجهزة قد تأثرت ببعض الدعايات المفرضة أو ببعض حوادث الانحراف التي لا تمثل الا جزءا ضئيلا تافها في تاريخ كل شعب مجاهد ، يقول مؤرخ عربي « لا نزال نذكر تلك الصور والمقالات التي كانت تنشرها مجلات « دار الهلال » وأخبار اليوم التي قدمتها للقراء غداء فكريا مسموما على أنه سبق صحفي منقطع النظير عن الجواسيس العرب وكيف أن الجيش المصري وجد قتلى من العرب ضمن قتلى اليهود في إحدى المارك ، هذه الأنباء المختلقة واشباهها كان لها أكبر الأثر في إيهام الجنود العرب أنهم يحاربون في أرض معادية ويساعدون قوما باعوا أرضهم وأمتشقوا الحسام دفاعا عن الصهيونية ، وإلى جانب ما في هذه الأنباء من تجن على الحقائق ، فقد أثرت تأثيرا بعيدا في قتل الروح المعنوية في الجنود المحاربين ، ومضى الجنود يعاملون العرب على أنهم جواسيس ، ويكفي أن يوجد في جسم عربي « وشم قديم » أو « كي » بالنار لتلصق به هذه التهمة وقبل أن يتم التحقيق يكون العربي قد نال نصيبه الوافر من الضرب بالأيدي والركل بالأقدام » .

ويسوق هذا المؤرخ حادثة شاهدها بنفسه خلال معركة ١٩٤٨ فيقول « حينما كان الجيش العربي المصري الباسل يخوض غمار المارك العنيفة في بئر السبع ، كان هناك أعرابي يدعى « ابن عقيل » شجاع وخبير بمسالك الصحراء وتعاون مع قائد منطقة « عسلوج » في وضع الألغام على طرق اليهود وأدى دوره ببراعة تستحق الإعجاب ، وحدث أنه عثر على عدد من الألغام الضخمة التي زرعها اليهود على طريق الجيش المصري فتزعها من الطريق وحملها في كيس على كتفه ، ومضى بها فخورا ليسلمها إلى القيادة ، ولكن الجنود قبضوا عليه وهم يتصايحون « جاسوس » « جاسوس » وأنهلوا عليه ضربا وهو يحاول اقناعهم دون جدوى وزاد من أشكاله أن وجدوا بجسمه عدة أختام « كي » نتيجة الأمراض التي أصيب بها ، كانت القيادة السابقة قد تفرقت وسرعان ما أدين وحكم عليه بالأعدام ولولا أن جاء القائد السابق فأعطى شهادته لصالحه ، وأكد أنه أنقذ قوادا ورتلين من السيارات العسكرية ، وأنه قام بأعمال فدائية مهمة جدا ، فبرىء استئنافيا ومنحه رئيس المجلس العسكري منحة مالية مقدرا

لبطولته ، ولولا شهادة القائد السابق التي أوضحت حقيقة هذا البطل لنفذ فيه حكم الإعدام ، والحقيقة أنه لم يعرف التاريخ شعبا كافح في سبيل حريته مثل ما كافح الشعب العربي الفلسطيني ، ولم يشهد التاريخ نوعا من أنواع التنكيل والإرهاب أشد وأقسى مما صبتة بريطانيا على هذا الشعب الباسل ، وأن ثوراته المتتابعة لتعطي صورة صادقة لنفسية هذا الشعب وإيمانه بحقوقه إيمانا تغفل في نفوس جميع أفرادهِ وتساوى فيه البدوي والحضري » (٣٦)

ولعل الأسباب المباشرة لبدء سريان تلك الإشاعات ضد الفلسطينيين هي قدرة اليهود على الحيل والخداع ، فقد ثبت أن أفرادا من اليهود الذين عاشوا في البلاد العربية بتهمة دوائر الاستخبارات اليهودية في بعض الجهات ، وهم يرتدون ملابس العرب ويتحدثون لفتحهم ، فلقد أقت القوت المصرية القبض على اثنين يلبسان ملابس البدو في قطاع غزة ، وكانا يضمان ميكروب الكوليرا في المياه ، وظن انهما عريبان ثم ثبت انهما جاسوسان يهوديان (٣٧) وتكررت حوادث كثيرة مثل هذه .

وجنوح اليهود الى التزي بالآزياء العربية تكرر مرارا وأخذوها وسيلة لخدبة الشعب العربي ، فقد دخلوا جنين اثناء قتال ١٩٤٨ وهم يتحدثون اللغة العربية واللهجة العراقية ، وظنهم الناس انهم جيش العراق المنتظر ، بل أنهم دخلوا الناصرة في ١٦ يوليو ( تموز ) ١٩٤٨ يرتدون ثيابا عربية وفرح بهم الأهليون وراح الرجال يصفقون وتعالّت زغاريد النساء ورفعت السيدة راضية المهدي أم فؤاد الميوطى صوتها هاتفة « حاج أمين يا منصور » فصبوب اليهود عليها رصاصهم وقتلوا (٣٨)

على أن الذين عاشوا في فلسطين أيام الجهاد والقتال لا يخفون أعجابهم بشعب فلسطين ، وليس أدل على ذلك من خطاب للرئيس جمال عبد الناصر يقول فيه « اني أريد أن تعرفوا ان كل ما قيل من أن أهل فلسطين لم يحسنوا الدفاع عن وطنهم كلام قصد به الخداع والتضليل ، لقد جربتمكم بنفسي وأنا أعرف أكثر من غيري حقيقتكم ، أن الذين قاتلوا منكم معي قاتلوا بشرف ، كذلك عرفت أهل فلسطين بنفسي ورايتهم بعيني ، وليس ذنبهم أنهم لم يكن بأيديهم سلاح وكانت أيدي أعدائهم مليئة به » (٣٩)

(٣٦) المصدر السابق ، ص ٧٥ .

(٣٧) حقائق عن قضية فلسطين ، ص ٢٢ .

(٣٨) نكة بيت المقدس ، ج ٣ ص ٨ .

(٣٩) الرئيس جمال عبد الناصر ، خطابه بغزة ، عيد الفطر ١٩٥٦ .



بل أن شهادة مهمة جدا تسجل صفحة مجيدة رافقت تاريخ هذا الشعب في جميع الظروف ، قالها الرئيس جمال عبد الناصر وهو يتحدث في المؤتمر التماونى بالقاهرة « حارب الشعب الفلسطيني في غزة وخان يونس ورفح واثبت هذا الشعب المقاتل أنه يتمسك بحقه في الحياة وبحقوق شعب فلسطين التي سلتها الدول الكبرى وبحقه في وطنه ، حارب الشعب الفلسطيني في غزة وهو يعلم أن الجيش العربي انسحب ولكنهم حاربوا دفاعا عن شرفهم وكرامتهم ، حاربوا لأنهم لا يمكنهم رؤية اليهود يدخلون بلادهم دون أن يحاربوهم ويقاتلوهم ، وفي خان يونس كانت هناك معركة مريرة عنيفة مات فيها عدد كبير من المدنيين الفلسطينيين في قطاع غزة ، واثبت هذا الشعب أنه لم تؤثر فيه الأحداث ولم تؤثر فيه المحن ، ولم تؤثر فيه مؤامرات الدول الكبرى ولكنه متمسك بقوميته وعرويته ومتمسك بقوته وقدرته على القتال » (٤٠)

وانه لمستند تاريخي يشهد لعرب فلسطين بالوطنية والبطولة ، ذلك النداء الذي وجهه قائد القوات المصرية اليهم في اليوم العاشر من يناير ١٩٤٩ وبعد معارك هامة طفت فيها الصهيونية فيقول « لقد كان لموقفكم النبيل المشرف ، وايمانكم بنصرة الحق احسن الاثر في نفسي ونفس جنودي ، فلقد احتملتم متاعب الغارات وضحاياها ، كما احتملتم ضغط المدو باذاعاته الكاذبة ومنشوراته ، ولقد كنتم رابطي الجاش ثابتي العزيمة ، فلم تسبوا لي متاعب في الخلف ، بالرغم مما لاقيتم من خسائر ، فبأسمى واسم جنودي أشكركم أولا وأهنتكم بهذا الايمان وهذه العزيمة الصادقة وابشركم بنهاية سارة بفضل الله .

لواء أركان حرب أحمد فؤاد صادق قائد  
عام القوات المصرية بفلسطين (٤١)

ولست أجد أبلغ من تعبير شيخ علماء الجزائر البشير الابراهيمي وهو يتحدث عن شعب فلسطين فيقول « أما الحق الذي مكانه من هذه المظاهر مكان البسمة من اللوح فهو ما قام به عرب فلسطين الأبطال الذين كشفوا عن صواب الرأي القناع ، وحذفوا من الجملة حرف الامتناع ، وفتحوا باب الموت على مصراعيه وتأسوا فسنوا للكرام التأسيا وهذا هو العنوان كتبه عرب فلسطين بالصفاح لا بالأقلام وهذا هو الواجب شرعه عرب فلسطين لجميع العرب (٤٢) »

(٤٠) الرئيس جمال عبد الناصر في المؤتمر التماونى بالقاهرة في ٥ من ديسمبر ١٩٥٧ .

(٤١) نكبة بيت المقدس ، ج ٤ ، ص ٨٠٩ .

(٤٢) البشير الابراهيمي ، مجلة البصائر الجزائرية العدد ٢٥ عام ١٩٤٨ .

## ٥ - الشعوب العربية لم ترتفع الى مستوى المعركة :

ولنعد الآن الى الموقف العربي في الخامس عشر من مايو ( أيار ) عام ١٩٤٨ ، لنذكر في احاطة شاملة أن قسما واحدا من الشعب العربي كان يصلي المعركة وحده ، ويتجرع كأسها المرة حتى الثمالة وأعني به الشعب الفلسطيني ، أما باقي الشعوب العربية فقد كانت تنظر الى المعركة باعتبارها صراعا جانبيا وفرعيا ، تعطيه من حماسها وتصفيقها القدر الذي لا يعرقل مظاهر سيرها اليومي وعيها المعتاد ، ولا ريب أن ذلك كان ينبعث من مواقف الحكومات العربية التي لم تنظر الى معركة فلسطين باعتبارها معركة حيوية وتاريخية ، وصداما مع عدو استمر يستعد للمنازلة ثلاثين عاما ، ساعدته خلالها أغلب الدول الصليبية الاستعمارية وفي مقدمتها بريطانيا وأمريكا .

لقد كان وضع العواصم العربية في مساء الخامس عشر من شهر مايو وبعد ذلك ، وضعاً لا يمت الى حالة الحرب بصلة ، فلم تعلن حالة الطوارئ بين الجماهير ، ولم تفرض ضرائب للدفاع ، بل ولم ترفع حتى اثمان تذاكر المسارح والسينمات بجزء لحملة فلسطين ، ولم تغير تلك البرامج في كمها ولا في كيفها ، ونظرة سريعة الى صحف ذلك اليوم في القاهرة ، تفيدك أنه بينما كان الأبطال من جنود الجيش وضباطه يتجهون نحو خطوط القتال ، كانت القاهرة ترقص مع بديعة مصابني وغيرها من الساهرات .

وتفيدنا صحف ذلك التاريخ (٤٣) من شهر مايو ( أيار ) أن دور السينما كلها كانت عاملة لا علاقة لها بالحرب المقدسة في فلسطين :

« برامج السينما والمسرح :

غدا ... غدا ... غدا ... سراج منير - هاجر حمدي في البوسطجي  
( ثم نحو عشرة أسماء للممثلين وأمثالهم في خط كبير )

تمتعوا بسهرة صيفية لطيفة بكازينو الجمل ، حديقة غناء ، مشروبات شهية .

يوسف وهبي : آخر حفلة في الموسم التمثيلي الليلة ٩١/٢ مساء بمسرح الأزيكية « بنات الريف »

سينما الشرق بالسيدة زينب : عروسة البحر  
سينما حديقة الأزيكية : الوقت والمكان والفتاة

(٤٣) جريدة الاهرام العدد ١٦ و ٢٧ من مايو ١٩٤٨ .



- السينما الاهلي بالسيدة زينب : الهارب من السجن .
- سينما شبرا بالاس : المليونيرة الصغيرة .
- سينما مصر : ابن الحداد .
- سينما ريفولي : طريد القانون .
- سينما كايرو : أسرار دون جوان .

اما ملاهي الرقص حيث النساء والخمر ، فلم تكن اقل نشاطا من دور السينما :

- صفية حلمي : استعراض فن الرقص .
- كيت كات : بيا وفرقتها .
- بديعة مصابني وفرقتها الكبرى : الجائزة الاولى .
- البوسفور : احسان عبده وفرقتها .

اما الاذاعة فاذا استثنينا البلاغات الرسمية ، وبعض الكلمات المناسبة الى جانب اغنية عبد الوهاب المعبرة من شعر علي محمود طه « اخي جاوز الظالمون المدى » اذا استثنينا ذلك ، فقد كانت برامجها سلمية لا علاقة لها بالحرب ولا بهيئة تهيب الشعب للاعداد والاستعداد ومعرفة خطورة الموقف وتقدير جوانبه بجميع مستلزماته .

وفي الساعة الثالثة وهـ ٤ دقيقة من يوم ١٧ مايو ( ايار ) ١٩٤٨ بينما كان أبناء مصر وفلسطين والبلدان العربية من الجنود البواسل والمتطوعين يقاتلون اليهود ويخوضون ميدان الدم ، كانت الاذاعة المصرية تذيع وصفا لمباراة كرة القدم بين فريق مصر والفريق المجري على أرض ثكنات مصطفى باشا بالاسكندرية ، وفي الخامسة وهـ ٤ دقيقة كانت تذيع عددا من اغاني الحب والغرام في برنامج ما يطلبه المستمعون : ووسط هذا الجو الصاخب المرح الساهر ، تعلن جمعية الشبان المسيحية والنادي الشرقي أنهما يؤجلان الحفلتين الساهرتين بسبب الحالة في فلسطين ، فكان هذا التصرف من النادي والجمعية هو الوحيد المعبر عن الادراك والمشاركة من الفارقين في ميدان الطرب والترف .

ولا يختلف الوضع في دمشق وبغداد وبيروت عن الوضع في القاهرة ، جماعات من الشعب تتحدث عن زحف عسكري على فلسطين ، وجموع غفيرة تؤم دور السينما والمسارح وملاعب الكرة ، وأندية القمار وفي اطمئنان ، كأن الامر لا يعنيها ولا يشغلها : فبينما الأبطال الفلسطينيون يترنحون تحت سلاح الصهيونية المستورد بعون أمريكا وبريطانيا ودول أوروبا كلها ، وبينما كان الشعب العربي في سوريا يحترق الما على أحداث

فلسطين كان جانب آخر منه يمثل عدم المبالاة والبعد عن مستوى المعركة وجديتها .

ولنقرأ صحف دمشق حيث تعلن : (٤٤)

مسابقة ذات جوائز مالية بمبلغ ١٠٠ ليرة سورية تقدمها ادارة سينما الشرق بمناسبة عرض فيلم الموسم الاجتماعي الكبير الذي سيعرض الاثنين ١٧ ( فيلم سجن الليل )

- سينما الاهرام : شادية الوادي
- سينما عائدة : برج الأهوال .
- سينما دنيا : الجبار .

ومثل هذه الاعلانات السينمائية لا توجد في بلد أعد نفسه لمعركة مصيرية وجهز شبابه ورجاله لخوض لهيب الجلال ، واذا كانت وسائل الاعلام أحدي دعائم المعركة ، واذا كان الشعب يجب ان يستمع الى صوت قادته في مثل هذه المواقف التاريخية ، والى برامج مناسبة للمعركة تقوي الهمم وتنشر الحماسة في جماهير الشعب ، فان تلك الجريدة السورية تنشر برامج اذاعة لندن ، لندن التي أرست قواعد اليهودية في فلسطين وعملت على تشريد شعبنا واذلاله .

ولم يكن الوضع في بيروت يختلف عن ذلك الوضع في دمشق ، فلم تكن الصحف تعطي الا نفس الصورة الالهية : (٤٥) .

- سينما هوليوود : فيلم سر أبي ( الفيلم الفئائي العاطفي الراقص )
- سينما روكسي : شمشون الجبار .
- سينما دنيا : أيفي جون فونتين

واذا كانت الجريدة الدمشقية تنشر في يومياتها برامج B.B.C الاذاعة البريطانية ليتابع قراؤها العرب اخبار لندن ، فان الجريدة اللبنانية تنشر برامج اذاعة باريس باللغة العربية ، وعلم الله كم دست لنا هذه الاذاعات السم في الدسم ، وكم سربت في الاخبار ما يضني العزم ويحطم القوى والجهد .

واذا كانت هذه هي مظاهر الامة العربية في القاهرة وفي بيروت ودمشق، مظاهر الذين يحيون في دعة ، ويسيرون في سعادة ، ويرتادون الملاهي والملاعب والمساهر كأنهم في سلام مقيم ، أو كأن النصر معقود لهم من لدن

(٤٤) جريدة القيس الدمشقية العدد ٣٦١١ الصادر في ١٦ من مايو ( ايار ) ١٩٤٨ .

(٤٥) جريدة صوت الاحرار البيروتية العدد الصادر في ١٥ من مايو ( ايار ) ١٩٤٨ .



عزيز حكيم ، فان الحال في بغداد لم يكن مختلفا ابدا :

« الافتتاح العظيم لكباريه دولاني روج شارع أبي نواس ، تفتح ادارة كباريه دولاني روج بالجوق الموسيقي الاستعراضي النسائي الايطالي ليماجيمس ، وتزف للجمهور الكريم وصول غادات البوسفور الرشيقات ليشتركن في المناهج القريبة مع جميع فنانات الملهى تركي - انجليزي ايطالي ، فرنسي - اسباني ، حفلات للعائلات كل يوم سبت من الساعة ٣ر٣ الى ٥ مساء .

فاذا اتجهت الى دور السينما في بغداد يوم ١٥ مايو ( ايار ) ١٩٤٨ وما بعده وبينما كان الجيش العراقي يتجه الى المعركة ولا يعوزه الا امر اطلاق النار ، وجدت ان عددها في بغداد اربع عشرة دارا للسينما استمرت كلها عاملة في ذلك اليوم الخطير :

سينما روكسي : حكايات ماشهتان  
سينما الرشيد : السهم الاخضر  
سينما الحرية : لست ملاكا .  
سينما غازي : السيدة تعارض .  
سينما الفردوس : الغروب .  
سينما ريجنت : الفارس الوحيد  
سينما ديانا : غني حرب  
سينما ميامي : سيسيل الجميلة  
سينما الشرق الصيفي : بياعة اليانصيب  
سينما الطوني : رصاصة في القلب  
سينما ريكس : مناورات الفواصات .  
سينما الفردوس الصغير : عنتر وعبله  
سينما الرشيد الصيفي : غدر وعذاب  
سينما الوطني الصيفي : دنائير

وانه لمؤسف ان تكون هذه هي حال العراق الذي طالما رفع اليه شباب العرب الانظار ولقبوه ببروسيا الشرق، والذي طالما نادى شباب «نادي المثني» في ارجائه بنشيدهم الخالد : « بلاد العرب اوطاني »

هذه صورة الاوطان العربية او بعضها ، اما الآخر فأما انه كان قليل الجهد ضعيفه ، وأما أنه كان يرزح تحت أستعمار ثقيل ولكنه يحاول ويحاول ، انها صورة الاوطان التي تأخذ الحياة رخية بالمرض والطول ، هي بعيدة عن الفهم العميق للمأساة التي مثلت خلال ثلاثين عاما ، وهي

بعيدة عن الاهتمام والانشغال بالنتائج المرتقبة لمعركة يجب ان تجند فيها كل الامكانيات ، ولصراع رهيب وضعت قواعده ضدنا الصليبية الاستعمارية . وبقينا نحن سادرين في غفلة ولهو ودون مبالاة ، ولكن كل موطن من الاوطان العربية لم يخل من مخلصين كانوا يتحرقون الما لبعده واقع بلدانهم عن حقيقة المعركة ، وكانوا طلائع الحرية العربية فبمئثوا بفدائيتهم الى الميدان يخوضون المعارك قبل دخول الجيوش ، وكانت مصر أكثر تلك الاوطان حماسة ، وكان فدائيوها يرأسهم الشهيد أحمد عبد العزيز يخوضون الصدام في صدق وعزم ، في عراق سويدان والخليل والفالوجا وضواحي القدس .

وكانت هناك جماعات ترسمت خطى المجاهدين الذين يدفعون ارواحهم في سبيل الله ويبحثون عن الشهادة ، كانت هذه الجماعات اكثر نداء وأصدق نزالا في ميدان المعارك سواء منها من عبر الحدود من سوريا أم الاردن أم العراق أم من عبرها من أرض الكنانة وكان فيهم العديد من أبناء شمال أفريقيا تسربوا على الرغم من واقع بلدانهم الأليم مع الاستعمار ، ولكنهم تسابقوا الى فلسطين فكلهم يرى أن المعركة واحدة وأن المصير واحد . وكانت ليبيا تمثل المصير لأولئك المتطوعين ، يصلون اليها سرا وسيرا على الأقدام ، وفيها يتمنون ويشجعون ، وترافقهم مجموعة من متطوعي ليبيا أنفسهم ، وخين بدأ زحف الجيوش العربية كانت هناك قبور عديدة في فلسطين تضم تحت ترابها الناعم العدد الكثير من شهداء ليبيا وشمال أفريقيا وغيرهم من المتطوعين .



المؤلف يتوسط بعض الشباب الليبي ، اثناء زيارة للنصب التذكاري برامات راحيل بفلسطين حيث يرقد الشهداء الليبيون .



ولقد شهد لهم قواد الجيوش في القضايا التي نظرتها المحاكم عقب عام النكبة ، فوصفوه بأنهم أبطال النزال صادقو العزيمة ، يلتفون بالشجاعة ويقدمون في اعتزاز على الاستشهاد ولقاء الأعداء في صبر وثبات .

وفي ظل ميزانيات السلم التي لا تسليح فيها ولا تمرين ولا احتياطي ، زحفت جيوش عربية قوامها جنود وضباط مخلصون شجعان ، وقيادات سياسية تقبع وراء القصور في معظم العواصم العربية بعيدة عن جديّة المعركة وأخطار المستقبل البعيد ، وعن حاضر الشعب صاحب الأرض الذي تلاقت عليه المؤامرات الدولية والقرارات السرية والعلنية .

#### ٦ - مأساة هجرة الفلسطينيين :

يسوقنا الواقع الفلسطيني في منتصف مايو ( أيار ) ١٩٤٨ الى التساؤل عن أولئك الذين احتلت الصهيونية ديارهم ، وعسكرت في منازلهم وحدائقهم بيافا ، وسلمة وحيفا وعكا وفي القسطل وضواحي القدس الجديدة ، ولقد علم أن اليهود كلما احتلوا أرضا عربية عملوا فيها يد التخريب والدمار ، وأرسلوا الى أهلها شظايا القنابل ومجاميع الرصاص ، فعلوا ذلك في يافا يوم احتلالها ، رغم تعهدهم باحترام قوانين الحرب وعدم المساس بالمدنيين ، وفعلوا ذلك في حيفا حين رفضت الاستسلام فدكوها بجحافلهم وفتكوا بجموع الاهلين ، وفعلوا ذلك أيضا في مختلف القرى العربية فأشاعوا بين الشعب روح الارهاب والبحث عن النجاة ، والحق أن جرائم اليهود في فلسطين ضد شعبها العربي فاقت قدرة البشر على المقاومة والاحتمال ، فهم يقتلون من يلاقون في بدء زحفهم وبعد احتلالهم ، ثم يرغمون الآخرين تحت لدغ الرصاص على مفارقة منازلهم واخراجهم الى البراري ومناطق احتلالهم ، كما حدث في اللد والرملة والقرى المحيطة بهما ، وكان اليهود يقصدون اخراج العرب من ديارهم ، ولهذا كانت أعمال الارهاب احدى وسائلهم لنزوح العرب وهجرتهم ، ولعل قرية دير ياسين وما فعله اليهود فيها وفي قرية ناصر الدين ، لعل قصتيهما تكفيان للحديث عن مبررات الهجرة الفلسطينية .

#### دير ياسين :

كانت هذه القرية العربية تعيش في بحوحة من العيش الرخي ، يسكنها ٧٧٥ نسمة من العرب المسلمين ويملكون ١٧٠٠ دونم للحبوب والثمار ، وبينهم تجار ومقاولون ، ويحيون حياة يسر ورخاء ، كان فيها

مسجدان ومدرستان (٤٦) وناد للرياضة ، وكانت محاطة بمناطق يهودية يربو سكانها على مائة وخمسين الفا . (٤٧)

وفي بداية القتال بفلسطين اتصل قائد احدى القرى المجاورة لدير ياسين بوجهائها قائلا : « مالنا ولقيرنا ، لا تعتدوا علينا ولا نعتدي عليكم » فوافقه الوجهاء ولم يحدث أي اعتداء بينهم .

وفي اليوم التاسع من ابريل ( نيسان ) ١٩٤٨ وقبل أن ترسل أنوار الفجر أشعتها ، والقرية نائمة هادئة ، كان اليهود يهاجمونها من جميع الجهات ، أرسلوا طائرة رمتها بعديد من القنابل ، وتقدم جنودهم تحميم خمس عشرة دبابة ، وكانت الحملة اليهودية كبيرة جدا ، ولم يكن المسلحون بالقرية يزيدون عن خمسة وثمانين مسلحا ، وصحا أهل القرية على انفجارات ، وهبوا يدافعون عن قريتهم وأراضيهم ، واستمرت المعركة الى الثانية والنصف ظهرا ، لم يشنهم طحن الدبابات اليهودية لبعض أبطالهم ، ولا هدمها لمنازلهم ، وتحولت المعركة من بيت الى بيت ، ومن ركن الى ركن وشهد ذلك الصباح بطولات خالدة لسكان تلك القرية التي داهمها اليهود فجأة وعلى غرة . (٤٨)

ولم تتخلف نسوة دير ياسين ، بل كن يمددن المقاتلين بالذخيرة ، ويقفن في صف المعركة تلك المعركة التي لم تهدأ الا عندما نفدت ذخائر العرب ، وعندما نفدت الذخيرة ، تمكن اليهود من تفتيش شوارع القرية ومنازلها ، واستحلوا القتل والتمثيل في سكانها ، لقد استطاع القليل من السكان اختراق صفوف اليهود بقوة بعض القنابل اليدوية ، وقتل من لم يستطع ، لا فرق بين الشيوخ والأطفال ، وكان بين النسوة خمس وعشرون حاملا رموهن كلهن بالرصاص : وداهموا الدور فقتلوا كبار السن ورموا بجثثهم من الشرفات (٤٩)

(٤٦) كارثة فلسطين ، ج ١ ص ١٦٩ .

(٤٧) كانت محاطة من الشرق بمونتيفوري الجديدة وبيت فيفان والاحياء اليهودية الاخرى ، ومن الشمال الى الشرق بمستعمرة جبعات شاءول ومن الجنوب بمستعمرة يافنتوف ومن الجنوب الى الشرق بيت هاكميم ، ومن الغرب بأراضي موزا وأرزا .  
(٤٨) مما يروى عن بعض احداث ذلك اليوم التاريخي أن محمد الحاج عايش قاتل بشجاعة حتى استشهد ، وكانت والدته السيدة حلوة زيدان ترقبه وتجاوره ، فلما استشهد زغردت لاستشهاده ، فاستلم بندقيته والده الحاج عايش ، وقاتل حتى استشهد ، وهناك لم يعد في بيتها احد ، فتسلمت البندقية وقاتلت حتى استشهدت .  
(٤٩) فعلوا ذلك بالحاج جابر مصطفى والحاج اسماعيل عطية وزوجته وحفيدها الطفل الصغير .



وبينما كانت امرأة عربية تحاول انقاذ زوجها الكفيف البصر محمد علي خليل وتقوده صارخة ضارعة اطلقوا رصاصهم صامين اذانهم عن دعاء الانسانية وبينما كانت السيدة سالحة محمد عيسى مع طفلها الصغير اطلقوا عليها رصاصهم فقتلوهما معا، وتلك الشاهدة حياة البليسي المدرسة في القرية والتي كانت تسعف الجرحى حاملة شارة الصليب الاحمر اردوها شهيدة وسط جراحها واناتهم ، وهناك أسر أبيد معظم افرادها في تلك القرية، وفي ذلك الصباح الذي لا ينسى (٥٠) ولم يرحموا حتى النسوة العجز والشيوخ الكبار فقد كان رصاصهم يقصدهم ويحصدهم على مختلف احوالهم ، وقد مثلوا بالقتلى وأرغموا الأسرى على أن يدوسوا جثثهم ، وأخذوا سبعة من الأسرى فطافوا بهم شوارع القدس الجديدة ، ثم عذبوهم في شوارع القرية على مرأى من أسرهم : ثم غابوا في غياهب المجهول الى اليوم ، واتجهوا الى نسوة القرية اللاتي فاتهن دور الموت ، سلّبو حليهن وكل ما معهن وجردوهن من الحجاب وسيروهن حافيات الأقدام عاريات الرؤوس والوجوه ، وأخذت تلك الأشلاء الباقية من الأسرى طوابير في شوارع القدس بين سب اليهود وتشهيرهم ، ثم أودعن المستشفى الإيطالي في ضواحي القدس الجديدة حيث توزع ذلك الجمع الحزين بين القدس العربية ومختلف القرى .

ان مناحم بيغن قائد عصاة الأرغون التي تولت مع غيرها مجزرة دير ياسين ، يتحدث عن دفاع العرب عن قريتهم فيقول : « ان نارهم كانت حامية وقاتلة ، وقد اضطر اليهود أن يحاربوا العرب من شارع الى شارع ومن دار الى دار » (٥١) .

وقد تحدثت الحاجة زينب احمد موسى إحدى نساء دير ياسين اللاتي طوّف بهن اليهود في شوارع القدس ، تحدثت الى المؤرخ عارف العارف فذكرت : ان اليهود ارغموها بعد المعركة على ان تحمل زهاء ثمانين جثة من قتلاهم في ذلك اليوم ، اما مجموع ضحايا العرب في دير ياسين فكان مائتين وخمسين شهيدا وشهيدة ، ويؤكد الكاتب اليهودي « هاري ليفين » ان الجماعات اليهودية الثلاث اشتركت في تلك المجزرة البشرية سواء في ذلك شترن والأرغون وجيش الهاجانا اليهودي وأفاد الدكتور دي رينه الذي تمكن من دخول القرية يوم الحادث أن عددا كبيرا من المدنيين غير المسلحين من الرجال والنساء قد ذبحوا ذبح الانعام .

(٥٠) لم ينج من أسرة زهران الا ثلاثة شبان وأبيد معظم افراد أسرتي علي زيدان وعطية رجلا ونساء واطقلا .

(٥١) مناحم بيغن : الثورة ، ص ١٦٣ .

لقد حدثت هذه المجزرة ، وبلغ من فظاعتها أن أخذ اليهود جثث العرب ورموا بها في الآبار واقفرت تلك القرية من كل عربي فيها ، وكان هناك مائة مسلح من جيش الانقاذ الذي كونه الجامعة وأشرفت عليه لجنتها العسكرية يسكرون في عين كارم القريبة من دير ياسين ، وكان صوت الرصاص وصرخات النساء والأطفال يتردد في اصداء اجوائهم ، ولكن أحدا منهم لم يتحرك لانجاد دير ياسين ، اما الانجليز فقد صرح وزير مستعمراتهم مستر كريتش جونز في مجلس العموم قائلا : « ان جميع الحقائق التي توافرت لدينا تثبت هذه الجريمة القاسية ، وانني لا أستطيع سوى التعبير عن الكراهية والاحتقار اللذين تشعر بهما حكومة صاحب الجلالة تجاه هذه الأعمال التي هزت العالم كله (٥٢) . وبينما يعبر الوزير البريطاني عن أسفه وكرهه للجناة ، يتناسى أن حكومته الأسفة كانت المسؤولة عن الأمن دوليا وقانونيا حتى الخامس عشر من مايو (ايار) ، وأن هذه المجزرة كانت في التاسع من ابريل ( نيسان ) تحت سلطان علم بريطانيا ، وبالسلاح الذي كونه ووزعته طوال انتدابها ، بل انه يتناسى أن الجيش البريطاني والبوليس الخاضع للضباط البريطانيين كانوا يسمعون المعركة ويتابعونها من بعد ، لم يتحركوا لانهاؤها او حتى لانقاذ الأطفال والنساء والمدنيين غير المحاربين ، ولطالما اسرعت جيوش بريطانيا تنك حصار اليهود وتحارب العرب في كل موقعة تدرك أن جانب العرب فيها هو الغالب مما شرحنا بعضه في غير هذا المكان .

وفي عام ١٩٥٢ تكشف في محكمة اسرائيلية حقائق رهيبة عن تلك المعركة ، فشهد السفاح « مردخان نوفمان » واضع خطة مذبحه دير ياسين انه اتفق مع « دافيد ليشيل » على أن تشترك عصابة الارغون وشستيرن تحت حماية مدافع الهاجانا ، وأنهما تابعا المعركة التي استمرت من الرابعة صباحا حتى الخامسة مساء من قرية جبمات شاؤول .

هكذا مرت معركة دير ياسين بعد يوم واحد من استشهاد البطل الفلسطيني عبد القادر الحسيني في معركة القسطل ، وتركت هذه المذبحة عديدا من الأطفال الايتام والنسوة والأرامل (٥٣) .

(٥٢) نكبة بيت المقدس ، ج ١ ص ١٧٦ .

(٥٣) زونا بالقدس عام ١٩٦٤ الانسة هند الحسيني التي اشرفت منذ تاريخ النكبة على تربية وتعليم اطفال القرية الحزينة ، زوناها في دار الطفل ولقد راعنا منظر اولئك الاطفال الصغار الذين شبوا ونموا وتخرج بعضهم وما زال بعضهم يواصل الدراسة ، واستمعنا اليهم ينشدون اهزيج العودة ، ويتفنون بدبر ياسين وبافا وحيفا وتلك المربع الخالدة السلبية .



### ناصر الدين :

ان ما حدث في دير ياسين تكرر بنفس الصورة في قرية ناصر الدين العربية ، فأيد سكانها وهدمت منازلها وأزالوها من الوجود .

### أسباب الهجرة :

كانت هذه الفظائع اليهودية التي ذكرنا قسما منها على سبيل المثال لا الحصر ، بما فيها من تمثيل شنيع ، شهد به من بقي على قيد الحياة ، واعترفت به تقارير الصليب الأحمر الدولي من قطع الأيدي وبقر البطون وفقاً للميون وسلم الأذان ، أمام نظر الجميع من أسرى ومدنيين ، لا فرق بين شيخ طاعن أو طفل بريء ، كانت هذه الفظائع مدعاة لهجرة العرب من الأماكن التي يحتلها اليهود أو من تلك المهددة بغزوهم ، وانها لأسباب وجيهة لا يستطيع أحد أن يلوم عليها الشعب الفلسطيني ، وماذا تكون الأسباب المبررة للهجرة اذا لم تكن هذه الأسباب ، والتاريخ يشهد تكراراً دائماً لأحداثه وتقارباً لمبرراته .



أسرة عربية كانت في رخاء الميش بـ فلسطين ولكن الصهيونية ارغمتها على الهجرة والتشرد فلتنك المأساة لدى كل عربي ومسلم حافظاً للعمل .

هاجمت إيطاليا وطني الصغير ليبيا عام ١٩١١ ، وعلى طول تاريخ الجهاد وحتى عام ١٩٣٤ وجموع قومي تغادر الوطن مهاجرة وباحثة عن

الامن والسلامة ، حتى وصلت الى السودان والى مصر وفلسطين وسوريا ولبنان وتونس والجزائر ، بل ان بعض قومي هاجر الى الهند ومنهم من توفي هناك ، وان من قومي من ذابت عظامه في الصحراء حين هذه العطش والتعب وهو مفارق وطنه باحثاً عن الأمن والملجأ ، ولكنه لم يستطع الوصول فعانقته الرمال الى الأبد .

وبالأمس القريب وتلك الثورة المجيدة في الجزائر تشتعل ناراً ، كان مئات الألوف من الشعب الجزائري لاجئاً في المغرب وفي تونس وفي ليبيا وغيرها من الأوطان في انتظار النصر الذي تحقق . وخلال الحرب العالمية الثانية ونحن طلاب علم في مصر ، شهدنا جموعاً عديدة من سكان الاسكندرية وبعض قرى الدلتا تهاجر فزعة الى القاهرة لمجرد وصول الألمان الى الصحراء ، وبعد بضع غارات جوية اكتظت بهم القاهرة وأزدحمت ، لم يلاموا ولم يؤنبوا على الرغم مما نشرته صحف ذلك العهد من ارتباك وحيرة جموعهم حتى نسيت الوالدة طفلها وضمت الى صدرها مخدة مسرعة بها الى القطار المزدهم المثقل .

وهكذا ليس لنا ولا لأحد غيرنا أن يلوم الفلسطينيين على مفارقة ديارهم أمام نكبات التمثيل والقتل والذبح وفقدان الناصر وقلة السلاح ، على أنهم غادروا أوطانهم وهم يتوقعون عودة سريعة بعد زحف جيوش الدول العربية السبع ، كان ذلك منذ عام ١٩٤٨ وما زالوا يأملون أن تسمح لهم هذه الدول بالاستشهاد والفدائية في مرابع الآباء والأجداد (٥٤) .

ولا سبيل للوم الشعب الفلسطيني على الهجرة ، والهجرة لم تكن بدعة فاجأ بها الفلسطينيون باقي الأمم ، لقد هاجر المسلمون الأوائل الى الحبشة فراراً من طغيان الجاهلية وتعصبها ، بل لقد هاجر محمد العظيم وأصحابه في قصص تاريخي شهير الى المدينة حتى قوي عود الاسلام وعادوا محررين لمكة ، ثم لأنحاء بعيدة من العالم ، وما من بلد في العالم اشتعلت فيه أو على حدوده نار الحرب الا تكونت منه هجرة ، ذلك أن الشعوب لا تمثل كلها صفة المحارب المسلح ، فمنها الشيخ الواهن والطفل الصغير والمرأة التي لم تعرف في أوطان عديدة سلاحاً ولا قتالاً ، وكانت هذه الجموع تهجر دائماً بعيداً عن خطوط القتال ، فاذا قاربها خطوط النار أبعدها أكثر وبحثوا عن مواطن أخرى .

وحين تنادى الصليبيون في أرجاء أوروبا لطرد المسلمين من فلسطين عام

(٥٤) نعيد ما سبق أن ذكرناه من ان الكتاب كان قبل كاثرة يونيو ١٩٦٧ .



١٩٥٠ م وجاءت جحافلهم الكبيرة تشق أوروبا مارة بعدد من الأوطان وحاملة معها دوافع النهب والسلب ، هربت الشعوب أمامها وخلفت مشكلة لاجئين كبيرة حتى في الأراضي الصليبية التي اجتازتها في أوروبا ومشارف آسيا ، تقول مجلة « الراعي الصالح » لبطريك الروم الأرثوذكس بالأسكندرية : « كانت أنباؤهم المتكررة ، وما اقترفوه من فظائع ، وما ارتكبوه من موبقات ، تسبقهم الى الأراضي التي كانوا يزعمون اجتيازها ، وكان سكانها يفادرون مدنهم ومساكنهم حاملين معهم كل ما يملكون هربا من لقائهم »

وبالأمس حين كانت جحافل الألمان تغزو فرنسا عام ١٩٤٠ كانت إحدى مشكلات باريس العويصة تناقص المواد الغذائية ، وتزاحم الدور والشوارع بالفرنسيين المهاجرين من مناطق القتال ، وفي هذا المعنى يقول المؤرخ البريطاني العالمي أرنولد توينبي : « عندما غزا الألمان فرنسا عام ١٩٤٠ هرب بضعة ملايين من شمال فرنسا لأنهم كانوا في منطقة العمليات الحربية - وهو نفس السبب الذي هرب منه عرب فلسطين - ولو قال الألمان لقد غزونا البلاد وكان هؤلاء الفرنسيون قد نفذوا نصيحة غير سديدة فهربوا - كما يقول اليهود اليوم - وغدا لنا حق شرعي في ممتلكاتهم لكان جوابنا أنه كلام سخيف » (٥٦) .

وحين رُحفت جيوش الألمان على روسيا ، تكونت هناك أزمة هجرة ثقيلة بسبب الآلاف والملايين التي غادرت مساكنها ومزارعها متباعدة عن تطاحن الجيوش باحثة عن مأوى تنشد فيه الأمان ، وحين كانت المعركة تدور في ستالينجراد من شارع الى شارع ومن دار الى دار ، كانت المدينة قد اخلت من سكانها ، وكان القتال بين جيشين مسلحين ، وخلف خطوط القتال كان الجهاز الروسي الحكومي غارقا للأذقان في مشكلات اللاجئين من مناطق عديدة .

ونحن حين نتحدث عن فلسطين وأسباب هجرة شعبها ، نجد أن تلك الأسباب المعروفة للبشر والتي طوعت عديدهم على الهجرة في مختلف الأوطان ، كانت أهون من أسباب هجرة شعب فلسطين ، ذلك أن تلك الجيوش الأوروبية المتطاحنة في معارك النلاندر ودنكرك وبلجيكا وغيرها ، والتي خلفت هجرة كبرى في جميع مناطق أوروبا حتى أسس لها الحلفاء منظمة خاصة ترعى اللاجئين ، وتعيدهم بعد الحرب الى منازلهم ، لم تكن

(٥٥) ثبت تاريخيا أنه كان هناك سبب آخر لم يفعله الألمان في فرنسا وهو ما فعله اليهود من قتل الرجال والنساء والأطفال قتلا جماعيا .  
(٥٦) فلسطين جريمة ودفاع ، ص ١٠٨ .

تلك الجيوش تبعد الأمنيين وتمثل بالنساء والأطفال ، ولم تكن تهدم المساكن على ساكنيها ولم تكن ترغب الأحياء قبل قتلهم على دوس أحبابهم القتل بالآقدام ، ولم تكن تمثل بقتلى المعارك ولا ترمي بالرجال والنساء من شرفات العمارات ، ومع انعدام هذه الأفعال المرعبة المفرقة في الوحشية ، فقد فرت جموع المدنيين من مواطن عديدة من أوروبا أمام جحافل القزاة ومناظر الحرب .

أما ما حدث في فلسطين ، فقد كان العكس تماما ، ذلك أن اليهود ارتكبوا كل تلك الفظائع ضد المدنيين الذين وجدوهم بعد المعارك ، وانتشرت بين الجموع أنباء المجازر المحزنة ، بل أن اليهود عمدوا الى تقديم من روى الأحداث ممن عاصرها فتركوا قسما صغيرا اغرقوه في الإذلال وساقوه في الشوارع مهانا ، ثم فتحو له باب الخروج الى مناطق عربية ، وهو بقية من معركة وقطة منهارة من انسان تجمعت كل عوامل القهر عليه ، ومن المهم أن نستشهد هنا بأقوال المؤرخ البريطاني أرنولد توينبي وهو يرد مواجهة على سفير إسرائيل في كندا فيقول : « بعد مذبحه دير ياسين التي أيد فيها الجنسان من جميع الأعمار في القرية العربية الواقعة غربي القدس على أيدي قوات إسرائيلية مسلحة كان أفراد الهاجانا يسيرون في سيارة مجهزة بمكبرات الصوت وينادون باللغة العربية : أيها العرب نحن فعلنا ذلك بسكان هذه القرية فإذا لم تشاءوا أن نفعل بكم مثلهم فخرجوا من هذه الديار ، وحينئذ كان على جميع الواقعيين ضمن المنطقة الحربية عن حكمة منهم أو لانهم في خطر الموت أن يخرجوا .. الا يخرجون في تلك الحال ؟ » (٥٧) .

ومع كل هذه المبررات للهجرة ، فإن الأمر في فلسطين جد مختلف ، ذلك أنه على الرغم من انتشار تلك الأنباء الحزينة المرعبة في أنحاء فلسطين ، فإن التاريخ يحفظ لذلك الشعب أنه لم يترك أرضه وبلاده لمجرد الأرهاب ، فقد دلت الإحصائيات الرسمية أن أغلب أولئك الذين لجأوا كانوا من الذين يعجزون عن حماية أنفسهم ، أولئك الذين أجمعت الشرائع والقوانين على حمايتهم الا شريعة جيش اليهود في فلسطين ، فقد كان ٣٠ ٪ من اللاجئين أثناء ذلك القتال من أطفال لم يبلغوا الخامسة من عمرهم ، وكان ٣٦ ٪ من أعمار تتراوح بين السادسة والثامنة عشرة ، و ١١ ٪ من نساء حوامل وامهات مرضعات ، و ٨ ٪ من الشيوخ والمرضى والمجزة ويبلغ هذا ٨٥ ٪ من النسبة المئوية للاجئين (٥٨) ، فإذا أضفت الى هذا أن المرأة العربية لم

(٥٧) المصدر السابق ، ص ١٠٧ .  
(٥٨) دكتور محمد طلعت الفخيمي : قضية فلسطين امام القانون الدولي ، الاسكندرية ١٩٦١ ، ص ٢١٦ - ٢١٧ .



تكن محسوبة من المحاربين ، وأن العرب يعتبرون المرأة عرضا يجب ابعاده عن ميادين تستوي فيها احتمالات النصر والهزيمة ، تبين لك بعد ذلك أن الرجال لم يهاجروا من أوطانهم ولم يفروا من أرواح اليهود ، ولكنهم تحصنوا ودافعوا وبذلوا الكثير .



يا أبناء العرب وابناء الاسلام هذه حرائر من فلسطين ارغمنا على الهجرة ، ما هو مستقبل اسركم وزوجاتكم وبناتكم واطفالكم حين تبدأ الصهيونية برنامجها الكبير ؟

أن الذي حدث ، أن اليهود انفسهم حين ادركوا أن شعب فلسطين مستيئس قتالا ، و متمسك بالبقاء أخذوا على انفسهم مهمة الطرد والترحيل ، فتلك اللد والرملة تحصن فيهما الشعب العربي مجاهدا طوال القتال من نوفمبر ( تشرين الثاني ) ١٩٤٧ الى مايو ( ايار ) ١٩٤٨ ، ثم من دخول الجيوش العربية في ١٥ مايو ( ايار ) الى ما بعد الهدنة الأولى ، ثم ما كاد الجيش الواقع تحت قيادة جلوب يتخلى عن مساعدة الشعب الذي قاتل طويلا ، فأنهك ونذت ذخائره حتى استطاع اليهود احتلال المدينتين ، وكان أول اجراء هو إباحة القتل للجميع عند مدخل الفزة ، وحين لم ينزح عنهما السكان صدرت اوامر الحاكم العسكري اليهودي بطرد الجميع عبر الطريق

الشاق خارج مناطق الاحتلال اليهودي . وسبق الرجال والاطفال والشيوخ والحوامل والمعزة وسط الهجير القاتل الى حيث يبعدون ويسبغون نحو المناطق العربية .

على أن طرد العرب من ديارهم وأرغامهم على الهجرة واستعمال جميع الوسائل الهمجية المربكة المفزعة المدمرة لأخراجهم وأحلال اليهود محلهم ، كل ذلك كان متفقا عليه بين الصهيونية العالمية وساسة بريطانيا على مختلف التواريخ ، وذلك كاتب يهودي شهير هو « بن زي » ينادي عام ١٩٢١ : « على اليهود أن يطهروا وطنهم فلسطين من المفتصبين ، وأن على سكانها المسلمين أن يرحلوا الى الحجاز والصحراء والمسيحيين أن يرحلوا الى لبنان » (٥٩)

والقاضي برانديز الأمريكي اليهودي مستشار الرئيس ويلسن عام ١٩١٦ يصرح آنذاك « أن القصد من طلب اليهود تسهيل الهجرة الى فلسطين أن يصبح اليهود أكثرية السكان فيها وأن يرحل العرب عنها الى الصحراء » .

وفي أكتوبر ( تشرين الثاني ) ١٩٣٠ نشرت جريدة المناشستر غارديان بياننا وقعه كبار الساسة البريطانيين منهم تشرشل وتشمبرلن ولويد جورج وهارولد لاسكي وغيرهم جاء فيه « أنه كان مفهوما لدى الحكومة البريطانية عند اصدارها لتصريح بالفور عام ١٩١٧ أن يصبح اليهود أكثرية ساحقة في فلسطين » . وذلك وإيمان زعيم الصهيونية الأكبر ، ينشر مذكراته بعد نكبة العرب عام ١٩٤٩ ويقول : « لقد تمهدت لنا بريطانيا حين وعدت بمساعدة الصهيونية في فلسطين أن تسلمها لنا خالية من سكانها العرب ، وكنا على وعد بتنفيذ ذلك عام ١٩٣٤ ، غير أن ثورات العرب العديدة التي لم تكن في الحسبان أجلت ذلك التنفيذ » . وفي عام ١٩٤٤ أصدر حزب العمال البريطاني قرارا اجماعيا يطالب فيه بفتح أبواب فلسطين لهجرة يهودية غير محدودة ، واخراج العرب منها .

ولعل هذه الحقائق مجتمعة تكفي لدرء الشبهة التي طالما روجها السطحيون عن هجرة فلسطين تلك الهجرة التي تجمعت لخلقها أسباب لا تقوى شعوب عديدة أن تتحمل جزءا منها ، فلم تكن تلك الهجرة بيعة من عرب فلسطين لبلادهم أو تهاونا منهم في التمسك بوطنهم ، ولكنها كانت ضرورة لا مناص منها (٦٠) .

(٥٩) المصدر السابق ، ص ٢١٥ - ٢١٦ .

(٦٠) المصدر السابق ، ص ٢١٦ .



وهجرة هذه أحداثها ، وتلك أسبابها ، ليست في حاجة الى اذن من الزعماء والمسؤولين ولا من قادة فلسطين في ذلك الوطن ، بل لقد ثبت أن القيادة الشعبية التي كانت تتمثل آنذاك في الهيئة العربية العليا عملت على احباط الهجرة ومقاومتها ، وأبرقت بذلك الى رؤساء الوزارات في سوريا ومصر ولبنان (٦١) ، غير أن تعاون الاستعمار البريطاني والصهيونية لتنفيذ الاتفاق باخلاء فلسطين من العرب ، كان أقوى بوسائله المهلكة الخطيرة من الشعب العربي في فلسطين وأقوى أيضا من الدول العربية السبع التي لم تستطع أن تتخذ ما يحمي أو يساعد المناضلين الا في أضيق الحدود .

#### ٧ - الارهاب وتعاليم التوراة :

ومع كل الوحشية التي رافقت قتال اليهود وارهابهم للعرب ، فإن هؤلاء التزموا بأداب الحروب برغم الفرص العديدة التي سنحت لهم لينتقموا أو يسرفوا في القتل ، ولسنا نحتاج الى انتظار طويل بحثا عن سبب أو تعليل ، أن السبب يرجع الى العقيدة التي شب عليها الطرفان المتقاتلان ، وهي عقيدة تنبع لدى كل منهما من صميم ديانتهم وكتبه المقدسة وسيرة أسلافه السابقين .

لننظر قليلا الى الجانب اليهودي وما هي تعاليم دينه في معاملته المهاجرين أو غير المحاربين ، فالتلمود وهو الكتاب الذي يضم تعاليم وآداب ديانة اليهود مليء بكل ما يحقر البشر باستثناء اليهود ، وهو يبيح لهم ذبح غيرهم وابتزاز أموالهم بمختلف الطرق والوسائل ، وهو يدعوهم الى ذبح كل فرد في أي بلد يحتلونه ولا يوصيهم بغير الحفاظ على الذهب والفضة .

فلنستمع الى أحد كبار رجالهم وهو الرابي « اليو » الذي يقول : « سلط الله اليهود على أموال باقي الأمم ودمائهم » والرابي « اليو » في هذا انما يطبق تعاليم التلمود كتابهم المقدس ذلك الذي يقول في وضوح : « أقتل الصالح من غير الاسرائيليين ، ومحرم على اليهودي أن ينجي احدا من باقي الأمم من هلاك ، ويخرجه من حفرة يقع فيها ، لأنه بذلك يكون حفظ حياة احد الوثنيين » . ويدعو التلمود علنا الى سفك دماء الناس فيقول : « من العدل أن يقتل اليهودي بيده كل كافر لأن من يسفك دم الكفار يقرب قربانا الى الله » .

ولكن لماذا نستشهد بالتلمود الذي يأتي في اليهودية في الدرجة الثانية

(٦١) حقائق عن قضية فلسطين ، ص ٧١ .

بعد التوراة ، ترى هل كانت توراتهم المحرفة بعيدة عن وصايا سفك الدماء واذلال الشعوب وطردهم من أوطانهم ، لنعد بسرعة الى التوراة كتاب اليهود المحرف ، تقول التوراة في عدد ح ٣٣ ع ٥٥ - ٥٦ : « أن لم تطردوا سكان الأرض من أمامكم يكون الذين تستبقون منهم اشواكا في أعينكم ، ومتأخس في جوانبكم ، ويضايقونكم على الأرض التي أنتم ساكنون فيها » واننا لنجد هذا القول في التوراة يدعو صراحة الى طرد الشعوب من أوطانها ويحذر من إبقائهم فيها وهو ما طبقته الصهيونية في فلسطين .

ثم تتجه هذه التوراة المحرفة الى دعوة الإبادة لتلك الشعوب فتقول في تثنية ح ٢٠ ع ١٠ - ١٧ ما يلي : « حين تقترب من مدينة لكي تحاربها استدعها الى الصلح ، فإن اجابتك الى الصلح وفتحت لك ، فكل الشعوب الموجودة فيها يكون لك للتسخير ، ويستعبد لك ، وأن تسلمك فحاصرها وأضرب جميع ذكورها بحد السيف ، وأما النساء والأطفال والبهايم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتغنمها لنفسك ، وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب أهلك ، هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدا ، التي ليست من مدن هؤلاء الأمم ها هنا .. وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب أهلك نصيبك فلا تستبق منها نسمة واحدة » (٦٢)

واذا كانت الفقرات السابقة من التوراة تعطينا حق الفكر المتشكك في صدق هذه التعاليم ومقدار صدورها عن أرادة إلهية عليا ، فإن في التوراة فقرات أكثر وضوحا وتحديدا من تلك التي أوردناها سابقا ، كانت التوصية ليوشع بن نون ، ذلك الذي خلف موسى بعد التيه ، ثم قواد غزوه الأول على أريحا العربية الآمنة عام ١١٨٩ ق.م . « أهلكوا .. حرقوا .. كل ما في المدينة ( أريحا ) من رجل وامرأة وشيخ وطفل حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف ، وأحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها ، انما الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد اجعلوها في خزانة بيت الرب » ، اذن بهذه الروح الموقلة في الوحشية والتي لا يشبعها الا قتل كل السكان وحيواناتهم وحرق مدنها ، دخل اليهود المدربون المسلحون معركة فلسطين عام ١٩٤٨ وقابلوا فيها شعبا عربيا يستوي في حب السلام المسيحي فيه والمسلم .

#### ٨ - السمو في الحرب وتعاليم الاسلام :

أما الروح التي حارب بها عرب فلسطين غزو اليهود ووحشيتهم ،

(٦٢) فتحي الرملي : الصهيونية اعلى مراتب الاستعمار ، القاهرة ١٩٥٦ ، ص ٥٦ . وليقرأ هذا سكان المنطقة العربية كلها قاصيها ودانيها ليتأكدوا اي مصر ينتظر اجيالهم اذا لم يحققوا بينهم ما يوقف هذا السرطان الذي نما في ارضنا السليب واخذ يزداد نموا .



فكانت امتدادا لتاريخ العرب وتطابقا مع دينهم وتعاليمهم ، هذا هو الخليفة الأول الصديق أبو بكر يوصي الجيش الذي جهزه محمد الرسول العظيم ( صلى الله عليه وسلم ) وتوفي قبل رحيله ، فيقول مخاطبا قائده أسامة ابن زيد وجنوده « لا تخونوا ولا تغفلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلا صغيرا ، ولا شيخا كبيرا ، ولا امرأة ، ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا الا لماكلة ، وسوف تمرّون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له » .

وعلى هذا المنوال سار المسلمون في فتوحاتهم ، دعاة خير وسلام ، وائمة للناس وهدى ورحمة ، فلم يكونوا الا كما قال عمرو بن العاص لابنة المقوقس ارمانوسة الاسيرة وهو يبعثها مصونة محترمة لوالدها : « ابلفي والدك عنا اننا لسنا على غارة نغيرها ولكننا على نفوس نغيرها » ( ٦٣ ) .

ودخل المسلمون الأبعاد البعيدة في الدنيا فما ضجّ شعب من فتحهم ، ولا سجلت عليهم استباحة للدم ولا قتال في غير ميدان حرب ، لقد أخذوا الشعوب بالاحترام والعزة ، وطبقوا مع الجميع تلك الكلمة الخالدة ، التي أرسلها محمد العظيم ( صلى الله عليه وسلم ) يوم أن تمكن من أهل مكة الذين أخرجوه من موطن آبائهم ، وآذوه وحاربوه ، وعذبوا أصحابه وقتلوه ، وانتظروا جميعا أن يأخذهم هذا الفاتح المنتصر بحد السيف فينتقم ويهدر دماءهم ، ولا حامي لهم يومئذ ولا مدافع ، ولكن محمدا الذي بعث بالاسلام لا يعرف الاذى غاية يسعى اليها ولا يقر الجبروت عند الاقتدار ولا الانتقام عند الانتصار ، بل أنه يدعو الى الأخذ بالحسنى والعفو عند المقدرة ، وينادي سكان مكة العتاة « يا أهل مكة ما تظنون اني فاعل بكم ؟ » وتضطرب أفئدة تلك الحشود المهزومة ، وهي تواجه مصيرها المجهول وترد بعبارات الود والأمل ، وتسمع لصوت الرحمة ونبيها محمد العظيم ( صلى الله عليه وسلم ) يقول : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » .

وذلك الخليفة الثاني الفاروق عمر ، يدخل بيت المقدس فاتحا فيعطى الأمان لجميع سكانه ، ويرفض أن يصلي في كنيسة القيامة قائلا لسيد المدينة المفتوحة : « ما كان لعمر أن يصلي في كنيسة القيامة ، فيأتي المسلمون من بعدي ويقولون هنا صلى عمر ويبنون عليه مسجدا » ثم ابتعد رمية حجر وفرش عباءته وصلى ( حيث يوجد بالقدس الآن مسجد عمر ) وذلك المسيحي من سكان بيت المقدس الذي أكل الجيش العربي الناتج ثمار بستانه فجاء يشكو الى القائد أبي عبيدة بن الجراح أمير الجيش ، فلا تأخذه العزة

( ٦٣ ) من مقال المرحوم مصطفى صادق الرافعي « اليمامتان » .

بالنصر ، ولا يستكبر عن مخاطبة مسيحي من الشعب المغلوب ، ولا يرى في ماله رزقا مباحا لجند أنهلكم التعب وفرحوا بالعنب يلتقطونه من أعواده ، بل ركب دابته وذهب مسرعا يتأكد ، ثم سأله كم كنت ترجو من حصيلته ، وأمر له بالمبلغ الذي قدره ثمنا لذلك العنب المأكول ، بل لقد فرض عمر هبات وأعطيات لكبار السن من سكان بيت المقدس المسيحيين ، عاملهم كما يعامل أبناء العروبة الغزاة الفاتحين تحت راية الاسلام .

وذلك صلاح الدين الايوبي يحطم جيوش الغرب الصليبية في حطين ، ثم يدخل بيت المقدس فاتحا يوم الجمعة ٢٧ رجب ٥٨٣ هـ الموافق ٢ من اكتوبر ( تشرين الأول ) ١١٨٧ م ، لم يفكر أن يعامل الجيش الصليبي المهزوم نفس المعاملة التي لقيها المسلمون منهم حين احتلوا بيت المقدس قبل ٨٨ عاما وقتلوا كل مسلم فيها .

انه لم يفعل هذا بل تساهل معهم وتسامح ، وأفتدى بنفسه عشرة آلاف صليبي ، وافتدى اخوه سيف الدين ابو بكر سبعة آلاف آخرين ، وسمح للجندي الصليبي المسلح أن يقادر القدس مع الاطفال والعائلات خلال اربعين يوما ، ضامنا لهم الأمان الى محالهم الجديدة ، بل انه أمر أن توزع الصدقات على الفقراء والأرامل والمرضى واليتامى والمعدمين من الصليبيين ، وأن يمدوا بالدواب لتوصلهم الى حيث يرغبون ، وسمح لرجال الصحة الذين حاربوه أن يواصلوا معالجة المرضى والعناية بالحجاج المسيحيين ، وسمح للمسيحيين من سكان بيت المقدس بالبقاء فيه لا يؤذون ولا يخرجون ، بل أسند بعض الأعمال الى عدد منهم ، وحين أشار عليه أحد أعوانه أن يمنع الصليبيين من أخذ ما حلوا به القبور والكنائس من جواهر قائلا : « أعطيناهم الأمان على أموال الكنائس والأديرة » ( فقط ) رفض صلاح الدين أن ينحرف عن المعنى المذهب لروح الاسلام المنتصر ، وأبى أن يوجد لأي معلق بابا يلجه لاتهامه بالفدر أو تناسي الوعد وسمح لمن يرغب الرحيل أن يأخذ كل ما يريد ، ومثل هذا حدث في جميع فتوحات المسلمين في الشام والعراق ومصر وشمال افريقيا ، وحدث أيضا من عرب فلسطين حين انتصروا في معارك كثيرة .

وبعد ، لئن ذكرنا وصايا وأوامر كتب اليهود المقدسة من تورا الى تلمود واوضحنا نهجها الغريب ، فأن مسلك الحديث يسوقنا الى أن نقول : « أن التربية الاسلامية كلها كانت تمنع غير العمل الشريف والفعل السليم ، فالقرآن الكريم يقول : « وقل للذين أوتوا الكتاب والاميين ، اسلمتم ، فأن أسلموا فقد أهتدوا ، وأن تولوا فانما عليك البلاغ ، والله



بصير بالعباد « وهو القائل أيضا : « قل للذين آمنوا يفرحوا للذين لا يرجون أيام الله ليجزي قوما بما كانوا يكسبون » . ونبي الاسلام الذي سار المسلمون على هديه هو الذي يقول : « من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة ، وان ريحها توجد من مسيرة أربعين عاما » .

على أن هذا البحث الذي جرتنا الى التوراة والتلمود ، يوجب أن نسجل طعننا في سلامة التوراة من تلاعب الربيين اليهود الذين اشاعوا تقديسها ونشرها بين الناس ، ويقول باحث عربي « أن التوراة هي السجل التاريخي لثورات بني اسرائيل ، ومن ثورات اشتقت كلمة توراة ، وإذا كانت التوراة قد كتبت بعد موسى بسبع مائة سنة على الأقل ، وهذا ثابت تاريخيا ففي استطاعتنا أن نقرر بكل اطمئنان ، أن أكثر ما تضمنته من وقائع وقواعد وتعاليم قد صب في القالب الذي يتلاءم مع الظروف التي كتبت فيها بلا جدال ، ولا أستطيع أن أتصور ، ولا أريد أن أصدق ما ينسب الى موسى مثلا من أنه طلب الى بني اسرائيل في ليلة الخروج أن ينهبوا المصريين ، وأن يستولوا على أكثر ما يستطيعون من نقودهم ومصوغاتهم تحت ستار الاقتراض حتى يأخذوه معهم في المهجر الجديد الذي يشدون الرحال اليه في فجر اليوم التالي (٦٤) .

أما التلمود فقد كتب بعد موسى بألفين وسبع مائة عام ، ومع هذا جاء صورة مكررة لدعاوى العدوان والافساد ، والتي تضمنتها تلك التوراة التي لا ريب أن أحبار اليهود بعد سبع مائة عام من موسى كتبوها متناسين بها التعاليم الطيبة والأخلاق الكريمة التي نادى بها موسى كصاحب رسالة واحد هداة البشر ، وأن كانت بعض الاصحاحات أثبتت تواصي الرب لموسى (٦٥) حين طلب اليه التوحيد المطلق والمنع البات لعبادة أي شيء غيره وعدم الحلف بالله باطلا ، وتكريم الوالدين والنهي عن القتل والسرقة والزنا ورد كل ضال من البهائم ولو كان عدوا وعدم أخذ الرشوة وقتل القاتل ، ولكن أحبار اليهود وهم دعاة دم ، أطمعهم احتلال أجدادهم الأقدمين لأريحا وسفكهم دماء سكانها ، وتوالي ثوراتهم العمياء المدمرة لا يمرون على تواصي موسى ويتركونها بريئة نظيفة ، بل هم يضيفون اليها من الراي ما ينفر كل مفكر وذو عقيدة .

(٦٤) الصهيونية اعلى مراحل الاستعمار ، ص ٥٤ - ٥٥ .  
(٦٥) محمد عزة دروزة : تاريخ بني اسرائيل من أسفارهم ، ج ١ ص ١٥ .

## أحداث... وأقوال

« إذا رفض اصحاب الأرض أو مشفلوها ( في فلسطين ) السماح للمنشئين ( اصحاب المشاريع من اليهود ) بوضع يدهم على الأرض فلرئيس محكمة الأرض أن يقضي بتسليم الأرض للمنشئين »

المادة ٧ - قانون نزع الملكية بفلسطين

« يشترط ألا يطبق التشريع العام ومبادئ العدل والإنصاف في فلسطين إلا بقدر ما تسمح به ظروف فلسطين واحوال سكانها وأن تراعى عند تطبيقها التعديلات التي تستدعيها الاحوال العامة »

الفقرة الثالثة من المادة ٤٦ من دستور فلسطين

« بما أن أحكام الشرع الاسلامي كانت قد خولت السلطان صلاحية تحويل الأراضي الميري الى اراضي ملك فيخول المندوب السامي هذه الصلاحية بشأن كافة الأراضي الميري في فلسطين »

تعديل المادة ١٦ من دستور فلسطين

« أن تسعة أعشار الأراضي التي اشتراها اليهود بفلسطين حتى عام ١٩٢٩ اشتروها من ملاكين غير فلسطينيين يعيشون خارج فلسطين »

الصهيوني دكتور روبين امام لجنة التحقيق ١٩٢١

« اني معجب كل الاعجاب بكفاح عرب فلسطين وبسالتهم »

هتلر في حديث مع السيد خالد القرقي ١٩٣٥

« كانت قوانين الانجليز في فلسطين تحرم الحلال وتحلل الحرام في سبيل انتزاع الأرض والاضرار بالعرب الذين قاوموا الى أبعد حدود المقاومة وأقدموا على أعمال فوق طاقة البشر ليصونوا تراث آبائهم ووطنهم »

حبيب جاماتي مجلة الصور سبتمبر ١٩٦١



« ان اسرائيل بكاملها لا زالت من وجهة شرعية ملكا لعرب فلسطين ، ان النسبة الكبيرة من الأرض والبيوت والأموال المنقولة وأشجار الفاكهة وغيرها هي للعرب اللاجئين الذين يعيشون على مدى البصر من املاكهم في ظروف الشقاء والقنوط »

ارنولد توينبي في مناظرته مع سفير اسرائيل بقاعة جامعة كندا

« لقد كشف عرب فلسطين الأبطال عن صواب الرأي القناع ، وفتحوا باب الموت على مصراعيه ، وتأسوا فسنوا للكرام التأسيا . وهذا هو العنوان كتبه عرب فلسطين بالصفاح لا بالاقلام ، وهذا هو الواجب شرعه لكل العرب وهذه هي المقدمة فأين الكتاب ؟ وطلبة فأين الكتاب ؟ وواجب فأين مالا لا يتم الواجب الا به »

البشير الابراهيمي مجلة البصائر الجزائرية ١٩٤٧

رب وا معتصماه انطلقت ملء افواه الصبايا يتهم  
لامست اسماعهم لكنها لم تلامس نخوة المعتصم  
لا يلام الذئب في عدوانه ان يك الراعي عدو الفنم  
عمر ابو ريشة يتحدث عن النكبة في قصيدته ( امتي )

هذي فلسطين فأضمد جرحها الدامي وانضح ثرى قدسها بالدمع الهامي  
وقل لابطالها المستشهدين كذا يموت كل أبي النفس مقدام  
جذتم بأرواحكم دون البراق ومن أعزه البأس يأبى ذل احجام  
الشاعر اللبناني امين ناصر الدين

يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم  
الادبار ، ومن يولتهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى  
فئة ، فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير .

قرآن كريم

## الفصل الحادي عشر

### صلاة شعب فلسطين

#### أمام المحن

#### ١ - توضيحات الشعب العربي عبر التاريخ :

كان العدوان على فلسطين في اغلب مراحل التاريخ يمثل الاعتداء على الوطن العربي وعلى المسلمين في مختلف ديارهم ، وكان الفلسطينيون يمثلون فيه دور الطليعة المدافعة ، وسكان الثغور الاولى الذين يتلقون الهجوم ويدفعون الضحايا .

ففي الخامس عشر من يوليو ( تموز ) ١٠٩٦ عقد الصليبيون مجلسا للشورى ، وأصدروا حكم الاعدام على كل مسلم في مدينة القدس ، وظلت الدماء تنهمر مدة اسبوع كامل قاموا خلاله بأعمال فظيعة ومنكرات يقشعر لها البدن ، حتى قال راييموند أجليس « ان الدماء وصلت في رواق المسجد حتى الركب » وقال مكسيمو موند « لم يسلم من سيوف المسيحيين أحد لا من الرجال ولا من النساء ولا من الأطفال ، وظن المسلمون ان مسجد عمر يحميهم من الموت ، ولكن ظنهم قد خاب اذ ان الصليبيين لحقوا بهم خيالة ومشاة ودخلوا المسجد المذكور وأبادوا كل من وجدوه بعد السيف وقد ذم المؤرخون قسوة هؤلاء الجنود البربرية (١) بل قد أمر الصليبيون اهل بيت المقدس ان يجمعوا قتلاهم ثم يحرقوهم بالنار ثم قتلوا الآخرين ايضا (٢) .

(١) مكسيمو موند : تاريخ الحروب الصليبية ، ص ١٧٢ .

(٢) شحاته الخوري ونقولا الخوري : تاريخ كنيسة اورشليم الارثوذكسية ، ص ٧٠ .



ويصف مؤرخ مسيحي ضحايا الفلسطينيين في ذلك اليوم الرهيب فيقول : « لقد سكر الصليبيون بخمرة النصر ، فاستيقظت فيهم روح القلبة والاستعمار ، واقتربت هذه بحب السفك والقتل والانتقام فصالوا في المدينة قتلا ونهبا ، وكانوا يتعقبون المسلمين في كل مكان ، ولم يحجمهم المسجد المعروف بالصخرة حيث فتكوا بهم ، وذبحوا آلاف اللاجئين اليه من رجال ونساء وأطفال أبرياء هذا ما فعله ويا للأسف أصحاب الصليب المبشرون ، ودعاة الدين الذي يأمر بالصفح والسلام (٢) .

ويصف مؤرخ فرنسي تلك الأهوال فيقول « كان المسلمون يذبحون ذبح الأنعام في الشوارع والمنازل ، ولم يجد أهل المدينة محلا آمينا يعتصمون به ، فألقى بعضهم نفسه من فوق الأسوار وأزدهم الآخرون في القصور والمساجد والحصون ، ولكن ذلك لم يجدهم نفعا ، فهاجمهم الصليبيون وأعملوا السيف في رقابهم من غير شفقة ولا رحمة ، ولم يكن يسمع في تلك الساعة الرهبة غير أنين الجرحى وحسرة الموتى ، كذلك وطثوا بخيولهم الجثث المكسدة أثناء مطاردة الهاربين ، كما أحرقوا البعض حيا ، ثم جاءوا بمن لاذوا بالفرار ووضعوه على جثث الموتى المكسدة ومثلوا بهم أشنع تمثيل ، ولم تكن تجدي في الموقف الدامي دموع النساء ولا صراخ الأطفال ، وقد استمرت هذه المذبحة أسبوعا (٤) .

ولعل ذلك الخطاب الذي أرسله الصليبيون الفزاة الى البابا في روما يهنئونه باحتلال بيت المقدس ، يصور مقدار الضحايا التي قدمها سكان فلسطين وهم يدافعون عن ديار العرب والإسلام أمام جحافل الاستعمار الصليبي ، « اذا أردت أن تعلم ما جرى لأعدائنا ، فثق أنه في أيوان سليمان ومعبدته كانت خيلنا تخوض في بحر من دماء العرب المسلمين الى ركبتها (٥) .

وبرغم هذه الفظائع التي تزلزل الوجدان ، وتنزع الثقة بالوجود ، فان الفلسطينيين ظلوا يؤرقون الصليبيين ويفرون عليهم ، وقد نقل الراهب الروسي دانيال الذي زار القدس عام ١١٠٦ صورة لها فقال : « ان الأمن مفقود على الطريق التي تصل اريحا بالقدس ، تلك الطريق التي كان يربط فيها عدد كبير من قطاع الطرق (٦) » وليس قطاع الطرق هؤلاء الا أولئك الذين نجوا من المذابح الصليبية من عرب فلسطين ، فواصلوا ارهاب

الصليبيين ومهاجمتهم وزعزعة أمنهم ، وغزوا قوافلهم عملا واعدادا لتحرير بيت المقدس (٧) .

واذا أدركنا إحصائياتنا في تاريخ فلسطين ، نجد هذه الصورة من تصود الفلسطينيين لتقديم الضحايا تتكرر في أنحاء عديدة وتواريخ مختلفة ، لقد غادر نابليون مصر بعد أن احتلها وغزا يافا وحاصرها وكان سكانها ( أغليبتهم المسلمة وأقليتهم المسيحية ) يناضلون ذلك الحصار الخطير فلما ذك حصونها ، وأجاع حمايتها وتم له احتلالها ، أرسل جنوده غضبهم على سكانها ، فلم يسلم من شرهم أحد من الرجال والنساء والشيوخ والأطفال بل لقد تم لجيش نابليون أن يأسر أربعة آلاف من المدافعين عن يافا وبينهم جنود أتراك ويافيون ، ولما ضاق ذرعا بحراستهم أمر بإطلاق الرصاص عليهم وتجمع جنوده وأرسلوا شهبا من بنادقهم حتى قتلوا أربعة آلاف مدافع مسلم ورموا بجثثهم في البحر .

وطوال الثورات العربية المتلاحقة ضد الانتداب البريطاني ، كانت تضحيات العرب الفلسطينيين تتلاحق يوما بعد يوم ، وفي يافا هذه هدمت السلطات البريطانية أحياء عربية كاملة عندما أعجزها وقف تحركات الثوار فيها ، وكم ذهب فيها من شهيد أمام رصاص الإنجليز وعلى أعواد مشائقهم ، وحين احتلها اليهود أعملوا في سكانها يد القتل والفتك ، فذهب مئات منهم يومئذ في سجل التضحية ، وتلك مدينة عكا التي ذاعت مر الحصار في مراحل متعددة من التاريخ ، حاصرها نابليون ودافع عنها جيشها وشعبها حتى انكسر حصاره وأرشد منها ، وحاصرها قبله الصليبيون وذاعت في الحصارين شذائد مهولة ، وكانت تضحيات شعبها تضحيات شجاعة ، ثم احتلها الصليبيون عام ١١٩١ وأعملوا فيها سيف الموت ، وقتلوا من أسرى المسلمين ثلاثة آلاف شخص .

وتلك قرية دير ياسين حيث قتل اليهود سكانها ومثلوا بهم مما شرحناه في فصل الهجرة العربية ، وتلك قرية ناصر الدين من أعمال طبرية التي مسحها الصهيونيون من الوجود ، وتلك مذبحة بيت الخوري ه مايو ( أيار ) ١٩٤٨ حيث قتل اليهود من استطاعوا أسره من الرجال والشيوخ والنساء والأطفال .

وتلك قرية الزيتون حيث جمع اليهود في أوائل مايو ( أيار ) بعض الرجال والشيوخ مع نسائهم وأطفالهم في جامع القرية ثم بثوا الألغام في

(٧) المصدر السابق ، ص ١٥٩ .

(٣) الفصل في تاريخ القدس ، ص ١٥٥ .

(٤) جرجي زيدان : تاريخ العرب والتمدن الاسلامي ، ص ٢٨٢ .

(٥) المصدر السابق ، ص ٢٧٢ .

(٦) عارف العارف ، الفصل في تاريخ القدس ، ص ١٥٩ .



جوانب المسجد فتهدم على من فيه ، وتلك قرية شرفات التي نامت في السابع من فبراير ( شباط ) ١٩٥١ وادعة هائلة ، فهاجمها فصيل من جيش اليهود وبث فيها الألقام والقنابل ، فقتل عديدا من سكانها بينهم ثلاث نسوة وخمسة أطفال لا يزيد عمر أكبرهم عن ١٣ عاما .

وتلك قرية نله التي هوجمت في التاسع من فبراير ( شباط ) ١٩٥١ وتسرب احد اليهود فقتل في بيت واحد رجلا وطفلا وطفلة ، وعادوا لها من جديد في هجوم ثان فقتل من سكانها مختار القرية وجرح عديد من سكانها .

وتلك قرية قبية التي هاجمها الصهيونيون عام ١٩٥٣ فذكروها بمدافعهم وهاجمها مشاتهم فمثلوا بسكانها ، وذبحوا نساءها وأطفالها في صورة وحشية موهلة في الهمجية .

وتذكر جريدة يهودية تلك الأحداث فتقول « ان السلطات اليهودية أعدمت ١٦ شابا من قرية عيلبون ( قضاء الناصرة ) برصاص الرشاشات بعد أن اختارتهم من بين ذكور القرية التي غادرها سائر الشبان عبر الحدود اللبنانية ولم يبق فيها غير الشيوخ والعجزة ، وقد أحرق الجنود اليهود عائلة آل زريق في داخل بيتها أرهابا لسائر السكان لحملهم على الخروج من البلاد (٨) »

وقد أثبت القائد عبدالله التل في كتابه « خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية » ذلك الحادث المرعب الذي نشرته السنداي اوزيرفر اللندنية في الحادي عشر من يونيو ( حزيران ) ١٩٥٠ من مراسلها في بيروت فيليب تونبي والذي يقول فيه « أحاط بوليس اسرائيل بمائة عربي وسلمهم الى الجيش بحجة أنهم خالفوا نظام الحدود ، وظل الجنود يسوقونهم من ساعة مبكرة في الصباح الى ساعة متأخرة من الليل الى مكان سحيق خطر على الحدود ، وقد عصبوا عيونهم ، وكانوا اذا تلاكأوا في السير ضربوهم على وجوههم وظهورهم بعصى غليظة من المطاط ، ومنعوا عنهم الماء ثم رفعت المصابات عن أعينهم ودفعتهم الجنود الى الجري وأخذوا يطلقون النار فوق رؤوسهم وبين أرجلهم ، وكانت المنطقة التي أرغموا على الجري بها هي وادي عربة المرعب الواقع جنوب البحر الميت حيث لا يستطيع الحياة فيه الا الحشرات ، وقد ضل الطريق أغلبهم عدا السعداء منهم الذين وجدهم بعض الأعراب فأخذوهم الى أقرب مخفر للحدود الأردنية » .

ويضيف القائد عبدالله التل ان المراسل يذكر أنه كان بين هؤلاء المنكودين

(٨) جريدة كول هاعام اليهودية أول سبتمبر ( ايلول ) ١٩٥٣ .

أطفال لم يتجاوزوا الثامنة وشيوخ جاوزوا الثمانين ، وأن الجنود سكبوا الماء الذي كان محمولا في سياراتهم أمام الأطفال والشيوخ الذين كانوا يتلهفون على قطرة ماء لاطفاء لهيب العطش القاتل والذي زاده أوارا حرارة الجو اللافتة في وادي عربة (٩) .

وتلك قرية نحالين التي حاول اليهود هدمها في ليلة من مارس ( آذار ) ١٩٥٤ ولكن الحرس الوطني الفلسطيني وقسما من الجيش الاردني حالا دون تدميرها كلها ، ومع ذلك استطاعوا ان يقتلوا ثلاثة من جنود الجيش وثمانية من أهل القرية وأن يجرحوا أربعة عشر رجلا بجراح خطيرة .

وهناك احصاء أجرته الجامعة العربية يفيدنا ان ضحايا الفلسطينيين منذ الشهر الخامس لعام ١٩٥٠ أي بعد النكبة بعامين الى العاشر من شهر أكتوبر ( تشرين الأول ) ١٩٥٦ قبيل العدوان الثلاثي ، كانوا يمثلون من الشهداء ما يزيد عن ٥٥١ شهيدا من ٣٢ مدينة وقرية على مختلف الحدود العربية .

وجميع هؤلاء الذين راحوا ضحية للعدوان اليهودي يمثلون أحد جوانب الفداء في الشعب الفلسطيني ، فما كان اليهود لوصولهم لو هادنوهم او بعدوا عنهم أو باركوا احتلالهم ووجودهم .

وكيفما كانت الوسيلة الى نهاية هؤلاء الشهداء ، فان الاصرار الفلسطيني على المقاومة هو الذي أدى دائما اليها ، فحتى أولئك الذين بقوا تحت ويل الذل في أراضيهم فاقدين الكثير من رفاقهم وذوهم ، فان الصهيونية لم تستطع ان تخلق فيهم روح الود معها ، ولم تتمكن من ان تجعلهم يشعرون بالامر الواقع الذي يتلخص في حتمية الاحتلال اليهودي ، فقد أطبقوا صدورهم على بفض اليهود الفزاة .

وحرص اسرائيل على اضطهاد الاقلية العربية فيها واستمرارها في ذلك يخلق نوعا آخر من التضحية الفلسطينية ، فهي الآن وقد مرت سنوات على النكبة تجد في بقائهم داخلها وجود طابور معاد ، وجماعة لا تحمل ولاء لاسرائيل وسوف تتحرك حين تتنادى الجموع للعمل ، ولهذا هي تفرض عليهم الأحكام العرفية وتمنعهم من مفارقة قراهم الا بتصريح خاص وهي تخلق الأسباب للفتك بهم ، فان لم تستطع خلقها فتكت دون أسباب ، وليس ما حدث في قرية كفر قاسم الا جزءا من ذلك .

(٩) عبدالله التل : خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية دار القلم ١٩٦٤ ص ٢٢٥



## ٢ - كفر قاسم :

كانت الحياة في القرى العربية في اسرائيل تسير وفق نظام مستمر يقضي بمنع التجول ابتداء من السادسة مساء ، وكان فلاحو كفر قاسم يفادرون منازلهم الى الحقول ، فلا يحين الموعد الرسمي الا وقد وصل واستقر كل منهم في بيته الى الصباح التالي ، وفي الثامن والعشرين من اكتوبر ( تشرين الاول ) ١٩٥٦ اصدر اليهود امرا الى عمدة كفر قاسم بأن الجميع يجب ان يكونوا داخل منازلهم في الخامسة مساء ، قال المختار « اننا في الخامسة الا ربعا الآن وقد تعود الفلاحون العودة في السادسة الا ربعا، وتوجد استحالة في ابلاغهم هذا الأمر المفاجيء ولم يبق الا ربع ساعة ، اني أرجوكم اعطاءنا فرصة نصف ساعة لابلغ الجميع الموعد الجديد » ولكن القائد اليهودي ششنة شادمي كان يبيت امرا وجاء رده : « هذا امر عسكري لا بد من تنفيذه ، اخطر القرية واترك لنا امر من هم في الحقول »

وكجري العادة كل يوم اخذت جموع العرب الصغيرة تعود من حقولها في الخامسة والنصف قبل نصف ساعة من الموعد المحدد عادة لمنع التجول ، وبعد نصف ساعة من الموعد الجديد الذي لم يعلموه ولم يبلغ اليهم ، وعلى ابواب القرية استعد ضابطان واحد عشر جنديا يهوديا بمدافعهم الرشاشة التي فتحوها على الأبرياء ، فسقط منهم ٥٧ عربيا ، كان منهم سبع عشرة امرأة وطفلا وجرح ٢٧ شخصا .

كانت هذه الجريمة مصنوعة بيد ضباط ثلاثة من عصابات اليهود وهم القائد « ششنة شادمي » والرائد « مالنكي » والملازم « غبريال دهان » والشاويش شالوم دفير وعشرة من الجنود .

وامام هياج الرأي العام العالمي ، تظاهرت اسرائيل بسخطها على الفاعلين ، وصدرت احكام على بعضهم بـ ١٧ سنة سجن ، وعلى البعض الآخر بـ ١٣ سنة سجن ، ولكنها تمثيلية سبق لاسرائيل ان مثلتها في دير ياسين حين اصدرت بيانا استنكاريا ثم بعد عامين ثبت ان المؤامرة كانت رسمية ، وسبق لها ان اغتالت الكونت « برنادوت » في القدس الجديدة واصدرت بيانا استنكاريا ثم ثبتت موافقتها وانها لم تتخذ ضد الفاعلين اي اجراء .

على ان الصحف اليهودية ذكرت ان غرف المسجونين من هؤلاء السفاحين تحولت الى غرف من فنادق الدرجة الاولى ، وانهم يفادرونها مساء كل يوم الى ذويهم ومنازلهم حتى ان احدهم تزوج خلال مدة سجنه القصيرة

ولم يمض احد منهم مدة العقوبة ولا ربعها ، بل عادوا الى وحداتهم العسكرية برتب اكبر .

لقد دار حديث صحفي مهم مع الضابط اليهودي « مالنكي » يثبت كم هي موعلة في الحقود روحهم وآراؤهم بالنسبة لنا ، سأل الصحفي الضابط المذكور فدار الحديث على الوجه التالي :

س - هل انت نادم على ما فعلت ؟

ج - بالعكس لان الموت لاي عربي في اسرائيل معناه الحياة لاي اسرائيلي والموت لاي عربي خارج اسرائيل معناه الحياة لاسرائيل كلها .

س - ماذا كان شعورك بعد الحكم عليك ؟

ج - كنت مطمئنا للمعاملة التي ساعامل بها لان العمل الذي قمت به واجب وطني وديني .

وسئل الملازم « غبريال دهان » :

س - كم عربيا اصطدت في المجزرة ؟

ج - ١٣ فقط .

س - ماذا كان شعورك اثناء المجزرة ؟

ج - كنت متعطشا للدم العربي وقد شربت حتى سكرت .

س - هل في نيتك معاودة الشرب ؟

ج - اذا سمحت الظروف .

وسئل الشاويش شالوم :

س - كم عدد ضحاياك في المجزرة ؟

ج - ١٥ لقد ضربت الرقم القياسي وكان حظي احسن من زملائي في اختيار المكان الذي وقعت فيه (١٠) .

على ان حاولت كفر قاسم ليس الفريد في سلسلة مواقف التضحية التي يقفها الشعب الفلسطيني ، ففي الجانب الملاصق من فلسطين كانت تجري أحداث رائعة من تضحيات لا تقف عند حد ، وكان أبطالها أبناء الكتيبة الفلسطينية في قطاع غزة .

(١٠) خطر اليهودية المالية على الاسلام والمسيحية ، ص ٣٣٠ - ٣٣١ .



## ٢ - توضيحاتهم أثناء العدوان الثلاثي :

بينما كان السكان العرب بكفر قاسم في المنطقة المحتلة يشيرون شهداءهم ، وبينما كانت دماء شهدائهم تسقي تلك الأرض الطيبة التي دنسها اليهود بطغيانهم ، كانت هناك صورة أخرى من توضيحات الفلسطينيين وجهادهم ، تطبع على صفحة الجزء الغربي من فلسطين أثناء العدوان الثلاثي وخلال ثلاثة أيام من أحداث كفر قاسم المروعة ، ولقد كان تأميم قناة السويس بداية الأحداث ، كان بناء السد العالي أملا من آمال شعب الكنانة توارثته الأجيال ، وسار مع أمانها عبر السنين ، وحين جاءت ثورة يوليو (تموز) ١٩٥٢ العربية في مصر خطت في سبيله خطوات عملية كان من بينها الاستعانة بقروض من البنك الدولي ومن الدول الكبرى ، وفي ساعة الانتظار النهائي وقبل التوقيع المنتظر على الاتفاقيات الخاصة بذلك ، سحبت أمريكا وعودها ولحقت بها باقي الدول الاستعمارية مدعية أن الاقتصاد المصري ضعيف لا يقوى على المشروعات الكبيرة ، وهي بذلك أصابت الكرامة العربية في الصميم وأعملت معول الهدم لأركان النهضة العربية التي تلازم مع النهضة الاقتصادية ونشرت التشكيك في الجهود البناءة ، وأبعدت عنها كل خير وعون .

وكان ممكنا أن يمضي الموضوع في هدوء دون صدى وكان شيئا لم يحدث ، ولكن ذلك سوف يعيد صورة عهد التخلف التي كانت فيه الدول الكبرى تفرض فيه رأيها على العرب فيقبلون وتشير وتأمّر بما ترغب فيتبعون ويطيعون ، ولكن الرئيس جمال عبد الناصر وقف في الاسكندرية ليخطب جماهيرها في ٢٦ يوليو (تموز) ١٩٥٦ ويكيل للدول الطاغية بنفس الكيل ويثبت لها أن ما تعودته من تصريف أمور الشعوب رغما عنها قد ولى ، وأن العرب يستطيعون ان يقولوا لا ، وان يفعلوا ما يريدون بعد ذلك ، وأعلن تأميم قناة السويس ، وجن جنون الاستعمار ، وأخيرا تمت في لندن وباريس مؤامرة وضيفة بين دول ثلاث هي بريطانيا وفرنسا واسرائيل .

لقد رأت بريطانيا أن احتلال القناة خير عمل تعيد به كبرياءها المحطمة عند إقدام القاهرة ، ورأت فرنسا أن تحطيم الثورة الجزائرية سيبدأ من قهر القيادة العربية الأولى في القاهرة ، ورأت اسرائيل أنه وقت مناسب لتحتل باقي فلسطين ولتركز علمها في سيناء ، ولتكون صاحبة الحول والطول على مشارف قناة السويس ، وتم التآمر بين الدول الثلاث المذكورة .

وفي التاسع والعشرين من أكتوبر ( تشرين الأول ) ١٩٥٦ شنت اسرائيل هجومها ، وبينما المعارك تدور طاحنة في شرم الشيخ والكونيتيلة

وغيرها من مشارف الحدود ، وقبل مضي أربع وعشرين ساعة على الهجوم الاسرائيلي تحركت كل من بريطانيا وفرنسا وفقا للارتباط السري مع اسرائيل ، فبعثتا الى الرئيس عبدالناصر بأغرب انذار عرفه العالم المتمدين ، وتظاهرتا بارسال مثله الى اسرائيل وطلبتا فيه الى الخصمين المتحاربين وقف اطلاق النار ، وسحب قواتهما الى مسافة تبعد عشرة أميال عن جانبي القناة وتهددان باستخدام القوة اذا لم يستجب لانذارهما خلال أربع وعشرين ساعة .

وكان واضحا ان الانذار أرسل لصالح اسرائيل ، وتنفيذا لاتفاق عدائي سري ضد تأميم القناة ومؤمما ، كما يقول ارسكين تشيلدرز في كتابه « الطريق الى السويس »

« سرعان ما ظهرت الحقيقة الضخمة الصارخة ، وكان لا بد من ظهورها وهي أن أية قوات اسرائيلية لم تكن بعد ظهر الثلاثين من أكتوبر على بعد عشرة أميال من قناة السويس ، ومن هذا يتضح أن الانذار البريطاني والفرنسي المشترك كان بمثابة دعوة صريحة الى اسرائيل بالتقدم غربا نحو القناة والتوغل داخل الاراضي المصرية (١١) » .

وكان قبول الانذار من الجانب العربي يعني التسليم للاعداء الثلاثة ، ورفض الرئيس جمال عبد الناصر الانذار الخطير ، وبدأت المدن المصرية تتلقى قنابل اثنتين من الدول الكبرى ، وبدأ واضحا ان هدف الأعداء هو عزل الجيش المصري في سيناء حيث يستمر في صدامه مع اسرائيل ، وتسدد عليه أساطيل بريطانيا وفرنسا طريق الامداد والتموين باحتلال القناة ، ويسهل حينئذ تحطيمه وشل الحركة العسكرية الى أجيال بعيدة .

ولنترك هنا الحديث للمؤلف البريطاني ارسكين تشيلدرز وهو يتحدث عن قرار الرئيس عبد الناصر بسحب قواته من سيناء : « كان هذا القرار يتلخص في سحب كل جندي وكل معدات ممكنة على التو ، وفي أقصى سرعة قبل أن يتمكن الغزو الانجليزي الفرنسي من قطعها وإيقاعها في الشرك ، وكان الاستثناء الوحيد متعلقا بالقوة المربطة في قطاع غزة والمؤلفة من خمسة آلاف جندي ، فان نشوب أية معركة رئيسية في القطاع سيؤدي الى خسائر مريعة في أرواح اللاجئين الفلسطينيين الذين يكتظ بهم القطاع الضيق وعددهم يربو على المائتي ألف ، ولكن القاهرة كانت تخشى أيضا أن يؤدي أي انسحاب من القطاع الى خلق حالة من الفرع والرعب وقد تسفر عن نتائج لا تقل خطورة عن نتائج الصمود ، ولهذا فقد أصدر الأمر الى الحاكم

(١١) ارسكين تشيلدرز : الطريق الى السويس ، ترجمة خيرى حماد ، ص ٢٤٣ .



المسكري للقطاع بأن يستسلم عندما يقرر أن اللحظة تحتم عليه التسليم (١٢)» .

غير أن هناك منطقة في القطاع لم تطع الأمر القاطع القوي الذي روعيت فيه مصلحة كبرى واتخذت ظروف مهمة ، لقد اتخذ قرار التسليم حفاظا على السكان الفلسطينيين وجموع اللاجئين ، ولكن حامية خان يونس المؤلفة من شباب فلسطين رفضت أن تلقي سلاحها ، دون قتال (١٣) ، وهي تعلم أن المنطقة كلها أما ملقاة سلاحها أو منسحبة خلف دفاع لا يستهدف البقاء ، وكانت الكتيبة الفلسطينية تعلم أن أولئك المنسحبين إنما ينفذون أوامر التسليم أو الانسحاب التي اتخذت في صورة رائعة من التفكير الذي لم يتسرب إليه الخطأ ولم يقرر به .

ومن جديد قدم الشباب الفلسطيني أرواحه رخيصة في ميدان الشرف ، واستمرت معركته من اليوم الأول لنوفمبر ( تشرين الثاني ) حتى صباح الثالث منه ، حيث لاقى أغلبهم ربه ممسكا بسلاحه ، مطلقا لرصاصه باسماء لنهاية تربطه بتلك الأرض التي يقدسها إلى أبد الأبد ، ولقد حدث فعلا ما توقعته القاهرة من خوف على سكان القطاع ، فأعملت إسرائيل في سكان خان يونس التي رفضت حمايتها لقاء السلاح ، أعملت فيهم يد الفتك والقتل إلى مدى بعيد .

وتضحيات الفلسطينيين لم تقتصر على جموعهم التي استشهدت في ميادين الجهاد ، ولا على أولئك الذين ذابوا وجرت دماؤهم أنهارا في الحروب الصليبية وهم يجالدون شر الاستعمار الصليبي دفاعا عن العروبة والاسلام ، ولا على جماعاتهم التي قابلت عسف اليهود وطغيانهم ثم اكتوت بنار فظائعهم ولا على أولئك الصناديد الذين تسنموا أعواد مشانق الانتداب البريطاني أو ذهبوا إلى الله في لقاء كريم مع الرصاص ووسط صراع الثورات الرهيبة ، أن التضحيات امتدت عبر التاريخ ، وكأن القدر فرض على سكان ذلك الوطن العربي أن يكون على حلفه مع التضحية ، وعلى رفقة مستمرة مع الجهاد والاستشهاد .

لقد توزع الفلسطينيون بعد نكبة العرب في بلادهم عام ١٩٤٨ إلى مواطن عدة ، فمن لم تتسع له معسكرات اللاجئين ذهب إلى إحدى العواصم العربية ، وفي تلك العواصم ترافق الفلسطينيون من جديد مع تضحيات يلقونها ويخوضون غمارها ، وهم على الدوام في الجانب العامل للوحدة

(١٢) المصدر السابق ، ص ٢٨٩ .

(١٣) المصدر السابق ، ص ٢٨٨ .

العربية ، والوحدة طريق العودة كما أن العودة طريق الوحدة ، فإذا ظهر تنكر من جانب عربي لهذا الهدف كان أول علاماتـه تضيق الخناق على الفلسطينيين ، وكم من شبابهم ذاق السجون في مواطن عربية كثيرة لا عقوبة عن ذنب ولكنها الشبه السياسية .

وبالأمس جاءت ثورة العراق ، وتقاربت عقارب الساعة العربية التقاء ، وحين انقسمت الثورة على نفسها لقي الشباب الفلسطيني كثيرا من المتاعب ، وذاق عديد منهم السجون وطرد خارج العراق العربي عدد كبير آخر ، وحين استطاعت قوات هدامة تحقيق الانفصال بين دمشق والقاهرة عام ١٩٦١ كانت سلطات الانفصال تضع كل أثقاليها الخطيرة على صدور شباب فلسطين ، وكثيرا ما صدرت الأوامر باعتقال بعضهم ، وصدرت أوامر أخرى بعدم تجولهم وخروجهم من معسكراتهم .

وخلال عام ١٩٦٤ حدثت حركة تقدمية في صفوف إحدى القبائل بأمانة من إمارات الخليج العربي ، وسرعان ما أشار المستشارون الإنجليز بأن للفلسطينيين يدا في تلك الحركة ، وضيق الخناق على الموجود منهم ومنع دخولهم من جديد للبلاد ، ولعل ما حدث في دمشق عام ١٩٦٣ يمثل تضحية جديدة ومن نوع فريد يقدمها شعب فلسطين في ميدان العروبة وعلى بساط صادق من بذل الدم العربي .

لقد أصبح عديد من شباب فلسطين من أهم أركان الأحزاب العقائدية العربية ، فالبعثي منهم أغوته دعوة البعث وأغمض عينيه إلا على نداء الوحدة العربية التي ستكون العمل الحاسم في استرجاع فلسطين ، وبذلك فهو أعلى المبادئ صوتا بتلك العبارة البعثية المدوية « أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة »

ولكن فريقا آخر يرى في البعث رأيا مخالفا ويؤمن بأن ثورة القاهرة في ٢٣ يوليو ( تموز ) ١٩٥٢ هي الثورة البناءة لصالح الأمة العربية وأن قائدها الرئيس جمال عبد الناصر هو الذي استطاع أن يجذب آذان العرب وأن يحتل قلوبهم منذ أن صرخ في وجه بريطانيا عجوز الاستعمار ، ونادى بالويل لفرنسا في الجزائر ولم يحن الرأس أمام الأمريكان ، فهو لذلك ذو صلة روحية قوية بكل العرب في مختلف ديارهم يناديه ويخاطبهم في زعامة عربية لا تعرف حدودا ولا ترى أمامها سدودا .

وقد ساء الرئيس عبد الناصر أن يكون البعثيون ممن باركوا الانفصال أو أسهموا في تفكيك الوحدة ، لم يكونوا ذوي اسهام في بناء العقيدة أو التمسك بالأهداف وتبعها لهذا فان البعث عام ١٩٦٣ لم يكن جانبا يرضى



عنه هذا الفريق ، وفي احد ايام يوليو ( تموز ) ١٩٦٣ كان فريق من الشباب الفلسطيني يمثل مجموعة من سلاح الإشارة السوري يهاجم قيادة الاركان السورية العامة ، ويحاول تحت قيادة ضباطه الأحرار أن يفرض وحدة تقربه من يوم العودة ، وتجعل له قوة في أمته الكبرى، ولكن قيادة الأركان العسكرية وهي رأس البعث الحاكم في سوريا كانت محروسة مدججة بالسلاح ، وكان اغلب الذين يحرسونها هم من شباب فلسطين الذين ساروا في ركاب البعث بحثا عن الوحدة التي لم يصلها . وتقابل شباب الشعب الواحد الباحث عن يوم العودة يقاتل في سبيل التضحية بعضه وكأنهم جميعا مع التضحيات على ميعاد ، وحين انتهت أحداث تلك المحاولة كان شعب فلسطين قد خسر فيها أربعة عشر شابا اختلط فيها دم المهاجمين بدم المدافعين وسقط فريق آخر منهم أمام رصاص سلطات الحكم اثر محاكمات عسكرية (١٤) .

#### ٤ - احتفاظ العرب بأراضيهم رغم العسف والأغراء :

مساحة فلسطين هي سبعة وعشرون مليون دونم ( الدونم ألف متر مربع ) ، وتشمل هذه المساحة بحيرة الحولة التي مساحتها ١٤ ألف دونم ، وبحيرة طبرية ومساحتها ١٦٥ ألف دونم ، والبحر الميت ومساحته ٥٢٥ ألف دونم ، وكانت هذه المساحة كلها ملكا لعرب فلسطين خلال تطورات التاريخ المتلاحقة ، ملكا يسكنونه ويتصرفون فيه ويستفيدون منه ، ولم يكن هناك اقطاع في فلسطين ، الا بضع مساحات استطاع أصحاب النفوذ من بعض الأسر الكبيرة في بيروت ودمشق أن يسجلوها بأسمهم ، ووافقهم بعض ملاكها من عرب فلسطين بعدا عن التجنيد والضرائب ورغبة في الإصلاح الزراعي ، وكان الملاك الحقيقيون من شعب فلسطين يقيمون بتلك الأرض التي سجلوها بأسم الفير ، ويقدمون جزءا من انتاجها للعائلات الكبيرة الحامية ، وقد تم ذلك منذ حوالي عام ١٨٦٠م (١٥) .

(١٤) ثبت للتاريخ أسماء هؤلاء الشباب الفلسطينيين الذين ذهبوا جميعا في سبيل فلسطين وتحت وطأة العقيدة الهادفة الى العودة وهم : احمد محمد منصور ، لطفى محمد غادرية ، احمد ياسين مفلح ، محمد احمد مصطفى ، يوسف محمد عطالله ، علي محمد عقل ابو عيسى ، محمود محمد علي الهندي ، سليمان محمد احمد ، عيسى محمود عيسى ، موسى الخزعي ، علي جاسم دخل الله ، عبدالله خضر احمد ، محمد عبد الهادي ، صالح شعبان .

(١٥) المؤامرة الكبرى واغتيال فلسطين ، ص ٤٥ .

و حين عرف الناس طرق التسجيل الرسمي للأراضي ، كانت أراضي فلسطين زمن الحكم العثماني أما ملكا لأفراد بشهادات رسمية مسجلة وتتضمن تلك ١٣٥٠٠ مليون دونم ، وأما ملكا للدولة التي كان السلطان رأسها ، وبأسمه تسجل الأراضي ، ولكن عرب فلسطين لم يكونوا محرومين من تلك الأراضي الاميرية المملوكة للدولة، فهم يزرعونها ويسكنونها ويتوارثونها جيلا بعد جيل ، فهي ملكهم بالتقادم وملكهم بالاستعمال ، شأنهم في ذلك شأن غيرهم من الشعوب التي كانت خاضعة للدولة العثمانية ، وفي وطني ليبيا كانت سهول ووديان مملكة بأسم السلطان عبد الحميد والقبائل برغم علمها بذلك الا انها مالكة مستفيدة ، وتعتبر الأرض أرضها تدافع عنها ، وتموت من أجلها وتقيم بسببها المخاصمات .

و حين دخل الجيش البريطاني فلسطين عام ١٩١٧ كان قسم من اليهود لا يتعدى الخمسين ألفا قد استقر في فلسطين ، وكان قد اقنع الدولة العثمانية في حقبة طويلة من التاريخ أنه بسبيل اصلاح زراعي في بعض الأراضي بقصد انعاش البلاد ونشر التعليم الزراعي فيها ، وبذلك كان مقدار ٦٥٠٠٠ دونم ضمن املاك اليهود حينذاك .

و حين صدر صك الانتداب ، حرصت بريطانيا على أن تكون المادة الثانية من صك الانتداب بابا مفتوحا لتمليك اليهود اقطاعات جديدة وكبيرة في فلسطين : « تكون الدولة المنتدبة مسئولة عن وضع البلاد في أحوال سياسية وإدارية واقتصادية تضمن انشاء الوطن القومي اليهودي . . الخ » ومع ما في هذه المادة من شمول يمكن لليهود من التسلط وحدهم على مقدرات البلاد ، نجد بريطانيا قد ضمنت صك الانتداب المادة السادسة التي جاءت اوضح دلالة على تملك الأرض وتهويدها : « على ادارة فلسطين أن تشجع بالتعاون مع الوكالة اليهودية المشار اليها في المادة الرابعة حشد اليهود في الأراضي الاميرية والأراضي غير المطلوبة للمقاصد العامة » وكانت هذه الأراضي التي يشير اليها صك الانتداب بأن يشجع اليهود لسكنائها واقعة تحت القانون العثماني للأراضي الذي يعطي كل من أصلح أرضا مواتا وزرعها وأقام فيها ، حق تملكها وتسجيلها رسميا باسمه، ولهذا كان من أسبق التعديلات القانونية التي أعلنتها بريطانيا ذلك التعديل الذي ألفت به حق الإصلاح والتملك والذي كان يستفيد به الشعب العربي هناك ، فأصدرت في ١٦ فبراير ( شباط ) ١٩٢١ ما أسمته قانون تعديل القانون العثماني واشترط الحصول على اذن بذلك من مدير الأراضي وهو المستر ابراماسون اليهودي المعروف ، بل فرض عقوبة على كل من نقب وأصلح أرضا مواتا .



ولنشت المادة ٢ من ذلك القانون البريطاني : « تستبدل الفقرة الأخيرة من المادة ١٠٣ من قانون الأراضي العثماني بما يلي : كل من نهب أرضاً مواتاً أو زرعها دون أن يحصل على موافقة مدير الأراضي ، لا يحق له أن يحصل على سند ملكية بشأن تلك الأرض ، ويعرض نفسه فضلاً عن ذلك للمحاكمة لتجاوزه على الأرض (١٦) . » وحين عدلت بريطانيا هذا القانون فتحت به باب التملك لليهود عن طريق ملايينهم الكثيرة ، فأصدرت قانون الأراضي وجعلت الأرض حين تستصلح تباع بالميزاد العلني ولمدير دائرة الأراضي حق التصرف بموجب ثمن يقدره وتعطي للثمن الأعلى ، وليس من ريب أن العرب بعد أن حرموا حق إصلاح الأرض وزراعتها وتملكها بموجب القانون العثماني ، لم يعد في استطاعتهم إلا قليلاً منازلة الميزاد الذي تتربع على عرشه ملايين الصهيونية والقوانين البريطانية .

ولنثبت مجدداً المادة ٤ من ذلك القانون : « على الرغم مما ورد في القانون العثماني بشأن إصدار سندات الطابو للأراضي الميري إذا أصبحت أية أرض مستحقة حق الطابو ( سند الملكية ) وكان هناك أشخاص يملكون هذا الحق ، فتقرر قيمة تلك الأرض لجنة قوامها القضاء الواقعة في قضائه ، وأن التثمين الذي تجريه اللجنة المشكلة يكون عرضة للتدقيق من قبل مدير الأراضي الذي يكون قراره نهائياً ، وعند تعيين قيمة الأرض يعرض المدير الأرض على أصحاب الطابو ويفوضهم بقبول تفويضها اليهم لدى دفع القيمة خلال ثلاثين يوماً ، وتفوض لمن يقبل التفويض . »

مادة ٤ فقرة ٤ : « إذا أعلنت أرض محولة بسبب عدم وجود من يملك حق الطابو فيها أو إذا تنازل أصحاب حق الطابو عن حقوقهم فيها ولم تعلن أرضاً عمومية وفقاً للمادة ٣ فتطرح للمزايدة وتحال إلى الميزاد الأخير ، على أن يراعى في ذلك الثمن المحتفظ به من مدير دائرة الأراضي »

وعلى الرغم من المواد التي سطرت في صك الانتداب الذي وضع كله لصالح اليهود ، وعلى الرغم من تلك التعديلات البريطانية المجحفة الظالمة للقانون العثماني ، فإن بريطانيا عمدت تسهيلات لذلك إلى ما أسمته بدستور فلسطين وجعلت من مواده طرقاً ومعايير يسلكها المندوب السامي البريطاني للاستيلاء على الأرض ومنحها لليهود ، فجاءت المادة ١٢ من دستور فلسطين الصادر في شهر أغسطس ( آب ) ١٩٢٢ تقول : « تناط بالمندوب السامي أثناء جميع الحقوق في الأراضي العمومية أو الحقوق المتعلقة بها ، وله أن يمارس تلك الحقوق بصفة كونه أميناً عن حكومة فلسطين » ثم أردفتها

(١٦) راجع ملحق رقم ١ من هذا الكتاب .

بالمادة ١٣ التي تقول : « للمندوب السامي أن يهب أو يؤجر أي أرض من الأراضي العمومية ، أو أي معدن أو منجم ، وله أن يأذن باشغال مثل هذه الأراضي بصفة مؤقتة بالشروط والمدة التي يراها ملائمة . . الخ » ، ولكن هذه المادة تعطي للمندوب السامي حرية التصرف في هبة أية أرض من الأراضي العمومية ، وهذه الحرية تخشى الصهيونية أن تشمل غيرها على الرغم من أنها الحاكمة وصاحبة اليد في اختيار كل مندوب سام لبريطانيا بفلسطين ، ولكن الاحتياط اليهودي والرضا البريطاني عمداً إلى تقييد حرية المندوب السامي بباقي تلك المادة حتى لا تكون الهبة أو الإيجار إلا لليهود : « ويشترط في ذلك أن تجري كل هبة كهذه أو كل إيجار أو تصرف كهذا وفقاً لمرسوم أو تشريع أو قانون معمول به في فلسطين أو يعمل به فيما بعد ، أو وفقاً لما قد يصدر للمندوب السامي من التعليمات بتوقيع جلالتة وختمه أو بواسطة الوزير المختص تنفيذاً لصك الانتداب » وفي هذا النص التزام بأن تكون كل هبة أو إيجار أو تصرف طباقاً لصك الانتداب الذي يشترط ويتعهد بجعل فلسطين في وضع اقتصادي واجتماعي وسياسي يضمن إنشاء الوطن القومي اليهودي فيها .

وسرعان ما قدمت بريطانيا للوكالة اليهودية ما مجموعه ٣٠٠ ألف دونم مجاناً وبلا مقابل ، ثم أقطعتها ٢٠٠ ألف دونم بثمن اسمي زهيد ، واتجهت إلى المشروعات الهامة فأعطتها لليهود هدفاً لترقيتهم اقتصادياً ، ووسيلة من وسائل تملك الأراضي واغتصابها ، ولنحيط احاطة كاملة بذلك العصف الرسمي الذي أنزلته بريطانيا بالقضية العربية في فلسطين ، نراجع على سبيل المثال المادة العاشرة من عقد امتياز الكهرباء الذي منحه المندوب السامي هربرت صموئيل ومن خلفه بعد ذلك للشركة اليهودية لكهربة فلسطين ، لنرى كيف ضمن للشركة حق اغتصاب الاملاك والأراضي تحت ستار مصلحة الكهرباء : « على المندوب السامي بناء على طلب الشركة وعلى نفقتها أو في حالات تعذر الشراء باتفاق متبادل لقاء تعويض عادل توافق عليه الشركة أو تعذر الاتفاق وفقاً لأحكام أي قانون مرعي الأجراء في فلسطين آنذاك ، أن ينزع ملكية العقارات أو الأراضي أو الأبنية أو الحقوق الارتفاقية اللازمة للقيام بحقوق الشركة أو القيام بتعهداتها بموجب هذا الامتياز ، ويشمل هذا بناء السدود وإنشاء الأحواض لخزن المياه وبناء القنوات ومحطات القوة ومحطات المحولات وإقامة الأعمدة ومد خطوط الكهرباء الهوائية والكابلات الأرضية وإنشاء المباني الضرورية والمكاتب والمستودعات والمنازل والمخازن وخلافها لأجل توليد الكهرباء ولأجل بناء الطرق والجسور والخطوط الحديدية الخصوصية والأرصعة البحرية وخلافها من وسائل المواصلات » .



وواضح من هذه المادة ان الاسباب التي ذكرت لاباحة نزع الملكية ليست كلها ضرورية ولا خاصة بالكهرباء بقدر ما هي عامة وغير مانعة ، ويقصد بها خلق أي سبب لتنفيذ الهدف الأعلى من تملك اليهود ، وبالفعل تم تملك هذه الشركة ما مقداره ١٨ ألف دونم .

ولم تنته سنة ١٩٢٧ حتى كانت بريطانيا قد اعطت لليهود امتياز استخراج الأملاح والمعادن من البحر الميت ، اعطته لليهوديين نوفومسكي وطولوخ نيابة عن شركة البوتاس بامتياز لمدة ٧٥ عاما ، وكان هذا المشروع من أهم المشروعات التي استأثر بها اليهود اذ تقدر الاحصائيات ما فيه من أملاح البوتاس بألفي مليون طن ومن بروميد المغنيز بتسعمائة مليون طن وتقدر جملة ثروته بأربعة عشر مليار من الجنيهات

ولكن بريطانيا لا تكتفي بهذه الثروة الهائلة تمنح لليهود دون غيرهم ولكنها تعتمد الى ما تستهدفه من تملك اليهود فتمنح هذه الشركة مساحات واسعة على حدود هذا البحر قدرت بـ ٧٥ ألف دونم ، ثم اجرت للشركة بايجار رمزي ٦٤ ألف دونم ، وتسرب البرنامج البريطاني الى الأوقاف المسيحية فعملت على تملكها لليهود فسهلت بيع ٢٢ ألف دونم من أوقاف اخوية القبر المقدس الأرثوذكسية لليهود بحجة سداد ديون كانت قد تراكت عليها أثناء الحرب ، وتقدم العرب المسيحيون يطالبون بوقف البيع واستعدادهم لتسديد تلك الديون ، ولكن بريطانيا لم يكن يشغلها ذلك التسديد بقدر ما ترغب من تملك اليهود ، ولذلك رفضت رجاءات العرب المسيحيين وعروضهم .

وعلى الرغم من تلك الطرق التي سلكتها بريطانيا لاغتصاب الأراضي وتمليكها لليهود ، فإنها لم تكن تراها طرعا كافية لفرضها الميت ، ولهذا سرعان ما سنت قانون نزع الملكية ، ولا ريب انه كان قانونا غريبا لا يمكن أن يكون قد سن في غير فلسطين ، ولا يمكن أن يجرأ أحد على سنه غير بريطانيا فيها .

لقد تعودت المجتمعات البشرية أن تكون للأملاك حرمة ، وحرصت الدساتير على النص أن الملكية مقدسة ولا يجوز مصادرة الأملاك الا لمنفعة عامة ، وكانت المنفعة العامة هي على الدوام اقامة مرفق حيوي للبلاد باشراف الدولة كمد طريق أو اقامة حاجز ضد مياه الفيضان أو غير ذلك مما يشكل منفعة عامة لجميع السكان ، ولكن بريطانيا تعتمد الى تشريع جديد فهي تبيح لصاحب أي مشروع أن يستولي على الأرض التي يراها صالحة لمشروعه اذا لم يوافق مالكاها على بيعها له ، ونحن نعلم جميعا ان تلك المشروعات كانت دائما يهودية ، وان الذين تشجعهم وتحمهم مع مال الصهيونية العالمية هم اليهود ، وبذلك نتأكد انها انما سنت ذلك القانون

لتببيع نزع ملكية أراضي القرب في سبيل المشروعات والمنافع الشخصية اليهودية ، ولنثبت هنا بعضا من مواد ذلك القانون ( قانون نزع الملكية ) الذي سنته بريطانيا في أغسطس (آب) ١٩٢٦ .

« المادة ٣ : يحق لمنشيء أي مشروع ان يتفاوضوا ويتفقوا مع صاحب اية ارض يحتاجون اليها لمشروعهم

المادة ٥ (أ) : اذا عجز منشئ أي مشروع عن الاتفاق مع صاحب او أصحاب ارض يحتاجها المشروع فيجوز لهم أن يرفعوا الى المندوب السامي لأجل موافقته اعلان المفاوضة المشار اليها .. الخ

(٣) : يطلب في اعلان المفاوضة من الشخص المبلغ اليه تقديم تفاصيل خطية بما له من حقوق في الأرض والادعاءات التي يدعيها بشأنها ومقدار التعويض أو بدل الايجار الذي يقبل به .. الخ

المادة ٧ : اذا قصر الشخص الذي بلغ اعلان المفاوضة في تقديم ادعائه بالأرض المبحوث عنها خلال خمسة عشر يوما من ابلاغه الاعلان ، أو تخلف عن المفاوضة مع المنشئين بشأن مقدار التعويض ، أو اذا لم يتفق هؤلاء مع الأشخاص ( المالكين ) على التعويض خلال خمسة عشر يوما :

(١) فيحق للمنشئين أن يضعوا يدهم في الحال على الأرض المشار اليها في الاعلان المذكور واذا رفض أصحاب الأرض أو مشغلوها السماح للمنشئين بوضع يدهم على الأرض ، فيقدم المنشئون طلبا الى رئيس المحكمة ( محكمة الأراضي ) الذي اذا اقتنع بحق المنشئين في وضع يدهم على الأرض بمقتضى هذه المادة يصدر قرارا بتوقيعه يقضي فيه بتسليم الأرض للمنشئين ، ويشترط في ذلك اذا كان الاستملاك لشخص أو هيئة غير حكومية فللرئيس أن يأمر بايداع المبلغ الذي يستصوبه .

وتحت طائلة هذا القانون تم انتزاع آلاف من الدونمات من تحت يد أصحابها العرب ، وهو قانون واضح العبارة وكان سيفا مسلطا على كل مالك يرغب اليهود أرضه ، فهو اما أن يخضعها لمشروعاتهم واما أن تؤخذ منه عنوة وغصبا .

ولنلق النظر على مثال من تطبيقات ذلك القانون البريطاني في خبر نشرته جريدة الشباب القاهرية (١٧) يقول : « حضر الى ادارة جريدة الدفاع بحيفا بعض أهالي قرية الريحانية وأخبروها أن عددا من اليهود حضروا الى

(١٧) جريدة الشباب العدد ١٦ من يونيو ١٩٣٧ .



القرية منذ ثلاثة أيام ومعه موتور ماء واخذوا يحفرون بئرا في قطعة أرض تزيد مساحتها عن ٨٠٠ دونم وهي أرض مشاع لا يصلح الا جزء صغير منها للفلاحة والزراعة والجزء الباقي مرعى ل مواشيهم وعرب تلك الاراضي يحملون اوراقا تثبت ملكيتهم لها » .

وتضيف الشباب بذات التاريخ الخبر التالي : « استأنف القاضي البريطاني اليوم في يافا النظر في قضية محاجر مجدل الصادق المختلف عليها بين العرب واليهود فرد دعوى العرب المرفوعة بملكية الأرض لعدة أسباب رآها قانونية ومنها أن اراضي المحاجر غير داخله في حدود القرية » .

على أن بريطانيا صاحبة الانتداب في فلسطين لم تصبر طويلا بعد اصدارها لقانون نزع الملكية ، فقد تبين لها انه لا يكفي لأن كثيرا من الأراضي ليست ملكا لأفراد يفرض عليهم الاتفاق أو يرغبون على قبوله ، ولكنها ملك مشاع لأسر ولقبائل ، وبذلك عمدت الى سن قانون جديد في ٣٠ مايو ( أيار ) ١٩٢٨ وأسمته قانون « تسوية حقوق ملكية الأراضي (١٨) » ولقد استهدفت بهذا القانون نزع الملكية العربية بطريق آخر واستلام الدولة لتلك الأراضي توطئة لتسليمها لليهود ، ولعل اطلاعا على بعض مواد ذلك القانون يوضح لنا طرق الحكم البريطاني والأثقال التي عاناها عرب فلسطين .

« المادة ٣ : اذا ظهر للمندوب السامي انه من المستحسن تسوية حقوق الملكية في الأراضي الواقعة في أية منطقة وتسجيلها فينشر في الوقائع الفلسطينية أمرا أو مرسوما يعرف في هذا القانون بأمر التسوية .

المادة ١٠ . فقرة ٣ : على مأمور التسوية أن يطبق قانون الأراضي المعمول به في تاريخ سماع الدعوى ، ويشترط في ذلك أن يراعي الحقوق العادلة والقانونية المتعلقة بالأرض ، والا يتقيد بأي نص ورد في التشريعات العثمانية أو في قانون اصدرته الإدارة العسكرية البريطانية . الخ » .

ولعلنا نجد في هذا القانون ما يفيد اشتراط مراعاة الحقوق العادلة والقانونية ، فيتجه ذهننا الى التمسك بالحق وشرعة الانصاف ، ولكن هذا ليس المقصود في العرف البريطاني في فلسطين ، فلقد حرصت بريطانيا رسميا ودستوريا أن يكون للعدل والانصاف معنى آخر غير ما تفاهم عليه البشر وسنته الشرائع ، وتلك الفقرة الثالثة من المادة ٤٦ من دستور فلسطين تقول (١٩) : « يشترط الا يطبق التشريع العام ومبادئ العدل

(١٨) راجع نص القانون في ملحق رقم ٤ بهذا الكتاب .

(١٩) راجع نص الدستور في ملحق رقم ٢ بهذا الكتاب .

والانصاف في فلسطين الا بقدر ما تسمح به ظروف فلسطين واحوال سكانها ومدى اختصاص جلالة الملك فيها ، وأن تراعى عند تطبيقها التعديلات التي تستدعيها الأحوال العامة ... الخ » .

وهكذا نجد أنه إذا وردت كلمة العدل أو الانصاف في قوانين بريطانيا بفلسطين ، فانها لا تعني الا عدلا يطابق صك الانتداب الذي وضع لتهويد البلاد وتشريد سكانها ، وهو بالتالي في قانون التسوية لا يعني البحث عن الانصاف والعدل في تسوية الأراضي الا بقدر ما يجعل فلسطين في وضع يضمن انشاء الوطن القومي اليهودي فيها طبقا للمادة الثانية من صك الانتداب .

وكانت كل هذه الاجراءات البريطانية قد شاعت وذاعت حتى اقلقت بعض الصادقين في عصبة الأمم وهذا هو رئيس لجنة الانتداب بها يعلن في الجلسة التاسعة للجنة قوله : « اني اشعر بمخاوف خطيرة بشأن المشكلة التي طالما اشرت اليها في الجلسات السابقة وهي أن أكثر اليهود الذين يفدون الى البلاد لا يملكون شيئا ولكن الجمعية الصهيونية لديها مال لا ينفد وبوسع صندوق رأس المال القومي اليهودي شراء مساحات واسعة من الأراضي وبجانب هذا الكيان اليهودي الكبير يقوم كيان الملاك والمزارعين العرب الصغار الذين تسعى الصهيونية تؤازرها في ذلك السياسة البريطانية لحوهم تدريجيا ومحو كل قيمة سياسية او اجتماعية لهم » .

وحين طبق قانون التسوية ، جعلت أدوات تنفيذه أغلبية من اليهود ، وبالإطلاع على موظفي المساحة ودائرة التسوية ندرك لماذا كانت أغليبتهم من اليهود والانجليز مع قلة عربية صغيرة ، ولنثبت هنا على سبيل المثال صورة بالأسماء لأعضاء تلك الدائرة :

١ - فريدريك سلومون : رئيس الدائرة يهودي - ٢ - مستر بنت : عضو انجليزي - ٣ - اسحاق كمت : مأمور التسوية يهودي - ٤ - جفري شولمان : مساعد مراقب يهودي - ٥ - تريفورليز : مساعد مراقب يهودي - ٦ - هرلد منر : عضو انجليزي - ٧ - بيونري سيسل : عضو يهودي - ٨ - فرونكن اسحاق : عضو يهودي - ٩ - روفين هاروني : باشكاتب يهودي - ١٠ - موشى كوهين : عضو يهودي - ١١ - شكري صالح : كاتب عربي - ١٢ - اسعد سالم : كاتب عربي - توفيق ناصر : مساح عربي - ١٤ - غالب النشاشيبي : مساعد مأمور التسوية عربي - ١٥ - أمين درويش : مساعد مأمور التسوية عربي .



هؤلاء هم رئيس واعضاء دائرة التسوية التي ربطت بها بريطانيا مستقبل اراضي فلسطين العربية ، يتكونون من ثمانية من اليهود مع انجليزيين آخرين ثم عربيين فقط كمساعدين لأمور التسوية . اما دائرة الأراضي فقد كانت هي ايضا دائرة يهودية :

١ - مستر ستبس: رئيس انجليزي - ٢ - الخواجة جاردنيو : مفتش عام يهودي - ٣ - ليفي هورنون : ضابط الأراضي - ٤ - بنجامين فيشمان : ضابط الأراضي - ٥ - جوهانا متكين : ضابط الأراضي - ٦ - ناتان فتوريان : ضابط الأراضي - ٧ - برنارد يفيد : ضابط الأراضي - ٨ - يعقوب عطاالله : ضابط الأراضي - ٩ - أنطون بركات : ضابط الأراضي عربي .

ثم يضاف الى هؤلاء أربعة أعضاء من الانجليز ورايهم وهواهم معروف . ولنتجه الى دائرة الاحراش وهي ذات علاقة بموضوع الأراضي لنرى كيف كانت هي ايضا دائرة يهودية :

١ - رئيس الدائرة بريطاني معروف بميله لليهود .  
٢ - جراجر فسكر جهودا يهودي مساعد المراقب العام للاحراش .  
٣ - امس ليحاف يهودي - ٤ - تويل سيل يهودي - ٥ - نجيب فرعون عربي .

ان قانون التسوية يعطي صورة واضحة عن الطريقة التي طبقت بها بريطانيا ذلك القانون وكيف جعلته معبرا لحرمان أصحابها منها ، ثم أردفت هذا القانون بمجموعة من الأوامر كانت تنشر تباعا وطوال تاريخ انتدابها تنفيذا لذلك القانون ، وكانت تعتمد الى تعيين اليهود كمأمورين لتسوية الحقوق وهم أصحاب منفعة والهادفون الى التملك وطرده العرب .

وعلى سبيل المثال :

« ليكن معلوما لدى العموم بأنه سيشرع قريبا في تسوية الحقوق في اراضي قرية نعمانة من أعمال قضاء الرملة ، فعلى كل من يدعي حقا في اراضي القرية او في اراضي القرى المتاخمة لحدودها ان يعمل بموجب قانون التسوية لسنة ١٩٢٨ ويمكن الاطلاع على ذلك في مخيم مأمور التسوية في رحبوت قرية نعمانة دائرة حاكم اللواء الجنوبي بيافا دائرة قائمقام قضاء يافا » .

ابرامسون : مندوب الاراضي

٢٥ مارس ( آذار ) ١٩٢٩

هذه اراضي قرية وقرى مجاورة عمدت بريطانيا الى تسوية ملكية أراضيها ، ترى لمن وكلت مهمة تلك التسوية ، الى قضاء نزيه ، أم الى لجنة محايدة تعصمها الذمة ويحوطها الشرف ؟ لم تفعل بريطانيا ذلك ، ولكنها بعد ان جعلت العدل في فلسطين ذا مفهوم يختلف عن مفاهيم العدل في العالم (٢٠) ، عمدت الى اليهود تعينهم مأموري تسوية :

« ان المندوب السامي عملا بالسلطة المخولة له بالمادتين ٢ ، ٤ من قانون تسوية الأراضي لعام ١٩٢٨ قد عين المستر موشى كوهين الحسيد مأمور تسوية مساعد للقيام بأعمال التسوية في منطقة قضاء الرملة وخوله أن ينوب عن مأمور التسوية في تلك المنطقة (٢١) .

٢٠ مارس ( آذار ) ١٩٢٩ . التوقيع : ه . شلوك السكريب العام لفلسطين

وما دام المندوب السامي قد عين اليهودي موشى كوهين ليكون مأمور التسوية في قضاء الرملة المزدهم بالعرب ، فقد بقي ان يعين من ينفذ أوامر مأمور التسوية هذا ، ويصدر الأمر الى الجيش او البوليس بأخذ الأراضي وتنفيذ الأحكام فيها ، ولكن المندوب السامي الممثل لسياسة بريطانيا والشرف على تنفيذ صك الانتداب ودستور فلسطين ، لم يففل حتى هذه الناحية فقد أصدر في نفس التاريخ الذي عين فيه مأمور التسوية أمرا هذا نصه : « أن المندوب السامي يعين المستر موريس غولدنبرج مساعد مأمور التسوية فيما يتعلق بتنفيذ الاحكام في قضاء الرملة (٢٢) .

ثم اضاف امرا آخر فعين المستر اسحاق فردمكن ( اليهودي ) مساعد مأمورية تسوية وينوب عن المأمور في تنفيذ الأحكام في قضاء يافا .

واستمرت بريطانيا في هذه التعيينات اليهودية الثقيلة ، فعين المندوب السامي في ٧ مايو ( أيار ) ١٩٢٩ المستر « صولومون يهوذا » في منطقة يافا مساعدا لمأمور التسوية ، وجوناثان بلمومندل في نفس المنطقة ، وفرنسيس كرلدوث لودويك لتسوية اراضي الخضيره وما بينها وبين البحر في قضاء حيفا وأراضي وادي الحوارث وعتيل وزينا في قضاء طولكرم وخربة شرکس وبركة البطيخ وقيسارية وعرب الدمايرة وعرب الففارة ، ثم عين اليهودي

(٢٠) راجع المادة ٤٦ الفقرة ٣ من دستور فلسطين ، الملحق رقم ٢ من هذا الكتاب .  
(٢١) مجموعة النواشر والأوامر والقوانين الفلسطينية محفوظة بمكتبة الجامعة الأمريكية ببيروت تحت رقم ٥٦٩ - ٣٤٩ .  
(٢٢) المصدر السابق .



هقزي باح في قضاء حيفا وعرب النقيعات ، ومع هذه الأسماء العديدة الكثيرة ، ولغرض التعمية فقط عينت بريطانيا اثنين من العرب احدهما في قضاء يافا والآخر في الرملة لا حول لهما ولا طول .

واستمرت أعمال التسوية سيفاً مسلطاً على العرب تشغلهم وتثقل عليهم ، ثم تنتهي أغليبيتها الى اعلان الأراضي « حكومية » ، وتقصد بريطانيا بذلك أن تضعها تحت التصرف المباشر للمندوب الذي حرصت في دستور فلسطين على أن تعطيه صلاحية التصرف في كل أرض حكومية كما أشرنا الى ذلك آنفاً ، ثم لتقلها من هذه الصفة الى صفة الملكية اليهودية ، بل لقد عمدت بريطانيا الى تعديل دستور فلسطين بما هو أبعد من ذلك الذي اثبتناه آنفاً ، وجعلت المندوب السامي يملك من السلطات في الأراضي ما كان يملك خليفة الدولة العثمانية بحكم الشرع الاسلامي ، فأصدر التعديل التالي :

« بما أن احكام الشرع الاسلامي كانت قد خولت السلطان صلاحية تحويل الأراضي الميري الى أراضي ملك ، وورد نص بشأن هذه الصلاحية في المادة ١٢١ من قانون الأراضي العثماني والمادة ٨ من قانون التصرف بالاموال غير المنقولة ٣٠ مارس ( آذار ) ١٩٢٩ وبما أنه من المناسب تحويل المندوب السامي هذه الصلاحية بشأن كافة الأراضي الميري في فلسطين ، لذلك تعدل المادة ١٦ من مرسوم الدستور الى « يجوز للمندوب السامي بمرسوم يصدره أن يحول أي أرض في فلسطين يسميها في المرسوم من صنف الميري الى صنف ملك » .

التوقيع : م . ب . ا . هانكي

١٦ مارس ( آذار ) ١٩٢٢

وطبقاً لهذا التعديل ومواصلة لما سبق أن تم من اغتصاب اراض بموجب قوانين نزع الملكية والتسوية واصل المندوب السامي مهمة اعطاء الارض لليهود بعد تسويتها ونزعها من ملاكها الاصليين العرب ، ونشبت هنا على سبيل المثال لا الحصر نموذجين من اوامر المندوب السامي في هذا الخصوص :

١ - « امر رقم ٦٧ لسنة ١٩٤٢ صادر من المندوب السامي بمقتضى المادة ١٦ مكرر (ج) بما أن المادة ١٦ مكررة (ج) من مرسوم دستور فلسطين لسنة ١٩٢٢ / ١٩٣٩ قد أجازت للمندوب السامي اذا شاء بأمر يصدره وينشر في الوقائع الفلسطينية ، أن يحول أية أرض من صنف المتروكة كالسواحل أو الطرق العامة أو بيادر القرى الى أي صنف آخر ، وبما أن قطع الأراضي المينة أو صافها في الذيل الملحق بهذا الامر الواقعة في مستعمرة باردس حنا من أعمال قضاء حيفا ، تؤلف الآن قسماً من الطريق العامة ، وبما أنني مقتنع

بان الحقوق أو المنافع التي كانت مكتسبة حتى الآن في هذه الأراضي يمكن الاستعاضة عنها بحقوق ومنافع مساوية لها في الصفة ضمن الحد المقبول ، لذلك أنا السير هارولد الفرد مكمايكل المندوب السامي لفلسطين استناداً الى الصلاحية المخولة لي وفقاً لما تقدم ، أمر بتحويل الأراضي المذكورة الى صنف الميري ، وتسجيلها بهذه الصفة في مكتب تسجيل الأراضي بحيفا بأسم « جمعية الاستثمار اليهودية بفلسطين » .

رقم القطعة	رقم القسيمة	القرية	القضاء
١٠١٠٠	٤٧ ( مؤقت )	باردس حنا	حيفا
١٠١٠٠	٤٨ ( مؤقت )	باردس حنا	حيفا
١٠١٠٠	٣٥ ( مؤقت )	باردس حنا	حيفا

صدر بتوقيمي في هذا اليوم الخامس والعشرين من شهر يوليو ( تموز ) ١٩٤٢ .

المندوب السامي : هارولد مكمايكل

٢ - « امر رقم ٨٥ لسنة ١٩٤٢ صادر من المندوب السامي

بما أن المادة ١٦ مكررة (ج) من مرسوم دستور فلسطين لسنة ٣٩/٢٢ قد أجازت للمندوب السامي اذا شاء ، بأمر يصدره وينشر في الوقائع الفلسطينية أن يحول أية أرض من صنف المتروكة كالسواحل أو الطرق العامة أو بيادر القرى الى صنف آخر ، وبما أن قطعة الأرض البالغة مساحتها دونمين ٧١٨ متراً مربعاً المسجلة بموجب العقد رقم ٤٢/١٣٣٠ في القسيمة رقم ٦٥ من القطعة رقم ٧٧٤٦ تؤلف قسماً من الطرق العامة في الطيرة ، وبما أنني مقتنع بأن الحقوق التي كانت مكتسبة حتى الآن في هذه الأرض يمكن الاستعاضة عنها بحقوق ومنافع مساوية لها في الصنف وضمن الحد المقبول ، لذلك أنا السير هارولد الفرد مكمايكل المندوب السامي لفلسطين استناداً الى الصلاحية المخولة لي مرفقاً لما تقدم أمر بتحويل قطعة الأرض المذكورة الى صنف الميري وتسجيلها بهذه الصفة في مكتب تسجيل الأراضي بناتانيا .

صدر بتوقيمي في هذا اليوم العاشر من شهر سبتمبر ( ايلول ) ١٩٤٢ .

المندوب السامي : هارولد مكمايكل

وناتانيا التي ضم لها المندوب السامي هذه الأرض ليست الا قرية يهودية معروفة ، ولم يمض الا قليل حتى أصدر امراً آخر مؤرخاً في ١٣



اغسطس (آب) ١٩٤٢ ضم فيه الى ناثانيا المذكورة قطعة جديدة (٢٣) .  
وبصلاحيات المندوب السامي التي تضمنها دستور فلسطين ضمت  
آلاف الدونمات ، وكانت اوامره تصدر بقطع صغيرة يوميا حتى تكون قطعا  
كبيرة مع مر الايام والشهور ، ولم يجد المندوب السامي مانعا من أن يقتطع  
حتى الأراضي الحكومية التابعة للمناطق العربية ، ويسجلها رسميا للمدن  
اليهودية ، وعلى سبيل المثال نواصل نشر أمر المندوب السامي رقم ٩٥  
لسنة ١٩٤٢ ونصه بعد الديباجة : « أنا السر هارولد ماكمايل المندوب  
السامي لفلسطين استنادا الى الصلاحية المخولة لي وفقا لما تقدم ، أمر  
بتحويل قطعة الأرض المعروفة بالقسيمة رقم ٢٧٨ من القطعة رقم ٦٢٠٤  
في قرية الجريشة من أعمال قضاء يافا (٢٤) ، من صنف الميري الى صنف  
الملك وتسجيلها بهذه الصفة في مكتب تسجيل الأراضي بتل أبيب (٢٥) ،  
حتى يتسنى وقف هذه الأراضي لمقاصد دينية وأغراض تعليمية .

صدر بتوقيعي في هذا اليوم الأول من ديسمبر (كانون الأول) ١٩٤٢ .  
المندوب السامي : هارولد ماكمايل

بل ان المندوبين الساميين البريطانيين دأبوا منذ زمن بعيد في سبيل  
تمليك اليهود واعدادهم لامتلاك فلسطين على نزع ملكية الأراضي في سبيل  
توسيع الطرق المؤدية الى المستعمرات اليهودية ولم نجد في سجلات أوامر  
فلسطين شيئا يحسن قرى العرب أو يوسع طرقها ، ولننشر هنا نموذجا  
من تلك الأوامر التي أخذت بموجها الأراضي في سبيل توسيع طريق يؤدي  
الى مستعمرة يهودية :

#### شهادة نزع ملكية

أنا الفيلد مارشال هيربرت شارلس انسلو البارون بلومر المندوب  
السامي لجلالته في فلسطين والقائد العام فيها ، أشهد أن توسيع الطريق  
المؤدية من يافا الى بتاح تكفا لعشرين مترا عرضا وهو مشروع ضمن مفاد  
المادة الثالثة من قانون نزع الملكية .

الفيلد مارشال : بلومر م ب

١٠ مارس ( آذار ) ١٩٢٦

ولم يكن قانون نزع الملكية أو قانون التسوية أو الصلاحيات التي  
أعلنتها بريطانيا لمندوبها السامي كافية في تنفيذ برنامج التهويد ، بل اتجهت  
بريطانيا الى المناطق المليئة بالأشجار الكثيفة ، فرأت أنه من اللازم لبرنامجها  
أن تصدر قانونا اسمه ( قانون الغابات ) وسلطته أيضا على رقاب الملاك  
العرب ، تصدر به أراضيهم وتضع سلطانها عليها وعلى سبيل المثال لا

(٢٣) الوقائع الفلسطينية العدد ١٢٢٥ الصادر في ٢٤ اغسطس (ايلول) ١٩٤٢ .

(٢٤) الوقائع الفلسطينية العدد ١٢٢٨ الصادر في ١٥ سبتمبر (تشرين الاول) ١٩٤٢ .

(٢٥) تل أبيب هي القطاع اليهودي في فلسطين .

الحصر ثبت هنا نموذجا من تطبيقات ذلك القانون :

« أنا السر هارولد مكمايل المندوب السامي لفلسطين ، استنادا الى  
الصلاحية المخولة لي في المادة الثالثة من قانون الغابات، أعلن الأراضي المبينة  
أوصافها في الدليل التالي مناطق غابات محفوظة تحت إشراف الحكومة  
وإدارتها (٢١) » ، ثم يذكر المندوب السامي كشفا ببيان تلك الأراضي  
وملاكها ، فيتبين أنهم جميعا من العرب الذين وصفهم بأنهم ادعياء تملك  
(٢٧) . وبالجمع لتلك المساحات العربية المستولى عليها يتبين أنها ٣٨١٨٨  
دونما .

ولعمري ان تلك القوانين والأوامر التي أثبتناها آنفا وأثبتنا معها  
نماذج من طرق تنفيذها لمطية شواهد لا ريب فيها ولا شك على أن شعب  
فلسطين العربي كان يكابد متاعب لا حدود لها من الدولة التي حكمت  
سلاحها وقانونها في أراضيه .

وهذا الذي أوضحناه سبيل واحدة من السبل العديدة التي سلكتها  
بريطانيا ضد أراضي الأمة العربية في فلسطين ، والواضح ان مساحات عديدة  
اغتصبت من العرب وسلمت لليهود تحت طائلة تلك القوانين الجائرة ، وإذا  
كان بحثنا يهدف الى إيضاح الحقيقة عن مصير الأرض في فلسطين ، فأننا  
بما أثبتناه آنفا ، إنما تقدم صورة لا غموض فيها للجور البريطاني الجائر  
على شعب عربي صغير ، لو ضاعت كل أراضيه وسط تلك الأتقال البريطانية  
لوجد له المؤرخون أعذارا وأسبابا ، أما إذا ثبت أنه مع كل هذا كان صلبا  
عنيذا غنيفا متمسكا بأرضه ذائدا عنها ، كان معنى هذا أن تاريخ الوجود  
يزين صدر ذلك الشعب في وسط الأمة العربية بأوسمة المجد التي لا تبيد .

#### ٥ - الأسر غير الفلسطينية تباع أرضها في فلسطين :

على أن أرض فلسطين تعرضت لعواصف أخرى اجتاحت سهولها  
وهضابها فقصفت بشعبها واقتلعت من مساكنه تحت سطوة الجند  
والبوليس البريطاني ، وكانت تلك العواصف تهب من تصرفات أسر عربية  
شاءت لها ظروف وحدة الأرض أيام الخلافة العثمانية أن تملك مساحات  
في فلسطين وحين ظهر الخطر الصهيوني وسنت القوانين البريطانية ، وجدت  
تلك الأسر السورية واللبنانية أن فلسطين لم تعد مكانا للاستثمار والكسب ،

(٢٦) الوقائع الفلسطينية العدد ١٢٣٩ الملحق رقم ٢ الصادر في ٢٤ ايلول ١٩٤٢ .

(٢٧) أثبتنا الكشف الرسمي لتلك الأراضي وملاكها في الملحق رقم ٨ من هذا الكتاب .



وأن من حصافة الرأي الطامع أن تتخلص من تلك الأراضي ، لا تملكها لجموع الفلاحين الفلسطينيين الذين أقاموا بها وأصلحوا فيها وواروا فيها أجدادهم مئات السنين ، ولكن لذهب اليهود وأموالهم ، كانت أسرة سلام قد أعطيت امتيازاً في أراضي الحولة (٢٨) ، وكان الامتياز الممنوح من الحكومة العثمانية لأسرة سلام ينص على استصلاح تلك المساحات الكبيرة وتمليكها إلى الفلاحين الفلسطينيين الذين نشأوا مع الأرض ودأبوا عليها ، ولو تم هذا لكسبت أسرة سلام الأثمان التي يدفعها الفلسطينيون ولكسب عرب فلسطين أراضيهم تعود إليهم ، ولكن الذي حدث كان عكس ذلك ، لقد بيع ذلك الامتياز ، بأه آل سلام البيروتيون إلى اليهود ، وكانت مساحة الأرض حول بحيرة الحولة التي يشملها امتيازهم ١٦٥ ألف دونم أي ١٦٥٠٠٠٠٠٠ متراً مربعاً .

ولجأ الفلاحون العرب إلى حكومة الانتداب يطلبون حمايتهم ، ولكن هذه الحكومة سلّطت بوليسها وجيشها ليهدم بيوتهم ويشرد جموعهم ويسلم الأراضي لليهود ، وهكذا تم تشريد خمسة عشر ألف عربي من تلك الأراضي (٢٩) .

#### ٦ - أراضي يهيم وسرسق :

وفي أراضي الحولة نفسها كان هناك امتياز آخر لاثنتين من أكبر الأسر اللبنانية ، هما محمد يهيم وميشيل سرسق ، وعلى نفس الطريقة التي سلكها آل سلام ، سار هؤلاء أيضاً ، وبيعت الأراضي لليهود وأجلي عنها سكانها من شعب فلسطين .

دونمات لا تعد بالعشرات ولكنها بالآلاف تعد ، وتتربع في بيروت عمائر شامخة وسط ساحاتها الجميلة تحمل اسم هذه الأسر الكبيرة .

على أن الانجليز لم يكونوا بعيدين عن هذه النكبة التي حلت بالعرب سكان أراضي الحولة ، فقد وضعوا هم الأسس التمهيدية لسحب الامتياز ، وذلك عقدهم بامتياز الكهرباء الممنوح لليهود عام ١٩٢١ ينص على عدم حق الشركة الكهربائية في أي عمل يقلل أو يخل بالحقوق والسلطات والامتيازات الممنوحة قبل ذلك التاريخ بما في ذلك الممنوح منها في العهد العثماني ، وإنك لو اجدت ألفاظ الفقرات ١ ، ب ، ج في العقد المشار إليه تعطى مدلول

(٢٨) عمر أبو النصر : جهاد فلسطين العربية ، القاهرة ١٩٣٦ ، ص ١٢٠ .

(٢٩) أميل الغوري ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٧ .

الحفاظ على تلك الامتيازات كشأن الأمم والحكومات التي تحافظ على ارتباط الشرف وحرمة التعاقد ، ولكنك حين تقرأ الفقرة د تتضح لك الحقيقة البريطانية وتدرك أن بريطانيا كانت تبنت - لتلك الامتيازات - مع الصهيونية أمراً ، ولنثبت هنا نص تلك الفقرات التي تضمنها تعديل عقد امتياز الكهرباء الممنوح للشركة اليهودية في ٥ مارس ( آذار ) ١٩٢٦ وكيف أشير فيها بما نوهنا عنه إلى احتمال استبدال امتياز الحولة :

« المادة ٣ ( بعد تفصيل عن حقوق الشركة ) ولا يجوز للشركة مباشرة أي من الحقوق أو السلطات أو الامتيازات الممنوحة لها بكيفية تقلل أو تخل بالحقوق أو السلطات أو الامتيازات الممنوحة في الامتيازات التالية وهي ١ - الامتياز المؤرخ في ١٢ أبريل ( نيسان ) ١٩٢١ الممنوح لبنحاس روتنبرغ لاستعمال مياه العوجة لتوليد وتوريد القوة الكهربائية والمحول الآن لشركة يافا الكهربائية المعروف بامتياز الموجا .

ب - الامتياز الذي منحه بلدية القدس في عام ١٩١٤ لتوليد الكهرباء .

ج - الامتياز الذي منحه الحكومة العثمانية لمحمد أفندي يهيم وميشيل أفندي سرسق بشأن أراضي الحولة .

د - أية امتيازات تمنح بدلا من الامتيازين تحت ب ، ج تنفيذا لأحكام البروتوكول الملحق بمعاهدة لوزان التي تقضي بأن يكون بعض الامتيازات الممنوحة من السلطة العثمانية موافقة للأحوال الاقتصادية الجديدة للمدة وللمدى التي تكون فيها هذه الامتيازات سارية أو قابلة للتنفيذ .

ومع تلاحق الأحداث ، سرعان ما أسرعت بريطانيا فألغت امتياز الكهرباء لمدينة القدس الذي كانت الحكومة البريطانية قد منحه لشركة يونانية ، ألغت بريطانيا ذلك الامتياز تحت حجة أن الأحوال الاقتصادية الجديدة تتطلب أكثر من ذلك الامتياز القديم ، ولكن وضع صاحب ذلك الامتياز كان يختلف ، فهو ابن اليونانية والتابع لدولته التي رعتها بريطانيا وساعدتها أيام جلاد اليونان ضد الامبراطورية والحكم العثماني ، وما أن حكمت محكمة العدل الدولية بحق صاحب الامتياز القديم حتى وافقت بريطانيا وباركته (٣٠) .

أما امتياز الحولة العربي ، فقد وجد ملاكه العرب اللبنانيون ذريمة لبيعه إلى اليهود ، وعلى الرغم من أن ذلك النص الذي ورد في امتياز الكهرباء

(٣٠) القضية الفلسطينية ، ص ٤٠ .



وهكذا كان تصرف عرب ليسوا فلسطينيين بل هم من أبناء بلدان مجاورة تملكوا في ظرف عابر وعهد غابر ، وهكذا تربع اليهود في القرى العربية ، فهدموها وأزالوا معالم مساجدها وكنائسها وأقاموا فوق أنقاضها ستا وخمسين مستعمرة يهودية (٢٤) .

#### ٨ - أراضي تيان والقباني :

وتلك مأساة أراضي وادي الحوادث التي تبلغ مساحتها عشرات الآلاف من الدونمات ، وكانت تلك الأراضي الخصبة المهمة بيد عائلة لبنانية هي أسرة تيان ، وتقع هذه الأراضي على الساحل الفلسطيني وعدد سكانها ٢٤٠٠ عربي يملكون من المواشي ما يقدر بعشرة آلاف ماشية ، ويستفيد من تلك الأراضي أيضا أكثر من عشرة آلاف عربي آخر من القرى المجاورة لها من قضاء طولكرم وكان يصدر منها للقطر المصري سنويا ما يقدر بمبالغ خمسين ألف جنيه ثمننا لأجود أنواع البطيخ في العالم ، في وقت كان الجنيه فيه يمثل قوة شرائية هائلة .

وفي عام ١٩٢٢ لم يكن المدعو انطون تيان العربي من لبنان في وضع اقتصادي مريح ، فأقدم على رهن حصته في تلك الأراضي وقدرها ٥٣٥٠ دونما ، رهنها لرجل فرنسي ثم باع الرهينة لجماعة من اليهود ، ولكن تلك الدونمات ليست كافية ولا هي المراد شراؤها من الأراضي المملوكة ، واتجه اليهود الى المسمى ميشيل تيان وكان الوحيد من أسرته الموجود بفلسطين ، فباع لهم حصته من وادي الحوارث العظيم ، وأستعمل اليهود جهودهم فادعوا ان البيع يشمل ما يخص قبيلة الحوارث ، ونظرت المحاكم في هذه القضية وكانت تشغل الرأي العام هناك سنوات طويلة ، وسلم الوادي لليهود ، وأخرجت حراب البريطانيين الفلسطينيين الأبرياء الذين لم يعرفوا بيما ولم يتسلموا ثمننا ، أخرجتهم من أراضيهم التي تملكوها مئات السنين، وتربعت فيها جمعية رأس المال القومي اليهودي ( كرن كايمت ) في ٢٧ مايو ( أيار ) ١٩٢٩ ، على ان من ذكرنا من أسر لبنانية تصرف فيما تملك من أرض فلسطين وكانت نكبة على شعبها ، لم تكن هي وحدها التي أقدمت على هذا الانحراف الخطير ، فلقد تابعها في ذلك عديد من أسر أخرى سورية ولبنانية ، ثم جاء دور أسرة القباني البيروتية ، لقد كانت تملك ما يقارب أربعة آلاف دونم ، أي ما يساوي أربعة ملايين متر مربع ، وشاعت

(٢٤) أشهر المستعمرات هي كفار باروخ ، نهلال ، كفار دافيد ، تراسلفانيا ، بلوغوريا ، مرجعيا ، عين جاردو .

اليهودي كان مشعرا باحتمال تغيير الامتياز ، فأن التمسك بصلاية ، وعدم البيع أو التنازل ، والبعد عن التفريط والتمنع عن اعطاء اليهود شريعة الامتياز بالمال ، أن ذلك وحده كان المعنى الوحيد الصالح المطابق للوطنية العربية والذي لم يسلكه أصحاب الامتياز مع أسف الوطنية والتاريخ ، وهكذا ضاعت أراضي الحولة من حوزة عرب فلسطين ، ولم تضع بسبب تفريطهم أو تهاونهم ، ولكنها ضاعت وتسربت الى اليهود بسبب تصرف عرب آخرين ليسوا من أبناء التربة الفلسطينية ، بل أن الشعب الفلسطيني اكتوى بالنار في هذه البقعة المهمة من بلاده فقد تم اجلاء ١٥٠٠ أسرة عربية ، على حين أسكن اليهود فيها وتمتعوا بالحماية البريطانية والرعاية والاهتمام (٢١) .

ولم تكن أراضي الحولة وحدها هي التي كانت ذات علاقة بعرب غير فلسطينيين وتم بيعها لليهود ، ولم يكن آل سلام وحدهم في ذلك التفريط الخطير ، بل لم يكن ما يملكه آل سرسق هو ذلك الجزء من امتياز الحولة فقط ، بل هناك غير هذا وغير أولئك .

#### ٧ - أرض مرج ابن عامر :

كانت أسرة سرسق أيضا تملك مساحات واسعة من اخصب أراضي فلسطين في مرج ابن عامر ، كانت تملك ٤٠٠ ألف دونم تضم عددا قيما من القرى العربية يقدر عددها بين خمس عشرة واثنين وعشرين قرية عربية (٣٢) ، ويسكن هذه القرى ٢٥٤٦ أسرة عربية ، فاذا قدرنا عدد كل أسرة بعشرة اشخاص ، كان معنى هذا ان مجموع سكان أراضي مرج ابن عامر الذي يملكه آل سرسق هم ٢٥٤٦٠ عربيا .

وقد باع آل سرسق اللبنانيون هذه الأراضي الخصبة الى اليهود ولجأ الفلاحون العرب الذين أقاموا بقراهم وأراضيهم أكثر من ألف عام الى السلطات الرسمية يطلبون حمايتها ، ولكنها سلطت عليهم الجيش والبوليس البريطاني وأطلقت عليهم نيران البنادق حينما رفضوا مغادرة أراضيهم ، وهدمت أكواخهم ونسفت بيوتهم وقوضت خيامهم وطردوا أمام جحافل الجند من أراضيهم وسلمت الأراضي لليهود (٢٣) .

(٣١) يذكر الاستاذ عارف العارف في كتابه النكبة ، ج ٣ ص ٦٥٧ أسماء القرى التالية : الياجور ، شيخ بريك ، جيدة ، طبعون ، تل الشماء ، الوراقاني ، معلول ، خنيفس ، جبانا ، جنجا ، تل العدس ، القولة ، عفولة ، الجالود ، تل الفر .  
(٣٢) المؤامرة الكبرى واغتيال فلسطين ، ص ٤٧ .  
(٣٣) جريدة الشورى ١ يناير ١٩٣٠ .



الأنباء خلال عام ١٩٣٧ أن هناك نكبة جديدة ليست بعيدة الأثر عن نكبة وادي الخوارث وتم لليهود ما يريدون من شراء ملك آل القباني في فلسطين. ذلك الملك الذي تسمى بأسمهم حتى يكاد يعرف في بعض المراجع بوادي القباني (٢٥) ، باعه آل القباني العرب البيروتيون لم يردعهم عن ذلك أنه سلخ لأرض عربية من عروبتها ، ولا أن ملاكها الحقيقيين من الفلاحين الفلسطينيين سوف يجلون عنها بالحديد والنار ، ولم يصرخ في أسماعهم أيضا صوت الحرية والوطنية الذي ارتفع مستنجدا قبل كارثة البيع .

يقول الأستاذ محمد علي الطاهر (٢٦) : « كتب إلينا من فلسطين أن آل القباني في بيروت سيبيعون أرضهم بفلسطين إلى اليهود ، وتبلغ مساحتها الآلاف من الفدادين وهي من أهم المواقع في فلسطين ، أننا نهيب بأهل بيروت أن يمنعوا هؤلاء الذين لا يخافون الله ولا يرعون شرفا ولا ذمة » ، ولكن هذا الصوت العربي المستغيث كان نداء في واد لا آذان له ، وتسلم اليهود الأراضي وأجلوا أهلها عنها ، وتسلم آل القباني الثمن نقدا وعدا ووقف التاريخ ليسجل صفحاته الدامية .

#### ٩ - أراضي أسر أخرى :

وسلكت نفس الطريق أسرنا الصباغ والتويني البيروتيتان اللتان باعتا الأراضي الكائنة في السهل الساحلي بين عكا وحيفا ، وكانت الأراضي التي تملكها أسرة التويني المذكورة وحدها تشمل كل القرى العربية المعروفة « الهريج والدار البيضاء والانشراح ونهارية » وأخرج أيضا الفلسطينيون من أراضيهم تلك بمجرد أن تسلم البائعون أثمانها من جمعيات الأرض اليهودية .

ولنضيف إلى تلك الأسر أسرة الجزائري السورية ، وشمعة والقوتلي السوريتين ، التي باعت لليهود أيضا أراضي المنشية ، وأسرة آل مرديني السورية التي باعت قسما كبيرا من أراضي صفد (٣٧) .

وإذا كنا لا نستطيع أن نثبت أمثلة واضحة وتفصيلات دقيقة عن كل صفقة تسربت فيها الأراضي إلى اليهود من مثل تلك الأسر غير الفلسطينية .

(٣٥) يسميه المؤرخ العربي عارف العارف وادي القباني وقد وجدنا أيضا جريدة النشابة القاهرية لصاحبها المجاهد محمد علي الطاهر تسميه بوادي القباني أيضا .

(٣٦) جريدة النشابة القاهرية ٢٣ من يونيو ١٩٣٧ .

(٣٧) نكبة بيت المقدس ، ج ٣ ص ٦٥٦ .

فإن هذا لا يمنعنا من أن نثبت مستندا واحدا يعطي أوضح صورة عن استهانة غير الفلسطينيين بأراضيهم في فلسطين ، وعن الصور المحزنة التي كانوا يتعهدون فيها بطرد العرب وإخراجهم من أراضيهم لصالح جمعيات الاستعمار اليهودي، ولنطلع على هذا العقد الذي كان مشروعا للبيع ثم حدثت موانع حالت دون البائعين والائتمام فألقي العقد وضاعت أغلب الصفقة .

#### ١٠ - أراضي آل يوسف :

##### عقد مقالة

بتأريخه قد تم الاتفاق بالرضا والقبول المتبادل بين كل من ( ١ ) فائزة غانم بنت خليل باشا العظم أمراة المرحوم عبد الرحمن باشا اليوسف بالاصالة عن نفسها وبالوصاية عن ولديها القاصرين عثمان وفؤاد بك ونزيهة غانم خانم ولدا عبد الرحمن باشا اليوسف ، بموجب حجة الوصايا الصادرة من المحكمة الشرعية بدمشق الشام بتاريخ ٢ محرم سنة ١٣٣٩ رقم جريدة ١٨ صفحة ٦٥ عدد ١٩٢٨ باعتبارها كافلة وضامنة القاصرين المذكورين .

وكل من (٤) محمد سعيد بك و(٥) عمر عادل بك و(٦) حسن سامي بك و (٧) أحمد راتب بك و (٨) وجيهة خانم و (٩) شفيقة خانم و(١٠) برانت خانم و(١١) اسعاف خانم وبين شركة ذي فلسطين لاند ديبلومند ليمتد الملقبة بالآتي بالفريق الثاني ، على بيع وشراء وفراغ وتفرغ جميع الأراضي والأماكن الداخلة ضمن حدود قرى البطيحة والجولان التابعة لقضائي القنيطرة والزوية التابعة لحكومة الجمهورية السورية وقسم منها تابع لحكومة فلسطين المبين حدودها وأوصافها ومواقع المبيع في جدول الأملاك المربوط بهذه المقالة والمعدود جزء منها المعروف ذلك عند الطرفين معرفة تامة نافية لكل أسباب الجهالة بيما وشراء باتا قطعا بالفا ما بلفت مساحته من الدونمات متصلة بعضها ببعض دون أن يتخللها أقل حق لأي كان من الخارج والمسجلة بقيود الطابو بموجب الأسناد المبين تواريخها وأرقامها في جدول الأملاك المربوط مع جميع ما اشتملت عليه القرى المذكورة من بيوت وأبنية ومنايع وجدران وآبار وأحواض وأشجار وبيادر وأنهر ومياه ومنافع والحاصل وكل ما لها وعائدا عليها والملقب بالآتي بالمبيع والتي يصرح ويؤيد الفريق الأول بأنها آلت إليه بطريق الإرث والانتقال عن مورثهم عبد الرحمن باشا اليوسف وأنهم ومورثهم المنوه إليه قبلهم واضمو اليد عليها بدون منازع ولا معارض بالثمن والشروط الآتية :



#### تمهيدات الفريق الأول :

أولا - أن يبيع ويفرغ للفريق الثاني أو لمن يختاره الفريق الثاني من شخص أو اشخاص من التبعية الفلسطينية كامل المبيع صفقة واحدة أو صفقات متعددة مع جميع ما شب اليه وعائد له يبعأ باتا وفراغا قطعيأ مباشرة أو بالواسطة في المدة والشروط والضمن الآتي ذكره .

ثانيا - يصرح ويؤيد الفريق الأول بأن المبيع لم يكن وقفا وأنه لا يوجد أي مانع قانوني به يمنع المبيع والفراغ عدا عن الحجز والرهن الذي سيدفع حتى يوم الفراغ وأنه لا يوجد عليه من قبل الحكومة أي دعوى كانت ضد تصرف وتملك الفريق الأول على كامل المبيع أو أي قسم منه وأن هذا المبيع مأجور على الصورة الآتية ١ - أراضي خفين مأجورة الى حسن بك يوسف هي وتوابعها لمدة تنتهي في ٢٣ تشرين أول . ب - أراضي البطيحة مأجورة الى بكر آلوسي لمدة تنتهي في ٢٣ تشرين أول . ج - أراضي أم الدنانير مأجورة مع توابعها الى أحمد قره جولي لمدة تنتهي في ٢٣ تشرين أول ١٩٣٤ د - أراضي أم الدنانير وتوابعها مأجورة أيضا الى صالح الصوفي عن مدة تنتهي في ٢٣ تشرين أول ١٩٣٧ . هـ - أراضي القصيرين المسجلة بأسم أحد افراد الفريق الأول محمد سعيد بك اليوسف مأجورة الى بكر آغا صوفي لنهاية تشرين أول ١٩٣٦ .

رابعا : أن يصحح مساحة المبيع وحدوده تصحيحا رسميا بحيث تسجل عند اجراء الفراغ مساحته وحدوده في سجلات الطابو للمساحة والحدود التي يثبتها المهندس في الخرائط بعد تصديقها على المنوال المار ذكره في المادة السابقة وبصورة أن تكون موافقة تماما للحقيقة الراهنة والقوانين والنظمات المرعية في سوريا ، أما القسم الواقع من المبيع في فلسطين فتطبق عليه قوانين فلسطين .

خامسا - أن يقيم على اطراف وحدود المبيع في النقاط التي يراها مناسبة المهندس المعين من طرف الفريق الثاني لوحات من البناء أو توضع اشارات أخرى تفصل المبيع عما جاوره من الأراضي المجاورة على أن يكون مصاريف البناء على الفريق الثاني .

سادسا - اتفق الطرفان على تقسيم المبيع الى ستة اقسام تشير الى كل منها بالقلم الأحمر صورة تفصل كل منها عن الآخر في الكروكي المربوط مع هذه المقالة والموقع من الطرفين والمحدد جزء منها على أن يجري تسليم القسم رقم واحد بعد شهر واحد قبل الفراغ وأن يجري

تسليم القسم رقم ٢ بعد سنة من تاريخ تسليم القسم رقم ١ وأن يسلم القسم رقم ٣ بعد سنة من تاريخ تسليم القسم رقم ٢ وأن يسلم القسم رقم ٤ بعد سنة من تاريخ تسليم القسم رقم ٣ وهلم جرا الى أن يتم تسليم كافة الاقسام الستة .

من المتفق عليه بين الطرفين المتعاقدين أن يسلم كل جزء من الاجزاء الستة المذكورة من المبيع تسليما شرعيا خاليا من كل ما يمنع التصرف به ومن كل مزارع ومستأجر ومستحكر ومن كل من يطلب أي حق فيه أو عليه أو على أي قسم منه بصورة لا يبقى أي علاقة لأي كان على القسم المسلم من المبيع المار ذكره أو أي جزء منه وبصورة يتمكن منها الفريق الثاني أو من يقوم مقامه من احداث ووضع يده على كامل القسم المذكور بدون أدنى معارضة أو منازعة وذلك بعد اتمام معاملة التصحيح وتنظيم الخرائط على الوجه المبين في البندين ١٨ ، ٢١ الآتيين من هذه المقالة .

سابعا - أن كيفية التسليم هذه تجري بحق كل قسم من الاقسام الستة في المواعيد المعينة لها اعلاه اذا اقيمت أي دعوى أو طلب من قبل أي كان بما فيه دعوى الاولوية والشفعة وغير ذلك بصورة تؤثر على تنفيذ مندرجات هذه المقالة بمواعيدها المضروبة أو على تملك وتصرف أو وضع يد الفريق الثاني أو من يقوم مقامه اعتبارا من تاريخ الفراغ لحين انقضاء مدة مرور الزمن بحسب القوانين المرعية في سوريا بحق الأراضي الواقعة في سوريا وبحسب القوانين المرعية في فلسطين بحق الأراضي الواقعة في فلسطين ، فعلى الفريق الثاني أن يطلب ادخال الفريق الأول في الدعوى بحق الرجوع وعندها يتوجب على الفريق الثاني أن يتولى الدفاع في هذه الدعاوى على مسؤوليته وعلى نفقته الخاصة ، فاذا ثبت للمدعي بحكم على حق ما فأن الفريق الأول مسؤول عن نتيجة تلك الدعوى على أن حصول أي دعوى أو طلب أو ادعاء من أي كان لا يعتبر عذرا ولا يجوز للفريق الأول بالاستناد على ذلك تأخير تنفيذ مندرجات هذه المقالة .

ثامنا - يتعهد الفريق الأول باحضار وتنظيم وتوقيع جميع الاوراق والمستندات التي تطلبها دائرة الطابو أو أي دائرة رسمية أخرى والتي تكون مدارا لازما لاجراء الفراغ النظامي واتمام تنفيذ شروط هذه المقالة . ثم تتناول المواد من ٩ الى ١٣ واجبات الفريق الأول حول صحة المستندات ودفع الرسوم والقيام بكل اجراء لتسليم الأرض .

تمهيدات الفريق الثاني : وقد تعهد الفريق الثاني :

الرابع عشر - أن يقبل فراغ البيع لأسمه ولأسم من يختاره من



شخص أو أشخاص من التبعة الفلسطينية بعدم قيام الفريق الأول ، بالشروط التي ترتبت عليه بموجب هذه المداولة وفي ضمن المدة التي ستذكر فيها على أنه يجوز ومن حق الفريق الثاني أن يطلب فراغ المبيع على صفقات عديدة وأجزاء متعددة ضمن المدة المضروبة بأسم شخص أو أشخاص من التبعة الفلسطينية متفوقة بشرط حفظ وتأمين حقوق الفريق الأول بما يختص ببقية دينه الذي سيبقى له بموجب البند ١٥ الآتي للذكر .

الخامس عشر - يدفع ثمن المبيع وقدره نصف جنيه فلسطيني عن كل دونم بأعتبار مساحة الدونم  $9191/3$  متر مربع بالغا ما بلغت من الدونمات بحسب المساحة المنصوص عليها في المادة ٣ من هذه المداولة والتي سنتخذ أساسا للفراغ وذلك على المنوال التالي :

١ - ربع ثمن كامل المبيع بيوم وعند اجراء الفراغ وتسجيل المبيع بأسم من يختاره الفريق الثاني من شخص أو أشخاص من التبعة الفلسطينية .

ب - الباقي من الثمن أي ثلاث أرباع الثمن تدفع على خمسة أقساط متساوية كل قسط منها يدفع بنهاية كل سنة تمر على الحساب الغربي اعتبارا من تاريخ فراغ وتسجيل المبيع بأسم من يختاره الفريق الثاني مع اضافة فائدة خمسة في المائة سنويا عن ذلك ...

ثم تسهب المواد ١٦ ، ١٧ ، ١٨ في شروط اخلاء المبيع وتسليمه خاليا من الفلاحين ( والشواغل الأخرى ) وتشترط تشفيل الفلاحين المطرودين في أراضي أخرى لمدة سبع سنوات ، ولا ريب أن المشتريين اليهود يريدون بذلك ضمان استقرارهم ٧ سنوات لقيموا منشآت في الأرض للمهاجرين اليهود وتنقطع كل صلة بين الفلاحين العرب وبينها ، ولكن المادة تشترط اخلاء القسم رقم ١ من الأرض فورا وأقصاء الفلاحين بتشغيلهم أو الى الأراضي الأخرى ، وتعد المادة البائعين بمكافآت مالية أن هم استطاعوا تخلية الأرض من الفلاحين الفلسطينيين وضمنوا تشغيلهم خارجها للفرض الذي أوضحناه ، ويجيء نص الفقرة ب من المادة ١٨ كما يلي :

ب - اذا لم يتمكن الفريق الأول من أشغال أكثر من نصف الفلاحين المزارعين بأشغال زراعية خارج المبيع بشروط يماثل وقعها على الأقل لحالة انتفاعه الحالية وذلك لمدة لا تقل عن ٧ سنوات فيتوجب على الفريق الثاني ( اليهودي ) دفع مبلغ ١٠ آلاف ليرة فلسطينية فقط .

ج - ان هذه المبالغ تدفع على الوجه التالي :

١ - ٧ آلاف جنيه فلسطيني بعد مرور ١٥ يوما من تاريخ اطلاق

الفريق الثاني على الأذن المبحوث عنه في البند ١٠ من هذه المداولة ويؤمن هذا المبلغ عند الدفع بطريق بيع الوفاء أو التأمين بالدرجة الثانية على ملك أحد أفراد الفريق الأول محمد سعيد بك اليوسف في القصيرين لمدة وجوب فراغ وتسجيل المبيع بشرط أن يوضع هذا المبلغ أمانة بأسم السادة سعيد بك الفزي وعمر بك اليوسف ونقولا أفندي الرئيس مجتمعين غير منفردين ويصرف فقط في سبيل تنفيذ أحكام البند ١٧ من هذه المداولة . ومن المفهوم بين العاقدین أن أراضي الدميرين مرهونة حاليا لدى البنك الزراعي من قبل محمد بك اليوسف على مبلغ خمسة آلاف ليرة دينارية سورية ذهباً المعادلة كل ليرة دينارية الى ليرة فرنسية ذهباً .

٢ - ثلاثة آلاف جنيه فلسطيني بيوم اجراء الفراغ وتسجيل كامل المبيع بأسم من يختاره الفريق الثاني على أن تكون تابعة لنفس الشروط المتعلقة بوضعها أمانة بأسم السادة المومي اليهم .

٣ - عندما يثبت الفريق الأول للفريق الثاني أن ٧٥ في المائة من الفلاحين على الأقل قد تركوا المبيع واشتغلوا بعمل زراعي بأرض خارج المبيع لمدة لا تقل عن ٧ سنوات يتوجب على الفريق الثاني أن يدفع الى الفريق الأول مبلغ ٥ آلاف ليرة فلسطينية تتمم مبلغ الخمسة عشر ألف ليرة فلسطينية . من المفهوم بين الفريقين أن ما ورد في هذه المادة لا يؤثر على مسؤولية الفريق الأول في ما يتعلق باخراج الفلاحين وتسليم كامل المبيع على ما هو منصوص عنه في هذه المداولة .

التاسع عشر - أن يوقع رسوم الفراغ والرهن ونصف مصاريف المساحة وأجرة المهندس كما هو مذكور في البند ٣ وأما بقية الرسوم والمصاريف فتقع على الفريق الأول .

عشرون - لما كان الفريقان اتفقا على تسديد قيمة الثمن بأقساط يدفع منها الربع نقدا عند الفراغ بعد استلام الفريق الثاني القسم المرقم برقم ١ في الكروكي المربوط في الثلاثة أرباع الباقية فتسدد تدريجيا على خمسة أقساط متساوية على الصورة في البند ١٥ من هذه المداولة معلنة برهن كامل المبيع ، لذلك يتعهد الفريق الأول على الصورة الآتية :

١ - عند دفع القسط الأول من بدل الرهن الذي يستحق بعد سنة من تاريخ الفراغ والرهن ، يفك الرهن عن نصف القسم المرقم برقم ١ في الكروكي المربوط .

٢ - عند دفع القسط الثاني من بدل الرهن الذي يستحق بعد



سنتين من تاريخ الفراغ والرهن ، يفك الرهن عن النصف الثاني من القسم المرقم برقم ١ في الكروكي المربوط .

٣ - عند دفع القسط الثالث من بدل الرهن الذي يستحق بعد ثلاث سنوات من تاريخ الفراغ والرهن يفك الرهن من القسم المرقم برقم ٢ في الكروكي المربوط .

٤ - عند دفع القسط الرابع من بدل الرهن الذي يستحق بعد أربع سنوات من تاريخ الفراغ والرهن من القسط المرقم برقم ٣ من الكروكي المربوط .

٥ - عند دفع القسط الخامس من بدل الرهن الذي يستحق بعد خمس سنوات من تاريخ الفراغ والرهن ، يفك الرهن عن القسم الرابع المرقم برقم ٤ ، ٥ ، ٦ في الكروكي المربوط أي بقية الأرض المرهونة .

من المتفق عليه بين الفريقين أن ما ورد في هذا البند لا يؤثر على تعهدات الفريق الأول .

تعهدات الفريقين معا - قد تعهد الفريقان :

احدى وعشرين - أن ينفذ شروط هذه المقالة بالتام والكمال ضمن المواعيد المضروبة أدناه أولا :

١ - ثمانية أشهر اعتبارا من تاريخ هذه المقالة لانتماء تصحيح المساحة والحدود تصحيحا رسميا .

ب - أربعة عشر شهرا اعتبارا من تاريخ اليوم لأخلاء وتسليم القسم المشار إليه في الكروكي برقم ١ من كل مزارع ومستأجر وغير ذلك من أي كان له أي علاقة بالقسم المذكور .

ج - خمسة عشر شهرا من تاريخ هذا العقد لأحضار وانتماء جميع المعاملات وأجراء الفراغ النظامي لاسم الفريق الثاني أو لاسم من يختاره الفريق الثاني من شخص أو أشخاص من التبعية الفلسطينية بصفقة أو بصفقات متعددة على أن يبقى إلى الفريق الأول بالزام الفريق الثاني بعد انقضاء مدة سنة بقبول الفراغ واحدى عشر شهرا لاستلام القسم الأول د - أن بقية الأقسام تسلم وفقا لأحكام البند السادس من هذه المقالة .

اثنا وعشرين - يصرح الفريق الأول بأنه اتخذ عنوانا له مكتب المحامي سعيد بك الفزي في محلة السنجقدار في دمشق الشام وكل مخابرة

ومعلومية أو انذار سيرسل الى العنوان المذكور بموجب انذار رسمي بمعرفة كاتب العدل .

ثلاثة وعشرين - يصرح الفريق الثاني بأن عنوانه هو الخواجه يشوع هاتكين شارع النبي تل ابيب وكل اخبار او معلومية او انذار سيرسل اليه في العنوان المذكور بموجب انذار رسمي بمعرفة كاتب العدل .

اربعة وعشرين - اتفق الفريقان بأن الحق والصلاحيه لكل منهما بمواجهة المحاكم المختلطة أو الوطنية بالشام أو بيروت أو فلسطين بخصوص أي فصل أو خلاف يعمل بينهما بما يتعلق بهذه المقالة أو ما تفرع عنها .

خمسة وعشرين - أن كلا من افراد الفريق الأول يعلن بأنه قد كفل وضمن رفقاته الآخرين في تنفيذ جميع مندرجات هذه المقالة بحيث جميع افراد اجزاء الفريق الأول قد أصبحوا متكافلين متضامين بعضهم البعض .

سنة وعشرين - يحق للفريق الثاني أن يمتنع عن دفع القسم المستحق من الرهن بموعده المعين بحال عدم أخلاء القسم الواجب تسليمه من الأرض قبل استحقاق ذلك القسط وفقا للبند السادس من هذه المقالة وليس للفريق الأول حق المطالبة بذلك ويحق للفريق الثاني مطالبة الفريق الأول بالفراغة المنصوص عليها في البند ٢٨ من هذه المقالة .

سبعة وعشرين - يتعهد الفريق الأول أن يقوم بشروط هذه المقالة بالتام والكمال فإذا خالف احدهم أو أي فرد من افراده بشرط من شروط هذه المقالة أو نكل أو تأخر عنه ينذر ، فإذا كان النكول أو التأخر حصل قبل وقوع الفراغ وتسليم القسم الأول يدفع للفريق الثاني مبلغ خمسين الف ليرة فلسطينية لقاء عطله وضرره وإذا حصل النكول أو التأخر بعد حصول الفراغ وتسليم الأول يدفع للفريق الثاني مبلغ خمسة وعشرين الف ليرة فلسطينية فقط وبكل حالة من الحالتين لا حاجة للأخطار والاذنار لأن النكول أو التأخر يقوم مقامه ، وعدا عن العقوبة المنصوص عنها بهذا البند يبقى الفريق الأول ملزما بإعادة جميع الأموال التي تكون دخلت عليه من الفريق الثاني .

ثمانية وعشرين - يتعهد الفريق الثاني بالقيام بجميع شروط هذه المقالة بالتام والكمال وإذا نكل أحكامها أو خالفها أو تأخر عن انفاذ مندرجاتها أو عن شرط من شروطها يكون ملزما بدفع مبلغ خمسين ألف ليرة إلى الفريق الأول .



ثم تناول الفقرتان التاسعة والعشرون والثلاثون بعض التفاصيل عن حق الإيجار اثناء مدة التسليم ثم تأتي المادة الواحدة والثلاثون معبرة اوضح تعبير عن حيل اليهود وضعف روح البائعين ( غير الفلسطينيين ) الذين قبلوا العمل على مقاضاة واخراج ابناء فلسطين من اراضيهم .

أحدى وثلاثون - إضافة على الإيجار المبحوث عنه أعلاه ولكي يتمكن الفريق الأول بتمهده لأخراج الفلاحين من المبيع وأخلائه من جميع الشواغل نفاذا لأحكام المقاوله فإن الفريق الثاني يعطي وكالة لكل من محمد سعيد بك وعمر عادل بك ولدا عبد الرحمن باشا اليوسف ومحمد منيف بك ابن راشد بك اليوسف تخولهم حق مخاصمة الفلاحين والمستأجرين وكل شخص يعتدي على المبيع الذي بقي بإيجار الفريق الأول على أن يكونوا مجتمعين ومنفردين ، وبيانا لتحقيق الحال صار تنظيم هذه المقاوله على نسختين باتفاق الفريقين وأستلم كل منهما نسخة حسب الأصول وتحريرا (٢٨) .

١٦ آذار سنة ١٩٣٤

شفقة اليوسف ، برانت اليوسف ، وجيهة اليوسف ، فائزة العظم ، اسعاف اليوسف ، محمد سعيد اليوسف ، أحمد راتب ، عمر اليوسف ، حسن اليوسف .

THE PALESTINE LAND DEVELOPMENT Co LTD. TON. E. HANKIN.

شهود الحال : يوسف الأصفر ، توفيق شامية

الجدول ، البطيحه ، الدكه ، تل ابن أعور ، أم عجاج ، جبيله حسيه ، كنف التعتا ، كفر عارب ، سعدية الرشيد ، سيل الشقيريه ، زينه ، كنف الفوقا ، خورخه ، شقيف ، جديا ، خسفيه ، أم الدنانير النصبانيه ، المنصورة بحدودهم وتواريخ الطابو ( والخنسره والصلبه والنوائيه وفخلية بأسم سعيد بك اليوسف والمرهونه لدى المصرف الزراعي ) .

\*\*\*

هذه أحداث مختلفة تتعلق بقضية الأرض في فلسطين ، ان اجزاء عديدة وكبيرة ومهمة انتقلت الى اليهود اولا بفعل القوانين البريطانية

(٢٨) تسلمنا صورة هذا العقد من الاستاذ فوزي الفصين وكيل النائب العام بفلسطين سابقا والمستشار القانوني بالجامعة العربية سابقا . ونشرناه كما هو دون اصلاح اخطائه اللغوية الكثيرة بلفته الاصلية .

العديدة، من قانون الارض الى قانون نزع الملكية الى قانون التسوية وغيرها، وثانياً ينهل الاقطاعيين الكبار من السوريين واللبنانيين الذين كانوا يملكون مساحات شاسعة في بلد صغير ، واذا كانت مواد هذا العقد الذي اثبتناه آنفاً تفيد ان بعض تلك الاراضي كان محاذيا لفلسطين ، وان بعضها الآخر كان في فلسطين محاذيا لسوريا ، فان هذا يسوقنا الى ادراك التنظيم اليهودي الذي يهدف الى حصار فلسطين وتوسيع رقعة املاكهم فيها ، واخذ الاجزاء المهمة لا سيما تلك التي تفصل عرب فلسطين عن أشقائهم في البلاد المجاورة .

## ١١ - الاراضي المجاورة للبنان :

وتلك حدود لبنان مع فلسطين تسرب اليها اليهود بأساليب مختلفة.

وليس أقلها ما كشفته جريدة عربية (٢٩) حين نشرت صورة زكوغرافية لعقد مشاركة بين اسماء عربية لبنانية وجماعة يهودية تستهدف بيع الأراضي لليهود ، ولقد أحدث نشر تلك الوثيقة رجة في الاوساط العربية حتى ان المجاهد الفلسطيني صاحب جريدة الشورى الأستاذ محمد علي الطاهر لم يشأ أن يصدق ما نشرته الجريدة العربية وخاله مزورا مدسوسا ، فأبرق يسأل السيد الأحذب رئيس وزراء لبنان والوارد اسمه في الوثيقة ، وأخيرا أعلن أن الوثيقة صحيحة .

ونضع هنا تلك الوثيقة الى جانب ما لاقى عرب فلسطين من ويلات عربية كانت تسهم في نكبتهم الى جانب ويلات الانجليز واليهود :

« نحن الموقعين أدناه خير الدين الأحذب وصفي الدين قدورة فريق اول وجوزف خديج وميشال سرجي فريق ثاني ومراد دانا والياس الحاج فريق ثالث ، اتفقنا بعد أن أقسم كل منا بالله تعالى وبشرفه ووجدانه أن نقوم مشتركين لمشتري وبيع مقدار مائة ألف دونم وكسور من أراضي صور وصيدا الى الشركات الفلسطينية بأسعار متفق عليها بيننا كي يجري فراغها للشركات المذكورة بعد أن تضم اليها الأرباح بحسب الاتفاق الذي سيعقد لبيع هذه الصفقات ، وقد اتفقنا أيضا على أن تكون الأرباح بحسب الاتفاق الذي سيعقد لبيع هذه الصفقات ، وقد اتفقنا أيضا على

(٢٩) جريدة الف باء السورية : دمشق ٧ من أغسطس ( آب ) ١٩٣٧ .

(٤٠) جريدة الشباب القاهرية ٢٥ من أغسطس ( آب ) ١٩٣٧ .



ان تكون الأرباح مقسمة على الوجه الآتي وذلك بعد خصم النفقات :  
 للفريق الأول خير الدين الأحذب وصفي الدين قدورة بالمائة أربعين .  
 للفريق الثاني جوزيف خديج وميشال سرجي بالمائة خمسة وعشرين .  
 للفريق الثالث مراد دانا والياس الحاج وشركاهم بالمائة خمسة  
 وثلاثون تنمة المائة سهم من الأرباح الصافية . أما الوظائف فهي كما يلي :  
 على الفريق الأول خير الدين الأحذب وصفي الدين قدورة المشتري  
 والتسجيل .

على الفريق الثاني جوزف خديج وميشال سرجي وظيفة أمين سر  
 الصندوق والمحاسبات ودفع ائتمان الأراضي والنفقات ويفوض إليهم قبض  
 الأموال من الشركات ( اليهودية طبعا ) وتوزيع الأرباح عن إجراء بيع  
 كل صفقة .  
 على الفريق الثالث مراد دانا وشركاه إيجاد المشتري بأسعار تعود  
 بالنفع على جميع الموقعين ادناه .

وقد اتفقنا على أن يطلع على النفقات السرية التي تتطلبها المصلحة  
 قبل صرفها كل من السادة جوزف خديج وخير الدين الأحذب ومراد دانا  
 وقد حرر ثلاث نسخ تسلم كل فريق نسخة واحدة من هذا الاتفاق .

بيروت ١٩ آب ( أغسطس ) ١٩٣٥

التوقيعات : خير الدين الأحذب ، ميشال سرجي ، الياس الحاج ،  
 صفي الدين قدورة ، مراد دانا ، يوسف خديج .

على أن شهادة رسمية سجلت في مضابط لجنة التحقيق أداها  
 الدكتور روبين من رجال الوكالة اليهودية توضح ما أسلفنا وتعلن أن تسعة  
 اعشار الاراضي التي اشتراها اليهود حتى عام ١٩٢٩ اشتراها اليهود من  
 ملاكين غير فلسطينيين يعيشون خارج فلسطين (٤١) .

وقال الدكتور وايزمان في مذكراته : « مع ضالة المبالغ المخصصة  
 فأننا تمكنا في صيف ١٩٢٠ من شراء الأرض الأولى في مرج ابن عامر وهي  
 أكبر قطعة أشتريناها حتى ذلك الوقت ومساحتها ٨٠ ألف دونم ، وكانت  
 هذه الأرض تخص عائلة سرسق من الملاكين اللبنانيين ، وعليها بعض القرى

(٤١) نكبة بيت المقدس ، ج ٣ ص ٦٥٧ .

العربية المهلهلة المهلهلة المهلهلة بالملايا ، وظننا أن السعر الذي دفعناه كان  
 عاليا ، ولكن الوقت اثبت أنه لم يكن كذلك (٤٢) .

ودكتور روبين حين يعلن ان مجموع ما اشتراه حتى عام ١٩٢٩ كان  
 تسعة اعشاره من ملاكين غير فلسطينيين ليس معنى هذا ان ما بعد ذلك  
 التاريخ كان من الفلسطينيين ، فأن ذلك يتعلق بتاريخ الشهادة التي  
 اعطاها امام لجنة التحقيق عام ١٩٣١ ، والا فأن ما نشرناه من الصفقة  
 الحزينة في وادي الحوارث ووادي القباني وقرى آل اليوسف واتفاقية  
 بيروت مع قدورة والأحذب واليهود ، كل ذلك على ما فيه من مساحات  
 تضم قرى عديدة وآلاف بل مئات آلاف الدونمات انما كان في عام ١٩٣٤  
 وما بعده .

والآن وبعد أن اثبتنا تلك القوانين البريطانية الجائرة التي عملت  
 مشروطها في الأرض العربية تقصصها وتسلبها وتملكها للصهيونية ، وقدمنا  
 نماذج من تلك الأوامر القاسية والأباحة الخطيرة في الاستيلاء ورغم أنف  
 المالك ، وقدمنا أيضا صورة ثانية من الأقطاعيين السوريين واللبنانيين  
 الذين ملكوا في فلسطين ثم باعوا أراضيهم لليهود فجنى شعب فلسطين  
 الشوك والالام والطرده من اراضيهم ، حان الوقت ان نتحدث عن الاراضي  
 التي تصرف فيها الفلسطينيون أنفسهم تحت ظروف متباينة .

فلقد ضيقت بريطانيا الخناق على عرب فلسطين وعملت على ارهاقهم  
 بالديون والرهون ، وأقفلت امامهم أسواق منتجاتهم حتى بخست أثمانها  
 وحل الافلاس بالعديد منهم وأصبحت السلعة الوحيدة التي يمكن الحجز  
 عليها من المحاكم البريطانية بفلسطين هي الأرض العربية .

ولنستمع في هذا الى المستر فرنش الخبير البريطاني الذي أرسلته  
 حكومته الى فلسطين عام ١٩٣٠ فأدان حكومته في تقريره المنشور عام  
 ١٩٣١ « لو لم ترتكب الحكومة خطأ عظيما بسياستها في عدم المحافظة على  
 حقوق ومصالح العرب في الماضي والحاضر ، لما رأينا مشكلة المزارعين الذين  
 لا أرض لهم ، ولقد عرض على كثير من الفلاحين الذين يرزحون تحت وطأة  
 المطالبة بالديون أراضيهم للبيع رغبة منهم في الخلاص من ربة هذه  
 الديون » .

اما اسباب هذه الديون وحالة الفقر التي يعيشها الفلاح العربي

(٤٢) مذكرات وايزمان ، ص ٩٦ . ( مترجمة بمكتبة الجامعة العربية بالقاهرة ) .



فيوضحها تقرير المستر جونسون البريطاني نائب مدير المالية الذي يقول :  
 « لقد زاد شقاء الفلاح عندما زادت ضرائب العشر وتعداد المواشي من  
 ١٩٪ إلى ٣٣٪ وزاد أيضا شقاؤه عندما منع استيراد كل ما يمكن أن  
 تنتجه المصانع اليهودية بينما ترك باب التجارة مفتوحا بالنسبة إلى  
 الانتاج العربي ، فمن حق اليهود أن يستوردوا القمح والشعير كلما وجدوا  
 سوقا لبيعها مهما كان هذا الاستيراد ضارا لمصالح العرب  
 ومفلسا لهم ، وليس للعرب أن يستوردوا شيئا من تلك التي ينتجها  
 اليهود » . وانها لصورة بيانية لم تصدر من عربي فيتهم بالمبالغة أو التحيز  
 ولكنها صادرة من بريطانيين كلفا رسميا بالبحث والتدقيق . وماذا يمكن أن  
 يفعل شعب خلقت القوانين لتسلط عليه لا لتصونه أو تحميه ، وفتحت  
 امامه ابواب القروض من بنوك مولها اليهود ، واقبل مصدقا انه يمول  
 أرضه ويزرعها ثم يسدد من محصولاته حتى اذا نضجت ثماره سلط عليه  
 الانتداب البريطاني مواد قوانينه فمنع ما يمكن تصديره ، وفتح باب  
 الاستيراد المنافس ، وهزلت أسعار منتجاته التي تكسدت في الاسواق ،  
 واضطربت مقاييس حسابه فيبعت حاصلاته بأرخص الأثمان حتى لا تكاد  
 تفي بالضرائب المفروضة .

وهي خطة مبيتة لسلب الأرض وأرغام ملاكها على بيعها ، ولنقدم هنا  
 شهادة الخصم حيث لا نزاع في صدقها ولنثبت أحاديث سير واكبوب  
 المندوب السامي البريطاني الذي يقول : « ان دخل المزارع العربي ضئيل  
 جدا يتراوح بين ٢٠ إلى ٢٥ جنيها في العام بينما هو مطالب أن يدفع ٢٢  
 جنيها كنفقات زراعية وخمسة جنيهات للنفقات الضرورية لمعيشة أسرته  
 ويصبح مجموع نفقاته ٢٧ جنيها بينما وارده ٢٥ جنية على أحسن  
 تقدير (٤٢) » .

وتنادى شعب فلسطين وتقدم المجلس الاسلامي الاعلى يحاول انقاذ  
 الموقف ، وتدخل مشتريا وسط الحجوزات البريطانية ، وفي خضم الاموال  
 اليهودية الطائلة ، ومع ثقل المهمة وصعوبتها اشترى في بعض الاماكن قرى  
 بأكملها كقرية دير عمرو وقرية زينا التي دفع في سبيلها ٥٤٠٠٠ جنيها  
 استرلنيا ، وكذلك الأرض المشاعة في قرية الطيبة وعتيل والطيرة ، ونهض  
 صندوق الأمة أيضا فأشترى بعض الأراضي من الذين أثقلهم الدين  
 والرهونات ، ودخل في قضايا عديدة حتى انتشل اراضي البطيحة وعرقل  
 بيعها وحمى حقوق المزارعين .

(٤٣) محاضرات في تاريخ قضية فلسطين ، ص ١٤٧ - ١٤٨ .

ويقول باحث عربي : « على الرغم من جهود الحكومة وقوانينها  
 وانظمتها وجبروتها ، وعلى الرغم من الاموال الطائلة ( الخيالية في كثير من  
 الاحيان ) التي كان اليهود يعرضونها ثمنا للأراضي وعلى الرغم من وسائل  
 الاغراء الأخرى الكثيرة التي كانوا يلجأون اليها ، فإن جمهور الشعب  
 الفلسطيني العربي صمد في وجه الاستعمار والمال والاغراء ، وصان  
 أراضي وعروبة فلسطين ، فقد بلغت مساحة الأراضي التي باعها  
 الفلسطينيون لليهود بموجب العقود الحكومية المسجلة هي ٢٥٠ ألف دونم  
 فقط وقع كثير منها تحت ظروف قاهرة وبعضها نتيجة لقانون نزع  
 الملكية (٤٤) » .

فاذا وجدنا ان مجموع ما يملكه اليهود من اراضي فلسطين حتى عام  
 ١٩٤٨ هو حوالي ٢ مليون دونم ، فعلى ان ندرك تلك المتاعب التي أوجدت  
 فيها بريطانيا عرب فلسطين ، وعلى ان ندرك أيضا تلك المساحات الهائلة  
 التي صادرتها بريطانيا أو باعتها لليهود أو منحتها لوكالتهم اليهودية أو تلك  
 المساحات الهائلة التي باعها عرب لبنانيون وسوريون وليسوا فلسطينيين .

واذا القينا نظرة على احصائية هامة اصدرها احد الفنيين (٤٥) ،  
 من خبراء الأراضي استقفاها من سجلات دوائر الانتداب ، أدركنا مدى  
 القوة الصادقة التي تدرع بها شعب فلسطين وحافظ بها على أرضه الى  
 انتهاء الانتداب البريطاني بعد ثلاثين عاما من العرق والدم والظلم ، حيث  
 كان وضع الاملاك كما يلي :

- ١ - يملك العرب من اراضي فلسطين ١٢٥٧٤٩٧٧٤ دونم
- ٢ - املاك حكومية (وهي عربية بحكم حق الوطن) ١٢٦١١٤٥٠٠ دونم
- ٣ - يملك اليهود من اراضي فلسطين ١٦٤٩١٦٠٠٠ دونم
- ٤ - تملك طوائف ليست عربية ولا يهودية ١٤٢٦٠٥٩ دونم

وتقول تفصيلات اعلنتها جامعة الدول العربية ان العرب يملكون في  
 فلسطين المحتلة من المدن ومسطحات البناء والحمضيات والاشجار المثمرة  
 الأخرى وأراضي زراعية وأراضي غير قابلة للزراعة ما مجموعه ٧٤٨١٠٩٦٧  
 دونم ، وتملك الحكومة من البيانات السابقة ما مجموعه ١١٦٣٥٥٠٠٩ دونم ،  
 واذا جمعنا هذين البندين باعتبار العرب أصحاب الحق في املاك حكومة  
 انتدبت على بلادهم كان معنى هذا ان العرب يملكون في فلسطين المحتلة

(٤٤) المؤامرة الكبرى واغتيال فلسطين ، ص ٤٨ - ٤٩ .

(٤٥) جامعة الدول العربية « املاك العرب واموالهم المجددة في فلسطين المحتلة » ص ٢٦



ما مقداره ١٨,٨٣٧,٠٢٦ دونم وكان ما تملكه طوائف ليست عربية ولا يهودية ١,٥٢٣,١٠٥ دونم وهنا يتضح ان ما يملكه اليهود في اسرائيل نفسها هو ١,٤٧٥,٧٦٦ دونم وتصبح النسبة المئوية حينئذ هي ان العرب يملكون ٩٢,٢٥ ٪ بينما لا يملك اليهود الا ٧,٢٣ ٪ ، وقد اقر الصهيونيون أنفسهم انهم اقاموا ٣٥٠ مستعمرة يهودية على املك الفائبين العرب من مجموع ٣٧٠ مستعمرة اقيمت بين سنوات ٤٨ / ١٩٥٣ ، كما يعيش اكثر من ثلث السكان اليهود في املك اللاجئين ، ويعيش ٢٥٠,٠٠٠ نسمة وهم ربع المهاجرين حتى عام ١٩٥٣ في المدن بأملك العرب ، بل ان مدنا كيفا واللد والرملة وبيسان ومئات من القرى التي لم يكن بها ساكن يهودي واحد اصبحت بهم أهلة ، وتفيد المصادر اليهودية ذاتها ان دخل ٢٣ الف دونم من بساتين الحمضيات التي تخص العرب بلغ عام ١٩٥٢/٥١ ١٢,٢٥٢,٠٠٠ صندوق من الاثمار ، وهذا يعادل نصف ما صدرته اسرائيل في ذلك العام ، ويقدم الخبير الفني الذي استعانت به الجامعة العربية احصائية مفصلة عما كان يملك اليهود في مختلف مناطق فلسطين كما يلي :

البلدة	عرب وآخرون	يهود	البلدة	عرب وآخرون	يهود
صفد	٦٨ ٪	١٨ ٪	عكا	٨٧ ٪	٣ ٪
طبريا	٥١ ٪	٣٨ ٪	بيسان	٤٤ ٪	٣٤ ٪
الناصرة	٥٢ ٪	٢٨ ٪	حيفا	٤٢ ٪	٣٥ ٪
جنين	٨٤ ٪	١ ٪	نابلس	٧٦ ٪	١ ٪
طولكرم	٧٨ ٪	١٧ ٪	رام الله	٩٩ ٪	١ ٪
القدس	٨٤ ٪	٢ ٪	الخليل	٩٦ ٪	١ ٪
يافا	٤٧ ٪	٣٩ ٪	الرملة	٧٥ ٪	٤ ٪
بئر السبع	١٤ ٪	١ ٪			

يقول جون جلوب القائد الذي خطط للنكبة واسهم فيها « ان افطم ظلم في مشروع التقسيم الذي اقترته الأمم المتحدة هو ان النقب الذي يمتد من بئر السبع الى العقبة مسافة مائتي ميل أعطي لليهود ولم يكن فيه يهودي واحد ولم يسكنه اليهود عبر التاريخ قط » (٤٦) .

وتفيد احصائية مهمة ان مساحة الأراضي المزروعة بفلسطين خلال عام ١٩٤٥/٤٤ كانت تثبت ان العرب اصحاب المساحة الكبرى برغم كل ما تعرضوا له خلال سنين طويلة من الانتداب ، وكانت تلك الاحصائية

(٤٦) « جندي مع العرب » ، ص ٦٤ .

تتضح فيما يلي : « كان مجموع الأراضي العربية المزروعة خلال ذلك العام بالحبوب والخضراوات والفواكه ( عدا الحمضيات ) والزيتون والبطيخ هو ٢,٤٤٢,٧٣٠ دونما بينما لم تتجاوز الأراضي اليهودية المزروعة نفس الأنواع ٣٥٩,١٧٧ وقد أعطت تلك الأراضي العربية ما مجموعه ٦٦٢,٧٢١ طنا بينما لم تعط الأراضي اليهودية اكثر من ١٠٢,٦٨٢ طنا » (٤٧) ولا يكون ناتج هذا الا ان العرب كانوا يتصرفون خلال عام ١٩٤٥ فيما نسبته ٩٢ ٪ من تلك الأراضي بينما كان اليهود لا يتصرفون في غير ما نسبته اقل من ٧,٥ ٪ منها ، وليس من ريب ان عام ١٩٤٥ كان عام الأعداد للنكبة وكان اليهود في أوج قوتهم المادية والاقتصادية ومع هذا لم يملكوا الا الجزء القليل من فلسطين .

#### ١١ - حفاظ شعب فلسطين على ارضه :

وهذا البحث الذي سرنا فيه مع موضوع الأرض في فلسطين ، ليس الا تجسيدا للحقيقة المهمة التي تتلخص في أن عرب فلسطين حافظوا على أرضهم محافظة مجعدة ، متعبة ومصممة ، بل محافظة لم يتحقق مثلها في بعض البلاد العربية الأخرى التي نكبت بالاستعمار ، فقد ملك الفرنسيون في تونس بوسائلهم العديدة ما يتجاوز ثلث أرضها ولم تعد الا بعد الاستقلال . وملكوا في الجزائر معظم أراضيها الزراعية حتى حطمت الثورة برنامج فرنسا ، بل ملك الاجانب في مصر نسبة كبيرة لم تلغ الا حينما صدر قانون الثورة بمنع تملك الأجانب ، وتملك الايطاليون كل الأرض الزراعية في ليبيا ، اغتصبوا بعضها وصادروا بعضها الآخر واشتروا بحيلهم اجزاء أخرى حيث كان شعب ليبيا يبعد الى الصحراء رويدا رويدا حتى أعاد له جهاده واستقلاله أرضه ، وأن كان قسم منها ما زال ملكا للايطاليين ( ٤٨ )

غير ان تلك البلدان لم تمس في سمعتها ، ولم يفتر عليها ، ولم يشنح بها ذلك لأنها تحالفت مع النصر وكتب لها أن تفوز في معركتها ، على حين لم ينتصر الفلسطينيون في معركة كانت أهم من معارك العرب الأخرى ، وكان الجهد عليهم أكبر وأقوى ، ولكن الصهيونية عدو خطير نشط ، أنها لم

(٤٧) علي محمد علي وابراهيم الحمصاني : فلسطين في ماضيها العربي وحاضرها الصهيوني ، القاهرة ١٩٦٣ ، ص ١٨ .

(٤٨) ملك الايطاليون بليبيا كل السهل الساحلي والجبل الاخضر ، وعقدت اتفاقية بين البلدين عام ١٩٥٦ أعادت بعض الأراضي المغتصبة واعترفت للايطاليين بما تملكوا ، فباع كثير منهم املكهم وما زال البعض يواصل تملكه .



تكتف باحتلال الديار وتهجير شعبها ، بل اذاعت على الافواه وفي الاسماع انها انما اخذت ارضا اشترتها ، وسرعان ما تلقف ضعاف النفوس هذا القول فصار لازمة يرمون به كل فلسطيني ، وينالون منه في اساءة بالفة ، والتاريخ شاهد على غير ما يقولون والمستندات تعطي لكل فلسطيني وساما واكبارة .

يقول صحافي عربي مشهور : « من المؤلم حقا ان يقال في المجالس الخاصة او يكتب في الصحف من وقت الى آخر ان عرب فلسطين قد قصروا تجاه انفسهم وفي حق بلادهم ففرطوا في ارضهم وباعوها لليهود ولم يدافعوا كما يجب عن وطنهم فلم يضحوا في سبيله الى غير ما هناك من تهم باطلة ، حرام ان يلصق بهؤلاء الاخوان الذين نكبوا في اشخاصهم وعائلاتهم وبلادهم وكل ما هو عزيز لديهم ، هذا الافتراء الذي يخالف الحقيقة بالواقع ويخدم العدو الذي سرق جزءا من الوطن العربي ويترص بالعرب ليسرق من وطنهم جزءا آخر . يا ناس .. عرب فلسطين قاوموا الى ابعد حدود المقاومة واقدموا على اعمال فوق طاقة البشر ليصونوا تراث آبائهم ويحافظوا على وطنهم . قاوموا الاغراء بالمال ، يوم كان اليهود يدفعون لهم الف حنيه ثمن ارض تساوي مائة جنية ، الانجليز حاربوهم بالارهاب ، واليهود حاربوهم بالدس والتزوير ، حكومة فلسطين الانجليزية سنت قوانين جائرة الغرض منها انتزاع الارض من العرب واعطاؤها لليهود ، كانت تحرم الحلال وتحلل الحرام ، لخدمة اليهود وللاضرار بالعرب .. منعت انشاء البلاد العربية ان يقيموا في فلسطين وفتحت اليها ابواب الهجرة اليهودية .. السجون امتلأت بالعرب الابرياء في حين ان المجرمين اليهود كانوا يمرحون في البلاد احرارا .. ثار العرب مرة بعد مرة ، تظاهروا ، اضرابوا عن العمل ، حملوا السلاح ، قاتلوا في المدن وفي القرى وفي الجبال ، شهداؤهم يعدون بالالاف ، تضحياتهم الضخمة لا تتناسب مع عددهم ومساحة بلادهم .. حرام ان يظلمهم المفترون ، وعاد ان يكون المفترون احيانا من العرب انفسهم » (٤٩)

وهكذا يبين واضحا برغم المعركة غير المتكافئة طوال تاريخ الانتداب البريطاني ، ان عرب فلسطين كانوا هم الجانب الأكثر مناعة في الحصار على ارضهم والتشبث بها برغم سياسة الافكار ، واغتصاب الديار .

## ١٢ - توينبي يشهد لعرب فلسطين :

وكان موضوع تملك الفلسطينيين وتمسكهم بأرضهم ، موضوع بحث

(٤٩) حبيب جاماتي : مجلة المصور القاهرية عدد ١٩٢٧ تاريخ ١٥ من سبتمبر ١٩٦١ .

قد احدث دويا عالميا حين ارتفع من أوربي بل من بريطاني ، بل من أستاذ التاريخ الدولي في جامعة لندن أرنولد توينبي ، حيث حاضر في جامعة كندا ثم حين ناظر السفير الاسرائيلي في تلك البلاد ياماكوف هرتزوك فقال : « انني لا زلت أقول بأن اسرائيل بكاملها لا زالت من وجهة شرعية ملكا لعرب فلسطين الذين نزحوا عنها اثناء القتال مع الدول العربية ، اما ممتلكات اليهود الحقيقية فهي الممتلكات التي اشتروها بحق خلال ثلاثين عاما من الانتداب او قبل ذلك ، وهذه الأرض التي اشتروها خلال سنوات الانتداب انما تشكل نسبة ضئيلة من المساحة التي تسيطر عليها اسرائيل في الوقت الحاضر ، اما النسبة الكبرى من الأرض في اسرائيل الحالية والبيوت فيها والاموال المنقولة التي يستعملها اليهود وأشجار الفاكهة وغيرها ، فهي لا تزال حقا شرعيا للاجئين العرب الذين يعيشون على مدى البصر من تلك البيوت في ظروف قيد الشقاء والقنوط » (٥٠)

وتبع لهذا التصريح الذي يليه أستاذ التاريخ الدولي في جامعة لندن وهو الخبير بحقائق الامور في فلسطين أيام انتداب دولته ، تنهار تماما دعوى اليهود بأنهم انما يملكون أرضا تملكوها شراء ، وأن فلسطين أصبحت ملكا لهم بذلك ، ويدحض ايضا ما نتج عن هذه الفرية من ترهات تناقلتها السن بعض العرب في عديد من الاوطان اسطعوا بها للفلسطينيين وللتاريخ .

على أن الاستاذ توينبي برغم اعلانه أن اسرائيل لا تملك الا مساحة صغيرة في فلسطين ، لم يغرب عن باله ماذا كان يحدث هناك أيام سياسة تمليك اليهود ، فهو لا يقول أنهم يملكون ما اشتروه ، ولكنه يضع مفهوما لذلك الذي اشترى ، ويقيده بأن ممتلكات اليهود الحقيقية هي الممتلكات التي اشتروها بحق ، ولست اشك في أنه يعني أن قسما من الأرض قد اشتروها ولكن بغير حق ، وهذه لا تدخل في احصائية املاكهم الشرعية ، ومن ذلك ما اخذوه في المزارد تحت طائلة قانون نزع الملكية ، وما اخذوه بالممارسة تحت طائلة قانون تسوية الاراضي ، وما اخذوه هبة من دولة الانتداب لمجرد الرغبة في تمليك اليهود ، وما اخذوه انتزاعا نتيجة سياسة الافلاس التي سارت عليها بريطانيا ضد العرب في تلك العهود .

اذا طرحنا ما ملكه اليهود ومقداره على اكبر تقدير ما يوازي مليونين و ٧٥ الف دونم من ارض فلسطين البالغة ٢٧ مليون دونم تحت ائتمال القوانين والحيل التي اشرنا اليها فيما سبق ، تصبح النظرة الى كشف

(٥٠) أرنولد توينبي : جريمة ودفاع ، ترجمة عمر الديراوي ، دار العلم للملايين بيروت ،

ص ١٠٨ - ١٠٩



بياني كافية جدا لايضاح ان هذه المساحة الصغيرة ملك اليهود منها مليونين وسبعة الاف من غير الفلسطينيين بوسائل مختلفة ، وهي حين تقع تحت طائلة الفحص والتدقيق ، تتضح جوانبها كما يلي :

٦٥. الف دونم ما تملكه اليهود تماكيا عاديا خلال قرون طويلة  
مدة الحكم العثماني

٣٠٠ الف دونم ما منحتة بريطانيا للوكالة اليهودية مجانا .  
٢٠٠ الف دونم ما باعتة بريطانيا للوكالة اليهودية بثمان رمزي .  
٧٥ الف دونم - ما منحتة بريطانيا لشركة البوتاس اليهودية مجانا  
٦٤ الف دونم ما باعتة بريطانيا لشركة البوتاس اليهودية  
بثمان رمزي

١٨ الف دونم ما منحتة بريطانيا لشركة الكهرباء اليهودية مجانا .  
٢٢ الف دونم ما باعتة بريطانيا لليهود من الاوقاف المسيحية .  
١٦٥ الف دونم ما باعتة اسرة سلام لليهود .  
٤٠٠ الف دونم ما باعه آل سرسق لليهود .  
٣٩ الف دونم ما باعتة اسرة التيان لليهود .  
٧٤ الف دونم ما باعتة اسر التويني والقباني وشمعة والقوتلي  
والجزائري وآل يوسف .

#### ٢٠٠٧ آلاف المجموع

ما ملكه اليهود حتى انتهاء الانتداب البريطاني ٢٦٠٧٥٠٠٠ دونم  
ما سلب حسب الكشف اعلاه ٢٤٠٠٧٦٠٠٠ دونم  
ما ملكه اليهود من اهل فلسطين باوامر المندوب السامي  
والاغتصاب ومختلف القوانين وغيرها ٦٨٦٠٠٠ دونم

والنتيجة لهذا كله ان عرب فلسطين لم يمكنوا الصهيونية بكل افعالها الخطيرة من ان تتسرب الى ارضهم الا بنسبة قليلة جدا ، ويتضح لنا انه اذا كانت الاحصائية قد اوضحت ان كل ما ملكوه من عرب فلسطين مباشرة هو ٦٨ الف دونم ، جاز لنا ان نقدر من هذه المساحة كم كان النصيب الذي اغتصته الاوامر وقوانين نزع الملكية وغيرها لبقى بعد ذلك جزء صغير جدا لا يتعدى بضعة آلاف صغيرة مما باع بمضه اهل فلسطين ، ويقل جدا عما بيع للاجانب في اي بلد عربي آخر .

كتبت اديبة لبنانية فنالت من شعب فلسطين واتهمته بالتفريط في ارضه ، فقالت الادبية الفلسطينية سميرة عزام بمجلة الاسبوع العربي اواخر عام ١٩٦٢ : « لن نسمح بان يأتي الحكم اداة قاطعة للنتائج بعد تجريدها

من الظروف ، وفي سطور لا تسمح بأكثر من الانفعال العاطفي لا يمكن تقديم دراسة تشرح كيف بيعت الأرض ، وبستان الليمون ، ومركب الصيد ، لا يمكن ان نقول لها بأكثر من التلميح كيف كانت ثمة يد فوق يد الفلاح والمزارع والصيد والتاجر ، تعرف كيف تخلق كل الظروف لتباع الأرض والحقل ومركب الصيد ، وكيف تخنق كل وعي ينه الى ان يبيع ارض او حقل او مركب معناه صك لبيع وجود كامل ، ولا يمكن ان نقول لها ايضا ان الذين باعوا ليسوا كل الفلسطينيين ولا نصفهم ولا ربعهم ، وان بينهم من هم ليسوا بفلسطينيين (٥١) ، ولا يمكن لنا ان نفصل كيف ان بيع الارض قد لا يختلف كثيرا عن التمكين للاقتصاد اليهودي - قبل النكبة - بأن يمتص خيرات اكثر العواصم العربية ليرفد الصهيونية بما تستطيع ان تشتري به الارض والحقل ومركب الصيد في فلسطين » (٥٢) .

هكذا كان وضع فلسطين ، ضحية لمؤامرة كبرى دبجتها وسيرتها الصهيونية العالمية والصليبية الاستعمارية خلال ثلاثين عاما ، وكان هدف هذه المؤامرة الاستيلاء على الأرض ، واكثر اليهود حتى يكونوا أغلبية أو اقلية كبيرة فعالة ، وحرمان العرب أهل البلاد الأصليين من حقوقهم ، وثرواتهم ومزارعهم وأراضيهم ، ولقد كانت الأراضي مدار صراع عنيف بين العرب والصهاينة ، كان العرب يكافحون في سبيل الحفاظ على أرضهم ، وكان اليهود يسلكون كل السبل في سبيل الاستحواذ على الأرض وطرده العرب منها ، واقول كل السبل لأن الحكم البريطاني في فلسطين خلال ثلاثين عاما من الانتداب كان مسيرا بأيدي اليهود ، وكان صك الانتداب من وضعهم ، وكان رجال الحكم البريطاني يلاحظ فيهم قبل تعيينهم ضرورة أن يكونوا يهودا بريطانيين ذوي ميول يهودية ، وتبعاً لذلك كان صك الانتداب يحتم وضع فلسطين في وضع اقتصادي واجتماعي وسياسي يضمن انشاء وطن قومي لليهود .

وهكذا صدرت سلسلة من القوانين كانت كلها تستهدف الاستيلاء على الأرض وتهويدها ، ولم يكن في حيلة العرب من قوة ولا طول الا الجهاد العنيف الذي بذلوا خلاله الأرواح والأموال وكانوا وحدهم في صراع دام مرير ، وفي ميدان يجابههم فيه عدو مستعد مدرب .

ومع كل هذا تبين مما نشرنا تفاصيله أن اليهود برغم العون البريطاني مع ثقل الحيل وجور القوانين ، وبرغم الملايين العديدة من أموال اليهود التي كانت تعتمدها الوكالة اليهودية لمشروعاتها العديدة ، برغم كل هذا لم يملك

(٥١) راجع ما كتبناه حول هذا الموضوع في صفحات ٣٥٧ - ٣٦٩ من هذا الكتاب .

(٥٢) راجع ما كتبناه حول هذا الموضوع في مكان آخر من هذا الكتاب .



اليهود من الفلسطينيين الا اجزاء قليلة لا تعد صفقة في ميزان التملك للأوطان ، ولقد اضطر بعض الملاك العرب الى البيع وسط قوانين الأفلاس التي اصدرتها بريطانيا مما جعل العربي في موقف اقتصادي مريع تحت احكام الحجز البنكي بسبب القروض والرهنات مما اعترف به تقرير لجنة شو البريطانية التي أنحت باللائمة على حكومتها في هذا الشأن .

\*\*\*

هذا هو وضع الارض في فلسطين شرعناه مدعما بالاسانيد ، واثبتناه واضحا مشرقا كالنهار ، ولكن كل هذا الذي سطرناه لا يمنعنا - ونحن نكتب للتاريخ - أن نسجل أن هناك فئة قليلة باعت أرضها في فلسطين الى السماسرة اليهود ، باعتها غير مرغمة وتصرفت بها غير مضطرة لهذا التصرف ، وكانت تلك الفئة الصغيرة منحرفة هوت بها شهواتها الى الأغراء المادي من اليهود ، وحين نسجل هذا ، نسجله مقررين أن ذلك الجزء الذي تصرف فيه تلك الفئة القليلة لم يكن الا قدرا قليلا صغيرا اذا قورن بالمساحة الكلية لفلسطين لم يساو جزءا عشريا من الواحد في المائة ، واذا نظر اليه باعتباره يباعا عاديا كان شيئا صغيرا الى جانب ما بيع من امثاله في بلاد عربية اخرى الى اليهود وغير اليهود .

ولكن وضع فلسطين وما احاط بها من مؤامرات سافرة جعل البيع غير الاضطراري مهما كان صغيرا عملا من اعمال الخيانة وتمكينا للعدو المترصب . ( على أن نفرا ممن باعوا كانوا يموتون برصاص يعرف جيدا كيف يدين وكيف يحاكم ) ( ٥٣ ) .

#### ١٢ - الشعب يعاقب القلة المنحرفة :

على أن شعب فلسطين كان فعلا في معاقبته لتلك القلة المنحرفة ، ولعله الشعب العربي الوحيد الذي لاحق المنحرفين وأنزل بهم العقاب ، وتحت يدنا الاسماء والاعداد نستطيع نشرها واثباتها ، ولكن أولئك الذين تصرفوا في أرضهم فائتوا ضعف الرابطة الوطني في ضمائرهم لهم أبناء واحفاد كانوا صفارا في تلك المهود لم يجرموا ولم ينحرفوا ، ولهذا كان نشر الاسماء عملا نبعد منه ونبرا حفاظا على الشعور واحتراما لمن لم يذنب ولم يسهم في جريمة .

ولكن هذا لا يمنعنا من أن نشب هنا ما يفيد أن الشعب الفلسطيني قد

( ٥٣ ) مجلة فلسطين أيار ١٩٦٢ من مقال للكاتبة الفلسطينية سميرة عزام نشر بمجلة الاسبوع العربي اللبنانية .

حكم بالاعدام على أولئك المنحرفين وقد أستطاع أن ينفذ حكم الاعدام الا فيمن غادر البلاد قبل النكبة بسنوات واتخذ في وطن آخر له مسكنا . ولنعد الى ما تداولته الصحف في مختلف السنوات مثبتين التواريخ والاماكن محتفظين بالاسماء ومشيرين الى المصادر .

وَجَدْتُ جثة عربي من قرية قرب القدس ملقاة في اراضي القرية وبعد فحصها تبين ان صاحبها مات خنقا ( ٥٤ ) .

دخل مجهولان عنوة بيت مأمور البوليس السري العربي المسمى ... وهو قصاص أثر في بيسان بعد كسر الباب وكان البوليس المذكور مع زوجته نائمين فاطلق أحد المجهولين عيارا ناريا من بندقيته على البوليس وأطلق الثاني عيارا آخر على زوجته وفرا عاقلين من حيث أتيا فتوفي البوليس على الفور اذ أصابه العيار في صدره وخرج من ظهره وأصيبت زوجته أسفل ظهرها ( ٥٥ ) .

أُغْتِيلَ في يافا بالرصاص ... بينما كان في طريقه الى منزله ليلا وهو مشهور بالسمسرة على الاراضي لليهود وترأس بعض المحافل الماسونية العاملة لمصلحة الصهيونية وقيل أن سبب اغتيال ... هو تسببه في نقل مساحات واسعة من أخصب أراضي فلسطين لليهود وقد أغلق المسلمون جامع حسن بك بالمنشية لمنع الصلاة عليه فيه ولم يحضر لتشيعه سوى بعض أقاربه وليس كلهم وبعض الماسون وقد توقع أهله أن يمنع الناس دفنه في مقابر المسلمين فنقلوا جثته الى قرية قلقيلية بلدته الاصلية وحصلت ممانعة لدفنه في مقابر المسلمين وقيل انه دفن في مستعمرة يهودية اسمها بنيامينا لانه متزوج من يهودية وأن قبره قد نبش في الليل والقيت جثته على بعد عشرين مترا ( ٥٦ ) .

وخطف المجاهدون بوليسا اضافيا عربيا منذ أيام وقد وجد هذا البوليس في اليوم الثاني قتيلا مكبل اليدين بين نابلس وطولكرم ، وعثر على عربيين مقتولين في قضاء عكا كما عثر بجانبهما على جثة رجل مصري مقتول الى جانبهما ولم تعرف الحكومة شخصية القاتل المصري ، ودخل المجاهدون مدينة نابلس وخطفوا صاحب دكان ورجلا عربيا ، وقتل عربي بالرصاص في حيفا . وكان راهبان يونانيان قد خطفا منذ أيام وقد عثر عليهما

( ٥٤ ) جريدة الاهرام العدد ٢٦ من مايو ١٩٣٧

( ٥٥ ) جريدة الاهرام العدد ٢٥ من يونيو ١٩٣٧

( ٥٦ ) جريدة الاهرام عدد ٢٨ و ٢٩ من يوليو ١٩٣٧



في الصباح مقتولين (٥٧) . قتل المجاهدون عربيا في قرية الطيبة لاتهامهم اياه بالتجسس (٥٨) ، كما وجدت جثة ... قتيلا بالرصاص بالقرب من الحدود الشمالية ، وكذلك اطلق الرصاص على كونستابل عربي يدعى ... بينما كان جالسا في مقهى في مدينة عكا فقتل للحال ، وعثر البوليس على جثة شخص يدعى .. من اهالي بئر السبع موضوعة في احد منازل يافا ، وايضا عثر البوليس على جثة شخص عربي يدعى .. على الطريق بين الرملة ووادي جنين واتضح انه قتل بالرصاص (٥٩) كذلك اطلقت النار على احد موظفي بلدية اريحا وقتل للحال ، وعثرت الدورية العسكرية على جثة عربي قتل بالرصاص في طريق نابلس (٦٠) ، واقتحم مجاهدان مطاحن جلاد ... قرب يافا واعتقلا الحارس ثم تقدما الى غرفة الحاج .. وقتلاه بالرصاص (٦١) . وهاجم فريق من المجاهدين قرية برقة بالقرب من رام الله وقتلوا عمدتها ... و ... رميا بالرصاص ، واطلق الرصاص ايضا على .. من اهالي حيفا فاصيب بجراح شديدة ، وعثر على عربي قتيلا بالقرب من قرية كفر جنس ، واطلق عربي الرصاص على شخص يدعى .. من اهالي حيفا فأصابه بجراح شديدة (٦٢) ، ودخل المجاهدون قرية بلد الشيخ القريبة من حيفا وخطفوا كلا من .. و .. و .. والثلاثة الاخرون اخوة وقتلوهم رميا بالرصاص في الطريق العام (٦٣) ، واطلق عربان الرصاص على ... اثناء جلوسه في حانوته بيافا فقتلاه (٦٤) .

الى آخر هذه الامثلة العديدة التي احتفظنا بالاسماء فيها واشرنا الى مصادرها واغلبها تسبب عن انحراف قاومه الوطنيون .

#### ١٤ - لم يكن الشعب الفلسطيني سلبيا برفضه العروض البريطانية :

لقد كان الشعب العربي في فلسطين رائعا في صلابته أمام المحن وهذه صفحات مشرفة أثبتناها في تاريخ شعب فلسطين الذي استمر طوال ثلاثين عاما يجاهد الصهيونية كراس حربا للصليبية الاستعمارية ، واذا

- (٥٧) جريدة الاهرام اعداد ٢٣ و ٢٦ و ٢٩ اغسطس ١٩٢٨
- (٥٨) جريدة الاهرام العدد ٤ من سبتمبر ١٩٣٨
- (٥٩) جريدة الاهرام اعداد ٣ و ١٨ و ٢٩ يناير ١٩٢٩
- (٦٠) جريدة الاهرام اعداد ٣ و ٦ و ٢٢ فبراير ١٩٢٩
- (٦١) جريدة الاهرام العدد ٤ من مارس ١٩٣٩
- (٦٢) جريدة الاهرام الاعداد ٤ و ١٤ و ٣١ مايو ١٩٣٩
- (٦٣) جريدة الاهرام العدد ١٥ من يونيو ١٩٢٩
- (٦٤) جريدة الاهرام العدد ٢ من يوليو ١٩٢٩

كان شعب فلسطين لم يكتب له النصر فان جهاده ونضاله وسجلات مآسيه وآلامه ، وحقائق مواقفه واستبساله ، وصدق عزوفه عن التسليم بالهزيمة او الاقرار للغاصب بحق الاحتلال ، أن كل ذلك ليبقى حافزا للامة العربية ولشعوب الاسلام يحميه شبابها في اجلال ، وتردده دراساتهم في اكير واحترام .

على أن بعض الساسة العرب يأخذون على الشعب العربي في فلسطين انه طوال الانتداب بل منذ دخول الجيش البريطاني لفلسطين عام ١٩١٧ الى يوم النكبة في ١٥ مايو ( ايار ) ١٩٤٨ طوال هذا التاريخ لم يردد أمام سلطات الانجليز الا كلمة « لا » السلبية المانعة ، ويرى هؤلاء السياسيون أن الفلسطينيين لو جربوا مع الانجليز شيئا من الايجابية لتغير التاريخ بالنسبة لهم ، ولما كانت الصهيونية قد تربعت في بطاح يافا وربوع حيفا والناصرة ، وهم يرون أن مصر التي جاهدت الاستعمار البريطاني عشرات السنين مرت بها ظروف قبلت فيها انصاف الحلول ، ورضيت ، ببعض المعاهدات غير الكاملة ، وهي اليوم المستقلة المرهوبة الجانب ، وأن سوريا والعراق وغيرهما مرت كلها بظروف يرونها مشابهة حتى وصلت في النهاية الى تأكيد الاستقلال وثبتت الحرية .

هكذا يقول بعض الساسة العرب وهو منطق رطب الممس في ظاهره ، سهل التعبير ، مسالم لا متاعب فيه ، ولكنه في الواقع لا يمثل الا منطق أولئك الذين يرضون بأنصاف الحلول ، أو منطق من لم يحط علما وخبرا بقضية فلسطين ، كيف دبرت مؤامراتها ، والسبيل الذي سلكه الانجليز من أجل تهويدها ، والآلام والمآسي والمتاعب التي أثقلت كاهل شعب صغير وقف في المعركة وحده ثلاثين عاما .

ان أولئك حين يتحدثون عن مراحل استقلال مصر ( الجمهورية العربية المتحدة ) يتناسون أن الصراع فيها كان بين شعب الكنانة وبين بريطانيا وحدها ولم يحدث في ذلك التاريخ أن أعلن أي عهد أو اعطي أي وعد بأن مصر ستكون وطنيا قوميا لغير شعبها ، ولم يحدث مطلقا أن تسلطت عليها مؤامرات خارجية تعاونت فيها سياسات جميع العواصم في أوروبا وأمريكا ، ولهذا حين قبلت مصر دستور ١٩٢٣ وحين رضيت بمعاهدة ١٩٣٦ لم يكن الا استللا لقرار الغاصب بكيان شعب يحاول أن يثبت وجوده ويفتصب حريته ، ولولا الانتفاضة التاريخية في ٢٣ يوليو ( تموز ) ١٩٥٢ التي جاءت بأبطال غيروا تاريخ المنطقة ، ولولا تأميم القناة الذي أذاب القاعدة البريطانية خلال العدوان الثلاثي ، لولا كل هذا لظل السرطان البريطاني



يعمل في جسم هذه الأرض الطيبة ، وما قيل هنا عن مصر يقال أيضا عن غيرها من البلدان العربية التي نكبت بالاستعمار ثم جالده طويلا حتى تحقق لها النصر ، وقبلت في ايجابية بعض الحلول وواصلت جهادها في سبيل الكمال .

ولكن فلسطين كانت شيئا آخر وقد أوضحنا في ثنايا هذا البحث كثيرا مما غمضت جوانبه على الكثيرين ، وأثبتنا أن سبيل التهويد الذي قصده الانجليز ، كانوا يسلكونه بمختلف الوسائل بالقوة وبالارهاب ، بالقوانين وباللوائح ، بجمع المهاجرين اليهود والهجرة الزاحفة ، باغتصاب الاراضي وطرده سكانها ، بافقار العرب واثراء اليهود ، وأخيرا باعطاء المندوب كل حقوق خليفة المسلمين في ملكية الأرض وأعطائه أيضا حق أهمل القانون وعدم تنفيذ شريعة العدل والمساواة كل ذلك في سبيل التهويد ، وهذه أحداث خطيرة وثقيلة ، لم يحدث مثلها ولا شبه لها في أي بلد آخر غير فلسطين ، ومع هذا فلنعد لتاريخ هذا الانتداب لنجد أنه لم يقدم إلى عرب فلسطين أي عرض قد يلومهم المؤرخون على رفضه .

لقد دخل الجيش البريطاني منطويا تحت وعد بالفور لليهود بأن ينشأ في فلسطين وطن قومي لهم ، ثم باتفاق مشترك سعى اليهود لأن تكون بريطانيا صاحبة الوعد هي الدولة المنتدبة على فلسطين ، وسعت بريطانيا بأن تصدر عصبة الأمم باسمها صك الانتداب الذي وضعته بريطانيا بل وضعه يهودي يسمى بنجامين كوهين بالتعاون مع سكرتير وزير الخارجية البريطانية وكان ذلك قبل اقرار الانتداب البريطاني على فلسطين بحوالي ثلاثة أعوام ونصف عام فبراير ( شباط ) ١٩١٩ .

وجاء صك الانتداب يتضمن انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ، ويعترف بالوكالة اليهودية حكومة داخل الحكومة ، ثم صدر الكتاب الأبيض يحمل اسم وزير المستعمرات ونستون تشرشل ١٩٢٢ وصدر معه الدستور وهو أيضا ضمان جديد بانشاء الوطن اليهودي في فلسطين، وكل وعد أو عمل على انشاء هذا الوطن، يتضمن حتما العمل على افقار العرب وارهاقهم وابعادهم وسلب الأرض منهم ، وكان هذا الكتاب الأبيض أيضا من صنع اليهودي البريطاني المعروف هربرت صموئيل الذي كان أول مندوب بريطاني لفلسطين ، وتحت هذه الوثائق الثلاث وعد بالفور وصك الانتداب ودستور فلسطين ، سارت السياسة البريطانية طوال عهد انتدابها الاثيم .

ولهذا نرى الفارق الكبير بين الاساليب في حكم العراق وسوريا ولبنان وأسلوب حكم فلسطين على الرغم من أن نوع الانتداب كان واحدا من نوع

(أ) الذي قرره مجلس الحلفاء الاعلى فأنشئت في تلك البلدان حكومات لإدارة الشؤون العامة ولضمان الشخصية القانونية للبلاد . أما في فلسطين فقد أهملت فكرة تأسيس حكومة وطنية ، واستمر الاعداد لخلق حكومة تنبثق من الاشباع في الهجرة اليهودية .

**العرض الاول :** لقد عينت بريطانيا عام ١٩٢٠ مجلسا استشاريا ليعود له المندوب السامي وقت اللزوم ، ورأت أن يكون هذا المجلس مكونا من عشرين عضوا ، نصفهم من الموظفين الانجليز وسبعة من العرب أربعة من المسلمين وثلاثة مسيحيون وثلاثة من اليهود ، وقابل العرب هذا المجلس بالرفض قائلين أنه لا يمكن أن يمثلهم وهم الاغلبية الساحقة ، وأن قبلوا هذا التشكيل فسوف لا يكونون وسط هذا المجلس الا سبعة أصوات بجانب ثلاثة عشر صوتا هم مجموع أصوات البريطانيين واليهود ، واستمر العرب يطالبون بخلق جهاز للحكم يتولون فيه التعاون مع سلطات الانتداب لإدارة شؤون بلادهم في طريق الاستقلال ، واستمرت بريطانيا ترفض هذه المطالب .

**العرض الثاني :** وخلال عام ١٩٢٢ صدر مرسوم دستور فلسطين الذي اشترنا اليه قبلا ، وتضمن في مادته التاسعة عشرة تكوين مجلس تشريعي من اثنين وعشرين عضوا يضاف اليهم المندوب السامي ، كان عشرة منهم يمثلون الحكام البريطانيين في فلسطين وعشرة من العرب ثمانية مسلمون ومسيحيان واثنان من اليهود ، وبذلك يكون هذا المجلس الذي تضمنه دستور فلسطين مكونا من عشرة من العرب الذين يرفضون سياسة التهويد ولا يعترفون بوعد بالفور ، ومن اثني عشر عضوا يعملون علنا ورسما على فتح الابواب للهجرة اليهودية وتحقيق انشاء الوطن القومي اليهودي، فوق أن نسبة التمثيل ظالمة جدا فالعرب الذين يمثلون أكثر من تسعين في المائة لا يمثلهم الا عشرة أعضاء . لم يقف الامر في سخرية العروض البريطانية على العرب عند حد ، بل اشترط الدستور الفلسطيني في مادته الثانية عشرة الا يصدر هذا المجلس أي قانون يكون مناقضا أو مخالفا لاحكام صك الانتداب بوجه من الوجوه ثم اُضيف في المادة الخامسة والعشرين أن المندوب السامي له كامل الحرية في أن يعلن موافقته أو عدم موافقته على أي قانون بمحض ارادته .

وإن مجلسا تشريعا هذه صورته ، وتلك حدوده في الحقوق والواجبات لا يمكن أن يراد به تقدم فلسطين ولا تثبيت الحرية والديمقراطية فيها ، ولا يمكن أن يراد به الا استئلال الاعتراف من الشعب العربي في فلسطين



بوعد بالفور وسياسة التهويد ، حتى لا يكون هناك اي جانب معارض لتلك النكبة التي كانت تعد في تصميم وفي احكام .

**العرض الثالث :** وتقدمت بريطانيا بعرض ثالث ، وكان ذلك خلال مارس ( آذار ) ١٩٢٣ اذ اقدمت على تعيين مجلس استشاري من عشرة اعضاء بريطانيين وعشرة من العرب واثنين من اليهود ، وتبين للعرب أن الانجليز ما زالوا في طغيانهم يعمهون ، اذ هم يضمّنون بهذا التعمين أغلبية يهودية هي مجموع الاثني عشر عضوا بريطانيا ويهوديا ، وفوق ذلك في قبول هذا العرض من المهانة ما يزلزل قواعد الكرامة في النفوس اذ لا يمثل العرب الا عشرة اعضاء وهم سكان البلاد وأهلها ولا تقل نسبتهم فيها عن التسعين بالمائة .

وأعلن الشعب العربي رفضه لهذا العرض أيضا ، بل وأمتنع الاعضاء العرب من مسلمين ومسيحيين عن الاشتراك في جلسات ذلك المجلس الهزيل وأعلنوا رفضهم لذلك التعيين .

**العرض الرابع :** وتقدمت بريطانيا من العرب بخطوة جديدة ، ولكنها خطوة لصالح اليهود أيضا ، فعرضت خلال اكتوبر ( تشرين الاول ) ١٩٢٣ أن يؤلف العرب « وكالة عربية » يكون لها نفس الصلاحيات المخولة للوكالة اليهودية ، وصلاحيات الوكالة اليهودية هي الاشراف على الهجرة اليهودية والعمل على اكتساب الاراضي لليهود والتعاون مع الانجليز بجميع الوجوه لتنفيذ وعد بالفور وصك الانتداب ، ولم يكن من المنطق أن يقبل العرب القيام بهذه الصلاحيات ، أي أن يكون العرب كاليهود مشغولين بالتهويد ، وعاملين على احترام وعد بالفور وصك الانتداب .

ورفض العرب هذا العرض أيضا ، ولو قبل عرب فلسطين عرضا من هذه العروض البريطانية ، ثم أنتهت قضيتهم الى ما أنتهت اليه ( وهي طبعا حينئذ ستكون أسرع لذلك ) لو حدث هذا لانزل عليهم المؤرخون جام غضبهم ، ولقيل لهم لو تمنعتم عن قبول تلك العروض ، ولو استمررتكم في جهادكم وجلادكم ، ولو واصلتم كفاحكم ضد الانتداب ، لكان الامر يختلف تماما ، أما النصر وذلك هو المرغوب ، وأما الهزيمة وحينئذ لا تلامون ، أما قبولكم للعروض البريطانية فقد أوقعكم تحت طائلة اللوم والعتاب ، وقد اسهمتم في التهويد ورضيتم بالوعد وصفقتم للصك .

واليوم وقد تبين تاريخيا أن عرب فلسطين رفضوا تلك العروض لهوانها ، ولأنهم صمموا على الكفاح وبذل الضحايا ، وجاءت النتيجة كما هي

الآن : وطن محتل وشعب أبي مشرد ، يبرز ناصر النشاشيبي \* فيقول أن رفضه تلك العروض كان « غلطة » ، وهكذا تضع مع الايام معالم الصواب حتى تنعكس المسميات .

ولقد حدث أن قبل العرب الفلسطينيون بعض العروض البريطانية ، قبلوها على الرغم من أنها لا تحقق لهم آمالهم ، ولكنها كانت توقف النكبة عند حدود معينة قد يسهل تلافيها مستقبلا ، ولكن بريطانيا كانت تسرع بالقضاء تلك العروض والرمي بعيدا بإيجابية العرب ، فذلك كتابها الابيض \*\* عام ١٩٣٠ الذي نص على وقف الهجرة اليهودية وتقييد بيع الاراضي لليهود ، أعلن العرب قبولهم له ، ولكن اليهود رفعوا أصواتهم رافضين وتحركت الصهيونية في كل مكان فأعلنت بريطانيا سحبها للكتاب الابيض .

وتقدمت بريطانيا بعرض جديد في أواخر عام ١٩٣٥ تضمن تشكيل مجلس تشريعي من ٢٨ عضوا يكون نصفهم من العرب ونصفهم من الانجليز واليهود ، وأعلن المندوب السامي أن الحكومة مصممة على تنفيذ المشروع ، ولو اضطرت الى تعيين الاعضاء من الفريق الذي يرفض الاشتراك فيه (٦٥) وقبل العرب هذا العرض البريطاني لأنه كان أكثر العروض تمثيلا لهم منذ نكبتهم بالانتداب ، ثم الفت بريطانيا عرضها هذا لان اليهود رفضوه وطالبوا أن يكون لهم النصف من أعضاء المجلس .

وعبثا نبحت علاقة السلبية والإيجابية بقضية فلسطين ، فلقد كان البرنامج البريطاني واضحا في تهويد فلسطين .

ولقد نوقشت بريطانيا في عصبة الأمم بجنيف عام ١٩٢٥ حول تأسيس مجلس تشريعي بفلسطين فكان رد ممثلها واضحا لا يقبل تأويلا : لا يمكن إنشاء مجلس تشريعي في فلسطين يكون العرب فيه ممثلين حسب عددهم ، لان ذلك يحول بين الحكومة وتنفيذ الواجبات المفروضة عليها بإنشاء الوطن القومي اليهودي .

وهكذا يتبين الفرق بين السلبية التي يتهم بها عرب فلسطين ، وبين الإيجابية التي عزفوا عنها ورفضوها ، ونحن لا نتهم السودان بالسلبية حين رفض تقسيم بلاده الى شمال وجنوب ، ولا نتهم سوريا بالسلبية حين رفضت خلق كيانات تقسيمية أرادها الفرنسيون ، ولا نتهم العراق بالسلبية حين قاوم فكرة تقسيمه بين عرب وغير عرب ، ولا نتهم مصر بالسلبية حين رفضت فكرة الاحلاف بما في ذلك حلف بغداد وشرقي السويس ومبدأ

\* كان كتابا فلسطينيا معروفا بقصر ، ثم تولى عملا للاهرام بأوروبا ، وأعلنت وكالات الانباء عودته الى القدس المحتلة بيد نكبة حزيران .

\*\* راجع تفاصيل الموضوع في الفصل الثاني من هذا الكتاب .  
(٦٥) أمين الحسيني ، حقائق عن قضية فلسطين ، ص ٤٤ - ٢٠٤



ابزنهاور ، ولم يكن عرب الجزائر سلبين حين لم يتفرنسوا واستمروا يحنون الى يوم الثورة والجلاد ، ولا كان عرب ليبيا سلبين حين رفضوا التمتع بالجنسية الإيطالية لتكون لهم نفس حقوق الإيطاليين .

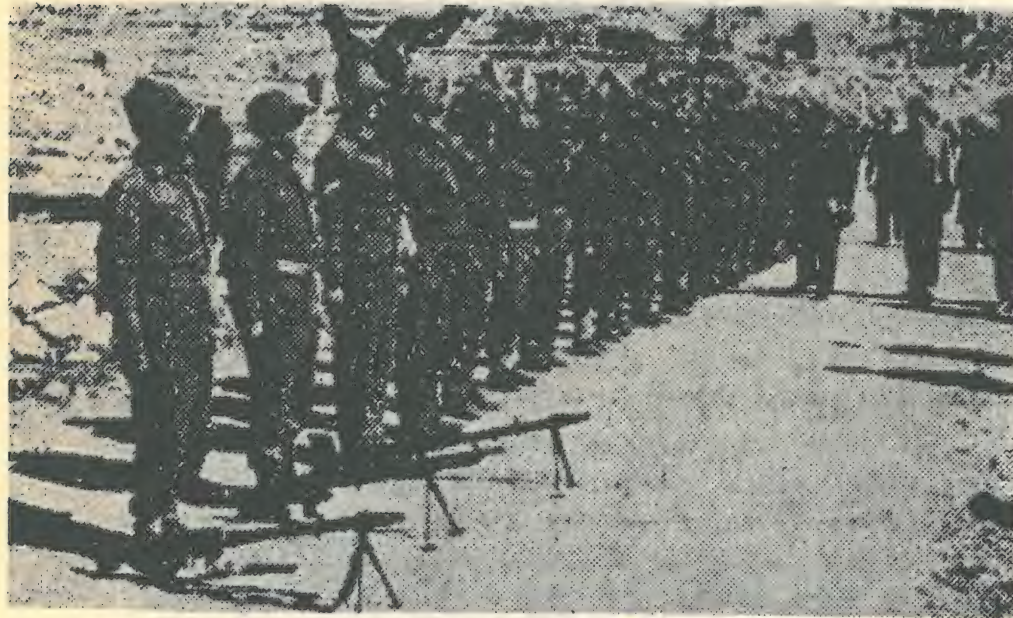
لا .. أن تلك السلبية هي الإيجابية بعينها ، وأن موقف شعب فلسطين لموقف يدل على وعي القيادة فيه ، حيث أدركت تعاون الصليبية الاستعمارية والصهيونية العالمية على تهويد فلسطين فسلك الشعب طريق الكفاح موليا ظهره لكل عرض بريطاني مجحف لا يراد به إلا الاعتراف بوعده بالفور وصك الانتداب وسلوك سياسة التهويد .

أما لماذا يبرز بين الحين والآخر من يتهم هذا الشعب المناضل بهذه الفرية أو تلك ، فذلك لأن خاتمة الصراع لم تكن في صالحه ، والناس من يلق خيرا قائلون له ما يشتهي ...

#### ١٥ - الجزائر وفلسطين :

ونحن ندرك أن شعب الجزائر لو لم يسعد بنصره التاريخي الخالد ، لما كان ينعم بهذه السمعة بين الشعوب ولا كان ينال مكانة الاحترام والتبجيل التي يسعد بها الآن ، ولو حدث ذلك لسمعنا من يقول أنهم لم يكونوا إيجابيين مع فرنسا ، وأنهم لم يكونوا متحدين في نضالهم لها ، وأن بعضهم كان يجذب بقاءها وكان يحارب معها ، ولقليل الكثير غير هذا ادعاء وزورا ولبحث العديد عن الانحرافات يلقونها ويذيعونها ، ولكن النصر الجزائري العظيم أصمت كل لسان وأوضح كل بيان .

وما دمنا قد وصلنا إلى الحديث المطر عن الجزائر ، فهل هناك شبه بين البلدين المجاهدين ؟ إن كبر المساحة مجال للثورة ومتسع للكر والفر ، وبراح للهجرة ، وموطن للاختفاء والنضال ، ومع هذا كانت الرقعة الصغيرة في فلسطين ميدانا لكل ذلك سنوات طويلة ، وشعب الجزائر يزيد عن الاثني عشر مليونا ، وفي هذه الأعداد البشرية صلابة تزيد الصراع قوة ، واحتياطي يمكن التمويل منه والاستعانة به ، وشعب فلسطين لا يصل المليون طوال سنوات الكفاح ، جهده البشري محدود ، ومواطن التمويل منه غير متسعة ، ومع ذلك تراقف الشعبان في بطولة النضال والجلاد ، وإذا كانت الجزائر قد فقدت مليونا من الشهداء ، فقدت فلسطين الصغيرة ما يقارب مائة ألف شهيد في ميادين القتال وعلى أعواد المشانق وخلال الثورات وأيام المحنة ، ولهذا فشهداء فلسطين لا يقلون



انهما صورتان لثورتين ماجدتين لا فرق بين ابطالهما ، ولا تكاد نفرق بين منظرهما رغم فروق القوة والظروف . الصورة العليا لابطل من ثورة الجزائر الطافرة والصورة الثانية لابطل من ثورات فلسطين المستمرة .



عن تلك التضحية الجزائرية الخالدة بالنظر الى مساحة الميدان وحجم السكان .

ولقد واصلت الجزائر ثورتها وسط عالم مهتم بها مشغول عليها ، ومراكز مساعدتها وتمويلها تحيط بها من كل جانب ، في الجمهورية العربية المتحدة حيث كانت قوافل السلاح والمؤن والملابس تمثل أعدادا طويلة من قطارات السكة الحديد ، وفي المغرب وتونس حيث كان الشعب هناك يشعر بالأساة ويرى في حرية الجزائر استكمالا لحيته ، وفي ليبيا حيث كان الجميع يعيش مع الجزائر ماديا ومعنويا ، يرعون زعماءها ويحذون على لاجئها ويمررون السلاح المرسل لها من القاهرة أو من غيرها ، ويتسربون عبر الحدود يعطون ويساعدون ، ويتستر الآلاف من المجاهدين الجزائريين بجوازات سفر ليبية يدخلون بها كل مكان حتى فرنسا ذاتها ، وتتحوّل الافراح الى الحديث عن جهاد الجزائريين ، بل تتحوّل منادب البادية الى ذكر شهداء الجزائر واباطالها في أدب شعبي عظيم ، وكان العون للجزائر ممتدا من سوريا ولبنان والسعودية بل من تركيا وباكستان ، بل من روسيا والصين وأكثر مناطق الوجود ، وكان العالم العربي على اختلاف في الرأي ، ولكن ذلك الاختلاف لم يعطل قوافل الامداد للجزائر سواء من القاهرة أو من العراق مثلا .

ولكن الثورة العربية في فلسطين منذ عام ١٩١٧ الى ١٩٤٨ لم تكن تجد من كل هذه البلدان والاقوام اقليلًا وقليلًا جدا ، بل أن القطار الذي أصبح يحمل السلاح الى صحراء مصر الغربية ( ١٩٦١/٥٥ ) توطئة لنقله الى الجزائر المشتعلة ، هذا القطار نفسه كان يحمل الجنود البريطانيين من محطة القاهرة لخماد ثورة العرب في فلسطين المشتعلة ضد سياسة التهويد أعوام ٣٦ ، ٣٧ الى ١٩٤٨ .

كانت البلدان العربية المحيطة بفلسطين مكبلّة بالاستعمار مهينة الجناح ، وكان الشعب العربي في بلدانه لم يرتفع بعد الى تفهم عمق المشكلة وخطورتها ، أما شعوب أوروبا التي ساعدت الجزائر فكانت في قضية فلسطين مخدرة بالمصل الصهيوني تسير مع حكوماتها في سبيل التهويد ، ولهذا وجد اليهود اطنان السلاح ترد عليهم من تشيكوسلوفاكية وإيطاليا وبريطانيا وأمريكا ، وحين اعترف ترومان بقيام اسرائيل بعد منتصف ليل ١٥ مايو ( أيار ) ١٩٤٨ كانت روسيا تسابقه لذات الاعتراف السريع .

وهكذا يتضح الفرق الزمني والوضعي بين ذلك الجهاد الذي نجح والجهاد الذي لم ينجح وهكذا يلاقي شعب فلسطين المتاعب الآن لان جهاده لم يكتب له النصر .

لقد مر الشعب العربي في ليبيا بمأساة تاريخية مع الاستعمار الايطالي منذ عام ١٩١١ وحين غلب على أمره وتوقف نضاله عام ١٩٣٢ وهاجرت أعداد من جموعه مضطرة الى مصر وسوريا والهند وأوروبا وكل قطر في الوجود ، لم تكن حالهم الا حال المهاجرين اللاجئين الذين لا يملكون وطنًا ، ولا يضمنون سندا ، ولهذا لم يسلموا من كثير من المتاعب في بعض الاوطان التي استقروا فيها ( ٦٦ ) ، وحين كتب النصر لشعب ليبيا وتحقق له استقلاله وطرده منه الغزاة ، تذكرت الشعوب جهاده ، وأعلنت فضله وأمجاده .

والناس أعوان من والته دولته وهم عليه اذا دالته أعوان

#### ١٦ - انحراف القلة لا يشين الشعوب :

حينما تحدثنا عن مجموع الأرض في فلسطين ، استعرضنا جميع الملابس وفصلناها ، وعلى الرغم من أن كل الأحداث تثبت أن شعب فلسطين لم يفرط في أرضه ، وأنه احتفظ بها على الرغم من الاثقال والمتاعب التي تعرض لها ، لم نجد مانعا من أن نذكر أن هناك قلة قليلة انحرفت وتصرفت في أرضها دون اضطراب ، ومع أن عدد تلك الفئة كان قليلا ، ومع أن مساحة الأراضي كانت صغيرة إلا أن الاقدام على ذلك كان في ظروف فلسطين خيانة وانحرافا ، ولكن هذا الانحراف لا يشين مجموع شعب فلسطين الذي لو تسربت أغلب أرضه الى الأعداء لما وجد التاريخ وجها للومه ، حيث يجد الأساليب والاثقال التي سلطتها عليه الصليبية الاستعمارية والصهيونية العالمية ، فما بالنا اذا كان ذلك الشعب ظل يملك بلاده وأن أعداءه الذين استفادوا من النكبة لا يملكون ، برغم الأحداث الاليمة والانتداب المرير إلا نسبة لا تتعدى الثمانية في المائة من مساحة القطر كله .

ولكن من المؤسف أنه ما فتئت جماعات تدين هذا الشعب وتنال

( ٦٦ ) حدثني الاستاذ منصور الكيخيا قنصل ليبيا بالولايات المتحدة وخريج جامعة القاهرة قال : « كنت مع صديق لي نجس في بهو أحد الفنادق بالاسكندرية عام ٤٧ وبجانبنا رجل من قطر عربي آخر فتجاذبنا معه اطراف الحديث وسألناه هل عندكم في وطنكم لبيون ، فقال نعم عندنا أعوذ بالله منهم متعبون ، تعبون ، استعماريون ، خيلاء ، قال الاستاذ منصور ونظرت الى صديقي الليبي وتبادلنا البسمات ، وهنا أدرك محدني ما وقع فيه ، فقال هل انتم لبيون ؟ قلنا نعم ، قال لا تؤاخذوني حديثي عن وصلنا ولعل فيكم الخيرين . كان هذا عام ١٩٤٧ واللبيون لم يعودوا كلهم بعد لأوطانهم وقد هدمم التشريد واللجوء ، ولقد تغيرت النظرة بعد ذلك .



منه بما لم يفعل ، وتناسى امجاده وجهاده ، تقول كاتبة فلسطينية ( ٦٧ ) في رد لها على مقال جارج لانباء فلسطين نشر باحدى صحف العالم العربي : « السؤال الاخير اين هم ابناء فلسطين ؟ تقولين انهم تماما حيث صمم لهم العدو يذوبون في البلاد الاخرى ، يحملون بطاقة الاعاشة ويتوظفون بها جواسيس للصهاينة ويهاجرون الى اية قارة ، ويملكون عقارات ويتزوجون الاجنبيات ، شكرا ، ظل ان تقولي وتذهب بناتهم ، كل بناتهم الى حيث لا يجدر بكريمة ان تذهب ، لكن المليونين بلا استثناء جواسيس وافاكون وذئاب مال (٦٨) يا عزيزتي ، صفار النفوس موجودون دائما ، والجاسوس والخائن وذئب المال أنماط عامة من البشر ، لا نملك ان ندعهم وحدنا كفلسطينيين ، وهم ليسوا كذلك - مع كونهم لا يمثلون الا حالات فردية - الا انهم صفار النفوس ، لا لانهم فلسطينيون » .

وانحراف القلة لا يشين جهاد الشعوب ولا سمعتها ، وقد مرت بمختلف الاوطان احداث تاريخية عديدة جابهت فيها الاعداء ، وبرز بين صفوفها من هادئهم او عاونهم او ارشدهم او سار في صفوفهم ومع ذلك استمرت السمعة الاصلية مثلها الاعلى ولونها المشرق الجذاب ، تعرضت فرنسا لغزو هتلر الساحق ، وركعت مستعمرة الشمال الافريقي ، وقاهرة سوريا ولبنان وصاحبة باريس مدينة النور ، ركعت تحت اقدام هتلر خاضعة ومستسلمة ، وتقدم لفيف من رجالها وزعمائها يحاولون انقاذ ما يمكن انقاذه ، ووقع المارشال بيتان صك الاستسلام واصبح لمانيا في ربوع فرنسا الحول والطول ، وطوال اربع سنوات كانت جموع الفرنسيين في الخارج يكونون حركة للجلاد ضد الغزاة ، ويعدون انفسهم ليوم الغزو ، وكانت حركة المقاومة في داخل فرنسا تنمو وتتزايد ، ولكن كان هناك فريق ضالع مع الالمان ، كان هناك من سالمهم وقدم لهم الغذاء ، وكان هناك من تقدم لهم بالمعلومات والارشاد ، وكان هناك من تعاون معهم وقدم لهم الاسطول

(٦٧) مقال ورد نشره بمجلة الاسبوع العربي بلبنان بين الاديبتين ليلي بعلبكي وسميرة عزام نقلته مجلة فلسطين مايو ١٩٦٢  
(٦٨) نحن نشترك مع الكاتبة في لوم كل فلسطيني رضي ان يسمى الى كسب جنسية جديدة ، واصبح احد عوامل النسيان لواجب حتمي ، وتناسى اولئك الذين يعيشون في المخيمات يرنون بأبصارهم الى اراضيهم داخل الحدود ، وعمل على ان يكسب او يعمل في شركات البترول وموارد المال ، ومن المؤسف ان بعض اوطاننا شهد عددا من هذا النوع ولسنا ندري سببا يدعهم لهذا ما دامت كل امكانيات العمل اتاحت لهم بما في ذلك اعلى المناصب في القضاء والدولة مع احتفاظهم بجنسيتهم ( راجع مقالنا بجريدة الليبي الطرابلسية يناير ١٩٦١ بتوقيع ابو الامين ) .

ومخازن السلاح ، لا ريب ان ذلك كان انحرافا وخيانة للمعنى الوطني في فرنسا ، ولكن فرنسا التي حررها الحلفاء بعد غزو اوربا تتربع اليوم معترزة بوطنيتها ، بل يقف ديجول رجل التاريخ الشجاع الصلب عملاقا أمام مطامع استراتيجية امريكا ، يرفض لها طلباتها ، ويحطم كبرياءها ، ولو ادى ذلك الى خذلان حلف الاطلنطي . لم يشن فرنسا المارشال بيتان ، ولم يخذش من سمعتها الادميرال لافال ، ولا انزل من قيمتها جموع فتياتها على نهر السين ترحب بالجنود الغزاة وتعانقهم كما لو كانت معجبة بالنصر ، لم يشن فرنسا كل ذلك لان انحراف القلة لا يشين جهاد الشعوب .

وبريطانيا ، حين سلط هتلر جموع طائراته يدكها بالقنابل ، وحين ارسل جيوشه تغمر القارة الاوربية ورحلت جيوش بريطانيا تجر اثواب الهزيمة والخيبة ، وحين اضطرهم هتلر ان يستعملوا البواخر والصنادل والاشباب هاربين من دنكرك ، وحين عاش شعبها في الاتفاق تحت الارض شهورا طويلة ، كان احد ابنائها يذيع من برلين كل مساء ان النظام البريطاني يجب ان يزول وان المانيا هي التي ارسلتها العناية الالهية لتقوم اعوجاجا جامله التاريخ وكان هذا هو المسمى اللورد « هو هو » وبعد الحرب العالمية الثانية عشنا سنوات طويلة ونحن نستمتع لهروب عدد من علمائها ودبلوماسيها حاملين اسرار بلادهم الى روسيا جاعلين مصلحة اوطانهم في الحضيض ، وما قصة برجيس الدبلوماسي ولا فيلبي مراسل مجموعة الصحف البريطانية الكبرى وابن عبدالله فليبي احد اعمدة الاستعمار البريطاني في الشرق ما قصتهم على الجميع بعيدة وهم يختفون هاربين الى موسكو وفي جمعهم الكثير من الاخبار والاسرار .

وفي اواسط عام ١٩٦٥ ضجت الدنيا مع ذلك الشاوش البريطاني الذي وكلت اليه وزارة الدفاع امانة الحفاظ على اسرارها ومخططاتها في لندن ، فاذا به يركع أمام سفارتي العراق والجمهورية العربية المتحدة ويبيعهما ما خفي من اسرار وما حرصت بريطانيا على درسه وتخطيطه حول مستقبل المنطقة العربية من تحركات واعداد مثير خطر خطر .

ولكن هذه الحوادث كلها على ما فيها من هوان الوطنية وارخاصها ، لم تحطم سمعة شعب الجزيرة البريطانية من انه شديد الحفاظ على وطنيته ، صلب الجلال قوي الاحتمال ، يشهد التاريخ له بالصبر الذي قاده للنصر أمام نكبات الحرب الماضية المريرة ولم يشنه وجود بعض من المنحرفين ، ذلك ان انحراف القلة لا يشين جهاد الشعوب .



ويطول بنا ضرب الامثلة واستعراض الشواهد لو تحدثنا عن كوسيلنج في دول اسكندنافيا وكيف عاون الالمان وساعدهم ، وساق قسما من جيوش بلاده تدافع عن الاحتلال .

ويطول الحديث أيضا لو تحدثنا عن الخيانات في ايطاليا وكيف تحرك قسم من قادتها يجرون الكرسي من تحت زعيمها حتى هوى ، ثم كيف اخذوا زعيمها ورجلها الذي كان يخيف الدنيا مكبلا بالحديد الى ساحة دووموا في ميلانو وشنقوه من رجليه ثم انهالوا عليه بالرصاص . ومع هذا فشعب اسكندنافيا معتر بتاريخه المجيد وخيانة القلة لم تخدش من كبرياء الاكثرية شيئا . ومع هذا فشعب ايطاليا يكرر انه بذل في الحرب الكثير استهدافا للنصر وان الاحداث المختلفة او انحراف قلة من افراده لا تجعله يحاول التخلص من تاريخ المجد العريق .

ولماذا نتحدث عن شعوب أوروبا ونحن في منطقة عربية ذابت أهوال الاستعمار طويلا وعلى مختلف أشكاله والوانه ، وما من جزء فيها الا ونكب بالاحتلال وبمن عاون هذا الاحتلال ، او لا يكون الحديث عن بلداننا أولى وانفع لا سيما ونحن نسطر تاريخ فلسطين ونسوق الأدلة على اصالة الجهاد في شعبها ، وان انحراف القلة لا يشين تاريخه الكريم .

سرت الروح الوطنية الحقبة في جيش مصر عام ١٨٨٢ وقاد عرابي جيشه الى ساحة عابدين ليقدّم الى الخديوي مطالب جيش مصر وشعبها، وتطورت الامور بعد ذلك بين جبهتين ، جبهة تريد الوطن للشعب والمجد للوطن، وجبهة تريد مجد المظهر ولو كان على فساد المجد، واتكأ خديوي مصر على بريطانيا ذات الاطماع في الكنانة العزيزة ، وسرعان ما رست أساطيلها في الاسكندرية حيث أنزلت جيشها فهزمته الوطنية في كفر الدوار ، ولكن بريطانيا أسرعّت بالنزول في قناة السويس واستطاعت أن تستميل اليها قسما من المنحرفين ، وان يسرع خنفس باشا لاستقبال جيشها وان يتقدم سلطان باشا ليكون عوناً للمحتلين ، وانتهت معركة التل الكبير بهزيمة الجيش الوطني ونفي عرابي والبارودي وعديد من رجال يفخر بهم التاريخ، ومكّن للاحتلال البريطاني الذي جثم على صدر مصر سبعين عاما واستمر جهاد شعب مصر وزعمائها طوال هذه السنين مرا اليما حتى خرج جمال عبد الناصر ، فنادى بريطانيا « احملني عصاك وارحلي » وشنها عليها حربا واقلافا واستطاع أن يكون الشوكة في حلقها الاستعماري وتحقق الجلاء وعاد الوطن الى ذويه .

هذه صورة تعطي وجهين في التاريخ ، وجه كله خيانة اردت الوطن

المصري الى الحضيض وكبلته عن انطلاقاته عشرات السنين ، ووجه مليء بالوطنية لم تخدش تلك الخيانة منه ولم تحط من قدره ، على انه طوال عهد الاحتلال البريطاني وطوال عهد التحالف البريطاني ، كانت صور من الخيانة تظهر على مسرح التاريخ في مصر برغم الوطنية الاصيلة التي يتربع عليها شعب الكنانة العظيم ، فتلك حادثة دنشواي عام ١٩٠٦ حين تلهى الضباط البريطانيون بصيد الحمام في تلك القرية الهادئة البريئة ، ولما لفحت الشمس أحدهم ومات عطشا وتعبا ، اتهمت القرية بالتجمهر والقتل والاضطراب ، ونصبت المشانق وذهب أربعة من كرام رجالها معلقين على الحبال .

كان شعب دنشواي مثالا للشجاعة ، وكان شعب مصر كله يهتز مع تلك الجريمة البريطانية ، ولكن القضاة الذين استمعوا الى المتهمين والذين قدم لهم الطبيب الشرعي البريطاني تقريره : ان الضابط البريطاني المتوفي انما مات من ضربة الشمس لا ذبحا ولا قتلا ، ان أولئك القضاة كان رئيسهم بطرس باشا غالي وكان أحدهم فتحي بك زغلول وكان ممثل الاتهام ابراهيم الهلباوي ، رخصت لديهم القيم ، ولم يرفعوا رؤوسهم تجاه الباطل رافضين القضية او مصدرين حكم البراءة ، وهم لا ريب صورة من التاريخ في الوطن العربي اعاده في اجزاء كثيرة منه يحفظه أبناء مناطقه المختلفة ولا ينسونه ، لقد اصدروا حكم الاعدام على أربعة من الشهداء فهانت عندهم القيم ، ولكنهم هانوا أيضا على التاريخ الكريم ولهذا حين تجمع بعض رجال القضاء ليقيموا حفل تكريم لوكيل وزارة العدل فتحي زغلول الذي كان احد قضاة دنشواي ، لم ينس لسان التاريخ وشاعر العرب أحمد شوقي أن يبعث لهم بأبياته الخالدة :

اذا ما جمعتم أمركم وهمتمو	باهداء شيء للوكيل ثمين
خذوا جبل مشنوق بغير جريرة	وسروال مجلود وقيد سجين
ولا تجمعوا شيئا لله وحسبه	من الكتب حكم خطه بيمين

اما ممثل الاتهام الهلباوي ، فقد سجله في التاريخ شاعر النيل حافظ ابراهيم حين قال :

ايها المدعي العمومي مهلا	بعض هذا فقد بلغت المرادا
قد ضمننا لك القضاء بمصر	وضمننا لنجلك الاسمادا
انت جلادنا فلا تنس انا	قد لبسنا على يدك الحدادا

وهذا أحد رجال الاحزاب وهو أمين عثمان يخطب فيؤكد في اعتزاز أن علاقة مصر وبريطانيا هو زواج كاثوليكي لا طلاق فيه ، بل ان اولاد عنایت



اولئك الوطنيين الذين ارادوا وضع حد للتدخل الاحتلالي ولهوان الوطنيين فساقهم تفكيرهم الى اغتيال السردار البريطاني في محطة مصر ، انما القي القبض عليهم بخيانة من زميل لهم اطمعهم في محاولة الهروب خارج الحدود ثم اسلمهم الى الجلاد .

انها احاديث تنفر منها الوطنية ، ومناظر تشمئز منها النفوس ، وصور عديدة كثيرة ظهرت فيها خيانات وهانت معها المعاني السامية ، ولكن كل هذا لم ينل من شعب مصر العريق ، فقد كانت الصفة الغالبة فيه هي البطولة ، فالى جانب اولئك الذين هادنوا الاحتلال كان الابطال يعاقون الرصاص في جميع انحاء الكنانة في ثورة ١٩١٩ ، وثورات الجامعات المتوالية والصور العديدة التي قدمها شعب مصر قد نستطيع اثبات بعضها ولكن المجلدات العديدة لا تكفي لحصرها .

فتلك الانحرافات لن تشطب من التاريخ البطل مصطفى كامل ، وتلك الملايين التي سارت خلفه تبني الوطنية وتزرع روح الفداء والاخلاص ، وذلك البطل محمد فريد الذي كان خليفة لمصطفى كامل وقدم الفا وخمسمائة فدان وعمارتين في معركة طويلة ضد الاحتلال ، ثم انتهى غريبا فقيرا يشعر بالآلام الجوع في أرجاء برلين ، ولكن الوطنية كانت أعظم من آلام الجوع في ضلوع محمد فريد ، واولئك الابطال من امثال سعد زغلول وعلي شعراوي وغيرهم ممن ناضلوا الاستعمار ، وذاقوا آلام الغربة والابعاد ، ولكنهم سقوا شجرة الوطنية بالماء العذب من اخلاص لا يعرف الهوان .

ويستمر شريط الوطنية في شعب مصر لا يأخذ منه هوان المستضعفين ولا ضعف الانتهازيين ، وما مضى عام من أعوام الاحتلال الا ورصع بالشهداء وسالت في أرجاء الكنانة دماء ودماء من ابطال كانوا صورة مجد لا يبلى في تاريخ الشعوب .

أحمد عصمت الشاب ابن الاثرياء والذي تفرغ في القصور والرفاهية ، لا يرى هذا شيئا اذا لم يطهر الوطن من الاحتلال ، انه يحول قصر ابيه في عين شمس الى ترسانة سلاح يقدمه للمتطوعين في حرب فلسطين عام ١٩٤٨ ويجهز به كل مخلص شجاع ، فاذا انتهت المعركة وفرضت الهدنة ، آمن بأن الانجليز هم السبب فلا قيمة للسلاح اذا لم يوجه الى السبب وأصل النكبة ، واشتعلت المعارك ضد معسكرات الانجليز في القناة واقام الانجليز الاسلاك الشائكة على الطريق الموصل الى القاهرة يفتشون المسافرين ، ويمنعون من يشاؤون ، ولكن أحمد عصمت اختار اليوم ورسم المنهاج . انه يفادر قصره في ٣٠ يناير ( كانون الثاني ) ١٩٥٢ مسلحا ومتجها في طريق القاهرة بور سعيد ، ويصر الجنود الانجليز على تفتيشه ، ويصر على الرفض ، واستدار الجندي ليطلب قائده الكبير ، وكان هذا هو كل ما يريه أحمد عصمت ، انه يريد هذا القائد الذي عرف عنه انه أحرق القرى

وقتل الفلاحين ، وأخرج أحمد مسدسه في سرعة ، وأردى القائد وعددا من جنوده صرعى ، وأسرع ضابط بريطاني من بعيد فسلط رشاشه على البطل الشهيد الذي رسم لنفسه طريق الجنة وتاريخه .

وذلك جلال الدسوقي الذي قاوم بزوارق الطوريب الصغيرة أسطول فرنسا عند شواطئ البرلس عام ١٩٥٦ واستهانت قطع الاسطول الكبير بالزوارق الصغيرة ، ولكن جلال الدسوقي الوطني المؤمن كان يدرك أنه ليس بينه وبين انزال أكبر خسارة بالاعداء الا تقديم روحه هدية للوطن وفي سبيل الله ، فقدما راضية ، وكان حصاد المعركة أغراق المدمرة الفرنسية «جورج ليچ» والمدمرة «جان بارت» وكان هو الشهيد المنتصر في ساحة شرف عريق يرافقه بطلان شاركا في صنيعه بشجاعة هما اسماعيل عبد الرحمن والبطل السوري جول جمال .

وتلك صورة شرف يرسمها آخرون من أبناء مصر في ساحة سيناء ١٩٥٦ ، حينما هاجمت قوات الاعداء موقع رفح باثنتي عشرة كتيبة ، تؤيدها المدفعية وارتال الدبابات وتساندها قنابل الاساطيل الانجليزية من البحر ، ان محمد علي مكارم الذي يقود جنوده هناك كان يدرك أن القوى غير متكافئة وانه لا سبيل الى احراز نصر الا أن يكون نصر الفداء ، واخترقت قوات الاعداء حقول الالغام ، وجابهها الضابط الصغير الملازم ثان محمد علي مكارم وهو يحمل حقيبة مليئة بالقنابل اليدوية ويلقيها على جموع الغزاة الزاحفة ، حتى استشهد ومعه رفاقه الابطال .

وذاك جواد حسني الشاب اليافع الذي لم يتجاوز الواحد والعشرين ربيعا ، ابن وكيل الوزارة ووحيد والديه ، لم تمنعه النعمة في ارض النيل من أن يكون بطل جلال واستشهد امام الاعداء عام ١٩٥٦ ، لقد فارق اهله وعسكر في بور فؤاد ، وحين نزل الكولونيل الفرنسي باسان ، راعه ذلك الحاجز الناري الذي عاق تقدمه ، فلما تمكن الاعداء بعددهم وعددهم من أسكات النار ، كان جواد حسني في غيبوبة ، وكان التزيف يفتيه من جراح المعركة الرهيبة ، وأخذ للعلاج والاستجواب ، وأقفل البطل فاه لا يقوه بحرف ، ولا يرشد الى أماكن الابطال ، ولا الى تحركات الفدائيين ، وأغتاظ الكولونيل الفرنسي السفاح ، كيف يحمل الشاب العربي الصغير مدفعين رشاشين ومجموعة من القنابل ، وازداد غيظا حين أدرك انه لن يستفيد من استجوابه ، وتذكر أن عددا من جنوده الغزاة صرعهم هذا الشاب المقاوم ، وأمر جنوده فحصدوه بالرصاص والقوه في مياه البحر . وتولى الموج شرح كل الخفايا فحين قذفه الى الشاطئ أوضح كم رصاصة استقرت في صدره الصغير ، وقلبه الكبير ، وحين حررت بور فؤاد وجدت مذكراته مسطرة بأظافره على الجدران توضح تعذيب الغزاة له وحنقهم عليه ،



وتوضح شجاعته وإيمانه ورسوخ الوطنية في قلب الفتى البطل الشهيد .  
وإذا كنا سنسطر كل مظاهر الوطنية في شعب الكنانة فأننا في حاجة  
إلى مجلدات وسنوات .

ولكن موقف شعب مصر والاعداء يدكون القاهرة بقنابلهم ، ومنبر  
الأزهر الشريف يهتز يوم الجمعة الخالدة تحت كلمات القائد المعبرة  
التاريخية « سنقاتل ولن نسلم » والارض تترنح تحت غزوات دول كبرى  
والاساطيل تهاجم بور سعيد والطائرات تهاجم أرض الكنانة . لقد  
كان موقفا خالدا في التاريخ . تسليح شعب مصر كله ، واستعد الكل أن  
يدافعوا من شارع إلى شارع لم تيد منه خيانة ، ولم يرتجف فيه قلب فكان  
هذا أبلغ دليل على قوة الشعوب المؤمنة ضد تكتلات الباطل مهما كبرت  
قواه وارتفعت دعواه .

وهكذا نرى أن انحراف القلة في معارك التل الكبير أو غيرها ومظاهر  
التوجيه الاستعماري على مر السنين لا يبدو شيئا مطلقا إلى جانب نصاعة  
الجهاد وقوة جلالاد شعب مصر العريق باني الجمهورية العربية المتحدة .

والحديث في هذا الموضوع لا يمكن أن يمر من تاريخ أي بلد دون أن  
يجد ما يؤيده ، وتلك سوريا التي تربعت على عرش الكفاح والثورات الوطنية  
دائما ، سوريا التي كانت الشعلة القومية فيما أسموه الثورة العربية الكبرى  
برز بين صفوفها من انحرف عن نتائج تلك الثورة ومد يده للفرنسيين وما  
كاد جيش ميسلون ينهار أمام جحافل فرنسا وغدرها ، وما كادت جيوش  
فرنسا تحتل دمشق وتحطم الحكم العربي حتى رحل فيصل إلى حوران  
يحاول أن يقوي حكمه ويستمر كفاحه ، ولكن فرنسا استطاعت أن تجد  
في سوريا من يتعاون معها ، ويؤلف حكومة شكلية تحت نفوذها على الرغم  
من أنها حلت الجيش وفرضت على البلاد الغرامات وجمعت الأسلحة وأهانت  
كرامة الوطن ، وكان أول عمل لتلك الحكومة هي أن أرسلت أنذارا إلى فيصل  
تطالبه بأن يفادر الوطن السوري فورا ، داست بذلك لصالح فرنسا الثمرة  
الأولى التي كان ممكنا أن يستفيد بها العرب على الفور .

وطوال حكم فرنسا لسوريا وعلى تعدد الثورات والتضحيات برز  
عديد ممن تعاونوا مع فرنسا في سلك شرطتها ودوائر أمنها وكانوا حربا على  
الوطنيين وشرا على المخلصين ، ولكن ذلك الانحراف لا يمكن أن يقلل  
شيئا من سلامة الوطنية في شعب سوريا الذي خاض الحروب الصليبية  
بشجاعة وقاتل مع غيره من المسلمين بالمنطقة في بطاح حطين . لقد  
ترعرعت في مراحله فكرة الوحدة العربية وعلى بطاح وطنه سالت  
دماء الشهداء في ثورات عارمة ضد فرنسا ، وفي شوارع

دمشق . وانتشرت جثث شهدائه طوال عشرين عاما وذاق  
من ويل الحكم الاجنبي كل اساليب القمع فلم يرضخ ولم يهن ولم يستكن  
ولو هدمت القنابل أرجاءه ، ودكت برلمانه وثلت سلطانه، وهكذا يتأكد أن  
انحراف القلة لا يشين الشعوب .

وذلك المغرب العربي الكبير بأقطاره الكبرى الثلاثة : تونس والجزائر  
ومراكش ، حين استقر بها الاستعمار الفرنسي ، كادت تذوب معالمها في تلك  
البوتقة الخطيرة لولا جذور عميقة من اصالة صحيحة في شعوبها، ولم يشنها  
أن تلك الجيوش التي كانت تحمل اسم فرنسا في حربين عالميتين طاحنتين  
كانت تتركز على قواعد تلك الشعوب وتتكون منها ، تجند في صفوفها ،  
وتعوت في ميادينها وتدفع الأرواح بلا ثمن وبلا هدف ، « وهكذا حدث أن  
مات المسلم دفاعا عن قاتله وأزهقت روحه في سبيل سعادة الجلال  
ونصره » (٦٩) .

ففي معركة العدم بليبيا خلال صيف ١٩٤٢ كان أبناء شمال افريقيا هم  
سدى المعركة ولظاها في سبيل انتصار فرنسا التي أذلت تونس وأحرقت  
باستعمارها المغرب وحاولت فرنسا الجزائر على أمل فرنسي تحطم الآن  
واندثر ، وفي معارك اوربا حين نزل الحلفاء في شواطئ فرنسا وإيطاليا غزاة  
محاربين ، كان أبناء الاقطار الثلاثة يصلون نار تلك المعارك الحارقة ، على  
حين كانت فرنسا تعتقل ملك تونس الشهيد المجاهد المنصف باي ، وتسلب  
قواها على الجزائريين والمغاربة والتونسيين في الداخل ، تخشى ثورتهم  
وتتمعن في استغلالهم .

وحين اشعل الاحرار الابطال نار الثورة الجزائرية في صيف ١٩٥٥/٥٤  
بقي قسم من جيش فرنسا الجزائري يحارب تلك الثورة ويحمل  
السلاح على الاعداء وقتا طويلا ، بل أن معارك فيتنام البعيدة التي خاضتها  
فرنسا دفاعا عن استعمارها هناك إنما ذابت فيها عظام أبناء الجزائر ومراكش  
وما زال بعض قادة المغرب يحملون اوسمة ذلك المجد الفرنسي المنهار (٧٠)، ولا  
يسري بنا الحديث إلى بعيد ، فان معركة ميسلون التي خاضها جيش  
فرنسا عند أبواب دمشق ضد أول حكم عربي نشأ بعد الحرب العالمية الاولى

(٦٩) البشير الابراهيمي مجلة البصائر ١٩

(٧٠) ذكرت مجلة روز اليوسف القاهرية في عددها الصادر في ٢٨ من اكتوبر ١٩٦٣ أن من  
اشهرهم الجنرال كناني الذي تولى قيادة قوات المغرب الدولية في الكونغو وورد اسمه في  
الانقلاب الذي حدث ضد لومومبا والجنرال ادريس بن عمر ووصف بأنه من المحاربين  
الفرنسيين الشجعان في الهند الصينية والجنرال محمد اوقير وهو من المشهورين في معركة  
ديان بيان فو والجنرال فريان وما زال كل أولئك يرتبطون بحقوقهم المادية في جيش فرنسا .



واقامه فيصل حليف بريطانيا وفرنسا ضد تركيا ، تلك المعركة انما خاضها لصالح فرنسا عرب من شمال أفريقيا ضد العرب في ديار الشام ، يقول البلاغ الرسمي الفرنسي الذي أورده كاتب عربي (٧١) ان القوات الفرنسية في تلك المعركة كانت تتكون من الالي المشاة ٤١٥ والاي الرماة الجزائريين الثاني والاي من السباهي المغاربة . . الى اخر ما ذكر البلاغ .

والجلاوي الذي قاوم وطنية الملك محمد الخامس وأنضم الى جيش الاحتلال وقواده ضد استقلال المغرب ، انما كان مغربيا ، وابن عرفة الذي قبل على نفسه أن يجلس على كرسي ملك المغرب الوطني المبعد في حماية من جيش فرنسا وارهباها انما كان مغربيا ، بل أن روح الانحراف التي سرت في القلة جعلت جزءا من جيش الجزائر في يوم من الايام يقبل ارغام الفرنسيين بأن يسهم في تطويع سلطان عربي آخر ، يقول شيخ علماء الجزائر في مقال شهير له « رأينا المثال المجسم من انتصار الاستعمار بالمسلم على أخيه المسلم وترويع المسلم بأخيه المسلم وخوف المسلم من أخيه المسلم ، كل ذلك والدين واحد والوطن واحد والمصلحة واحدة والخصم المتربص واحد ، ولعمري انها لاقصى غاية من الفساد بلفنها وأقصى امنية للاستعمار نالها بنا فينا » (٧٢) .

ولا ريب أن فرنسا قد أفلحت زمنا في حكم تلك المنطقة الشاسعة بجزء من أبناء الشمال الافريقي غرر به أو أرغم حتى اعتقد بعضهم انهم مع فرنسا على ارتباط ابدى ، الفوا في ذلك الكتب ودبجوا المقالات ، لكن هذه الصورة من الانحراف لا تمثل الا اقلية صغيرة من ذلك الشعب العربي المسلم في تونس والجزائر ومراكش وهي بذلك لا يمكن أن تشين شعوب هذه المنطقة التي شهدت ثروة بالبطولات والتضحيات على مدى تاريخ طويل ، وانحراف القلة لا يشين جهاد الشعوب ، فمن شواطئ تونس وبشعبها زحف الاسلام فانار صقلية مئات السنين بنوره الوهاج ، ومن جامعة الزيتونة الاسلامية اضيئت جوانب الشمال الافريقي كله بروح الوطنية والفداء ، وتشهد صحاريها المترامية كم لقيت الزعامة في غياهبها من أرهاق وأبعاد وانعاب عمد اليه الاستعمار ليوقف زحفهم البطولي نحو الحرية واعادة الوطن لاهله ، وسوف يتذكر التاريخ علي مداه البعيد ، الزعيم الثعالبي مؤسس الحزب الحر الدستوري النواة السياسية الاولى هناك ، ومحي الدين القليبي والشهيد صالح بن يوسف وتامر وحشاد والالاف من شهدائها الذين ذهبوا على مذابح الاستعمار ، ويصور روح

(٧١) النضال بين العرب والفرنسيين والانجليز ، ص ١١٩

(٧٢) البشير الابراهيمي ، مجلة البصائر الجزائرية العدد ١٤٨ عام ١٩٥١

الكفاح الحر في شعب تونس قول الشابي شاعرها الخالد :

اذا الشعب يوما أراد الحياة فلا بد أن يستجيب القدر  
ولا بد لليل أن ينجلي ولا بد للقيد أن ينكسر

وتلك الصورة السلبية لا يمكن أن تشين جهاد الجزائر الخالد منذ أن رفع لواءه في وجه فرنسا الامير عبد القادر الجزائري ، ونازلها في صراع مجيد سنوات طويلة ، يردده التاريخ في تمجيد وفي اكبار ، ودفع خلاله الشعب الجزائري تضحيات مريرة ولاقى من عنف الاستعمار وطفياته أهوالا تنهد لجورها الجدران ، وتشيب لهولها الولدان ، من مصادرة للاراضي الى عنف في الحكم الى محاولة الابعاد عن العروبة والاسلام .

ولكن كل ذلك قوبل بالجهاد والثورات تتلاحق وتتابع طوال قرن من الزمان ، ابتداء من أولئك الابطال الذين صمموا في قلب مدينة الجزائر أن يحموا مسجدها الكبير من تحويله كنيسة في بداية الاحتلال حتى ذهبوا الى الله في داخله شهداء مدافعين (٧٣) ، الى الخمسة والاربعين الف شهيد الذين حصدهم مدفعية فرنسا وطائراتها في قسنطينة وسطيفة (٧٤) ، حيث تحركت الروح القومية تطالب بالتححرر ، الى المليون من شهدائها الابرار الذين قدموا الارواح زكية في ثورتهم العارمة الصادقة من سنة ١٩٥٤ الى أن حققوا استقلالهم ١٩٦٢ .

وليس من ريب في ان ذلك النداء الذي وجهه ملك فرنسا عام ١٨٣٠ الى جنوده يوم رحيلهم للجزائر وقال فيه : ان العمل الذي ستقوم به الحملة سيكون بمساعدة العلي القدير لفائدة المسيحية جمعاء (٧٥) ، لم يستطع أن يكون حقيقة عملية برغم الجور والظلم وطيلة قرن واثنين وثلاثين عاما ، وهذه مفخرة للشعب الجزائري العظيم الذي أعلنت ثورته في بيانها الاول عام ١٩٥٤ الرد الحاسم على ملك فرنسا شارل العاشر وقالت فيه « اننا ننادي شعبنا ليتحرك حتى يعيد للجزائر حريتها ووجهها الاسلامي الصحيح » ولقد فعلوا برغم كل العقبات واثبتوا عن جدارة أن الاساس المتين السليم لا يمكن أن يضعف وان انحراف القلة لا يشين جهاد الشعوب .

ويقال هذا ايضا عن المغرب (مراكش) حيث كانت مفاخر الوطنية فيه ليست من الايجاز حتى يحيط بها بحث ولكن التاريخ لا يمكن مهما أوجز ان

(٧٣) انه جامع كيشاوة وقد سمدت بصلاة اول جمعة في الاستقلال حين تمت اعادته الى

حقيقته في يوم مشهود خالد عام ١٩٦٢ .

(٧٤) الوحدة العربية ، ص ١٦٨

(٧٥) المصدر السابق ، ص ١٥٨



يتخطى ثورة عبد الكريم الخطابي والبطولات العديدة التي استطاعت أن تزلزل كيان دولتين مهمتين في أوروبا هي فرنسا وإسبانيا حتى سقطت في الأخيرة وزارات عديدة تحت ضربات الثورة ، وحتى تعاونت الصليبية في جميع أرجائها وأرسلت مدينة نيويورك الأمريكية سربا من الطائرات لتدك به إسبانيا معاقلة المجاهدين .

بل أن جهاد المغرب بعيد الحرب العالمية الثانية وتضحيات شعبه في سبيل الحرية كان مضرب الأمثال في البطولة وفي الرجولة حيث كانت المارك تشمل فيافي المغرب يصلها جيش التحرير فيه ، وكانت المدن تشهد بطولات فدائية ضد المستعمرين وضد المتعاونين معهم ، ولم يثن الشعب عن هذا إبعاد الملك إلى الجزر البعيدة ولا تولية المعتدلين الراضين بالتعاون مع فرنسا ، وكان جهاده العسكري مفخرة ونضاله السياسي اعتزازا ، وذاق الشعب في الداخل متاعب الجهاد والقتال وتقبلها بروح الفداء والتضحية وأحاطت بزعمائه في الخارج متاعب الاغتراب والشدة والفاقة وقابلوها بالابتسام في سبيل الهدف الذي ارغموا فرنسا أخيرا على قبوله وترجع المغرب حرا مستقلا ، وهكذا ثبت أن المعدن الكريم يتغلب دائما وإن انحراف القلة لا يشين الشعوب .

وإذا تحدثت عن وطني الأول ليبيا ، لا أجد الصورة تختلف عن أي جزء آخر في العالم ، فقد ظهر في الأعوام الثلاثين التي حكم فيها المستعمر ، من ماله وهادنه وسار في ركابه ، بل لقد هانت الوطنية عند قلة قليلة فكانوا حربا على الوطنيين والمجاهدين ، ويعلم الله كم كابد وطني من متاعبهم وانحرافهم . لقد شهد الحاكم الإيطالي غريزباني (٧٦) في إحدى خطبه أن المجندين الليبيين كانوا يتركون رصاصهم في أرض المارك ليتمون منها (العصاة) وكانت هذه شهادة للوطنية الليبية حتى في أولئك الذين خدموا مع المستعمر ، ولكن التاريخ لا يففل أن بعض مناطق الوطن قد شهدت جرائم بشعة خطيرة بسبب انحرافات يحتاج تفصيلها إلى بحث مستقل . وتلك بعض جرائم ذلك العهد مليئة بتمجيد موسوليني ، وملك إيطاليا وتسطيع النثر ونظم الشعر في مجد الرومان .

ويطول بنا الحديث لو عمدنا إلى الأمثلة نسوقها دليلا فيما لا يحتاج إلى دليل ، ولكن هذه المواقف أو تلك لم تتل من همة الشعب الليبي لأنها مواقف القلة الصغيرة ، نشأت عن انحراف رخيص ، ونشأ البعض الآخر عن اضطراب فرضه حكم لم يشهد التاريخ أبشع منه ولا أشنع ، وانحراف

القلة لا يشين جهاد الشعوب ، إذ أن الصورة الطبيعية للشعب الليبي إنما تتضح في رفعة السلاح ربع قرن من الزمان يجالده دولة تفوقه عددا وعددا وتسلبت عليه قوانينها وبرامجها التي تهدف إلى أذابته ، وترسل مجموعها لتفتصب أرضه ، ومع هذا تستمر التضحيات ، ويدوم القتال في شواطئ طرابلس وبرقة ثم في جميع الفيافي والقفار والصحارى والجبال الشاسعة ، اشترك فيه الحضري والبدوي وساعد فيه الفقير والثري ، اضاعوا الثروات فلم يابها بها ، وركبوا فرس الموت يسابقون بها المجد حتى شهد بجهادهم البعيد والقريب ، ولم يبق متر من أرض ليبية مأهولة لم يشهد قتيلا أو مشنوقا ، وتلك المعتقلات الجماعية التي نام تحت ثراها عشرات الآلاف لأنهم لم يظهروا الولاء لإيطاليا ولم يكفوا عن مساعدة المجاهدين ، وتكفي الإحصائية التي نشرت عن الشعب الليبي عام ١٩٥٥ التي أفادت أن تعدادة مليون وربع مليون ، وهو الشعب الذي كان قبل الاحتلال الإيطالي بتقدير الإدارة العثمانية مليونين ونصف المليون ، ضاع نصفه بل أكثر من نصفه أما في ميدان القتال أو على أعواد المشانق أو في صحارى المعتقلات أو في ديار المهجر ، وحين اضطر إلى اللقاء السلاح بعد واحد وعشرين عاما من حرب متصلة استقر في الخارج ، وفي أرض الكنانة كانت أكثر جموعه ، واستمر محتفظا بوحدته ، رافضا الخضوع لإيطاليا ، معرضا عن عروضها له بالعودة ، موحدا قيادته في ظروف مرة من فقر وعوز وارهاق حتى إذا اشتعلت الحرب العالمية الثانية وناداه قائده المهاجر الأمير السنوسي (الملك الآن) امتشق سلاحه من جديد وانضم إليه الكثير من المجندين الذين القوا سلاحهم في أول معركة ، رافضين القتال دفاعا عن العدو ، وأسهم الجميع في تحقيق النصر وعادوا إلى بلادهم فاتحين محققين استقلاله مفتخرين بإسلامهم محافظين على عروبتهم .

وهكذا لم يشن الشعب الليبي ذلك الانحراف من قلة تستوي عندها مفاهيم الحياة بل واثبت كفيره من الشعوب المؤمنة أنه أحد مفاخر الإسلام الذي به قاتل ، واثبت أيضا أن انحراف القلة لا يشين الشعوب .

وبالتالي لا يشين شعب فلسطين انحراف قلة منه ضئيلة ما دام تاريخ الشعب يفرض على الباحث النصف أن يحني رأسه احتراما لشعب صغير وقف في اعتزاز وقوة وتصميم يحارب أكبر قوتين في الأرض : صليبية استعمارية ، وصهيونية عالمية ، وما خسر معركة إلا استعداد لمعركة لاحقة .



## خاتمة البحث

وهكذا استعرضنا الأطوار العديدة التي مر بها جهاد شعب فلسطين منذ ١٩١٧ ، من ائقال بريطانية صهيونية تعاون فيها المال والحكم بأدوات القانون والحيل والعنف ، وأوضحنا كيف عمدت بريطانيا الى عزل هذا الشعب الصغير في تعداداته ، لتتمكن من اذابته وسط بوتقة الصهيونية وكيف تسابقت الدول الصليبية جميعها الى تأييد هذه المؤامرة الخطيرة ، ولكن الشعب الفلسطيني قاوم بكل جهد يستطيعه الانسان ضد مخطط الصهيونية والصليبية الاستعمارية طوال ثلاثين عاما ، وهي مدة طويلة يقفها شعب صغير اعزل منفرد امام قوى كبرى عالية لو تجمعت على عدد من الشعوب لقهرتها .

يقول حاييم وايزمان زعيم الصهيونية المعروف ، « ان بريطانيا قد وعدت زعماء الصهيونية بأن تسلمهم فلسطين خالية من سكانها خلال سنوات قليلة ، ولكن مقاومة العرب هي التي أجلت ذلك الوعد ولم تكن تلك المقاومة في الحسبان (١) » .

ولا ريب ان تلك المقاومة العربية التي ابداهها شعب فلسطين قد استمرت على مدى التاريخ ، وتلاحقت حتى يوم النكبة الخطيرة عام ١٩٤٨ ، وحتى معارك العلوان الثلاثي عام ١٩٥٦ ، التي شهدت تضحيات الفلسطينيين في غزة والعريش وخان يونس .

واسرائيل المعلنة التي تقف امام العرب جميعهم اليوم في وطنهم الكبير ، هي نفسها اسرائيل غير المعلنة التي تقف قبل اليوم امام شعب فلسطين وحدهم في ميدانهم الصغير الضيق .

واذا كنا في بحثنا هذا قد عمدنا الى مواجهة الحقيقة التاريخية في تقصير العالم العربي والاسلامي تجاه فلسطين ، فاننا نحصر ذلك في الفترة التاريخية الخطيرة التي صاحبت فترة الانتداب البريطاني على فلسطين ، حيث كانت شعوبنا مكبلة بواقعهما الاستعماري الرهيب وحيث كانت القوى

(١) حقائق عن قضية فلسطين ، ص ٢٩ .

الكبرى تتحكم في مصيرنا وتقرره ، وحيث كان الوطن العربي مكبلا بمعاهدات هي استعمار فظيع مقنّع ، وليس من ريب في أن الروح الصادقة المتحرقة للنضال كانت ترافق شعبنا في جميع اقطاره آنذاك ، ولو اتاحت له فرص العمل لأثبت كيانا سليما وجدارة فعالة .

ومن واجب شعوبنا ودولنا ان تدرك اليوم هذا الخطر الخطير الذي بدأ بفلسطين وجاهده شعبها ثلاثين عاما طليعة في سبيل مقدسات الاسلام وكل العرب ، هذا الخطر بدأ يقترب من كل اوطاننا وتبدو أهواله واضحة للجميع ، اقامه الاستعمار ركيزة ، واتخذته الصليبية الاستعمارية قاعده ، وبعثت في تفكيره آمالا خطيرة لا يمكن تحقيقها الا على اشلاننا جميعا ، فالصهيونية تنادي بوطن كبير يمتد من النيل الى الفرات ، ويضم بين جنباته المسجد الأقصى المبارك في القدس ، ومثوى الرسول الطاهر في المدينة المنورة (٢) ، وتقيم كيائها محطما لوجودنا ، عابثا بحضارتنا ، مذكلا لكبريائنا وكرامتنا ، عاملا دون رحمة ولا خلق على تشريدنا وافنائنا ، واذا كان بعض منا أو من حكامنا يستغرب هذا القول ويراه تشاؤما لا محل له ، فان هذا هو الذي كانت تقابل به أحداث فلسطين قبل نكبتها عام ١٩٤٨ حين كانت بعض الأصوات تحذر من الخطر الصهيوني ، وتتفجع على مصير الشعب المجاهد في فلسطين ، وكان بعض من حكامنا أيضا وقليل من أفراد شعوبنا يرى هذا شيئا من التشاؤم واغراقا في الخوف ، واستهانة بجموعنا، حتى حدث ما حدث وسبق السيف العذل . (٣)

وفلسطين تحتلها الصهيونية باسم الدين ، وترتبط بين احتلالها الحالي وذكريات سليمان وداود والشعب المختار ( الذي قتل النبيين ) ولا يمكن ان يكون جهدنا متكاملا لانهاء المشكلة من أساسها وتصفيها أبديا الا باشتراك مئات الملايين من المسلمين في شتى بقاع العالم معنا فيها ، ونحن بذلك انما نسمي الأشياء بأسمائها ، ففلسطين للاسلام جميعا مهوى الأفتدة ، ومسرى الرسول ، والاسلام مطالب بالعمل من اجلها ، ولكننا نحن العرب مسلمين ومسيحيين مطالبون بهذا العمل باعتبارها مقدسة اولا ووطنا ثانيا ، واذا كانت الامم المسيحية الاوروبية قد غضت الطرف عن مقدساتها في فلسطين تلك التي حافظ عليها الاسلام قرونا طويلة ، ولم تتحرك لانقاذها من أيدي أبناء صهيون ، فان ذلك سيكون أكثر دفعا لنا

(٢) راجع خريطة المطامع الصهيونية في الوطن العربي ص ٥٢٠ من هذا البحث .  
(٣) كان هذا الجزء من الكتاب قد سطر في اواخر ١٩٦٦ قبل الكارثة الكبرى في ٥ يونيو (حزيران) ١٩٦٧ .



## للاخامس من يونيو ... وما بعده

« يا أيها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم أنفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض ، ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ، فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل ، الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير »

قرآن كريم ( التوبة ٣٨/٢٧ )

« يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ، ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال ، او متحيزا الى فئة ، فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير » .

قرآن كريم ( الانفال ١٥ و ١٦ )

من جهز غازيا فقد غزا ، ومن خلف غازيا في أهله بخير فقد غزا .

( حديث شريف )

ان استوينا ( مع العدو ) في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة ، والا نصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا ، ولا تقولوا ان عدونا شر منا ، فلن يسلط علينا ( وان اسأنا ) ، فرب قوم قد سلط عليهم شر منهم .

من خطاب الخليفة عمر

الى القائد سعد بن ابي وقاص يوم القادسية

ان ما اخذ بالقوة لا يمكن ان يسترد الا بالقوة ، ولا مفاوضة ولا صلح ولا اعتراف باسرائيل ، ولا صفقات على حساب الشعب الفلسطيني ، وسنسترد الارض شيئا شيئا .

جمال عبد الناصر - ٢٣ يوليو ٦٨

نحن العرب المسلمين والمسيحيين الى التحرك الجدي والعمل المفيد ، كل بجهد وقوته لا يدخره ولا يستهين به ، اما المسيحية في أمريكا وبعض أوروبا ، « فقد آمننا بأن العالم المتحضر (فيها) قد تهود ، وآمننا بأن السحر الذي أبطله موسى قد أحياء أتباعه ، ولكن بغير ادواته ، أبطله بعضا الخشب ، وأحيوه بحبال الذهب ، وآمننا بسفسفة القضايا الفعلية التي تحيل اجتماع الضدين ، حين رأينا التضاد يجمع طرفيه في دائرة مغناطيسية فاذا هو ممكن .. واذا عقيدتنا الصلب لعيسى والتأليه له تجتمعان في هالة من البريق المفتشي للأبصار والبصائر ، فكأنه لا تأليه ولا صلب ... كل ذلك لانه لا ضمير ولا قلب » (٤) .

اننا نؤمن كامل الايمان وأصدق به بأنه حين تتوحد صفوف العرب جميعا وحين يستطيع العرب المسلمون ضم مسلمي العالم في المعركة المقدسة والمصرية وحين نسخر كل قوانا وامكانياتنا لليوم الفاصل ، فاننا بذلك سوف نضمن لأجيالنا القادمة البقاء والحرية والعيش في سلام .

وسوف تقدم للانسانية جمعاء بما في ذلك المسيحيين في أوروبا وأمريكا يدا تاريخية تنقذها من مهاوي الباطل والصهيونية وتسلطها ، وذلك حين نفيم في فلسطين ، عدلا انسانيا ونطوي الى غير رجعة باطل اليهود وصهيونيتهم ، ولن نفعل ذلك الا اذا ارتفع شعورنا بالواجب والمسؤولية والخطر الى القمة في كل فرد حتى اذا تقابل اثنان من العرب او من المسلمين مهما تباعدت اوطانهم ، كان حديثهما فلسطين ، وكان وداعهما أن يبذلا الجهد ويتقابلا فيها ، فلقد عاش اليهود آلاف السنين فاذا قابل الامريكي منهم الآخر الروسي ودّعه بكلمته المرجعة : نسيتني يميني ان نسيتك يا اورشليم ، سواء في ذلك الشعوب او الجماعات او الافراد ، ونحن العرب والمسلمين بذلك اولى وله اقرب .

اما من يتخاذل عن تقديم عونه وبذل جهده وتضحياته ، فسوف ينال عقاب الأجيال ولعنة الله والتاريخ ، وعلى الله التوفيق ، وما النصر الا من عند الله ، وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون .



## الفصل الأخير

### الاحداث الخطيرة قبيل الخامس من يونيو ١٩٦٧

حين سطرت الصفحات الثلاث الاخيرة خاتمة لبحتي « جهاد شعب فلسطين » كان الموقف في هذا الجزء من العالم العربي يصور وجود الباطل الصهيوني في جزء من فلسطين يقف عند قطاع غزة الذي تشرف الجمهورية العربية على ادارته ويحكمه مجلس تنفيذي فلسطيني ، وعند هضاب تجاور بحيرة طبريا وتشرف عليها مرتفعات جولان السورية المحصنة والمسلحة وعند خط يقسم ارض فلسطين الى اسرائيل والضفة الغربية للاردن التي تضم من بين ما تضم طولكرم والخليل وجنين ونابلس ورام الله وبيت لحم والقدس ، والتي تكون أهم أجزاء المملكة الاردنية . ولقد زرت الضفة الغربية ووقفت عند ذلك السلك الذي يقسم قرية



بيت صفا و جندي اردني يشرح لنا ما يبدو خلف الاسلاك المحتلة بالعدو .. ان القرية مشطورة نصفين ، وكان سكان النصف المحتل ينتظرون يوم التحرير .. اما اليوم فتنها في ذلك الانتظار

يجب ان تشمل المعركة ضد اسرائيل الامة العربية بأسرها ، وعلى الفلسطينيين ان يقاتلوا حتى تتحرر ارضهم .

( هوارى بومدين )

لقد استطاع الرئيس جونسون ان يخدع الروس ليمنعوا مصر من بدء الهجوم وخرج من ازمة الشرق الاوسط وكأنه سيد الموقف .

نيوزويك ١٠/٧/١٩٦٧

ابلغ ابادا وخلل في سراتهم  
يا لهف نفسي ، ان كانت امورك  
ما لي اراكم نياما في بلهنية  
فأقنوا جيادكم واحموا ذماركم  
اني ارى الراي ان لم أعص قد نصعا  
شتى ، واحكم امر الناس فاجتمعا  
وقد ترون شهاب الحرب قد سطعا

واستشعروا الصبر لا تستشعروا الجزعا

هيئات لا مال من زرع ومن ابل  
يا قوم لا تأمنوا ان كنتم غيرا  
قوموا قياما على امشاط ارجلكم  
يرجى لغابركم ، ان انفكم جدعا  
على نسائكم ، كسرى وما جمعا  
ثم افزعوا ، قد ينال الامر من فزعا

لقيط بن يعمر الايادي

الكاتب في ديوان كسرى يحذر قومه من غزو الفرس

لك قلبي يا شبابا ثائرا  
قذف البغي به خلف الحمى  
واعد الموت فلما التقيا  
وطني يا مد عيني ويدي  
في غد اوراقنا الذبلى ترى  
نفض الاكفان عنا فاذا  
تهتف الدنيا على اصدائنا  
شد في نحر الردى ثبت الجنان  
فانثنى سمح الفدا صعب المران  
كبر الفتح وصلى الخافقان  
واماني اذا عزت اماني  
لمحة النور وتحيا فيك ثاني  
كل ميت ماردا طلق العنان  
والربى تشدو وتزهو الضفتان

عبد المنعم الرفاعي

في قصيدته « عام » بعد الكارثة



بيت صفافا الى نصفين احدهما يحتله اليهود ويقف فيه اطفال عرب يرنون  
بأبصار الشوق الى أمثالنا من الزوار .

وزرت رامات راحيل حيث آثار المعركة التي اشترك فيها أبناء وطني  
الصغير ليبيأ واقم لهم مع شهداء الشمال الافريقي نصب تذكاري يخلد  
التضحية في سبيل الوطن الكبير ، وزرت طولكرم وجنين ونابلس والبيرة  
ورام الله حيث كانت لي مع المؤرخ الثبت عارف باشا العارف لقاءات  
وبحوث ودراسات ، وزرت القدس الخالد وتجولت في المواطن التي شهدت  
معارك التاريخ منذ أمنت القدس في احضان الاسلام المجيد ، وشاهدت عن  
كثب تلك الاحياء والشوارع التي خاض الفلسطينيون فيها انهار الدماء ،  
القطمون والثوري وباب العمود والشيخ جراح وغيره وغيره ، ووقفت عند  
الصخرة المشرفة اذكر فيها تاريخنا وامجادنا واستعيد منها احداث الزمان  
وتطورات الايام ، وصليت في الاقصى المبارك ورددت بلساني وفكري قول



الحرم الاسلامي في القدس الشريف بعيد صلاة الجمعة اغسطس ١٩٦٦ وتحت جدرانها  
تعمل المعاول اليهودية الآن بحثا عن هيكل سليمان ، واذا رضع العرب والمسلمون  
فالمدينة المنورة هي هدف الاعداء القادم ...

الله العظيم « سبحانه الذي اسرى بعبد له ليلا من المسجد الحرام الى المسجد  
الاقصى الذي باركنا حوله » ، وتجولت في شوارع القدس الفسيحة  
والضيقة ، فما رأيت فيها الا روحا طيبا ، ومناطق محببة ، ولا شعرت

ورفاقي خلالها الا بجاذبية قوية وروحانية غامرة لمدينة يملأ القلب والبصر  
جمالها البسيط المحبب ، ولطفها القريب الى القلب واللذذ في الوجدان ،  
ولقد اخذت بعزة افراد شعبها وكرامتهم حتى اولئك الذين يعملون على  
سيارات الاجرة ، او في الفنادق ، كانوا يمثلون روح الاعتزاز وسلامة التصرف  
القانع فلا طمع ولا سؤال ولا مضايقة للزائر او السائح ، وانك لو اجد صعوبة  
في محاولة اكرام احدهم او مساعدته ماديا ، بل انك لو اجدتهم اسرع الى  
اكرامك والاهتمام بك ورعايتك .

هكذا رايت الضفة الغربية والقدس الخالد خلال اعوام ٦٤ و ٦٥  
و ١٩٦٦ وهكذا كان الوضع حين فرغت من تسطير هذا البحث في  
مايو ١٩٦٧ .

ولكن هذا الوضع الذي اصفه لم يعد كما كان قبلا ، فلقد حدثت  
كارثة كبرى غطت احداث عام ١٩٤٨ الذي خلقت فيه اسرائيل نتيجة  
الانتداب البريطاني في خلال ٣٠ عاما .

فاسرائيل الان تحتل كل قطاع غزة وسيناء وتربط على الضفة  
الشرقية لقناة السويس ، وتعطل الملاحة في القناة وتصوب سلاحها الى  
ضفة القناة الغربية ، وهي تحتل كل الضفة الغربية لنهر الاردن بما في  
ذلك القدس الجريح الخالد ، وهي تحتل مرتفعات جولان السورية التي  
كانت تمثل يدا قوية فعالة تهبط صاعقة لاسرائيل بين وقت وآخر ، وكان  
يظن انها في مأمن من غزوها قادرة على ردها وردعها .

ولقد بدأ هذا الاحتلال الجديد الذي يمثل حتى الان اسرائيل الكبرى  
وكاد يوصلها الى غاياتها من النيل الى الفرات ان لم يكن قد اوصلها فعلا ،  
بدأ في الساعات الاولى من صباح الخامس من يونيو ١٩٦٧ ولتحدث عن  
الوقائع من اولها ، لارتباطها بقضية فلسطين ، قضية المصير العربي ،  
ولارتباط الاحداث ايضا بجهد شعب فلسطين على مدى التاريخ .

#### اسرائيل منذ عام ١٩٤٨ :

تربعت اسرائيل في ارضنا العربية منذ ان فرضت شروط الهدنة  
الثانية في ١٩٤٩ واشترط لقبولها في الامم المتحدة ان تلتزم بتنفيذ ما سبق  
من قرارات حول حدودها الاقل واعادة اللاجئين الى ديارهم وتعويض من لا  
يرغب العودة ، واعلنت اسرائيل التزامها بذلك وعلى هذا الاساس قبلت  
عضوا في هيئة الامم ، ولكن اسرائيل التي بنيت على الخداع لم تكن تنوي  
تنفيذ شيء من ذلك ولم تحاول القوى الكبرى في الامم المتحدة واعني بها



بريطانيا وامريكا وروسيا ان ترغبها على تنفيذ ما التزمت به فعلا وشرطا .  
وتجمعت الدول العربية في جامعتها وقررت فرض حصار اقتصادي على اسرائيل لا يصدر اليها من العرب ولا يستورد منها الى العرب ، وان تقاطع كل شركة او سفينة في العالم يثبت تعاملها معها ، ولم يكن لاسرائيل منفذ الا على البحر الابيض فكانت منتجاتها تبدو بقله في اسواق اوربا وكان الحصار العربي يأخذ عليها دور خناق فعال .

وحالة الحرب مستمرة فالهدنة لا تمثل صلحا والاحداث والاعتداءات تتوالى ، فتارة يعتدي اسرائيل على حدود سوريا وأخرى على حدود الاردن ومرات على حدود قطاع غزة ، وملئت مكاتب الامم المتحدة باحتجاجات العرب واستنجاتهم وهم في موقف الضعيف الذي يهان ويركل ويضرب دون ان يملك عن نفسه دفاعا مجزيا .

ولكن مجموعات من ابناء فلسطين تحركوا عام ١٩٥٥ و ١٩٥٦ وبدأوا ضد اسرائيل حركات فدائية فجاسوا خلالها وفجروا الفاهم في مدنها وقرائها ، وضجت اسرائيل ثم قامت بغزوة سريعة فضربت سوق غزة بالقنابل وقتلت عشرات من سكانها ، وكانت دول الغرب راغبة دائما عن بيع السلاح للدول العربية ، بل كانت تقيم في سبيل ذلك الصعوبات والعقبات ، وهكذا اتجه الرئيس جمال عبد الناصر الى الكتلة الشرقية وفاجأ العالم في احدى خطبه عام ١٩٥٥ بأن السلاح في طريقه الى مصر وانه لا يمكن ان تستمر اسرائيل تغزونا في قلب غزة ونصمت عن فعلها ، اما الدول الكبرى الثلاث وهي بريطانيا وفرنسا وامريكا فلم تفعل اكثر من تكرار بيانها الثلاثي من انها تضمن حدود دول المنطقة ولا تسمح بانتقاص حدود اسرائيل ولا بتعديها على حدود جيرانها ، ولكن هذه الدول كانت قد اضطرت لحصول مصر على سلاح من مصدر آخر لا تقف امامه عقبات دول الغرب .

وتلاحقت الحوادث ، فسحبت امريكا وعدها بالمساعدة في انشاء السد العالي ، ورد عليهم الرئيس العربي بتأميم قناة السويس وارجاعها الى شعبها واقامة السد من وارد هذه القناة ، وتأمرت بريطانيا وفرنسا مع اسرائيل مما نتج عنه العدوان الثلاثي وشرحناه قبالا (\*) .  
واذا كانت جيوش الغزاة الثلاثة قد سحبت من سيناء وغزة وبور سعيد ، فقد جيء بقوات دولية ترابط بين مصر واسرائيل وفي جزيرة

(\*) راجع الصفحات من ٤٤٨ الى ٤٥٢ من هذا الكتاب .

تيران وعلى مشارف خليج العقبة .

وهكذا استفادت اسرائيل من العدوان الثلاثي حيث حمت القوات الدولية سفنها وهي تعبر ذلك الخليج العربي وسرعان ما انتعش ميناء ايلات واصبح المتنفس اليهودي ، والمنفذ الى افريقيا وآسيا والشرق الاقصى . واستمرت مصر في منع السفن اليهودية من عبور القناة ومنع أي مواد استراتيجية لها ، ولكن ميناء ايلات حل ازمات كثيرة لاسرائيل واستمر احد شرايين حياتها الدافقة .

وفي فبراير ١٩٥٨ اعلنت الوحدة بين مصر وسوريا ، وبرز للوجود اسم الجمهورية العربية المتحدة وطوي العلم المصري الاخضر ذو الهلال والنجمة ورفرف علم عربي جديد يحمل الالوان الثلاثة ونجمتين للبلدين الموحدتين . وكان يوم اعلان الوحدة يوما خالدا في تاريخ العرب ، حيث وقف الرئيس السوري الذي عانى كثيرا في جهاد استعمار فرنسا واحكام اعدامها المرحوم شكري القوتلي ، وقف يعلن في القاهرة اني اسلم الامانة للرئيس العربي رمزا للوحدة ، وعملا على خلق أمة عربية واحدة تستعيد مجدها وتبني حضارتها ، وكان القوتلي صاحب تصريح مشهور منذ استقلال سوريا عام ١٩٤٧ « اني لا اسمح بأن يرتفع على العلم السوري اي علم الا ان يكون علم الوحدة العربية » . وعم السرور عالم العرب الكبير الذين اعتقدوا ان عهد الوحدة الكبرى قريب قريب .

وتغيرت معايير الامور لدى اسرائيل ، وكان يوم الوحدة يوم المحزنة لديها فلم تعاود اسرائيل الاعتداء طوال ايام الوحدة ، وحين نشبت معركة وحيدة فوق « التوافيق » بحدود سوريا تلقت اسرائيل درسا قاسيا كان آخر تحركاتها الاستفزازية في ذلك التاريخ ، واذا كانت الوحدة السورية المصرية قد دامت قرابة ثلاث سنوات فان انفصالها قد بعث الحياة في اسرائيل واشاع الفرح في ربوعها ، أعرب عن ذلك زعمائها وكتائبها واتخذوا من يوم الانفصال يوم سرور وابتهاج ، واذا كان بحثنا يختص بجهاد شعب فلسطين وما تفرع عنه ، فان المجال يضيق امامنا للبحث في امور الوحدة واسباب انهيارها واستقلال الانفصاليين للظروف وتحطيم جدار قوي في بناء الامة العربية .

غير ان ما لا بد من ذكره هو ان العلاقات العربية لم تكن في مستوى الاحداث طوال تلك السنين ، وكانت المسافات تزداد بعدا في روابط الاخوة بين دول المنطقة ، وتولت كل اذاعة كيل السباب والاساءة الى الدولة الاخرى واستراحت اسرائيل ، فاعداؤها بعضهم أعداء لبعض ، وهم لذلك في صراع مرير .



## مؤتمرات القمة العربية :

أعلنت إسرائيل خلال عام ١٩٦٣ أنها ستحوّل مجرى نهر الأردن لتستفيد من مياهه في تجميع صحراء النقب ، وأدرك العرب خطورة هذا القرار وما يتضمنه من تعبد على مياه تنبع من أراضي عربية وتشرب منها شعوب عربية ، وما في ذلك من ازدهار لإسرائيل وازدياد في عدد سكانها والمهاجرين إليها .

وفي ٢٣ ديسمبر ( كانون الأول ) ١٩٦٣ دعا الرئيس عبد الناصر ملوك العرب ورؤساءهم الى اجتماع للقمة لاتخاذ قرارات فعالة تحول دون الاجراء اليهودي الخطير قائلا :

« حتى نجابه إسرائيل اللي تحدثنا الجمعة اللي فاتت واللي رئيس أركان حربها وقف وقال ان احنا حانحول المية غصب عن العرب ، والعرب يعملوا اللي يعملوه ، اقول لا بد من ان يتم اجتماع للملوك والرؤساء العرب في اسرع وقت ممكن ، معركة فلسطين ممكن تكون مستمرة ، ومعركة الأردن جزء من معركة فلسطين (٥) » .

وتلاقى بالقاهرة ملوك العرب ورؤساؤهم في اول مؤتمر لهم ١٣ يناير ( كانون الثاني ) ١٩٦٤ وأصدر قراراته يوم ١٧ يناير ( كانون الثاني ) ١٩٦٤ وجاء فيها :

بعد ان بحث المؤتمر ما أوشكت عليه إسرائيل من القيام بعدوان خطير جديد على المياه العربية بتحويل مجرى نهر الأردن والاضرار البالغ بحقوق العرب المنتفعين بهذه المياه ، استهدافا منها لتحقيق المطامع الصهيونية التوسعية بجلب المزيد من قوى العدوان واقامة مراكز تهديد اخرى لامن البلاد العربية وتقدمها وسلام العالم ، وقيامها بواجب الدفاع الشرعي، وإيماننا بحق الشعب العربي الفلسطيني المقدس بتقرير مصيره والحد من الاستعمار الصهيوني لوطنه ، وبأن التضامن العربي هو السبيل الى درء المطامع الاستعمارية قد اتخذ القرارات العملية اللازمة لاتقاء الخطر الصهيوني المائل سواء في ميدان الدفاع او الميدان الفني او ميدان تنظيم الشعب الفلسطيني وتمكينه من القيام بدوره في تحرير وطنه وتقرير مصيره .

واجتمع مؤتمر القمة للمرة الثانية بالاسكندرية خلال صيف ١٩٦٤ واجتمع للمرة الثالثة في الدار البيضاء اكتوبر ١٩٦٥ وعلى الرغم من الآمال الكبار التي علقها الشعوب العربية على هذه اللقاءات القيادية الكبيرة فان تحويل إسرائيل لمجرى الأردن لم يتوقف وذهب كل مظهر للقوة كان نابعا

(٥) الرئيس جمال عبد الناصر في خطابه ببور سعيد بمناسبة عيد النصر في ٢٣ ديسمبر

من اجتماعات القمة ادراج الرياح ، اذ لم يفكر العرب في مهاجمة إسرائيل، ولم يحاولوا منع استفادتها من النهر بوسائل عملية حاسمة مأمونة .

لقد انتجت تلك اللقاءات شيئين مهمين كان الاول : القيادة العربية الموحدة والتي نظرت اليها الشعوب العربية نظرة الامل لجمع جيوش العرب ، وتوحيد قيادتها ، والاستفادة منها وقت الزوم ، وكان الثاني هو اعلان ميلاد منظمة التحرير الفلسطينية وما يتبع ذلك من خلق جيش فلسطيني يعد لليوم المنتظر .

ولكن مؤتمرات القمة لم يكتب لها البقاء ، فقد عادت العلاقات العربية الى السوء من جديد ، وزالت الثقة بين رؤساء العرب ، واخذت مظاهر من البعد والعداء ليس هنا مكان شرحها ولا تسطيرها ، وعادت اجهزة الاعلام العربية تتحارب ، واستحال عقد مؤتمر القمة الذي كان مقررا عقده بالجزائر .

والواقع ان الخلاف بين الدول العربية على ما فيه من ضرر بالشعوب وبالنطقة لم يكن غريبا نتيجة احداث عديدة تصارعت فيها المصالح والنظم الاجتماعية ، وكان الامل يداعب الجميع في ان اواصر الاخوة لا بد ان تكون اعظم من مظاهر الخلاف والشقاق . وان تلك العبارات القاسية والحملات الاذاعية ستذوب كأنها لم تكن حين ندعو المصلحة رؤساء العرب للعمل الموحد المجدي ، ولكن منظمة التحرير الفلسطينية التي كان يرأسها السيد احمد الشقيري لم تكن بعيدة عن تلك الخلافات والحملات الاذاعية ، واذا كان الرؤساء يجدون دافعا لهذا فان منظمة التحرير كان يجب ان تبقى بمنأى عن ذلك وان تستمر فوق الخلافات وان تمد يدها في صداقة وتعاون مع الجميع ، كان عليها ان تقلد جبهة التحرير الجزائرية حين كانت تجمل من قضيتها منبرا مقدسا وراية للجهاد ترفرف على الجميع ، هدفها مجالدة المحتل وتحرير الوطن ، حتى كان رئيس وزراء الحكومة الجزائرية عام ١٩٦٠ يتناول غدائه بالقاهرة وعشاءه ببغداد على شدة ما بين العاصمتين في ذلك التاريخ من صراع شديد حتمته احداث اليمه كان العراق مسرحها . ونتج عن موقف منظمة التحرير التي زجت بنفسها في الخلافات ان تجمدت تقريبا فاعليتها ، وقل العون الذي كان ضروريا لجيشها ومكاتبها وفروعها ، واخذ رئيس المنظمة يدعو الى تخريب بعض المدن العربية والى قتل بعض المسؤولين دعوة علنية وصحفية واذاعية ، مما دفع هؤلاء الى الحذر منه وحرمان المنظمة من العمل في جهات كانت تواجه لاراضي فلسطين المحتلة وهي اكثر مجابهة لمواقع اعدائها ، وانقسم الراي العربي وسط هذا الخضم الخطير ، واستمرت إسرائيل تنفذ مشروعاتها ، وتسرع لخصومات اعدائها فيما بينهم .



### العمل الفدائي الفلسطيني :

وسط هذه الاحداث كان الشعب الفلسطيني موزعا بين الاقطار والافكار ، ومنذ ان تربعت اسرائيل في ارضه وقضيته في المجمع الدولية لم تتعد قضية لاجئين ، يفتنم العرب فرصة التقرير المقدم من مدير وكالة القوث ليزجوا بأسباب اللجوء ، وانشاء اسرائيل وحرمان العرب من ديارهم ، وكانت هذه الفرصة تتيح للهيئة العربية العليا منذ عام ١٩٥٠ ان ترفع صوتها باسم الفلسطينيين وتتلقى المساعدة من وفود الدول العربية جميعا ، ولكن تلك المجادلات والخطب وسط اللجنة السياسية والجمعية العامة على الرغم مما نتج عنها من قرارات توجب ارجاع شعب فلسطين الى دياره وتعويض من لا يرغب العودة ، فان اسرائيل استمرت تصم اذنيها عن كل قرار من هذا القبيل ، وتجد من الدول الكبرى صمتا وتناسيا واستهانة بتلك القرارات وفعاليتها .

والشعب الفلسطيني وسط هذا عرضة لمتابع اللجوء ، وقوانين الاقطار العربية والتشديد في اجراءات سفر افرادهم ، وتحركاتهم ، والحذر من توطئهم ومتابعة افكارهم وآرائهم ، والحق ان ما تعرض له الشعب الفلسطيني من تضيق وعنت كان شيئا ثقيلا في موازين الحياة العامة ، ولكنه يمثل ما اعتاد كل شعب في مثل وضع شعب فلسطين ان يجده في اعقاب المعارك التي تحقق النصر لاعدائه ، ومعلوم ان كل عمل للشعب الفلسطيني يجب ان يبنى على عون وتأييد من الدول العربية المحيطة باسرائيل وفي اغلب الاحيان كانت هذه الدول تشعر انها في اوضاع لم تستعد بعد للمعركة وانه ليس من المصلحة ان تعطي اسرائيل فرصة فرض المعركة وتحديد وقتها كما تشاء .

وكانت اسرائيل تشعر بتباعد العرب وتنافرهم ، وتستفيد من ذلك كل الفائدة ، وحدث ان ادركت اسرائيل ان العمل في منع روافد الاردن بأراضي سوريا يسير سيرا مفيدا ، فسرعان ما أرسلت طائراتها في غارة خاطفة حطمت المشروعات وادواتها التي دفعت فيها مبالغ عربية طائلة . وكان المفروض ان تتلقى اسرائيل درسا قاسيا على عملها الخطير هذا ، ولكن الامر ذهب بلا عقوبة ، ثم اعلن الرئيس جمال عبد الناصر ان السلاح الجوي العربي يحتاج لقواعد في سوريا ليتمكن من اداء واجبه وقت اللزوم ، وان تلك القواعد لم تتم الموافقة عليها بعد (٦) . ولم يذهب وقت طويل حتى هاجمت اسرائيل قرية « السموع »

(٦) كلمة الرئيس جمال عبد الناصر في احتفال منظمة التحرير بذكرى ١٥ مايو بجامعة

الاردنية بضواحي الخليل فهدمت مساكنها وقتلت عددا من سكانها ثم قفلت راجعة الى حدودها ، والحق ان العالم العربي كان في دهشة من توالي الاعتداءات الاسرائيلية ، ولكن هذه الدهشة لا تلبث ان تخدم لما هو ظاهر من خلافات عربية باعدت بين الصفوف ، واستمرت الاحداث وتوالى ، وظهرت اسرائيل في صورة المعتدي المتعجرف الطافي الذي لا يخشى لوما ولا عقابا ، ولم تكن اجراءات مجلس الامن ضدها الا بعض عبارات اللوم الخفيف المهذب .

وسط هذا الجو المشحون المربك كان الشعب الفلسطيني يتطلع الى الفرص التي تمكنه من العمل ليعيد الى الازهان بطولات التضحية والفداء التي شهدتها العالم منه خلال ثوراته ضد الانتداب البريطاني .

### اول بلاغ للثورة :

وفي اليوم الاول من يناير ( كانون الثاني ) ١٩٦٥ اصدرت منظمة فلسطينية تتخذ لها اسم حركة التحرير الفلسطينية ( فتح ) اول بلاغ لها وقالت فيه :

« انكالا منا على الله ، وايماننا منا بحق شعبنا في الكفاح لاسترداد وطنه المفتصب ، وايماننا منا بواجب الجهاد المقدس ، وايماننا منا بموقف العربي الثائر من المحيط الى الخليج ، وايماننا بمؤازرة شرفاء العالم ، لذلك فقد تحركت اجنحة من قواتنا الضاربة في ليلة الجمعة ٣١ ديسمبر ١٩٦٥ وقامت بتنفيذ العمليات المطلوبة منها كاملة في الارض المحتلة ، وعادت جميعها الى معسكراتها سالمة واننا لنحذر العدو من القيام باية اجراءات ضد المدنيين الآمنين العرب اينما كانوا لان قواتنا سترد على الاعتداءات باعتداءات مماثلة ، وستعتبر هذه الاجراءات من جرائم الحرب ، كما اننا نحذر جميع الدول من التدخل لصالح العدو بأي شكل كان لان قواتنا سترد على هذا العمل بتعريض مصالح هذه الدول للدمار اينما كانت .

عاشت وحدة شعبنا .. وعاش نضاله لاستعادة بلاده وكرامته » .

وكان هذا البلاغ الذي اذاعته منظمة « فتح » عن اولي عملياتها الفدائية فاتحة لعمل كبير في الارض المحتلة ، وفوجيء الرأي العام العربي بذلك البلاغ وتلك المنظمة ، واخذت التساؤلات تتلاحق من هم اعضاؤها ، وكيف تكونت ؟ من اين تمول ؟ وثبت مع الايام انها مجموعة من شباب فلسطين ثقلت عليهم آلام النكبة ، وطال بهم الانتظار فقرروا العمل باذلين اموالهم وارواحهم في سبيل ذلك ، تخلوا عن مناصبهم الكبيرة في بعض



الدول واستمروا سرا مقلدا وعملا منظما لينجح عملهم وينمو (٧) .



ثلاثة من فدائيي منظمة ( فتح )

واستمرت « فتح » في اعمالها تقلق اسرائيل وتقض مضجعها ، وتوجه هذه بين الحين والحين اعتداءاتها على مظان الفدائيين كما فعلت في قرية « السموع » الاردنية مما ذكرناه قبلا .

#### مقدمات الحرب :

وارتفع صوت اسرائيل تهدد الدول المجاورة بعمل اكبر ، اذا لم تعمل هذه الدول على وقف العمل الفدائي ، وردت تلك الدول انه من غير الممكن وقف شعب ثائر احتلت ارضه وشره ، وصمم على استمرار النضال ضد اعدائه ، واوضحت تلك الدول انها غير مسئولة عن تلك الاعمال وغير ملزمة بالبحث والتحري عنم يقوم بها .  
وفي اوائل مايو ١٩٦٧ خطب ليفي اشكول رئيس وزراء اسرائيل

(٧) عرف الكثير عن هذه المنظمة حين بدأت تنشر اسماء شهدائها واكثرهم من الشباب المثقف والجامعي واعلن رسميا في ابريل ١٩٦٨ ان المهندس ياسر عرفات هو المتحدث الرسمي باسم « فتح » في جميع الشؤون .

واعلن ان الجيش الاسرائيلي سيلحق اعداءه وانه سيحتل دمشق في سبيل ذلك .

واخذ تهديد اسرائيل لسوريا يأخذ مظهرا خطيرا ، وقلقت الشعوب العربية ودولها ، وتصور الجميع جيوش اسرائيل وهي تحتل عاصمة بني امية ، وتدخل زاحفة الى قبر صلاح الدين ، وانتشر القلق لدى شعوب المنطقة ، واتجهت الانظار الى الجمهورية العربية المتحدة كقاعدة كبرى تمثل القوى الفعالة والامكانيات الهائلة من عسكرية وشعبية .

واذا كنا الان نؤرخ الاحداث بعد عام من حرب يونيو ١٩٦٧ فقد اتضح ما لم يكن متضحاً يومئذ ، وثبت انه فضلا عن خطاب اشكول الذي هدد فيه باحتلال دمشق ، فان الوفد البرلماني العربي الذي كان يزور موسكو خلال مايو ١٩٦٧ ابلغ رسميا من رجال الاتحاد السوفيتي ان اسرائيل تعد لهجوم كبير على سوريا وان هذا الهجوم على وشك الوقوع (٨) ونهضت الجمهورية العربية المتحدة بواجبها العربي التاريخي واعلنت ان اي اعتداء على قطر عربي من اسرائيل سيعتبر اعتداء على الجمهورية العربية المتحدة ، وكان البوليس الدولي يربط في سيناء وقطاع غزة وخليج العقبة للحفاظ على حدود الهدنة ، وسرعان ما اصدرت القيادة العربية امرها لهذه القوات بالانسحاب في خطاب رسمي هذا نصه :

الجمهورية العربية المتحدة  
القيادة العليا للقوات المسلحة

١٩٦٧/٥/١٦

الجنرال ج.ا. ريكي قائد قوات الطوارئ الدولية - غزة  
احيطكم علما انني اصدرت تعليماتي الى جميع القوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة لتكون مستعدة للعمل ضد اسرائيل فور قيامها بعمل عدواني ضد اي دولة عربية .

وتنفذا لهذه التعليمات تجمعت قواتنا في سيناء على حدودنا الشرقية ، ولضمان امن قوات الطوارئ الدولية المتمركزة في نقط المراقبة على حدودنا ، اطلب اصدار اوامركم بسحب هذه القوات فورا .  
وقد اصدرت تعليماتي لقائد المنطقة العسكرية الشرقية فيما يتعلق بهذا الشأن .

فريق اول

محمد فوزي

رئيس هيئة اركان حرب القوات المسلحة  
للجمهورية العربية المتحدة

(٨) اعلن هذا رسميا الرئيس جمال عبد الناصر في التاسع من يونيو حين اعلن استقالته يوم وقف اطلاق النار مع اسرائيل .



وبينما كانت اسرائيل تقيم في منتصف مايو عرضا عسكريا في القدس المحتلة لمناسبة ذكرى انشائها، تحركت القوات المصرية في سرعة بالغة الى سيناء واحتشدت على خط طوله ١٤٠ كلم . وتبع ذلك اغلاق مضائق تيران، وتوقفت الملاحة في ذلك الخليج العربي الذي تقيم على سواحل ثلاث دول عربية هي السعودية والاردن والجمهورية العربية المتحدة ، والذي استفادت منه اسرائيل فائدة كبرى منذ ان استعملته للاتصال الخارجي ، ونقل مصدراتها بعيد عدوانها عام ١٩٥٦ ، ولقد جاء اغلاق الخليج باعلان الرئيس جمال عبد الناصر : ان العلم الاسرائيلي لن يمر من خليج العقبة ، وان سيادتنا على مدخل الخليج لا تقبل المناقشة ، واذا ارادت اسرائيل الحرب فنحن نقول لها اهلا وسهلا (٩) .

وفي هذه الاثناء ووسط الجو الذي صحب هذه الاجراءات سلم السفير السوفيتي الى الرئيس جمال عبد الناصر رسالة تأييد من الحكومة السوفيتية ومن اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي موجهة اليه والى شعب الجمهورية العربية المتحدة والى الشعوب العربية في وقوفها دفاعا عن اوطانها ومبادئها ضد مؤامرات الاستعمار (١٠) .

#### تحرك الاعداء :

واتخذت اسرائيل اجراءات مضادة فأعلن ليفي اشكول رئيس وزرائها في البرلمان الاسرائيلي : « ان الاحداث الاخيرة حتمت على اسرائيل اتخاذ جميع الخطوات اللازمة للتعبئة ولتدارك اية تطورات محتملة » وسرعان ما تحركت حكومة الولايات المتحدة وبريطانيا وكندا تعارض الاجراءات العربية في الخليج ، وانها تعتبره ممرا دوليا ، وتنظر الى الامر نظرة خطيرة . واعلنت امريكا ايضا ان عليها التزاما مستمرا بصون السلام في الشرق الاوسط ، وذلك على اساس التصريح الثلاثي بينها وبين بريطانيا وفرنسا الصادر في عام ١٩٥٠ (١١) .

واخذ الغليان يزداد في جهات عديدة من العالم العربي دفاعا عن اسرائيل وتمسكا لها بخليج العقبة ، واعلن متحدث عسكري بريطاني في الرابع والعشرين من مايو ان السفن الحربية والقوات البريطانية في منطقة

(٩) من خطاب الرئيس جمال عبد الناصر عند زيارته لمركز القيادة الجوية بسياء

١٩٦٧/٥/٢٢

(١٠) جريدة الاهرام ١٩٦٧/٥/٢٢

(١١) اتضح ان ذلك التصريح لا يعني عند الغرب الا صون حدود اسرائيل وسلامتها .

البحر الابيض قد وضعت في حالة تأهب تنفيذ لقرار مجلس الوزراء البريطاني وقد شمل ذلك القرار السفينتين الحربيتين ( ويتي ) و ( دنكان ) ومعهما ٦ كاسحات الغام وحاملة الطائرات ( فيكتوريا ) والفواصة (ابنياس) ثم اعلن رئيس وزراء بريطانيا انضمام بلاده لامريكا في ضرورة ابقاء خليج العقبة ممرا دوليا تعبره سفن اسرائيل بحرية . وواصلت بريطانيا حماسها لاسرائيل فلم تمض ايام حتى اعلن وزير خارجيتها ان بلاده تعتبر اي اغلاق فردي لخليج العقبة عملا حربيا ، وقال « اننا لسنا على استعداد ان نعترف لاحد بحق القضاء على دولة اخرى بالشرق الاوسط ولو جرتنا ذلك للحرب (١٢) » .

وفي نهاية شهر مايو صرح الاميرال وليم مارتن قائد الاسطول الامريكي السادس في البحر الابيض انه مستعد لتنفيذ أي أمر يتلقاه ، وصاحب ذلك تحرك للأساطيل الأمريكية لأرهاب العرب وتقوية إسرائيل وتعزيز معنوياتها فعبرت قناة السويس حاملة الطائرات الأمريكية « أنتريد » وعلى ظهرها ٤٦ طائرة مقاتلة وألفان وخمسمائة بحار وسبعة وثمانون ضابطا .

وتحركت الدول العربية فأرسل بعضها (١٣) قسما من جيشه للمرابطة في الجبهة المصرية ، واصبحت القاهرة هدف الوفود من رؤساء العرب وملوكهم يحملون رسائل التأييد ويعرضون التعاون .

وعبئت الجماهير العربية تعبئة معنوية هائلة وانتظر الجميع اليوم الفاصل لهذه المأساة المرة المزمعة الثقيلة .

اما اسرائيل فقد تظاهرت بمظهر الضعف والمسكنة ، واخذت وفودها تقطع الاجواء الى بريطانيا وامريكا وفي الاخيرة تتم مقابلات على اعلى مستوى من الاهمية ولم يكن الرئيس الامريكي نفسه عنها ببعيد ، بل كان عمادها وعمودها ، ووصل يوثانت للقاهرة والصهيونية تلسعه بسبابها لانه وافق على سحب القوات الدولية . وشرح له الموقف العربي والحق الذي يدعمه .

وبينما تنشر وكالات الانباء ان اسرائيل تستقدم المتطوعين من عدة دول اوروبية ، اذ يصرح ابا ايبان قائلا : « لن نقاتل ريشما نستنفذ الوسائل

(١٢) ان الدولة الوحيدة التي يعني براون حمايتها هي اسرائيل التي نرى اليوم احتلالها وعدوانها وتحديها لقرارات مجلس الامن ، وبريطانيا صاحبة هذا التصريح المهم لا تحاول ضغطا جديا على الدولة التي صنعتها اثناء انتدابها الكريه .

(١٣) وصل سيناء قسم من الجيش العراقي والجيش الكويتي والجيش السوداني



الدبلوماسية بمعاونة هيئة الأمم ومجلس الأمن والدول الكبرى « (١٤) .

وكان تصريح ايبان هذا نوعا من الخداع والتضليل اذ ان اسرائيل حازت امرها ونوت حربا ، ولكن ايبان كان محقا في اعتماده على الدول الكبرى ، لان هذه الدول على استعداد دائم لمساعدة اسرائيل . وفي السلم وفي الحرب يهدد زعماء اسرائيل بالهجوم على سوريا ، وباحتلال دمشق ، ويحشدون جيشهم فلا تفعل تلك الدول الكبرى شيئا ، بل تنظر الى اسرائيل نظر الوالد الحنون الى طفله الشقي ، ويبادر العرب الى الدفاع عن انفسهم ، وحماية ارضهم من العدوان الاسرائيلي المبيت ، فتبكي اسرائيل ودول الاستعمار على السلام العالمي ، وحرية الملاحة في خليج العقبة » . (\*)

واستمرت الأحداث تتطور بسرعة ، ففي آخر مايو ( ايار ) هبط الملك حسين في القاهرة وأذيع فجأة ان اتفاقية للدفاع المشترك قد عقدت بين الاردن والجمهورية العربية المتحدة ، وغادر القاهرة في نفس اليوم مصطفى الشقيري رئيس منظمة التحرير الفلسطينية بعد مقاطعة طويلة وخصومة حادة ، وأسرت العراق أيضا فانضمت لتلك المعاهدة فتساقط بذلك العمل بين الدول الثلاث ، وكانت سوريا مرتبطة بالجمهورية العربية المتحدة ، بل هي أصل الأحداث .

### حرب او لا حرب :

ولكن هذه الوقائع كلها لم تجعل المهتمين بالامور يجزمون بالحرب ، ورغم الضيق والقلق والتكيبيل التي أصبحت فيه اسرائيل منذ اغلاق خليج العقبة في وجه سفنها ، ذلك ان جهودا كبيرة بدأت على المسرح في سبيل خلق تفاهم حول الأحداث وتطورها :

وصل يوثانت السكرتير العام للأمم المتحدة للقاهرة واجتمع بالمسؤولين وانتهى معهم الى تفاهم مبدئي ريثما تبحث الامور كلية شريطة الا تهاجم الجمهورية العربية اسرائيل مبتدئة .

### امريكا في صميم المعركة :

وتدخل لندون جونسون الرئيس الامريكي فكتب للرئيس جمال

(١٤) مؤتمر صحفي بتل ابيب في ١٩٦٧/٥/٣٠

(\*) اللواء الركن محمود شيت خطاب من سلسلة مقالات قبيل الحرب بجريدة العرب

بغداد .

عبد الناصر خطابا مسهبا كان مما جاء فيه قوله : « ان المنازعات الكبرى في عصرنا هذا ، يجب الا تحل باجتياز غير مشروع للحدود بالسلاح وبالرجال » وأبدى الرئيس الامريكي رغبته في ارسال نائبه هيوبرت همفري لاجراء مباحثات مباشرة في المنطقة وحول موضوع الساعة ، وختم جونسون خطابه « اني اتوجه اليكم بهذا الخطاب في هذه اللحظة الحرجة آملا ان تشاركوني هذا التقييم ، وأن يكون في امكانكم التصرف وفقه في الساعات والايام المقبلة » وقدمت مذكرة من حكومة امريكا الى الجمهورية العربية في نفس تاريخ رسالة جونسون السابقة وكان أبرز ما فيها : « ان حكومة الولايات المتحدة تعتقد انه من الضروري بصفة خاصة أن يتوقف الاتجاه الحالي لتعبئة القوات وحشدتها على الجانبين ، ولقد أخذت امريكا بعين الاعتبار أن بيانات القاهرة وتل ابيب تشير الى ان تحركات قواتها المسلحة ذات غرض دفاعي، وأكدت أن الولايات المتحدة تعارض معارضة صارمة أي عدوان في المنطقة من أي نوع مكشوف او في الخفاء » (١٥) .

ورد الرئيس عبد الناصر على الرئيس الامريكي موضحا الموقف الذي نشأ عن تهديد اسرائيل باحتلال دمشق ، وأن الاجراء العربي كان دفاعا عن النفس ، وان احتلال شرم الشيخ هو استعمال لحق السيادة وازالة لآخر اثر من آثار عدوان ١٩٥٦ . ثم ذكر جونسون بقرارات الأمم المتحدة وحقوق شعب فلسطين « وهي في نظرنا أهم حقيقة ينبغي الاعتراف بها ، لقد استطاعت القوة المسلحة المعتدية أن تطرد هذا الشعب من وطنه وتحوله الى لاجئين على حدود هذا الوطن ، وتقف قوى السيطرة والعدوان اليوم حائلا دون حقهم الثابت في العودة اليه والعيش فيه ، برغم قرارات الأمم المتحدة التي كان آخرها في العام الماضي » .

### لا يمكن وقف الفلسطينيين :

وأشار الرئيس العربي الى قول جونسون « ان مشاكل العصر لا يمكن حلها عن طريق اخراق الحدود بين الدول بواسطة الرجال والسلاح » قائلا : « اذا كان قصدكم هو عبور بعض افراد الشعب الفلسطيني خطوط الهدنة فاني أود هنا أن أشير الى ضرورة بحث هذا الجانب في نطاق النظرة الشاملة لقضية فلسطين ، وهنا ايضا اتساءل عن مدى قدرة أية حكومة في أن تسيطر على مشاعر أكثر من مليون فلسطيني فات ما يقرب من العشرين عاما دون ان تهتم العائلة الدولية باعادتهم الى أوطانهم ، ان ما يقوم به بعض افراد الشعب الفلسطيني من عبور خطوط الهدنة ان هو في الواقع الا مظهر من

(١٥) الرسالة والمذكرة تحملان تاريخ ٢٣ مايو (ايار) ١٩٦٧ .



مظاهر الفضب الذي أصبح - عن حق - يملك هذا الشعب ازاء الانكار الكامل لحقوقه من جانب العائلة الدولية ومن جانب القوى التي تقف مع اسرائيل وتعاونها ماديا وادبيا . »

ورحب الرئيس العربي بوصول مستر همفري وانه سوف يكلف نائب الرئيس السيد زكريا محي الدين بالسفر لمقابلة الرئيس جونسون وشرح الموضوع مواجهة (١٦) .

وهكذا قدمت الولايات المتحدة اطمئناتها الى بيانات الجانبين من ان الحشود لأغراض دفاعية وأنها تعارض معارضة كاملة أي عدوان في المنطقة ، فأصبح واضحا أن واجب العرب هو الا يبدأوا هجوما ، وأن اليهود لن يهاجموا لأن امريكا وهي حاميتهم وصانعتهم قد ضمنت أن يكون موقفهم دفاعيا .

على ان هذه الرسائل ليست كل شيء في الموضوع ، فلقد ثبت ما هو اكبر وأهم ، ان الولايات المتحدة تبدي من الاهتمام ما هو أعظم من أن يكون اهتماما دوليا بأحداث الشرق الاوسط ، ويتركز هذا الاهتمام في تكرار أن الجمهورية العربية يجب أن تتحلّى بضبط النفس فلا تبدأ باطلاق النار ، وأن امريكا ضامنة الا تبدأ اسرائيل ذلك ، ففي السادس والعشرين من مايو (ايار) سلمت للسفير العربي بواشنطن رسالة في هذا المعنى تنذر أن مصر ستواجه نتائج خطيرة اذا بدأت اطلاق النار (١٧) بل لقد تعدى هذا الاهتمام الأمريكي الاتصال المباشر ، وسرعان ما رفع الرئيس الأمريكي سماعة الخط الأحمر بين واشنطن وموسكو ليقول لسادة الكرملين : ان العالم مهدد بخطر حرب عالمية ، اذا تحركت القوات المصرية ضد اسرائيل ، داعيا لهم بالتدخل بينما

(١٦) كان هذا الرد يحمل تاريخ ٢ يونيو ١٩٦٧ .

(١٧) كان النص الرسمي الذي سلمه والت روستو مستشار الرئيس جونسون للسفير العربي بواشنطن هو : ان ابا ايبان نائب رئيس الوزراء الاسرائيلي ووزير الخارجية حضر وطلب مقابلة المستر دين راسك وزير الخارجية الامريكية لامر لا يحتمل الانتظار دقيقة واحدة ، وذلك لانه قد وصلتهم معلومات بأن الجمهورية العربية المتحدة ستقوم في هذه الليلة بهجوم مفاجيء على اسرائيل وأنه مكلف شخصا من الرئيس ليندون جونسون بابلاغ الجمهورية العربية المتحدة بأن هذا لو تم سيؤدي الى نتائج خطيرة للغاية ، وأنه يود أن يؤكد لنا ان الحكومة الامريكية من ناحيتها سوف تبذل كل جهد من اجل منع اسرائيل من البدء بأي عمليات عسكرية ضد الجمهورية العربية المتحدة . نشر هذا في مقال ( بصراحة ) لمحمد حسنين هيكل بالاهرام ٢٣ يونيو ١٩٦٧ وعن وثائق وزارة الخارجية المصرية التي عرضت في اجتماع وزراء الخارجية العرب .

ضمنت امريكا الا يتحرك الجيش الاسرائيلي » (١٨) . وفي الساعة الثالثة والنصف بعد منتصف الليل وبينما سكن كل شيء في القاهرة كانت سيارة واحدة تنهب الطريق الى منزل الرئيس جمال عبد الناصر ليبلغه سفير الاتحاد السوفييتي شخصا الا تكون مصر البادئة بالهجوم . (١٩) وأرادت امريكا ان يكون تدخلها افعّل من كل هذا ، فأكد وزير الخارجية الامريكية للسفير العربي في واشنطن في اليوم الاول من يونيو أن امريكا لن تسمح لأي طرف بأن يبدأ قتالا مسلحا ، بل لقد كانت الخدعة الامريكية أعمق واكبر حتى انها قدمت مشروعا لمجلس الامن يدعو الى التهدئة وقال مندوبها الأمريكي الصهيوني المستر غولد برغ : « ان مشروعه يدعم نداء السكرتير العام لايجاد فترة تنفس كي يسمح للتوتر بأن ينخفض عن مستواه الحالي ، ومن أجل هذا حدث هذا القرار جميع الاطراف على ممارسة ضبط النفس اللازم ، لكي يتاح لهذا المجلس وللدبلوماسية الدولية بأن تلاحق الخطوات الاخرى اللازمة لتهدئة الحالة والاتجاه نحو السلام . »

تجمعت كل هذه الاتصالات : تأكيدات امريكية على جميع المستويات وبكل السبل ، اتصال سوفييتي يرجو ويؤكد ويضمن ، تدخل السكرتير العام للأمم المتحدة والاتفاق معه على عدم الهجوم ، وانتظار بحث دبلوماسي أشمل ، ورأي بعض المهتمين بل رأي بعض القادة العسكريين ممن كان في يدهم تحريك الجيوش ، ان المسألة ستسوى بأي طريق الا طريق الحرب (٢٠) ، على أن الوقائع أثبتت أن يوم الهجوم الاسرائيلي لم يكن سرا مغلقا على الجميع ، فقد أكد الرئيس عبد الناصر انه أبلغ القواد جميعا توقع الهجوم الاسرائيلي في الخامس من يونيو ، كما أعلن رئيس وزراء الاردن ان الملك حسين أبلغ من يهمهم الامر بهذا التاريخ الذي علمه من مخابراته ، وأذاعت وكالة الاسوشيتدبرس في اليوم الرابع من يونيو ( حزيران ) ان الرئيس جمال عبد الناصر لا يستبعد اقدام اسرائيل على اتخاذ خطوة متهورة ، ويدفعنا التسجيل التاريخي أن نذكر أن باحثا عسكريا عربيا كتب في اليوم الثلاثين من شهر مايو ( ايار ) يقول « ان اسرائيل أعلنت التعبئة العامة في اليوم الثالث والعشرين وسوف تتم التعبئة في الرابع من يونيو ( حزيران ) وهي حتما ستهاجم الدول العربية في صباح الخامس من يونيو » (٢١) .

(١٨) محمد صبيح ، المعتدون اليهود من موسى الى ايام دايان ، القاهرة ١٩٦٨

(١٩) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر يوم وقف اطلاق النار ٩ يونيو ١٩٦٧ .

(٢٠) محمد حسنين هيكل ، الاهرام ١٩٦٨/٦/٢١

(٢١) هو اللواء الركن محمود شيت خطاب بجريدة العرب ببغداد .



## الراي العالمي مع اسرائيل :

وكانت الامور لدى اسرائيل تأخذ شكلا آخر ، فقد كانت التعبئة عامة وشاملة ، وكانت الاسلحة تتدفق عليها من أمريكا وبريطانيا وغيرهما ، ولم تأبه اسرائيل بمزارع القمح تترك بلا حصاد ولا بالمرافق تترك بلا عمال في سبيل شمول التعبئة وعمومها ، وتولت الدعاية الصهيونية تصوير الموضوع للعالم صورة مزورة ولكنها مؤثرة ، دويلة صغيرة تتزاحم عليها شعوب عربية كبيرة كثيرة للفتك بها والتهامها ، وكتبت كل اسرة يهودية بل كل سيدة او رجل الى اصدقاء لهم في اوربا وأمريكا بعضهم يشرح الاحداث وما ينتظر من خطر ، وبعضهم يسألون اصدقاءهم أن يعملوا على تجهيز غرفة صغيرة - كان يسكنها قبل أن يسكن اسرائيل - ليعود لها مع اطفاله وأسرته لاجئا من العرب ، وأقيمت الصلوات في العواصم الاوروبية بمعابد اليهود تحت اعلانات شاعرية وصحفية كبيرة دعاء لانتفاذ اسرائيل من محنتها ، وجسمت الدعاية الاسرائيلية تحركات العرب فصورت جنود العرب من كل بلاد وهي تستعد للفتك باسرائيل ، وأخذت خطابات السيد الشقيري رئيس منظمة تحرير فلسطين بما فيها من تهديد ووعيد ونشرتها بين الشباب والاسر في العالم (٢٢) وفشلت الدعاية العربية الرخيصة في ايضاح الحق العربي ، واستفلت الصهيونية اذاعتنا التي كانت لا تنفك تهدد وتتوعد وتعلن أن ساعة الفصل مع اسرائيل قد حلت ولا سبيل الى ارجائها ، وكان واضحا أن هذه الاحداث بصورها المختلفة اثرت في اوربا وشهدت بنفسها كيف كان اغلب الراي العام في بريطانيا وايطاليا يقف الى جانب اسرائيل لا معنويا ولكن حتى بوسائله المادية (٢٣) ، واذا كنا لسنا في حاجة الى شرح موقف الشعبين البريطاني والأمريكي حيال هذا الموضوع فإني أغلبتهم معروف ولكننا نسوق وصفا لوضع الراي العام الفرنسي الذي يحكم بلاده الرئيس ديغول وهو رجل قوي

(٢٢) نشرت جريدة العمل اللبنانية بتاريخ ٢ يونيو ١٩٦٧ أحد احاديث السيد الشقيري وفيها هدد بابادة كل اليهود الذين هاجروا الى فلسطين فلما سئل عن مصير اليهود الذين ولدوا في فلسطين قال ان من يبقى منهم حيا يبقى في فلسطين وان تقديراتي ان أحدا لن يبقى منهم على قيد الحياة وكان له خطاب في المسجد الأقصى يوم الجمعة السابقة للمدوان أعلن السيد سعد جمعة رئيس وزراء الاردن ان الشقيري لم يستجب للنصح بعدم القائه وكان مليئا بالوعيد والتهديد .

(٢٣) عدت من لندن الى روما يوم ٣١ مايو ١٩٦٧ وطلبت من شركة ايطاليا السماح لي بالعودة الى مصر فاعترضت مشترطة ان امضي بقية الايام التي يحددها قانون السفر السياحي الا اذا كنت ذاهبا لتل ابيب ، فالتعليمات تقضي بعدم التقيد بالشروط في تلك الظروف ، ولما جادلتها اصرت بعنف ، وكلفت الصديق الايطالي امبرتو كاتيجو فاتصل بكبار الشركة واتضح انها مستعدة لتسهيل السفر الى تل ابيب فقط واضطرت لالفاء لذكرتي وشراء تذكرة جديدة.

لم يخضع للصهيونية ولم يد اي عداء للعرب في موقفهم المهم هذا . تصف جريدة سويسرية ذلك فتقول : « يتابع الراي العام الفرنسي بقلق وتحفز مجرى احداث الازمة في الشرق الاوسط فالاذاعات ومحطات التلفزيون والصحافة حتى اكثرها شعبية تلك التي لا تهتم عادة الا قليلا بالاحداث العالمية راحت تخصص كل يوم امكنة فسيحة جدا للموقف في هذا الجزء من العالم ، واذا كانت الحكومة الفرنسية اتبعت سياسة محايدة ، ولكن القسم الاكبر من الراي العام الفرنسي يقف مؤيدا اسرائيل ، ولقد كان رد الفعل الشعبي هذا من القوة والعنف بحيث شمل طبقات الشعب ، وأجبر الحزب الشيوعي على تخفيض دعمه لمصر وعلى الاصرار الآن على حق اسرائيل في البقاء ويتضح هذا التأييد لشعب اسرائيل في المظاهرات وبرقيات التأييد والتصريحات وتحديد الموقف ، والاجتماعات الشاملة والالتزام بخدمة اسرائيل بسائر اشكال الدعم ، وقد ضمت المظاهرات في باريس عشرات الالوف من الاشخاص ومنذ أمد بعيد لم يؤد اي حدث دولي الى اجتماع مثل هذا العدد ، وأطلقت نداءات في الصحافة تحض المتطوعين على تسجيل اسمائهم ، وهكذا تم خلال عدة ايام وصول ثلاثة او اربعة آلاف فرنسي الى شارع ( هوش ) حيث يوجد مقر « التجمع الفرنسي من اجل اسرائيل » وتنفي الاشارة الى « صندوق التضامن مع اسرائيل » الذي اقيم لجمع الاموال ، ان الراي العام مندفع بحركة سخية تعبر في آن واحد عن قلقه امام تطور النزاع ودعمه الاجماعي لاسرائيل » (٢٤) .

على ان الصهيونيين الذين نجحوا في استعطاف الراي العام العالمي ، والذين سيروا أمريكا لتكون مطيتهم في منع العرب من اتخاذ اجراء حاسم سريع ، والذين استطاعوا ايضا تسخير الاتحاد السوفييتي بواسطة أمريكا من ان يسهم هو ايضا في مطالبة العرب بضبط النفس وعدم الهجوم ، هؤلاء الصهيونيون استمروا حتى آخر يوم قبل هجومهم الخطير يواصلون خداع العرب ، صرح موشى دايان وزير الدفاع (٢٥) الاسرائيلي في مؤتمر صحفي عقده بتل ابيب ونشر في الرابع من يونيو ( حزيران ) ان اسرائيل ترحب بما تستطيع الحصول عليه من مساعدة في المجال الدبلوماسي واننا ننتظر المفاوضات الدبلوماسية قبل ان نقدم على عمل من طرف واحد » وقال « ان ما لدى اسرائيل من الدبابات والجنود اقل مما لدى الجانب الآخر غير ان الكثير يتوقف على المكان الذي ستقع فيه المعركة » وقال « بما ان قاذفات القنابل البريطانية لن تقصف المطارات المصرية كما فعلت في عام ١٩٥٦ فان

(٢٤) جريدة تربيون دي جنيف ٣ يونيو ١٩٦٧

(٢٥) وكالة روتر في برقية من تل ابيب نشرتها صحف لبنان يوم ٦/٦/٦٨



أحدا ما يجب بطبيعة الحال ان يدفع الثمن اذا وقعت الحرب ، وسيسرني جدا اذا عمل جانب آخر على تأمين حرية المرور في الخليج بالوسائل الدبلوماسية واعتقد ان هذا العمل يجب ان يأخذ نصيبه من الاهتمام » .

وحين سئل دايان عما اذا كانت مصر ستستعمل الصواريخ او الغاز ، قال : « قد يحاولون وفي وسعهم ان يحاولوا » .

والذي يطلع الآن بعد أحداث الخامس من يونيو ( حزيران ) على هذا المؤتمر يدرك كيف كان عمق الحيلة والخديعة الصهيونية ، فليس في هذه التصاريح أي تهديد باستعمال العنف او الحرب وكلها تتعلق بانتظار المساعي الدبلوماسية ، وتكبر من الحجم العددي للدبابات والجنود العرب وتقر بان في وسعنا ان نستعمل الصواريخ والغاز .

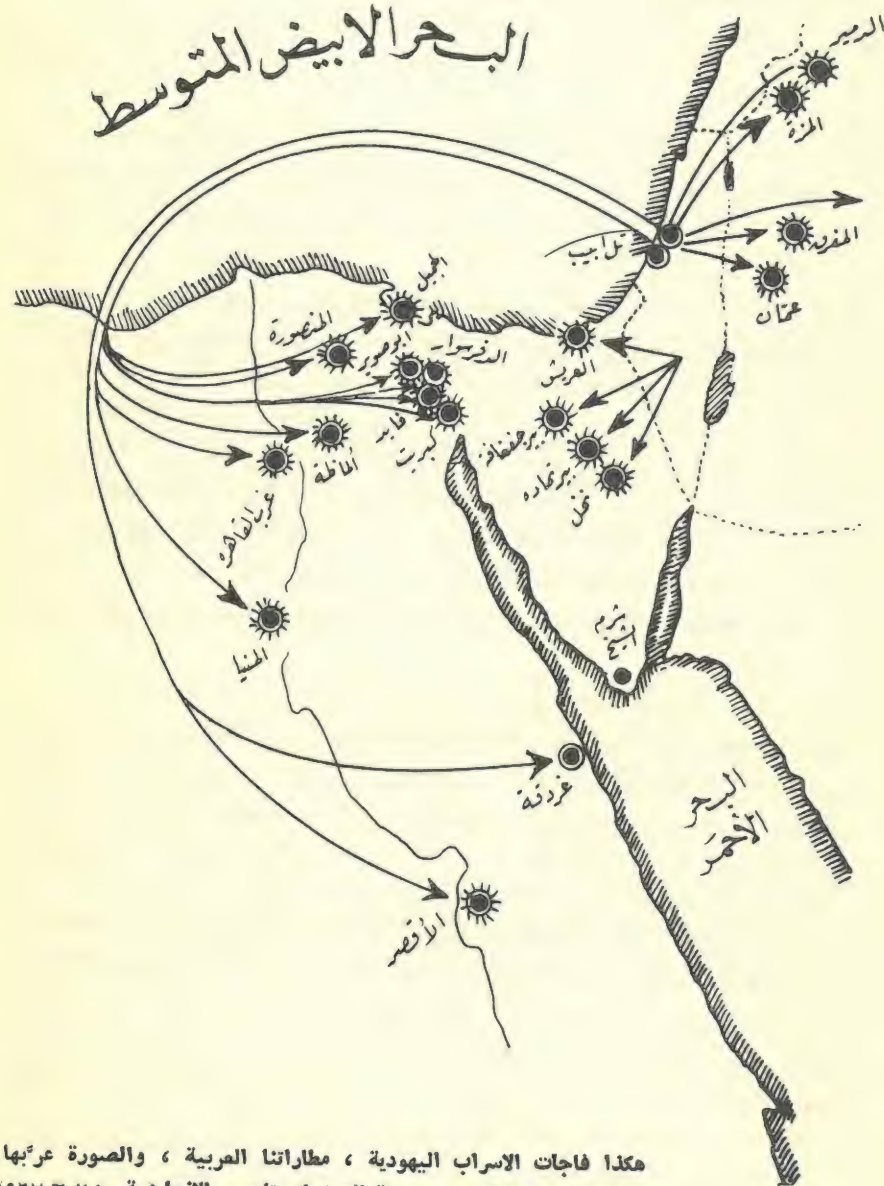
وكانت كل هذه التعبيرات تخفي الحقيقة المحددة لدى موسى دايان ، وهو أنه حين كان يلقي هذا التصريح كان قد أعد فعلا سلاحه وطائراته ، وحدد لها المكان المهم الذي يجب ان يهاجم أولا ، وعيّن لها أيضا الزمان المناسب الذي تبدأ فيه عملها ، ولم يكن كل ذلك ببعيد عن تصريحاته الا ساعات تعد وتحصى ، حيث نفذت الخديعة التاريخية التي نسجتها الصهيونية في اسرائيل وعملت على اخفائها امريكا واشركت فيها اكبر الدول عونا لنا ومساعدة ، نفذت تلك الخديعة التي أصابت الامة العربية في صميم وطنها وكبرائها بعيد الساعة الثامنة من صباح الخامس من يونيو ( حزيران ) ١٩٦٧ ( ٢٦ ) .

#### الصباح المشؤوم ( الخامس من يونيو « حزيران » ١٩٦٧ ) :

حين آوى الناس الى مخادعهم في مساء الرابع من يونيو ( حزيران ) كان آخر ما في اسماعهم ذلك النبا الذي اذيع من واشنطن ويفيد « ان الرئيس جونسون أكد أن الولايات المتحدة تكرر تعهدها بالمحافظة على الحدود الإقليمية لكل دول المنطقة بالشرق الاوسط ، وأنها لن تكون الى جانب الدولة المعتدية » ، وكان تصريح رئيس الولايات المتحدة هذا يمثل القمة في استعمال الفاظ الخداع الدولي على مستوى العالم كله ، والدخول في مؤامرات وضيفة لتحطيم شعوب وبلدان واذلالها لصالح عصابات مفتصبة وجماعات فرضها باطل هزيل ، ولعل التاريخ لا يعرف مثل هذا الاسلوب من الخداع الخطير الذي استعملته امريكا ضد الامة العربية طوال ايام الازمة والى صباح الخامس من يونيو ( حزيران ) حيث اتضح كل شيء ، لقد دبرت اسرائيل أمرها ، وخططت لحرب مفاجئة بعد ان بذلت هي وامريكا كل ما في وسع الفكر من اساليب الخديعة طوال اسبوعين كاملين .

( ٢٦ ) انها الساعة التاسعة بتوقيت الجمهورية العربية المتحدة الصيفية .

ففي الثامنة صباحا كانت الطائرات الاسرائيلية تهاجم جميع المطارات المدنية والعسكرية في الجمهورية العربية المتحدة ، استطاعت ان تغرق عليها جميعا في وقت واحد وبأسراب متلاحقة .



هكذا فاجت الاسراب اليهودية ، مطاراتنا العربية ، والصورة عربها محمد الامين صالح عن جريدة الصنداي تايمس الانجليزية ١٩٦٧/٦/١١



استطاعت الطائرات الاسرائيلية ان تخرج من مطاراتها في الساعة المحددة وان تطير متجهة غربا فوق البحر بارتفاع منخفض حتى اذا تجاوزت الاسكندرية اتجهت متوزعة في طيرانها المنخفض الى جميع المطارات تحطم ما أمكن تحطيمه وتعطب الممرات الجوية وتلقي مع صواريخها وقنابلها قنابل زمنية توالي العمل في الدقائق القليلة التي تغيب فيها الاسراب المغيرة ، حتى لا يوجد وقت لتلافي الكارثة او اللحاق بالعدو .

كانت هذه المفاجأة الاسرائيلية خطيرة بالنسبة للاعداد العربي ، وقد استطاعت اسرائيل ان تختار لها الطريقة التي تضمن نجاحها وأن تستعمل فيها كل سلاحها الجوي حتى لم تبق في مطاراتها الا ثماني طائرات ( ٢٧ ) .

وقد قبلت اسرائيل ان تقوم بهذه المفاجأة الخطيرة التي كان من الممكن ان تنقلب شرا ودمارا عليها - لو لم تنجح في تنفيذ خططها باتقان - في سبيل التخلص من سلاح جوي قوي هو سلاح الجمهورية العربية المتحدة والذي كان مخيفا لاسرائيل ، وكان ملتزما ايضا بالدفاع عن الجبهتين الاردنية والسورية ، وفي نفس الوقت الذي بدأ فيه الغزو الجوي الاسرائيلي لمطارات مصر جميعها ، بدأ الهجوم البري آمننا مطمئنا ، جانب عربي يقبع في الصحراء منذ اكثر من اسبوعين تخلو سماؤه من اية حماية جوية ، وجانب اسرائيلي قصيرة خطوط تموينه ، قريب من مناطقه العامرة والمحصنة ، معزز بسلاح جوي حطم سلاح عدوه ، وتفرغ لأن يكون في عون الدبابات والمشاة والمظليين .

ولقد وضع بعد أيام أن القيادة العربية في مصر أصيبت بشلل فكري نتيجة المفاجأة الاسرائيلية ، فلم يستمر توجيه الجيش الكبير والقوات المهمة المرابطة في سيناء توجيهها مدروسا ومفيدا ، فانفرط بذلك عقد النظام ، وسرى الخلل في صفوف الضباط والجنود الشجعان المرابطين وسط الصحراء ، وحين وصلت بعض الاوامر كانت مربكة ، فبينما يطلب من البعض الدفاع يطلب اليه الهجوم ، وبينما يطلب من البعض الانسحاب يطلب اليه الدفاع ، وكما حدث للقيادة في القاهرة هذا الاضطراب الخطير حدث ايضا لبعض من كانت اختارتهم قوادا في الجبهة ، وقد أوضحت محكمة الثورة بالقاهرة خلال شهر ابريل ١٩٦٨ أن قائدا برتبة لواء كان يقود فرقته التي كان عددها اكبر من قوة العدو المواجهة ، ومدرباتها أكثر وأقوى مما لدى العدو ، ولم يشترك طيران العدو ساعتئذ في المعركة ، ومع هذا فقد اصدر الامر بالانسحاب للمرة

( ٢٧ ) صرح بذلك الجنرال مردخاي قائد السلاح الجوي اليهودي .

الاولى ثم للمرة الثانية ، ثم ادعى انه مطلوب في مكان بعيد وتخلي عن فرقته ، الامر الذي سبب خسائر جسيمة لتلك الفرقة الشجاعة التي قاتلت وهي تنفذ امر القائد بالانسحاب حتى استطاع العدو أن يتغلب على دفاعها المجيد في أحد الممرات الضيقة بالصحراء ( ٢٨ ) .

ولا ريب أن اليوم الخامس وما بعده من يونيو ( حزيران ) كانت أياما عصيبة على الأمة العربية وعلى جيوشها في ميادين القتال ، واذا كنا هنا نتكلم عن جيش مصر في صحراء سيناء فلأنه أكبر الجيوش وأكثرها تدريبا وأعظمها امكانيات ، واذا كانت أكثر التفاصيل الكاملة لحرب الصحراء غير متوافرة الا من جهات اجنبية لا يؤمن حديثها ، فان بعض تلك التفاصيل تعطي صورة عن الاحداث الاليمة التي حلت بجيش كان امل العرب والاسلام لتواريخ بعيدة ، لقد كان الجيش الممتد على طول مائة وأربعين ميلا في صحراء سيناء مخيفا لاسرائيل مرعبا لها ، ولا ريب ان بعضنا كان يرى لو أنه بدأ هجومه بعيد تجمعه لتغير وضع المنطقة ولتحدثت العرب عن النصر الذي احرزوه وعلموه لأجيال وأجيال ، ولكن الرئيس جمال عبد الناصر شرح عدم البدء في المعركة واطلاق الرصاصة الاولى وقال : « لو كنا فعلنا ذلك لكنا عرضنا انفسنا لعواقب وخيمة تزيد عما كان في مقدورنا احتماله ، ولقد كان ما سوف نواجهه هو عمل عسكري امريكي مباشر ضدنا يجدد الحجة والعذر من أننا اطلقنا الرصاصة الاولى » ( ٢٩ ) .

والحق ان هذا الموضوع يأخذ الآن بالأحاديث في كل مجلس عربي وفي كل بلد عربي ، هل كان ممكنا أن يكون العرب البادئين بالهجوم ؟ مع تأكيد تدخل امريكا باسطولها السادس وقواتها المستعدة ، وهل كان يجرحنا تاريخنا أن نهزم أمام قوات امريكا الكبرى وأساطيلها العاملة ؟ على ان احدى وجهات النظر تتلخص في أن بدءنا بالهجوم سيمكننا في سرعة فائقة من تحطيم قوات اسرائيل الضيقة المساحة ، وسيمكن لقواتنا من أن تدخل او تشرف على أهم مدنها وعاصمتها ، وبذلك ان لم نفرض شروطنا العادلة

( ٢٨ ) راجع محاضر محكمة الثورة وما نشرته جريدة الاهرام خلال ابريل ١٩٦٨ منقولا عن خطاب رسمي من القيادة العامة الجديدة للقوات المسلحة العربية .  
( ٢٩ ) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في ٢٣ يوليو ( تموز ) ١٩٦٧ .



وحققنا المهدور فلا أقل من أن نكسب جولة في حرب طويلة ومع عدو دخيل وسط وطننا العربي ، ولا أقل من أن ننفذ قرارات الأمم المتحدة بإعادة أهل الوطن إلى وطنهم ، وتدخّل أمريكا ضدنا في حالة انتصارنا الخاطف قد لا يمنعنا من أن نفرض ( كمرحلة أولى لنصرنا ) حدود إسرائيل الضيقة كما شاء لها قرار التقسيم عام ١٩٤٧ أو مشروع برنادوت الذي جعل النقب عربيا لا يفصل فيه حاجز بشري اجنبي بين الوطن الواحد ، ان هزيمة عربية أمام قوات أمريكا واستعداداتها سوف لا تكون عارا يدين القيادة العسكرية العربية ويضفي هالة مجد على أعدائنا . على أن الدارسين لاعمق الامور يرون ان الموضوع لا ينحصر في ان هزيمتنا أمام قوات أمريكا سوف تجد لها تبريرا في المقارنة بين الحجم والاستعداد والامكانات ، ولكن الموضوع يتعلق بالنتائج ، فلو اننا بدأنا الضربة الاولى لما وجدنا وسط ذلك التيار العالمي المعبأ ضدنا أي صوت يقف الى جانبنا ، ولفرضت علينا قوات أمريكا صلحا مريرا مع إسرائيل يضمن لها حدودا جديدة وأراضي شاسعة وامتدادا لدولة صهيون من النيل الى الفرات ، ويختلف هذا عن وضعنا الراهن ، فقد وقفت الى جانبنا فرنسا التي تمسك رئيسها ديفول بكلمته الصادقة قبيل الحرب : « ان الدولة التي ستكون البائدة باطلاق الرصاصة الاولى لن تنال موافقة فرنسا ، ومن باب أولى تأييدها » ووقفت معنا أغلب دول العالم في جمعية الأمم حين أدانت إسرائيل وطالبتها بالانسحاب وشجبت اعلانها بضم القدس ، ثم جاء قرار مجلس الأمن الذي قرر انسحاب إسرائيل ولم تهمله الا أمريكا وكندا ، ثم ها هي شعوب أوروبا بدأت تدرك ان ذلك الحمل الوديع الذي خدع الجميع قبيل العدوان مدعيا الضعف والمسكنة ، ليس الا ذئبا مفترسا يتقمص دولة توسعية ارامية (٣٠) . ونحن الان في وضع لا نلام فيه اذا تمكنا من مهاجمة إسرائيل التي ترفض قرار مجلس الأمن وتمسك بأرضنا وتقيم فيها المستعمرات ، وهكذا يتضح الفرق فيما يرى البعض بين أن نبدا الهجوم أو نستعد للدفاع قبيل الخامس من يونيو ( حزيران ) .

وكيفما كان تصارع الآراء الآن بعد وضوح الهزيمة العربية المحزنة ، فإن هذا لا يبعد بنا عن ذكر حقيقة لا يمكن الانقسام عنها ، وهي أن تخديرات إسرائيل لنا وخدعها قبيل العدوان ومشاركة أمريكا لها في تلك الخدع المريرة ، وتسخير الاتحاد السوفياتي ليسهم في مطالبتنا بضبط

(٣٠) خرجت المظاهرات في السويد وبعض المدن الأوروبية خلال شهر ابريل ١٩٦٨ تهتف لمنظمة فتح وتطالب إبا إيبان وزير خارجية إسرائيل بالقبض والسخط حتى أخرج من أبواب جانبية .

النفس ، كل هذه لا تسمح بأن نفعل عن أجوائنا وحدودنا فنؤخذ على غرة، ونهاجم فجأة ونجد أنفسنا عزلا من سلاحنا الجوي ودرعنا المهم الذي تتعلق به مصائر أجيالنا وانظار شعوبنا في كل وطن عربي ، ان التحذير الأمريكي والرجاء السوفياتي هو الا نبدا الهجوم ، لا أن نترك الدفاع تصديقا للضمان الأمريكي واستنتاجا من الرجاء السوفياتي .

على ان هذه الهزيمة المنكرة التي حلت بالامة العربية كشفت عن اشياء كثيرة (٣١) استلزمت إعادة البناء من جديد ، فلقد أوضح الكاتب العربي محمد حسنين هيكل (٣٢) ان قيادتنا العسكرية لم تكن في مستوى المعركة منذ أن أصيبت بكارثة السلاح الجوي ، وأن الحرب كانت بين جيشين استوعب احدهما العلم وطبقه ، وبعد الآخر عن ذلك في جهل بيّن واضح ، وأن تلك القيادة ربطت بين الانسحاب الضروري الذي كان في العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ وبين ما يجب أن يكون حين حطّم الطيران في الخامس من يونيو ( حزيران ) فأصدرت أمرها بالانسحاب مستعجلة ومرتبكة ، وكان ذلك سببا جوهريا من أسباب الكارثة (٣٣) .

ان هذه الهزيمة المنكرة ليست صورة صحيحة لشعبنا العربي في مصر ولا في غيره من الاوطان ، فقد وضحت الاسباب مما ذكر عن القيادة وضعف مستواها وارتباكها ، كما وضحت بطولات عديدة وسط ميدان القتال لم تستطع ان تدوم بسبب انحلال الجبهة ، وبعد القيادة العسكرية عن التفكير السليم والتنظيم الصحيح ، لقد صمم أفراد من الطيارين العرب أن يقودوا طائراتهم رغم المدايح المحطمة والوقود القليل ، فهاجموا طوابير العدو ومقاتلاته ومطاراته ، فعلوا الكثير من ذلك بشجاعة وهم يدركون أن وقودهم لا يكفي للعودة وأنهم ملاقون آخرتهم ، وقد استشهد من هؤلاء الأبطال ما لا يقل عن أربعين شهيدا (٣٤) ركبوا فرس المجد ووجب لهم الخلود بيننا وفي جنات النعيم . وحدث التحام مع العدو من بعض القطاعات في

(٣١) ثبت أن قيادة المخابرات ايضا كانت أقل من مستوى الاحداث وانها ارتكبت اخطاء كبيرة كثيرة ضد الافراد والاسر ونشرت الصحف في القاهرة نص الاتهام المهيّن عن تلك الافعال المشينة التي تنظرها محكمة الثورة .

(٣٢) مقالاته ( بصراحة ) أعداد الجمعة شهر يونيو ١٩٦٨ .

(٣٣) يقول الاستاذ هيكل في مقاله ٢١ يونيو ١٩٦٨ : لقد كان جو الارتباك النفسي بالغ الاثر على ميدان القتال وربما كانت المحنة التي تعرضت لها الفرقة الرابعة المدرعة من أبرز النماذج الحية في تصوير حقيقة ما حدث في مساء اليوم الثاني من ايام المعركة ، صدر الامر بانسحابها دون ان تناح لها اية فرصة للقتال وفي اليوم الثالث طلب اليها العودة الى سيناء وفي اليوم الرابع واجهت عدوها في ظرف مادي ونفسي غير ملائم بينما قائدها في القاهرة .

(٣٤) انعم عليهم بنياشين البطولة بعد استشهادهم تخليدا لشجاعتهم .



سيناء الكبيرة وفي الجبهة الاردنية مجدها العدو نفسه واقر بشجاعة افرادها .

وما حدث في الجبهتين الاردنية والسورية لا يكاد يختلف الا قليلا مما حدث في الجبهة العربية بسيناء ، فلقد دخلت الاردن المعركة قبيل منتصف نهار الخامس من يونيو التزاما بمعاهدة الدفاع المشترك وكان لنجاح اسرائيل في تحطيم السلاح الجوي المصري اثر جوهري في نتائج المعركة ، فلقد تعرض الجيش الاردني وتعرضت القدس الخالدة لهجمات جوية متواصلة ، لقد كان القتال البري في الساعات الاولى يأخذ دور الانتصار للجيش العربي، حتى صرح أشكول رئيس وزراء الاعداء ان القتال يدور في ارض اسرائيل (٣٥) . واحتلت الاردن جبل المكبر وتنادى جنودها للمعركة على خطوط فاصلة تمتد ستمائة كيلومتر ، وبدأت المدافع السورية تدك المستعمرات اليهودية وتشعل فيها النار، ولكن ما ان اطمانت اسرائيل على تحطيم القوة الجوية المصرية خلال ثلاث ساعات والتي كانت شغلها الشاغل ، حتى تفرغت ابتداء من عشية الخامس من يونيو لمركتها مع الاردن ووجهت كل قوتها لاحتلال القدس ، كان الجيش الاردني قد قسم بين الدفاع عن القدس وبين الاتجاه جنوبا قصد الالتحام مع الجيش المصري الزاحف من سيناء ، وحين تأكدت فجيرة الطيران اتضحت معالم المعركة ومسيرها (٣٦)، ولكن القدس الخالد شهد دفاعا مجيدا استمر ايام الخامس والسادس من يونيو ( حزيران ) وكان القتال مريرا استعمل العدو فيه قنابل النابالم المحرمة دوليا ، وسلط سحابت متلاحقة من طائراته تدك المدافعين والآليات والمستشفيات ليلا ونهارا ، حتى صباح السابع من يونيو (حزيران) حيث اخذ القتال مواجهة بالسلاح الابيض ومن شارع الى شارع، لقد اطمانت اسرائيل الى الربكة التي حدثت في الجبهة الام ، وانفردت بجبهة القدس التي دفعت فيها قتلى كثيرين من جنودها وضباطها حتى دخلتها منتصرة ، وحققت بها حلم التاريخ الذي تكسر على صلابة المدافعين عنها طوال معارك عام ١٩٤٨ .

ولقد اشترك في الدفاع عن بعض خطوط الاردن وفي معركة القدس مع جيش الاردن الابي قسم من الجيش العراقي وفئة من صاعقة الجيش المصري وجموع من فدائيي منظمة « فتح » ، وبرغم احتلال اليهود للقدس فقد بقيت

(٣٥) برقية وكالة الصحافة الفرنسية يوم ٦ يونيو ١٩٦٨ .

(٣٦) قال الملك حسين في خطابه اثر وقف اطلاق النار « ان قواتنا لم تخف تكاثر العدو وتفوقه خاصة في سلاح الجو بعد ان قل على غرة وبمكيدة مدبرة سلاح اخواننا الجوي الذي كان معتمدا ونصرنا مع كل طائرات سلاحنا ، فواجهت العدو دون غطاء وما كان لها من خيار . عن جريدة الدستور - عمان ٦٨/٦/٨

أعمال القناصة العرب مستمرة في تلالها ومرتفعاتها وشوارعها حتى اليوم العاشر من يونيو .

وتعلقت أنظار العرب بالجبهة السورية ذات المرتفعات المنيعه والمحصنة بالخطوط الدفاعية العسكرية المسلحة ، وحين جاء اليوم السابع من يونيو (حزيران) كانت اخبار دمشق ان جيشها يزحف على المستعمرات اليهودية يحطمها ويحتلها ، وانه في الطريق الى الناصرة ، ولكن الاحداث اوضحت صورة اخرى بالغة الحزن والالم ، فقد استطاعت قوات اسرائيل أن توجه ثقلها الى جبهة مهمة ، فتراجع الجيش السوري ككل جيوش العرب في تلك الايام السوداء ، وبلغ من ريبته ان المرتفعات لم تأخذ حقها من الدفاع ، ثم اذيع سقوط القنيطرة واضطرت سوريا ان تبعث الى مجلس الامن شاكية اسرائيل انها لم تلتزم بوقف اطلاق النار (٣٧) .

وكان واضحا ان اسرائيل اغتنمت النصر المفاجيء والذي لم يخطر لاي اسرائيلي ان يناله منذ ان وجدوا في التاريخ قبل آلاف السنين ، وبذلك لم تأبه لقرار وقف اطلاق النار في اية جبهة عربية ، لقد كان البلاغ المصري قبل الاخير الصادر صباح التاسع من يونيو ( حزيران ) يقول : « على الرغم من قرار وقف اطلاق النار الذي التزمت به الجمهورية العربية المتحدة وأبلفته الى مجلس الامن فان قوى العدو ما زالت تواصل هجماتها ضد قواتنا في غرب قناة السويس وما زالت الغارات الجوية على منطقة القناة مستمرة » .

اما في الجبهة الاردنية فقد جاء في خطاب الملك حسين في اليوم الثامن من يونيو ( حزيران ) قوله : « اننا لا نمانع في وقف اطلاق النار وتقلنا هذا الى المنظمة الدولية والدول الاربعة الكبرى ، لكن المؤامرة كانت ارحب ابعادا من كل سلوك اخلاقي واذا بالعدو يقذف بكل ما لديه من قوى امام بقايا سيوفنا يريد أن يفلها الى الشمال ، وكان الفطاء الجوي هو سبب تفوق العدو » .

اما في سوريا فقد ذكرت البلاغات الرسمية من رقم ٥٦ الى رقم ٦٣ الصادرة في التاسع من يونيو (حزيران) ان القوات الاسرائيلية بدأت هجومها على المواقع السورية الامامية على الرغم من ان القوات السورية التزمت بقرار مجلس الامن وتوقفت عن اطلاق النار .

وهكذا احتلت اسرائيل بعد وقف قرار اطلاق النار بساعات وأيام

(٣٧) كان مجلس الامن قد قرر وقف اطلاق النار في السادس والسابع من يونيو (حزيران) وقبلت الاردن ومصر ذلك في يومي ٧ و٨ يونيو على التوالي .



يحيون في رقعة تحتل أهم مناطق العالم ، ويتعلق بشرف ومعتقدات ستمائة مليون مسلم ينتشرون في أصقاع عديدة على جانب كبير من الأهمية العالمية، وكتابنا هذا إنما يتحدث عن هذه الكارثة من خلال علاقتها بقضية فلسطين وجهاد شعبها ، وما يتطور بذلك وعن ذلك من أحداث ، ولكن هذه الهزيمة العربية النكراء لو لم تحدث لحقق النصر لفلسطين وشعبها الأبوي ، ولأمكن للامة العربية أن تطوي صفحة القلق التي عاشتها منذ عشرات السنين، ومنذ ان اتضحت الاسس البريطانية لاقامة دولة اليهود . ولهذا فان اختصار الحديث لا يسمح بأن نصمت عن ذلك السبب الجوهري المهم الذي حقق هزيمتنا في الوسط العالمي ، لقد استعمل اليهود سلاح المباغتة فنجحوا فيه، والمباغتة نوع من الاسلحة المعروفة لا تقل أهمية عن الاسلحة الجوية والبرية والبحرية ، ولكنها أكثر فعالية لأنها اذا نجحت عطلت الفكر الذي يدير الاسلحة الأخرى ، وهذا تماما ما حدث معنا في ذلك الصباح الكئيب ، حيث نجحت اسراب العدو في التسلل القدير الى جميع مطارات السلاح العربي فحطمت وحطمت جميع ممراته ، وبذلك أصبحت تلك الجيوش التي ترابط في الصحراء البعيدة ، أو في مناطق الاردن وتحت مرتفعات سوريا معرضة لطيران العدو وفاقدة القدرة الكاملة على التحرك الصحيح .

ترد هنا تساؤلات كثيرة ، فحواها ان الطيران لم يكن ضروريا في حماية مرتفعات جولان المحصنة والمتحكمة فيما تحتها من مستعمرات يهودية ، وأنه أيضا كان يمكن ألا يكون اختفاؤه كبير الضرر لو ان جيوشنا في سيناء التحمت مع العدو واستطاعت أن تنقل المعركة الى اراضيه المزروعة والعامرة، وأنه تبعا لهذين الوضعين كانت المعركة في الاردن ستكون أقل ثقلا حيث تشغل قوات اسرائيل بزحفين في داخل اراضيها يمكنان للجهة الاردنية من عمل مجيد فعال .

وعلى ما في هذا القول من قوة تعبير تأخذ بتفكير الكثيرين ، فان الامر الذي يجب الا يغرب عن كل مهتم ومشغول بأحداثنا انشغالا صادقا نظيفا ، هو أن المفاجأة بضرب السلاح الأهم وتحطيمه لا تحصر اثرها في التحطيم المادي للسلاح ، بل هي تتعداه الى التحطيم الفكري للقادة ، ولا تكون المفاجأة ناجحة وقديرة الا بقدر ما ينتج عنها من ربكة العدو ، وسبقه الى اتخاذ اجراء مقابل واصلاح أحداث المباغتة ، حتى تضيق امامه معالم المعركة ويفرق في بحر من التوهم والارتباك ، ولهذا كانت دراسة العدو لمهاجمتنا واخذنا على غرة والفدر بنا دراسة قدرت كل الاحتمالات ، حتى ان الاوامر التي صدرت الى طياريه كانت واضحة ان تعود بسرعة دون التحام مع الطيران العربي في حالة ان يكتشف امرها قبل تنفيذ المخطط الفادر .



الصخرة المشرفة وقد تغاصر حولها ابناء صهيون في وضع لا اخلاقي  
ستبقى الصخرة منتظرة شاخصة الى كل مسلم حتى تنهش النفوس ويبدأ الزحف

مساحات شاسعة من الاردن وسوريا وتوقف جيشها في وطننا العربي على الضفة الشرقية لقناة السويس وفوق مرتفعات جولان السورية المهمة وعلى ضفاف نهر الاردن مستحوذة على كل الضفة الغربية .

#### لا نصر بلا طيران :

لا يكفي بحث عاجل للتحدث عن اسباب الكارثة التي حلت بنا منذ الخامس من يونيو ( حزيران ) فالموضوع يتعلق بمصير مائة مليون عربي



على أنه من الواضح لو أن القيادة لم ترتبك كما هو متوقع ككل قيادة في مثل هذه الحالة ، فإن الوضع لا ينتظر أن يقود إلى النصر ، بل ينحصر في أن تقل الخسائر ويتم الثبات المؤقت والانسحاب في ظل دفاع متين (٣٨) ولكن تلك الأوامر المربكة جعلت الجيش الأكبر يتلقى في انسحابه خسائر كبيرة جدا لا تقارن بخسائره أثناء الالتحام .

ومعلوم أن ضعف الفطاء الجوي وانعدامه امر حتمي في تقرير الهزيمة ، ولقد روت وكالات الأنباء تصريحاً لمعلق عالمي أن المفاجأة التي حدثت للسلاح الجوي العربي لو حدثت لأي بلد آخر لما كانت النتيجة تختلف عما حدث للعرب .

على أن هذا ليس امراً جديداً ولا غريباً ، يقول المارشال رومل القائد الألماني الشهير حين يصور يأسه من النصر : « أثبت التفوق الجوي البريطاني والأمريكي مراراً مدى فاعليته لدرجة أن أي تحركات للتشكيلات الكبيرة في الجبهة ، وخلفها نهارة و ليلاً ، قد أصبحت في حكم المستحيل » (٣٩) .

بل أن حديث رومل التفصيلي عن أثر سلاح الجو في عرقلة الجيوش وتجميدها وتحطيمها لخليق بأن يثبت هنا لندرك كم كانت قاضية تلك الضربة الموجهة لطيراننا وانفراد العدو بالسيطرة الجوية ، يقول رومل : « كان للعدو التفوق الجوي وتتوقف ( لذلك ) تحركاتنا بالنهار تماماً على وجه التقريب ، على الطرق والخطوط الحديدية والمدقات والأرض المفتوحة وذلك لنشاط تشكيلات القاذفات المقاتلة وينتج عن هذا شلل حركة قواتنا في المعركة ، ويتحرك العدو بحرية ويصبح من الصعب للغاية توصيل الإمدادات الضرورية للقوات المقاتلة » (٤٠) .

والمارشال رومل يتحدث عن القتال حين بدأ الحلفاء غزوهم في منطقة نورماندي بأوروبا حيث يمكن الاختفاء والحماية ، فإذا كانت سيطرة العدو الجوية في صحراء سيناء المكشوفة العارية كان الموقف رهيباً وأكثر سوءاً ، يقول رومل : « وفي النهار تضطر قواتنا المقاتلة والرئاسات للبحث عن سواتر في الأرض المغطاة بالغابات والأراضي الضيقة بغرض الهروب من الضرب الجوي المستمر » (٤١) .

- (٣٨) الأستاذ هيكل في مقاله « بصراحة » عدد الأهرام ٢١ يونيو ١٩٦٨ : « أن الأوامر المربكة سببت لاحدى الفرق المدرعة في سيناء خسارة ٧٥٪ من المعدات .  
(٣٩) مذكرات رومل ج ٦ ص ٧٧٧ تعريب فتحي عبدالله النمر .  
(٤٠) المصدر السابق ص ٨١٤ .  
(٤١) المصدر السابق ص ٨١٤ .

ويطول بنا الحديث لو ذكرنا الشواهد التاريخية عن نتائج القتال حين يفتقد أحد الجوانب حمايته الجوية ، ويصاب بضربة خاطفة في هجوم مباغت ، وهجوم اليابان على الميناء الأمريكي بيرل هاربور حيث حطم أسطول أمريكا الفعال مثل سيطرة اليابان الجوية في معارك الشرق الأقصى ، حيث مكن لها من أن تحتل سنغافورة وسومطرة وماليزيا وغيرها من الأوطان والأرجاء ، وانسحبت قوات بريطانيا مضطرة كسيرة لم تستطع البقاء أمام القوات الجوية المتفوقة لليابان في أوائل الحرب (٤٢) .

وهكذا يتضح بما لا يدع مجالا لباحث أن يتشكك أن سبب الهزيمة كان نجاح العدو في تحطيم السلاح الجوي للجمهورية العربية المتحدة والذي كان السند المد للمعركة الكبرى في الميادين العربية كلها (❖) .

### صدى الكارثة وأثرها :

قضت شعوب الأمة العربية يومي الخامس والسادس من يونيو ( حزيران ) في سرور غامر ، فالمعركة المنتظرة التي أعدنا لها وربطنا بها المصير قد بدأت ، وبلاغتنا الرسمية التي تنقلها أجهزة الاعلام تفيد بالنصر العربي ، وبالفيت القيادات العربية في بلاغاتها ، فذكر بعضها اسقاط مئات الطائرات ، وذكر الآخر تقدم جنوده في أرض العدو ، وذكر الثالث أن مدنا كبيرة على وشك السقوط بيد جيشه الظافر المتقدم ، حتى إذا عرفت حقيقة الكارثة تحول ذلك السرور الغامر في شعوبنا جميعها إلى حزن أليم شديد ، ولقد كانت تلك القلوب الطاهرة في امتنا الكبيرة تعيش الأحداث ساعة بساعة ويوما بيوم ، وتحركت الجماهير في بلداننا انفعالا بتلك الأحداث ترسل النعمة والحمد على أعوان الأعداء وممثليهم ، وتظاهرت الجموع في لبنان وليبيا وتونس والمغرب والكويت والسعودية وغيرها في الشرق والغرب تتظاهر تأييدا لجيوشها ومرسلة غضبها وحقدتها على الأعداء ، واشعلت الحرائق في كثير من المحال واعتدي على

(٤٢) أن تلك الأخطاء التي رددتها الصحافة والتي تتلخص في حشد الجيش كله في سيناء إياما طويلة ثقيلة ، وعدم ترك احتياطي خلف الجبهة والزج بجنود ليسوا على مستوى عال من التدريب إلى الخطوط الامامية في بعض الجبهات وفشل مخابراتنا في الإحاطة بقوة العدو وعدم امتثال القيادة لنصائح بعض المخلصين من الأفراد والدول الصديقة ، كلها عوامل هامة ولكن كارثة الطيران كانت حاسمة .

(❖) قال انتوني ناتنج الوزير البريطاني المعروف في حديث لروز اليوسف ١٩٦٧/٦/٢٦ : « لقد كنت في فرنسا سنة ١٩٤٠ وشهدت كيف انهارت معنويات الجيش الفرنسي ومعنوياتي أنا شخصيا عندما تحققت سيادة الطيران الألماني على سماء فرنسا » .



ان اتحنى تماما ونهائيا عن أي منصب رسمي وأي دور سياسي ، وأن أعود الى صفوف الجماهير أؤدي واجبي معها كأي مواطن آخر » .

وكان اعلان الرئيس عبد الناصر عن رغبته في التخلي ، صدمة أخرى لشعوب الامة العربية ورجالها ، فمصر هي القوة الكبرى وسط هذه الامة ، والرئيس عبد الناصر هو الزعيم الذي استطاع أن يقف في وجه دول الاستعمار بشجاعة وصلابة ، وتنحيه في ذلك اليوم العصيب وان كان سوف يثبت للاعداء ومن وراءهم « ان الامة العربية هي الباقية وان أي فرد مهما كان دوره ومهما بلغ اسهامه هو أداة لارادة شعبية (٤٤) » ولكنه أيضا سوف يمد الاعداء بقوة من السعادة الفامرة التي لا تحدد ، وسوف يعتبر ذلك التنحي نصرا آخر يضاف الى نصرهم العسكري ، وسوف يكون عاملا من عوامل الايلام الشديدة لهذه الامة التي عقدت العزم على التحرر ، وليس في امكانها تلقي مزيد من الصدمات ، ولهذا هب الشعب في الجمهورية كما هبت شعوب العرب وحكامها جميعا مطالبينه بالعدول عن ذلك القرار الخطير وان يستمر في القيادة امام طوفان الاعداء وطفانهم .

ولم يكن ممكنا أن تحدث هذه الهزيمة المنكرة دون مسؤولية فأعلنت استقالة المشير عبد الحكيم عامر (٤٥) وعدد من القواد والوزراء ، ثم بدى في تحقيق قضائي عن أسباب الكارثة ، ونحن نسطر هذه الاحداث ولم تصدر بعد الاحكام في هذا الحدث الجليل الخطير \* ولقد اتضح بمرور الايام أن الكارثة كانت اكبر مما تعيها عقول المشاهدين عن بعد حيث ثبت أن الاعداء استطاعوا أن يحطموا ليس فقط السلاح الجوي العربي ، بل لقد دمروا وغنموا المعدات الثقيلة وفتكوا بالآلاف في خطوط القتال ، حتى أصبح زحفهم الى القاهرة ميسورا لا يكاد يكون في الامكان ان يجد جيشا يصده ويدفعه الى وراء (٤٦) .

وبذلك أصبح من اللازم اعادة بناء القوات العربية بناء جديدا وسلاحا جديدا وعنصرا جديدا وهذا ما أعلن حين تقرر في مصر تجنيد رجال المؤهلات العالية دون استثناء ، حتى يكون تفهم الآلات والتصرف فيها أيسر مما كان لدى الجنود العاديين .

#### مؤتمر القمة بالخرطوم :

وحان للعرب أن يلتقوا بعد هذه الهزيمة ، فانعقد في التاسع والعشرين (٤٤) جزء من خطاب الرئيس عبد الناصر ٩ يونيو (حزيران) ١٩٦٧ (٤٥) انتشر المشير عامر في اواخر اغسطس (آب) ١٩٦٧ . وقصة ذلك مفصلة في صفح

الشهر المذكور .  
\* بعد صدور الطبعة الاولى صدرت الاحكام ، ويقضي المحكومون الآن فترات العقوبة في السجن .  
(٤٦) أعلن ذلك الرئيس عبد الناصر خلال نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩٦٧ .

سفارات بريطانيا وامريكا ، واشتدت الدعوة الى مقاطعة هذه الدول وسحبت الودائع في ليبيا من البنوك البريطانية والامريكية . واضطرب جبل الأمن واضطر المسؤولون الى فرض منع التجول أسابيع طويلة ، واضطربت البلاد الاسلامية فخرجت المظاهرات في بلاد الافغان والباكستان واندونيسيا وتركيا تنادي بالانتصار للعرب (٤٣) . وسارت المظاهرات الضخمة في بعض دول اوربا وامريكا ، ولكنها كانت لتأييد اسرائيل وشحن الهمم لها ومعها .

وحين أعلن وقف اطلاق النار واتضح الموقف في جبهات القتال ، كانت الصدمة شديدة مربكة على الامة العربية ، ولم تصدق الجموع الكبيرة البريئة أن ذلك الاعداد الكبير الذي مضى عليه عشرون عاما في كل جبهة عربية ، انهار فجأة امام الاعداء كما تنهار كتيبان الرمال ، وأن أعداءنا والخطر الذي يتهددنا أصبح اكبر مما كان ، وأخطر مما نظن ، وأقرب الى أهدافه مما أمل العدو وانتظر وتمنى .

وبلغ ألم الصدمة لدى بعض الأفراد مبلغا خطيرا حتى ظهرت صور لاشخاص فقدوا قواهم العقلية ولاشخاص تركوا لحاهم دون تشذيب حزننا ولما ، ولغيرهم من حرّموا صناعة الأكل في بيوتهم فلم تجتمع أسرهم على مائدة ولم يلتقوا في حديث غير حديث الحرب والكارثة ، وخطورة الاعداء . وأغلقت في بعض البلدان دور السينما واللهو فلم يعد لدى الشعب وقت للاستمتاع رغم بعد المسافة عن حدود المعركة ، وعمّ عديد من بلاد العرب والاسلام مظهر عميق من الحزن الكئيب ، والكل ينتظر ساعات الفرج ، أو زحفا مقدسا تهون فيه الارواح وتعلو فيه كلمة الجهاد والتضحية ، لفصل العار وتحرير الديار .

#### استقالة الرئيس جمال عبد الناصر :

ولقد كان من آثار هذه الكارثة في الجمهورية العربية المتحدة اعلان الرئيس جمال عبد الناصر التخلي عن الحكم وكل عمل سياسي حيث كان خطابه للامة العربية في اليوم التاسع من يونيو (حزيران) بالغ الخطورة والاهمية اذ شرح النكسة بمقدماتها وتطوراتها ثم قال :

« لقد اتخذت قرارا أريدكم جميعا أن تساعدوني عليه ، لقد قررت

(٤٣) أصدرت السفارة العربية المصرية في أنقرة يوم الثالث من يونيو بيانا تشني فيه على أبناء الشعب التركي الذين تقدمت أعداد كبيرة منهم بطلب التطوع للقتال مع جيوش الامة العربية .



من اغسطس ( آب ) اجتماعهم في الخرطوم (٤٧) حيث تعلقت انظار الامة العربية رانية الى اقطابها في وقت غاصت فيه الكرامة العربية الى الاعماق.

واذا كان هذا المؤتمر قد جاء والعرب احوج ما يكونون اليه ، بعد تلك العواصف التي حالت دون انعقاده قبلا ، فان بعض الرؤساء لم يحضروا المؤتمر ، اذ تخلفت عنه سوريا واكتفت الجزائر والمغرب وتونس بايفاد مندوبين ، وكان لكل منهم عذر صحي او غير صحي ، ولكن المفهوم أن الجزائر كانت ترى ضرورة مواصلة الحرب ، وان أي مؤتمر لا يكون جدول أعماله يهدف لهذا هو مؤتمر غير ناجح ، « وان ثلاثة اشهر مضت يومئذ على العدوان دون أن تتحسن اوضاع الامة العربية بل على التقيض من ذلك ازدادت خطورتها في الوقت الذي يقوى فيه المعتدي الصهيوني ويدعم موقفه في المراكز التي استولى عليها » (٤٨) .

ومع تخلف هذا العدد من الرؤساء والاكتفاء بالمندوبين فقد حقق اجتماع الخرطوم تلاقيا هاما بين الملك فيصل والرئيس عبد الناصر ، ذلك التلاقي الذي وضعت فيه الخطوط الرئيسية في العودة الى اتفاقية جدة بين البلدين حول مشكلة اليمن (٤٩) ، وحقق أيضا بحث شؤون الساعة تلك التي تشغل امة العرب ، وكان اهم قراراته ان يعاود العرب ضخ البترول الى جميع الاطراف في العالم بحجة ان منع البترول عن اوربا سوف يحقق خسارة للدول المنتجة لا تمكنها من اداء رسالتها في العالم العربي وفي داخل بلادها أيضا ، وان ضخ البترول والاستفادة بأمواله أفيد للقضية العربية من استعماله كسلاح مؤثر لصالح تلك القضية .

### البترول بين المنع والضخ :

وكان قرار ضخ البترول مفاجئا للجميع ، فقد عاشت الامة العربية عشرين عاما وهي تقرأ لكتابتها وادبائها مئات المؤلفات التي كانت تسجل الحزن والألم لأن البترول لم يمنع عن المستثمرين الاجانب عام ١٩٤٨ وانه لو تم ذلك لركعت اوربا على ركبتيها وأيقنت أن بترول العرب اهم لها من مجاملة ومناصرة اسرائيل ، وحين انعقد مؤتمر الخرطوم كانت الدول المنتجة توقف ضخ البترول منذ أيام الحرب الستة ، بعضها يوقفه عن الدول التي أيدت

(٤٧) لقد بذل حكام السودان جهدا كبيرا في دعم موقف اخوانهم وفي تحقيق عقد المؤتمر والدعوة له واستضافته فكان جهدهم طوال ايام النكبة وبعدها جهدا مخلصا يستحق التسجيل الثناء .

(٤٨) جريدة المجاهد الجزائرية ٣٠ اغسطس ( آب ) ١٩٦٧  
(٤٩) تم بعد ذلك جلاء الجيش المصري عن اليمن وكان قد استقر بها منذ ثورتها ضد النظام الملكي ، وما زلنا برغم ذلك الجلاء نرى الصراع مستمرا في داخل اليمن دون الوصول الى استقرار كامل فيه .

العدوان ، وعمدت ليبيا الى ايقاف الضخ عن الجميع ، وقد بدا واضحا ان ذلك الايقاف كان مهما وثقيلا على اوربا التي ارتفع لديها سعر البترول يوما بعد يوم ، وأمريكا التي اضطرت الى تموين اوربا من احتياطيها الذي ادخرته لغير تلك الايام ، وزاد في أهمية ذلك الاجراء العربي غلق قناة السويس مما زاد في اسعار البترول المنقول عبر رأس الرجاء الصالح من حقول ايران ، وكان الوقت صيفا ولم تكن استهلاكات البترول بأوروبا بالقدر الكبير الذي سوف يكون حين تبدأ أيام الشتاء القارص في أرجائها ولم تكن تلك الايام لتبعد عن مؤتمر القمة الا شهرين اثنين .

وهكذا في جلسة واحدة لذلك المؤتمر المنتظر تغيرت نظرية عشرين عاما عاشها العرب وأسفوا على عدم استعمالها ، وترقبوا الوقت المناسب لها ، ثم سرعان ما انتصرت نظرية جديدة نادى بها بعض دول البترول وقدمت لها المعاذير ، سوف تتوقف المشروعات الانتاجية ، سوف تعجز الميزانيات عن دفع مرتبات الموظفين ، سوف يضطر بعضها الى الاستفتاء عن الموظفين الذين يمثلون هيكل جهازه واغلبهم من الفلسطينيين ، وسوف يكون ذلك اعلانا للعداء الصريح مع دول الغرب الذي يخشى ما تعمد اليه من تصرف بعد ذلك . والواقع ان كل هذه الحجج كان يمكن التغلب عليها ، فقد كان المنع يقلق تماما دول الغرب ويثقل كاهلها ويتعبها ، وكان وزراء الخارجية العرب بل ووزراء البترول انفسهم قد قرروا منع البترول عن الدول التي ساعدت او أيدت العدوان ، وكان هذا القرار قد نفذ فعلا منذ بدأ العدوان وخسرت الدول المنتجة واردات نقدية ولكنها كسبت بترولها بقي في آبارها . أما دول اوربا فان منع البترول عنها يعني منع اهم وسيلة من وسائل حياتها وحضارتها ومكاسبها . ولو استمر العرب في موقفهم الصلب حتى حلت شهور الشتاء في اوربا وتوقفت وسائل النقل والانتاج والتدفئة ومصانع الكيماويات البترولية لخرج سكان اوربا يطالبون بضرورة التفاهم مع العرب ، وضرورة حل المشكلة الفلسطينية حلا يتلاءم مع العدل والانصاف ، ولأدركت تلك الشعوب تحت وطأة الضغط العربي ان العرب الذين عزفوا عن المال ورضوا بشهور من التقشف لا يمكن ان يفعلوا هذا الا وهم يدفعون به ظلما جائرا ، ونيرا قاتلا يستحق ان يدرس وان يعالج .

بل لقد كان من الممكن ان يكون العرب اكثر هيمنة على ارادتهم وأموالهم وذلك باباحة البترول للدول التي تقف الى جانب حقهم ، وكان مثل هذا الرأي يقضي بضخ البترول الى فرنسا وتركيا واليونان واسبانيا واليابان وغيرها من الدول التي لا ريب سوف تتسابق الى تأييد حقنا والشعور بخطورة الامر ، ولقد قيل ان مثل هذا الضخ قد يؤدي الى تسرب البترول لدول لا يفيد تمويلها ولا يجوز ، وسوف تقفل اسواق أمام بعض الدول



المنتجة وتفتح امام اخرى ، ولكن علاج هذا لن يكون مستحيلا حين يكون العرب في مستوى مسؤولياتهم ، واكثر ادراكا للاخطار حيث لا يصعب عليهم تأليف لجنة للاحصاء والاستفادة بالمائدات لكل الدول المنتجة في نظام حسابي لا يحابي فريقا ولا يضر غيره ، وسوف لا يكون صعبا عليهم ايضا خلق لجان مراقبة تتولى الاشراف على الضخ والشحن تقابلها لجان في البلدان المستوردة للتأكد ان الشحن لها وحدها ، ثم ان الكشف الحساسة قبل العدوان كانت كافية لادراك كم كان احتياج كل بلد مستوردة للبترول حتى لا يتسرب منه الى من يقرر العرب حرمانهم .

اما الآثار الاقتصادية على منتجي البترول ، وعلى الدول التي اصبحت بالعدوان ، فلنكن تجاهها صريحين مع انفسنا ، صادقين للتاريخ وللجيال ، موضحين الحقائق دون تردد ، ان شيئا من الكشف يجب ان يعود له عالم العرب كله اليوم ، لانه عالم مهدد بالفناء ، مهدد بالابادة ، مهدد بتقويض حضارته ، ودياناته ، ومثله . وما ايسر ان يتخلى هؤلاء العرب عن كماليات الحياة ، في سبيل الابقاء على الحياة ذاتها ، وما ايسر ان تتوقف بعض المشاريع في مختلف الاوطان في سبيل الابقاء على الاوطان ذاتها ، وما ايسر ان يحرم شعبنا مؤقتا من بعض مجددات الرقي ، او منجزات المدنية ، في سبيل ان يبقى شعبنا ذاته ، ان الشعب العربي مهدد في وجوده من الخليج الى المحيط ولا معنى لميزانيات ضخمة تستهدف الحضارة دون ميزانيات اكبر للدفاع ، ان تلك المنشآت العظمى والانجازات الهائلة في كل بلد عربي تحتاج الى حماية وسلاح وايمان ، والا فاننا نبني للاعداء ونعد للخصوم \* . ان شعبنا يحيا اليوم وكان الحرب التي اذلته كانت حلما لا حقيقة ، وكان اولى بنا ان نحيا ظروف الحرب كاملة كما عاش غيرنا من الشعوب : تحديد للتجوين ، وتقنين لكل شيء يتعلق بالمجتمع . ان شعبنا لا ريب مهدد ، ومهدد بأخطار لم يعرفها تاريخه لا امام جحافل التتار ، ولا تجاه تجمعات الصليبية ، انه خطر الابادة والافناء . ولنراجع انفسنا الان وقد مضى شهران بعد عام من الهزيمة ، ومضى ما يقرب من عام على مؤتمر القمة الذي ابلح ضخ البترول ، هل توقف تيار الاسراف في عديد من الدول العربية ، هل ادركت الامة العربية انها على شفا جرف ، وانها توشك ان تقع في هاوية سحيقة لن ينجيها منها الا العمل المنظم السريع ، اقسام لو ادرك

\* بحث لقيط بن يعمر الابدادي الكاتب في ديوان كرى يحذر العرب من غزو الفرس ويقول :

أما تخافون قوما لا أبا لكم  
في كل يوم يسنون الحراب لكم  
لا تشمروا المال للاعداء انهم  
لا يهجعون اذا ما غافل هجما  
ان يظهروا يحتوكم والتلاد معا

كل فرد وكل دولة اخطار ما نحن فيه ، وما نحن مقبلون عليه ، لما تمسكوا بأموال ولا ثروات ، ولما تأخروا لحظة في السير الى الكشف بنفوس راضية . ولن يكون النصر شاملا للامة العربية ما لم تدرك حقيقتها ويسرع أفرادها مع حكوماتها وقبلها على ذلك ، وما لم نرغم العالم على معرفتنا ، واننا نستطيع ان نستغني عن اموال البترول المفتعلة واننا في حالات الخطر نستطيع كل فرد منا ان يدفع بقوته للمعركة وان يعيش كغيره متقشفا في حياته ، مترفعا في اهدافه ، باذلا من ماله ، في سبيل ان يبقى جزءا من أمته ، وفي سبيل ان تبقى أمته ، وفي سبيل ان تبقى الاوطان لاجيالنا القادمة مع تطورها الحضاري العريق .

ان الوطن العربي يمثل وطننا واحدا امام عدو واحد ، وهو الآن محتل بخطر مدمر ، خطر لا ينوي الجلاء ، ولا يملك وطننا يعود اليه ، فاذا لم نفق مع هذه الكارثة ترى هل نحتاج لكارثة اكبر لكي نفيق ، وهل يمكن أن يكون هناك شيء اكبر ؟؟

ونحن نقابل عدوا يمتاز بالفكر والدراسة والاعداد ، فمن الواجب ان يقابل بالفكر الرصين ، والدراسة الناقبة والاعداد القوي ، وامتنا ليست قاحلة ولا ممحلة وفيها جهابذة يجب الاستفادة بهم ومنهم ، وامتنا ليست فقيرة ولكن تسخير المال كله للمعركة فرض لا يقبل الجدل ، واذا كنا نعتقد ان اموال اليهود في العالم على كثرتها وكثرة المساعدات الاجنبية جعلت من اسرائيل جنة لابنائها ، فاننا مخطئون ، لان هؤلاء الاعداء يدركون حقيقة وجودهم المصنوع ، وبذلك فكل ثرواتهم تذهب الى حيث يقوون عسكريا ، ويحاربون بها امة العرب وشعب الاسلام . « ان اخواننا في الضفة الغربية الذين زاروا يافا وحيفا وتل ابيب يقررون ان الشعب اليهودي عاش طيلة هذه السنين ، حياة تقشف وعري وفاقة وحاجة ، في حياة بسيطة ووسائل نقل قديمة ، لان اسرائيل تؤمن بالتقشف وشد الاحزمة ، بالعمل الجدي الحازم ، تؤمن بالعقل والايمان لتستطيع ان تثبت وسط هذا البحر المتلاطم من الامة العربية » (\*) .

واذا كان اليهود يتقشفون رغم ملايينهم وملياراتهم ، فانهم يعدون انفسهم للبقاء اولا ولا لتهامنا ثانيا ، وما أجدرنا نحن المغزية بلادهم ، المحتلة ارضهم ، المهددة حضارتهم والمهزوز بقاؤهم ، ما أجدرنا بذلك وبأكثر منه ، وهو وحده الذي يقصر الطريق الى النجاح .

لقد ارتفعت دون جدوى اصوات خيرة تنادي بوجوب الاستمرار

(\*) جريدة الدستور الاردنية من خطاب رئيس وزراء الاردن السابق ٦٨/٧/٦



في استعمال سلاح البترول ، قال عبدالله الطريقي الخبير العربي المعروف : « ان الشيء الذي يجب ان ندركه ونتأكد منه ، هو ان اوربا تستهلك الان من الاحتياطي وربما استهلكت من المخزون ما يعادل حصيلة شهر تقريبا وكل الكلام الذي يقال من ان اوربا تستطيع الاستغناء عن البترول العربي قصد به التأثير على سياسة الحكومات العربية التي لا تتابع الاحداث كما يجب ، وتشعر بأن قطع البترول عن الغرب معناه هي التي تخسر وحدها ، وان الغرب يستطيع ان يأتي بالبترول من مصادر أخرى .

ان المعركة بيننا وبين المستعمرين والمعتدين هي معركة ينتصر فيها صاحب النفس الطويل ، وان مقاطعتنا لاوربا الغربية ستصيبها بأضرار اقتصادية جسيمة وستخلق بطالة في صناعاتها المختلفة خصوصا وان الشتاء قد اقبل وهي قلقلة على امداداتها البترولية ولهذا فهم ينشرون الاراجيف والاشاعات ليمنعوا العرب من الاصرار على قطع البترول عن المعتدين . ان العملية اقتصادية بحثة ولن يدمروا اقتصادياتهم خدمة لاسرائيل « (٥٠) .

ولا يطول بنا البحث في هذا الموضوع فقد اصدر مؤتمر القمة بالخرطوم قراراته وتنادت اغلب الصحف في العالم العربي بنجاح ذلك المؤتمر ، وانه في وقته لم يكن ممكنا شيء آخر احسن منه ، وانه استطاع ان يجعل من ضخ البترول سلاحا مفيدا تقدمه الدول المنتجة للدول التي اصابها العدوان ، وجاءت قرارات المؤتمر كما يلي :

اولا : اكد المؤتمر وحدة الصف العربي ووحدة العمل الجماعي .

ثانيا : قرر ان الاراضي المحتلة يجب استردادها على الدول العربية جميعا .  
ثالثا : اتفق الملوك والرؤساء على توحيد جهودهم على الصعيد الدولي لازالة آثار العدوان وذلك على أساس عدم الصلح مع اسرائيل وعدم الاعتراف بها وعدم التفاوض معها والتمسك بحقوق شعب فلسطين في وطنه .

رابعا : عدم الأخذ برأي مؤتمر وزراء المال والاقتصاد والبترول

(٥٠) عبدالله الطريقي ، جريدة الانوار البيروتية ٩ أغسطس ١٩٦٧ .

الداعي لعدم ضخ البترول ، ذلك لان ضخ البترول يمكن ان يستخدم كسلاح ايجابي باعتبار البترول طاقة عربية يصلح لدعم الدول العربية التي تأثرت بالعدوان مباشرة .

خامسا : اقر المؤتمر مشروع الكويت لانشاء صندوق الاستثمار الاقتصادي والاجتماعي العربي .

سادسا : قرر المؤتمر ضرورة اتخاذ الخطوات اللازمة لدعم الامداد العسكري لمواجهة كافة احتمالات الموقف .

سابعا : قرر المؤتمر سرعة تصفية القواعد الاجنبية في الدول العربية .  
وقررت كل من المملكة العربية السعودية ودولة الكويت والمملكة الليبية ان يلتزم كل منها بدفع المبالغ الآتي بيانها سنويا ، ومقدما عن كل ثلاثة أشهر ابتداء من منتصف اكتوبر الى حين ازالة آثار العدوان :

المملكة العربية السعودية :	٥٠ مليون جنيه استرليني
دولة الكويت :	٥٥ مليون جنيه استرليني
المملكة الليبية :	٣٠ مليون جنيه استرليني

وبهذا تضمن الامة العربية انها تستطيع ان تسير في هذه المعركة لحين الانتهاء من ازالة آثار العدوان .

وقد بدأت فعلا الدول الثلاث المذكورة تنفيذ هذا الالتزام المالي تجاه الجمهورية العربية المتحدة والمملكة الاردنية بحيث يدفع للاولى خمسة وتسعون مليوناً ويدفع للثانية أربعون مليوناً من الجنيهات . والواقع ان هذا القرار كان صورة طيبة للموقف الواجب تجاه ظروف خطيرة ، وهي ظروف لا تتعلق بوطن دون آخر بل هي تخص كل عربي يحيا في هذا الوجود بعد مكانه او قرب ، ولا نكون قد بذلنا اكثر من طاقتنا حتى لو كانت ميزانيات كل العرب مجندة لازالة آثار العدوان وتأديب المعتدين ، ولنثبت الحق العربي وسط وطنه وفوق أرضه .

وطول بنا الحديث لو سمحنا للفكر ان يسير مع الخامس من يونيو ( حزيران ) المشؤم كيف حدث ، وبأي صورة ختم ، ولماذا هزمنا وأين مسئولية ذلك الحدث الخطير ، وكيف وقعت الكارثة ، كيف نجحت اسرائيل وفشلنا نحن ، « هل كانت هناك مؤامرة مبيتة ضدنا في الغرب أم أننا فشلنا في اكتساب الغرب الى جانبنا ، هل خذلنا الاتحاد السوفياتي أم نحن الذين خذلناه ، هل كانت الخلافات العربية هي السبب،



## What 'Fatah' means

To the Editor of The Jerusalem Post  
Sir, — In the opening instalment of extracts from the new book on the Six Day War by David Kimche, and Dan Baily, published in today's issue, the authors, in a footnote, mentioned that "the full name of the Fatah organization is *Harakat Tahrir Falastin*, Fatah being the inverted initials of the name. While this is quite correct, my conjecture is that there are two reasons for this inversion of initials. First there is the positive one, in that the word means "opening," and both noun (*patah*) and verb have their similar equivalents in the Hebrew words (*petah*) *nnp* and *nnp* it also means "an opening from a strait or unpleasant situation," usually vouched for by the grace of God, and in the Koran

it actually connotes "victory," as in the beautiful and musical combination "fat'h-um mubin," which means "manifest victory." The word is thus charged with emotional and religious connotation.

The other reason for the inversion of the initials of the name of the *Haraka* (organization or movement) is obviating the very negative meaning of the word that might otherwise have been formed by putting the initials in their right order, namely *HATF*, which means death pure and simple, that is, natural death, or as *Al-Munjid*, the Arabic equivalent of the (Concise) Oxford English Dictionary, defines it: "Death brought about neither by killing nor beating."

ELIAHU KHAZOUN

Jerusalem, May 10.

تشغل «فتح» إسرائيل فلا تخلو صحيفة فيها من الحديث عنها ، وهذه صورة زئغرافية تفسر معنى « فتح » نشرته جيوسايم بوست في ١٠ مايو (أيار) ١٩٦٨ يقول : « ان فتح معنى ايجابي مأخوذ من القرآن « الكريم » وتعني النصر والفرج بعد الضيق والمتاعب ، مثل « نصر من الله وفتح قريب » وفتح تتصل بالشاعر والاحاسيس الدينية وهي قلب لحروف (حركة تحرير فلسطين ) اذ بدونه تعني « حنف » الموت الطبيعي غير الناجم عن القتل او الضرب .»

### الفلسطينيون لا يوقفون اطلاق النار :

توقف اطلاق النار بين اسرائيل والدول العربية الثلاث، وعين مندوب من الامم المتحدة ليشرف على خطوط وقف النار في قناة السويس (٥٤) ومرتفعات جولان ونهر الاردن ، ولكن شعب فلسطين كان هو صاحب الارض المفتصة وهو الذي شاء له القدر أن يكون خط الدفاع الاول عن أمة العرب والاسلام ، هذا الشعب لا يعترف بايقاف اطلاق النار وليس لاحد أن يمنعه أو يقف في وجهه فان المقاومة الشعبية ضد الاحتلال الاجنبي عمل شرعي أقرته الشرائع واعترفت به الامم المتحدة (٥٥) ، وشعب فلسطين

(٥٤) ان وقف اطلاق النار لا يكاد يعني الا وقف الحرب الشاملة ، اذ لم تهدأ المنطقة منذ ذلك التاريخ وقد كان اغراق الصواريخ المصرية للمدبرة اليهودية « ايلات » عملا كبيرا اصاب اسرائيل في الصميم وشهدت منطقة القتال في تواريخ متعددة معارك بالدفعية بين الضفتين ، كان أكبرها هو التركيز الاسرائيلي على مخازن ومصافي البترول المصرية في السويس وضرب المدنيين ومنشآتهم . اما على ضفاف نهر الاردن فلا يكاد تبادل اطلاق النار يبدأ يوما واحدا منذ الخامس من يونيو وحتى الان وقد تحول في مرات عديدة الى استعمار اليهود للطائرات والمدفعية تلك بها الاردن مدنه وقراه وكان آخرها ضرب مدينة اربد خلال يونيو ١٩٦٨ ويقف الاردن جميعه بباله وشجاعة رغم الخسائر كل يوم .

(٥٥) أعلن الرئيس ديغول في مؤتمر صحفي له أن الذين تسميهم اسرائيل اربابيين هم رجال مقاومة وطنية كما كان يفعل الفرنسيون أيام الاحتلال النازي . واكد ديغول أن اسرائيل ذات طبيعة توسعية وحرية .

هل دخلنا الحرب على غير استعداد (٥١) . هل كنا نتحدث عن الحرب دون أن نعي تبعاتها ؟ « (٥٢)

واذا كنا قد تناولنا الاحداث الاخيرة في ايجاز فذلك لأن كتابنا يتعلق بجهاد شعب فلسطين ، ولكنها أحداث كانت من الثقل على كل باحث عربي حتى لا يجوز أن تمر دون أن تحدث في قللمه امرا ، وتترك على صفحاته اثرا ، أنها أحداث المصير العربي سوف لا تكون تاريخا يدرس فقط بل أنها بداية لتاريخ جديد يؤرخ بها وتحسب منها الايام والاعوام (٥٣) .

على ان هذه الهزيمة المنكرة والثنيعة ، قاربت الى حد كبير ، بين الامة العربية وزعمائها ، وجسمت لهم الخطر الحقيقي للعدو الذي يقسم بينهم وفي أرضهم ، ثم انها أعطت للشعب الفلسطيني فرصة العمل ، ذلك العمل الذي حاربته الظروف طوال العشرين عاما الماضية .

فلم يعد ممكنا أن تتولى الدول العربية المحيطة باسرائيل حمايتها من اللدائيين أبناء الوطن السليب ولاسيما بعد أن ضمت اسرائيل الى كيانها المعروف أراضي جديدة وحيوية من الاقطار الثلاثة المجاورة سوريا والاردن ومصر .

واذا كانت حركة التحرير الفلسطيني ( فتح ) قد بدأت جهادها في اوائل ١٩٦٥ وتعرضت منذ ذلك التاريخ لمتاعب جسيمة وتضحيات مروعة في سبيل توحيد عملها ضد اسرائيل المفتصة وفي سبيل استمرار فدائيتها طليعة لثورة شعبية ضد الكيان الذي نصبه الاستعمار في وطنها ، اذا كانت حركة ( فتح ) قد تعرضت لكثير من المتاعب فان أحداث الخامس من يونيو ( حزيران ) اتاحت لها أن يكون جهادها علنيا وأن تتربع في صدور العرب الذين هدتهم الهزيمة واحزنهم الكارثة ، فراوا فيها معنى استمرار الجهاد ومواصلة العمل الصحيح وحمل الارواح على الراح في ايمان وتصميم وبذل .

(٥١) يقول الاستاذ هيك في « بصراحة » باهرام الجمعة ٢٤ يونيو ( حزيران ) ١٩٦٨ اننا لم نكن مستعدين للحرب وان الهزيمة كان يمكن ان تكون أشد اذ ان ضرب الطيران على الارض لم يفقدنا الطيارين الذين لا يمضون لو ضربوا مع طائراتهم في الجو .  
(٥٢) انها تساؤلات من جريدة الدستور الاردنية في ٤ أغسطس (آب) ١٩٦٧ ثم تضيف انها تشغل اذهان الجماهير بعد ان كشفت النكسة اخطاء خطيرة ونفترات هائلة في التفكير والتخطيط للمعركة دلت على عيوب كبيرة .

(٥٣) تصلني رسائل عديدة شهريا من اصدقاء كرام جمعت بيننا روح الوطنية والانشغال بأمنا ومستقبلها وتحمل تلك الرسائل الى جانب التاريخ الهجري والميلادي تاريخا جديدا منذ الهزيمة ، فيقال مثلا السابع من الشهر الخامس للهزيمة وهكذا ، وكان المواطن الليبي السيد الهادي المشيرقي اول من فعل ذلك واستمر عليه . وما وصلتني رسالة من اولئك الاحباب ورميت البصر الى ذلك التاريخ الجديد الا توجهت بقلب خائف الى الله العظيم ان يحقق الامل المنتظر فيضع لهذا التاريخ نهاية وللنصر المرتقب بداية .



## Al Fatah men on trial

Jerusalem Post Military Reporter

LYDDA. — Two Al Fatah men faced a military court here yesterday morning on charges bearing the death penalty. The two, "Castro" (Mohammed Ahmed Mohammed Farhat) from Tulkarm and Salah Ibrahim Mohammed Abu Taye from Irbid in Jordan are both 23 years old.

The charges against them include an attempt to blow up a train on the Haifa-Lydda line in mid-October. They are also accused of illegal possession of arms, infiltration and belonging to a terrorist organisation. Any of these charges could lead to the imposition of the death sentence, mandatory under the emergency regulations under which these men are being tried.

"We came to liberate Palestine" Abu

Taye said.

Both men refused the defence counsels offered to them by the court. The presiding judge then ordered them to accept the lawyers provided by the courts all the same.

صورة زكوفرافية لحديث محرر جيروزاليم بوست العسكري بالقدس الذي يقول : «ان عضوي « فتح » محمد فرحات وصلاح ابو تاية كل منهما ٢٣ سنة واجها احتمال الاعدام بالحكمة بتهمة نفس قطار ، حيازة اسلحة ، التسلل والانضمام لمنظمة ارامية. قال ابوتاية : « لقد جئنا لنحرر فلسطين » ورفضوا المستشارين المقدمين من المحكمة للدفاع عنهما . وهكذا يستمر شعب فلسطين في شجاعته البطولية حتى بين قضبان الاعداء .

صلب الشعب الفلسطيني نتيجة المعاناة ليجسد العمل المسلح بشكل واع « (٥٧) .

وهذا المعنى الذي نشرته الفتح قبل عام من الان هو نفسه الذي اعلنه موسى ديان في اواخر يونيو ١٩٦٨ حيث قال : « ان ( فتح ) تعني استمرار الفلسطينيين في الثورة وانها تكبد اسرائيل كثيرا من الخسائر في الاموال والارواح » (٥٨) .

وبالعودة الى اعمال ( فتح ) حين بدأت مسيرتها الثورية يثبت أن حركتها اتعبت فعلا دولة الصهاينة وفاجأتها حين اعتقدت انه لم يسبق للفلسطينيين اثر في حياة وطنهم السليب . حتى قال التقرير الخارجي لجريدة الايكونوميست البريطانية في اوائل مارس ( آذار ) ١٩٦٥ : ان أعمال الفدائيين تمثل أول غزو حقيقي لاسرائيل منذ حملة سيناء . ومنذ بدء نشاط « فتح » وجناحها العسكري ، العاصفة ، الى الخامس من يونيو ( حزيران ) ١٩٦٧ غطى جهازها الاعلامي كل المناطق العربية بالثورة الجديدة ، كما غطت أعمالها الفدائية معظم أرض فلسطين المحتلة (اسرائيل) حتى انها استطاعت أن تقوم بأكثر من ٣٥٥ هجوما على محطات المياه في المدن والمستعمرات الاسرائيلية وعلى منشآت تحويل نهر الاردن وعلى

(٥٧) تحرير الاقطار المحتلة - من مطبوعات حركة التحرير الوطني الفلسطيني اغسطس

(آب) ١٩٦٧ .

(٥٨) برقية لرويت من تل ابيب نشرتها الاهرام في ٣٠ يونيو ١٩٦٨

الذي بدأ نضاله المسلح منذ ان بدأت بريطانيا سياسة التهويد في بلاده ، لا يقدم الان على عمل جديد ولكنه يمتشق سلاحه على عادته ليواصل ثورته التاريخية وليوصل جهود اليوم بجهد الامس .

فاجأت ( فتح ) العالم ببلاغها الرسمي الاول ، وكانت النظرة اليها تحمل كثيرا من الاستغراب وعددا من التساؤلات ، فالحكومات العربية ترى ان تحديد وقت المعركة يجب ان يصدر عن القيادات السياسية والعسكرية لتلك الحكومات ، ويجاري الحكومات العربية في هذا المعنى بعض الحزبيين ومن بينهم حركة القوميين العرب . ولكن « فتح » كانت تنادي « بأن العمل المسلح هو الذي سيؤدي الى تفاعل جماهير الامة العربية في حركة التحرير ، وانه اذا كانت ستة عشر عاما منذ ١٩٤٨ والى ١٩٦٥ غير كافية للبدء بمحاولة جديدة لتحرير فلسطين فان انتظار اعوام أخرى لن يؤدي الا الى اماتة القضية ، وتبين ان (فتح) كانت مصيبة . فحرب حزيران كانت بحجة العمل الفدائي ، وكان يمكن ان تقوم بأية حجة أخرى ، ولكنها حرب اظهرت أن الدول العربية القادرة عسكريا لم تكن قادرة عسكريا » (\*) .

وليس معنى هذا الا السير في خط طويل من الانتظار حتى تجد اسرائيل ان الفرصة سانحة لتنفيذ مشروعها التوسعي وتبدأ المعركة كما تشاء ومتى تشاء ، ولا سبيل الى تغيير التفكير الاسرائيلي الا القيام بحرب شعبية وثورة متصلة ، يشعلها ابناء فلسطين ، ويساندتهم اخوتهم في الامة العربية والعالم الاسلامي والبلدان الحرة . وبذلك تعود قضية فلسطين الى الازهان صحيحة غير مشوهة ويشعر الاعداء ان للقضية أصحابا لا يبالون الموت في سبيلها وان تغيير الخرائط ومسح اسم فلسطين منها كما فعلت اسرائيل ودول الاستعمار لا يمنع أصحاب الحق من أن يعيدوا الحقائق الى مكانها .

ولهذا لم يكن منطقا مستغربا حتى تناقلت الاسماع ذلك النداء المؤثر من مفكرين عديدين والموجه الى الدول العربية « بأن يسمحوا للفلسطينيين بالحركة وان يعطوهم حق الموت داخل أرضهم وأن يمكنوهم من أن يموتوا وواقفين مواجهين (٥٦) » .

وهكذا بدأت ( فتح ) حركتها وهي تفرض الشخصية الفلسطينية في دور الجهاد والفدائية « وتنظر الى نفسها كونها المولود الذي خرج من

(\*) من تعبير الاستاذ انطون بطرس في كتابه « الفدائيون » .

(٥٦) كان هذا حديث الكثير من المفكرين في الصحف والمجالس وقد نشرت الاسبوع العربي

البيروتية بحثا فيما في هذا الشأن في ٢٥ يناير (كانون الثاني) ١٩٦٥ .



بل أصبحت شعوب الأمة العربية تتحدث عن هذا الجهاد الجديد ،  
وتقلص على أفواها ذلك السؤال الدائم : أين شعب فلسطين ؟ ولما لم يشر ؟  
وما هي العقبات في طريق تحرره وفدائته كما كان آباؤه الأولون .  
وكانت « فتح » فاتحة الطريق لعديد من الهيئات الفلسطينية التي  
أعلنت بدءها العمل الفدائي ولكن « فتح » ظلت التنظيم السري الفدائي



منظر وزعت وكالة اسوشيتدبريس في أواسط يونيو ١٩٦٨ التقط على بعد  
١١ كيلومترا من الحريق الذي سببه هجوم ( فتح ) على مستودع الذخيرة  
والصواريخ في قرية تبعد ١٢ ميلا عن تل أبيب وقد هز الانفجار المنطقة جميعها .  
الوحيد المعروف طوال عامين في محور القضية الفلسطينية ، عملت في  
ظروف قاسية وشديدة لأنها كانت تعمل فيما يشبه الفراغ ، خلاف  
المنظمات الفدائية الأخرى التي اعقبتها ، وعملت في ظروف خلقتها « فتح »

محطات الكهرباء ومعسكرات الجنود ، بل استطاعت ان توجه انذارا  
بواسطة الصليب الاحمر الدولي الى سلطات اسرائيل ، أن تكف عن تعذيب  
اسيرها الاول محمود حجازي ، وانها سوف تنتقم اذا لم يسمع نداؤها هذا .  
وحين ثبت ان التعذيب ما زال في عنفوانه أعلنت انها ستقتل ليفي مدير  
بوليس حيفا ونفذت وعيدها الذي أعلنته . وكان لنشاط ( فتح ) المستمر  
قبل هزيمة يونيو ( حزيران ) وبعدها تأثير على مصانع العدو ومشاريعه



البطل محمود حجازي الاسير الاول من « فتح » ، لدى الإعداء ، كان شجاعا في جهاده وفي محاكمته  
حكم بالوفاة ، ويبدو في الصورة مكبلا بالحديد بين جندين يهوديين .  
وحدث الدمار في القطارات والجسور والكباري ومستودعات الذخيرة (٥٩)  
وتضاءلت السياحة وهي مورد هام لاسرائيل وأصبح العالم يتكلم عن شعب  
فقد أرضه وتحرك لضرب أعدائه وربكهم .

(٥٩) قدرت المصادر الاسرائيلية والاجنبية خسائر اسرائيل في مستودع الذخيرة المنسوفة  
بملايين الجنيهات الاسترلينية ( انظر الصورة في ص ٥٦١ ) .



بجهاد استغرق عامين من الزمن والتضحيات الكبرى (٦٠) .

ودخول منظمات فلسطينية جديدة للعمل الفدائي أمر لا تحاربه « فتح » فهي لا تتبجح باطلاق الرصاصة الاولى لتكريس زعامتها لشعب فلسطين ، « فليبارك الله كل الزنود التي ستحمل معنا شعلة النصر » كما يقول بيانها .

وكانت تلك الهيئات التي تابعت خطوات « فتح » تتمثل في « أبطال العودة » ذات الصلة بالقوميين العرب . وتلاحقت هيئات أخرى تعلن عن اتخاذها الطريق الفدائي سبيلا لعملها وهي من الكثرة والتنوع حتى زادت عن ثلاث عشرة منظمة (٦١) .

ولكن أغلب هذه المنظمات لم يرسخ قدمها في العمل الكبير الخطير ، فصدر عن بعضها بلاغ واحد او بلاغان حتى اذا حدثت وقائع الخامس من يونيو ( حزيران ) أصبح حتما أن تبذل الجهود لمعرفة بواطن وقوة هذه المنظمات والعمل على توحيدها في سبيل خلق حركة كبرى تسهم اسهاما جديا وسريعا في محاربة العدو .

وفي الرابع من يناير ( كانون الثاني ) ١٩٦٨ دعت « فتح » الى مؤتمر عقد بالقاهرة « لضمان استمرار الثورة وتصعيدها وشمولها » .

على أن ذلك المؤتمر الذي دعت اليه « فتح » ( ورغم تخلف الجبهة الشعبية ومنظمة التحرير الفلسطينية وجبهة التحرير الفلسطينية ) قد أنتج توحيد الاجنحة العسكرية لجبهة تحرير فلسطين وحركة الشباب الثوري الفلسطيني والهيئة العاملة لدعم الثورة ولحركة التحرير الوطني الفلسطيني « فتح » على أن تصدر بلاغاتها باسم « قوات العاصفة » .

كما توحدت الاجنحة العسكرية لجبهة ثوار فلسطين وطلائع حرب التحرير الشعبية ولجبهة التحرير الشعبية الفلسطينية وتصدر بلاغاتها باسم « قوات الصاعقة » . أما طلائع الفداء فقد اختاروا لبلاغاتهم أن تكون باسم فرقة خالد بن الوليد .

(٦٠) انطوان بطرس « الفدائيون » ص ١٢ .

(٦١) من بين تلك الهيئات كانت منظمة التحرير الفلسطينية المروثة وطلائع حرب التحرير وطلائع الفداء الفلسطيني وجبهة ثوار فلسطين والنضال الشعبي وجبهة تحرير فلسطين والجبهة الشعبية الفلسطينية والشباب الثوري الفلسطيني وجبهة التحرير الفلسطينية والجبهة القومية لتحرير فلسطين والهيئة العليا لدعم الثورة وحركة اسماعيل بن ابراهيم .

وهذا التجمع الذي خلقت ( فتح ) ركيزته وقوته ، لا ريب انه يفيد الحركة الفدائية ، على الرغم من أن بعض تلك الهيئات لا تمثل جماعة متكاملة في فدائيتها وتنظيمها ومعداتنا ، ولكنها بأي نوع من أنواع العمل الفدائي أو دعمه سيكون توحيد عملها مفيدا ومثمرا .

واليوم وقد مضى عام وشهران على هزيمة الخامس من يونيو ( حزيران ) وتصاعد العمل الفدائي الفلسطيني تصاعدا مشرفا أقر به الصديق والعدو ، فقد بدأت بوادر توحيد هذا العمل للعيان واصبحنا نقرأ بلاغات عن عمليات مشتركة بين العاصفة الجناح العسكري لفتح وبين الجناح العسكري لمنظمة التحرير . علما بأن هذا الاشتراك لا يمثل الا جزءا صغيرا قليلا من العمليات التي تحدث كل يوم من قوات ( فتح ) و ( فتح ) وحدها .

والعمل الفدائي الذي بدأته « فتح » وقادته وقدمت في تياره كثيرا من الشهداء تتلخص أهدافه كما سجلتها « فتح » لمؤتمر القمة العربي الثالث في سبعة بنود هي :

١ - التحرك في محيط القضية الفلسطينية من منطلق فلسطيني مرتبط بتربة الوطن .

٢ - الايمان بأن الكفاح المسلح هو الطريق الوحيد لتحرير فلسطين .

٣ - ما دام الزمن في مصلحة العدو فلتكن المعركة اليوم لا غدا .

٤ - ثبوت افلاس العمل السياسي والانشغال بالكلام في وقت الانخراط بالكفاح المسلح هو انحراف قومي .

٥ - العمل الفدائي تمهيد لحرب شعبية .

٦ - المعركة لكل الشعب العربي ، والشعب الفلسطيني طليعة ذلك العمل .

٧ - القيادة للشعب الفلسطيني وتلاقي المنظمات يجب أن يكون في ارض المعركة .

وبهذه البنود المحددة المدروسة تهدف « فتح » الى غايات محددة هي :

١ - تعزيز الثقة لدى الفلسطينيين ومحاربة عوامل اليأس .

٢ - اقناع العالم العربي بإمكان زلزلة الوجود الصهيوني وكشف اكذوبة قوة ومناعة اسرائيل .

٣ - اظهار الخطر الصهيوني حتى يشعر العرب بواجب الحذر والاستعداد .



٤ - خلق ادراك الخطر والقتال لدى ساكني الحدود في البلدان المجاورة ولو نتيجة للعمليات الانتقامية التي تقوم بها اسرائيل .

ولا تشك « فتح » وشاركها الكثير من ابناء الامة العربية المهتمين بالامور ، ان عملها سوف يقضي على الاستقرار في داخل اسرائيل والارض المحتلة ، ويتبع ذلك اضعاف الاقتصاد الاسرائيلي والهجرة اليهودية ، وافهام اليهود الواردين والمولودين باسرائيل انهم ليسوا اصحاب هذا الوطن .

ولا يرى احد ان اليهود سوف يجلون بين يوم وليلة ، او انهم سوف يضجون من ضربات اوائل الحركة الفدائية ، فهم قوم اغتصبوا بلدا ودعموا فيه قواعد الاغتصاب ، وهم يدركون ان عملهم لم يكن سهلا وانهم وصلوا اليه بمساعدات قوى عالمية كبرى استغرقت عشرات السنين في سبيل اقرارهم وتمكينهم ، ولهذا فهم سوف يتحملون الضربات ويدافعون وسوف ينزلون بالسكان العرب الواقعين تحت سلطانهم اشد انواع الاذى والاذلال ، وسوف يكررون تحرشاتهم بالحدود المجاورة ، يعتدون يوما على الاردن وآخر على لبنان . وهكذا يهدفون الى اشاعة الرعب ، وتقويض العمل في الاراضي الزراعية وانزال الانتقام بالمدنيين والامنيين حتى اولئك الذين لا شأن لهم بالعمل الفدائي ، ولكن هذا العمل اليهودي يحتاج الى احتمال عربي ايضا ، احتمال في تلقي الضربات وتقديم التضحيات ، ومواصلة للاستعداد والاعداد ، وتشجيع وتقوية للفدائيين الذين يستطيعون ان يردوا على تحركات اسرائيل ، وينزلوا بها الرعب ويرغموها على حياة الحذر الدائم القلق ، فلقد اثبتت الاحداث ان جيش اسرائيل الذي لا يهزم هو اطوعها للهزيمة حين يجد ايمانا ودفاعا واستعدادا ، وما يوم الكرامة عنا ببعيد .

### يوم الكرامة :

شملت حركة « فتح » كل اجزاء الارض المحتلة حتى غطت المناطق المختلفة في شرقها وغربها ، وفي قلب اسرائيل ، وكان لذلك اثره الواضح في زعزعة الثقة التي احاط بها جيش اسرائيل نفسه من انه قوة رادعة حطم جيوش ثلاث دول عربية ، وتربع على كرامة العرب ، وانه مستطيع ان يواصل هذا السحق فلا تقف امامه قوة ، ولا يجالده احد ، وادركت اسرائيل ان العرب لم يموتوا وان روح القتال في سبيل الواجب هي فيهم من القوة بقدر كبير ، فقررت ان تتخذ لذلك عملا .

وطوال شهر مارس ( آذار ) ١٩٦٨ ووكالات الانباء تنقل التصاريح الاسرائيلية بان حركات التخريب والاعتداء في داخل اسرائيل انما تتم من

الاردن وعلى الاردن ان يتحمل مسؤولية ذلك .

وتتابعت هذه التصريحات من اشكول رئيس وزرائها ، وديان وزير دفاعها ، ومناحم بيغن وزير دولتها ورئيس العصابة الارهابية المعروف ، واصبح واضحا لدى الراي العام العالمي ان اسرائيل تعد لغزو كبير شامل ربما استهدفت فيه احتلال الاردن بكامله ، وتحت حجة كبح جماح الفدائيين .

وفي ١٩ مارس ( آذار ) ١٩٦٨ اصدرت قيادة « فتح » تصريحاً هاماً لفتت فيه الانظار الى ان العدو حشد خلال اليومين السابقين قوات كبيرة على طول نهر الاردن ، وانه يدعي ان « فتح » تنبع من خارج ارض فلسطين ، « فتح » التي سبق ان ادعى اشكول انه قضى على ٩٥ بالمئة من رجالها ، وختم التصريح بالعبارة التالية :

« ليفهم الراي العام العالمي ان شعب فلسطين يمارس حقه الطبيعي في النضال من أجل تحرير وطنه ، بعد ان عزلته المؤامرات الخارجية عشرين عاما ، وهو ماض في طريقه يحقق الانتصار تلو الانتصار ولن يتوقف حتى يكتب لثورته العاصفة النصر الكبير » .

وكان السؤال هو ، بما ان اسرائيل تنوي ضرب مدينة الكرامة وغزوها غزوا شاملا ضمن مخططها لغزو الاردن ، هل يصمد الفدائيون ام ينسحبون ؟ يقول بيان حركة التحرير الوطني الفلسطيني : « وكان الاختيار صعبا وكان القرار خطيرا » وكان لابد من الصمود لان الشعب العربي في حاجة الى معنويات جديدة بعد نكسة يونيو ( حزيران ) ولأن قوات العدو لابد ان تحطم بانزال اكبر الخسائر بها ، ولان قوات الفدائيين لابد ان تتعاون مع افراد الجيش الاردني الباسل .

وهكذا تواجد معظم افراد « فتح » في ساحة المعركة المنتظرة وفي الساعة الخامسة والنصف من صباح الخميس ٢١ مارس ( آذار ) ١٩٦٨ بدأ العدو يهاجم الاردن بمئات الدبابات والطائرات وجنود المظلات ، واشتملت معركة كانت تحتاجها الامة العربية ، معركة اثبتت ان الانسحاب ليس دائما شرط السلامة وان ابناء العرب والاسلام يستطيعون ان يوقفوا العدوان بصمود شريف ، يقول « ايتريش شكرومان » مراسل صحيفة ذي نسيب الالمانية :

« في الساعة الخامسة واربعين دقيقة من صباح ٢١ آذار شرعت مئات الدبابات الاسرائيلية تجتاز الضفة الشرقية لنهر الاردن بعد ان مهدت المدفعية بقصف شديد مركز على المواقع الاردنية » .



وفي نفس الوقت تقريبا نشطت طائرات القتال وقاذفات القنابل الاسرائيلية للعمل وشرعت تلقي قنابلها في كل مكان ، بينما كانت عشرات الطائرات العمودية ( الهليكوبتر ) تنزل المظليين في منطقة الكرامة وسادت الامور في البداية حسب المخطط الذي قدرته غرفة العمليات العسكرية بتل اييب ، ولكن فجأة بدأت نيران الفدائيين تلتهمهم ، وكان الفدائيون قد تركوا اعداءهم يتوغلون ، ثم اندفع قسم منهم فطوق الاسرائيليين ، بينما اشتبك قسم آخر منهم مع القوات الفازية يالايدي ورؤوس الحراب والمدي وحتى بالاسنان ، ولا تزال آثار أسنان الفدائيين وأظافرهم تبدو بوضوح على وجوه الاسرى الاسرائيليين دليلا ظاهرا على مدى حقد العرب على العدو الذي دخل ديارهم » .

وليس ابلغ من هذا الوصف الاجنبي لذلك اليوم المشهود الذي اختلط فيه دوي المدافع بطلقات الرصاص ، بصكيك الاسنان تنطبق على اعناق جنود اسرائيل وفي وجناتهم ، انها حرب الشوارع والمواجهه ، انها حرب الفداء ، انها حرب الايمان الذي يقرر « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله . والله مع الصابرين » .

لقد ظهر جليا ان اسرائيل كانت تستهدف احتلال الاردن واذا تسمر ذلك فسوف تكتفي بالمشارف العليا التي تقع شرقي النهر . ولكن الوقفة البطولية التي وقفها ابطال « فتح » ورجال جيش الاردن الباسل كانت فاجعة لاسرائيل ، فلم تستطع ان تحتل الاردن ولم تستطع ان تبقى في مشارف الضفة الشرقية وأمضت أغلب يومها تجر قتلها وجرحاها بالسيارات والطائرات .

يقول تقرير مستقى من الصحفيين الاجانب ذوي العلاقة باسرائيل امكن الحصول عليه بعد نحو اسبوعين من المعركة ما يلي : « اتصل مسئول اسرائيلي بعدد من الصحفيين الاجانب معظمهم من الامريكيين والاوربيين واليابانيين مساء يوم الاربعاء ٢٠ اذار ( مارس ) وطلب منهم التجمع في ساعة مبكرة من صباح الخميس في القدس المحتلة استعدادا لاطلاعهم على ما وصفه بأنه « مفاجأة كبيرة » . وفي الموعد أخذوا الى اريحا حيث أبلغوا وسط الضحك الصاخب : ستنقلون الى الضفة الشرقية بعد قليل لمشاهدة عمليات قواتنا في انهاء جيوب المخبين وقد تناول القهوة معا في عمان هذا المساء » (٦٢) .

ولكن هؤلاء الصحفيين لم يدخلوا الضفة الشرقية فضلا عن عمان ،

(٦٢) جريدة الانوار اللبنانية ٦ ابريل ١٩٦٨

فقد لاقاهم ذلك المسئول في حالة من التجهم والارتباك بعيد العاشرة صباحا وأبلغهم ان الرحلة ستكون لتل اييب حيث حضروا مؤتمرا صحفيا لا قيمة له » .

لقد كانت خسائر اسرائيل في هذه المعركة ذات اليوم الواحد تزيد أو تقارب ما خسرت في حرب يونيو ( حزيران ) . فقد قدرت الاوسناط والصحف الغربية بأن اسرائيل فقدت ما لا يقل عن ١٢٠٠ بين قتيل وجريح وما لا يقل عن ١٢٠ دبابة ومصفحة وآلية قد أعطيت .

ولقد سمعت بأذني من شيخ يسكن القدس وسمح له بزيارة اقاربه في عمان وقابلته شخصا في مكان آخر : « ان سكان القدس العرب كانوا يعيشون منذ صباح ذلك اليوم في قلق بالغ خوفا من نتائج الهجوم الاسرائيلي على الضفة الشرقية ، وكانوا يتابعون تحركات اليهود منذ الصباح الباكر . وانهم بدأوا يتنفسون الصعداء منذ العاشرة صباحا حين أخذت طائرات الهليكوبتر اليهودية تنزل قرب مستشفى هداسا - يرونها وهي تنزل القتلى والجرحى ، وحين أخذت طوابير سيارات الاسعاف في رتل طويل تقطع الطريق ذهابا وايابا الى منطقة القتال مما افهم العرب في القدس ان غزو اسرائيل لشرق النهر لم يثمر ثماره وان خسائرهم كبيرة وكبيرة جدا » . قال هذا الشيخ وعدنا الى بيوتنا نعانق أطفالنا ونحدثهم ان اطمئنا فان امتكم ما زالت بخير ، ان امتكم لم تمت كما يقول لكم اطفال اليهود منذ الخامس من يونيو » (٦٣) .

ويصف متحدث رسمي لمنظمة « فتح » ساعات من ذلك اليوم في تصريحه أثناء المعركة فيقول :

« استمرت المعارك الضارية على طول الجبهة حيث فشل العدو في تحقيق اي من أهدافه ، وفي الساعة الثانية بعد الظهر بدأ العدو يتقهقر بذعر وبطريقة غير منتظمة أمام الضربات المذهلة التي سددتها له قواتنا ولا يزال ثوارنا يلاحقون العدو ويكبدونه الخسائر الفادحة مما اضطره الى طلب وقف اطلاق النار عندما ادرك ان تفوقه الجوي والآلي لا يحميه من رجال صمموا على النصر » .

ويصف مراسل مجلة « الثورة الفلسطينية » العسكري الذي عاش في قلب المعركة مشاهداته فيقول :

« بين الخامسة والنصف من صباح الخميس والثامنة والنصف من

(٦٣) اني احتفظ باسم هذا السيد الذي عاد من جديد للقدس داعيا الله ان الاقيه من جديد في رحاب الاقصى المقدس .







وقد خاض الفدائيون من شعب فلسطين معارك ضارية في جميع ارجاء فلسطين سطورا بدمائهم حروف التضحية ، وقووا العزم لدى جماهير امتنا العربية كلها ، لقد بلغ عدد شهداء « فتح » حتى قبيل يوم الكرامة سبعين شهيدا ولا نذكر ان قرابة مائتي شهيد لحقوا باخوانهم بعد ذلك حتى اليوم ، ولكن خسائر اسرائيل في جنودها وسياراتها ومستعمراتها ومصاريف فرقها المستنفرة على الدوام هذه كلها كانت كبيرة اعترف بها ديان وزير حربية الاعداء نفسه وليس بإمكاننا في هذه العجالة ان نعدد معارك « فتح » والفدائيين ، ولكن هذا لا يمنعنا ان نعيد للاذهان هجوم فتح على مطار أريحا والهجوم على مخازن البترول في ميناء ايلات حيث بقي الحريق ثلاثة ايام بلياليها ، والهجوم على معسكرات الاعداء في ضواحي نابلس ومحاولة قتل قائدها مرات ثلاث ، والهجوم على قرى مجاورة لتل أبيب ، ونسف مستودع الذخيرة الكبير في تلك القرى والكمين المهم الذي اعد لموشى ديان فأبقاه شهرا تحت علاج خطير ، ومعركة عين عروس التي فقدت فيها اسرائيل اكثر من سبعين جنديا بين قتيل وجريح وكانت أثرا للعرض العسكري بالقدس وفقدت العاصفة فيها اثني عشر من شباب فتح المهمين . ويعلن بلاغ لفتح انه في احدى عشر عملية فدائية خسرت اسرائيل اكثر من ١٥ جندي وبعض السيارات العسكرية ، وتلك معارك فتح عند خان يونس وغزة التي هب شعبها ليقاوم برجاله ونسائه جحافل العدو حتى اربكها طوال شهر مايو ( ايار ) ١٩٦٨

ويواصل الفدائيون عملهم كل يوم وقد بذلت الجبهة الشعبية جهدا كبيرا في معركة بيت فوريك حيث قاومت تشكيلات من طائرات العدو وسريتين من المظليين حتى فقد العدو نحو من ستين بين قتيل وجريح . ويطول بنا الحديث لو تناولنا المعارك مفصلة سواء من فتح او الجناح العسكري التابع للمنظمة او الجبهة الشعبية . ولقد وضع ان العمليات المشتركة بين فتح وجناح المنظمة كانت ذات اثر كبير وقوي . ونحن نسطر هذه الصفحات وقد اذاعت الجبهة الشعبية بلاغها المهم التالي : تعلن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين مسؤوليتها عن خطف طائرة ( العال ) اليهودية من طراز بوينج ٧٠٧ بين روما وتل أبيب ( مطار اللد ) في ساعة مبكرة من صباح الثلاثاء ٢٣ تموز ( يوليو ) ١٩٦٨ ، وقد قامت احدى وحداتنا المتخصصة بالسيطرة على الطائرة اثناء تحليقها في الجو ، وارغمت ملاحيتها على الهبوط في مطار الجزائر ، اننا نرجو من الحكومة الجزائرية ان تعتبر الطائرة وملاحيتها وركابها من الاسرائيليين رهائن لديها مقابل الاسرى والمعتقلين من رجال المقاومة الفلسطينية المنتمين الى كل التنظيمات المقاتلة والذين تقوم اسرائيل بتعذيبهم تحت ظروف قاسية وغير انسانية . ان

الجبهة تعلن مسؤوليتها بمفردها وتؤكد انه لم يكن للجزائر علم مسبق بذلك . ان حركة المقاومة الفلسطينية حركة مشروعة ضد الاغتصاب الصهيوني لأرض فلسطين وهي ككل حركات المقاومة في التاريخ تتطلع بأمل الى شعوب العالم وتطلب منها الدعم والتأييد وان شركة ( العال ) هي شركة ساهمت في معركة حزيران وليست شركة مدنية \* كان هذا البيان يشرح العمل الفدائي المهم اذ سافر بالطائرة المذكورة بعض شباب هذه الجبهة وحين كانت فوق البحر الابيض رفع احدثهم قبلة يدوية وصاح : لقد فقدت امي وابي في الحرب ولم يعد لي شيء اريده اذا لم ترفعوا ايديكم جميعا فجرت بكم الطائرة . فرضخ الجميع خاضعين وكانوا ٣٨ راكبا و١١ ملاحا . واتجه في نفس اللحظة شاب اخر الى قائد الطائرة فأرغمه بمسدسه على تغيير وجهة سيرها ، وحين عارض مساعد القائد تلقى ضربة ادمت رأسه ، اما الثالث فقد وقف بمسدسه امام باب القيادة ليضمن تنفيذ كل شيء . \*\*

#### واجباتنا تجاه معركة المصير :

وهكذا يتصاعد العمل الفدائي ، ويتضح ان العون للفدائيين ولكل مجهود حربي عربي هو ليس فرض كفاية يمكن ان يقوم به البعض دون البعض ، بل هو واجب حتمي على كل فرد ، وفي كل قطر وضقع من عالمنا العربي الكبير ، ولا اعتقد ان الموضوع في حاجة الى اقناع ، فان اسرائيل تهدف الى تفتيت الوطن العربي وتمزيقه ، وهي تعمل الى اخضاع جزء من مصر يضم الاسكندرية والدلتا الى سيناء تحت علمها ، والى احتلال الاجزاء الهامة من العراق وسوريا ثم احتلال الجزيرة العربية حيث تريد ان تقع المدينة المنورة واطلال بني النضير وبني القينقاع القديمة تحت علم اسرائيل ، وقد صرح موسى ديان يوم دخوله القدس في السابع من يونيو الكارثة : لقد وصلنا اورشليم وما زال امامنا يثرب وأملاك قومنا فيها . ولسنا ندري لو تم هذا ماذا بقي للعالم العربي من كيان او كرامة او وجود ، ولا نتصور ان هذا احتمال يجب الا يشغل الناس الان ، فان اسرائيل نفسها كانت احتمالا قبل عشرين عاما وان احتلالها القدس كان احتمالا قبل عام من الان . ولا نتصور ان يكون الامر خاصا بالعرب المجاورين لفلسطين ، فان

\* بعد صدور الطبعة الاولى من كتابنا هذا حدث ان حجزت الطائرة وحقق مع ملاحينا ، واعلن اتحاد الطيران الدولي تهديده بمقاطعة الجزائر ، وتضافرت المطارات العربية ضده ، وبعد انتظار طويل بواسطة ايطالية ، عادت الطائرة الى مطار رومة فسلمت لاسرائيل ، وقد اطلقت هذه سراح بعض المساجين العرب والاسرى بحسب رأيها واختلفت التعليقات حول ارجاع الطائرة للعدو .

\*\* هاجم جماعة من الجبهة الشعبية بالقنابل طائرة العال في مطار أثينا ، والفدائيان معتقلان رهن المحاكمة حتى الآن ، كما هاجم ثلاث شبان ومعهم الفدائية امينة دحيور طائرة اعال في زيورخ ، وقتل اليهودي مردخاي الشهيد عبد المحسن حسن بعد القاء سلاحه للشرطة السويسرية ، وقبلت سلطات سويسرا الافراج عنه بضمانة ، ورفضت ضمانات جزائرية مماثلة للابطال العرب . واعتقلت الفتاة منى السعودي وشاب فلسطيني بكونهما هاجم بتهمة حيازة سلاح لاغتيال بن غوريون اثناء رحلته في امريكا الجنوبية . واعلن رفع فتح لعلم فلسطين على الحمة واحتلالها ثلاث ساعات واعتبر هذا تطورا في عملها المستمر كل يوم



الموضوع خاص بالجميع وخطر على الجميع ولناخذها من اولها : ان السعودية يجب ان تقدم كل امكاناتها للمعركة فان هدف اسرائيل في اجزائها وفي مدينة الاسلام التي تعتبر السعودية حفيظة عليها لم يعد سرا يحتاج الى اعلان ، وان دول الخليج العربي يجب ان تقدم كل امكاناتها فانه لا ينتظر ان يكون لها مكان ولا كيان اذا استطاع الاعداء قهر السعودية ومدينة الاسلام فيها . ان العراق يجب ان تقدم كل امكاناتها فان المعنى المرسوم على باب البرلمان اليهودي «من النيل الى الفرات وطنكم الموعود» ، ولسنا في حاجة للحديث عن واجبات الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العربية السورية والمملكة الاردنية فان سيف اسرائيل قد استطاع ان يعمل في اجسامهم جميعا .

اما دول شمال افريقيا ليبيا وتونس والجزائر والمغرب فليكن واضحا امامها جميعا انه من غير المنطق ولا المعقول ( اذا استطاعت اسرائيل ان تكبل منطقة المشرق العربي بفروها ) ان تبقى تلك الدول راغدة هائلة ، آمنة لبعده المسافة ، ومتعلقة بانعدام الاطماع ، أما بعد المسافة فلم يعد العالم يعترف به . وحديثا غزت هولندا في غربي اوربا بلاد اندونيسيا في شرقي آسيا ، وما زالت اساطيل امريكا (العون الاكبر لاسرائيل) تجوب بحارنا وتستغل موانئنا رغم بعد امريكا عنا . اما عدم الاطماع فمن اهداف الصهيونية السيطرة على العالم ، ولا ارى السيطرة على عالمنا العربي اذا تهاونا الا اقرب وادنى ، وحين بحث خلق وطن لليهود قبل نصف قرن كانت برقة (٦٦) من ليبيا محلا مقترحا لذلك ، فالصهيونية تتفنن بتاريخ لها في بعض الاجزاء الليبية ، وبثورة احرقت فيها الاخضر واليابس هناك ، قبل الف ومئات السنين ، واذا استطاعت الصهيونية ان تخلق امبراطورية فوق اجسادنا ، فلا ريب انها تستطيع ان تعترض على اي مشروع اقتصادي ينشأ في الرباط والدار البيضاء باعتباره ينافس منتجاتها ، وسوف تعترض على اي مطار يقام في ليبيا او تونس او الجزائر باعتباره يهدد أمنها . قد يقول بعض القراء ان هناك مجلس الامن وهناك الدول الكبرى ، وأنا لا أجادلهم في المعنى الخرافي لهذه المسميات ، ولكنني اعيد عليهم ما سبق ان تردد في التاريخ ، من أن لهذه الدول مصالح لا اصدقاء ، ومجلس الامن مجمع سياسي ليس محكمة قانون ولا مجمع حكيم ، ولا أحيل احدا الى بعيد بل أحيلهم الى قرار مجلس الامن الذي صدر في ٢٢ نوفمبر ( تشرين الثاني ) ١٩٦٧ وهما هو بترنح متاوها ضعيفا في حقيبة السفير يارنج ، ومجلس الامن صامت كالأمر لا يعنيه .

(٦٦) تحت يدنا تقرير رسمي منقول عن جمعية يهودية انجليزية يشرح رحلة الخبراء الصهيونيين الى ليبيا وتفحصهم احوال برقة في اواخر العهد العثماني وفي ذلك التقرير ما يجب اطماعهم المحددة زما ومكانا .

هل ندرك لماذا يصمت مجلس الامن ؟ انه يصمت لأن احدا من أعضائه لم تتأثر مصالحه بوضعنا الذليل ، لم يفقد البترول ولم تفل أسعاره لديه ، ولم تتأثر حياة بلادهم بمقاطعة تجارية ولو غير معلنة ، وبالأعراض عن شركاتهم ولو بالخفاء ودون اعلان ، ولم يتأكدوا اننا على قوة من سلاح واننا سنحارب قريبا فيخشون تأثر مصالحهم ويدركون اننا نستطيع ان نعمل ، هذا هو مجلس الامن .

اما الدول الكبرى فقبل صداقتنا لها، يجب ان ندرك صداقاتها او على الاقل احترامها لبعضها ، وما أقدر هذه الدول على خلق المعاذير والتفاسير ، ان امريكا شجبت ضم القدس لاسرائيل ، ثم بعد قليل وجد رئيسها تفسيراً لذلك فصرح بأنه يدرك المعنى العميق لتعلق شعب اسرائيل بالقدس وحرمانه منها بفعل معتقدات (٦٧) الآخرين سنين طويلة ، وامريكا نفسها هي التي اعلنت انها سوف تكون ضد من يبدأ القتال ثم ها هي تحاول ان تستغل نصر اسرائيل لاعترافنا باسرائيل ، وتنادي بارغامنا ان نفاوضها وجها لوجه مفاوضة المهزوم امام سيده الظافر .

وتلك روسيا - وهي الصديق الكبير للعرب الآن - لم تسلمنا في ساعات الكارثة عوضا عن طائراتنا المحطمة نتيجة خدعة امريكية ، انطلت عليها واقنعنا قبيل المعركة بها ، وكان واجب الشرف يلقي عليها مسؤولية محددة ، ولو فعلت لكان ممكنا حماية جيوشنا من الترددي تحت طائرات العدو في الصحراء والسهول ، ولقلبت موازين الاعداء .

اذن فليدرك العرب والمسلمون انه لا مجلس للامن (٦٨) الا أمنهم ، وقوتهم ، ومالهم ، وحسن ادراكهم وتصرفهم ، وليدرك العرب والمسلمون أن الدول

(٦٧) انه يغمر معتقداتنا ويتناسى اننا اصحاب البلاد وغيرنا هو المفتصب المعتدي ، وان ديننا لم يضطهد طوال تاريخه اي دين آخر .

(٦٨) اعلنت منظمة (فتح) رفضها لهذا القرار منذ صدوره ، ثم أعد المجلس الفلسطيني المنعقد بالقاهرة في العاشر من يوليو ١٩٦٨ رفضه كذلك له ونحن نكتب هنا نصه دون تعليق : « ان مجلس الامن اذ يعرب عن قلقه المتواصل بشأن الوضع الخطر في الشرق الاوسط ، واذ يؤكد عدم القبول بالاستيلاء على اراضي بواسطة الحرب والحاجة الى العمل من أجل سلام عادل ودائم تستطيع كل دولة في المنطقة ان تعيش فيه بأمن .

واذ يؤكد ان جميع الدول الاعضاء بقبولها ميثاق الأمم المتحدة قد التزمت بالعمل وفقا للمادة الثانية من الميثاق .

اولا - يؤكد ان تحقيق مبادئ الميثاق يتطلب اقامة سلام عادل ودائم في الشرق الاوسط ويستوجب تطبيق المبادئ التالية وهما :

أ - سحب القوات الاسرائيلية من اراض محتلة في التلال الخيم  
ب - انتهاء جميع ادعاءات او حالات الحرب واحترام سيادة ووحدة أراضي كل دولة في المنطقة والاعتراف بذلك ، وكذلك استقلالها السياسي وحقوقها في العيش بسلام ضمن حدود



الكبرى لن تحميهم من اسرائيل ، وانه لا كبرى الا الامة العربية الكبرى مع امة الاسلام تتوحد جهودها وتنظم امورها وتتعاون اجزاؤها في سبيل يوم خالد لا بد فيه من نصر مهما ثقلت الاعباء . \*

ان ذلك المجمع الذي انعقد بالقاهرة في العاشر من يوليو ١٩٦٨ وضم مائة عضو من شعب فلسطين تحت اسم المجلس الوطني ، على الرغم من الفهم العميق انه لم يضم كل شخصية فلسطينية ذات اثر وعلاقة بالكفاح ، وعلى الرغم من الفهم العميق ايضا ان شخصياته المائة ليسوا جميعا على مستوى الاحداث او فوقها ، وليسوا ايضا خلاصة لشعب فلسطين ، ولكن ذلك الاجتماع كان ضرورة ليتعارف السياسيون والمراقبون والمقاتلون من شعب فلسطين ، وقد كانت افكار الشعب العربي تترقب ان تتحول منظمة التحرير الى هيئة فدايية تتكون من (فتح) والفريق المقاتل من جيش التحرير والجهة الشعبية لتكرس هذه الهيئة جهدها للقتال وتصعيد الحرب الفدايية حتى تتحول الى حرب شعبية لا تقل عما يجري الان في فيتنام .

ولكن صفة التكوين لذلك المجلس لم تكن مطابقة تماما للاحداث فوصل الى نتائج مؤقتة كان اهمها تأييد العمل الفداي ، ورفض قرار مجلس الامن الذي يدعو الى حدود آمنة لاسرائيل ومرور في المياه الدولية والتخلي عن اراض (٦٩) احتلت في حرب الخامس من يونيو وان تبقى الهيئة التنفيذية الاولى ورئيسها الذي جاء خلفا للسيد الشقيري حتى يعقد مجلس جديد بتكوين جديد في مدة لا تتجاوز الشهور الستة .

→ مأمونة ومعترف بها وحررة من التهديد او اعمال القوة .

ثانيا - يؤكد ايضا الحاجة الى :

أ - ضمان حرية الملاحة في الممرات المائية الدولية في المنطقة .

ب - تحقيق تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين .

ج - ضمان المناعة الإقليمية والاستقلال السياسي لكل دولة في المنطقة عن طريق اجراءات

بينها اقامة مناطق مجردة من السلاح .

\* لقد بذلت باكستان من الجهد في المحافل الدولية لقضيتنا ما يذكر بالاجلال والاكابر ، ولم تتخلف تركيا عن الوقوف معنا كذلك ، ويبدو ان التقارب بين العرب والاتراك يأخذ طريقا مبهدا سوف يكون فيه التعاون ضد الصهيونية الباغية . قال الصحفي التركي شهاب خان بصحيفة « ابو جون » التركية في حديثه عن زيارة وزير الزراعة الليبي في يونيو ١٩٦٨ : « ان الذين يحملون العقيدة الاسلامية يتمتعون باطلاع واقعي على نوايا الصهيونية التدميرية تجاه العالم الاسلامي وان الاستعمار جعل من الصهيونية اخطبوطا فظيما ، دسه بأفعى اسرائيل في قلب اقطار الاسلام ، وقد أدرك رؤساؤنا ضرورة التقارب والتكاتف بينهم للالتفاف حول انوار القرآن الكريم » .

(٦٩) كانت هذه الكلمة محل صراع طويل في مجلس الامن وبقيت بلقظتها الحالي اراض لا الاراضي وفي هذا بعد عن شمول الانسحاب من كل الاراضي المحتلة في حرب الايام الستة .

لقد واصلت (فتح) دعوتها : ان الوحدة انما تكون بين المقاتلين وفي جبهات العمل الفداي ، وان المجلس ليس مجلس مغانم ولا مكاسب ، وانها تعترض فقط على ان يكون الفدائيون جيشا تقليديا يربط في خطوط منتظرة ، او ان يتولى غيرها جباية العون من الشعوب العربية ، لقد أكدت (فتح) ان رجالها يتناولون القليل من العون من صندوقها ويتناولونه في اباء ، وانها تصرف على اسر الشهداء ، وانها تشعر بالاعتزاز والمنة لشعوب الامة العربية من ليبيا الى الكويت الى جميعها في المشرق والمغرب ، وانها قد استطاعت خلال جهاد اربع سنوات ربط الود الثوري مع شعوب الامة العربية ودولها ولا توافق ان ينقطع جبل الود هذا ، ولا ترى لها عونا خيرا منه ، ولا تعترف قبل هذا وبعده بطريق سليم للتحرير الا الحرب والحرب وحدها ، مهما كثرت الضحايا وازداد عدد الشهداء . ويشاركها في هذا الرأي رجال الجبهة الشعبية الذين ما فتئوا يواصلون عملهم الفداي .

ونحن نسجل خاتمتنا لهذا البحث عن شعب فلسطين والانباء تحمل لنا بيانات اسرائيلية عن معارك مع « فتح » حدثت بالامس ( العشرين من يوليو ١٩٦٨ ) وان عشرة من شبابها قد لقوا الشهادة . ولكن بلاغ (فتح) يشير الى خسائر اسرائيل الكثيرة في العتاد والرجال في منطقة شاسعة تحركت في الجنوب والشمال ، وفاجأت العدو في اكثر من مكان .

ان هذه الحركة التي تريد للثورة في مراحلها الاولى « ان تكون



في معسكر ما من معسكرات ( فتح ) مع ابي عمار ياسر عرفات



فلسطينية الوجه واليد ، عربية القلب والعون » (٧٠) تأخذ طريقها الفدائي كل يوم وهي في حاجة الى كل عون ، ومساندة ، لا يجوز ان يقف في طريق ذلك عائق ، ولا ان تحول الحوائل . لقد قررت « فتح » ان تكون لقضية فلسطين فقط فوق الاحزاب ، وفوق كل خلاف عربي ، وفوق كل رأي يحدث خلافا او يخلق تصدعا ، وهي مقررة ان تأخذ من كل بلد عربي الوجهة الايجابية لصالح الثورة والقضية ، حتى تصل ثورتها والثورة الفدائية كلها الى عمل حاسم تدرك به اسرائيل واعوانها انه التصميم والعزم والفداء ، وانه الطريق الى هزيمتها ونصرنا بعون الله .

وليس بعد هذا الا ان تندمج في (فتح) ومعها ، الهيئات الاخرى حتى تكون الوطنية في اوضح صورها ، واحلى معانيها ، ولتكن فلسطين حصن العرب الاول اهم عند ابنائها من شعارات وهتافات ، ولتكن معركة المصير ادنى الى قلوبهم من اي نداء مرجع ، او فكر مميح . لقد بذلت الجبهة الشعبية بعد يوم الكرامة جهدا طيبا وشهداء كراما ، وهي تدعو للوحدة العربية كعقيدة للقوميين العرب (٧١) أفلا ندعوها الى وحدة فدائية . ان في الجبهة الشعبية مجموعات كريمة من شباب صدق الوعد مع نفسه ووطنه ، ولن يكون جهدهم متكاملا وقويا وحاسما الا بالاتحاد الكامل مع (فتح) ، اتحاد قوي في العمل ، كقوة العمل في نفوسهم .

ان شعوب الامة العربية بل شعوب الاسلام كلها تؤمن بالحركة الفعالة الفدائية ، وقد أصبحت « فتح » هي عنوان تلك الحركة ، فلتتوحد معها كل هيئة او جماعة ليتوحد الجهد كله من العرب والمسلمين لصالحها ، وليتوحد العمل ضد الاعداء .

اننا على ابواب جديدة من التاريخ ، ولسنا نعرف كيف ستكون خريطة الوطن العربي خلال هذه السنوات المرة ، فالدعوة الحققة هي الدعوة الى العمل والصدق ، والترفع عن سفساف الامور والاتجاه الى وحدة الجهد كله من المحيط الى الخليج .

ان هزيمة الخامس من حزيران ، كشفت عن قصور وتقصير في كثير من اجهزتنا ، وعمرت افرادا وجماعات كانوا مسئولين كبارا هم الان رهن المحاكمات ، والاستفادة من تلك الدروس هي اول مظاهر تقدم امتنا وسيرها على الدرب

(٧٠) من حديث معنا للفدائي ابو عمار ياسر عرفات الناطق الرسمي باسم (فتح) .

(٧١) اصدرت الجبهة الشعبية بيانا في صحف لبنان خلال ابريل ١٩٦٨ اعلنت فيه انها

لا صلة لها بالقوميين العرب ، ثم علم ان ذلك البيان كان يمثل فقط قسما منها .

الصحيح . . ان المعركة خطيرة وطويلة وسيتحمل مسئوليتها كل فرد من الذين يعيشونها الان . والشعوب العربية التي نطالبها بالسخاء والعمل ، من حقها ان تضمن لها سلامة اموالها المدفوعة ، وثرواتها المسلمة . وانها لخير العمل الجماعي لا خوف عليها من يد عابثة ، ولا احتمال فيها لايد ناكثة . وبذلك تخلق الثقة بين حكوماتنا وشعوبها ، ويطمئن الجميع ان الجهد مسخر لمعركة مفروضة علينا ، وليس لنا عنها بديل .

لقد ذكرنا في هذا البحث الكثير من اوجه الحق والعداوة التي تحملها الصهيونية لاملنا العربي ، ولم يكن اليهود قد وجدوا امنا ولا سلاما الا في ارض العروبة والاسلام . وكأنما على شعبنا ان يتحمل وزر ما لاقى اليهود في مجالات اوربا ، فيخوض معركة طويلة دفاعا عن بقائه وتجاه قوى بريطانيا التي بنت وطن اليهود القومي ، وقوى امريكا التي تقف معادية لامتنا عداوة لم تنسبها ولسنا فيها بالمهاجمين .

اننا لسنا اعداء بالخلقة لهذه الدول ، ولكنه الصراع في سبيل البقاء ، وعليها وحدها تقع مسئولية التاريخ ، على بريطانيا ان تصحح اخطاءها التاريخية ضدنا ، وعلى امريكا ان تدرك ان دفاعنا المشروع عن وجودنا يحتمه موقفها ضدنا ، وان صداقتنا ليس اقرب منها ولا اسهل ، اذا آمنت بحقنا في حريتنا ، ونزعت عن منهاجها سبيل مناصرة اعدائنا ، والعمل على تقويض اوطاننا ، ان دول العالم كلها شرقيها وغربيها ، حين تمد يدها لامتنا باخلاص ودون تحكم ، ستجد ايادي مئات الملايين ترحب ، وتصافح . لسنا عدوانيين بطبعنا ولكنه حق الحياة والحرية .

وهكذا يستبين الصبح لكل ذي عينين وتدرك شعوبنا وحكوماتنا طريقها السوي .

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » .



## ملحق رقم ١

### قانون يقضي بتعديل التشريعات العثمانية

#### فيما يتعلق بالأراضي الموات

( ١٦ شباط سنة ١٩٢١ )

المادة ١ - يطلق على هذا القانون اسم قانون الأراضي ( الموات ) .

المادة ٢ - تستبدل الفقرة الأخيرة من المادة ١٠٣ من قانون الأراضي العثماني بما يلي :

« كل من نقب أرضاً مواتاً أو زرعها دون أن يحصل على موافقة مدير الأراضي لا يحق له أن يحصل على سند ملكية بشأن تلك الأرض ويعرض نفسه فضلاً عن ذلك للمحاكمة لتجاوزه على الأرض » .

## ملحق رقم ٢

### مرسوم دستور فلسطين

صدر عن البلاط الملكي في قصر بكنجهام في اليوم العاشر من شهر  
آب سنة ١٩٢٢

الحضور  
صاحب الجلالة الملك

الوزير شورت

رئيس الأمناء

المستر مكردى

اللورد ستامفورد هام

لما كانت دول الحلفاء الكبرى قد وافقت على أن يعهد بإدارة فلسطين

## الملاحق

( نشرنا في هذه الملاحق المواد ذات العلاقة ببحثنا ،  
أما النصوص الكاملة باللغة العربية مصورة من مكتبة  
الجامعة الأمريكية ببيروت ، وباللغة الإنجليزية مصورة  
من المتحف البريطاني بلندن فقد أودعناها مجلداً خاصاً  
بمكتبه قسم التاريخ في كلية اللغة العربية بجامعة  
الأزهر )



التي كانت تابعة فيما مضى للمملكة العثمانية بالحدود التي تعينها تلك الدول الى دولة منتدبة تختارها الدول المشار اليها ، من اجل تنفيذ نصوص المادة ٢٢ من ميثاق عصبة الامم .

ولما كانت دول الحلفاء الكبرى قد وافقت ايضا على ان تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن تنفيذ التصريح الذي اصدرته في الاصل حكومة صاحب الجلالة البريطانية في اليوم الثاني من شهر تشرين الثاني سنة ١٩١٧ واقتره الدول المذكورة لصالح انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين على ان يفهم بجلاء بأنه لا يؤتى امر من شأنه أن يجحف بالحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية الموجودة الان في فلسطين او بالحقوق والاحوال السياسية التي يتمتع بها اليهود في اية بلاد اخرى .

ولما كانت دول الحلفاء الكبرى قد اختارت جلالته للانتداب على فلسطين

ولما كان جلالته يتمتع بالسلطة والاختصاص في فلسطين بحكم معاهدات وامتيازات وعادات صريحة او ضمنية وغير ذلك من الوسائل المشروعة .

لذلك وعملا بالسلطات المخولة لجلالته بهذا الشأن في قانون الاختصاص في البلاد الاجنبية لسنة ١٨٩٠ وبغير ذلك من الصلاحيات وتنفيذا لتلك الصلاحيات وعملا بمشورة مجلسه الخاص يرسم جلالته ما يأتي :

#### \* السلطة التنفيذية :

##### منصب المندوب السامي :

المادة ٤ - يجوز لجلالته ان يعين براءة موقعة بتوقيعه ومختومة بختمه شخصا من ذوي اللياقة لادارة حكومة فلسطين يلقب بالمندوب السامي والقائد العام او بأي لقب آخر يروق لجلالته ويشار الى الشخص المعين على هذه الصورة فيما يلي من هذا المرسوم بالمندوب السامي .

##### \* سلطات المندوب السامي :

المادة ٥ - يقوم المندوب السامي بتنفيذ كافة المهام المناطة بمنصبه بالصورة الواجبة وفقا لمنطوق المراسيم التي قد يصدرها جلالته في مجلسه

الخاص بشأن فلسطين واية براءة تصدر اليه موقعة بتوقيع جلالته ومختومة بختمه ووفقا للتعليمات التي تصدر اليه من آن الى آخر بتوقيع وختم جلالته من اجل تنفيذ احكام صك الانتداب ووفقا للتعليمات التي تصدر اليه بمرسوم من جلالته في المجلس الخاص او بواسطة احد وزرائه ووفقا لكافة التشريعات والقوانين المعمول بها الآن او التي سيعمل بها فيما بعد في فلسطين .

#### \* المجلس التنفيذي :

المادة ١٠ - يتألف المجلس التنفيذي لاسداء المشورة للمندوب السامي قوامه الاشخاص الذين يشير بهم جلالته بموجب تعليمات يرسلها الى المندوب السامي من آن الى آخر تحت ختم وتوقيع جلالته ، ويشكل بالصورة التي يوعز بها جلالته في تلك التعليمات ويحتفظ هؤلاء الاشخاص بمراكزهم في المجلس حسب مشيئة جلالته ويراعي المجلس التنفيذي في تصريف اشغاله القواعد التي قد تقرر في مثل تلك التعليمات من حين الى آخر .

#### \* الاراضي العمومية :

المادة ١٢ (١) تناط بالمندوب السامي آنئذ جميع الحقوق في الاراضي العمومية او الحقوق المتعلقة بها وله ان يمارس تلك الحقوق بصفة كونه امينا عن حكومة فلسطين .

(٢) تناط بالمندوب السامي كافة المناجم والمعادن على اختلاف انواعها واوصافها سواء اكانت فوق اليابسة او المياه ام تحتها وسواء اكانت تلك المياه انهرها داخلية ام بحيرات ام مياهها ساحلية ، على ان يراعى كل حق ممنوح لاي شخص لاستثمار هذه المعادن او المناجم بمقتضى امتياز يكون نافذا في تاريخ هذا المرسوم .

#### \* سلطة المندوب السامي في هبة الاراضي :

المادة ١٣ - للمندوب السامي ان يهب او يؤجر اية ارض من الاراضي العمومية او اي معدن او منجم وله ان ياذن باشغال مثل هذه الاراضي بصفة مؤقتة وبالشروط والمدة التي يراها ملائمة على ان تراعى في ذلك احكام اي قانون :

ويشترط في ذلك ان تجري كل هبة كهذه او كل ايجار او تصرف كهذا وفقا لمرسوم او تشريع او قانون معمول به الآن في فلسطين او سيعمل به فيما بعد او وفقا لما قد يصدر للمندوب السامي من التعليمات بتوقيع



## جلالته وختمه أو بواسطة الوزير ، تنفيذاً لأحكام صك الانتداب (١) .

### \* تعيين الموظفين :

المادة ١٤ - للمندوب السامي ان يعين او يجيز تعيين من يستنسب تعيينهم من الموظفين لحكومة فلسطين بالالقباب التي يراها ملائمة، وله ان يقرر حدود وظائفهم ، على ان يكون ذلك خاضعاً لما ينهي به الوزير ، ويبقى هؤلاء الموظفون في مراكزهم حسب مشيئة المندوب السامي ، الا حيث ينص القانون على خلاف ذلك .

### \* توقيف الموظفين عن العمل :

المادة ١٥ - للمندوب السامي ، مع مراعاة التعليمات التي يتلقاها من حين الى آخر ، ان يعزل اي شخص يشغل وظيفة عامة في فلسطين او ان يوقفه عن ممارسة مهام وظيفته وله ، مع مراعاة التعليمات الانفة الذكر ، ان يتخذ بحقه الاجراءات التأديبية التي يستصوبها اذا ظهر له ان هناك سبباً كافياً يبرر ذلك .

### \* منح العفو :

المادة ١٦ - اذا ارتكبت جريمة او جرم في فلسطين او ارتكبت جريمة من الجرائم التي يجوز محاكمة مرتكبها في فلسطين فللمندوب السامي ، اذا ما رأى مبرراً ، ان يصدر عفو عن اي شريك في تلك الجريمة او الجرم يعطي اية معلومات وشهادة تؤدي الى ادانة الفاعل الاصلي او الفاعلين الاصليين ، وله ايضا ان يعفو عن اي مجرم ادين بارتكاب جرم من قبل اية محكمة او قاض او حاكم صلح في فلسطين اما عفواً مطلقاً او عفواً مقيداً بقيود مشروعة او ان يخفف الحكم الذي صدر بحق المجرم المذكور او ان

(١) النص الانجليزي كما صورناه من المتحف البريطاني بلندن هو كما يلي :

13. The High Commissioner may make grants or leases of any such public land or mines or minerals or may permit such lands to be temporarily occupied on such terms or conditions as he may think fit subject to the provisions of any Ordinance.

Provided that such grant or disposition shall be in conformity either with some Order-in-Council or Law or Ordinance now or hereafter in force in Palestine, or with such instructions as may be addressed to the High Commissioner under His Majesty's Sign Manual and Signet, or through a Secretary of State, for the purposes of executing the provisions of the Mandate.

يؤجل تنفيذه للمدة التي يستصوبها وله ايضا ، اذا ما رأى مبرراً ، ان يتجاوز عن اية غرامة او جزاء نقدي او مصادرة تنشأ او تصبح مستحقة الدفع بمقتضى حكم صادر من محكمة او حاكم صلح في فلسطين .

### السلطة التشريعية :

### \* المجلس التشريعي :

المادة ١٧ - اعتباراً من تاريخ يعينه المندوب السامي في المجلس التنفيذي بمنشور ينشر في الوقائع الفلسطينية يشكل مجلس تشريعي لفلسطين وفقاً لما هو منصوص عليه في هذا المرسوم ويقوم ذلك المجلس مقام اي مجلس استشاري يكون موجوداً حينئذ .

ويبقى المندوب السامي متمتعاً بالسلطات المخولة له الان لسن القوانين بعد استشارة المجلس الاستشاري حتى تاريخ انتخاب اعضاء المجلس التشريعي المشار اليه .

### \* صلاحيات المجلس التشريعي :

المادة ١٨ - للمجلس التشريعي السلطة والصلاحيات التامة في اصدار ما تدعو الضرورة اليه من القوانين من اجل السلام والنظام وحسن ادارة الحكم في فلسطين دون اخلال بالسلطات المنوطة بجلالته او المحتفظ له بها في هذا المرسوم ، على ان تراعى في ذلك دائماً جميع الشروط والقيود المقررة في اية تعليمات يصدرها جلالته بختمه وتوقيعه بشرط ان لا يصدر قانون من شأنه ان يقيد الحرية التامة في العقيدة وحرية القيام بشعائر العبادة على اختلاف انواعها الا بمقدار ما قد يكون ضرورياً لحفظ النظام العام والآداب العامة، وان لا يصدر اي قانون من شأنه ان يميز بين اهالي فلسطين على اي وجه كان على اساس العنصر او المعتقد او اللغة .

ولا يجوز ان يصدر قانون يكون مناقضاً او مخالفاً لأحكام صك الانتداب بوجه من الوجوه (٢) .

### \* توقيف أعمال المجلس وحله :

المادة ٢٢ - للمندوب السامي بمنشور يصدره في اي وقت من الاوقات

(٢) النص الانجليزي كما صورناه من المتحف البريطاني بلندن هو كما يلي :

No Ordinance shall be passed which shall be in any way repugnant to or inconsistent with the provisions of the Mandate.



ان يفض المجلس او يحله ، ويترتب على المندوب السامي ان يحل المجلس عند انقضاء ثلاث سنوات من تاريخ اول جلسة يعقدها .

\* عدم العمل بالقوانين قبل الموافقة عليها :

المادة ٢٤ - لا يعمل بأي قانون ما لم يوافق عليه المندوب السامي ويقرن بتوقيعه ايذانا بتلك الموافقة او ما لم يقره جلالته بمرسوم او بواسطة الوزير (٢)

المادة ٢٥ - للمندوب السامي ان يعلن موافقته او عدم موافقته على اي قانون بمحض ارادته مع مراعاة التعليمات الصادرة اليه بتوقيع جلال الملك وختمه .

\* التشريعات الواجب تطبيقها :

المادة ٤٦ - تمارس المحاكم النظامية صلاحيتها وفقا للتشريعات العثمانية التي كانت نافذة في فلسطين في اليوم الاول من شهر تشرين الثاني سنة ١٩١٤ وسائر القوانين العثمانية الصادرة بعد ذلك التاريخ والتي اعلن او قد يعلن باعلان عام سريانها في فلسطين ، ووفقا للمراسيم والقوانين والانظمة المعمول بها في فلسطين عند سريان هذا المرسوم او التي قد تطبق او تصدر بعد تاريخ هذا المرسوم ، ومع مراعاة احكام القوانين والمراسيم والانظمة المذكورة اعلاه وفي الاحوال التي لا تتناولها تلك القوانين والمراسيم والانظمة او لا تكون منطبقة عليها ، تمارس هذه الصلاحية وفقا لروح التشريع العام ومبادئ العدل والانصاف المتبعة في انكلترا ووفقا للصلاحيات المخولة لمحاكم العدل ومحاكم الصلح في انكلترا او للاصول والعادات المتبعة امام تلك المحاكم او من قبلها وبمقتضى صلاحياتها وسلطاتها المختلفة في ذلك التاريخ الا بمدى ما طرأ او ما قد يطرأ فيما بعد على تلك الصلاحيات او الاصول او العادات من التعديل او الالفاء او التغيير او الاستبدال بموجب احكام اخرى :

ويشترط في ذلك دائما ان لا يطبق التشريع العام المذكور ومبادئ العدل والانصاف المشار اليها اعلاه في فلسطين الا بقدر ما تسمح به ظروف

(٢) النص الانجليزي هو كما يلي :

24. No Ordinance shall take effect until either the High Commissioner shall have assented thereto and shall have signed the same in token of such assent, or until the assent of His Majesty thereto has been given by Order-in-Council or through a Secretary of State.

فلسطين واحوال سكانها ومدى اختصاص جلالته الملك فيها وان تراعى عند تطبيقها التعديلات التي تستدعيها الاحوال المحلية (٤) .

\* ابعاد المجرمين السياسيين :

المادة ٦٩ (١) اذا ثبت للمندوب السامي بينة مشفوعة باليمين ان شخصا يسلك سلوكا خطرا على الامن والنظام في فلسطين او أنه يسعى لاثارة العداء بين اهالي فلسطين والدولة المنتدبة او انه يكيد لسلطة الدولة المنتدبة في فلسطين ، فيجوز للمندوب السامي اذا استصوب ذلك ان يصدر امرا موقعا بتوقيعه ومختوما بالختم العمومي يقضي فيه بابعاد ذلك الشخص من فلسطين الى المكان الذي يعينه .

\* عدم استئناف امر الابعاد :

المادة ٧٠ - لا يستأنف امر الابعاد الصادر بموجب هذا المرسوم .

\* عقوبة الشخص المبعد اذا رجع بدون اذن :

المادة ٧١ (١) اذا رجع الى فلسطين شخص كان قد ابعد بمقتضى هذا المرسوم بدون اذن كتابي من المندوب السامي الذي يجوز له ان يمنح مثل هذا الاذن فيعتبر انه ارتكب جرما ويعاقب لدى ادانته بالحبس مدة لا تتجاوز ثلاثة اشهر مع غرامة لا تزيد على الخمسين جنيها مصريا او بدونها ويعرض نفسه للابعاد ثانية في الحال .

\* الاجراءات المتعلقة بالابعاد :

المادة ٧٢ (١) اذا تقرر نقل شخص او ابعاده من فلسطين بمقتضى هذا المرسوم يوقف ذلك الشخص اذا دعت الحاجة الى ذلك تحت الحفظ او في السجن بذاكرة من المندوب السامي موقعة بتوقيعه ومختومة بالختم العمومي ريثما تسنح فرصة ملائمة لنقله او ابعاده واذا كان المراد ابعاده الى ما وراء البحار فيوضع على ظهر سفينة من سفن جلالته الحربية ، او اذا لم يكن ثمة سفينة كهذه فيوضع على ظهر باخرة بريطانية او اية باخرة اخرى ملائمة .

(٤) النص الانجليزي هو كما يلي :

Provided always that the said common law and doctrines of equity shall be in force in Palestine so far only as the circumstances of Palestine and its inhabitants and the limits of His Majesty's jurisdiction permit and subject to such qualification as local circumstances render necessary.



المادة ٨٢ - تنشر باللغات الانكليزية والعربية والعبرية، كافة القوانين والاعلانات الرسمية والنماذج الرسمية التي تصدرها الحكومة وجميع الاعلانات الرسمية التي تصدرها السلطات المحلية والبلديات في المناطق التي يعينها المندوب السامي بمرسوم ويجوز استعمال اللغات الثلاث في المناقشات والمباحثات التي تدور في المجلس التشريعي ويجوز استعمالها ايضا في دوائر الحكومة ومحاكمها مع مراعاة الانظمة التي تصدر بين الاونة والاخرى بهذا الصدد .

المادة ٨٤ (١) يترتب على المندوب السامي ان يستنير برأي لجنة مؤلفة مما لا يقل عن نصف اعضاء المجلس التشريعي غير الموظفين في جميع الامور المتعلقة بتنظيم الهجرة الى فلسطين ، ويصدر مرسوم بمنح هذه اللجنة التفويض والسلطات اللازمة لتنظيم اعمالها وادارتها كما يتطلبه تنفيذ احكام هذه المادة .

المادة ٨٥ - اذا كانت أية طائفة دينية أو فريق كبير من سكان فلسطين يشكو من عدم قيام حكومة فلسطين بتنفيذ صك الانتداب فيحق للطائفة أو الفريق المذكور أن يرفع مذكرة بذلك الى المندوب السامي ، بواسطة عضو من اعضاء المجلس التشريعي وكل مذكرة رفعت على هذا الوجه ينظر فيها بالصورة التي يقررها جلالتة وفقا للاصول التي يوصي باتباعها مجلس عصبة الأمم (١) .

المادة ٨٩ - يحتفظ لجلالتة ولورثته وخلفائه من بعده بعد استشارة المجلس الخاص بسلطة اصدار التشريعات والقوانين التي يرونها ضرورية بين الآونة والاخرى لتوطيد الامن والنظام وانتظام الحكم في فلسطين وفقا للانتداب الممنوح له .

(١) كان صك الانتداب كله ينص على التهويد وهذه المادة تبيح الشكوى من عدم تنفيذه لا من عدم عدله وصلاحيته وكان النص الانجليزي كما يلي :

85. If any religious community or considerable section of the population in Palestine complains that the terms of the Mandate are not being fulfilled by the Government of Palestine, it shall be entitled to present a Memorandum through a member of the Advisory Council or other advisory body constituted under Article 17 (I) (b) of this Order or of the Legislative Council as the case may be to the High Commissioner. Any memorandum so submitted shall be dealt with in such manner as may be prescribed by His Majesty in conformity with the procedure recommended by the Council of the League of Nations.

## الملحق رقم - ١ -

### دستور فلسطين المعدل لسنة ١٩٢٣

صدر عن البلاط الملكي في قصر بكنجهام  
في اليوم الرابع من شهر ايار سنة ١٩٢٣

#### الحضور

صاحب الجلالة الملك

الوزير السير صموئيل هور  
السير فردريك بونسبي

الرئيس  
رئيس الامناء

بما ان المرسوم الصادر من جلالة الملك في مجلسه الخاص المؤرخ في ١٠ آب سنة ١٩٢٢ والمسمى بمرسوم دستور فلسطين لسنة ١٩٢٢ (١) ويعرف فيما بعد بالمرسوم الاصلي ) قد نص على انشاء مجلس تشريعي في فلسطين وانتخاب قسم من اعضائه .

وبما انه من المناسب تعديل المرسوم المذكور وفقا لما هو وارد ادناه .  
لذلك فان صاحب الجلالة الملك بمقتضى السلطات الممنوحة له بقانون الاختصاص الاجنبي لسنة ١٨٩٠ وخلافها وعملا بهذه السلطات وبعد استشارة مجلسه الخاص قد رسم ما يأتي :-

#### \* اسم المرسوم :

المادة ١ - يطلق على هذا المرسوم اسم مرسوم دستور فلسطين المعدل لسنة ١٩٢٣ ويقرأ ويفسر مع المرسوم الاصلي كمرسوم واحد .

المادة ١٧ (١) (أ) - يكون للمندوب السامي السلطة التامة لوضع القوانين الضرورية لتوطيد الامن والنظام وانتظام الحكم في فلسطين بدون اخلال بالسلطات المستقرة في جلالتة او المحتفظ بها لجلالتة بمقتضى هذا المرسوم ، مع مراعاة الشروط والقيود التي تنص عليها التعليمات التي قد يصدرها له جلالتة مختومة بختمه وتوقيعه او بواسطة الوزير .

(ج) - لا ينفذ أي قانون يكون مخالفا أو مناقضا لاحكام صك الانتداب ولا ينفذ قانون يتعلق بأمور ورد نص خاص بشأنها في احكام صك الانتداب



ما لم يكن مشروع ذلك القانون قد عرض على الوزير وصادق عليه بتعديل  
او بدون ذلك (ه) .

#### الملحق رقم - ٤ -

##### دستور فلسطين المعدل لسنة ١٩٣٣

صدر عن البلاط الملكي في قصر سندرتهام  
في اليوم السابع من شهر شباط سنة ١٩٣٣

الحضور  
صاحب الجلالة الملك

الرئيس : دوق لانكستر

الايمل ستانهوب

بما ان احكام الشرع الاسلامي كانت قد خولت السلطان صلاحية  
تحويل الاراضي « الميري » الى اراض « ملك » وورد نص بشأن هذه  
الصلاحية في المادة ١٢١ من قانون الاراضي العثماني والمادة ٨ من قانون  
التصرف بالاموال غير المنقولة المؤرخ في ٣٠ مارت سنة ١٣٢٩ :

وبما ان من المناسب تخويل المندوب السامي هذه الصلاحية بشأن  
كافة الاراضي الميري في فلسطين :

لذلك فان صاحب الجلالة الملك ، استنادا الى الصلاحية المخولة له  
بهذا الشأن في قانون الاختصاص في البلاد الاجنبية لسنة ١٨٩٠ وفي غيره  
من القوانين ، وعملا بمشورة المجلس الخاص يرسم ما يلي :  
\* اسم المرسوم :

المادة ١ - يطلق على هذا المرسوم اسم « مرسوم دستور فلسطين

(ه) النص الانجليزي كما صورناه من المتحف البريطاني بلندن هو كما يلي :

(c) No Ordinance shall be promulgated which shall be in any way  
repugnant to or inconsistent with the provisions of the Mandate, and  
no Ordinance which concerns matters dealt with specifically by the  
provisions of the Mandate shall be promulgated until a draft thereof  
has been communicated to a Secretary of State and approved by him,  
with or without amendment.

( المعدل ) لسنة ١٩٣٣ » ويقرأ ويفسر مع مرسوم دستور فلسطين الصادر  
في اليوم العاشر من شهر آب سنة ١٩٣٢ ( المشار اليه فيما بعد بالمرسوم  
الاصلي ) كمرسوم واحد .

المادة ٢ - تضاف المادة التالية الى المرسوم الاصلي بعد المادة ١٦  
كمادة ١٦ ( مكررة ) : -

المادة ١٦ ( مكررة ) - يجوز للمندوب السامي ، اذا استصوب ذلك ،  
ان يحول بمرسوم يصدره بتوقيعه وينشر في الوقائع الفلسطينية ، اية  
ارض في فلسطين يسميها في المرسوم من صنف « الميري » الى صنف « الملك »  
المادة ٣ - ينشر هذا المرسوم في الوقائع الفلسطينية ويعمل به اعتبارا  
من نشره .

م.ب.١.هانكي

#### الملحق رقم - ٥ -

##### قانون نزع الملكية

( ١ آب سنة ١٩٢٦ )

\* اسم القانون :

المادة ١ - يطلق على هذا القانون اسم قانون ( نزع ملكية ) الاراضي .  
المادة ٢ - يكون للالفاظ التالية الواردة في هذا القانون المعاني  
المخصصة لها ادناه الا اذا دلت القرينة على غير ذلك -  
تعني لفظة « المحكمة » محكمة الاراضي الواقعة الارض ضمن دائرة  
اختصاصها .

وتشمل لفظة « الارض » كل نوع من الاراضي او الاجارة وكل بناية  
او شجرة او شيء آخر ثابت في الارض وكل قسم من بحر او شاطئ او  
نهر وكل حق ارتفاق في اية ارض او مياه او عليها .

وتعني لفظة « المنشئين » الحكومة او اي مجلس بلدي او محلي او  
سلطة اخرى محلية او شخص يقوم او هو على وشك القيام بمشروع كما  
هو معرف اعلاه .

وتعني لفظة « مشروع » اي مشروع يشهد المندوب السامي ان المراد



به المنفعة العامة وكل مشروع آخر منح به المندوب السامي امتيازاً تسوغ شروطه نزع ملكية الأرض المعرفة في هذا القانون من أجل مقاصد الامتياز .  
المادة ٣ - مع مراعاة احكام هذا القانون ، يحق لمنشئ اي مشروع ان يتفاوضوا ويتفقوا مع صاحب اية ارض يحتاجون اليها لمشروعهم ومع كافة الاشخاص الذين لهم حقوق في تلك الارض اما من اجل شرائها شراء باناً او للتصرف فيها او استعمالها لمدة معينة او لاستملاك اي حق ارتفاق فيها ضروري للمشروع .

المادة ٤ - يحق لجميع مالكي اية ارض يقتضيها المشروع او اية حقوق فيها ان يبيعوا تلك الارض او الحقوق لمنشئ المشروع او يؤجروها لهم او يتصرفوا فيها لهم بأي وجه آخر وأن يعقدوا معهم كافة الاتفاقات اللازمة لذلك . ويجوز بوجه خاص لاية شركة او متول او وصي او ولي او قيم او اي شخص آخر ينوب عن شخص فاقد للاهلية القانونية ان يبيع او يؤجر او يتصرف بتلك الارض او الحقوق وان يعقد الاتفاقات اللازمة لذلك بحكم هذا القانون بالرغم من ورود ما يخالف ذلك في اي تشريع او عقد تأسيس شركة او نظام شركة او أي مستند آخر .

المادة ٥ (١) - اذا عجز منشئ اي مشروع عن الاتفاق مع صاحب ارض يحتاج اليها المشروع او مع اي شخص له حق فيها فيجوز لهم ان يرفعوا الى المندوب السامي لاجل موافقته اعلان او اعلانات المفاوضة المشار اليها في الفقرة التالية وللمندوب السامي السلطة اما ان يمسك عن ابداء موافقته او ان يمنحها بعد اجراء التعديلات التي يستصوبها في اعلان او اعلانات المفاوضة ، ثم يبلغ المنشئون اعلان او اعلانات المفاوضة بالصورة التي وافق عليها المندوب السامي الى الاشخاص المذكورين في الفقرة (٤) بالكيفية المعينة .

المادة ٦ - يجوز تعيين مقدار التعويض الواجب دفعه عن الارض المذكورة في اعلان المفاوضة بالاتفاق بين المنشئين وسائر الفرقاء الذين يملكون حقوقاً فيها .

المادة ٧ - اذا قصر الشخص الذي بلغ اعلان المفاوضة في تقديم تفاصيل ادعائه بالارض المبحوث عنها خلال خمسة عشر يوماً من تاريخ تبليغه الاعلان المذكور او تخلف عن المفاوضة مع المنشئين بشأن مقدار التعويض الذي يدفع له او اذا لم يتفق المنشئون مع هؤلاء الاشخاص على مقدار ذلك التعويض خلال خمسة عشر يوماً .

(١) - فيحق للمنشئين ان يضعوا يدهم في الحال على الارض المشار

اليها في الاعلان المذكور :

ويشترط في ذلك انه اذا رفض اصحاب الارض او مشفلوها السماح للمنشئين بوضع يدهم على الارض فيجوز للمنشئين ان يقدموا طلباً بذلك الى رئيس المحكمة ، فاذا اقتنع رئيس المحكمة بأن المنشئين الحق في وضع اليد على الارض بمقتضى هذه المادة ، يصدر قراراً بتوقيعه يقضي فيه بتسليم الارض للمنشئين :

ويشترط في ذلك ايضاً انه اذا اريد استملاك الارض من قبل هيئة او شخص خلاف الحكومة فيجوز للرئيس ان يأمر بإيداع المبلغ الذي يستصوبه في المحكمة قبل اصدار القرار المذكور .

(ب) - ويعين مقدار التعويض الواجب دفعه من قبل المنشئين عن الارض التي وضعوا يدهم عليها بمقتضى هذه المادة وفقاً لاحكام التالية من هذا القانون .

المادة ١٥ - يجوز للمنشئين ، لدى او بعد مرور ثلاثة اشهر من التاريخ الذي تم فيه الاتفاق على مقدار التعويض عن اية ارض او من تاريخ تقديره بصورة أخرى ، اذا تعذر ايجاد الاشخاص المستحقين للتعويض المذكور او اذا عجز هؤلاء المستحقون عن اثبات حقهم فيه او اذا لم يتمكن المنشئون لاي سبب كهذا من الحصول على ابراء صحيح لقاء دفع ذلك التعويض أو أي قسم منه ، ان يدفعوا ذلك التعويض للمحكمة ، وتبرأ ذمة المنشئين لدى دفع التعويض على هذا الوجه من كل تبعة بشأن المقدار المدفوع من التعويض .

المادة ١٧ - تستقر ملكية الاراضي المطلوب استملاكها بمقتضى هذا القانون من حين دفع التعويض عنها في المندوب السامي بالنيابة عن حكومة فلسطين ، اذا كانت حكومة فلسطين هي المنشئة ، او في المنشئين اذا كان المنشئون سلطة أخرى أو شخصاً آخر ، وتعتبر شهادة المحكمة الدالة على ان التعويض المحكوم به قد دفع وفقاً لاحكام هذا القانون سلطة كافية لمدير الاراضي لاجراء القيد الضروري في سجلات الاراضي .

المادة ٢٠ (١) - اذا أصبحت الارض المستملكة أو أي قسم منها حسب رأي المنشئين في وقت ما غير لازمة لفايات المشروع فيحق لهم أن يتفاوضوا مع أي شخص لبيعها له :

ويشترط في ذلك ان يكون لصاحب الارض السابق الذي استملك المنشئون منه الارض ان كان لا يزال على قيد الحياة ، حق الشفعة فيها



لقاء دفعه التعويض المتفق عليه او المحكوم به مع قيمة ما اجري في الارض من تحسينات منذ اشغالها من قبل المنشئين ، فان تعذر الاتفاق بين الفريقين حول قيمة تلك التحسينات فتقدرها المحكمة .

## الملحق رقم - ٦ -

### قانون المهاجرة

( ٣١ آب سنة ١٩٣٣ )

المادة ١ - يطلق على هذا القانون اسم قانون المهاجرة .

المادة ٢ - يكون للالفاظ والعبارات التالية الواردة في هذا القانون المعاني المخصصة لها ادناه الا اذا دلت القرينة على غير ذلك : -

تعني لفظة « المعال » شخصا تتوقف معيشته واعالته كليا ومباشرة على احد المهاجرين او احد المقيمين اقامة دائمة في فلسطين اما قبل وصوله اليها او لدى وصوله ويكون من اقارب ذلك المهاجر او المقيم الدائم ، اي انه :  
( ١ ) زوجته ، او

(ب) احد والديه او جديه او احد والدي زوجته او جديها ، او

(ج) ابنته او حفيده او اخته او ابنة اخته او ابنة زوجته او حفيدتها او اختها او ابنة اختها سواء اكانت غير متزوجة ام ارملة مطلقة ، او

(د) - ابنه او حفيده او اخوه او ابن زوجته او حفيدها او اخوها او ابن اخيها اذا كانت سنه دون الثامنة عشرة او اذا تجاوز هذه السن وكان مصابا بعاهة دائمة لا يستطيع معها اعالة نفسه .

وتعني لفظة « المدير » الموظف الذي يعينه المندوب السامي بأمر او مرسوم للاشراف على تنفيذ هذا القانون .

وتعني لفظة « اجنبي » كل شخص غير فلسطيني الجنسية .

وتعني لفظة « مهاجر » كل اجنبي لا يقيم في فلسطين اقامة دائمة ولكنه دخلها بوجه مشروع بقصد الاقامة فيها بصورة دائمة .

وتعني عبارة « مأمور المهاجرة » كل موظف يعينه المندوب السامي للقيام بأية وظيفة لها علاقة بمراقبة المهاجرة سواء اكان يقوم بهذه الوظيفة وحدها ام بالاضافة الى واجباته الاخرى .

وتعني عبارة « فلسطيني » كل شخص فلسطيني الجنسية بمقتضى قانون الجنسية المعمول به اذ ذلك .

وتعني لفظة « مسافر » كل اجنبي لا يقيم في فلسطين بصورة دائمة ولكنه دخلها بوجه مشروع لا يقصد الاقامة الدائمة فيها ولا سعيها وراء عمل ولا لاجل القيام بعمل سبق ان قبل به .

المادة ٥ (١) - لا يحق لاجنبي تنطبق عليه احكام هذا القانون ان يدخل فلسطين -

(ت) - ثم عدت المادة انواع الممنوعين من معتوه او غير مرغوب فيه من المندوب السامي : ثم قالت :

(ز) - اذا رغب في دخول فلسطين كمسافر دون ان يكون حاملا جواز سفر قانوني صادر اليه من حكومة البلاد التي هو من رعاياها او تبعها او بالنيابة عنها او مستندا آخر يثبت جنسيته وهويته لدرجة يقنع بها المندوب السامي ، على ان يكون هذا الجواز مظهرا تظهيريا قانونيا ان كان بريطانيا ، او ان كان غير بريطاني فمؤشرا عليه بالاعتماد (فيزا) القانوني من قنصل او ضابط مراقبة جوازات بريطاني او مفتش مهاجرة وعليه صورته الشمسية ، الا اذا كانت حاملة الجواز امرأة مسلمة :

ويشترط في ذلك ان يجوز للمندوب السامي في بعض الاحوال الاستثنائية ان يمنح اذنا بالدخول الى فلسطين كمسافر الى اي شخص لا يستطيع حقيقة ان يحصل على جواز او مستند سفر اما لعدم اعتراف اية دولة بأنه من رعاياها او تبعها او لاي سبب آخر ولكنه حسب رأيه شخص يليق دخوله الى فلسطين ، او

(ح) - اذا رغب في دخول فلسطين كمهاجر دون ان يكون حاملا شهادة مهاجرة او اذنا ممنوحا له من المدير وفقا لاي نظام صادر بمقتضى هذا القانون بالاضافة الى جواز السفر او المستند المطلوب بالفقرة ( ز ) :

المادة ١٥ (١) - يحق للمندوب السامي في المجلس التنفيذي ان يصدر انظمة لتأمين مراقبة المهاجرة الى فلسطين بصورة وافية .



## الملحق رقم - ٧ -

### نظام المهجرة ( الذيل )

نظام صادر من المندوب السامي لفلسطين بمقتضى قانون المهجرة  
اسم النظام

المادة ١ - يطلق على هذا النظام اسم نظام المهجرة .

المادة ٢ - لا يحق لأي مسافر أن يقيم في فلسطين مدة تتجاوز ثلاثة أشهر :

ويشترط في ذلك أن يجوز لأي مسافر أن يقدم طلبا إلى المدير حسب النماذج المثبتة صيغتها في الملحقين السابع والاول لهذا النظام لمنحه اذنا

(أ) - أما بتمديد اقامته في فلسطين لمدة لا تزيد على تسعة أشهر ، ويعود منح الاذن لرأي المدير ، أو

(ب) - بالإقامة الدائمة في فلسطين كمهاجر ، وللمدير أن يصدر هذا الاذن إذا اقتنع بأنه يجوز السماح للطالب بدخول فلسطين كمهاجر فيما لو لم يكن موجودا في البلاد عندئذ .

المادة ٤ (١) - لا يمنح أحد شهادة مهاجرة أو اذنا إلا إذا كان ينتسب إلى أحد الاصناف التالية : -

#### الصنف ( أ )

ذوو الوسائل المستقلة ، ويعتبر هؤلاء شاملين من يلي : -

(١) - كل شخص يملك في الواقع ويوجد تحت تصرفه المطلق رأس مال لا يقل عن ألف جنيه :

ويشترط في ذلك أنه إذا أراد هذا الشخص تعاطي الزراعة فيجوز أن يشمل رأس المال ثمن الأرض والادوات الزراعية والمواشي ، وأن تحسب منه قيمة الأرض والادوات الزراعية والمواشي التي قد تضعها تحت تصرفه لمدة من السنين أية وكالة معتبرة من قبل الحكومة تعنى بمساعدة الاستعمار الزراعي وأي مال تسلفه له على أن يسدده على مدار عدد من السنين . وإذا أراد تعاطي الأشغال الصناعية يجوز أن يشمل رأس المال موقع الأرض

الذي ستنشأ عليه المؤسسة الصناعية والآلات والمكينات دون أن تحسب منه قيمة الأرض التي قد تضعها تحت تصرفه لمدة من السنين أية وكالة معتبرة من قبل الحكومة تعنى بمساعدة المشاريع الصناعية وأي مال تسلفه له على أن يسدده على مدار عدد من السنين .

(٢) - كل شخص ينتسب إلى إحدى المهن الحرة ولديه وتحت تصرفه المطلق ، دون تحديد في الزمن ، رأس مال لا يقل عن خمسمائة جنيه : ويشترط في ذلك -

(أ) - أن يجوز للمدير بمحض إرادته ، عند حساب رأس المال الذي يملكه ذلك الشخص أن يأخذ بعين الاعتبار قيمة الادوات والمخزونات التي يملكها مما لا غنى عنها لمهنته بالنسبة لمقدار ما يستصوبه من رأس المال .

(ب) - أن يقتنع المدير بوجود حاجة في فلسطين لزيادة عدد المنتسبين إلى تلك المهنة .

(٣) - كل شخص حاذق في إحدى الحرف أو المهن أو الصنائع ولديه وتحت تصرفه المطلق ، دون تحديد في الزمن ، رأس مال لا يقل عن مائتين وخمسين جنيها :

ويشترط في ذلك -

(أ) - أن يجوز للمدير بمحض إرادته ، عند حساب رأس المال الذي يملكه هذا الشخص أن يأخذ بعين الاعتبار قيمة الادوات والمخزونات التي يملكها مما لا غنى عنها لحرفته أو صناعته بالنسبة لمقدار ما يستصوبه من رأس المال .

(ب) - أن يقتنع المدير بأن طاقة فلسطين من الوجهة الاقتصادية تسمح باستيعاب ذلك الشخص في المهنة أو الحرفة أو الصناعة التي ينتسب إليها .

(٤) - كل شخص له إيراد ثابت لا يقل عن أربعة جنيهات في الشهر ما عدا الإيراد الذي يكسبه بنفسه .

(٥) - كل من يملك في الواقع ويوجد تحت تصرفه المطلق رأس مال لا يقل عن خمسمائة جنيه :

ويشترط في ذلك -

(أ) - أن يجوز للمدير بمحض إرادته ، عند حساب رأس المال الذي



يملكه ذلك الشخص ان يأخذ بعين الاعتبار قيمة الادوات والمخزونات التي يملكها والمتعلقة بالشغل او العمل الذي ذكر بأنه ينوي تعاطيه بالنسبة لمقدار ما يستصوبه من رأس المال .

(ب) - ان يقتنع المدير -

(١) - بأن استيطان هذا الشخص في فلسطين لن يؤدي الى ايجاد منافسة لا مبرر لها في العمل او الشغل الذي ذكر بأنه ينوي تعاطيه .

(٢) - وان رأس المال الذي يملكه يكفي لتأمين نجاح العمل او الشغل الذي ينوي تعاطيه نجاحا معقولا .

(٣) - وانه اهل للقيام بذلك العمل او الشغل وتمكنه بنيته من ذلك .

الصنف ( ب )

الاشخاص المؤمنة لهم أسباب المعيشة، ويعتبر هؤلاء شاملين من يلي:

(١) - كل يتيم لا يتجاوز السادسة عشرة من عمره المؤمنة وسائل معيشته في احدى المؤسسات العامة او بواسطتها ريثما يصبح قادرا على اعالة نفسه .

(٢) - كل من يقوم بوظيفة دينية ومؤمنة له وسائل العيش .

(٣) - كل طالب أمن دخوله الى معهد علمي في فلسطين وضمت له وسائل العيش ريثما يصبح قادرا على اعالة نفسه .

الصنف (ج)

الاشخاص الذين لهم امل ثابت في الاستخدام في فلسطين .

الصنف (د)

(١) - الذين يعيّلهم احد المقيمين الدائمين او المهاجرين في فلسطين ممن ينتسبون الى الاصناف (ا) و (ب) و (٢) و (ج) :

ويشترط في ذلك ان يجوز للمدير بمحض ارادته ، ان يمنح شهادة مهاجرة الى اقارب المقيم الدائم او المهاجر الاذنون او لخطيبته ، ممن تتوقف معيشتهم عليه كليا ومباشرة ( وان كانوا لا يعتبرون مموليه ايفاء للغاية المقصودة من هذا القانون ) .

(٢) - يجوز لمعيل حامل شهادة المهاجرة او الاذن ، ان يصحب حامل

الشهادة وفي هذه الحالة يذكر اسمه في الشهادة او الاذن .

(٣) - يحق للجنة التنفيذية للوكالة اليهودية بفلسطين ان تبلغ المدير ، حسب صيغة النموذج المثبت في الملحق الخامس لهذا النظام ، وجود آمال معقولة لاستخدام عدد من الاشخاص في فلسطين ، سواء بذكر اسمائهم ام بدون ذكرها ، وان تطلب منه ان ياذن لهم بدخول فلسطين على ان ترفق كل طلب بكفالة لاعالة الشخص او الاشخاص الذين قدمت الطلبات بشأنهم لمدة لا تقل عن سنة واحدة .

المادة ٨ (١) رغبة في تعيين عدد الاشخاص الذين يقعون تحت الصنف (ج) ويجوز ادخالهم الى فلسطين يعد المدير ، من حين الى آخر ، جداول عمال معتبرا في ذلك الاقتراحات التي تبديها اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية بذلك الشأن ويعد جدولا واحدا عن الاشهر الستة التي تنتهي في ٣٠ ايلول وجدولا آخر عن الاشهر الستة التي تنتهي في ٣١ اذار ويذكر في كل جدول اقصى عدد من اصحاب الحرف والصناعات والمهن المختلفة من كلا الجنسين ممن يجوز منحهم شهادات مهاجرة كمهاجرين من الصنف (ج) خلال المدة المشمولة بذلك الجدول .

(٢) - لدى اتمام وضع كل جدول من جداول العمال يرفع الى المندوب السامي في الوقت الذي يعينه ، فاذا اقترن بموافقته يبدى موافقته عليه تحريريا .

المادة ٩ - اذا رأى المدير انه يوجد عمل لعدد من المهاجرين من الصنف (ج) لم يرد لهم ذكر في الجدول لسبب وجود حاجة ماسة لعمال من المهاجرين ظهرت بعد اتمام جدول العمال والموافقة عليه فيجوز له ان يصدر شهادات مهاجرة اضافية لعدد من الاشخاص اللاتقين (٦) .

(٦) واضح من جميع ما اثبتنا من قوانين انجليزية ان كل التسهيلات التي تضمنتها هي خاصة بتسهيل غزو المهاجرين اليهود لفلسطين واغتصابهم الارض وتمكينهم فيها .

المؤلف



ملحق رقم ٨

الاراضي التي استولت عليها بريطانيا من ملاكها العرب واسمائها غابات حكومية لتصرف بها المندوب السامي \*

الاراضي المفتوحة - الجرمق			الغابات	
مجموع مساحة الغابة المحفوظة	المساحة بالموزعات المترية	اسم المدي ملكيتها	المساحة بالموزعات المترية	الواقع
٧١٥ ٤٧٤	١٥٣	ورثة عبد المجيد قدورة وشركاهم	٥٥٢	(١) ضمن منطقة قرية قباطية
			٤٧٤	(١) ضمن منطقة قرية حريفش
			٦١٧	(١) ضمن منطقة قرية سمسع
١٩٩٠	٢١ ٤٧	اسعد قدورة وعبد الفني السيد اسعد ابو الشهاب وشركاه	١٢٨٩	(ب) المنطقة المتنازع عليها بين قريتي سمسع وبيت جان
			١٦	(ج) المنطقة المتنازع عليها بين قريتي سمسع وجنس
٩٢٤	٦٢ ٦٩ ٢٢	مشاع قرية صفصاف علي حسن جميل قدورة	٨٥١	(١) ضمن منطقة قرية صفصاف
			١١	(١) ضمن منطقة قرية جش
			٩٣١	(١) ضمن منطقة قرية مبرون

صدر بذلك امر رسمي منشور في الوقائع الفلسطينية العدد ١٢٣٩ في ٢٤ ايلول ١٩٤٢ \*

١٦٥٠

القطع المفتوحة - الجرمق			الغابات	
مجموع مساحة المساحة بالموزعات	المساحة بالموزعات	اسم المدي ملكيتها	المساحة	الواقع
١٠٣٢	٢٣ ٣٧ ١٣ ٨٩ ٢٣ ١٠ ٥٨ ١٣ ٢٤ ٢٣٦ ٢٢ ١٣	حسين ومحمد زيدان محمد حسين المكي ورثة احمد حسن نفاع كنج قبلاان وشركاه سعيد اسعد طاقش قاسم صالح ملحم وزيد ابو سوذه ضامن اسعد محمد الحسين حسين علي قبلاان سليمان علي السويدي علي يوسف وشركاه علي فارس سليمان وشركاه جبر قبلاان	٧٠٠٩	(١) ضمن منطقة قرية بيت جان
٧٩٩٨	١٥	حسين سعيد نجم		
٦٢١	٢٦	حسين عبدالله		
١٣٧٥٤	٨٢٨٥١		١٢٧٩٧٠٩	المجموع

(ب) ضمن المنطقة المتنازع عليها بين  
قريتي بيت جان ومبرون  
(١) ضمن منطقة قرية سحماتا



القطع المفتحة - الجرمق	اسم المدي ملكيتها
مجموع المساحة	المساحة بالمونفات
١٢٩	١٢
	١٨
	٥
	٢
	٢
١٠٢٩	٢٤
	٢
	٢٢٥
	٢٩
	٤٣
	١٣
	٨
١٧٩٢	١٢٢
١٧٩٣	١٢٣
	٤٠
	١٦
	١٠٥
	٢٥

ورثة يوسف قبلان  
ورثة حامد جمولة  
ناجي محمد الحلبي  
ملحم صالح قبلان  
نوفل قاسم جمولة  
ورثة حسين ومحمد احمد  
احمد الحمود  
احمد الحمود وشركاه  
نعيم سليمان  
سليمان خير  
علي الحسين  
محمود الصالح  
مشاع قرية ببيعة  
محمد سلامة الحمرة  
محمود يوسف الاحمد  
احمد سليمان الحمرة  
محمد علي الزين وشركاه  
محمود صالح السليمان

### القطع المفتحة - الجرمق

مجموع المساحة	المساحة بالمونفات	اسم المدي ملكيتها
	١٣٥٥	مشاع قرية الببيعة
	٢٢	علي حمد العلي
	١٤	صالح احمد عبد الله
	٧٢	نايف سليمان وشركاه
	١٠٣	فارس محمد سعيد
٤١٢٩	١٦	فارس جاليم مزارحي
	١١	حس محمد نفاع
	٦	احمد يوسف العلي
	٦٠	فايز محمد سعيد نجم
٨٨٧٢	٦٨٣٤	
٢٨٣	٦٥	اسعد سعد عثمان
	٦	مصطفى حسين علي
٥٨٤	٦٧	صالح محمد الاسعد
٨٦٧	١٩٣	

### الغابات

الموقع
١٢٦٣
١٠١٢
١٥٣٨٠١

١  
١  
١

١) ضمن منطقة قرية الببيعة ٢٣٦٦٠١

### الغابات

الموقع
١٤٢٦
١) ضمن منطقة قرية بيت جان ١
١
١
١

المجموع الكلي
٨٥٩٥٢
١) ضمن منطقة قرية سحماتا ٢٧٠٥
ب) المنطقة المتنازع عليها بين قريتي سحماتا وفسوطه ٥٧٧٣
المجموع ٨٤٧٥٨



القطع المتلحة - جيدر

اسم المدي ملكيتها	المساحة بالمونيات	مجموع المساحة
فرحان صالح ابراهيم وشركاه	٩٠	١٣٢٨٣
علي اليوسف وشركاه	٧٠	
فرحان صالح ابراهيم وعلي اليوسف وشركاه	١١٩	
فرحان صالح ابراهيم وشركاه	٢٢	
محمد قبلان	٩٩	
ممطفي صالح ممطفي	١٥	
محمد اسعد ابو قاسم	٢٦	
زيدان صالح المصطفى	١٠	
عبدالله مزيوط	٢	
نعمان حرب	٥٢	
محمد سلامة الخطيب	٥٠	
احمد ابو القاسم	٧	
فرحان صالح	٥	
فارس حسين علي الفارس	٢٤	
سليمان قاسم ابراهيم	٤	
ورثة حسين الحمد	٥	
هاني محمد الخطيب	٦	

الفايات الموقع

(١) ضمن منطقة قرية بيت جان ٥٢٣٩

١  
١  
١

القطع المتلحة - جيدر

اسم المدي ملكيتها	المساحة بالمونيات	مجموع المساحة
علي قبلان	١٠	٥٧٠٥
		٥٩٢
		٢٤٥
فرحان صالح ابراهيم وشركاه	١٢	٩١٨
فرحان صالح ابراهيم وشركاه	٤	
محي الدين الصالح	٧	
حسن السوقي	٤	
جابر رشيد	٤	
عبدالله الحسن وشركاه	٣٦	
مشاع قرية فراضية	١٩٠	
ابراهيم علي خليل	٤٠	
صالح يوسف كروم	٣١	
يوسف الجيتي	٦٨٥	
		٥٧٦٤
		٥٢
		١٠٦
		١٣٢٨٣

الفايات الموقع

(ب) المنطقة المتنازع عليها بين قريتي بيت جان والرامة ٥٩٢  
 (ج) المنطقة المتنازع عليها بين قرية بيت جان والمسوي ٢٤٥  
 (د) المنطقة المتنازع عليها بين قريتي بيت جان وميرون ٩٠٢  
 المنطقة ضمن قرية الرامة ٩٥  
 (ب) ضمن منطقة قرية فراضية ٤٧٧٣٥

١  
١  
١

(ج) المنطقة المتنازع عليها بين قريتي فراضية ومغار ٥٢  
 (د) المنطقة المتنازع عليها بين قريتي فراضية والشوينة ١٠٦  
 المجموع ١٢٠٥٥٥



## المصادر والمراجع

### المصادر :

اولا : وثائق لم يسبق نشرها صورت من المتحف البريطاني في لندن :  
 ١ - مرسوم دستور فلسطين ( باللغة الانجليزية ) الصادر في ١٩٢٢ .  
 ثانيا - وثائق لم يسبق نشرها صورت من مكتبة الجامعة الامريكية  
 في بيروت ومحفوظة بها تحت رقم ٥٦٩ - ٣٤٩ :

- ١ - قانون الاراضي الموات ١٩٢١ .
- ٢ - مرسوم دستور فلسطين ١٩٢٢ .
- ٣ - مرسوم الجنسية ١٩٢٣ .
- ٤ - قانون نزع ملكية الأراضي ١٩٢٦ .
- ٥ - قانون تسوية حقوق ملكية الاراضي ١٩٢٨ .
- ٦ - قانون المهجرة ١٩٣٣ \* .
- ٧ - مجموعة اوامر صادرة من المندوبين الساميين البريطانيين في فلسطين بخصوص الاراضي التي تحت يد اصحابها العرب .
- ٨ - اوامر صادرة من المندوبين الساميين البريطانيين في فلسطين بخصوص تملك الجمعيات اليهودية اراضي قرى عربية .
- ٩ - اوامر صادرة من المندوبين الساميين البريطانيين في فلسطين بخصوص تشكيل لجان تسوية ملكية الاراضي من اقلية يهودية ساحقة .
- ١٠ - صورة اخذت لعقد سلم لنا من الاستاذ فوزي الفصين مستشار وزارة العدل في ليبيا حاليا والمستشار القانوني بالجامعة العربية سابقا ومساعد النائب العام في فلسطين سابقا بخصوص نقل ملكية اراضي قرى عربية كاملة الى اليهود .

### ثالثا - وثائق منشورة :

- (١) - وثائق نشرتها الامانة العامة لجامعة الدول العربية - الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين بين عامي ١٩١٥ - ١٩٤٦ ، القاهرة ١٩٥٧ .

\* كل هذه المستندات اودعناها بصورة مكتبة قسم التاريخ في كلية اللغة العربية بجامعة الازهر .

- (٢) - الكتاب الابيض البريطاني ١٩٢٢ .
- (٣) - الكتاب الابيض البريطاني ١٩٣٠ .

### رابعاً - تقارير :

- ١ - تقرير لجنة توماس هايكرت قاضي القضاة البريطاني بفلسطين . ١٩٢١ .
- ٢ - تقرير لجنة والترشو البرلمانية ١٩٢٩ .
- ٣ - تقرير لجنة جونسون وتقرير فرانش ١٩٣٢ .
- ٤ - تقرير لجنة بيل الملكية لتقسيم فلسطين ١٩٣٧ .
- ٥ - تقرير اللجنة الفنية البريطانية باستحالة التقسيم ١٩٣٨ .
- ٦ - تقرير لجنة التحقيق البريطانية الامريكية المشتركة ١٩٤٦ .
- ٧ - تقرير لجنة التحقيق الدولية ١٩٤٧ .

### المراجع :

- ١ - احمد سويلم العمري الشرق الاوسط ومشكلة فلسطين ، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٥٤ .
- ٢ - دكتور احمد طربين محاضرات في تاريخ قضية فلسطين منذ نشأة الصهيونية حتى نشوب الثورة الكبرى ١٩٣٦ ، القاهرة ١٩٥٨ .
- ٣ - احمد الشقيري محاضرات في تاريخ قضية فلسطين ، معهد الدراسات العربية العالية التابع لجامعة الدول العربية ، القاهرة ١٩٥٤ .
- ٤ - دكتور احمد الشرباصي امير البيان ، شكيب أرسلان ، القاهرة ١٩٦٥ .
- ٥ - اميل الفوري المؤامرة الكبرى لاغتيال فلسطين ومحق العرب ، دار النيل للطباعة ، القاهرة ١٩٥٥ .
- ٦ - امين الحسيني حقائق عن قضية فلسطين الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٩٥٧ ، دار الكتاب العربي .
- ٧ - امين سعيد الثورة العربية الكبرى ، تاريخ مفصل جامع للقضية في ربع قرن ، ثلاثة اجزاء ، مطبعة الحلبي بمصر .



٨ - أمين سعيد  
الدولة العربية المتحدة ، جزءان ، مطبعة الحلبي بمصر ، لم يذكر  
سنة الطبع .

٩ - أنيس صايغ  
الهاشميون والثورة العربية الكبرى ، بيروت ١٩٦٦ .

١٠ - أنيس صايغ  
الهاشميون وقضية فلسطين ، بيروت ١٩٦٦ .

١١ - أرسكين تشيلدرز  
في الطريق الى السويس ، تعريب خيرى حماد .

١٢ - أرسكين تشيلدرز  
حول العالم العربي ، ترجمة محمد عبدالله الشفقي ، الدار القومية  
للطباعة والنشر ، القاهرة .

١٣ - ارنولد توينبي  
فلسطين جريمة ودفاع ، ترجمة عمر الديراوي ، دار العلم للملايين ،  
بيروت .

١٤ - اكرم زعيتر  
القضية الفلسطينية ، دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٥ .

١٥ - برجير المير  
اليهودية دين لا قومية ، دار المعارف ، القاهرة .

١٦ - ب. جنسيين  
مؤامرة فلسطين ، الدار القومية للطباعة والنشر .

١٧ - بشير كعدان  
هؤلاء الصهيونيون ، تعريب شفيق شالاتي .

١٨ - بيير روننو  
مستقبل الشرق الاوسط ، تعريب ناجدة هاجر ، سعيد الفزي .

بيروت .

١٩ - جامعة الدول العربية  
الامانة العامة لادارة فلسطين ، الهجرة اليهودية في فلسطين، القاهرة .

٢٠ - جامعة الدول العربية  
الامانة العامة لادارة فلسطين ، املاك العرب واموالهم المجمدة في

فلسطين .

٢١ - جامعة الدول العربية  
الامانة العامة لادارة فلسطين ، اللاجئين الفلسطينيين .

٢٢ - دكتور جلال يحيى  
الدخل الى تاريخ العالم العربي الحديث، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٦  
٢٣ - جلال كامل  
فلسطين وتجميع القوى العربية ، الدار القومية للطباعة والنشر ،  
سلسلة اخترنا لك .

٢٤ - جورج انطونيوس  
يقظة العرب - تاريخ حركة العرب القومية ، تعريب الدكتورين ناصر  
الدين الأسد واحسان عباس ، بيروت ١٩٦٢ .

٢٥ - جورجى زيدان  
تاريخ العرب وانتمدن الاسلامي ، القاهرة .

٢٦ - حافظ وهبه  
جزيرة العرب في القرن العشرين .

٢٧ - حسين فوزي النجار  
السياسة الاستراتيجية في الشرق الأوسط ، مكتبة النهضة المصرية .

٢٨ - حاييم وايزمان  
التجربة والخطأ ، مطبعة المنار بدمشق ، ١٩٥٠ .

٢٩ - خيرى حماد  
التطورات الأخيرة في قضية فلسطين ، كتب قومية ، الدار القومية  
للطباعة والنشر ، ١٩٦٤ .

٣٠ - ع . ك . كارنيجيا  
خنجر اسرائيل ، ترجمة مروان الجابري بيروت ، المكتب التجاري  
للطباعة والنشر .

٣١ - سعدي بسيسو  
اسرائيل جناية وخيانة ، حلب مطبعة الشرق ١٩٥٦ الطبعة الثانية .

٣٢ - سعدي بسيسو  
الصهيونية دراسة علمية وسياسية وتاريخية وقانونية للصهيونية  
والانتداب البريطاني القدس ، المطبعة التجارية .

٣٣ - سيد نوفل  
رواية بن جوريون للتاريخ ، جامعة الدول العربية ادارة الاستعلامات،  
القاهرة ١٩٦٢ .

٣٤ - شاكى عمار  
العرب واسرائيل ، دار الكشاف بيروت ١٩٥٤



- ٣٥ - شحاته الخوري ونقولا الدر  
تاريخ كنيسة اورشليم الارثوذكسية
- ٣٦ - شفيق ارشيدات  
فلسطين تاريخا وعبرة ومصيرا ، بيروت ١٩٦٢
- ٣٧ - شكيب ارسلان  
لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم .
- ٣٨ - صلاح دسوقي  
أمريكا مستعمرة صهيونية ، مطابع الناشر العربي القاهرة ١٩٥٧ .
- ٣٩ - عارف العارف  
نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود سبعة اجزاء المكتبة المصرية للطباعة والنشر ، بيروت .
- ٤٠ - عارف العارف  
المفصل في تاريخ القدس ، مطبعة المعارف القدس ١٩٦١ .
- ٤١ - عبدالله التل  
كارثة فلسطين ، مطبعة مصر ، ١٩٥٩ .
- ٤٢ - عبدالله التل  
خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية دار القلم ، القاهرة ١٩٦٤
- ٤٣ - عبد الرحمن الرافي  
مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية ، ١٩٥٠ .
- ٤٤ - عجاج نويهض  
مجلة الحوادث اللبنانية ١٩٦٥ .
- ٤٥ - علي محمد علي  
فلسطين في ماضيها العربي وحاضرها الصهيوني ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٣ .
- ٤٦ - عز الدين فودة  
الاستعمار الصهيوني ، الدار القومية للطباعة والنشر
- ٤٧ - عيسى السفري  
فلسطين بين الانتداب والصهيونية ، القدس ١٩٣٧
- ٤٨ - فتحي الرملي  
الصهيونية اعلى مراحل الاستعمار ، القاهرة ١٩٥٦ .
- ٤٩ - فخري البارودي  
كارثة فلسطين العظمى ، مطبعة ابن زيدون دمشق ١٩٥٠ .
- ٥٠ - قسطنطين زريق  
معنى النكبة ، دار العلم للملايين ، بيروت

- ٥١ - كامل اسماعيل  
صفحات من التاريخ الاسلامي ، القاهرة ١٩٥٣
- ٥٢ - محمد علي الطاهر  
كتاب احمر عن فظائع الانجليز وغدر اليهود ، مكتب الاستعلامات الفلسطينية العربي ، القاهرة .
- ٥٣ - محمد فوزي وعمر رشدي  
الصهيونية وربيتها اسرائيل ، مطبعة مصر ١٩٦٢
- ٥٤ - محمد عزة دروزه  
الوحدة العربية ، بيروت ١٩٥٨ .
- ٥٥ - محمد حافظ غانم  
المشكلة الفلسطينية على ضوء احكام القانون الدولي ، معهد الدراسات العربية ١٩٦٥
- ٥٦ - محمد كمال عبد الحميد  
الشرق الاوسط في الميزان الاستراتيجي ، مكتبة الانجلو المصرية ١٩٥٩
- ٥٧ - محمد عطية واكد  
اسرائيل وكر الاستعمار ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٥٩ .
- ٥٨ - محمد البشير الابراهيم  
مجلة البصائر الجزائرية .
- ٥٩ - محمد عبدالله عنان  
نهاية الاندلس وتاريخ العرب المنتصرين
- ٦٠ - محمد علي علوية  
فلسطين والضمير الانساني .
- ٦١ - محمد علي علوية  
الصراع السياسي بين الصهيونية والعرب .
- ٦٢ - محمد طلعت الفخيم  
قضية فلسطين امام القانون الدولي منشأة المعارف الاسكندرية ١٩٦١
- ٦٣ - محمد عمر الخطيب ، مكسيموند  
تاريخ الحروب الصليبية من اثر النكبة .
- ٦٤ - ناصر الدين النشاشيبي  
تذكرة عودة ، المكتب التجاري ، بيروت ١٩٦٢
- ٦٥ - نجيب صدقة  
قضية فلسطين ، دار الكتاب العربي بيروت .



## المفردات

### الصفحة

### الموضوع

ج	الاهداء
هـ	تقديم الكتاب لفضيلة الشيخ احمد حسن الباقوري
٤	جهاد الفلسطينيين بقلم اللواء الركن محمود شيت خطاب
١٢	مقدمة المؤلف
١٨	عهد ... وعهد
١٩	مدخل الى البحث
١٩	١ - العرب اسبق وجودا وكيانا في فلسطين من اليهود
٢١	٢ - فلسطين في ظل الاسلام
٢٧	أقوال للتاريخ

### الفصل الاول

#### خديعة بريطانيا للعرب

٢٩	١ - هل كانت ثورة العرب على الاتراك ضرورية ؟
٣٣	٢ - الجمعيات العربية
٣٥	٣ - الشريف حسين بن علي
٣٦	٤ - الانجليز يبدأون التفرير بالعرب
٣٧	٥ - العلاقات العربية التركية
٤٥	٦ - تلهف بريطانيا على الاتفاق مع الحسين
٤٦	٧ - مراسلات حسين - ماكماهون
٥١	٨ - الحسين لم يفرط في الحدود
٥٣	٩ - بدء الثورة العربية
٥٤	١٠ - اتفاقية سايكس - بيكو
٥٩	١١ - تصريح بالفور لليهود ( ٢ نوفمبر ١٩١٧ )
٦٠	١٢ - تضليل بالفور للعرب
٦٤	الوفاء في اوربا

### ٦٦ - نقولا الدر

هكذا ضاعت وهكذا تعود ، بيروت ١٩٦٣

### ٦٧ - وليد قمحاوي

النكبة والبناء في الوطن العربي ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٥٩ .

### ٦٨ - وديع تلحوق

الصليبية الجديدة في فلسطين ، دمشق ١٩٤٨ .

### ٦٩ - يحيى عويس

اسرائيل والدول الكبرى ، دار المعارف القاهرة .

٧٠ - جريدة الاهرام - اعداد مختلفة من السنوات :

١٩١٨ - ١٩٢٠ - ١٩٢١ - ١٩٢٥ - ١٩٢٩ - ١٩٣٦ - ١٩٣٧ -

١٩٣٨ - ١٩٣٩ - ١٩٤٢ - ١٩٤٦ - ١٩٤٧ - ١٩٤٨ .

٧١ - جريدة المصري لأعوام ٣٦ و ٣٧ و ١٩٣٨

٧٢ - جريدة الشورى لأعوام ١٩٣٥ و ١٩٣٦

٧٣ - جريدة الشباب لأعوام ١٩٣٧ و ١٩٣٨

٧٤ - جريدة القبس الدمشقية ١٩٤٨

٧٥ - جريدة صوت الاحرار البيروتية ١٩٤٨

٧٦ - جريدة الحياة البيروتية ١٩٥٠

٧٧ - جريدة الحارس العراقية ١٩٥١

٧٨ - جريدة بريد برقة الليبية ١٩٣٠

### مراجع ومصادر غير عربية :

- Hurewitz, J.C. Diplomacy in The Near and Middle East 2 Vols . New-York 1956 T. 2.
- Kimche Jon; Seven Fallen Pillars, The Middle East, 1915-1950 London 1950.
- Steiv Leonard; The Balfour Declaration, London, 1961.
- Middle East Journal January, 1948.
- Bloomfield L.M. Egypt, Israel and The Gulf of Aeqaba in international Law. Toronto, Canada 1957.
- Chain Weizmann; Trial and Error. London 1950.
- David Hunter Miller; My Diary at the Conference of Paris. New York 1924.
- John Bagot Glubb, Soldier with The Arabs. London, 1957.
- Antonius George The Arab Awakening. Beyrouth, 1955.
- Kermit Roosevelt; Arabs Oil and History. (Londo n1949)
- Alfered M. Liliental, What Price Israel, Chicago, 1953.



الفصل الثاني  
بعض النتائج السريعة للثورة العربية

- ١ - روح صليبية صهيونية عنيفة
  - ٢ - تفتيت الوطن العربي الاسيوي
  - ٣ - الحسين يصر على عروبة فلسطين
  - ٤ - ابعاد الحسين الى قبرص
  - ٥ - ماذا كان يحدث لو حارب العرب مع الاتراك ؟
  - ٦ - لم يجمع العرب على حرب الاتراك
- أقوال منهم

الفصل الثالث  
شعب فلسطين يواجه المحنة

- ١ - اليهود يمهدون لفرض الانتداب البريطاني على فلسطين
  - ٢ - الثورة الاولى ( ابريل ١٩٢٠ )
  - ٣ - تعيين صهيوني بريطاني مندوبا ساميا لبريطانيا في فلسطين
  - ٤ - عزل الفلسطينيين عن العرب لاذابتهم
  - ٥ - تهويد أجهزة الحكم
  - ٦ - اخضاع اقتصاديات فلسطين لليهود
  - ٧ - اشتداد وطأة الاضطرابات
  - ٨ - وحدة المسلمين والمسيحيين في فلسطين
  - ٩ - اللجنة البريطانية الاولى
- الاغتصاب وحكم القاب

الفصل الرابع  
صور من تأمر الاستعمار والصهيونية على فلسطين

- ١ - الصهيونية العالمية تضع سك الانتداب
  - ٢ - نظرات ونصوص في سك الانتداب على فلسطين
  - ٣ - بريطانيا تصدر دستورا لفلسطين لدعم وضع اليهود
  - ٤ - بريطانيا تصدر قانون المهاجرة لاغراق فلسطين باليهود
  - ٥ - غفلة الجماهير العربية عن اخطار الصهيونية
  - ٦ - المؤتمرات الفلسطينية الوطنية
  - ٧ - الكتاب الابيض البريطاني ١٩٢٢
- الحق والباطل

الفصل الخامس  
ثورة العرب ١٩٢٩

- ١ - بداية الثورة
  - ٢ - المندوب السامي يندد بالثوار العرب
  - ٣ - العرب يتحدون المندوب السامي
  - ٤ - المندوب السامي ينكل بالعرب
  - ٥ - الابطال الثلاثة
  - ٦ - امعان في سياسة التنكيل
  - ٧ - لجنة شو ١٩٢٩
  - ٨ - الكتاب الابيض ١٩٣٠
  - ٩ - الكتاب الاسود
  - ١٠ - مقارنة لوعود بريطانيا المتناقضة
  - ١١ - المؤتمر الاسلامي في القدس ١٩٣١
  - ١٢ - تقتير العرب وبذل اليهود
  - ١٣ - تقرير جونسون وفرانثي
  - ١٤ - اصوات الحق العربي لا تسمع في بريطانيا
  - ١٥ - اشتداد النضال الفلسطيني
  - ١٦ - مؤتمر العلماء
  - ١٧ - ثورة الشهيد عز الدين القسام
- صور .... مكتوبة

الفصل السادس  
ثورة العرب الكبرى ١٩٣٦

- ١ - الاضراب الشامل
  - ٢ - اشتعال الثورة
  - ٣ - صور من الفدائية والبطولة
  - ٤ - المعارك تتوالى
  - ٥ - الوصف البريطاني الرسمي للثورة
  - ٦ - تدخل الملوك والرؤساء العرب
  - ٧ - البيان العربي امام اللجنة الملكية البريطانية
- لكي لا ننسى ....



## الموضوع

## الصفحة

٢١٦ - ٢٧٨

### الفصل السابع

#### لجنة بيل تقترح تقسيم فلسطين

- ١ - تقرير اللجنة يفيض بالمحابة الصارخة لليهود
  - ٢ - اللجنة تستغل لقاء فيصل ووايزمان
  - ٣ - موقف العرب واليهود من التقسيم
  - ٤ - الثورة لم تتوقف عام ١٩٣٧
  - ٥ - الثورة تزداد شدة سنة ١٩٣٨
  - ٦ - اسعار للمجاهدين
  - ٧ - اللجنة الفنية البريطانية تدحض تقرير لجنة بيل
  - ٨ - بريطانيا تعلن عدولها عن قرار التقسيم
  - ٩ - مؤتمر المائدة المستديرة ١٩٣٩
  - ١٠ - استمرار الثورة سنة ١٩٤٦
  - ١١ - العرب يحاربون اليهود والانجليز
  - ١٢ - الارهاب اليهودي في حماية بريطانيا
  - ١٣ - توقف الثورة ابان الحرب العالمية الثانية
- اصرار ... وعداء

٢٧٩ - ٣٣٨

### الفصل الثامن

#### التطورات الخطيرة

#### امام شعب فلسطين بعد الحرب العالمية الثانية

- ١ - امريكا تحتضن الصهيونية
- ٢ - انجلترا تصر على تهويد فلسطين
- ٣ - انجلترا تشرك امريكا لتنفيذ التهويد
- ٤ - تميع قضية فلسطين في اجتماعات الجامعة العربية ومؤتمر لندن ١٩٤١
- ٥ - القضية امام الامم المتحدة
- ٦ - الضغط الامريكي وصدر قرار التقسيم
- ٧ - حالة عرب ويهود فلسطين سنة التقسيم ( ١٩٤٧ )
- ٨ - الجامعة العربية وقرار التقسيم
- ٩ - عقبات امام الكفاح الفلسطيني
- ١٠ - تجدد الكفاح المسلح في فلسطين
- ١١ - المعارك في الشوارع والقرى

- ٦١٤ -

## الموضوع

## الصفحة

- ١٢ - تأرجح امريكا بين مشروع الوسايا وقرار التقسيم
  - ١٣ - متاعب الفلسطينيين في الحصول على الاسلحة
  - ١٤ - لجنة الجامعة وكفاح الفلسطينيين
- بطولة ... رغم المحنة

٣٣٩ - ٣٩٠

### الفصل التاسع

#### الحرب بين عرب فلسطين واليهود

- ١ - مساندة الانجليز لليهود في المارك
  - ٢ - العرب ينسفون الاحياء اليهودية
  - ٣ - معركة القسطل
  - ٤ - معركة يافا
  - ٥ - معركة حيفا
  - ٦ - صفد العربية تلحق بحيفا
  - ٧ - معركة عكا
  - ٨ - استشهاد حسن سلامة
  - ٩ - الانجليز يرجحون كفة اليهود عسكريا عند انسحابهم
- لنفهم ولنعتبر

٣٩١ - ٤٤٠

### الفصل العاشر

#### الحرب الرسمية ونتائجها

١٩٤٨ - ١٩٤٩

- ١ - الجيوش العربية في المعركة
  - ٢ - وجه المعركة وظروفها
  - ٣ - الجبهات العربية الاخرى
  - ٤ - الهدنة المفروضة ونتائجها
  - ٥ - الدور الايجابي لشعب فلسطين في المعركة
  - ٦ - الشعوب العربية لم ترتفع الى مستوى المعركة
  - ٧ - مأساة هجرة الفلسطينيين
  - ٨ - الارهاب وتعاليم التوارة
  - ٩ - السمو في الحرب وتعاليم الاسلام
- احداث ... واقوال

- ٦١٥ -



## الموضوع

## الصفحة

### الفصل الحادي عشر

٤٤١ - ٥١٣

#### صلافة شعب فلسطين امام المحن

- ١ - توضيحات الشعب العربي الفلسطيني عبر التاريخ ٤٤١
- ٢ - كفر قاسم ٤٤٦
- ٣ - توضيحاتهم اثناء العدوان الثلاثي ٤٤٨
- ٤ - احتفاظ العرب بأراضيهم برغم العسف والاغراء ٤٥٢
- ٥ - الاسر غير الفلسطينية تباع ارضها في فلسطين ٤٦٥
- ٦ - اراضي بيهم وسرق ٤٦٦
- ٧ - ارض مرج بن عامر ٤٦٨
- ٨ - اراضي تيان والقباني ٤٦٩
- ٩ - اراضي اسر اخرى ٤٧٠
- ١٠ - اراضي آل يوسف - عقد مقاوله ٤٧١
- ١١ - الاراضي المجاورة للبنان ٤٧٩
- ١٢ - حفاظ شعب فلسطين على ارضه ٤٨٥
- ١٣ - توينبي يشهد لعرب فلسطين ٤٨٦
- ١٤ - الشعب يعاقب القلة المنحرفة ٤٩٠
- ١٥ - لم يكن الشعب الفلسطيني سلبيا برفضه العروض البريطانية ٤٩٢
- ١٦ - الجزائر وفلسطين ٤٩٨
- ١٧ - انحراف القلة لا يشين الشعوب ٥٠١

#### خاتمة البحث

٥١٤

### الفصل الاخير

٥١٧ - ٥٧٧

- اسرائيل منذ عام ١٩٤٨ ٥١٩
- مؤتمرات القمة العربية ٥٢٢
- العمل الفدائي الفلسطيني ٥٢٤
- اول بلاغ للثورة ٥٢٥
- مقدمات الحرب ٥٢٦
- تحرك الاعداء ٥٢٨
- حرب او لا حرب ٥٣١
- امريكا في صميم المعركة ٥٣١
- لا يمكن ايقاف الفلسطينيين ٥٣٢

- ٦١٦ -

## الراي العام العالمي مع اسرائيل

الصباح المشؤوم الخامس من يونيو (حزيران) ١٩٦٧

لا نصر بلا طيران

صدي الكارثة وانثرها

استقالة الرئيس جمال عبد الناصر

مؤتمر القمة بالخرطوم

البترول بين المنع ... والضخ

الفلسطينيون لا يوقفون اطلاق النار

يوم الكرامة

تأييد جهاد الفلسطينيين

واجباتنا تجاه معركة المصير

### الملاحق

٥٧٨ - ٦٠٣

التشريعات البريطانية في فلسطين

الملحق رقم ١ - قانون الاراضي الموات

الملحق رقم ٢ - مرسوم دستور فلسطين ١٩٢٢

الملحق رقم ٣ - دستور فلسطين المعدل ١٩٢٣

الملحق رقم ٤ - دستور فلسطين المعدل ١٩٣٣

الملحق رقم ٥ - قانون نزع الملكية

الملحق رقم ٦ - قانون المهاجرة

الملحق رقم ٧ - نظام المهاجرة

الملحق رقم ٨

المصادر والمراجع

الفهرس

- ٦١٧ -







من مطبوعات دار الفتح للطباعة والنشر

سلسلة قادة الفتح الاسلامي

تأليف : اللواء الركن محمود شيت خطاب

صدر منها :

- قادة فتح بلاد فارس ٧٠٠ ق.ل
- قادة فتح الشام ومصر ٧٠٠ ق.ل
- قادة فتح المغرب العربي ( ج ١ ) ٦٠٠ ق.ل
- قادة فتح المغرب العربي ( ج ٢ ) ٧٥٠ ق.ل



## المؤلف والكتاب

مؤلف هذا الكتاب من رجالات الأمة العربية الذين فذروا أنفسهم لقضاياها ، فهو يبدل في سبيلها ماله وجهده ووقته ، لا تستطيع أن تميز في بيته ومكتبه ، بين أبناء ليبيا ومختلف أبناء العروبة والإسلام ، ولا يمكنك أن تدرك مقره الثابت ، فهو في أوروبا يبحث مشاكل الطلاب الذين حرمتهم النكبة الأخيرة من مواردهم ، وهو في المكتبات والمتاحف العالمية يبحث عن مصادر التاريخ ، وهو في المعسكرات النائية ، له بالفدائيين صلات الود والأخوة والتعاون .

ولد المؤلف في بنغازي عام ١٩٢٥ ، ودرس بالمدارس الإيطالية هناك ، ثم انتظم بالأزهر الشريف عام ١٩٣٨ إلى ١٩٤٤ ، ثم عاد لوطنه وأصبح أحد المؤسسين في حقل الصحافة الليبية ، وتثقل مقالاته فترة مهمة للتاريخ الليبي ، ثم انتخب عضواً في مجلس النواب الليبي ثم وكيلاً له حتى عام ١٩٥٥ ، حيث اضطر إلى الهجرة ، فجاء إلى مصر وبقي فيها إلى أن قامت الثورة الليبية عام ١٩٦٩ وكرمه باختياره وزيراً للوحدة والخارجية في أول وزارة ثورة . وظل في هذا المنصب يشارك في أخطر أحداث التاريخ الليبي أكثر من سنة . وهو يعمل اليوم مع أبطال الثورة وزيراً للإعلام .

يحمل المؤلف ليسانس الآداب ، والمجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، ويعد الآن بحثاً للدكتوراه .

أما مؤلفه هذا ، فإنه يعتبر صيحة حق صادقة ، تنصف شعب فلسطين الذي تعرض لأبشع أنواع الظلم والانتهاك الباطل ، بالإضافة إلى أنه الكتاب الجامع المانع الذي يروي مأساة فلسطين من بدايتها إلى فصلها الأخير - هزيمة حزيران ١٩٦٧ ، بأسلوب أدبي سلس ، تابع من نفس المؤلف الأبية الصافية ، ولأول مرة يحوي كتاب حول قضية فلسطين ، القوانين والمستندات والأوامر الظالمة ، التي لولا اقتباسها من مصادر رسمية ، لما صدقنا أنها يمكن أن تصدر في بلد متحضر أو حتى في القرون الوسطى ، ولأول مرة أيضاً يتحدث كاتب عربي عن هزيمة حزيران وطريقة علاجها بصرخات صادقة لا مواربة فيها ولا إخفاء .

ولا ريب أن تناول كاتب ليبي تفاصيل قضية فلسطين بدقة مستندية ، وهو من بلد يبعد عنها آلاف الأميال دليل صادق على وحدة هذه الأمة العربية والمسألة فيها تباعدت ديارها ، ونأت أمصارها .

و « دار الفتح » تعترف بأن تقدم إلى قراء العربية هذا الكتاب ، راجية أن ينفع الله به الوطن في محنته الكبرى .

« دار الفتح »

الثن : ١,٤٠٠ فلس ليبي